أسانيد المصريين

جمهرة في المتأخرين من علماء مصر، ومناهجهم
وبيان سلاسل أسانيدهم، وذكر أسانيدنا إليهم

بقلم

أسامة السيد الأزهري

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ ٢٠١١م

ISBN 978-9948-421-69-6

دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH
PUBLICATION & DISTRIBUTION
DARALFAQIH.COM

كلام للبحوث والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وخاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . .

فهذا كتابٌ صرفت فيه العناية إلى الترجمةِ لأفرادٍ أنتقيهم من عيون علماء مصر ، فيما بعد القرن العاشر الهجريّ ، تلك الحقبة التي أعقبت نشاطًا علميًّا فائقًا ، قام به أهلُ القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، في تقريب العلوم وتلخيصها ، فترتب على ذلك تحولٌ في طبيعة بعض العلوم ، وفلسفتها ، والمقصود منها ، وطريقة التعبير عنها ، فتغيرت طبيعة التأليف والكتابة العلمية بناء على ذلك .

وقد تلا ذلك تداخلٌ واشتباكٌ بين حضارتنا العربية الإسلامية ، وبين حضاراتٍ أخرى وافدة ، دخلت ديارَ المشرق ، فحصل تدافعٌ وتجاذبٌ ، وحِرَاكٌ ثقافيٌّ واجتماعيٌّ ، أثمر توجهًا منا إلى اكتساب المعارف والعلوم التي تطورت

عند أوربا، على نحو طَفَرَت به إلى تنظيم حياة المجتمع وتنسيقها، وتقنين أنظمة الإدارة، وتحديد مهام فئات المجتمع المختلفة، فازداد المجتمع هناك رخاءً، وانتهى من تدبير أسباب نهوضه، فتفرَّغ للنظر في أحوال الأمم المحيطة به، وتَفَقُّدِ شؤونها، والسعْيِ فيما يمكن الانتفاع به، ومُراقبةِ محاور التقاطع والتلاقي، فيما بين الفلسفات السائدة عندهم هناك، وبين الفلسفات الأخرى السائدة في المجتمعات المجاورة، والتي تُكَوِّنُ نظرتها للكون والحياة.

وقد تغيرت طبيعةُ التعليم عندنا في تلك الفترة، وحصلت تحولاتٌ اجتماعيةٌ وفكرية عميقة وشاملة، مما أوجد قطيعةً بين الأجيال الناشئة وبين تراثها المدوّن، المعتمد حينئذ في تخريج المتعلمين، وتكوين عقلياتهم، وبناء تصوراتهم للكون والحياة، وتحديد توجهات ثقافة المجتمع وفكره.

تلك القطيعةُ التي أدَّت إلى هجرٍ لتلك المرحلة من تاريخنا، بكل ما فيها من علومٍ ومعارف، وبكل من فيها من رجالٍ وأعلام، ونشاطٍ وأحداث.

فصار الناظر إلى تلك الحقبة ـ رغم كثرة المصادر التي تتجمع بين يديه عن رجالها، بعد تعبٍ ودأبٍ ـ يظنها مظلمةً مجهولةَ المعالم، لا يعرف شيئًا عما كان يعتملُ فيها من تياراتٍ فكريةٍ، وتوجهاتٍ علميةٍ، ورجالٍ لهم مناهجُ في البناءِ، والتعليمِ، وتوجيه المجتمع، حتى إنك لتعجب عندما تتفقدُ سيرَ أعلامٍ كانوا ملأ السمع والبصر ماتَ ذكرُهم، ولم يعد أحدٌ يسمع عنهم، فضلا عن أن توضع مناهجهم في دائرة البحث والتقييم.

والمقصودُ أن تلك الفترةَ من تاريخنا قد شهدتْ تحولاتٍ ضخمةً،

وتغيراتٍ عميقةً، تحتاج إلى مجهودٍ كبيرٍ لإعادة إبراز ملامحها، والتعريف بعناصرها، والتعرف عن قرب على طبيعة الحياة العلمية والعقلية والفكرية، وأحوال المجتمع، وعناصر التأثير فيه.

فرأيت أن ألتقط أفرادًا من هنا وهناك، عبر تلك الفترة الزمنية الممتدة، لأُعَرِّف بهم، وأُبرز ما أستطيع الوقوف عليه من اهتماماتهم العلمية، وأحاول أن أُعِيدَ بناء الجسور والمعابر التي تصل بينا وبين أولئك الأعلام، وأغطي تلك الفجوة التي تمادت فحالت بيننا وبينهم.

ومما عالجتُ به ذلك أني أَصِلُ أسانيدي إلى كل عَلَمٍ أترجم له، وأبين سلسلة أخذه وتلقيه للعلم، تدليلًا على أن البيئة العلمية لم تنفصل أو تتقطع أوصالها، ولأبين أن أولئك العلماء الكرام كانوا حلْقةً ولبنةً في البناء العلمي للأمة، قاموا بواجب زمانهم قدر وسعهم وطاقتهم وتصورهم، وأدوا الأمانة إلى من يليهم من الأجيال، وما زالت الأمانة تنتقل وتتلقاها الأجيال كابرًا عن كابر حتى وصلت إلينا.

وعليه فقد خرج هذا المجموع مشتملا على أفرادٍ من عيون علماء مصر، من بعد القرن العاشر الهجري إلى يومنا هذا، رتبتهم فيه على حروف المعجم، ولذا فلربما وجدت عَلَمًا من القرن الحادي عشر، يليه علمٌ من القرن الرابع عشر أو الخامس، وهكذا، والكرام يتجاورون على كل حال، إخوانًا على سرر متقابلين.

ولا تزال هذه الجمهرة تتنامى وتكتمل شيئًا فشيئًا، حتى إذا ما منَّ الله تعالى باستيفاء أعلام تلك الأعصار في أجزاء متعاقبة، سهل إعادة ترتيبه على

الطبقات، فيتسع بابٌ آخر، لرصد التطوّر العلميّ للأفكار والمؤلفات والقضايا، وتتضح مسالكُ التراكم العلميّ التدريجيّ، ويسهل تتبع المؤثرات التي تؤثر عليه، وتحدد مساراته ومنعطفاته.

وقد مَزَجْتُ فيه الأسانيدَ وبحوثَ الرواية بشذراتٍ من أخبار القوم ومناهجهم، ولمحاتٍ عن حياتهم، وأبعادِ أثرهم العلميِّ والاجتماعيِّ، حتى لا يقع الكتابُ جافًّا، مقصورًا على البحث الإسناديِّ الصِّرف، وحرصًا مني على توظيف الأسانيد وبحوث الرواية في موضعها، لما أنها عندي ليست مقصودةً لذاتها، بل إنها تُطلب من حيث إنها كاشفةٌ عن طرائق سريان العلوم والمعارف بين طبقات الأمة، وقد تبدى لي أنَّ خيرَ وجوه الانتفاع من أسانيد المتأخرين هو ربطُ الراوي والمتحمل لها بالأعيان والعلماء في كلِّ طبقةٍ، حتى تتولد عنده البواعثُ على التفتيش عن أحوالهم، ومناهجهم، وتصانيفهم، وكيفية قيامهم بواجب وقتهم، من التصدي لنفع الخلق، وهداية الناس، والامتزاج بهم، والنظر في شئونهم، وربط الشرع الشريف بكل وجوه حياتهم ومعاشهم.

وقد كان من دَأْبِ الأئمة السابقين وسَمْتِهم ومعالم ثقافتهم أن يوثقوا ما ينقلون، ويقوموا بعزوه وإسناده، ويزينوا كلامهم بالأسانيد، وكانوا يعتنون بأسانيدهم ومروياتهم، ويحرصون على ذكر مشايخهم وسلاسل تلقيهم، وكانت الأسانيد عندهم بَهْجَةَ الكتب والمجالس، حتى قال الحافظُ التاجُ السبكيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل كتابه الفريد: (طبقات الشافعية الكبرى): (وحرصتُ أن لا أذكر حكاية، ولا أثرًا، ولا شعرًا، إلا مسندًا، على طريق جهابذة الحفاظ)، إلى أن قال: (ولا ينبغي أن يملَّ الناظرُ في هذا الكتاب طولَ

الأسانيد، وكثرةَ الأناشيد، والاستطراد المزيد، فإنه لذلك وُضِع، ولهذا القصد جُمِع، وعلى أعواد هذه القواعد رُفِع)(١).

ثم قال بعد ذلك بنحو مائة صفحة: (وكذلك لا يستثقل حاملُ هذه الطبقات ما اشتملتْ عليه من كثرةِ الأسانيد، فهي ـ لعمر الله ـ بَهجةُ هذا الكتاب، وزينةُ هذا الجامع لمحاسن الأحباب، وواسطةُ هذا العقد الآخذ بعقول أولي الألباب، ولقد يَعَزُّ على أبناء هذا الزمان جَمْعُها، ويبعد عنهم ـ وقد ركبوا الهوينا، وركنوا إلى الدَعَة ـ وضعُهَا، ويتعذر عليهم ـ وهم الذين قنع الفاضلُ منهم بحاجةٍ في نفسه من اسم التصنيف قضاها ـ صنعُهَا، فإنهم رفضوا الحديث بالكلية، فضلًا عن جمعه بالأسانيد)(٢).

قلت: فكتابنا هذا ـ في الحقيقة ـ وجهٌ من وجوه الانتفاع بأسانيد المتأخرين، التي لم تكن تُطلبُ إلا للتبرك والتشبه بأئمة الحديث، وهو أيضًا توظيفٌ لها في مقصودٍ علميٍّ مهمٍّ جدًّا، وهو توجيه المعْنِيِّين بتلك الأسانيد إلى الفحصِ والتتبع والكشف عن الأعلام المذكورين فيها، وفتح صفحاتِ حياتهم العلمية، والإعراب عن مناهجهم، والاستفادة من جهودهم وتصانيفهم وأفكارهم، وحصيلة دراساتهم، والإبانة عن تفاعلهم مع مجتمعهم، وقيامهم بواجب وقتهم، إلى غير ذلك من المطالب الشريفة، والمقاصد العظيمة، والتي تتحول معها تلك الأسانيد من مجرد التبرك، إلى القيام بدور علميٍّ، يساعد على إعادة بناء العلماء على وصفٍ من الدراية بمناهج علمائنا في بناء المعرفة، وإنما يترتب كلُّ ذلك على تلك الرابطة

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١/٢١٧، ط٢: دار هجر، سنة ١٤١٣هـ.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١/٣١٤.

النفسية، التي يستشعرها حامل تلك الأسانيد، عندما يتحملها ويرويها، فيرتبط بأولئك الأعلام المذكورين في أسانيده، ويتحرك في نفسه شعور تجاه الرجال والرواة الذين هم شيوخه وشيوخ شيوخه، لأنهم حينئذ آباؤه في العلم والرواية.

فإذا ما طُلِبَتْ تلك الأسانيد لأجل هذه الأغراض، وحُمِلتْ عليها تلك المقاصد، ساعدت طالبَ العلم وحاملَ الأسانيد على أن يعايشَ العلم من داخله، ويستشعرَ أن هذا النسقَ لم يزل يتسلسل حتى اتصل به هو، لا أنه يتكلم من الخارج عن تاريخ مضى، وأناس ماتوا، لا يرتبط بهم إلا من خلال الأوراق والصفحات، فإن حصل له هذا المعنى فإنه ينفتح له بذلك مع كل سندٍ سياقٌ طويل، حافلٌ بأسماءٍ، وأعلامٍ، وتصانيفَ، وكتاباتٍ، وأحداثٍ، ووقائع، تجعله مستوعبًا لتقلبات البيئة العلمية في أطوارها المختلفة، ومنعطفاتها وتعاريجها، مدركًا لأسباب النهوض والتأثير، وأسباب التوقف والتدهور، ولا شك في أهمية ذلك كله لكل باحثٍ وطالبٍ للمعرفة.

والحقُّ أن ما ذكرتُه هنا في كتابي هذا من سيرٍ، وتراجمَ، وأخبارٍ، عن أهل الإسناد من متأخري المصريين إنما هو لقْطةُ عجلان، وشذْرةٌ لا تفي بالكشف عن أخبار القوم على وجه الاستيفاء، ولا يزال الأمر من وراء ذلك في حاجةٍ إلى مسحٍ شامل، وحصرٍ مستوعب، لكل ما هو في دار الكتب المصرية، ومكتبة الأزهر الشريف، ومكتبة الإسكندرية، وخزائن المخطوطات هنا وهناك، من الوثائق والإجازات والأثبات وكتب التواريخ، الكاشفة عن سلاسل التلقي، التي سرى من خلالها العلمُ إلينا، ولابد أيضًا من مطالعةٍ واسعةٍ في الكتبِ والجرائدِ والدوريات، بكل ما فيها من

قصاصاتٍ ولمحاتٍ وتراجم لمشايخنا، حتى نستخلص من كلِّ ذلك صورةً أمينةً ودقيقة، لأحوال العلماء في تلك الفترة، ونكشف عن معالم الصعود والهبوط في المسار العلمي.

وما هذا الكتاب سوى محاولةٍ لجمع شتاتٍ تناثرَ وتفرَّق وتبعثرَ على مدى عقودٍ، ولا أشكُّ في أنَّ ما فاتني يفوق ما تيسر لي جمعه بأضعاف مضاعفة، وما أردتُ إلا أن أُطَرِّقَ لمن يأتي من بعدي، حتى ينهض لجمع ما فات، فيسهل له الاستدراك، وقد قال ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل كتاب: (النهاية): (إنَّ كلَّ مبتدئٍ لشيء لم يُسْبَق إليه، ومبتدعٍ لأمر لم يُتَقدَّم فيه عليه، فإنه يكون قليلًا ثم يكثر، وصغيرًا ثم يكبر)[١].

وقال ابن خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ في خواتيم مقدمته: (وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاية، ولعل من يأتي بعدنا ممن يقيده الله بفكر صحيح، وعلم مبين، يغوص عن مسائله على أكثر مما كتبنا، فليس على مستنبط الفن إحصاء مسائله، وإنما عليه تعيين موضع العلم، وتنويع أصوله، وما يتكلم فيه، والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئا فشيئا إلى أن يكمل، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[٢].

قلت: ولما أن كان الغرضُ من هذا الكتاب هو نشر المحاسن، وإبراز معالم الجلال والإفادة في حياة العلماء، والقيام لدين الله تعالى، وخدمة الشرع الشريف، وقيام العلماء في كل طبقة بواجب الوقت، فإني قد أخذتُ نفسي في هذا الكتاب بغضِّ الطرف عن المعايب، وإسبال الستر عليها،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر /١/٤/. (ط: المطبعة الخيرية، القاهرة، سنة ١٣٠٦هـ).
(٢) مقدمة ابن خلدون/ص٥٨٨/، ط: دار القلم، بيروت، سنة ١٩٨٤م.

والإعراض عنها، إلا أن يتوقف على ذكرِ شيءٍ منها غرضٌ علميٌّ معتبر، فأذكر منها القدر الذي يتضح به المراد ثم أمضي.

وقد قال مالك بن أنس رحمه الله: (أدركتُ بهذه البلدة ـ يعني المدينة المنورة ـ أقوامًا لم تكن لهم عيوب، فعابوا الناس، فصارت لهم عيوب، وأدركت بها أقوامًا كانت لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم)[(١)].

ولعله لأجل ذلك أكثر العلماء من الكلام على آداب المؤرخ، وكيفية قيامه حَكَمًا عدلًا، لا يتسلط عليه الهوى، ولا تستخفه الأهواء، ولا يخوض في الناس، حتى يسلم من الوقيعة فيما لا يَجْمُل، ولعل أجودَ ما كُتِبَ في هذا البابِ هو ما حرره الإمامُ الحافظُ المجتهدُ التاجُ السبكيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ عند كلامه في آداب المؤرخ، في ترجمة الحافظ أحمد بن صالح المصري من: (طبقات الشافعية الكبرى).

وقد استلَّ كلامه العلامةُ المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ وطبعه في جزءٍ مفردٍ عنوانه: (قاعدة في الجرح والتعديل، وقاعدة في المؤرخين).

ثم إني جعلتُ كتابي هذا ثلاثةَ أقسام: القسم الأول: أصولٌ وأركانٌ للمدرسة الإسنادية في مصر في العصور المتأخرة، وفيها بحوث مهمة حول

(١) الضوء اللامع /١/١٠٦/، وعزاه إلى الإمام مالكٍ أيضًا العلامةُ عبد القادر العيدروس في النور السافر /ص٣٦٣/، والمحبي في خلاصة الأثر /٤/١٩٥/، وقال أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب عيوب النفس /ص١٢/: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت زاذان المدايني يقول: فذكر نحوه.

رواج العلوم في مصر عبر تاريخها، وذكر التواريخ المحلية والمؤلفات التي عنيت بالترجمة لأعيان المصريين، وتتبع لحال المسندين من المصريين في تلك الحقبة، وغير ذلك من البحوث، والقسم الثاني: فيه تراجم منتقاة، لعدد من العلماء والأئمة من المصريين، وتحت كل ترجمة بحوث إسنادية وفكرية، تصف أثره في مجتمعه، وكيفية قيامه بواجب وقته، والقسم الثالث: فيه عدد من الوثائق والإجازات، مصورة من خطوط عدد من كبار العلماء الذين ترجمتُ لهم في هذا الكتاب.

هذا والله تعالى من وراء القصد، وهو سبحانه المستعان، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أسامة السيد محمود الأزهري

الْقِسْمُ الأَوَّل

أصولٌ وأركانٌ للمدرسةِ الإسناديّةِ في مصر في العصور المتأخرة

فصل

في رواج العلوم في مصر عبر الزمن

لم تزلْ الديارُ المصرية موئلًا للعلماء، ومثابةً لأرباب الفنون المختلفة، نظرًا لنشاط البيئة العلمية فيها على مرِّ الأعصار، وإن تفاوتت الاهتمامات ببعض الفنون دون بعضٍ لعواملَ متداخلةٍ، إلا أنها ظلت عبر العصور في دائرة الضوء، وغدت مركزًا لجذب الدارسين والنبغاء والعلماء.

قال العلامةُ المؤرخ أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن زولاق الليثي المصري المتوفى سنة ٣٨٧هـ في كتابه: (فضائل مصر وأخبارها وخواصها): (ومصرُ بلدُ الحكمة والعلم، ومنها خرج الحكماءُ الذين عمروا الدنيا بكلامهم، وحكمتهم، وتدبيرهم)[١].

وقال أيضًا: (وكانت مصرُ يسير إليها في الزمن الأول طلبةُ العلم، وأصحابُ العلم الدقيق، لتكون أذهانهم على الزيادة، وقوة الذكاء، ودقة الفطنة، فما أكسبت أحدًا منهم بلادةً، ولا انقطع له خاطر)[٢].

وقال العلامة أبو القاسم صاعد بن أحمد التغلبي الأندلسي ت٤٦٢هـ في

---

(١) فضائل مصر وأخبارها /ص١٥.
(٢) فضائل مصر /ص٢٠.

كتاب: (طبقات الأمم): (وكان لقدماءِ أهلِ مصر الذين كانوا قبل الطوفان عنايةٌ بأنواع العلوم، وبحثٌ عن غوامضِ الحكم)[1].

وقال الإمامُ الحافظُ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ في تقدمة كتابه: (الجرح والتعديل) ترجمة الإمام أبي زرعة الرازي المتوفى سنة ٢٦٤هـ: (قال عبد الرحمن: سمعت أبا زرعة يقول: خرجت من الريّ المرة الثانية سنة سبع وعشرين ومائتين، ورجعت سنة اثنتين وثلاثين، في أولها، بدأت فحججت، ثم خرجت إلى مصر، فأقمت بمصر خمسة عشر شهرًا، وكنت عزمت في بُدُوِّ قدومي مصر أني أُقِلُّ المقام بها، فلما رأيتُ كثرةَ العلم بها، وكثرةَ الاستفادة، عزمت على المقام.... إلخ)[2].

وقال الحافظُ الذهبيُّ في: (الأمصار، ذوات الآثار): (مصر، افتتحها عمرو بن العاص في زمن عمر رضي الله عنه، وسكنها خلق من الصحابة، وكثر العلم بها في زمن التابعين، ثم ازداد في زمن عمرو بن الحارث، ويحيى بن أيوب، وحيوة بن شريح، والليث بن سعد، وابن لهيعة، وإلى زمن ابن وهب، والإمام الشافعي، وابن القاسم، وما زال بها علمٌ جمٌّ، إلى أن ضعف ذلك باستيلاء العبيديين الرافضة عليها، سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة)[3].

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ أيضا في: (تاريخ الإسلام): (قال شمس الدين ابن الجوزي: ودخلت تلك الأيام إلى الإسكندرية، فوجدتها كما قال الله تعالى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[4]، معمورة بالعلماء والأولياء)[5].

---

(١) طبقات الأمم /ص١٠٦/.
(٢) الجرح والتعديل /١/٣٤٠/.
(٣) الأمصار، ذوات الآثار /ص١٦٧/.
(٤) سورة المؤمنون، آية ٥٠.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي/٦/٤٧/.

قلت: فهذه شذرةٌ عن الحالة العلمية في مصر في الزمن القديم، وفي القرن الثالث الهجري فما بعد، وقد استمر هذا النشاط، حتى إذا ما وافيت القرنين الثامن والتاسع كان النشاطُ العلميُّ قد بلغ ذروتَه، وغدت القاهرةُ عاصمةَ الفنون والعلوم؛ لاتساع عمرانها، واجتماع أصول الحرف، والصنائع، والفنون فيها.

ترى ذلك مثلًا، في وصف العلامة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ لحال الديار المصرية في تلك الحقبة، قال في: (المقدمة): (ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر، لما أن عمرانها مستبحر، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت، ومن جملتها تعليم العلم، وأكد فيها ذلك وحفظه ما وقع لهذه العصور بها، منذ مائتين من السنين في دولة الترك، من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرًّا، وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على ذريتهم، لما له عليهم من الرق أو الولاء، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة، يجعلون فيها شركًا لولدهم، ينظر عليها أو يصيب فيها، مع ما فيهم غالبًا من الجنوح إلى الخير والصلاح، والتماس الأجور في المقاصد والأفعال، فكثرت الأوقاف لذلك، وعظمت الغلات والفوائد، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها، وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب، ونفقت بها أسواق العلوم، وزخرت بحارها، والله يخلق ما يشاء)[1].

قلت: وذلك أن الحركة العلمية قد ازدهرت في مصر ونهضت نهوضًا

---

(١) مقدمة ابن خلدون /ص٥٢٤/.

فائقًا من مستهل سنة ٦٥٨هـ، حيث نقل الظاهر بيبرس الخلافة في هذه السنة إلى القاهرة فصارت حاضرة المسلمين، وتسلطت عليها الأضواء، وصارت موضعَ جذبٍ للعيون والصدور، من رجالات الفكر والعلم والسياسة وغيرها، مع ما تميزت به من مركزيةٍ عجيبةٍ، لوقوعها في ملتقى الطرق، التي تربط الشرق بالغرب، فعبر عليها أربابُ العلوم من مختلف التوجهات.

قال العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه القيم: (أليس الصبح بقريب): (ثم أصبحت مصر بعد انحلال الخلافة العباسية وخراب بغداد على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ، عاصمة الشرق الأوسط، ومعقل الأمة الإسلامية، ومثوى علومها، فأمها العلماء من بلاد الإسلام التي منيت بغزو التتار، ورغبهم فيها ما وجده السابقون إليها من حسن الإقامة، ورحب الصدور، واعتبار نزيل القاهرة مساويا لأبنائها الشادين فيها.

فقطنها مثل ابن الحاجب، وعز الدين بن عبد السلام، وابن منظور صاحب: (لسان العرب)، والفيروزآبادي صاحب: (القاموس المحيط)، والتيفاشي صاحب كتاب: (خواص الأحجار الكريمة)، وظهر في مصرَ أئمةٌ من العلماء في جميع الفنون مثل الشهاب القرافي، وتقي الدين ابن دقيق العيد.

وعَظُمَ اشتهار مصر بعد سقوط الدولة العباسية، وكان الجامع الأزهر يومئذ قد شرفه الله بأن صار مقر علوم السنة، بهمة الملك الصالح صلاح الدين الأيوبي، إذ أقام القضاء المصري على مذهب الشافعي، وأزال قضاة الإسماعيلية الذين استأثروا بالقضاء من عهد ظهور الدولة الفاطمية من سنة ٣٦٥هـ، إلى أن قلص ظلهم صلاح الدين رحمه الله تعالى سنة ٥٦٤هـ.

وأصبح الأزهر مقصدًا لطلبة العلم من بلاد الإسلام، وبنيت المدارس

لإيواء الطلبة الوافدين من غير أهل القاهرة، وعززت المدارس ببناء الأروقة في رحاب الجامع الأزهر، التي تبلغ خمسة وعشرين رواقًا)[1].

قلت: بل كانت القاهرة قبل ذلك أيضًا عامرةً بالعلوم والفنون؛ إذ أراد الفاطميون أن يجعلوها مركزًا علميًّا وثقافيًّا، يتفوق على بغداد، مركز الخلافة العباسية، فاستقطبوا أرباب الفكر والقلم واللسان حولهم، وشادوا دور العلم والحكمة، والمكتبات العظيمة، ثم أعقب الدولة الفاطمية نهوض دولة الناصر صلاح الدين، وقد كان هو وخلفاؤه محبين للعلم، فاستكثروا من بناء المساجد والمدارس، واجتذاب العلماء والشعراء.

قال علي مبارك باشا ـ رحمه الله تعالى ـ في: (الخطط التوفيقية) وهو يصف ازدياد العمارة ووفرة الأرزاق في عهد الفاطميين: (ومن يتأمل مدة كل خليفة وأعماله، يرى أن همة أغلبهم كانت متجهة إلى اتساع دائرة العمارة واليسار، وبسبب اتساع ملكهم، وعظم سطوتهم واستقلالهم، وعدم تبعيتهم لغيرهم، وكونِ القاهرةِ كرسيَّ ملكهم، كانت القاهرة مقصدَ التجارة من جميع أطراف المملكة، ومقرَّ الصنائع والمعارف، فأخذت بها التجارةُ والعلومُ غايةً لم تكن لها من قبل، ولا حصلت لها من بعد إلى زماننا، واتسعت بسبب ما ذكر أيضًا أرزاق أهلها، وزادت ثروتهم)[2].

قلت: لا سيما وأن مُلْكَ الفاطميين كان أعظم من ملك بني العباس،

(١) أليس الصبح بقريب /ص٦١/.
(٢) الخطط التوفيقية /١/٦٨/، ثم اطلعتُ هنا مؤخرًا على كتاب مهم في ذلك، عنوانه: (الحياة العلمية في مصر الفاطمية)، للأستاذ خالد عبد الرحمن القاضي، ط: الدار العربية للموسوعات، بيروت، سنة ٢٠٠٨م ـ ١٤٢٩هـ. والكلام حول الفاطميين وأنسابهم وأحوالهم، وكلام المؤرخين والنقاد فيهم مشهور، وألفت في ذلك مؤلفات كثيرة.

وأوسع سلطانا، وأنباء عناية ملوك الفاطميين ـ وهم على هذا القدر من استبحار السلطان ـ لا تخفى، قال الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء) في ترجمة الوزير ابن كِلِّسٍ وزير المعز لدين الله الفاطمي: (ولا ريب أن ملك مصر في ذاك العصر كان أعظم بكثير من خلفاء بني العباس، كما الآن، صاحب مصر أعلى ملوك الطوائف رتبة ومملكة)[١].

وأقول أيضا: ثم إنه من أسباب النشاط العلمي ازدهار العمران، وقيام أصول الصناعات، ونشاط التجارة، مما يؤدي إلى توفر مصادر الإنفاق على عمارة المدارس والمساجد، والتفرغ لتكميل النواحي العقلية، بعد استيفاء حاجات الشعب وعامة الناس من مطالب حياتهم، وتأمين شؤون معاشهم؛ لأن الحركة العلمية في كل أمة تأتي في مرحلة متأخرةٍ زمنيًّا، تعقب استقرار البلاد، واستتباب الأمن، وتوفر المطالب الحياتية التي تكفل الحياة الكريمة، ولأجل هذا تتأخر الحركة العلمية ويخفت نشاطها في الأمم المتخلفة، والشعوب الفقيرة، لانشغال الناس بتحصيل المعاش، وعدم فراغ الذهن للكمالات النفسية والعقلية والروحية، وقد أشار ابن خلدون إلى شيء من ذلك، لا سيما عند حديثه عن شيوع الأوقاف على المدارس العلمية مما كان يكفل لطلبة العلم الكفاية المادية، فيعينهم ذلك على فراغ الذهن، والنهوض للدرس والتحصيل[٢].

(١) سير أعلام النبلاء/١٦/٤٤٣.

(٢) وانظر في وصف لمحات أخرى مما كانت عليه القاهرة من اتساع الرقعة، وعظمة العمران، واجتماع أصول الحرف والصنائع وغير ذلك من مستلزمات الحضارة في أيام الفاطميين فمن بعدهم عبر الزمان في الخطط التوفيقية للعلامة علي مبارك باشا /١/٤٠، /١/١٤٣، /١/١٩٦.

قال الرحالة محمد بن عبد الله ابن بطوطة ـ رحمه الله تعالى ـ في رحلته المسماة: (تحفة النظار، في غرائب الأمصار): (ثم وصلت إلى مدينة مصر، وهي أم البلاد، ذات الأقاليم العريضة، والبلاد الأريضة، المتناهية في كثرة العمارة، المتناهية بالحسن والنضارة، ومجمع الوارد والصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر، وبها ما شئت من عالم وجاهل، وجاد وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف ومشروف، ومنكر ومعروف، تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وإمكانها، شبابها يجد على طول العهد، وكوكب تعديلها لا يبرح عن منزل السعد، قهرت قاهرتها الأمم، وتمكنت ملوكها نواصي العرب والعجم)[١].

وقد تناول ابن خلدون أيضًا في موضع آخر من تآليفه وصف العمران المزدهر في مصر في تلك الفترة، مما يعد تمهيدًا لنشاط الحياة الفكرية والعقلية.

قال في سيرته الذاتية المسماة: (التعريف بابن خلدون): (فانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة، فرأيت حضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك.

تلوح القصورُ والأواوينُ في جوِّه، وتزهر الخوانك والمدارس بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه، قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة، ومدفع مياه السماء، يسقيهم النهل والعلل سيحه، ويجبي إليهم الثمرات والخيرات ثجه، ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة، وأسواقها تزخر

(١) رحلة ابن بطوطة /ص٥٥.

بالنعم، وما زلنا نحدث عن هذا البلد، وعن مداه في العمران، واتساع الأحوال.

ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا، حاجهم وتاجرهم، بالحديث عنه، سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس، وكبير العلماء بالمغرب، أبا عبد الله المقري، مقدمه من الحج سنة أربعين، فقلت له: كيف هذه القاهرة؟ فقال: «من لم يرها لم يعرف عز الإسلام».

وسألت شيخنا أبا العباس ابن إدريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال: كأنما انطلق أهله من الحساب، يشير إلى كثرة أممه، وأمنهم العواقب.

وحضر صاحبنا قاضي العسكر بفاس، الفقيه الكاتب أبو القاسم البرجي بمجلس السلطان أبي عنان، منصرفه من السفارة عنه إلى ملوك مصر، وتأدية رسالته النبوية إلى الضريح الكريم، سنة خمس وخمسين، وسأله عن القاهرة فقال: أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار: إن الذي تخيله الإنسان فإنما يراه دون الصورة التي تخيلها، لاتساع الخيال عن كل محسوس، إلا القاهرة، فإنها أوسع من كل ما يتخيل فيها، فأعجب السلطان والحاضرون بذلك)[١].

قلت: ومن حصل له اطلاعٌ على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، ورأى كيف تحدث التحولات في مسارات الأمم، من رقيٍّ ونهوضٍ، إلى تدهورٍ وانهيار، فإنه يلمح الروابطَ الدقيقةَ التي تربط النهضة العلمية في أي أمة، بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية المتفشية في المجتمع، فإن الجميع

(١) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا /ص٢٤٦.

منظومة واحدة متناسقة، وبقدر ما يطرأ على الناس من استقرار في حياتهم الاقتصادية يستقر المجتمع، وتنشط فيه حركة التجارة والصناعة، وتستقر البلاد، ويتوجه الناس إلى اكتساب العلوم والمعارف في الفنون المختلفة الدنيوية والأخروية، وينفقون في سبيل ذلك، فتنشط ـ من ثم ـ المدارسُ والمعاهدُ ودُورُ العلم، وتنشط الفنون والآداب، وتدور دورة المجتمع، بحيث ينعكس النهوض العلمي على الإتقان المتزايد لشئون التجارة، والزراعة، والصناعة، والعمران، وتأخذ الأمةُ بزمام أمورها، وأحوالها، وقراراتها.

وأيضًا هنا سببٌ آخر، مركبٌ من الأمور المذكورة سابقًا، وهو حصول النشاط العلميِّ في مصر لوجود الخلافة فيها، وكونها مقر الخلافة، ومحط الأنظار، ومثلها يكون معمورًا بالوزراء والأعيان، وينزل فيه الكبراء من آفاق الدنيا، ويهوي إليه العلماء والشعراء، وأشار إلى هذا المعنى الحافظ السيوطي في: (حسن المحاضرة)، حيث قال: (مصر من حيث صارت دار الخلافة عظُمَ أمرُها، وكثُرَت شعائرُ الإسلام فيها، وعلت فيها السنة، وعفت منها البدعة، وصارت محلَّ سكنى العلماء، ومحطَّ رحال الفضلاء، وهذا سرٌّ من أسرار الله أودعه في الخلافة النبوية، حيث كانت يكون معها)[١].

قلت: وحيث استقر الأمراء والحكام، واستقرت شؤون إدارتهم للبلاد، مع التفات منهم إلى البحث العلمي، نشطت الحركة العلمية، وأجريت عليها الأوقاف، وحصلت العمارة للمساجد والمدارس، وقصدها العلماء من الجهات المختلفة، ودُعِيَ إليها الخبراءُ في الفنون المختلفة، فيحصل رواج علمي على نحو ما تقدم، وقد قال ياقوت الحموي في: (معجم البلدان): (إنما

(١) حسن المحاضرة ٢/٩٤.

تعمر البلدان بسكنى السلطان)[1].

وعلى العكس من ذلك، لما أن وقع تدهور للأحوال الاقتصادية في مصر، نتيجة النهج الذي انتهجه المماليك في إدارة البلاد، والتوسع في الإنفاق العسكري، ومحاولة تدعيم الجيش وبناء الثغور من غير تنمية لموارد البلاد، فقد اشتطَّ المماليكُ في فرض الضرائب والمكوس، كما وقع في زمن الناصر محمد بن قايتباي[2].

وازداد الأمر، حتى اشتهر السلطان الغوري بفرض الضرائب على تركات الأموات أو مصادرتها، ثم تجاوز الأمر ذلك إلى تعدي المماليك ونوابهم على أموال الأوقاف، حتى إن السلطان الغوري ت٩٢٢هـ حاول بعد وصوله إلى عرش السلطنة مباشرة بيع أراضي الأوقاف، بحجة أنها أموال عامة لبيت مال المسلمين، وهو ولي أمر المسلمين، وبيت مالهم فارغ من المال، ولا بد من دفع مرتبات الجند وأخبازهم.

وقد أخرج العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام كتابا مهما عنوانه: (مجالس السلطان الغوري، صفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري)، طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بالقاهرة، سنة ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م، توسع في بعض فصوله في تتبع مصادرته للأموال، وأطال في رصد ذلك.

وقد ألف الحافظُ الجلال السيوطيُّ في ذلك رسالةً مهمةً اسمها:

---

(١) معجم البلدان /٤/٤٥٤.

(٢) انظر ذلك في بدائع الزهور حوادث سنة ٩٠٢ هـ.

(الإنصاف، في تمييز الأوقاف) نبَّه فيها إلى أن للأوقاف أنواعًا، منها ما يجوز للسلطان العادل التصرف فيه بيعًا وشراءً، ورد قيمته إلى بيت المال، وأنواع أخرى لا يحق للسلطان بحال من الأحوال التصرف فيها، أو التعرض لها.

يقول المؤرخ الأستاذ الدكتور حسنين ربيع في بحثٍ له حول الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولا حاجة إلى القول بأن بيع الدور والحوانيت والحمامات الموقوفة، أو تحويل إيراداتها إلى بيت المال أعطى ضربة قاصمة لنظام الوقف في مصر، الذي كان المورد المالي لسنين طويلة للنفقة على: البيمارستانات (المستشفيات)، والخوانق (بيوت الصوفية)، والجوامع، والمساجد، ورواتب وجرايات المدرسين وطلاب العلم في المدارس، مما كان له أسوأ الأثر على أحوال مصر الاقتصادية قبل العصر العثماني)[1].

وكنت قد عرضت هذا خلاصة هذا المبحث على سماحة شيخنا العلامة الجليل الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، فقال لي: (هذا باب من العلم يحتاج إلى مزيد من التأمل، وإلى توسيع دائرة البحث فيه؛ إذ لا يتأتى دراسة أحوال الاقتصاد والأوقاف والعلم في مصر في تلك الفترة، بمعزل عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يشهدها العالم كله في ذلك الوقت، فقبيل هذه الفترة التي نتكلم عنها حصل أمران في غاية الأهمية والتأثير:

الأمر الأول: انهيار بشري هائل، ضرب أمة الإسلام، وسائر شعوب حوض المتوسط، وجنوب أوربا، نتيجة الوباء الهائل المسمى بالطاعون

---

(١) السيوطي ومنهج كتابة التاريخ، بحث ضمن بحوث ندوة: (جلال الدين السيوطي) /ص٦٦/ المنعقدة في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، والمقال المذكور للدكتور حسنين ربيع كله مهم.

الأسود، والذي وقع سنة ٧٤٩هـ، حتى يصف الحافظ ابن حجر شيئا من آثاره فيذكر أن التركة الواحدة كانت ربما انتقلت في اليوم الواحد إلى تسعة بيوت، بأن يموت هذا فتنتقل لورثته، فيموت فتخرج إلى ورثته، وهكذا إلى تمام تسعة بيوت في اليوم الواحد، فأدى هذا إلى انهيار بشري كبير، أثر تأثيرا بالغا، وقد كانت التقديرات والإحصائيات التي تجتهد في تحديد عدد سكان مصر في تلك الفترة، نتيجة دراسة مقادير الخراج، تنتهي إلى أنهم قرابة العشرين مليونا، ثم حصل ذلك الانهيار، فإذا بنا نجد الإحصائيات بعد ذلك بقرون، في أيام محمد علي باشا، تنتهي إلى تقدير عدد سكان مصر بنحو أربعة ملاين، فانظر إلى هذا الفارق الهائل، وهذا مؤثر بلا شك في الاقتصاد والعلم، إذ ذهاب البشر وموتهم بهذه الصورة معناه فقد العلماء والحرفيين وأرباب المهن والصنائع، فكان هناك انهيار في كل تلك الأمور، يوازي الانهيار البشري الذي نصفه.

الأمر الثاني: أن طرق التجارة العالمية في تلك العصور كانت تمر بأراضي أمة الإسلام، فتنشط على ضفاف ذلك عشرات الوجوه من التجارات والمنافع والأنشطة الاقتصادية، مما يوفر للأمة موارد مالية هائلة، يمكن إنفاقها في سائر الأنشطة والعلوم والمرافق وما أشبه، فوقع في ذلك العصر اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، فتحولت مسارات التجارة العالمية من أراضي أمة الإسلام، ففقدت الأمة موردا اقتصاديا ضخما، مما أدى إلى انهيار مالي هائل، توقفت على أثره أنشطة علمية واجتماعية كبيرة، كانت تدور عليه.

فلابد من توسيع دائرة النظر، حتى ندرس القضية بأبعادها وأسبابها

ومؤثراتها، دون اجتزاء يؤدي إلى الظلم أو سوء الفهم والتفسير، ولا شك أن العوامل السابقة لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والتتبع)، هذا خلاصة كلام شيخنا سماحة المفتي، سماعا من لفظه، مع شيء من الاختصار.

قلت: وقد ترتبت على تدهور الأحوال الاقتصادية آثارٌ اجتماعيةٌ وعلميةٌ في غاية السوء؛ إذ فقدت المدارسُ والمساجدُ ـ والتي هي الجامعات والمراكز العلمية لذلك العهد ـ مواردها المالية، فلم يجد العلماء فيها كفايةً لشئون معاشهم فهجروها، ولم يجد الطلاب فيها جِرايةً تعينهم على التفرغ لتحصيل العلم، فاضطروا إلى الخروج للتكسب، ولم يعد يجري على أبنية المساجد والمدارس رَيْعٌ ماليٌّ لتجديدها، وترميمها، وعمارتها، وصيانتها، وقد أدَّى كلُّ ذلك إلى توقفٍ وتجميدٍ لعقل الأمة المفكر، فتوقفت الآلة العلمية عن متابعة الواقع ورصده وتحليله، فضلا عن تصويبه وتوجيهه، وتوقف العقل المسلم عن مطالعة أحوال الأمم المحيطة بديار أهل الإسلام، ورصد فلسفاتها ومناهجها، وما يدور في تلك المجتمعات من بوادر نهوض وحركة فكرية، وتقاصر المسلمون بالتدريج عن المشاركة في صناعة ثقافة العالم وفكره وسياساته.

قال علي مبارك باشا في: (الخطط التوفيقية): (ومن ابتداء القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر ـ يعني: مدة ثلاثة قرون ـ قد أُهمِل أمرُ المدارس، وامتدت أيدي الأطماع إلى أوقافها، وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها، وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة والخدم، فأخذوا في مفارقتها، وصار ذلك يزيد في كل سنة عمَّا قبلها، لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد، حتى انقطع التدريس فيها بالكلية، وبِيعَتْ كتبها وانتهبت، ثم أخذت

تتشعَّث وتتخرب من عدم الالتفات إلى عمارتها، فامتدت أيدي الناس والظلمة إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها، حتى آل بعض تلك المدارس الفخيمة، والمباني الجليلة إلى زاوية صغيرة، تراها مغلقة في أغلب الأيام، وبعضها زال بالكلية، وصار زريبةً أو حوشًا أو غير ذلك، كما بيناه في هذا الكتاب، ولله عاقبة الأمور)[١].

قلت: فآل الأمر في الجملة إلى انصراف النشاط العلمي من مصر، قال العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري في مقالاته: (ومن المعلوم أن الديار المصرية ظلت موئل العلوم إلى خواتيم القرن العاشر، إذ بانقراض الدولة المصرية البرجية في أوائل ذلك القرن تضاءل النشاط العلمي بمصر، بل تزعزعت أركان العلم بها، وغادر هذا النشاط القطر المصري إلى أقطار أخرى، كما هو سنة الله في خلقه)[٢].

---

(١) الخطط التوفيقية /١/٢٢٠/.

(٢) مقالات الكوثري /ص١٦٦/، وانظر في شرح ذلك الخطط التوفيقية /١/١٤٦/، وانظر وصفًا مسهبًا لما آلت إليه حالة القاهرة، من تدهور اجتماعيٍّ، وصحيٍّ، وعلميٍّ، واقتصاديٍّ، بحلول القرن الثاني عشر الهجري فما بعده، في: (الخطط التوفيقية) أيضًا /١/١٩٧/، ثم انظر مراحل التوسع والتغيير العمراني لخريطة القاهرة في عهد إسماعيل وما بعده في كتاب: (القاهرة، إقامة مدينة حديثة، ١٨٦٧ ـ ١٩٠٧م من تدابير الخديوي، إلى الشركات الخاصة) تأليف: جان ـ لوك أرنو، ترجمة حليم واطسون، وفؤاد الدهان، نشر المجلس الأعلى للثقافة، بالاشتراك مع المركز الفرنسي للثقافة والتعاون، سنة ٢٠٠٢ م، وفي كتاب: (مدينة القاهرة، من ولاية محمد علي إلى إسماعيل: ١٨٠٥ ـ ١٨٧٩م) للدكتور محمد حسام الدين إسماعيل، ط٢، دار الآفاق العربية، وفي كتاب: (القاهرة في عصر إسماعيل) للأستاذ عرفة عبده علي، ط: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ومن أجود ما اطلعت عليه في وصف الحالة العمرانية للقاهرة كتاب: (القاهرة الخديوية، رصدُ وتوثيق عمارةٍ وعمران القاهرة، منطقة وسط المدينة) تأليف الدكتورة سهير زكي حواس، نشره مركز التصميمات المعمارية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

مع أن هذا معنى يحتاج إلى تفصيل، ورصد تاريخي موسع للمظاهر العلمية، والمراكز الدرسية، وسير العلوم في علوها وهبوطها تلك الأقطار ومع طرأ على كل واحد من من وجوه التغير.

وقال العلامة الأستاذ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر في كتابه: (الجامع الأزهر نبذة في تاريخه): (وفي أواخر القرن التاسع الهجري أصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول والركود، فتقلص ظلُّ النشاط والازدهار العلمي، وانصرف كثيرٌ عن العلوم العقلية الفلسفية والرياضية والجغرافية، وأخذ القولُ بحرمتها يتسرب شيئًا فشيئًا، حتى تُرِكتْ هذه العلوم من الأزهر، وبقيت مهجورةً، يُنْظَرُ إليها بنظر السخط، حتى صدرت فتوى من شيخ الأزهر الشيخ الأنبابي، والشيخ محمد محمد البنا مفتي مصر، بجواز تعلمها، وعدم حرمة تدريسها)[١].

وهذا وصفٌ للجوِّ العامِّ الإجمالي، في وقتٍ تراجعت فيه الأمة حضاريًّا، وإلا فإن الأزهر الشريف على الخصوص لم تزل جذوته ـ رغم ذلك ـ متقدةً، ولم يزل سراجه ساطعًا، ولم يزل أثره في المجتمع ماضيًا ونافذًا، كما يشهد بذلك الواقع الاجتماعي والسياسي والعلمي، عبر القرن الثاني عشر، والثالث عشر، فما بعد، ولا يزال كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بإذن الله تعالى.

---

(١) الجامع الأزهر، نبذة في تاريخه /ص٢٤/ (بتصرف يسير)، وانظر شيئًا من ذلك في: «التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك» للدكتور عبد الغني عبد العاطي، ط: دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨٤م، و: «تاريخ المدارس في مصر الإسلامية» (أبحاث ندوة: «المدارس في مصر الإسلامية» التي أعدتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، وعقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية من ٢٢ ـ ٢٥ أبريل ١٩٩١ م. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٢م وغير ذلك كثير.

فصل

في لمحات من التغيُّرات التي طرأت على مصر في تلك الفترة

يمثلُ الانتماءُ دافعًا مهمًّا من دوافع الفعل والتصرف عند الإنسان، وهو الباعث الذي يُمْلي على الإنسان أفعاله وردود أفعاله، في جانب كبير من جوانب حياته، وهو الذي يفسر لنا عددًا من قرارات الإنسان واختياراته، وهو من مقتضيات مدنية الإنسان، من حيث إنه كائنٌ اجتماعيٌّ، لا يستطيع إلا أن يعيش في تجمعات متداخلة، وقد جعله علماء النفس واحدًا من خمسة دوافع يدور عليها التصرف الإنساني في كافة أوجه النشاط البشري، وهي: تحقيق البقاء، وتحقيق الأمن، وتحقيق الانتماء، وتحقيق التميز، وتحقيق الذات.

ولما أن كان الانتماء مكونًا راسخًا من مكونات الفعل البشري، وهو من أهم مكونات الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فقد أكده الشرع الشريف، وانطلق منه، وعول عليه، ولم يقمعْه أو يتجاهله، ولكن عدله ونسقه، وحدد للمكلف معالم راقية للانتماء، تلبي ذلك الدافع القهري المنبعث من داخله، وتحفظه من مزالقه، التي من الممكن أن يؤدي إليها.

فقد كانت العرب مثلا تتجاوب مع ذلك الباعث بالانتماء للقبيلة،

والتفاخر بالأنساب، ويتعاظم عندهم ذلك المعنى حتى يؤول إلى عصبية طاغية، تعمي الإنسان عن الروابط المشتركة التي تربطه ببقية البشر، فتنقلب قضية الانتماء إلى عصبية عرقية أو مذهبية تهدم ولا تبني.

وقد جاء الإسلام بمنهج راق في قضية الانتماء هذه، فجعل الانتماء دوائر متداخلة، بعضها أكبر من بعض، والأصغر منها لا يعدو على الأكبر، بل إن كل انتماء يفسد الروابط الكبرى ويكر عليها بالبطلان فإنه فاسد، والشرع لا يعتبره، بل وينهى عنه، ويرجع بالإنسان إلى المشترك الأكبر.

وقد جرَّد الشرع الإنسان من الانتماءات الضيقة، ونهاه عن التفاخر بالأحساب والأنساب، ونهى عن العصبية وقال: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، رواه البخاري ومسلم وابن حبان والترمذي وغيرهم، وجعل انتماء المؤمن إلى الله ورسوله وأمة الإسلام، عليهم يوالي ويعادي، وفيهم يحب ويكره، وجعل أمة الإسلام غاية انتماء المؤمن، ومازال يربط مشاعر المؤمن بالأمة، ويعمق في قلبه معنى الانتماء إليها، ويقول مثلًا: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»، رواه مسلم في صحيحه والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهما، ويقول: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ**»، رواه أبو داود والبيهقي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس، ورواه أبو يعلى من حديث علي رضي الله عنه.

ولهذه الأمة التي هي سواد المسلمين الأعظم قداسة، حيث إنهم لا يجتمعون على ضلالة، وهم خير أمة أخرجت للناس، وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، حتى صارت الأمة مَعْلَمًا من معالم الإسلام الكبرى، ثم

إن الشرع الشريف لم ير بأسًا بوجود انتماءات جزئيةٍ في إطار ذلك الانتماء الكلي، تدعمه وترسخه، وتنبع منه، وتفضي إليه، ولا تخرج عن نسقه الكلي، فسمح بمحبة البقعة المحددة التي ولد فيها الإنسان وعاش، وهي موطنه المباشر، ولا يتعارض ذلك مع محبة الأمة بأكملها، بل هو جزء منها، فإن غلب عليه حبه وانقلب تعصبًا، يعادي من أجله المسلم الناس فإن الشرع يرفضه، ومن هنا جاءت محبة الأوطان والديار، وأكد الشرع قضية حب الوطن، وكان صلى الله عليه وسلم يحب مكة ويشتاق إليها، مع أن المدينة مقره ومثواه.

ومن هنا أيضًا جاءت محبةُ توجهٍ علميٍّ معين، أو تيارٍ فكريٍّ معين، أو منهجٍ بحثيٍّ معين، دون أن يَحُولَ ذلك بين المسلم وبين الدوائر الأوسع، والأُطُر الكبرى، بل كل تلك الانتماءات من نبع الانتماء الأكبر، وهي التي تكوِّنه وتبني أركانه، ولذلك نهى الشرع عن انتماء جزئيٍّ يتعصب له المرء حتى يحادَّ به المسلمين، ويقاطعَ به بقية الانتماءات الجزئية، التي تصب في معين الانتماء الأكبر، وكل ذلك من أجل أن يستمر التوازن بين دوائر الانتماء المختلفة، وبعضها أكبر من بعض، وبهذا تزدهر المواهب، وتتعدد الأفكار والرؤى، دون عصبية ولا عداء.

بل إن الانتماء ليس فقط دافعًا فرديًّا يُكَوِّن سلوك الإنسان، بل هو دافع جماعيٌّ يستشعره العقل الجمعيُّ للمجتمعات والكيانات السياسية، والواقع شاهد، ويراجع هذا المعنى في علم النفس السياسي.

وقد ترتبت على ذلك التوجيه الشرعيِّ آثارٌ علمية، واجتماعية، وسياسية، وإدارية، واستقر ذلك عند المسلمين نظرًا وعملًا، وبنيت على

أساسه تجربةٌ بشريةٌ واقعيةٌ، عايشتها الأمة ألف سنة وأكثر، وصار كل مسلم مهما كان موطنه، من أقصى الغرب إلى حدود الصين يخرج، وانتماؤه إلى ذلك الكيان الإسلامي المترامي الأطراف، يحبه ويعظمه، ويعمل من أجل رفعته ونهوضه وتقدمه، وينتمي إلى كل شبر منه، كل هذا مع وجود دول إسلامية متعددة، وولايات، وحكومات مختلفة في بعض مراحل التاريخ، إلا أنه هناك فارق بين تلك الانتماءات الجزئية، وبين المعالم الكبرى التي تتكون منها الأمة والتي هي مدار ارتباطهم، وإن تعددت الدول والولايات ونظم الإدارة الإقليمية.

قال الدكتور حسين مؤنس: (وقد ذكرنا أن ابن بطوطة خرج لرحلته بمال قليل، فكيف استطاع أن يقوم بهذه الرحلات الطويلة، وهو لم يكن بتاجر، يبيع ويشتري، ويسد نفقات الرحلة على الطريق؟ الجواب على هذا السؤال يكشف عن ناحية من أجمل نواحي الحضارة الإسلامية، وهي ناحية ترابط الأمة وتآخيها، وتعاون أفرادها بعضهم مع بعض، واجتهادهم في المحافظة على وحدة أمتهم، وسلامة دار الإسلام، ذلك أنه كان هناك دائما عالمان إسلاميان: عالم السياسة، وكله خلافات وحروب ومكايد، وعالم الأمة نفسهاوهي وحدة متماسكة مترابطة كما ذكرنا.

ورحلة ابن بطوطة ـ مثلها في ذلك مثل كل كتب أدب الرحلات العربية ـ توضح لنا هذه الحقيقة بأجلى بيان، فهذا الرجل قطع العالم الإسلامي كله، من المغرب إلى أندونيسيا ـ التي يسميها بلاد جاوة أو سمطرة، وجزر الفلبين، التي يسميها بلاد طواسي، والجاليات الإسلامية في مدن السواحل الشرقية والجنوبية في الصين، وتمادى في الرحلة حتى دخل بكين، فهذا الرجل

قطع هذه المسافات الطويلة، دون أن يشعر أنه خرج من بلده، أو فارق أهله، ووجد في كل مكان من يستقبله، ويؤويه، ويقدم له الطعام، لا على سبيل التكرم والتفضل، بل لأنه كان هناك نظام محكم وضعته الأمة، وقامت على رعايته وتنفيذه دون تدخل الدولة، ذلك هو نظام الزوايا، والمدارس، والربط (جمع رباط)، وهي دور ضيافة ينشئها رجال الطرق الصوفية، أو بعض أهل الخير، أو كبراء أهل الدولة من مالهم الخاص، وقد تنشئها الجماعة نفسها، وتتولى أمرها، ورعاية النازلين بها من أموال تجمع لهذا الغرض)[1].

وقال العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه الفريد: (صفحات من صبر العلماء): (شهدنا في هذه الصفحات أن دار الإسلام، من مشرقها إلى مغربها، ومن جنوبها إلى شمالها: كانت دار علم واحدة لهؤلاء العلماء الرحَّالين الجوَّالين، يتنقلون في أقطارها، ويتلقون في جوامعها ومدارسها، ويأخذون عن علمائها وشيوخها، كما يتنقل الأطفال اليوم في غرف المدرسة الواحدة، لا يمنعهم مانع، ولا يحجبهم حاجز، ولا تحدهم حدود، ولا تصدهم قيود، ولا تفرق بينهم وبين بلدان شيوخهم هويات أو جنسيات، فقد كانت الجنسية هي الإسلام، وليست هي وطنَ المؤلد كما هو الواقع اليوم.

وكانت الرحلات منهم بين البلدان الإسلامية على أوسع نطاق، وقائمة

(١) ابن بطوطة ورحلاته /ص٢١/، وقد خرجت كتاباتٌ كثيرةٌ في مفهوم الأمة، كما بناها الشرع الشريف، وكما وقعت التجربة التاريخية عند المسلمين، ومما طالعتُه في ذلك كتاب: (مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي) تأليف الدكتور ناصيف نصّار، وكتاب: (هل المسلمون أمة واحدة) تأليف الدكتور محمد عمارة، ومن أهم تلك الكتابات كتاب: (الأمة القطب، نحو تأصيل منهاجي لمفهوم الأمة في الإسلام) تأليف الدكتورة منى أبو الفضل رحمها الله، وغير ذلك كثير.

على قدم وساق، حتى غدت شرطًا عندهم في استكمال التحصيل، فقالوا: من لم يرحل فلا ثقة بعلمه، فكثر منهم الترحال والتطواف، وكانت تستقبلهم تلك المساجد والمدارس والربط، بخيرات واقفيها، وتحنو عليهم بلاد الإسلام بصنائع أهليها، فتمكنوا من سعة التطواف في الأرض، ولقاء المئات بل الألوف من الشيوخ والعلماء، فتنوعت معارفهم، وتكاملت مواهبهم، وتمحصت مفاهمهم، وازدهرت علومهم وتواليفهم، وجاءوا فيها بالزُّبْد والشهْد، وبالمدهش العُجاب، كان هذا كله في ديار الإسلام شرقًا وغربًا، عجمًا وعُربًا: منظَّما بنظام الوقف في الإسلام، وكانت بلدان الغرب الأوربية مظلمة بالجهل والتخلف، والحرمان من هذه المعارف وتلك المناهل، فانقلبت الحال الآن)[1].

قلت: وقال مونتجمري وات: (إن فكرة «الأمة» كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البديعة التي لم يسبق إليها، ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعًا لكل فيض من فيوض الإيمان، يدفع بالمسلمين إلى «الوحدة» في «أمة» واحدة، تختفي فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة، وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه، فاشتملت أمته على أقوام من العرب والفرس والهنود والصينيين والمغول والبربر والسود والبيض، على تباعد الأقطار وتفاوت المصالح، ولم يخرج من حظيرة هذه الأمة أحد لينشق عليها، ويقطع الصلة بينه وبينها، بل كان المنشقّون عنها يعتقدون أنهم أقرب ممن يخالفونهم إلى تعزيز وحدتها ولمّ شملها ونفي الغرباء عنها).

قلت: وقد ظلت تلك القضية مكونًا إنسانيًّا وشرعيًّا من مكونات

(١) صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل /ص٣٨١.

عقلية المسلم ونفسيته، إلى أن كان ما قبل سقوط الخلافة الإسلامية بعقود، حيث كانت الخلافة ـ وإلى أواخر أيامها ـ رابطًا يرمز في عقل المسلم إلى تلك المعاني، فلما أن تراجعت الخلافة وتضعضعت، واهتزت أركانها، انسحب دورها شيئًا فشيئًا من حياة المسلمين، وانسحبت فكرة الأمة الواحدة تبعًا لذلك، فلم يعد المسلم يرى لها ظلالًا أو تجليات في الفن، والاقتصاد، والسياسة، وغيرها من شئون الحياة، بحيث تراجع الأثر الفعليُّ للخلافة في الواقع المعيش، وتحولت بالتدريج إلى كلمة خالية من المضمون، فلما أن وقع ذلك بدأ البحث في ديار الإسلام عن انتماء بديل.

وقد جاء ذلك كله في سياقٍ تاريخيٍّ، وظروف دولية معقدة ومتداخلة، تكونت فيها حضارات معينة على أسس وأنساق معرفية، وهويات وفلسفات مختلفة عن رؤيتنا وهويتنا، وبرزت حضارات أخرى وفق مناهج مختلفة، ومصادر معرفية مغايرة، وجعلت تتكامل وتتهيأ للنهوض، وقد كونت تلك الحضارات نهضةً صناعيةً وعلميةً وتقنيةً وبحثيةً كبيرةً، وتداخلت معطياتها، وفلسفاتها، وتداعياتها الاجتماعية والإدارية مع مجتمعاتنا في تلك الفترة، بل وقبلها بزمان.

الحاصل أنه قد بدأ البحث عندنا في مصر في تلك الفترة عن انتماءٍ بديل، فبرزت فكرةُ القومية كانتماء يلتحق به الكيان الإسلامي الذي تم تفكيكه، حتى صار الجزء العربي هو الذي يحتفظ ببقايا الروابط القديمة من لغةٍ، وتاريخٍ مشتركٍ، وأرْضٍ متداخلةٍ وغير ذلك، والعناصر المذكورة من اللغة، والعادات، والتاريخ، هي أهمُّ مقومات القومية عند الشيخ علي يوسف صاحب: (المؤيد) مثلًا، وبناءً على هذا نشطت حركةٌ تنادى بالانتماء

القومي، كان على رأسها عبد الرحمن الكواكبي، وساطع الحصري وله: (آراء وأحاديث في الوطنية والقومية)، وعبد الله النديم وجماعة، وكان هناك توجه آخر في القومية يرى أنها لا تنهض إلا على وحدة الدين، وقد تبنى هذا التوجه المرحوم مصطفى كامل، والأستاذ محمد فريد وجدي.

وبرزت فكرة الوطنية ونشطت حركة تنادي بها، وكان على رأسها سعد زغلول، وأحمد لطفي السيد، وسلامة موسى، وغيرهم، وكان لقضية الوطنية حينئذ معنى معين، تلخص في الشعار المشهور: (مصر للمصريين)، وقد برز هذا الشعار قديمًا أيام الخديوي إسماعيل، في مواجهة الحكم العثماني، وكان معناه: الشعور بالخصوصية المصرية، وإبراز الانتماء المصري في مواجهة الانتماءات الأخرى.

ثمّ كأنّه قد حصل تطورٌ تاريخيٌّ لمدلوله حسب المراحل التاريخية، وقد كانت تعني في بعض مراحلها أن مصر لأبنائها، وأنه لا موضع فيها لمستعمرٍ أو أجنبيٍّ محتلٍّ، وهذا المعنى صحيح تمامًا، يوافق عليه كل مصري يحيى على هذه الأرض الطاهرة، ثم بدأ يطرأ على معناه تحول، وهو أن مصر للمصريين من أبنائها دون غيرهم، أيًّا كان هذا الغير، وللدكتور رؤوف عباس حامد له كتاباتٌ مسهبةٌ حول الحقبة التاريخية زمن الثورة العرابية، وحول مدلول شعار: (مصر للمصريين).

وبرزت حركةُ التغريب، التي تنادي بجعل مصر قطعة من أوروبا، وأننا أصلًا من عرق روماني أو يوناني، لا صلة بيننا وبين الأوساط المحيطة، وأنه لا نهضة لمصر حتى تصير قطعة من أوروبا، وكان على رأسها طه حسين كما في كتابه: (مستقبل الثقافة في مصر) وجماعة.

وبرزت حركةٌ تنادي بالفرعونية والعودة إلى التاريخ المصري القديم السابق على الانتماء العربي الإسلامي، وتم في ذلك الوقت اكتشافُ مقبرة توت عنخ آمون على يد اللورد كارنرفون سنة ١٩٢٢م، ورُوِّج إعلاميًّا لاكتشافه، وتبنت بعض الصحف في تلك الفترة ـ فترة الثلاثينيات ـ شعار: (مصر الفرعونية)، كما تُرجمت معظم الكتب الأجنبية التي تتناول تاريخ مصر الفرعوني، وكان ممن تحمس لفكرة الفرعونية الأستاذ محمد حسين هيكل، وإسماعيل مظهر، وعارضهم جماعة منهم فتحي رضوان، وزكي مبارك، وأحمد حسن الزيات، وهؤلاء رأوا عسر إحياء فكرة الفرعونية، وأنها لا تؤدي إلى طائل، وما زال لهذه الدعوة ظلال في ثقافتنا المعاصرة.

وبرزت حركاتٌ تنادي بإحياء الانتماء الديني، كان منها فكرةُ الجامعة الإسلامية على يد السيد جمال الدين الأفغاني، وتلامذته، وفكرة عصبة الأمم الإسلامية بعد ذلك بكثير على يد المرحوم السنهوري، وكان منها: جمعية الشبان المسلمين، وجمعية الهداية الإسلامية وكان على رأسها الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر، وكان منها جماعة الإخوان المسلمين على يد حسن البنا وقد بدأت عملها سنة ١٩٢٨م.

فضلًا عن الوجود الدينيّ الرسميّ، من خلال المؤسسات الرسمية كالأزهر الشريف، ودار الإفتاء المصرية، ووزارة الأوقاف، وكان من أثر ذلك أن تقدم كلُّ توجه برؤية في الإصلاح والتغيير، وتحديد الهوية، مما أنشأ تعقيدًا فكريًّا وثقافيًّا، وتداخلًا بين المناهج، على نحوٍ شديد التشابك.

ولا تزال مصر بفضل الله تعالى بلد العلم والحكمة، ولا تزال فيها الخبرات العلمية الجليلة، والعقول العبقرية الفذة، القادرة على استيعاب

العصر ومشكلاته، وظواهره الثقافية، وتحليل تاريخه، واستكشاف كنوز هذا البلد الجليل، وما خصه الله تعالى به عبر العصور من العقول والعلوم والمعارف، ومن دور محوري رائد، والله أسأل أن يسبغ على هذا البلد الجليل، المحبب إلى القلوب والخواطر، حِفْظَه وصَوْنَه، وأن يبارك في أهله، وأن يرفع قدرهم، وأن يحفظهم بحفظه الجميل، وأن يديم سبحانه عليهم نعمة العافية واللطف، وأن يلهمهم الرشد.

فصل

في نظام التعليم، وفي طبيعة التأليف والكتابة العلمية في تلك الفترة وفي الدور الاجتماعي لعلماء الأزهر الشريف

هناك امتزاجٌ بين التعليم وبين عدد من الظواهر الاجتماعية في أيّ تجمعٍ بشريٍّ، حيث يرجع للمتعلمين دورٌ كبير في تكوين المحتوى الفكري والثقافي، الذي يشيع في أيّ مجتمع، بالإضافة إلى دورهم وتفعيله، وإشاعته في وجوه الحياة المختلفة.

ورغم كلِّ ما قيل عن الأزهر الشريف، وعن دوره العلمي، والثقافي، والسياسي وغير ذلك من أوجه النشاط التي قام بها الأزهر أو ترتبت على وجوده وانتشار علمائه، فإنني أَلْفت النظر هنا إلى قضية أخرى، شديدة الأهمية في تصوير أثر الجامع الأزهر ومناهجه الدراسية في صناعة عقلية الإنسان المصري، وصياغة شخصيته، وتكوين طريقة تفكيره، وتحليله للأحداث، ونظرته للدنيا، وتقييمه للأمور، فقد ظل الجامع الأزهر ولعدة قرون هو المرجع العلمي الوحيد الذي يكون الحركة العلمية والثقافية في مصر.

وقد كانت في مصرَ عبر تلك القرون مدارسُ ومراكزُ علميةٌ في طول مصرَ وعرضها، فقد كانت هناك بيئةٌ علمية في قوص، وفي أرمنت، وفي جرجا، وفي طهطا، وفي أسيوط، وفي الإسكندرية، وفي طنطا، وقد رأيت أطرافًا منثورةً في تراجم العلماء، تُصَوِّرُ لمحاتٍ من أخبار تلك المدارس، وأرى أنها تحتاج إلى تتبعٍ وكشف، وإلى رصدٍ لتلك المدارس العلمية وأعلامها ومناهجها الدراسية، وآثارها على البيئات والمجتمعات المحيطة بها، فإن هذا كفيلٌ بكشفِ كنوزٍ مدفونة من آثار مصر العلمية.

ورغم كل ذلك فقد ظل الجامع الأزهر أبرز المدارس العلمية في بر مصر، وأكثرها شهرة، وظل يمثل القيادة العلمية، والمرجعية الكبرى، التي تصنع فكر المصريين، وطرائق تحليلهم وتفكيرهم زمانًا طويلًا.

كان الجامع الأزهر عبر القرن الحادي عشر، والثاني عشر وما بعد مجمعًا علميًّا فريدًا، له ثقلٌ وجذبٌ لأكابر العلماء، ولأرباب الفكر، يأوي إليه العلماء والوجهاء من المصريين ومن أهل الآفاق والأقطار الإسلامية، فكان له تميزٌ لا يوجدُ في أي بيئة من البيئات العلمية المحدودة الموجودة في مصر في تلك الأزمان.

ولم تكن قد أُنشئت فروعٌ للجامع الأزهر في ربوع مصر، حتى كانت أوائل القرن الماضي حيث تم إنشاء معهد الإسكندرية، ومعهد فؤاد الأول في أسيوط، بالإضافة إلى الجامع الأحمدي في طنطا، وكانت المدارس العلمية الموجودة في جرجا وطهطا وغيرها مدارس مستقلة، تدور في فلك الأزهر، وتدرس علومه وكتبه، بل كان الأكثرون من علماء تلك المدارس ومشايخها يتخرجون في الأزهر الشريف، حتى إذا ما رجعوا إلى ديارهم تكونت حولهم

بيئة علمية محدودة، أو تصدروا في مدرسة من المدارس المذكورة.

وقد كان الواحد من الناشئين إذا أراد أهلُه تعليمه أدخلوه الكُتّاب ليحفظ القرآن، ويحصل المعارف الأولية، ثم ينتقل إلى القاهرة لينتظم في الجامع الأزهر الشريف للدراسة، بل وربما كان الدارس منهم يقطع شوطًا في البيئات العلمية القريبة منه، ثم يترقى بعدها للسفر إلى الأزهر لإكمال الدراسة فيه.

وانتبه معي إلى أننا نتكلم عن فترة لم تكن فيها وسائل التواصل من مواصلات واتصالات قد تطورت على النحو المعهود المألوف في زماننا، فلم تكن في تلك الأيام قطاراتٌ، ولا سياراتٌ، ولا طائراتٌ، ولا صحفٌ، ولا إذاعات، فقد كان التواصل المعرفي وسريان العلوم والأخبار والأحداث بطيئًا إلى حد ما، لا يقارن بما هو موجود في زماننا هذا، من تسارع وتلاحم وسريان معرفي لحظي.

ولو أنك تمكنت من تصور زمانٍ مجردٍ من كل وسائل التواصل المذكورة، واستطعت أن تتخيل المجتمع كيف كان يعيش ويتواصل حينئذ، لأمكنك أن تفهم كثيرًا من الأحداث والظواهر.

في ذلك الزمان كان الأزهرُ هو المركزَ العلميَّ الأشهر البراق، الذي تهوي إليه الأفئدة، وتتعلق به آمال ذوي الطموح، ولم تكن له فروع كما ذكرنا من قبل، فكان يجتمع في رقعة الجامع الأزهر والمساجد المجاورة له عشرة آلاف طالب، كما ذكر العلامة علي مبارك باشا في: (الخطط التوفيقية)، وذكر هذا العددَ أيضا العلامةُ السيد محمد بن جعفر الكتاني في: (الرحلة السامية، إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية)، وهو مطبوع،

وهو يسوقه سماعا من شيخ الإسلام وشيخ الأزهر العلامة عبد الرحمن الشربيني، بل كان الأزهر معمورا بالعدد المذكور قبلهما بقرون؛ فقد سبقهما إلى ذكر هذا العدد الرحالة الشهير أوليا كاتب جلبي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ تقريبا، في رحلته المسماة: (سياحتنامة مصر)، قال فيه وهو يتكلم عن الأزهر: (وحلقات الدروس كثيرة، والطلبة لا عد لهم، ثم إن هناك ـ عدا الأروقة ـ ربوعا إذا دخلها المرء تاه في حجرها، وهي كذلك تكتظ بأعيان العلماء والصالحين، وخلاصة القول أن بالأزهر اثني عشر ألف نفس)[1].

وقد كانت الدراسة حينئذ تعمر في الأزهر مدة عشرة أشهر من كل عام، حيث تتوقف الدراسة من منتصف شهر شعبان إلى منتصف شهر شوال، فينصرف الدارسون إلى بلدانهم، وقد كان من هؤلاء الدارسين عدد ضخم من أبناء الأقطار الإسلامية المختلفة، وكان من المصريين من لا يرحل إلى بلده في أوقات توقف الدراسة، لكن لا أقلّ من خمسة آلاف عالمٍ أزهريٍّ ينتشرون في كل ربوع مصر، وكفورها، ونجوعها، ومدنها، وقراها، مع كل ما يمثله العالمُ الأزهريُّ حينئذ من جلالٍ، ووقارٍ، ومعرفةٍ، وعلمٍ، لا سيما وهو عائدٌ إلى أهل بلدته من القاهرة، فيحرصون على معرفة ما عنده من أخبار مصر وأسواقها، وأنماط المعيشة فيها، وأحداث السياسة، وأخبار الحكام، والثورات، والأحداث، وغير ذلك مما لا يستطيعون متابعته، لعدم توفر الصحف، والإذاعات، ووسائل المواصلات اليومية كالقطارات والسيارات، فقد كان ذلك العالمُ الأزهريُّ الوافدُ على أهل بلده من القاهرة نافذةً يطلون من خلالها على العالم.

(١) سياحتنامة مصر/ص٢٧٣/، ط: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، سنة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، تحقيق: العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام، والدكتور أحمد السعيد سليمان.

فقد توفرت إذًا الدواعي الكثيرةُ المتداخلةُ، على شدة اهتمام الناس بالعالِمِ الأزهريِّ، وقد كان وقتُ رجوعه إلى بلده من القاهرة موسمًا تنكبُّ القرية بأكملها على تَرَقُّبه، وكان يومُ نزوله إلى البلدة عيدًا ومهرجانًا، يتسامع به الناس، ويهتمون به، لا سيما وهو ممزوجٌ بما يمثله العالمُ الأزهريُّ من مرجعيةٍ دينيةٍ، ومرجعيةٍ فكريةٍ، يرشد الناس، ويعلمهم، ويفتيهم، ويقضي بينهم، ويتعرض لقضاياهم، وأحداث حياتهم، ثم إن رجوعه مقترن بأيام مباركة وأزمان تنتعش فيها الروح الإيمانية، فقد كان يقيم في قريته منتصف شعبان، وشهر رمضان بأكمله، ومنتصف شوال، وهي شهور إقبال وعبادة.

فقد كان يحصل في مصر في تلك الفترة من كل سنة تحركٌ، وانتعاشٌ، وإحياءٌ للمعرفة، والتدين، والثقافة، ولك أن تتخيل خمسة آلاف على الأقل ينتشرون في القرى والمدن محدثين ذلك الأثر.

ثم إن ذلك العالِمَ الأزهريَّ كان يقضي نهاره في الدروس، والفتاوى، وتعليم الناس، حتى إذا ما صلى الناسُ العشاء برز الشيخ إلى الناس في مجلس عند منزله، فيجتمع الوجهاء والأعيان والعوام، يتجاذبون معه أطراف الحديث، وأخبار القاهرة والدنيا، فضلا عن فهم أحكام الشرع الشريف.

ولا تنس أن ذلك العالِمَ الأزهريَّ كان يتعلم العلوم العقلية والنقلية، وكان يتلقى علوم اللغة، وعلوم المعقول من الأصول والكلام والمنطق، والتي هي علوم تحليل وفهم، فكأن عقله قد تعلم التفكير المنضبط المنهجي، فكان كل ذلك ينضح ويسري منه إلى عامة الناس، عندما يخالطونه، ويناقشونه، ويستفتونه، ويسمعون كلامه، فيتعلمون من وراء المسائل طريقة للفهم، ومنهجًا للتعامل، وأسلوبًا للتفكير.

ويترتب على ذلك كله أن العقلَ الجماعيَّ المصريَّ كان يجري عليه تعديلٌ، وتحويرٌ، وضبطٌ، وتصحيح لطريقة الفكر، من خلال تلك المداخلة، مما يسهم في تثبيت شخصية الإنسان المصريِّ، ويسري ذلك إلى منظومة أخلاقه، وطريقة تفكيره، ونمط حياته، ونظرته إلى الدنيا وإلى الأحداث من حوله.

وقد ظل الأزهر كذلك إلى أن جرت أمورٌ متداخلةٌ، أثرت على طريقة تكوين الدارسين فيه وعلى مناهج التعليم، ثم طرأت ازدواجية التعليم في أيام محمد علي، وقبلها طرأ تداخلٌ عنيفٌ بين معطيات الحضارات المختلفة في الرؤى والمناهج والمصادر، أيام الحملة الفرنسية، فبدأت تلك الآلة التي تشكل عقلية المصري وتكون أخلاقه تتغير.

ولك أن تتصور المجتمع المصري وقد تعددت طرائق تكوين تفكيره وعقليته، وتنوعت مناهج أخلاقه وأعرافه، في زمن حصل فيه التراجع الحضاري، أو الانهيار الحضاري الكلي، الذي أدى إلى غياب مشروع حضاري كانت الأمة تتبناه، ويجتمع الناس عليه، ويشكل توجههم، وكان نابعًا من هوية الأمة وثقافتها، ومصادرها المعرفية، حتى جاءت عقودٌ متأخرةٌ، بدأ يحدث فيها تجريف لشخصية الإنسان المصري وعقليته، وقد كتب في ذلك الدكتور جلال أمين كتابه: (ماذا حدث للمصريين في الخمسين عامًا الأخيرة)، وكتبت الأستاذة عزة عزت كتابها: (سر التحولات في الشخصية المصرية) بالإضافة إلى كتابات أخرى كثيرة في هذا المجال.

قال إبراهيم الهلباوي ـ رحمه الله ـ في مذكراته: (وأعتقد أن الدراسة في الأزهر في ذلك الوقت هي أحسن الدراسات، وأنفعها على الإطلاق، ففيها

تطلق الحرية في المذاهب والكتب والأساتذة، وتلك أمثل الطرق لتكوين الإنسان، وتنمية عقله، وتوسيع ثقافته، وقد اتضح أنها هي طريقة أكبر جامعات أوربا، وأنها الوسيلة للتكوين الحقيقي، والتربية الاستقلالية، وكذلك كان طلبة الأزهر في ذلك الحين، فهم يحسنون فهم ما يتلقونه، ويقلبون الرأي على كل وجوهه، ويناقشون أساتذتهم، ويقنعون ويقتنعون)[(١)].

وقال بيارد دودج في كتاب: (الأزهر في ألف عام): (ومما يثير الفخر والإعجاب أن نرى خريجي الأزهر قد حملوا مشاعل الثقافة الإسلامية وتعاليم الدين الحنيف، وأنَّ الأزهرَ نفسه كان المنارة التي تشع النور في العالم، من سيبريا إلى نيجيريا، ومن مراكش إلى الصين، قبل أن يسمع الناس بأمريكا، أو الكشف عنها بعد، كما كانت البقاع الشمالية من أوربا تعيش في تيه الضلالة والجهل، برابرة بدائيين)[(٢)].

ومن الإشكاليات المهمة التي كثر الكلام حولها كلما أثير الكلام عن الجامع الأزهر، طريقة التأليف في تلك المرحلة، فإنها عصب العملية التعليمية، وقد كثر كلام المثقفين عن الحواشي والكتب الصفراء القديمة، فإليك بحثًا موسعًا في ذلك: سلك العلماء المسالك المتنوعة في نقل العلم الشريف إلى الأجيال، فمن قاصد إلى البسط والإيضَاح ليَسْهُل العلمُ على راغبه، ويَقْرُب من فهمه، وهذا غرض شريف، ومقصد محمود، يفضي إلى شيوع العلم، وإعانة الطلبة على استيعاب البحوث والمسائل.

---

(١) مذكرات إبراهيم الهلباوي /ص٥١/، تحقيق دكتور عصام ضياء الدين، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) الأزهر في ألف عام /ص١٧٥/، ترجمة: دكتور حسين فوزي النجار.

ومنهم من كان يراعي حال المتقدمين والمنتهين من طلبة العلم، ممن عبروا على المقدمات والمبادئ، وأحاطوا بالأوليات، وحصل لهم تصور لهيكل العلم الذي يدرسونه، وعرفوا النسب المكونة له، والتي ينبغي أن تتزن في ذهن الدارس، فسبيل هؤلاء التدرج بهم شيئًا فشيئًا إلى البحوث الدقيقة، والمسائل الشائكة، وتمرين الذهن على التدقيق في المسائل، والغوص على غوامضها، فلا بأس في حق هؤلاء من تصعيب العبارة، والميل بها إلى الصياغة العالية التي تحتاج إلى إعمال الآلات التي تحصلت للطالب في تحليل العبارة، والخلوص إلى مقاصدها، ثم الانتقال إلى التصرف في معانيها.

ومن هذا القبيل ما وقع في ترجمة العلامة المحقق البارع الشيخ عبد الرحيم بن محمد الحنفي الكابلي الهندي المتوفى سنة ١١٣٥هـ رحمه الله تعالى، فقد كان يعيب مثلًا شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ المتوفى سنة ٩٢٦هـ على متن إيساغوجي في علم المنطق، لكونه سهل فيه العبارة.

قال العلامة المرادي ـ رحمه الله تعالى ـ في ترجمته في كتاب: (سلك الدرر): (وكان أحد الطلبة شرع عليه في قراءة شرح إيساغوجي في المنطق لشيخ الإسلام زكريا، ولم يكن المترجم اطلع عليه قبل ذلك، فلم تعجبه عباراته، لكون شيخ الإسلام أوضح العبارة فيه ولم يسلك مسلك المحققين)[١].

قلت: فانظر إلى علة عدم رضاه عن الكتاب، أنه أوضح فيه العبارة مخالفًا بذلك مسلك المحققين، وليس مراده الاعتساف والتعنت، بل

(١) سلك الدرر /٣/٩/.

الضنانة بالمباحث الدقيقة، وحمل أذكياء الطلبة على كدّ فكرهم، وإعمال آلتهم العلمية في فهم العلم، فهذا مستوى متقدم من الدراسة، يوضع في محله.

وقد علل بذلك الإمام المجتهد التاج السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ مسلك الإمام الجليل القاضي أبي عاصم العبادي محمد بن أحمد بن عبد الله ت٤٨٥هـ؛ إذ كان معروفًا بغموض العبارة، فقال الإمام الحافظ التاج السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ في ترجمته في: (طبقات الشافعية): (كان إمامًا جليلًا، حافظًا للمذهب، بحرًا يتدفق بالعلم، وكان معروفًا بغموض العبارة، وتعويص الكلام، ضنة منه بالعلم، وحبًّا لاستعمال الأذهان الثاقبة فيه)[١].

بل كان السابقون ربما امتدحوا الكتاب من كتب العلم بأن فيه مواضع عسرةً مشتبهةً، تحمل الناظر فيه على كدّ الفكر لاستخراج المعرفة، فقال علي بن سليمان: (عمل سيبويه كتابه على لغةِ العرب، وخطبها وبلاغتها، فجعل فيه بينًا مشروحًا، وجعل فيه مشتبهًا، ليكون لمن استنبط ونظر فضلٌ، وعلى هذا خاطبهم الله ـ عز وجل ـ بالقرآن).

قال أبو جعفر النحاس: (وهذا الذي قاله علي بن سليمان حسن؛ لأن بهذا يشْرُفُ قدرُ العالم، وتفضل منزلته؛ إذ كان ينال العلم بالفكرة، واستنباط المعرفة، ولو كان كله بيّنًا لاستوى في علمه جميع من سمعه، فيبطل التفاضل، ولكن يستخرج منه الشيء بالتدبر، ولذلك لا يمل، لأنه يزداد في تدبره علمًا وفهمًا)[٢].

(١) طبقات الشافعية الكبرى /٤/١٠٤/.
(٢) خزانة الأدب /١/٣٥٩/.

وقال الإمامُ الحافظُ المجتهدُ تقيُّ الدين أبو الفتح ابن دقيق العيد ت٧٠٢هـ ـ رحمه الله تعالى ـ: (وإنما وُضعتْ هذه المختصرات لقرائحَ غيرِ قرائح، وخواطرَ إذا استسقيت كانت مواطر، وأذهانٍ يتقد أوارها، وأفكارٍ إذا رامت الغاية قصر مضمارها، فربما أخذها القاصر ذهنًا، فما فكَّ لها لفظًا ولا طرق معنى، فإن وقف هناك وسلَّم سَلِم، وإن أنف بالنسبة إلى التقصير فأطلق لسانه أَثِم، وهو مخطئ في أول سلوك الطريق، وظالم لنفسه حيث حملها ما لا تطيق.

وسبيل هذه الطبقة أن تطلب المبسوطات التي تفردت في إيضاحها، وأبرزت معانيها سافرة عن نقابها، مشهورة بغررها وأوضاحها، والحكيم من يقر الأمور في نصابها، ويعطي كل طبقة ما لا يليق إلا بها)[1].

قلت: فانظر إلى هذا الفهم التام لطبيعة العملية التعليمية، وأنها تستلزم تفاوتًا في مستويات الكتب الدَّرْسِيَّة على مقدار التفاوت الحاصل بين الطلبة، إما باعتبار المبتدئ والمتوسط والمنتهي، أو باعتبار اختلاف قدراتهم على التحصيل، وتفاوت قدراتهم الذهنية، فلكل فئة نوع من التآليف يناسبه.

وكأني به ـ رحمه الله ـ يومئ إلى ذلك الملمح اللطيف الذي بسطه بعد ذلك العلامة المجد الفيروزابادي في: (بصائر ذوي التمييز)، قال: (وأما كتب العلوم فإنها لا تحصى كثرة، لكثرة العلوم وتفننها، واختلاف أغراض العلماء في الوضع والتأليف؛ ولكن تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة أصناف:

(١) حكاه عنه الحافظ التاج السبكي في ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى /٢٣٥/٩/.

مختصرة، لفظها أوجز من معناها، وهذه تجعل تذكرة لرؤوس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار، وربما أفادت بعض المبتدئين من الأذكياء الشهماء، لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة، ومبسوطة، تقابل المختصرة، وينتفع بها للمطالعة، ومتوسطة، لفظها بإزاء معناها، ونفعها عام)[1].

وإن كان العلامة الفيلسوف الشيخ ابن خلدون قد جعل ذلك كله من فساد التعليم وأسباب ضياع الملكة، قال في: (المقدمة): (فصل: في أن كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم: ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها، ويدونون منها برنامجًا مختصرًا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها، باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، فصار ذلك مخلا بالبلاغة، وعسيرًا على الفهم.

وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه، وابن مالك في العربية، والخونجي في المنطق وأمثالهم، وهو فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل، وذلك لأن فيه تخليطًا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعد لقبولها بعد، وهو من سوء التعليم كما سيأتي، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم، بتزاحم المعاني عليها، وصعوبة استخراج المسائل من بينها، لأن

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ت ٨٠٦ ه /٤٩/١/، ونقله صديق حسن خان ت ١٣٠٧هـ في أبجد العلوم /ص١١٧/ طبعة الهند، سنة ١٢٩٦هـ.

ألفاظ المختصرات نجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت.

ثم بعد ذلك كله فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات، إذا تم سداده، ولم تعقبه آفة، فهي ملكةٌ قاصرةٌ عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة، لكثرة ما يقع في تلك المختصرات من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة، وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة، فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين، فأركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها، (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ)[1].

قلت: هنا مناقشات على كلام ابن خلدون ـ رحمه الله ـ؛ إذ وظيفة المختصرات التقريب، والإعانة على احتواء المباحث المطولة في وقت قريب، أي أنها تُصاغُ صِياغةً محكمةً متقنةً، لكي تتضمن المباحث العلمية الموسعة، التي تراكمت في كل مسألة عبر تاريخها، نظرًا لما يحصل في كل علم من توارد أنظار العلماء فيه على النظر، فتتكاثر الأقوال والفهوم، فإذا بالمسألة في كتب أهل القرن الخامس مثلًا أوضح وأجلى، إلا أنها بعد ذلك أصعب وأعقد، لما أضيف إلى المسألة عبر سبعة قرون أو تزيد من الفكر والنظر، بحيث إذا ما استحضر طالب العلم العبارة جرت من ورائها ما ركب فيها وحمل عليها من فروع، فهي وسيلة للإلمام بالتدقيقات التي تراكمت في المبحث العلمي عبر العصور، نظرًا لتطور العلوم، وتنامي البناء العلمي عبر الزمن، كلما تواردت عليه أذهان العلماء، وعقول النجباء، فلا يزال البناء العلميُّ أبدًا في تراكمٍ

(١) مقدمة ابن خلدون /ص٦٨٣/.

ونموٍّ، وقد كان العلم نفسه قبلها بقرون أبسط مما هو عليه الآن، فما السبيل للتعلم في زماننا الذي اتسعت فيه البحوث العلمية، وبلغت الغايةَ القصوى من التحرير والتدقيق، هذه وظيفة المتون والمختصرات.

فلا حرج على هذا النمط من التأليف، إلا إذا ما استروحت الجماعة العلمية إليه، واستعاضت به عن توليد الأفكار، وابتكار المسائل، وتمديد العلوم لتستوعب تطورات الحياة، فيكون التثريب وقتها على التوقف عن الإبداع، لا على من اجتهد في تلخيص العلم وتقريبه.

وإنما ينشأ الإشكال من العَوْدِ بهذه المتون على المبتدئ، ليحيط منها بمقدمات العلم، ويشدو شيئًا من أوائله، فلأنها وضعت بحيث تتضمن التدقيقات العالية فإنه لا يكاد طالب العلم المبتدي ينتفع بها، إلا إذا ما رزق شيخًا نجيبًا، خبيرًا بوسائل التعليم وطرائق التفهيم، صحيح الذهن ألمعيًّا، قادرًا على تصور المداخل والخلفيات التي لا بد من تقديمها بين يدي عبارة المتن حتى تُفْهَم على وجهها، فإن لم يقع ذلك حدثَ فسادٌ عريضٌ في العملية التعليمية، حيث يُصدم الطالب في أول عهده بالطلب ببحوثٍ وعْرةٍ شاقة، لم يتأهل ذهنه لها، فيحصل لعقله ارتباكٌ وعسر هضم، فيفسد حاله كله بعدها.

فالمفترض إذًا في المختصرات أن تسبقها مراحل، يمر الطالب فيها على مسائل العلم مرورًا أوليًّا، يتصور فيه هيكل العلم ومباحثه.

والتعليم لا يتوقف على الكتاب وحده، فقد سمعت مشايخي يذكرون أن العمليةَ التعليميةَ مسألةٌ مركبةٌ معقدةٌ، يتوقف نجاحها على تضافر عوامل

متعددة، حتى يتحقق المقصود منها، وليس نجاحها وفسادها بالأمر المتوقف على الكتاب المدروس وحده، حتى يَرِدَ ما قاله ابن خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ، بل لا بد فيها من خمسة أمور: الشيخ، والتلميذ، والكتاب، والمنهج، والبيئة العلمية، فإذا اجتمعت الخمسة تخرّج بها العالم الذي حفظ قواعد العلم مع سريان الملكة العلمية ـ التي يقتدر بها على التصرف في مسائل العلم، مع تطويعها والتطبيق عليها ـ إلى طبعه.

وإذا ما أردت واحدًا بعينه من تلك العوامل تدور عليه عملية التعليم، ويتوقف نجاحها عليه فهو المعلم؛ لأنه كفيل باستيعاب أسباب الصعوبة والعسر في تحصيل المسائل وفهمها، ومن ثم فهو كفيل بتذليل تلك العقبات.

ومن المفترض في المعلم أن يكون عارفًا بالأطوار والتقلبات النفسية والعقلية التي تعتري الطالب، بصيرًا بأقدارهم من الفهم، ملتفتًا إلى تفاوت استعدادهم.

وأن يكون خبيرًا متمرسًا بكيفية التعامل معها، وابتكار الأساليب الملائمة لتطويع ذلك العقل وفتح مسالك التفهم له، فهي عمليةٌ فنيةٌ تحتاج إلى موهوبٍ صاحبِ بصيرة.

ثم أن يكون قادرًا على إنشاء البيئة العلمية وتكوينها، باجتذاب من يأنس فيهم الصلاحية، والتأهل للولوج في المعارف، وأن يكون قادرًا على اختيار الكتاب الدرسي المناسب وانتقاء أفضل الطرق في شرحه وتقريبه إلى الأفهام، فلا يضر حينها أن يكون الكتاب عسيرًا مستغلقًا.

قال المناوي في: (فيض القدير) وهو يتكلم عن دور العلماء: (فخيارهم

من يستعمل سهولة الإلقاء، بنصح وتلطف، ومزيد بيان، وساطع برهان، ويبذل جهده لتقريب المعنى لفهم الطالب، ولا يفجأه بالمسائل الصعبة، بل يقرر له ما يحتمله ذهنه، ويضبطه حفظه، ويوضح لمتوقف الذهن العبارة، ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره.

ويبدأ بتصوير المسائل وتوضيحها، ثم يذكر الدلائل وتوجيهها، ويقتصر على تصوير المسألة وتمثيلها، لمن لم يتأهل لفهم مأخذها ودليلها.

ويذكر الأدلة موضحة منقحة لمتحنها، ويبين له معاني أسرار حكمها وعللها، وما يتعلق بها من فرع وأصل، ومن وهم فيها في حكم أو تخريج أو نقل، بعبارة جلية، عرية عن التعقيد والإبهام، سليمة عن تنقيص أحد من الأعلام، مبينًا مأخذ الحكمين، والفرق بين المسألتين، وبذلك يزول التعقد من البين)[١].

قلت: وقد بَكَّرَ ابنُ خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ إلى محاولة الوقوف على مزايا التصنيف بتلك الطريقة وعيوبها، لا سيما وللرجل كلامٌ جيدٌ، وبحثٌ جليلٌ في التفرقة بين الكتب التي تورث الملكة، والكتب التي تورث الصناعة، ومجرد الانتباه إلى التفرقة بين الملكة والصناعة مهم، ويترتب عليه أثر في عملية التعليم، ويوجب على المعلم أن يمزج للطالب ما بين هذا وذاك، حتى تنمو في نفسه الملكة، وتصقل بالصناعة العلمية وطرائقها، وإلا فهما للطالب كالجناحين للطائر لا يرتفع إلا بهما.

وقد ألمح العلامة الأصولي الشيخ عيسى منون ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الفارق بين طبيعة التصنيف عند المتقدمين وطبيعته عند المتأخرين، وعلل

(١) فيض القدير ٤/١٢٧.

لانحياز المتأخرين إلى التصنيف على طريقة المختصرات والمتون بما يرجع إلى تغير طارئ في طبيعة البيئة العلمية اقتضى تغييرًا في طريقة عرض العلوم والمعارف؛ تجاوبا مع ما اكتنف البيئة العلمية من عوامل.

قال ـ رحمه الله ـ في: (نبراس العقول) مبينًا مزايا كتابه ومنهجه فيه: (كل ذلك مع توضيح العبارة، والإعراض عن طريق الرمز والإشارة، فلم أبال بالإظهار في مقام الإضمار، ولا بالتصريح في محل التلويح، ولا بالتطويل في مكان الإيجاز، ولا بالحقيقة في مقام المجاز، إذ المقصود منه إيضاح المسائل بأجلى بيان، لا إظهار البراعة في البيان.

وذلك دأب السادة المتقدمين من أرباب التأليف، على خلاف ما جرى عليه المتأخرون في التصنيف، فإنهم سلكوا طريق الإبداع في جمع المسائل بالعبارات المختصرة، فأدخلوا تحتها من الصور المتكثرة ما عجزت عن ضبطه الأفاضل، وحارت في لم شمله الفطاحل، حتى شغلوا من بعدهم من العلماء في فهم كلامهم، والوقوف على مرامهم، وحملوهم على الإعراض عن تحقيق مسائل الفنون، وقصر هممهم على فهم الشروح والمتون، فكانت هي المضمار الذي تتسابق فيه الفحول، ومحك الأنظار الذي تتبارى فيه العقول.

ولست أقصد بهذا الحط من مقامهم، والطعن في فضلهم والنيل من كرامتهم، فإن لهم على ما صنعوا عذرًا مقبولًا، وسببًا معقولًا، رأوا من فساد الزمان إعراض الناس عن المطولات، وانكبابهم على المختصرات، فاضطروا لجعلها جامعةً لمقاصد العلوم، مستوعبة لمهمات الفنون، فجزاهم الله عن الإسلام خيرًا)[١].

---

(١) نبراس العقول، في تحقيق القياس عند علماء الأصول /ص٤/.

قلت: فانظر كيف أنه ـ رحمه الله تعالى ـ رصد لك الفوارق بين الطريقتين، ثم شرع يعلل لذلك التحول، فأبرز ما تبدَّى له من أسباب وبقيت أمور أخرى ترجع إلى التطور والنمو المتراكم في الفنون العلمية عبر الأزمان والأعصار، وكيف أن لكل علم مرحلة نشأة، ومرحلة نضج واستكمال لبحوثه وتفريعاته، ومرحلة استقرار تعقبها مرحلة نشاط في تلخيص ما تناثر من مباحثه ومسائله، وتدقيقات العلماء فيه عبر الزمان.

وأقول: ثم إنه قد تولد من التصنيف على طريقة المختصرات والمتون والحواشي فوائد أخرى مهمة، منها: أنَّ إلفَ الدراسة والتلقي من تلك الكتب، التي تعنى عنايةً تامةً بالدقة اللفظية البالغة، تغرس في نفس الطالب انتباهًا تامًّا لمدلولات كلامه عند الإبانة عن نفسه، والإعراب عن مطالبه، ويقظةً في فهم مقاصد الآخرين، وسرعة في الوصول إلى مراداتهم، مما يجعل عملية الفهم والإفهام في غاية من الدقة والانضباط.

وتلك الفائدة مهمةٌ جدًّا، لما أنها تطبع عقلية الطالب بالدقة المتناهية، التي توشك أن تتجاوز داخل نفسه الوقوف عند دقائق التراكيب، إلى حيث تصير منهجًا عامًّا، وسمتًا نفسيًّا، وطابعًا غالبًا على فكر الإنسان، وطريقة فهمه وتحليله، ولا يكاد يتم هذا إلا إذا ما تأتى له أن يظفر بفوائد الحواشي، وأن تنحسر عنه مزالقها؛ إذ لو أغرق فيها دون شيخ مُعِينٍ، يوقفه على المقاصد والحقائق من أقرب طريق، لتحول بها أيضًا إلى عقلية شديدة التعسف والعنت، مبالغةٍ في تتبع مدلولات الألفاظ التي لا تكاد تتناهى.

قال الإمام الحبر، حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي في: (المستصفى): (فاعلم أن كلَّ من طلب المعاني من الألفاظ ضاع وهلك، وكان كمن استدبر

المغرب وهو يطلبه، ومن قرر المعاني أولًا في عقله، ثم أتبع المعاني الألفاظ فقد اهتدى)[١].

وإن كان هو بنفسه يقرر في موضع آخر من المستصفى أن إنعام النظر في أبواب دلالات الألفاظ هو مدرج الاجتهاد، ومفتاح الفهم على التحقيق، قال في: (المستصفى) وهو يتكلم على مبحث دلالة الألفاظ على المعاني: (هو عمدةُ علم الأصول، لأن ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها، واجتنائها من أغصانها؛ إذ نفس الأحكام ليست ترتبط باختيار المجتهدين، ورفعها، ووضعها.

والأصول الأربعة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل لا مدخل لاختيار العباد في تأسيسها وتأصيلها، وإنما مجال اضطراب المجتهد واكتسابه: استعمال الفكر في استنباط الأحكام، واقتباسها من مداركها، والمدارك هي الأدلة السمعية)[٢].

وللعلامة ابن خلدون ـ رحمه الله ـ فصل نفيسٌ جدًّا، في غاية من الأَلَقِ والوَضَاءة، وكأنه يشرح كلام الغزاليِّ شرحًا، ويوضح مداخله، ويبسط آلياته بسطًا، ويشرح كيفية القيام به، قال في: (المقدمة): (مقدمة أخرى من التعلم، وهي معرفة الألفاظ، ودلالتها على المعاني الذهنية، تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب، ومشافهة اللسان بالخطاب، فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها، إلى الفكر في مطلوبك، فأولًا دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة، وهي أخفها، ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة،

(١) المستصفى /ص١٨/، ط: دار الكتب العلمية.
(٢) المستصفى /ص١٨٠/.

ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق، ثم تلك المعاني مجردة في الفكر، اشتراطًا يقتنص بها المطلوب بالطبيعة الفكرية، بالتعرض لرحمة الله ومواهبه.

وليس كلُّ أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة، ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة، بل ربما وقف الذهن في حجب الألفاظ بالمناقشات، أو عثر في اشتراك الأدلة بشغب الجدال والشبهات، وقعد عن تحصيل المطلوب، ولم يكد يتخلص من تلك الغمرة إلا قليل ممن هداه الله.

فإذا ابتليت بمثل ذلك، وعرض لك ارتباكٌ في فهمك، أو تشغيبٌ بالشبهات في ذهنك، فاطرح ذلك، وانتبذ حجبَ الألفاظ، وعوائقَ الشبهات، واترك الأمر الصناعي جملةً، واخلص إلى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه، وسرِّح نظرك فيه، وفرِّغ ذهنك فيه، للغوص على مرامك منه، واضعًا لها حيث وضعها أكابر النظار قبلك، متعرضًا للفتح من الله كما فتح عليهم من رحمته، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فإذا فعلت ذلك أشرقتْ عليك أنوارُ الفتح من الله بالظفر بمطلوبك، وحصل الإمام الوسط، الذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر، ونظره عليه كما قلناه، وحينئذ فارجع به إلى قوالب الأدلة وصورها، فأفرغه فيها، ووفه حقه من القانون الصناعي، ثم اكسه صور الألفاظ، وأبرزه إلى عالم الخطاب والمشافهة، وثيق العرى، صحيح البنيان)[١].

وهذه الفائدة المترتبة على دراسة ذلك النمط من التآليف سجلها وأشاد بها الأستاذ أحمد أمين في سيرته الذاتية، التي سماها: (حياتي)، وهي

(١) مقدمة ابن خلدون/ص٥٣٦/.

مطبوعة، رغم ماله من تحفظ على الحواشي وما جاء على نمطها.

قال سماحة شيخنا العلامة الجليل، الإمام الشيخ علي جمعة: (فإذا عرفنا أن الحواشي كانت كتبًا دراسيةً وليست دعوية، تخاطب جمهورًا معينًا في قاعة الدرس، وأنها إنما أُلِّفَت لضبط النقل على أعلى مستوى، وأنها قامت بدورٍ كبيرٍ في تدريب الطلاب على البحث والفهم الدقيق للعبارة، مما جعلهم أكثر قدرةً على فهم النص القرآني والحديث الشريف، بعدما ذهبت الملكة العربية، والفصاحة اللسانية السليقية، وإذا عرفنا أيضًا أن عدم الاهتمام بالألفاظ فيما بعد أوقع الناس اليوم في قطع التواصل والفهم، حتى بين أهل العلم الواحد، فيما يسمى «حوار الطرشان»، علمنا أن الحواشي في عصرها لم تكن سمة تخلف أو جمود، وأنه يجب على علماء كل عصر أن يقوموا «بواجب الوقت»، حتى يحققوا الهدف الذي لم يتغير عبر العصور، وهو نقل هذا الدين، والدعوة إليه، عسى الله أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور)[1].

وقال صديقنا فضيلة البحاثة المتقن الطُلَعَة الشيخ محمد وسام عباس الأزهري: (ثم إن للحواشي أهميةً كبيرةً في التاريخ العلمي، ومعرفة تطور النظم التعليمية الإسلامية من جهة أخري؛ إذ هي تمثل قراءة العالِم للشرح، وفهمه له، وكيفية تعامله مع ما سبقه من تراث علمي، مما يُعَدُّ عاملًا أساسيًّا في استيعاب طرق السلف في تدريس العلوم، واستكناه أساليبهم في معالجة مؤلفات من سبقهم من أهل العلم، والاطلاع على مسالكهم في النقد أو التعزيز أو الاجتهاد، ولذلك فإن الحاشية تعتبر حلْقة وصلٍ بين الكتاب المصنَّف وبين مجلس العلم والنظر، الذي كان تصنيف هذا الكتاب ثمرتَه

(١) من تقدمة فضيلته على تحقيقه لحاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد /ص١٢/، ط٤: دار السلام، القاهرة.

وخلاصتَه، وهي تسجيلٌ أمينٌ لما يدور في أذهان أذكياء الطلبة من الاستشكالات عند المناقشة أخذًا وردًّا، وسَبْرٌ لصحيح هذه الإيرادات من عليلها.

غير أن أهم ما يميز هذا النوع من التأليف هو: الاهتمام باللغة العربية ودقائقها بل دقائق الدقائق منها؛ فإن اللغة وعاء الفكر والحضارة، وهي القالَب الذي تُورَّث من خلاله العلوم، وكلما زادت لطافةُ المعاني ودقتُها زاد الاحتياج إلى معرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ والجمل، والتراكيب والأساليب، التي تُستوعَبُ من خلالها هذه المعاني، وهذا ما تقوم به الحواشي عن طريق: «معالجة العبارات، والنقاش في تأويل معناها ومبناها، والدوران حولها، لتَفَهُّمِها بطرق مختلفة وتَعَرُّف نقصها، وتذليل صعابها، وتجلية غموضها. وكل هذا له فائدة في شحذ الفكر وتكوين ملكة الفهم، والمران على حل المعضلات اللفظية وعلى الجدل العلمي».

الحاشية تصنع العقلية العلمية الفارقة بين الشيء وسببه، والشيء وأثره، والشيء ومثيله، والشيء وشبيهه، والشيء وباعثه، والشيء وغايته، ولذلك لم تكن أداة لنقل المعلومات بقدر ما هي أداة لفهم العلم، وتربيةِ المَلَكَة اللغوية في إدراك دلالة ألفاظه ومبانيه، على عميق مراميه في معانيه)[1].

قلت: ومن فوائد الحواشي أيضًا: أنها من أهم عوامل الانضباط في البيئة العلمية، حيث تكسر سَوْرة النفس، وتقمع نُعَرَةَ الترفع، التي تُلِمُّ

(١) من أطروحته التي حصل بها على درجة التخصص (الماجستير) من كلية الشريعة والقانون، والمسماة: (دراسة وتحقيق المقدمات والأحكام من كتاب «الدرر اللوامع، بتحرير شرح جمع الجوامع» لشيخ الإسلام الكمال بن أبي شريف المقدسي الشافعي، المتوفى سنة ٩٠٦هـ).

بنفس طالب العلم، إذا ما أحاط بشيء من مقدمات العلوم، يأنس منها في نفسه قدرةً على التحليل، والمناقشة، وتشقيق المسائل، فلا تزال تلك المؤلفات تُريه قصورًا في فهمه، وقلةً في إحاطته بالضوابط، والمعطيات، والقواعد الدقيقة، التي يعتمد عليها في فهم التركيب وتحليله، فيخرج الطالب وهو يشهد لهؤلاء الأئمة سبقًا لا يستطيعه، وتفوقًا لا يدركه، فيتواضع لهم من جهة، وتشتد حاجته إليهم وإلى أفهامهم وعلومهم من جهة أخرى.

هذا وقد بقيت بعد كل ذلك مسألةٌ مهمةٌ، تتعلق بالحواشي وظاهرتها، أوردتها في ترجمة الإمام الشيخ محمد بخيت المطيعي من كتابنا هذا، فانظرها هناك.

فصل

في ذِكْر المؤلفات التي ترجمت لأعيان المصريين

عُنِيَ المؤرخون قديمًا بالترجمة لأعلام مصر في الأعصار القديمة، فظهرت مؤلفاتٌ لا تحصى، في الترجمة لعلماء مصر وأعلامها، من فقهاء ومحدثين، ونحاةٍ ومفسرين، ومتكلمين ومؤرخين، وولاةٍ وقضاةٍ، وأمراء وسلاطين، بل لم تحظَ بلدٌ في الدنيا ـ فيما أقدر ـ بمثل ما حظيت به مصر من العناية بها وبأعلامها.

فترجم لمن دخل مصر من الصحابة العلامة الشيخ محمد بن الربيع الجيزي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: (معرفة الصحابة المصريين)، وقد رأيت شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ ينقل منه في: (هدي الساري)[1]، وفي: (الإصابة)[2].

ثم ترجم لهم الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في جزء اسمه: (دَرّ السحابة، فيمن نزل مصر من الصحابة) أورده كاملًا ضمن كتاب: (حسن المحاضرة)، ثم طبع مفردًا.

وترجم لمن نزلها وشرَّفها من أئمة البيت النبوي الكريم عدد من

(١) هدي الساري /ص٢٧٩.

(٢) الإصابة /٥/٥٧٤.

المؤرخين، ولا يحصى ما كتب فيهم ي، ومن آخر الكتابات المهمة حولهم كتاب شيخ مشايخنا العلامة السيد محمد زكي الدين إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه القيم: (مراقد أهل البيت في القاهرة)، والأستاذ سعد حسن محمد في كتاب: (أهل البيت في مصر).

ومن المؤلفات المهمة في ذلك أيضا كتاب: (مشاهد الصفا، في المدفونين بمصر من آل المصطفى ﷺ)، تأليف الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف الصفوي القلعاوي، وهو مطبوع.

وترجم لمن وليها مِن السلاطين والأمراء شيخ الإسلام العلامة الشيخ: عبد الله بن حجازي الشرقاوي ت١٢٢٧هـ في كتاب اسمه: (نزهة الناظرين، في من ولي مصر من الأمراء والسلاطين) رأيته مخطوطًا، ثم رأيت له عدة طبعات.

ثم العلامة: مصطفى بن محمد بن يوسف الصفوي القلعاوي الشافعي ت١٢٣٠هـ

في كتاب اسمه: (صفوة الزمان، في من تولى على مصر من أمير وسلطان).

ثم شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار ت١٢٥٠هـ؛ إذ له تاريخ لطيف مطبوع، ذكر فيه من تولى مصر من ابتداء الفتح إلى زمنه، باختصار.

وقد سبق إلى ذلك الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ؛ إذ جمع تصنيفًا في من ولي مصر من الولاة، عنوانه: (الإعلام، بمن ولي مصر في الإسلام).

بل سبق إلى الترجمة لولاة مصر العلامة أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ت٣٥٠هـ في كتابه: (الولاة والقضاة) نشره: رفن جست، في بيروت، سنة ١٩٠٨م، وقد ذيل عليه صاحبه أبو محمد الحسن بن إبراهيم ابن زولاق.

وترجم لمن وليها من الوزراء والباشوات: الأستاذ الشيخ أحمد شلبي عبد الغني في كتابه: (أوضح الإشارات، لمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات) وهو مطبوع.

وقد ترجم لقضاتها العلامة جمال الدين عبد الله بن أحمد البشبيشي ت٨٢٠هـ، فقد جمع كتابًا استوعب فيه أخبار قضاة مصر.

ثم الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ في كتاب: (رفع الإصر، عن قضاة مصر) طبع في مكتبة الخانجي، ثم ذيل عليه تلميذه الحافظ شمس الدين السخاوي في كتاب اسمه: (الذيل على رفع الإصر) وهو مطبوع.

ثم جمع الأستاذ أحمد الدُّمَيْرِي كتابًا آخر اسمه: (قضاة مصر في القرنين العاشر والحادي عشر)، وهو مطبوع.

وكان الحافظُ الجليل عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري ت سنة ٤٠٩هـ قد جمع قديمًا كتابًا في تاريخ القضاة، ذكر ذلك الحافظ شمس الدين السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب: (الإعلان بالتوبيخ).

وترجم لأوليائها وصالحيها ـ لا سيما في الوجه القبلي ـ الحافظ محيي الدين يحيي الدمياطي في كتابه: (مناقب الأولياء في مصر المحروسة).

وترجم لمشاهير مشايخها من قراء القرآن الكريم، الذين تصدروا المحافل للتلاوة، واشتهروا بحسن الصوت، وجمال الأداء، ترجم لهم الكاتب المعروف الأستاذ محمود السعدني في كتابه: (ألحان السماء)، ثم ترجم الأستاذ أحمد همام لعدد من القراء لم يتعرض لهم السعدني، وذلك في كتابه: (سفراء القرآن)، وهو مطبوع.

وترجم لمواليها العلامة أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي في كتاب: (تاريخ الموالي المصريين) ينقل منه الحافظ الذهبي في: (ميزان الاعتدال)[1].

وترجم لشعرائها العلامة العماد الكاتب، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد، الملقب عماد الدين، الكاتب الأصفهاني الشافعي، في كتاب: (شعراء المصريين)، وقد نقل منه شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني في: (لسان الميزان)[2].

وترجم لمن دخل السجن من وجهاء مصر وأعيانها ـ وهو أمرٌ طريفٌ ـ الأستاذ الشيخ أحمد خيري باشا ت ١٣٨٧هـ في كتاب اسمه: (القول المبين، في ذكر من دخل السجن من سراة المصريين)، لم يطبع.

وترجم لرواة الحديث من أهل مصر، ممن له رواية في الكتاب الستة، الشيخ أحمد شحاتة الألفي السكندري، في كتاب اسمه: (أعلام أهل العصر، بما في الكتب الستة من أسانيد أهل مصر).

وترجم للغرباء الذين نزلوا مصر العلامة أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي في كتاب اسمه: (تاريخ الغرباء الذين قدموا مصر).

ثم ذيل عليه أيضًا العلامة الحافظ أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد

(١) ميزان الاعتدال /٣/٥٣/ في ترجمة ذي النون المصري، وانظر فتح المغيث /٣/٣٩٤، والشذا الفياح /٢/٧٨٦/.

(٢) لسان الميزان /٤/١٥٠/ ترجمة عثمان بن عيسى البليطي.

أبو القاسم الحضرمي ابن الطحان المصري ت٤١٦هـ، قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في: (لسان الميزان): (ذكره أبو القاسم بن الطحان في ذيله على تاريخ الغرباء لابن يونس)[1]، وقال أيضًا في: (لسان الميزان): (قال أبو القاسم بن الطحان في ذيله على تاريخ الغرباء الذين قدموا مصر)[2].

قلت: ولقد توقفتُ مدةً في كتاب: (الغرباء) لابن يونس، وأنا أوقن أنه مغايرٌ لتاريخه، لكن أخاف الوهم، حتى رأيت الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ يقول في: (لسان الميزان): (ولم يذكره ابن يونس في تاريخ مصر، ولا في «تاريخ الغرباء»)[3]، فاطمأنَّ قلبي.

بل إن الحافظ ابن حجر وقف عليه، ولم ينقل عنه فقط بالوسائط، فقال مثلًا في: (لسان الميزان): (ثم راجعت «الغرباء» لابن يونس فوجدته ذكره)[4].

بل إن العلامة ابن يونس ـ رحمه الله تعالى ـ له كتاب آخر في الغرباء من أهل فارس، قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في: (لسان الميزان): (وقال ابن يونس في: «تاريخ الغرباء من أهل فارس»)[5].

وكتابُ: (غرباء المصريين) مرويٌّ عند الحافظ ابن عساكر، وهو يكثر من النقل منه في: (تاريخ دمشق)، قال: (وقال ابن يونس في: «تاريخ الغرباء»

(١) لسان الميزان /١/٧١/ ترجمة إبراهيم بن عبد الله بن ثمامة.

(٢) لسان الميزان /٢/٧/ ترجمة برد بن علي الأبهري.

(٣) لسان الميزان /٢/١٧/ ترجمة بشار بن عمر.

(٤) لسان الميزان /٣/٢٣٢/ ترجمة عباد بن عبد الصمد.

(٥) اللسان /٢/٦٧/ ترجمة بهلول بن عبيد.

ـ الذي كتب به إليَّ ـ: أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن مندة، (ح)[1] وحدثني أبو بكر اللفتواني عنه: أنا عمي أبو القاسم: عن أبيه أبي عبد الله بن مندة قال: قال لنا أبو سعيد بن يونس:)[2].

قلت: أما التأريخ لعلماء مصر، فمن أوائل من نشط في التصنيف في ذلك: العلامة يحيى بن علي بن الطحان ـ رحمه الله تعالى ـ ت٤١٦هـ، وذلك في كتابه: (تاريخ علماء أهل مصر) طبع في دار العاصمة بالرياض، سنة ١٤٠٨هـ.

ثم العلامة الحافظ إبراهيم بن سعيد النعماني المصري المعروف بابن الحبال ت٤٨٢هـ له كتاب اسمه: (جزء فيه وفيات قوم من المصريين، ونفر سواهم) وهو مطبوع.

ثم العلامة أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفيّ في كتابه: (تاريخ المصريين)، قال الحافظ الخطيب البغدادي في: (موضح أوهام الجمع والتفريق): (ذكر لي أحمد بن محمد العتيقي: أنه سمعه من: علي بن أبي سعيد بن يونس عن: أبيه)[3].

(١) هذه الحاء رمز يستخدمه المحدثون عند إرادة التحويل من إسناد إلى إسناد، وتنطق (حا) غير مهموزة، خلافًا للمغاربة الذين ينطقونها: (الحديث)، وانظر في شرح مدلولها والخلاف في نطقها: مقدمة ابن الصلاح /ص٢٠٣/، وتدريب الراوي /٢/٨٨/، وفتح المغيث /٢/٢١٦/، وتوجيه النظر /٢/٧١٨/، وتوضيح الأفكار /٢/٣٦٨/، والغاية للسخاوي في شرح منظومة الهداية لابن الجزري /ص٩٤/، وعمدة القاري /١/٧٥/، بل أفرد شيخ مشايخي العلامة الكبير، مسند الدنيا في زمانه، السيد عبد الحي الكتاني لهذه المسألة كتابًا مستقلًا اسمه: (رسالة حاء التحويل وكيفية النطق بها)، كما هو في ترجمة الشيخ في أول فهرس الفهارس /١/٢٧/.

(٢) تاريخ دمشق /٩/٣ـ ٩/، وانظر أيضًا: /٢٢/٢٢٢/، /٥١/٣١/ وغيرها.

(٣) موضح أوهام الجمع والتفريق /١/٣١٧/.

قلت: وقد ذيل على هذا التاريخ العلامة الحافظ يحيى بنُ علي بنِ محمد أبو القاسم الحضرميّ ابن الطحان المصري.

ثم جمع في أخبارهم أيضًا الإمامُ الحافظُ الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ في كتابه الماتع: (حسن المحاضرة، في أخبار مصر والقاهرة) طبع في مطبعة: عيسى الحلبي بالقاهرة، سنة ١٩٦٧م تحقيق الأستاذ المحقق الكبير: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ.

ويقرب مما نحنُ فيه من الخدمةِ والترجمةِ لعلماء مصر في الأعصار المتأخرة أنَّ جماعةً من المؤرخين عُنُوا مثلًا بالترجمة لنجباء الصعيد وأعلامه، فخدموا طائفةً عريضةً من علماء مصر، ومن هؤلاء العلامة أبو جعفر الأُدْفوي ت٧٤٨هـ في كتابه المشهور: (الطالع السعيد، في تراجم نجباء الصعيد) وقد أجاد فيه وأفاد، إلا أنه انتهى إلى طبقات أهل القرن السابع.

ثم إن فضيلة العلامة الشيخ: عبد العزيز الدردير موسى نائب رئيس جامعة الأزهر سابقًا جمع ذيلًا على: (الطالع السعيد) أسماه: (قلائد الجيد، في التذييل على كتاب الطالع السعيد) فجاء في ثلاثة مجلدات، ولم يطبع بعدُ، وقد تُوفي الشيخ عبد العزيز منذ بضع سنوات، وكان قد جعل كتابه استدراكًا لمن فات الأُدفويَّ من أهل القرون المتقدمة، ثم جمع تراجمَ من جاءوا بعدَ الأُدفويِّ، وانتهى فيه إلى تراجم المعاصرين.

وقد ترجم لأهل الصعيد كذلك عدد من الأقدمين، مثل العلامة الفاوي ـ بالفاء ـ في كتابه: (الوحيد، في تاريخ علماء الصعيد)، والعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز إدريس ت٦٤٩هـ في كتاب: (المفيد، في أخبار أهل الصعيد)، والعلامة الحافظ ابن يونس الصدفي ت٣٤٤هـ في كتابه:

(العقيد، في أخبار الصعيد)، والعلامة علي بن عبد العزيز الكاتب في: (تاريخ الصعيد)، رحم الله الجميع، ولا أعلم أين تكون تلك التواريخ.

ثم إنه قد نشط أفرادٌ من المؤرخين لجمع تراجم مشاهير نواحيهم، في ظاهرة علمية جليلة، عرفت باسم التواريخ المحلية، إلا أن أكثرها تواريخُ مهملةٌ منسيةٌ، ماتت ومات معها ذِكرُ أقوامٍ من العلماء.

ففي تراجم أعيان: (الإسكندرية) جمع الأستاذ: الشيخ أبو عبد الله إبراهيم شحاته الرازقي السكندري ـ رحمه الله ـ كتابًا اسمه: (أنوار الهداية، فيمن نزل بأرض الإسكندرية من أهل العلم والولاية) وهو مطبوعٌ، وكذلك الدكتور جمال الدين الشيال في كتابه (أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي) وهو مطبوعٌ، والأستاذ نقولا يوسف في كتابه (أعلام من الإسكندرية) مطبوعٌ.

ومن الأقدمين الحافظ أبو المظفر منصور بن سليم الهمداني السكندري ت٦٧٣هـ، فقد جمع تاريخًا للإسكندرية في أربعة مجلدات، كما ذكر الحافظ شمس الدين السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (الإعلان بالتوبيخ).

وفي تراجم أعيانِ: (سوهاج) جمع الأستاذ الفاضل: السيد أبو ضيف المدني كتابًا لطيفًا، اسمه: (تاريخ إقليم سوهاج) وهو مطبوع، تتبع فيه تاريخ سوهاج، وترجم لأعلامها قديمًا وحديثًا. وللأستاذ عبد الله أحمد عثمان كتاب عنوانه: (البلدان السوهاجية) وهو مطبوع.

وفي تاريخ أعيان إقليم: (إخميم) من أعمال سوهاج وفي أعلامه جمع المؤلفُ السابق أيضًا كتابًا آخر اسمه: (إخميم في عصور التاريخ).

وفي تراجم علماء (جرجا) جمع جَبَرتيُّ الصعيد، العلامة الشيخ: محمد

بن محمد بن حامد الحسنيُّ المالكيُّ المراغيُّ الجرجاويُّ، كتابًا اسمه: (تعطير النواحي والأرجا، في تراجم علماء جرجا) وهو في ثلاثة مجلدات بخطه، في دار الكتب المصرية، وقد طبعه صديقنا العلامة المؤرخ الدكتور أحمد حسين النمكي الجرجاوي، فجزاه الله خيرًا.

قلت: وللبيئة العلمية في جرجا من الخصب والثراء ما يستحق العناية، لا سيما وأن الدولة العثمانية وجهت عنايتها إلى جرجا في فترة معينة، فصارت جرجا قاعدة الصعيد، ونشأ بها المعهد العلميُّ المبجل، الذي عرف بـ(الأزهر الثاني)، وكان له دور لا يقل خطورةً ولا إجلالًا عن دور الأزهر الشريف بالقاهرة، وبه صارت جرجا كعبةَ العلماء، وبه تخرج الشيخ محمد المراغي الجرجاوي المذكور.

وقد عُنِي صديقنا الكريم، المؤرخ الدكتور أحمد حسين النمكي بالأزهر الثاني، حتى أفرد له تصنيفًا مستقلًّا اسمه: (الأزهر الثاني، تاريخه وحضارته) لا يزال مخطوطًا.

وفي تراجم علماء: (المراغة) ألف الشيخ محمد حامد المراغي الجرجاوي أيضًا كتابًا اسمه: (فتح الوصيد، في تراجم علماء مراغة الصعيد) وأسماه أيضًا: (مراقي البلاغة، في تراجم علماء المراغة) وهو أيضًا بخطه في دار الكتب المصرية، ويقع في مائة وست وأربعين صفحة، وقد اطلعت عليه.

وفي تاريخ مدينة: (طهطا) وأعلامها ورجالها جمع الدكتور محمد سلمان عبيد كتابًا فيها، اسمه: (تاريخ طهطا) وهو مطبوع.

وفي تراجم علماء بلدة (فُوَّة) جمع العلامةُ الحافظُ السيد محمد مرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه: (فتح باب المُرُوَّة، بذكر رجال

فُوَّة)، وله في تراجم رجالها تأليف آخر اسمه: (العرائس المجلوّة، في ذكر أولياء فوة).

وفي تراجم علماء: (قوص) ألف الأستاذ أحمد موسى عبد العظيم سرحان القوصي المدرس في قوص كتابًا اسمه: (من أعلام الفكر الإسلامي في قوص، تراجم وسير لعلماء قوص وأدبائها وشعرائها في العصر الوسيط) وكتابًا آخر اسمه: (من أعلام الفكر الإسلامي في قوص، تراجم لعلماء قوص وأدبائها وشعرائها في العصر الحديث).

وقد ألف جان كلود جارسان كتابا مهمة حول مدينة قوص، عنوانه بالفرنسية: (مركزٌ مسلمٌ لصعيد مصر خلال العصر الوسيط: قوص)، وقد نشر الكتاب بالعربية تحت عنوان: (ازهار وانهيار حاضرة مصرية: قوص)، ترجمه بشير السباعي، نشرته دار سينا للنشر، سنة ١٩٩٧م، والفصل السادس في الكتاب عنوانه: (قوص، مركزا للتعليم والقضاء)، وهو مهم.

وفي تاريخ: (أسيوط) وأعلامها جمع الحافظ جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ، كتابًا اسمه: (المضبوط، في أخبار أسيوط) وهو مخطوط لم يطبعْ.

ثم جمع فضيلة الشيخ: سيد علي الطوبجي السيوطي كتابًا مهمًّا عنوانه: (المقال الموجز في مدينة أسيوط)، طبع في المطبعة الفاروقية بأسيوط سنة ١٣٦٨هـ، الموافق سنة ١٩٤٩م، وهو كتاب مهم، كثير الفوائد.

وفي تراجمِ علماء: (بني عدي) جمع العلامة، مؤرخ الصعيد، الشيخ: محمد حامد المراغي الجرجاوي المذكور كتابًا سماه: (شذى العرف الندي، في تاريخ علماء بني عدي).

وقد اقترحه عليه، وأعانه فيه، وشاركه في جمعه، وذيل عليه العلامةُ: الشيخُ حسنين محمد حسنين مخلوف ـ رحم الله الجميع ـ، رأيت ذلك في مجموع أوراق بخط العلامة الشيخ حسنين مخلوف مؤرخة بسنة ١٣٥٤هـ، قصَّ فيها كيفية تعرفه على الشيخ المراغي الجرجاوي، وأنه اقترح عليه تأليف الكتاب، فراقته الفكرة وشرع فيه.

ثم إن الأستاذ الشيخ محمد علي حسن مخلوف العدوي تحصل على كتابات هذا وذاك، فجمع بينها وأكمل المسيرة، فأخرج كتابًا في تراجم علماء بني عدي، يقع في ٣٩٧ صفحة من القطع الكبير، وفرغ منه في التاسع والعشرين من ذي الحجة ١٤٠٥هـ إلا أنَّه لا يزال مخطوطًا يشكو الإهمال.

وفي تراجمِ علماء: (الفيوم) وتاريخها ألَّف الأستاذ إبراهيم بك رمزي المتوفي سنة ١٩٢٤م كتابًا اسمه: (تاريخ الفيوم).

وكان قد أفردها بالتأليف أيضا فخر الدين عثمان بن النابلسي، في كتاب اسمه: (إظهار صنعة الحي القيوم، في ترتيب بلاد الفيوم)، وقد نشره المستشرق موريتز في بولاق سنة ١٨٩٨م، تحت عنوان: (تاريخ الفيوم وبلاده)، وللأستاذ حسن محمد الصعيدي كتاب عنوانه: (الفيوم، في ظلال الأدب والتاريخ)، طبع في مطبعة مصطفى في الفيوم، سنة ١٩٧٤م.

وفي تراجم أعيان: (سمهود) من السادة الأشراف، جمع العلامة المؤرخ الشيخ محمد حامد المراغي الجرجاوي كتابًا اسمه: (مدارج الإشراف، في ذكر نسب وفضل من حل سمهود من السادة الأشراف)، وهو مخطوط.

وفي تراجم أعيان: (شطورة) كتب الدكتور محمد سلمان عبيد كتابًا

اسمه: (شطورة بين ماض وحاضر)، ثم جرَّد منه قسم التراجم في جزء سماه: (أدباء شطورة)، وهما مطبوعان.

وفي تراجم علماء: (مرصفى) كتب الأستاذ أحمد مصطفى حافظ عدةَ مقالات نشرت في: (مجلة الأزهر)، بدءًا من العدد الصادر في ربيع الأول سنة ١٤١٥هـ، وهو الجزء الثالث للسنة السابعة والستين، فكتب أربعَ مقالاتٍ تناول فيها عددًا من أعيان قرية مرصفى، بالإضافة إلى كلام علي مبارك باشا عن مرصفى وأعلامها في: (الخطط التوفيقية).

ثم قال في آخر مقالاته المذكورة: (ونختم الحديث عن المراصفة والأدب، ونحن نتمنى أن يقوم الكرام الكاتبون، في شتى أنحاء القرى والمدن، بالكتابة عن أساطينهم، في شتى العلوم، والمعارف، والآداب، لتظفر المكتبة العربية بموسوعة عن أعلام مصر، الذين نعتز بهم، ونحرص على السير على منوالهم، لا تقليدًا حرفيًا لهم، ولكن للاحتذاء بهممهم العلياء، والانتفاع بتراثهم الباقي على مر الزمن)[1].

وكذلك تراجم أعيان مدينة: (تنيس)، وقد أفردها بالتأليف غير واحد، منهم أبو القاسم عبد المحسن بن عثمان بن غنائم الخطيب، وقد سمى كتابه: (العروس، في فضائل تنيس)، وقد ذكره السخاوي في: (الإعلان بالتوبيخ)، ومنهم العلامة الحافظ محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسي من أعيان القرن السابع الهجري، وعنوان كتابه: (أنيس الجليس، في أخبار تنيس)، وقد طبع بعناية الدكتور جمال الدين الشيال، مع مقدمة له فيها فوائد مهمة.

(١) مجلة الأزهر، الجزء السابع، السنة السابعة والستون /ص٩٨٢/.

وكذلك أعيان مدينة (دمياط)، وقد أفردها بالتأليف الأستاذ نقولا يوسف، في كتاب كبير اسمه: (تاريخ دمياط منذ أقدم العصور)، طبعه الاتحاد القومي بدمياط، سنة ١٩٥٩م، وقد تعرض فيه لشعراء دمياط، وعلمائها وفقهائها وكتابها، وللدكتور جمال الدين الشيال كتاب: (مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا)، وهو مطبوع أيضا، فضلا عن كتاب قديم في تاريخ دمياط، مؤلفه مجهول، نقل منه المقريزي في الخطط، وقد تتبع أخباره وقطعه الخطية الدكتور جمال الدين الشيال في مقدمة كتاب (أنيس الجليس، في أخبار تنيس).

وللعلامة أحمد بن أحمد الحلواني الخليجي الشافعي ت١٣٠٨هـ كتاب لطيف يتعلق بدمياط، اسمه: (الإشارة الآصفية، فيما لا يستحيل بالانعكاس في صورته الرسمية، وفي بعض المحاسن الدمياطية، وما يتبع ذلك من فرائد علمية)، وهو مطبوع قديما.

وكذلك أعيان مدينة (أسوان)، وقد أفردها بالتأليف العلامة ابن الزبير الأسواني، ذكر ذلك حاجي خليفة في: (كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون).

وكذلك أعلام إقليم (الشرقية)، بما فيه من مدن، خرج منها عدد من الأعلام، وقد خرج كتاب عنوانه: (الشرقية وسيناء)، نشرته منطقة الزقازيق التعليمية، سنة ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، وفيه كلام عن مدينة الزقازيق، ومدينة أبي كبير، ومدينة بلبيس، وغيرها، وعن أعيان تلك المدن.

وكذلك أعلام إقليم (البحيرة)، بما فيه من مدن وقرى ونجوع، وقد جمع الأستاذ محمد محمود زيتون كتابا كبيرا، عنوانه: (إقليم البحيرة،

صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح)، فعقد فيه فصلا جليلا عنوانه (أعلام البحيرة في موكب النور)، ذكر فيه المدن والقرى التي خرج منها الأعلام والأكابر، وتتبع تراجمهم في مصادر مخطوطة ومطبوعة، حتى قارب ذلك الفصل المائتي صحيفة، وفيه تراجم نادرة.

ومن مجموع ما سبق تعلم أن المدن والبلدان المصرية، التي أفرد لها المؤرخون تواريخ خاصة بأعيانها وأعلامها، مدنٌ ليست بالقليلة، خلافًا لما انتهى إليه الدكتور جمال الدين الشيال، حيث قال في تقدمته لكتاب: (أنيس الجليس، في أخبار تنيس): (والمدن المصرية التي أرخ لها قليلة العدد، ومن الغريب أنها جميعا من الثغور، ولم أجد مدينة من المدن المصرية الداخلية كتب لها تاريخ ـ ما عدا مدينتي الفيوم وأسيوط ـ، والمراجع تشير إلى كتب وضعت للتأريخ للثغور البحرية الشمالية الثلاث: الاسكندرية ودمياط وتنيس، كما تشير إلى كتاب وضع للتأريخ للثغر الجنوبي البري أسوان، وفيما يلي بيانها)[1]، ثم تكلم عن الكتب التي أرخت لتلك المدن المذكورة.

ويلتحق بذلك عددٌ من العلماء والمؤرخين جمعوا تراجم نخبة من العلماء يجمعهم رابطٌ خاصٌّ كعلماء الأزهر الشريف، وعلماء الجامع الأحمدي في طنطا وغيرهما من المدارس العلمية المشهورة، فتناولوا بذلك شريحةً عريضةً من أعيان مصر.

فمن ذلك: (علماء الأزهر الشريف)، وقد عني بالترجمة لهم: الشيخ سليمان رصد الحنفي في: (الكنز والجوهر، في تراجم شيوخ وعلماء الأزهر) وهو مطبوع، والدكتور أبو الوفا المراغي في: (المعجم الأصغر، في تراجم

(١) أنيس الجليس/ص٩.

ومؤلفات علماء الأزهر) وهو مخطوط في مكتبة الأزهر، والأستاذ علي عبد العظيم في كتاب: (شيوخ الأزهر) وهو مطبوع، وغيرهم، وللدكتور عاصم الدسوقي كتاب آخر اسمه: (مجتمع علماء الأزهر في مصر ١٨٩٥م ـ ١٩٦١م).

ومن ذلك: (علماء الجامع الأحمدي في طنطا)، وقد ترجم لهم فضيلة الأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندي في كتابه: (الجامع الأحمدي شقيق الجامع الأزهر)، وكذلك فقد أورد شذرات ونتفًا من أخبارهم الأستاذُ الفاضلُ الشيخ محمد عبد الجواد في كتابه: (مذكرات مجاور في الجامع الأحمدي) وهو مطبوع.

ومن ذلك: (علماء معهد أسيوط الديني)، وقد أفردهم بالترجمة الأستاذ: محمد حسين النجار من علماء معهد أسيوط في كتابه: (تاريخ معهد أسيوط الديني منذ نشأته) طبع سنة ١٣٥٦هـ، وكتب فضيلة الدكتور مجاهد توفيق الجندي مقالتين، نشرهما في مجلة الأزهر بعنوان: (مشيخة علماء أسيوط)، أو: (معهد أسيوط العلمي الديني، بصعيد مصر، دراسة وثائقية)[1].

ومن ذلك: (علماء المعهد العلمي بجرجا)، والذي عرف بـ(الأزهر الثاني)، وكان له دورٌ لا يقل خطورةً ولا إجلالًا عن دور الأزهر الشريف بالقاهرة، وبه صارت جرجا كعبة العلماء، وقد أفرد له ـ كما تقدم ـ الدكتور أحمد حسين النمكي تصنيفًا مستقلًّا اسمه: (الأزهر الثاني، تاريخه وحضارته) لا يزال مخطوطًا.

ومن ذلك العلماء الذين تخرّجوا من دار العلوم، فقد جمع الأستاذ محمد عبدالجواد كتابًا في تراجمهم، اسمه (تقويم دار العلوم) وهو مطبوع.

(١) مجلة الأزهر، الجزء السادس، السنة الرابعة والستون، عدد جمادى الآخرة ١٤١٢هـ /ص٦٣٩/، والجزء السابع، من نفس السنة، عدد رجب ١٤١٢هـ /ص٧٧٨/.

ومن ذلك العلماء الذين تخرجوا من كلية أصول الدين، فقد جمع الشيخ محمد حسين النجار كتابه: (كلية أصول الدين وعميدها الجليل)، طبع في مطبعة شيراز، سنة ١٩٤١م، وفيه تراجم عدد من علماء كلية أصول الدين.

ومن ذلك: (أهل الحديث من المصريين)، وقد جمع فيهم فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم بالاشتراك مع فضيلة الأستاذ الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم كتابًا اسمه: (المحدثون في مصر والأزهر) وهو مطبوع.

ويلتحق بذلك من عني من العلماء بجمع تراجم أعيان بيت معين من البيوتات العلمية المصرية اللامعة، التي اشتهرت بخدماتها العلمية الجليلة.

كما هو الشأن في البيت السبكي الذي أمد البيئة العلمية بالعشرات من الجهابذة المحققين، وقد جمع تراجمَ أعلامه الحافظُ السيوطيُّ في جزء اسمه: (النفحُ المسكي، في أعيانِ البيت السبكي)، ثم الأستاذ محمد الصادق حسين في كتابه: (البيت السبكي)، وهو مطبوع.

وكذلك العلماء الأجلاء آل جماعة، فقد جمع الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في ترجمتهم كتابه: (البراعة، في تراجم آل جماعة).

وكذلك البيت الخفاجي، فقد جمع أستاذنا العلامة الأديب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ رحمه الله تعالى ـ جمهرته الشهيرة: (الخفاجيون في التاريخ) وهو في سبعة أجزاء، رأيت منها واحدًا.

وكذلك بيت الخياط، فقد ترجم العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي لأعيان ذلك البيت في كتابه: (سلافة الشراب الصافي البكري، في ترجمة علامة جرجا بل علامة الصعيد الشيخ عبد المنعم أبي بكري)، وهو مطبوع، فقد ترجم فيه للشيخ المذكور، ولآبائه، ولأنجاله، وكلهم علماء فضلاء.

وكذلك البيت الوفائي، فقد جمع العلامة عبد الباقي بن يوسف الزرقاني كتابه: (النفحة الرحمانية، في تراجم السادة الوفائية)، وهو مطبوع، ثم الحافظ مرتضى الزبيدي فقد ترجم لهم أيضًا في كتاب مستقل، وللعلامة السيد توفيق البكري كتاب اسمه: (بيت السادات الوفائية)، وللعلامة أبي الفضل محب الدين محمد جار الله بن عبد العزيز بن فهد كتاب اسمه: (تحقيق الرجا، في تراجم بني وفا).

وكذلك بيت الشيخ الطيب الحساني، فقد جمع صديقنا فضيلة الشيخ أحمد أبو المجد كتابا مهما في تراجم أعيان أسرة الطيب، ترجم فيه لأعلامها، حتى انتهى إلى فضيلة الإمام الأكبر، شيخ الأزهر، الشيخ أحمد الطيب حفظه الله، والكتاب تحت الطبع، وقد تشرفت بخدمة الكتاب وإعداده للطبع.

وكذلك أسرة المويلحي، وأثرهم في الأدب في أوائل القرن الميلادي الماضي معروف، وقد أفرد تلك الأسرة بالتأليف الدكتور يوسف راميتش، في كتابه: (أسرة المويلحي وأثرها في الأدب العربي الحديث)، وهو مطبوع.

ومما يلتحق بذلك أنه قد عني العلامة الكبير الأستاذ علي مبارك باشا ت١٣١٤هـ ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه الماتع الحافل: (الخطط التوفيقية) بالترجمة لأعلام كل قرية أو بلدة يصف خططها وأحوالها، فهو مرجعٌ مهمٌّ لمعرفة أخبار علماء مصر شمالًا وجنوبًا إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وقد ذيل عليه جبرتي الصعيد العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي رحمه الله تعالى.

ثم الأستاذ المؤرخ الشيخ زكي مجاهد في كتابه الماتع: (الأعلام الشرقية، في المائة الرابعة عشرة الهجرية)، مطبوعٌ في أربعة أجزاء، وفيه تراجم مهمة.

وكذلك العلامةُ المتفنن الأستاذ أحمد تيمور باشا في كتابه الماتع، الجم الفوائد: (أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث) وهو مطبوع مشهور.

وكذلك أستاذنا وشيخنا العلامة الأديب الراوية المؤرخ محمد رجب البيومي في كتابه (النهضةُ الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) فقد عُني فيه بالترجمة للمعاصرين له فمن سبقهم، من العلماء والمشاهير، على اختلاف توجهاتهم، واهتماماتهم، وبلدانهم، وفيه عددٌ جمٌّ من علماء مصر، وغير ذلك كثيرٌ جدًّا، مما لا يحصى من الكتب والمؤلفات، التي تعنى بتراجم أعلام من مصر في أزمانٍ مختلفةٍ، واختصاصاتٍ علميةٍ متباينةٍ، وتوجهاتٍ متنوعة.

قلتُ: وقد جمع الأستاذ الشيخ: مازن بن عبد الرحمن البحصلي البيروتي - وفقه الله تعالى - كتابًا لطيفًا اسمه: (تأريخ المحدثين لمدن المشرق والشام، حتى اجتياح التتار لها بالقرن السابع الهجري)، جمع فيه أسماء التواريخ التي جمعها العلماء للترجمة لأعيان المدن المشرقية؛ إذ قلَّ بلدٌ إلا وقد جُمِعَ وأُلِّفَ في أعيانه تاريخ بل تواريخ، من أمثال: (أذربيجان، وأستراباذ، وإربل، وأصبهان، وبخارى، والبصرة، وبغداد، وبلخ، وبيت المقدس، وبيهق، وتكريت، وجرجان) إلى آخر بضع وثلاثين مدينة ذكرها، أفرد لها المؤرخون التواريخ.

فكتابه المذكور شقيقٌ لهذا الفصل، الذي جمعنا فيه أسماء المدن والقرى الواقعة في الديار المصرية، والتي أفرد لها العلماءُ التواريخ، وسجلوا

حياةَ أعيانها وعلمائها، وبهذا الفصل وبالكتاب المذكور تمَّ إحصاءُ التواريخ التي أرخت لمدن المشرق، والشام، ومصر، وبقيت المدنُ التي أفرد لها العلماء التواريخ، من مدن المغرب والمغرب الأقصى، وغيرها من ديار الإسلام، فإنها لا تزال في حاجةٍ إلى رصدٍ، ودراسةٍ، ومتابعةٍ.

وهذه التواريخ التي نتكلمُ عنها هي التي عُرِفَت عند المؤرخين والمحدثين بتواريخ الرجال المحلية، وقد قال الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه القيم: (موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد): (نقصد بكتب تواريخ الرجال المحلية: تلك المؤلفات، التي اختصت بالتعريف برجال مدينة واحدة من المدن الإسلامية، ففي الوقت الذي عالجت بعض تواريخ المدن طوبوغرافية إحدى المدن، وأخبارها العامة، وأحيانًا تاريخها السياسي، فإن كتب تواريخ الرجال المحلية أكدت على تراجم رجال المدينة، وبذلك قدمت مادة غنية عن الحياة الثقافية في المدن الإسلامية)(١).

ثم قال بعد ذلك بقليل: (لقد حَظَت مدن الشرق - بصورة خاصة - باهتمامٍ فائقٍ من قِبَلِ علمائها، الذين صنفوا في التعريف برجالها كتبا كثيرة، حتى قال أبو أحمد الحاكم الكبير النَّيسابوريُّ: «اعلم بأن خراسان وما وراء النهر لكل بلدٍ تاريخٌ صنَّفَه عالمٌ منه»).

قلت: وإن كنت أظن أنها ليست كلمةَ أبي أحمد الحاكم الكبير محمد بن محمد بن إسحاق الكرابيسي المتوفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، بل هي مقولةُ تلميذه الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك، المتوفى سنة خمس وأربعمائة، حتى إن الحاكم قد جعل

(١) موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد /ص٢٥٩.

هذا المعنى هو الباعث له على تأليف كتابه الجليل، الشهيرِ الاسم، المُفْتَقَدِ الجرمِ والجسم: (تاريخ نيسابور)، وقد قال أبو يعلى الخليليُّ في (الإرشاد) في ترجمة شيخه أبي عبد الله الحاكم النيسابوري: (وقال لي: اعلم بأن خراسان وما وراء النهر لكل بلدة تاريخ صنفه عالم منها، ووجدت نيسابور مع كثرة العلماء بها والحفاظ لم يصنفوا فيه شيئًا، فدعاني ذلك إلى أن صنفت تاريخ النيسابوريين)[1].

قلت: وقد تكلم الدكتور سالم أحمد محل في كتابه: (المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب) عن التواريخ المحلية أو تواريخ المدن، فقال: (إن استمرار التأليف في تواريخ المدن، أو التواريخ المحلية، أظهر المدن باعتبارها وحدات حضارية فكرية)[2]، إلى أن قال: (وهكذا ظهرت هذه التواريخ، لتقدم خدمةً جليلةً للثقافة العربية الإسلامية).

وكذلك فعل الدكتور فاروق عمر فوزي في كتابه الجم الفوائد: (التدوين التاريخي عند المسلمين)، فقد أفرد فصلا طويلا يربو على الستين صفحة، للكلام على التواريخ المحلية، فأتى فيه بفوائد عزيزة، تنم عن بحث وتنقيب[3].

وأقول: والمقصود أن التأريخ للمدن أو التواريخ المحلية ـ كما عُرِفَتْ عند أهل العلم ـ تمثل نشاطًا علميًّا، جليلَ الفائدة، عظيم الأثر، في القيام برصدٍ وتتبعٍ للأعلام والنبغاء والعلماء في الفنون المختلفة، مهما نأت

(١) الإرشاد /٣/٨٥٣/ ط: مكتبة الرشد، وهو في طبعة دار الفكر من الإرشاد في/ص٣٢٥/.
(٢) المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب /ص١٣٥/.
(٣) التدوين التاريخي عند المسلمين، مقدمة في دراسة نشأة علم التاريخ وتطوره حتى بداية القرن العاشر الهجري/ص٢٠٠ ـ ٢٦٣/، ط: مركز زايد للتراث والتاريخ.

أوطانهم، وأرى أنه نمطٌ من التصنيف قد جعل يتوارى بالتدريج، وعسى أن يكون هذا الفصل باعثًا للهمم على استثارة هذا اللون من التصانيف، وإحيائه.

ولا شك في أن التواريخ المحلية تتضمن بالإضافة إلى التراجم نتفًا مفيدة من وصف كل مدينة يتم التأريخ لأعلامها، مع وصف خططها، وأعمالها، وهذا مهم أيضًا، لأنه يصف الجو المحيط الذي نشأ فيه العلماء، ويقترب بنا خطوة من الاطلاع على تكوينهم.

فصل

في أنّ الإسناد كاشف عن سريان العلوم في طبقات الأمة وأجيالها وأنه يأتي للرواية، والدراية، والتزكية

يقع الإسنادُ في أمة الإسلام على ثلاثةِ أنحاء، وهي سند الرواية، وسند الدراية، وسند التزكية، وهذه المظاهر الثلاثة للإسناد تتضافر لصناعة فلسفة إسلامية في نقل العلوم وتوريثها، ونقلها للأجيال، مع العناية البالغة بالتدقيق في نقل المصادر الشرعية على وجهها، مع نقل طرائق الفهم، ومناهج الاستنباط والتحليل، مع إيراد فهوم علماء الإسلام عبر الأعصار، والتي هي ثمرة تنزيل تلك المناهج على تلك المصادر.

أما سندُ الرواية فهو سلسلةُ الرواة الذين تناقلوا الكلام النبوي الشريف، ولأجله شُرِعَ الكلامُ في رواته جرحًا وتعديلًا، وابتكرت الأمةُ علومَ الاصطلاح.

فسند الرواية عندهم نقلٌ محضٌ، وتداولٌ للأقوال، والأفعال، والهيئات، المرويةِ عمن يحتج به في الشرع، وهو سلسلةُ الرجال التي تحملت تلك العلوم روايةً وسماعًا، فأدتها، فاشتُرِطَتْ في هؤلاء الرجال شروطٌ لائقةٌ بضبط النقل،

وضمان صحة الرواية، والتثبت من أنهم أدوا لفظ الحديث كما سمعوه، دون مناهج الفهم، وطرائق التحليل، ومسالك الاستنباط، فإنها ليست مما يشترطه أهل الرواية إلا في حدودٍ ضيقةٍ جدًا، عند التعارض والترجيح، وعند الرواية بالمعنى وما أشبه، فإنهم ربما التفتوا إلى فقه الراوي، وبصره بالمعاني.

قال الحافظُ الخطيب البغداديُّ في: (الكفاية): (ومن لم يروِ غيرَ حديثٍ أو حديثَين، ولم يُعرفْ بمجالسة العلماء، وكثرة الطلب، غير أنه ظاهرُ الصدق، مشهودٌ له بالعدالة، قُبِل حديثه، حرًّا كان أو عبدًا، وكذلك إن لم يكن من أهل العلم بمعنى ما روى لم يكن بذلك مجروحًا؛ لأنه ليس يؤخذ عنه فقه الحديث، وإنما يؤخذ منه لفظه، ويرجع في معناه إلى الفقهاء، فيجتهدون فيه بآرائهم)(١).

وأما سند الدراية فالأصل فيه أن نصوصَ الشرع قد نقلت مع طرائق فهمها، بل ما نشأت علومُ النقل إلا لتصحيح الرواية، وصونِ مصادر الشرع، ومن بعد استقرار قضية الثبوت تبدأ مرحلةٌ أخرى، وطور آخر، من خدمة الشرع الشريف، وهي مرحلةُ الفهم، والتحليل، وإدراك المقاصد الشرعية، واستخراج المضامين والمعاني الكامنة في تلك المرويات والنقول.

ومن أجل الفهم والتحليل أنشأَ علماءُ الإسلام أدوات أخرى، وحرروا مناهجَ علميةً دقيقةً ومنضبطةً، تضمن فهمًا معتبرًا لنصوص الشرع الشريف، وأبوا أن يُسَلِّموا لعالمٍ علمَه حتى يتخرج على عالمٍ معتبرٍ، يجالسه، ويباحثه، ويدارسه، ويتلقى عنه أصول الفهم، ويرث عنه الخلفيات، والمداخل، والتصورات الكلية للعلوم والقواعد، وكيفية تطبيق القواعد، وتنزيلها على

(١) الكفاية ١/٩٣.

فروعها وصورها الجزئية، إلى غير ذلك من الأدوات التي يمارس بها النظر، ويزاول بها الاستنباط.

ثم إن إسناد الرواية عندهم تحول عن كونه طريقةً من طرق تحمل الحديث وروايته، إلى اعتباره بابًا من أبواب التواصل بين طبقات الأمة، ومن ثم خرجوا به عن رواية الحديث إلى رواية الكتب والتآليف والمصنفات في مختلف علوم الشريعة، فيسوقون في أثباتهم أسانيدهم إلى القرآن الكريم، ثم إلى الدواوين الحديثية المعتبرة، ثم إلى كتب الفقه، والأصول، والكلام، والنحو، والبلاغة، والتفسير، وغير ذلك.

فلم يَعُد يُطْلَب عندهم للغرض نفسه الذي كان يطلبه من أجله الرواة والمحدثون في أزمانِ الرواية؛ وعليه فلا يجري عليه في زمننا ما كان يجري عليه في أزمانهم من معايير النقد، ومقاييس القبول والرد؛ لاختلاف المقصود منها، فصارت الرواية المتوارثة، التي استبقاها علماء الإسلام بعد زوال دواعي التدقيق والجرح والتعديل مسلكًا لربط الخالف بالسالف، وتوريث معنى دراسة العلم من داخل، وإيجاد معنى الانتماء بين أهل العلم ممن تأخر زمنهم، وبين أسلافهم ومتقدميهم من علماء الأمة.

فقد كان في زمن الرواية طريقة إثبات لنص حديثي من نصوص الشريعة المطهرة، فلابد فيه من التثبت، ومن الضبط والتحري اللازمين لصيانة نصوص الوحي الشريف. ولذا تراهم استقروا في إسناد الرواية على الإجازة، وهي نوع من أنواع سند الرواية، ثم إنهم رحمهم الله اختلفوا في أن الرواية بها جائزة أم لا، وهل يجوز العمل بالمروي بها أو لا يجوز؟

قال الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح في: (المقدمة): (ثم إن الذي استقر

عليه العمل، وقال به جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم: القول بتجويز الإجازة وإباحة الرواية بها) إلى أن قال: (ثم إنه كما تجوز الرواية بالإجازة يجب العمل بالمروي بها، خلافًا لمن قال من أهل الظاهر ومن تابعهم: إنه لا يجب العمل به، وإنه جار مجرى المرسل، وهذا باطل؛ لأنه ليس في الإجازة ما يقدح في اتصال المنقول بها وفي الثقة به).

حتى أفرد الحافظُ أبو المظفر منصور بن سليم الهمداني السكندري ت٦٧٣هـ جزء محررًا في الإجازة، وكلام العلماء فيها، وهو مطبوع في الجزء العاشر من سلسلة: (لقاء العشر الأواخر).

قلتُ: فهذا من أهل الفنِّ تدقيقٌ في طريقٍ من طرق تحمُّل الحديث، ونقل الشرع الشريف، فلابد فيها من احتياطٍ وتحفظ، مثلها في ذلك مثل السماع والعرض على الشيخ، وبانتهاء عصور الرواية لم تعد الإجازة كذلك؛ بل جعلها العلماء وسيلةً لربط أهل كلِّ زمانٍ بمن سبقهم من العلماء في كلِّ فن، بما تحدثه في نفس المجاز من ارتباطٍ وانتماءٍ إلى علماء الأمة، فتبعثه على كمال التواصل العلمي، والسير على النهج.

ثم إنهم فرقوا بين إسناد الرواية الذي تكلمنا عنه، وبين إسناد الدراية، المفضي إلى إجازة التدريس، والتي هي إذنٌ للطالب بالتصدر والإقراء، فهذه لابد فيها من احتياط آخر؛ خشية أن يتهجم على تعليم العلم من لم يستكمل الآلة، أو من يتسور مقام العلماء تقحمًا من غير أهلية إلا شهوة التصدر، فشدد فيها العلماء، واشترطوا فيها قراءة الكتاب الذي يجاز به الطالب كاملا، وأن يمتحن فيه، ثم يجاز بتعليمه، وهذا أمرٌ مغايرٌ لإجازة الرواية التي نتكلم عنها.

ومن المهمات التي ينبغي التنبيه إليها هنا أن بعض الناس جعلوا إجازة الرواية مسوغًا يتوصلون به إلى الوظائف، والقيام بالمراتب العلمية من تدريسٍ وخطابة وما أشبه، مما هو منوطٌ بإجازة التدريس، التي يتمُّ فيها التنصيصُ على أنَّ الطالبَ حضر كتاب كذا وكذا على الشيخ، وأنه أتقنه، وأنه يصلح لتدريسه، فهذه التي يعوَّل عليها في القيام بالتراتيب التعليمية المختلفة، أما إجازةُ الرواية فلا تصلح لشيءٍ من ذلك، وقد نبه العلامةُ الإمامُ المسندُ محمد عبد الحي الكتاني ـ رحمه الله ـ لذلك، حيث حصل بعضُ الناس منه على إجازةٍ بروايةِ أسانيده، ثم تقدموا بها لنيل بعض الوظائف، فقال في: (فهرس الفهارس): (فقد أجزت لكثيرين إجازةً، قصدنا بها إباحة الرواية، فاستعملوها بمعنى الشهادة، وصاروا يُدْلُون بها للتصدير، وإنالة الوظائف، لأن هذا أغلب ما يعرف المغاربة من الإجازة ومعناها، وليس ما يريدونه ويقصدون ويفهمون منها هو المراد عند أهل هذا الشأن)[1].

والحاصل أن الإجازة في زمننا لم تعد تطلب للرواية، التي يعوّل عليها في القبول والرد، حتى نشترط فيها قراءة الكتب المجاز بها؛ لما أن تلك الكتب رويت وضبطت واستقرت واستفاضت، فلم يبق إلا أن نستبقي الإسناد، ونحفظه على هذه الأمة تبركًا به، وأن نبقي به الترابط بين طبقات علماء الأمة، عند استشعار كل واحد وإن تأخر زمانه أنه لا يزال يعيش العلم من داخل، وأن حبال العلوم موصولة، تربط المتأخر بالمتقدم.

قلت: وقد وقع هذا المعنى في ترجمة العلامة المحقق البارع الشيخ عبد الرحيم بن محمد الحنفي الكابلي الهندي المتوفى سنة ١١٣٥هـ، قال العلامة

---

(١) فهرس الفهارس والأثبات ١/٤٠٨.

المرادي في: (سلك الدرر) في ترجمته: (وحكى الكثير من تلامذته رؤيا غريبة وقعت له، وكان أحد الطلبة شرع عليه في قراءة شرح إيساغوجي في المنطق لشيخ الإسلام زكريا، ولم يكن المترجم اطلع عليه قبل ذلك، فلم تعجبه عباراته؛ لكون شيخ الإسلام أوضح العبارة فيه، ولم يسلك مسلك المحققين، فرأى في النوم كأنَّ القيامة قد قامت، وسيق الناس إلى المحشر، فلما وصل إلى أرضٍ فيحاء، رأى الناس واقفين صفوفًا، والنبي ﷺ واقف، والصفوف كلها متصلة به، قال: فسألت عن ذلك، فقيل لي: هؤلاء محدثون، يتصلون بمشايخهم إلى النبي ﷺ، فطلبت شيخًا لآخذ عنه، لأتصل بالنبي ﷺ، فقيل لي: هذا شيخ الإسلام زكريا يأخذ عنه، وكأنه واقف بالقرب مني، فتقدمت إليه، وقبلت يده وطلبت منه أن يجيزني بمروياته، ليتصل سندي بالنبي ﷺ، فأجازني كذلك، ووقفت إلى جانبه وأنا فرح، ثم استيقظت، وعلمت بهذه الرؤيا رفعة قدر شيخ الإسلام زكريا، وعلو رتبته في الآخرة رحمه الله تعالى)[١].

وليس المراد إرسال أسانيد الراوية عند المعاصرين عاريةً عن شروطٍ تنضبط بها؛ إذ لا بد لكلِّ فنٍّ من قيودٍ تحفظه على أهله، ومن هنا شاع عند أهل الشأن تقييد الإجازة بـ: (الشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر)، ودرجوا على هذه العبارة حتى غمضت على البعض، وقد بين فحواها العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في آخر: (دليل السالك، إلى موطأ الإمام مالك):

(١) سلك الدرر /٣/٩/، والقصة المذكورة أيضا في ثبت تلميذه الشيخ الكابلي: العلامة شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن الغزي ت١١٦٧هـ، المسمى: (لطائف المنة، في فوائد خدمة السنة)/ص٩٤/، ط: غراس، الكويت، سنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م، تحقيق: أبي يحي عبد الله الكندري.

وقد أجزتُه لكلِّ من طلبْ ... علم الحديث، ولشأنه انتسبْ
بشرطه المعلوم عند العُلَما ... وذا بيانه بشرحٍ نُظِمَا
وهو التثبُّت بما قد أشكلا ... ثم المراجعة فيما أعضلا
مع مشايخ العلوم المهرة ... لا غير، من حققه ومهره
ثم الرجوع في الحوادث إلى ... ما كان بالنقل يرى محصلا
وعدم الجواب في استفتاء ... إلا مع التحقيق للأشياء)

قال العلامة المسند الشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي الحسني في تقدمته على ثبت العلامة محمد الرابع الندوي، والمسمى: (بغية المتابع، في أسانيد الشيخ محمد الرابع): (وهي أعم من شروط الرواية كما ترى؛ إذ تشتمل شروط الإجازة للأهلية للتصدر للتدريس والفتوى، وشرط الإجازة بالرواية لكتاب الاعتماد على أصل صحيح، وكذا في الإجازة بالرواية عامة لجميع كتب الحديث وسائر العلوم)[١].

قلت: بل إنَّ بعضَ المتأخرين ممن عرفوا بالتثبت والتدقيق في هذا الشأن أمعن في مراعاة هذه العبارة، فذهب إلى وجوب تحصيل الطالب ما لابد منه من أدوات، وإلا صارت الإجازة باطلة لانتفاء شرطها!!

قال بذلك العلامةُ المقري أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التهامي البريري السلوي الرباطي ت١٣٢٦هـ، في إجازته للأستاذ العلامة محمد بن خليفة المدني والمسماة: (إتحاف ودود، بمقصد محمود)، نقل ذلك عنه

(١) بغية المتابع /ص٢٦/.

السيد محمد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس)[1]، قال أبو عبد الله السلوي المذكور: (ولا يخفى عليك أيها المحب، ما عليه غالب أهل الوقت، من الإقدام على قراءة الحديث، من غير تحصيل لأدواته، ولا أخذ عن أهله، وبعضهم يعتمد على إجازة شيخه، مع أن الاعتماد في ذلك على إجازة الشيوخ، مجردة عن تحصيل ما لا مندوحة عنه من الأدوات، ومعرفة مصطلح أهل هذا الشأن اغترارٌ وجهالةٌ، لتعليق المجيزين ذلك على الشرط المعتبر، عند أهل الحديث والأثر، وبالضرورة انتفاء المشروط بانتفاء شرطه....) إلى آخرِ عبارته.

وقد أعمل السلوي هذه القاعدة فضنَّ بالإجازة، حتى مال الكتانيُّ إلى أن الرجل لم يجز في حياته سواه هو ـ أعني: عبد الحي ـ ومحمد بن خليفة المدني.

قلت: والحاصل أن ذلك التحول في مدلول الإجازة ووظيفتها لم يقم على التفلت من شروط الرواية التي كانت عليها في السابق، بل أُهْمِلَتْ أمورٌ لم تعد تستخدم بعد استقرار علوم الحديث، وأضيفت أمورٌ بعد التوسع الذي طرأ على معناها، بحيث صارت رابطًا بين أجيال أهل العلم، فلا أقلَّ من أن يكون المجيز عالمًا بالمعنى الإجمالي للإجازة.

نقل الحافظُ السخاويُّ في: (فتح المغيث) عن ابن سيد الناس أنه قال: (فأقلُّ مراتب المجيز أن يكون عالمًا بمعنى الإجازة، العلم الإجمالي، من أنه روى شيئًا، وأن معنى إجازته لغيره: إذنه لذلك الغير في رواية ذلك الشيء عنه، بطريق الإجازة المعهودة من أهل هذا الشأن، لا العلم التفصيلي بما

(١) فهرس الفهارس /١/١٧٣.

روى، وبما يتعلق بأحكام الإجازة، وهذا العلم الإجمالي حاصل فيمن رأيناه من عوام الرواة، فإن انحط راو في الفهم عن هذه الدرجة ـ ولا إخال أحدًا ينحط عن إدراك هذا إذا عرف به ـ فلا أحسبه أهلًا لأن يتحمل عنه بإجازة ولا سماع، قال: وهذا الذي أشرت إليه من التوسع في الإجازة هو طريق الجمهور)، فعقب السخاوي على ذلك بقوله: (قلت: وما عداه من التشديد فهو مناف لما جوزت الإجازة له من بقاء السلسلة)[1].

قلت: قارن كلام الحافظ الشمس السخاوي هنا بما نقله القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب: (الإلماع)، عن الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ من أنه كان له شرط في الإجازة وهو: (أن يقابل الأصل بالفرع حتى كأنه هو، وأن يكون المجيز عالمًا بما يجيز، ثقة في دينه وروايته، معروفا بالعلم)[2]، لترى كيف كانت ثم كيف صارت، وقد شرط مالك نحو ذلك في المجاز، أن يكون من أهل العلم متسمًا به، حتى لا يضع العلم إلا عند أهله، وكان يكرهها لمن ليس من أهله، قلت: كأن مالكًا كان يراها باب تصدر، فلا بد فيها من تشديد حفظًا لحومة العلم.

وانظر كيف شرح الحافظ الخطيب البغدادي في: (الكفاية) وجهة الإمام مالك فقال: (يعني أن الرجل يحب أن يكون فقيه بلده، ومحدث عصره، من غير أن يقاسي عناء الطلب، ومشقة الرحلة، اتكالا على الإجازة)[3].

فهذا معنى قريب من إجازة التدريس التي قدمنا الكلام عليها، لا بد فيها من حزم يمنع المتنطعين من التصدر بغير حق، أما المعنى الذي استقرت

(١) فتح المغيث /٢/٢٨٥.

(٢) الإلماع /ص٩٥.

(٣) الكفاية /ص٣١٧.

عليه الإجازة فمغاير لذلك.

قال سماحةُ شيخنا العلامة الجليل، الإمام الشيخ علي جمعة في كتاب: (المدخل): (هذا المنهج ـ منهج توثيق المصدر ـ أثَّر تأثيرًا كبيرًا في عقلية المسلمين، وامتد ذلك التوثيق من المصدر (الكتاب والسنة) إلى الكتب التي ألفها الناس لخدمة هذا المصدر، ولذلك هناك علم اسمه: «علم الأثبات والمسانيد»، علم الأثبات: السند ينتهي إلى المؤلف وليس إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصبحنا إذا ما أردنا أن نقرأ كتابًا لا بد علينا أولًا أن نتوثق أن هذا الكتاب منسوب نسبة صحيحة إلى مؤلفه بالسند المتصل أيضًا.

ألف الشوكاني كتابًا ماتعًا سماه: «إتحاف الأكابر، بأسانيد الدفاتر»، وليست بأسانيد الأحاديث النبوية فقط، هذا أمر آخر في علم الحديث، لكن علم الحديث وعلم القراءات وما حدث فيه من توثيق أثر على عقلية المسلم، فأصبح طلب التوثيق ضروريًا في كل حياته، فأصبح هناك طلب لقضية أسانيد الدفاتر، وأصبح منهجا يتخذ، وأثر هذا حتى في شكل النقل، فلابد علينا من أن نحفظ الوسيلة والطريقة التي بها النقل، ومن هنا وضع العلماء الأثبات التي جمعت أسانيد العلوم كلها)[1].

أقول: هذا التحول الذي نتكلم عنه، والذي نتج من انقطاع زمن الرواية واستقرار الفن لم يحدث في الإجازة فقط؛ بل حصل في غير مسألة من مسائل علوم الحديث ينبغي أن تجمع وتدرس، فمنها مثلا: عدم استمرارهم في اشتراط العدالة والضبط في أهل الرواية من أهل العصور المتأخرة عن عصور الرواية إلى غير ذلك مما قد توسعتُ في رصده والكلام

(١) المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية /ص١٢.

عليه في كتاب: (إحياء علوم الحديث).

قال الإمامُ النوويُّ ـ رحمه الله تعالى ـ في: (التقريب) آخر النوع الثالث والعشرين: صفة من تقبل روايته وما يتعلق به، قال: (أعرض الناس هذه الأزمان عن اعتبار مجموع الشروط المذكورة، لكون المقصود صار إبقاءَ سلسلة الإسناد المختص بالأمة، فليعتبر ما يليق بالمقصود، وهو كونُ الشيخ مسلمًا بالغًا عاقلًا، غير متظاهر بفسق أو سخف، وبضبط بوجود سماعه، مثبتًا بخط غير متهم، وبروايته من أصل موافق لأصل شيخه، وقد قال نحو ما ذكرناه الحافظ البيهقي).

قلت: وقد اختلف أيضًا المقصود من الإجازة، فليعتبر فيها ما يليق بالمقصود، ومن طالع تراجم علماء الأمة من القرن الثامن إلى يوم الناس هذا ورأى تعاملهم مع الإجازة ومقاصدهم منها عرف ما أقول، حتى إن بعض المتأخرين ممن غاب عنه هذا التحول، ورجع إلى اشتراط أمور لم تعد مما يلائم الإجازة الآن، استغرب العلماء تصرفه، انظر مثال ذلك في ترجمة العلامة الكبير الشيخ المتفنن المقرئ محمد بن حسن بن محمد بن أحمد، جمال الدين بن بدر الدين الشافعي الأحمدي، ثم الخلوتي السمنودي الأزهري المعروف بالمنير، والمتوفى سنة تسع وتسعين وألف ومائة من الهجرة، فإنه عاد إلى اشتراط القراءة في كل كتاب يطلب أحد منه الإجازة فيه.

قال الحافظ مرتضى الزبيدي في: (المعجم المختص): (وقد أقرأ القرآن مدة وانتفع به الطلبة، وأقرأ الحديث، وفي الأواخر نبهت الطلبة على علو سنده، فأكثروا عنه الأخذ بمنزله، وكان صعبًا في الإجازة، لا يجيز أحدًا إلا إذا قرأ عليه الكتاب الذي يطلب فيه الإجازة بتمامه، ولا يرى الإجازة

المطلقة ولا المراسلة، حتى إن جماعة من طلبة بلدنا زبيد أرسلوا يطلبون منه الإجازة فلم يرض بذلك، وهذه الطريقة في مثل هذه الأزمان عسرةٌ)[١].

قلت: بل سبق العلماءُ قبل الحافظ المرتضى الزبيدي ـ رحمه الله تعالى ـ بقرون إلى التنصيص على عسر القراءة التفصيلية في شأن الراوية، قال العلامة الأصولي النحرير أمير بادشاه في: (تيسير التحرير): (ثم اختلف في جواز الرواية بالإجازة، «قيل بالمنع» وهو لجماعات من المحدثين والفقهاء والأصوليين، وإحدى الروايتين عن الشافعي، وقال القاضي حسين والماوردي: «لو جازت الإجازة لبطلت الرحلة»، والأصح الصحة للضرورة؛ إذ المنع قد يؤدي إلى تعطيل السنن، وانقطاع الأسانيد؛ إذ السماع والقراءة تفصيلا عزيز الوجود)[٢].

ونظيره في الأقدمين من المعسرين في التحديث كثير، من مشاهيرهم: المحدث الثقة: علي بن عثام بن علي العامري الكلابي الكوفي، أبو الحسن، نزيل نيسابور، قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: (قال الحاكم: «أديب، فقيه، حافظ، زاهد، واحد عصره، وكان لا يحدث إلا بعد الجهد، وأكثر ما حمل عنه الحكايات وأقاويله في الرجال»، وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء: «ما رأيت مثله في العسر في الحديث، وكان يقول: يجيء الرجل فيسأل، فإذا أخذ غلط، ويجيء الرجل فيأخذ، ثم يصحف، ويجيء الرجل فيأخذ ليماري، ويجيء الرجل فيأخذ ليباهي به، وليس عليَّ أن أعلم هؤلاء،

(١) المعجم المختص /ص٦٨٦/، وهو بنصه تقريبًا في تاريخ الجبرتي /٣/١٣٦/ في ترجمة العلامة محمد المنير السمنودي بعينه أيضًا، ولا تنس شدة اعتماد الجبرتي على شيخه المرتضى في مواد تراجمه.

(٢) تيسير التحرير /٣/٩٤/.

إلا رجل يجيء فيهتم لأمر دينه، فحينئذ لا يسعني أن أمنعه)[١].

قال السيد محمد رضا الجلالي: (والحاصل أنه قد لجأ علماءُ الإسلام كافةً إلى استخدام الإجازة، وتنافسوا فيها، وألفوا حولها، وافتخروا بها، واهتموا بعلو الطرق إلى كبار مشايخها، فكونوا بذلك إجماعًا عمليًّا على فائدتها، واستحسان استبقائها).

وقلَّ عالمٌ من علماء الإسلام إلا اعتنى بأسانيد مشايخه، وحصلها أو ألف فيها أو جمع له تلامذته معجمًا أو ثبتًا أو مشيخة.

ولم يزل العلماء على الترغيب في أن يحصل طالب العلم لنفسه سندًا يحصل له به الاتصال بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلماء الأمة، قال شيخ بعض مشايخي العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس والأثبات): (فائدة: قال الشيخ عبد الحق الدهلوي: أوصاني سيدي عبد الوهاب المتقي بأنه ينبغي للمحدث أن يختار لنفسه من الأسانيد التي حصلت له من مشايخه سندًا واحدًا يحفظه ليتصل به إلى سيد المرسلين وتعود بركته على حامله في الدنيا والآخرة)[٢].

قلت: ولقد تمسَّكَ أناسٌ بكلمةٍ لإمام نقاد الحديث، وشيخ المحدثين، الإمام شعبة بن الحجاج ـ رحمه الله تعالى ـ في شأن الإجازة، وظنوا أنها حكمٌ على الإجازة من حيث هي، غافلين عما كان ساريًا في أيامهم من أجواءٍ علمية، وأنماطٍ معرفية، تُردّ إليها تلك الأحكام، وتفهم كلماتهم ﷺ على ضوئها؛ إذ

(١) تهذيب التهذيب /٧/٣١٧/.

(٢) فهرس الفهارس /٢/٧٢٧/.

قال شعبة رحمه الله: (لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة)[1].

فهو يتحدث عن الإجازة في جوٍّ علميٍّ حديثيٍّ قائمٍ على السماع من لفظ الشيخ أو القراءة عليه، وعلى نقل النسخ الحديثية ومقابلتها على نُسَخ رواتها ومصنفيها، حتى تكون المسموعات مضبوطة مقيدة، وهذا هو المعقد الأعلى، الذي قامت عليه الحركة الحديثية، وهو الذي تعلقت به الهمم فوجدت لأجله الرحلة.

فلو أن الناس أقبلوا على الإجازة لاستعاضوا بها عن ذلك، ولتقاصرت الهمم عن السماع اكتفاء بالإجازة العامة، فكان شعبة ـ رحمه الله ـ حريصًا على حِفْظِ حِمَى أَهْلِ الحديث على تلك الصورة المتوارثة، والإجازةُ مقارنةً بذلك مخلةٌ بأركان البيئة الحديثية العريقة، فكأن شعبة يقارن بين الإجازة وبين ما كان شائعًا وقتها من سمت معروف لأهل الحديث وهو السماع، فشدد النكير على الإجازة الصارفةِ للهمم عن ذلك.

وأما في أزماننا، فقد انقطع السماع منذ قرون، وانصرفت الهمم عن التسامي إلى الرحلة ولقاء الشيوخ، حتى انقطع معنى الصحبة والتلمذة والمرافقة للعلماء أو كاد، ولم يَبْقَ من رسوم أهل الحديث إلا قليل، وصارت الإجازة دافعًا لكثير من الناس إلى الرحلة واللقاء والمكاتبة، وإحياء معانٍ حديثية كثيرة، فهي إذا قورنت بالموجود في زماننا كانت هي الباعث على الرحلة ولقاء العلماء.

وإذا كان الطالبُ نبيهًا فإنه يعبر بها إلى معرفة أخبار العلماء المذكورين

(١) ساقها السمعانيُّ بإسناده عن شعبة في: أدب الإملاء والاستملاء /ص١٠/، وانظر: مقدمة ابن الصلاح /ص١٥٢/، وتدريب الراوي /٢/١٤/.

في أسانيده طبقة من وراء طبقة، ويعرف مناهجهم وتصانيفهم واختياراتهم العلمية، فتنفتح له أبواب من العلم نفيسة، فلو بطلت الإجازة في زماننا لبطلت الرحلة، وعلى أهل العلم أن يُبَصّروا الطلبة إلى أنها ليست سوى مفتاح للتعرف إلى علماء الأمة، وفتح صفحات حياتهم ومعارفهم ومناهجهم وتآليفهم، لترجع على الناس بخير كثير، ونفع غزير.

فصل

في حال المسندين من المصريين

وأما أهل الإسناد خصوصًا من المصريين، فإن الديارَ المصريةَ لم تزل مُلتقى للغادي والرائح من أهل العلم، لما سبق ذكرُه من بزوغ نجمها، منتصف القرن السابع، بانتقال الخلافة إليها، ولأمرٍ آخر، خارج عن المزايا التي تبرز وتختفي، بِناءً على النشاطِ البشريِّ، أعني به: (عبقريةَ المكان) الذي تميزت به، فكانت مجمعَ القارات الثلاث، ومركزَ العالم القديم، وكانت العتبةَ التي ينتهي إليها المغربيُّ، فيَطْفر منها إلى أرض الحرمين الشريفين وما والاهما من بلاد المشرق الأقصى، فلا تزال أبدًا محطَّ رحالِ المشرقيِّ والمغربيِّ، وملتقى للغادين والرائحين من العلماء السائحين في ديار الإسلام، ما بين مشرقي مغرِّب، أو مغربي مشرِّق، فيحدث فيها من الاجتماع والمدارسة ما تناله أصداء الاشتهار والذيوع.

فكانت حركة العلماء في ديار أهل الإسلام ميسورة، حتى نشطت الرحلة عندهم، وتعددت أغراضها إلى نحو عشرين مقصدًا أو تزيد، أفردها بعضهم بالتأليف.

وقد ترتبت على ذلك آثارٌ علميةٌ في غاية الثراء والتراكم والإفادة، كيف وقد كنتَ ترى حينئذٍ في ديار أهل الإسلام (الرِّحالَ المُغِذَّةَ، والمطايا

المتموِّجة، ما بين شَرْقِ المعمورة وغربها، وشمالها وجنوبها، يرحل هذا ليأخذ عن ذاك، ويرحل ذاك ليأخذ عن هذا، مع بعد الشُّقَّةِ وغَوْل الطريق.

ويحمل كل واحد عن الآخر أسفارًا سمعها عليه، وقرأها قراءة تحقيق، إن طالت منه الملازمة للشيخ، فإن قصرت الملازمة رجع بنسخٍ تناولها، أو على الأقل بإجازة عامَّةٍ أو خاصَّةٍ أُعْطِيَها، مع فوائدَ أقلُّها: روايةُ شطْرِ بيتٍ، أو موعظةٍ، أو طرفةٍ، أو مشاهدةٌ ذاتُ بال)[1].

ولقد كانت مصر خصوصًا محطَّ الرحال، وموضع العلم والتعليم، فإذا دخلها أحدٌ من الأئمة والعلماء اشتهر أمره، قال العلامة الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثبته المسمى: (رياض الجنة): (والحال أننا رأينا أناسًا دخلوا لفاس مدةً قصيرةً، فاستجازهم الناس، ورووا عنهم، وبقي ذكرهم مخلدًا في الدفاتر، هذا ما نقوله عن فاس، فكيف بمصر والحجاز وغيرهما)[2].

قلت: وعليه فقد سَهُلَ على من أراد من أهلها أن ينهض لجمع أسانيد هؤلاء وأولئك، وأن يظفر برواية واسعة، وأسانيد متشعبة، موصولة بالأكابر من أرباب الفنون العلمية المختلفة، في شتى ديار أهل الإسلام.

وتيسر أيضًا لمن نزل مصر أن تجتمعَ له الأسانيدُ المغربية والمشرقية، وأن يدرك العوالي من كبار المسندين العابرين أو النازلين بأرضها، وانظر

(١) مقتبسة بحروفها من كلمة للعلامة الفاضل المحقق المتفنن أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، في تقدمته للسفر الأول من الشروح والتعليقات على كتب الأحكام لعبد الحق الإشبيلي /ص٥١/، وقد استحسنها شيخ مشايخي العلامة المحدث عبد الفتاح أبو غدة، فنقلها بحروفها في كتابه الماتع: صفحات من صبر العلماء /ص٣٥٧/.

(٢) رياض الجنة /ص٢٠٣/.

مثلا ترجمة العلامة محمد التاودي بن الطالب سودة الفاسي ت١٢٠٧هـ، وكيف أنه رحل إلى المشرق حاجًّا، فنزل مصر، فلما أن تسامع به علماؤها اجتمعوا عليه، ودعوه للتدريس، فجلس لتدريس الموطأ في الجامع الأزهر الشريف، فحضره أعيان المذاهب الأربعة، وكبار شيوخ مصر وعلماؤها، وبرز ذكره في أثباتهم، ومعاجم مروياتهم.

قال العلامة السيد: عبد الحفيظ الفاسي في: (رياض الجنة): (وقد رحل إلى المشرقِ من المغرب جماعةٌ، فاهتبل أهلُ المشرق بهم، ورووا عنهم، وذكروهم في فهارسهم، وتواريخهم، وهم كثيرون)[1].

قلت: والديارُ المصريةُ أبرزُ ديار المشرق في هذا المعنى، فكانت الديار المصرية ـ خصوصًا ـ أبرزَ مكانٍ تمتزج فيه أسانيد المشارقة والمغاربة، وهذا الامتزاج هو الذي يصنع الرابطة العلمية بين أبناء الأمة، ليحدث سريانٌ في المعارف والعلوم.

وهذا ملحظٌ مهمٌّ، وهو التشابك العجيب الحاصل في أسانيد علماء الأمة؛ إذ تمتزج أسانيد الحجازيين، والمصريين، والشاميين، والمغاربة، والهنود، وغيرهم من علماء الأقطار المختلفة، فلا تزال تلتقي وتفترق، وتتداخل وتمتزج، بحيث يقتضيك العجب إن ذهبت تستقصي حركة أسانيد علماء الأمة، كيف تصعد وتهبط، وتنشعب وتلتقي، وتمتزج وتفترق.

والسبب المحرك لذلك هو الرحيل، والانتقال، والسفر، والسياحة، للأغراض المتنوعة، من طلب للعلم، وسفر للحج، وغير ذلك من الأغراض.

وهذا هو العلامة محمد بن محمد الأمير الكبير، مسند مصر في زمانه،

(١) رياض الجنة /ص٢٠٣/.

يروي في: ثبته الأشهر: (سد الأرب) والذي عليه مدار رواية المصريين في زمانه، يروي فيه عن عشرة من الشيوخ، منهم اثنان من المغاربة، وإذا ارتقيت إلى مشايخه رأيت في مشايخهم وفي تلامذتهم من المشارقة والمغاربة عددًا، على نحو من التداخل عجيب.

وهذا هو العلامة السيد عبد الحي الكتاني مسند المغرب في زمانه، يروي في: (فهرس الفهارس) عن الحجازيين، والمصريين، والشاميين، واليمنيين، والهنود، والأتراك، والعراقيين، فضلًا عن المغاربة، وهذا التنوع والكثرة في مشايخه هو الذي جعله مسند المغرب بل والدنيا في زمانه، وأكسب الديار المغربية شهرة بهذا الفن، لما أنه هو بنفسه صار مقصدًا يطلب، فيرحل إليه، وتأتيه المكاتبات من أقطار الدنيا تطلب أسانيده.

قال العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري: (كانت أسانيدُ علماء دار الخلافة في علوم التفسير، والحديث، والفقه، والأصلين، والعلوم العربية متشابكة مع أسانيد علماء الحجاز، ومصر، وحلب، والعراق، والبلاد المغربية، لكثرة التواصل بين علمائها برحلاتهم، إما طلبًا للعلم أو نشرًا له)(١).

وهذا ملحظ دقيق من العلامة الكوثري؛ فإن الالتفات إلى ذلك التداخل الواقع في الأسانيد من شأنه أن يفضي إلى الكشف عن ظواهر علمية عجيبة في حركة العلم في الأقطار، وتداخل مناهج علماء الأمصار في التعليم والتفقيه، مع بقاء فوارق وخصائص لكل مدرسة علمية.

ثم إنَّ العلامة المسند السيد سالم بن جندان باعلوي ـ رحمه الله تعالى ـ قد أخذ هذا المعنى الجليل من العلامة الكوثريِّ ـ رحمه الله تعالى ـ،

(١) مقالات الكوثري /ص٥٧٢.

فنزَّله على علماء حضرموت، من الأئمة السادة الأشراف آل باعلوي، زينة تلك الديار وبهجتها، بل بهجة الدنيا بما فيها، فقال في ثبته المسمى: (روضة الولدان): (وكانت أسانيد أسلافنا العلويين، وعلماء حضرموت في علوم التفسير، والحديث، والفقه، والعلوم العربية، متشابكةً مع أسانيد علماء الحجاز، واليمن، ومصر، والشام، والعراق، وبلاد المغرب، وأفريقية، والهند، وجاوة، لكثرة التواصل بين علمائها برحلاتهم، إما طلبًا للعلم أو نشرًا له)(١).

قلت: وأنا أنسج على غرار كلام هذين الشيخين، وأنزِّل هذا الكلام على أهل مصر، فأقول: وكانت أسانيد المصريين في علوم التفسير، والحديث، والفقه، والأصلين، والعلوم العربية، وغيرها من العلوم، متشابكةً مع أسانيد علماء الشام، والعراق، والهند، والحجاز، واليمن، وتركيا، والمغرب الأقصى، وبلاد التكرور، وسائر الأقطار، لكثرة وفود العلماء إليها، ومرورهم بأراضيها عند ذهابهم إلى الحج، ولكثرة مدارسها، وعلمائها، وانتشار العلم بها، ولكونها مركزَ العالم القديم، فكانت محطَّ الرحال، ومنتهى الآمال، فامتزجت فيها أسانيد المشارقة بالمغاربة، لكثرة العلماء النازلين بأرضها، وكثرة التواصل بين علمائها، إما طلبًا للعلم، أو نشرًا له.

قال العلامة السيد عبد الحيِّ الكتانيُّ في: (فهرس الفهارس): (وبما تطلع عليه من ارتباط أسانيد المغاربة بالمشارقة، وتعويل الآخرين على الأولين في ميدان المكافحة والمسابقة، وتصدير المشارقة عند رواياتهم بأيمة المغرب، وتطاول أعلام المغرب وافتخارهم بالأخذ عن فطاحلة المشرق،

(١) روضة الولدان، في أسانيد سالم بن جندان /٩/١/ مخطوط.

تعلم ما كان بين المسلمين قديمًا من سنيّ الاتصالات، ووافر الروابط وكبير الصلات، وجعل لكل تقليد جيده بعد الحج والزيارة، بواسع الرواية والتعزز بعز الإجازة، أفخر المقاصد وأبهجها، وأوسع المتاجر وأربحها، مما يبرهن لك عن مقدار تقدمهم وارتقائهم، وكبير عزهم وعظيم استغنائهم.

فلما انحلت روابطهم، وتشتت جامعتهم، ونسوا أو تناسوا دينهم ودنياهم، أفل نجمهم، وكسفت شمسهم، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1]، ونطلب الله أن يحيي ما مات، ويخلف علينا ما فات)[2].

قلت: وقد برز من أهل مصر الأفذاذُ المتضلعون في العلوم النقلية والفنون الحديثية، ممن يُعتبرون أساطينَ الرواية، وأراكينَ الأسانيد، فكانوا هم بذواتهم مقاصدَ تُشدُّ إليها رحال الراغبين، من أمثال: أبي محمد التجيبي المصري، عبد الرحمن بن محمد البزار المعروف بابن النحاس ت٤١٦هـ، فقد وصفه الذهبي بمسند الديار المصرية، وقد هم الخطيب البغدادي بالرحلة إليه، فلم يُقْضَ له بذلك، والحافظ المنذري ت٦٥٦هـ، والحافظ الدمياطي ت ٧٠٥هـ، وابن دقيق العيد ت٧٠٢هـ، وأبي الفتح الميدومي ت٧٤٥هـ، وشيخ الإسلام ابن حجر ت٨٥٢هـ، والعز عبد الرحيم بن الفرات، وشمس الدين السخاوي ت٩٠٢هـ، وجلال الدين السيوطي ت٩١١هـ وأسانيده في: (زاد المسير)، وفي: (المنجم، في المعجم)، وشيخ الإسلام زكريا ت٩٢٦هـ، وجمال الدين القلقشندي، وأبي الفتح محمد بن أبي الحسن المزي الإسكندري،

(١) سورة الأحزاب، آية ٦٢.

(٢) فهرس الفهارس /١/٥٣/.

والمرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ وأسانيده في أثباته المتعددة، وعبد الله بن عامر الشبراوي ١١٧١هـ وثبته من أشهر أثبات المصريين، وعبد الله بن حجازي الشرقاوي، ١٢٢٧هـ وثبته مشهور، ومحمد بن علي الشنواني ت يوم الأربعاء ١٤ من شهر المحرم سنة ١٢٣٣هـ وثبته مخطوط، وأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري ت ١١٩٢هـ وثبته مخطوط، ومسند وقته أحمد بن حسن الجوهري، ومحمد الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ وثبته مدار أسانيد المصريين، وغيرهم كثير جدًّا.

وشيئًا فشيئًا جعلت الأسانيد على كثرتها وتفرعها تدور في فلك هؤلاء الأئمة، والأعلام، والمسندين المصريين، حتى قال العلامة الشاه وليُّ الله الدهلويُّ الفاروقيُّ في كتاب: (إتحاف النبيه): (حصل بالاستقراء التامِّ بأنه انقطع سلسلةُ أسانيد الحديث إلا من المصريين، وأعني بهم: الشيخ زين الدين زكريا، وشمس الدين السخاوي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وطبقة هؤلاء، عن آخرين من المصريين، أعني بهم: الحافظ ابن حجر، وابن الفرات وطبقتهما، عن آخرين من المصريين والشوام، أعني التنوخي، والصلاح ابن عمر وطبقتهما، عن آخرين من الشوام والبغداديين، أعني بهم: الفخر بن البخاري، والسلفي وأمثالهم، عن المصنفين الحفاظ، والمسندين الثقات، ومن طلب غير هذا الطريق لا يحصل أبدًا)[1].

قلت: وقد استمرَّ الحالُ كذلك في الطبقات التالية لهؤلاء المذكورين، فارجع إلى ترجمة العلامة الحافظ المرتضى الزبيدي لترى عجبًا من العجب، من مكاتبة الناس له من الأقطار البعيدة، والبلدان النائية، قال الجبرتي

(١) إتحاف النبيه، فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه /ص١٣٨/، ط: المكتبة السلفية، لاهور، ١٤٢٤هـ.

ـ رحمه الله تعالى ـ في تاريخه: (وطار ذكره في الآفاق، وكاتبه ملوك النواحي من الترك، والحجاز، والهند، والشام، والبصرة، والعراق، وملوك المغرب، والسودان، وفزان، والجزائر، والبلاد البعيدة، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية... إلخ).

قلت: مما ينبني عليه أن تشيعَ روايته في تلك البقاع، وأن تدورَ أسانيدُ أهلِ تلك النواحي على أسانيده ومروياته، لاسيما وقد كان من مقاصد الحافظ مرتضى الزبيدي إشاعة الأسانيد في البلدان والأقطار النائية، فقد قال في إجازته للعلامة أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي السكتاني السوسي ثم التونسي: (فأجبته إلى ذلك المقصد الأسنى، والمطلب الأسمى، ليكون عنده تلك الأسانيد عُدّة كاملة في نشر علوم السنة في ذلك الإقليم الإفريقي الغاص بالعلماء).

وأقول: ولذا فقد كان يمكنك أن تجمع ما لا حصر له من الأسانيد المصرية الخالصة، وأن تجدَ في كلِّ زاوية وركن، وفي كلِّ قرية وناحية من العلماء من جاور في الأزهر الشريف، وتخرج بشيوخه، وروى عنهم، وورث أسانيدهم، ثم انصرف إلى دياره لنشر العلم، والقيام على توجيه الناس وتبصيرهم والأخذ بأيديهم.

ثم تناقص هذا الشأنُ بعدُ، وذهبت الأسانيدُ العوالي، بل بهتت أسانيدُ المصريين أصلًا، وهنا بالأمس القريب رحل السيد عبد الله الصديق الغماري إلى قرية: (تلا) بالمنوفية، فلقي العلامة المعمر محمد دويدار الكفراوي ت١٣٦١هـ الذي يروي مباشرة عن العلامة الكبير شيخ الإسلام البرهان إبراهيم الباجوري شيخ الجامع الأزهر ـ رحمه الله تعالى ـ وجماعة.

وبعده ظفر العلامة السيد محمد علوي المالكي ـ كما حدثني ـ بالعلامة الشيخ محمد عبد الله إبراهيم العاقوري، المعمر مائةً وأربعين سنة، وهو تلميذ العلامة البرهان الباجوري وخادمه.

وبعده ظفر الفقيرُ كاتب هذه السطور في أنحاء مصر ـ حفظها الله ورعاها وحماها ـ بجماعاتٍ من أعيان المصريين، ترجمت لهم هنا في هذا الكتاب، ولا تزال في الزوايا خبايا، بل لقد رويتُ واستجزتُ من جماعةٍ من المصريين، يزيدون على الأربعين نَفْسًا، تدور أسانيدهم ورواياتهم جميعًا على طبقة من المشارقة والمغاربة، من أمثال السادة الغماريين، والفاداني، وعبد الحي الكتاني، وحبيب الله الشنقيطي، والكوثري، وأبي النصر القاوقجي، وأضرابهم، مع أفراد من المصريين، من أمثال الحافظ التيجاني، ومحمد مصطفى أبو العلا، وعبد الوهاب عبد اللطيف، ومحمد محمد السماحي، ومحمد محمد أبو شهبة، ومحمد عبد الوهاب البحيري، وغيرهم.

والمذكورون جميعًا عن طبقة من المصريين من أمثال: محمد بخيت المطيعي، ويوسف الدجوي، وأحمد رافع الطهطاوي، ومحمد إبراهيم السمالوطي، ومحمد بن سالم الشرقاوي النجدي، وتوفيق البكري، وأضرابهم.

والمذكورون جميعًا عن طبقة من المصريين من أمثال شيخ الإسلام الشمس الأنبابي، والعلامة محمد أحمد عليش، والبرهان السقا، وعبد الرحمن الشربيني، وأضرابهم.

وهؤلاء جميعًا عن جماعة من المصريين من أمثال الأمير الصغير، والبرهان الباجوري، وأحمد منة الله، وغيرهم، وهؤلاء جميعًا عن طبقة من المصريين من أمثال الأمير الكبير وأقرانه، ثم تستفيض أسانيد المصريين من

لدن الأمير الكبير وطبقته، ودونك كتاب: (المعجم المختص) للحافظ مرتضى الزبيدي، وهو معاصر للأمير الكبير، فقد أورد ما يزيد على ستمائة ترجمة، أكثرهم من المصريين، ما بين شباب وشيوخ، مما يصور لك طبيعة الحركة العلمية في مصر في تلك الحقبة.

هذا وللكمال الأُدفوي جعفر بن تغلب الشافعي المتوفى سنة ٧٤٨هـ أبياتٌ مشهورةٌ، ينعي فيها على العلوم في مصر ولا سيما الحديث، ويعيب طريقةَ المسندين والمشتغلين بهذا الفن من المصريين.

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في: (الدرر الكامنة): (أنشدنا أبو الخير ابن أبي سعيد كتابة: أنشدنا الفاضل كمال الدين الأُدفوي لنفسه:

إن الدروس بمصرنا في عصرنا ... طبعت على لغطٍ وفرطِ عياطِ
ومباحثٍ لا تنتهي لنهايةٍ ... جدلا، ونقلِ ظاهرِ الأغلاط
ومدرسٍ يبدى مباحثَ كلَّها ... نشأت عن التخليط والإخلاط
ومحدِّثٍ قد صار غاية علمه ... أجزاء يرويها عن الدمياطي
وفلانة تروى حديثًا عاليًا ... وفلان يروى ذاك عن أسباط
والفرق بين غريرهم وغزيرهم ... وافصح عن الخياط والحناط
والفاضل النحرير فيهم دأبه ... قول الأرسطاليس أو بقراط
وعلومُ دينِ الله نادت جهرةً ... هذا زمانٌ فيه طيُّ بِساطي
ولَّى زماني، وانقضت أوقاته ... وذهابه من جملة الأشراط[١]

(١) الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة /٢/٨٥.

وأقول: لا يغرنك هذا؛ إذ ليست الأمور المذكورة من الإشكالات الواردة على أهل الحديث والرواية مما تختص به مصر وحدها، بل هي آفاتٌ تبتلى بها فئات من أهل الحديث، يَذْهُلون عن مقاصد هذا الفن الشريف، وينفقون أعمارهم في تلك الأمور، التي هي قشور، وقد سبق إلى التحذير من هذه القشور غير واحد، حتى جعلها ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ من تلبيس إبليس على المحدثين، وأنت ترى كلامه في ذلك في كتابه المشهور: (تلبيس إبليس)، وقال الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح: (قلت: أنشدني أبو المظفر ابن الحافظ أبي سعد السمعاني ـ رحمه الله تعالى ـ لفظًا بمدينة مرو قال: أنشدنا والدي ـ لفظًا، أو قراءة عليه ـ قال: أنشدنا محمد بن ناصر السلامي من لفظه قال: أنشدنا الأديب الفاضل فارس بن الحسين لنفسه:

يا طالب العلم الذي ... ذهبت بمدته الرواية
كن في الرواية ذا العنا ... ية بالرواية والدراية
وارو القليل وراعِهِ ... فالعلم ليس له نهاية)[١]

قلتُ: ولقد علمتُ بعد تأملٍ وتفتيش من أين سرى هذا النَفَسُ النقديُّ إلى الكمال الأُدفوي ـ رحمه الله تعالى ـ، فإنه أخذه من جملةِ كلامٍ لشيخه العلامة الشيخ أبي حيان الأندلسي ـ رحمه الله ـ، لا سيما وقد نص الحافظ ابن حجر في: (الدرر الكامنة) في ترجمة الأُدفوي أنه: (تأدب بجماعة منهم أبوحيان، وحمل عنه كثيرًا)[٢].

وقد كان أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ يرى أن الطبيعةَ العلميةَ للبيئةِ

(١) مقدمة ابن الصلاح /ص٢٥٠.
(٢) الدرر الكامنة/٢/٨٥.

الحديثيةِ في مصر أقلُّ انضباطًا من البيئة الحديثية في الأندلس، وإليك نصَّ كلامه، الذي ما زاد الأُدفوي ـ رحمه الله ـ على أن نظمه شعرًا، فقد نقل عنه الإمام البدر الزركشي في: (النكت على ابن الصلاح) قال: (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان ـ وقد كان من أئمة هذا الشأن رواية ودراية ـ: ولقد سلك أهل هذه البلاد ـ يقصد: مصر ـ في سماع الحديث طريقًا، غير الطريق التي سلكها أهل الأندلس، من سماعهم على: العوام الجاهلين ما يقرأ عليهم، وعلى الفساق، والمتظاهرين بالفسق، ويسمعون بقراءة اللحانين الذين لا يقيمون الإعراب، فيدخلون في حديث: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

وأما نحن في بلادنا، فلا نسمع الحديث ولا نرويه إلا عن أهل العلم والعدالة، وبقراءة المعربين، ولا يحضر الأطفال السماع حتى يكون الشخص منهم يعقل ما يسمع، ويفهم أكثره، وكل مشتغل بعلم من العلوم، فلا بد أن يتحقق به، أو يكثر منه، إلا أهل الحديث، فإن أكثرهم عوام، ولم يمثل أحد منهم بين يدي: عالم، ولا مقرئ، ولا نحوي، ولا لغوي، ولا أديب، ولا عروضي، ولا فقيه، ولا أصولي.

إنما ينشأ الواحد منهم وقد علم الخط من الكتاب، فيعلقه عامي مثله بسماع الحديث، وتطول قراءته بحيث يحصل له أنه إذا قال: قال رسول الله ﷺ يقوله بالرفع، وإذا قال: (إن) فيقول: (رسول الله) بالنصب، من كثرة ما يرد له ذلك في قراءة الحديث.

فإذا أكثر من السماع لحقه من الزهو والكبر ما جعله يعلو به على الأفاضل والعلماء، وصار له تمييز على الصبيان الذين يسمعهم، وأكثر علمه

أن يعرف أن الجزء الفلاني يرويه الشيخ العامي فلان، وأن (موفقية) مثلًا انفردت بالسماع عن الثقات، وابن دينار، وأن فخر الدين ابن البخاري آخر من حدث بالإجازة عن أبي طالب الخشوعي، ونحو ذلك، من غير حفظ لإسناد ولا متن، ولا بحث في مشكل، والفاضل منهم، الكبير القدر، هو الذي يفرق بين بعض ما يشكل، كعيينة وعتيبة، وبريد ويزيد.

وهيهات، ليس علم الحديث هذا فقط، ألا ترى إلى محدثي الصدر الأول كيف كانوا في مفاوتهم، كسفيان الثوري، والأوزاعي، وشعبة بن الحجاج، ويحيى بن معين وأنظارهم.

وبعد هذا كله، فإنا لما وردنا مصر وجدناهم يروون عن كل من دب ودرج، فسلكنا مسلكهم، وانتظمنا في سلكهم، فسمعنا على من سمعوا، وروينا عمن رووا، ويقال: (إذا كنت في قوم عور فغمض عينك حتى تعد أعور)، وقد أنشدني أبو الحسن علي بن إبراهيم السيحاني لنفسه:

إن الذي يــــــروي ولكنـــــــه	يجهـل مـا يـروي ومـا يكتـب
كصـــــخرة تنبـــع أمواههـــا	تروي الأراضي وهي لا تشـرب)[1]

قلت: فإذا ما طابقتَ كلامه هذا بكلام الأُدفويِّ، علمتَ أنَّه هو هو، وأنَّ الأُدفويَّ ما زاد على أن نظمه، ثم إني أقول: أما نعيه على أهل الحديث انشغالهم برواية العوام، وبرواية ابن البخاري، وموفقية، وما أشبه من أسانيد المتأخرين، والتلهي بذلك عن الأصول العريقة للصنعة الحديثية، المفضية بصاحبها إلى التمهر في نقد الرجال، وسبر الطرق، والإحاطة

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح /ص٣٠/.

بمسالك الجرح والتعديل، ومعرفة العلل، وطرائق الحفاظ في نقد الحديث، فهو آفة عامة، يبتلى بها بعض أهل الصنعة في مصر وفي الشام وفي المغرب الأقصى، وفي سائر أقطار الإسلام كما أسلفنا.

وأقول أيضًا: قد توقفت طويلًا أمام كلام أبي حيان أتأمله، وأستكشف ما وراءه، من خصائص البيئة الإسنادية الحديثية، في هذين القطرين العظيمين من أقطار الإسلام، ولا تزال تحضرني شذراتٌ من هنا وهناك عن طبيعة البيئة الحديثية في المشرق، وما يناظرها في المغرب في تلك الفترة، فلا أزال أرى في الديار المشرقية استبقاءًا لمظاهر الدرس الحديثي ومعالمه، وآدابه المرسومة، على حين أنه بدأ يخفت في المغرب في نفس الحقبة، حتى لقد سبقت الديارُ المغربيةُ الديارَ المشرقية بزمانٍ في ذهاب دولة الحديث الشريف، وانقراض أهله.

قال ابن خلدون في: (المقدمة): (وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه، بل أسواقه نافقة، وبحوره زاخرة، لاتصال العمران الموفور، واتصال السند فيه، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت، مثل بغداد والبصرة والكوفة، إلا أن الله تعالى قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك، وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق، ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب، فلم تزل موفورة، وعمرانها متصلًا، وسند التعليم بها قائما، فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم، وفي سائر الصنائع)[1].

وقال الحافظ الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (تذكرة الحفاظ): (وقد قلَّ

(١) مقدمة ابن خلدون /ص٤٣٢/.

من يعتني بالآثار ومعرفتها في هذا الوقت، في مشارق الأرض ومغاربها على رأس السبعمائة، أما المشرق وأقاليمه فغلق الباب وانقطع الخطاب والله المستعان، وأما المغرب وما بقي من جزيرة الأندلس فيندر من يعتني بالرواية كما ينبغي فضلًا عن الدراية)[1]، فقد جرد المغرب من الرواية والدراية أصلًا، خلافًا لزعم أبي حيان، وإن كان الذهبي مشرقيًّا فإن ابن خلدون مغربيٌّ، يخبر أحوال المغرب ويعرفه ويدريه.

قال العلامة السيد عبد الحي الكتاني ـ وهو خبير بحال الحديث الشريف في المغرب ـ قال في: (فهرس الفهارس): (فكيف يكون حال أبي سالم العياشي الذي يقول أول: «سالك الهداية» في أهل هذا الشأن: شغر منهم الزمان، وخلت منهم الأوطان، واتخذ الناس رؤوسًا جهالا، وأفتوا بغير علم استسهالًا، وتلقوا العلم من بطون الصحف تقليدًا، وصار المتثبت بالرواية بينهم بليدًا اهـ.

قال أبو سالم: لكن طائفة من الأئمة، وشِرذمة قليلة من علماء الأمة، تفرقوا شذر مذر، ما بين بدو وحضر، لم يزالوا متمسكين بذلك، مهتبلين بما هنالك، والمشارقة أشد اعتناء بذلك من المغاربة، وإن كان لهم بالأمر بعض المقاربة. اهـ، وهو من أهل المائة الحادية عشرة فكيف يكون الحال وسط القرن الرابع عشر)[2].

وقال العلامة عبد الحفيظ بن محمد الفاسي في: (رياض الجنة): (ومعلوم أن أهل المشرق لهم عناية بالرواية والإجازة أكثر من أهل المغرب)[3].

(١) تذكرة الحفاظ /١٤٨٤/٤/.
(٢) فهرس الفهارس والأثبات /٥٦/١/.
(٣) رياض الجنة /٢٠٣/٢/.

قلت: نعم، لا تعدم أوقاتًا تعمر فيها مجالس الحديث هنا تارة وهناك أخرى، وعلى كل فإن هذا كله غيرُ كافٍ في التعرف إلى معالم المدارس الحديثية المشرقية والمغربية، فلا تزال تلك الفترة في حاجة إلى بحوث موسعة ترصد التغيرات التي طرأت على البيئة الحديثية في الموضعين.

ونعم أيضًا، كأن الأسانيد المصريةَ الخالصةَ، المسلسلةَ برواية مصريٍّ عن مصريٍّ كانت قليلةً في الصدر الأول، أيام عصور الرواية، حتى إن الإمام المحيوي النوويَّ ـ رحمه الله تعالى ـ قال في: (شرح صحيح مسلم): (وهذان الإسنادان كلهم مصريون، أئمة جلة، وهذا من عزيز الأسانيد في مسلم بل في غيره، فإن اتفاق جميع الرواة في كونهم مصريين في غاية القلة، ويزداد قلة باعتبار الجلالة)[1].

وقال البدر العيني ـ رحمه الله تعالى ـ في: (عمدة القاري): (ومنها أن رواته كلهم مصريون، وهذا من الغرائب؛ لأنه في غاية القلة، ومنها أن رواته كلهم أئمة أجلاء)[2].

وقد نصَّ على ذلك أيضًا الحافظ الخطيب البغدادي، قال ـ رحمه الله تعالى ـ في: (الجامع): (مخارج السنن: أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة؛ فإن التدليس عنهم قليل، والكذب ووضع الحديث عندهم عزيز، ولأهل اليمن روايات جيدة، وطرق صحيحة، إلا أنها قليلة، ومرجعها إلى أهل الحجاز أيضًا، وأما أهل البصرة فلهم من السنن الثابتة، بالأسانيد الواضحة، ما ليس لغيرهم، مع إكثارهم، وانتشار رواياتهم، والكوفيون

(١) شرح صحيح مسلم /١١/٢/١.
(٢) عمدة القاري /١٣٧/١/١.

كالبصريين في الكثرة، غير أن رواياتهم كثيرة الدغل، قليلة السلامة من العلل.

وحديث الشاميين أكثره مراسيل ومقاطيع، وما اتصل منه مما أسنده الثقات فإنه صالحٌ، والغالب عليه ما يتعلق بالمواعظ، وأحاديث الرغائب، وللمصريين روايات مستقيمة، إلا أنها ليست بالكثيرة)[1].

والحاصل أن الديار المصرية لم تزل مأهولةً بالفقهاء والأصوليين، والمحدثين والمفسرين، والنحاة والمؤرخين وغيرهم، لكن على تفاوت في شيوع بعض العلوم، وظهور بعضِها ظهورًا غالبًا، وسريان بعضها الآخر سريانًا هادئًا، غيرَ متدفقٍ ولا هادرٍ ـ كما هو شأن غيره من العلوم ـ حينًا آخر.

وبالنسبة لعلوم الإسناد فما زالت مصرُ مرجعًا لأهل ذلك الفن، حتى سطعت شمس الإمام الحافظ، العلامة السيد: محمد مرتضى الزبيدي، مسند الدنيا في زمانه، ثم برز فيها من المتأخرين مسند الدنيا العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي ثم انتقلت الراية إلى مسند الدنيا، الإمام السيد: محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في المغرب، ومنه إلى مسند الدنيا، الإمام العلامة محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني في أرض الحجاز.

(١) الجامع، لأخلاق الراوي وآداب السامع /٢٨٨/٢/٠.

فصل

وكنت قد جمعت مؤلفًا مستقلًا سميته: **(مَنْ لُقِّبَ بمُسْنِدِ الدُّنْيَا، ومعنى ذلك اللقب)**، وأنا أسوقه هنا كاملًا ليستفاد، فهذا هو: **(بسم الله الرحمن الرحيم**، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الأولين والآخرين، وخاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد....

فقد سألني بعض الأفاضل عن لقب مسند العصر أو مسند الدنيا، ما معناه؟ وعلى من يطلق؟ وما الصلة بينه وبين لقب المحدث؟ فرغبت في تنجيز تحرير يتعلق بذلك، لا سيما وقد رأيت في بعض المواضع كلامًا لبعض المشتغلين في الفن، يتنازعون فيه في معنى مسند العصر، وجرى في المسألة خبطٌ وخلطٌ، رأيت معه أن أعجل بما يسره المولى سبحانه في ذلك، فأقول وبالله تعالى التوفيق: إن بين اللقب المذكور وبين المحدث فرقًا؛ إذ المحدث لقبٌ على من أتقن مدارك التصحيح والتضعيف، وخبر مسالك الحفاظ في نقد الأسانيد، ونظر في الجرح والتعديل والعلل، وعرف كيف يصحح وكيف يضعف، وكيف يقبل وكيف يرد، وأن يكون قد تلقى ذلك من أهل الفن والمعرفة والخبرة؛ إذ لا عبرة بمن حصل علومه من غير شيخ[1].

---

(١) وانظر في تعريف المحدث وبيان مدلول هذا اللقب: معيد النعم للإمام التاج السبكي /ص٨١/، وتدريب الراوي للحافظ السيوطي /ص١١/، وانظر بحوثًا ممتعة في تعريف المحدث=

مبحث

في أنه هل يشترط في المسند أن يعرف الجرح والتعديل؟؟

لكن هل يشترط في المسند أو مسند العصر أن يعرف الجرح والتعديل، وينظر في العلل، ويخبر طرائق القبول والرد، ويميز الصحيح من السقيم؟

قلت: هذا من مُدرك المحدث، والمُسنِدُ أعم منه، ولا يشترط فيه ذلك؛ إذ كل محدث عارف بالنقد والصنعة مسند، وليس كلُّ مسند محدثًا، إلا أن يراعى حال زماننا هذا، فقد وجد فيه محدثون لا إسنادَ لهم فيتباينان، وقد نصَّ أهلُ الاصطلاح على أن رتبة المسند قاصرةٌ عن رتبة المحدث، ولا يشترط فيه إلا أن ينقل الحديثَ بسنده، سواء عرف الجرحَ والتعديل، وفقه الحديثِ، أو لم يعرفه، وعليه فالمحدث أرفع منه، قال الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (طبقات الحفاظ): (العمدة في علم الحديث معرفة صحيحه وسقيمه وعلله، واختلاف طرقه ورجاله جرحًا وتعديلًا، وأما العالي والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات، لا من الأصول المهمة)[1].

وقال أيضًا في: (تدريب الراوي): (الفائدة الثانية: حد الحافظ والمحدث والمسند: اعلم أن أدنى درجات الثلاثة المسند ـ بكسر النون ـ وهو من يروي الحديث بإسناده، سواء كان عنده علم به، أو ليس له إلا مجرد رواية، وأما المحدث فهو أرفع منه)[2].

وقال العلامة الكبير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ـ رحمه الله

= والحافظ، في الجواهر والدرر للحافظ السخاوي /١/١٧ ـ ٤٥/، وتعليق العلامة أبي غدة على الرفع والتكميل /ص٥٨/، وفهرس الفهارس والأثبات للعلامة الكتاني /١/٧٧/ وغيرها.

(١) طبقات الحفاظ /ص٥٣٠/.

(٢) تدريب الراوي /ص١٦/.

تعالى ـ في منظومته المسماة: (هدية المغيث):

(وناقـل الحـديث بالإسـناد ... يـدعى بمسـند بـلا انتقـاد
كانَ له علـمٌ بـه أو لـيس لهْ ... إلا روايـة الحـديث مكملـهْ)[1]

قال العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري في: (توجيه العناية): (فالمسنِد ـ بكسر النون ـ من يعنى بالإسناد من حيث اتصاله أو انقطاعه، أو تسلسله بصفة معينة، وإن لم يكن له خبرة بالمتون)[2]، وانظر وانظر بحثًا مهمًّا في ذلك للعلامة أبي غدة في تعليقاته على كتاب: (قواعد في علوم الحديث) للتهانوي[3].

وللصلاح الصفديّ ـ رحمه الله تعالى ـ عبارة مهمة، تفيد أنه لا يطلق المسند على مطلق من أسند وروى، بل يخصص دلالتها بما هو أضيق من ذلك، فيقول: في: (الوافي بالوفيات): (وتقول في أشياخ العلم: العلامة، أو الحافظ، أو المسند في: من عمر، وأكثر الرواية)[4]، فأفاد هذا أن المسند عنده هو من: عمر، وأكثر الرواية، فهذان قيدان مهمان، وهو الذي ينطبق على استعمالهم لكلمة المسند في الحقيقة، فإن من تتبع مواقع ورودها في الأغلب الأعم يلحظ أنها تطلق على من اعتنى بالرواية، وعُرِفَ بهذا الشان، وحصلت له العوالي، ومن طالع كتب التراجم رأى هذا المعنى ظاهرا.

* * *

(١) هدية المغيث، في أمراء المؤمنين في الحديث /ص٣٤/.

(٢) توجيه العناية، إلى تعريف علم الحديث رواية ودراية /ص١٨/.

(٣) قواعد في علوم الحديث /ص٢٨/.

(٤) الوافي بالوفيات/١/٤٧/.

مبحث

في أنه قد طرأ تغيُّر على طبيعة السند

قلت: لكن طرأ تحولٌ على طبيعة السند في الأمة من بعد عصور الرواية، وبناء عليه حصل تحولٌ في عدد من المسائل المتعلقة به، وقد كان الشرط في المحدث أن يعرف طرائق التصحيح والتضعيف، وأن ينظر في الجرح والتعديل والعلل، لكن الكبار الذين عنوا بتحصيل الأسانيد بعد عصور الرواية بزغت عندهم اهتمامات أخرى، إذ أجروا قوانين النقد والتعليل على أسانيدهم هم، التي يرفعونها للمصنفين والتصانيف، وشرعوا ينظرون في الاتصال والانقطاع، وتداخل الأسانيد، فنشأ فرع من فن العلل له طبيعته وخصائصه، وقد فصلت هذا في غير هذا الموضع، وقد أطلتُ الكلام فيه في كتابنا المسمى بـ: (إحياء علوم الحديث)، فانظره هناك.

مبحث

في المعالم التي إذا اجتمعت في أحدهم لُقِّبَ بمسند الدنيا

أما لقب: (مسند العصر) أو (مسند الدنيا) فلقب فخيم، درج العلماء على إطلاقه على الأئمة الكبار العارفين أهل الشأن، ممن اتسعت روايته، وكثرت شيوخه، وطال عمره حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وعُرِف بذلك، فرحل الناسُ إليه، وكاتبوه، واستجازوه، وإليك لمحة في ذلك:

فمن أوصاف من قيل فيه ذلك أن تتحصل له الأسانيدُ العالية، بأن تقع له عناية من ذويه، وحرصٌ على إحضاره حلق السماع، وإسماعه صغيرًا من مسندي عصره، مثال ذلك قول الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ في: (سير أعلام

النبلاء) في ترجمة الحافظ أبي القاسم البغوي: (حرص عليه جده وأسمعه في الصغر، بحيث إنه كتب بخطه إملاء في ربيع الأول، سنة خمس وعشرين ومائتين، فكان سنه يومئذ عشر سنين ونصفًا، ولا نعلم أحدًا في ذلك العصر طلب الحديث وكتبه أصغر من أبي القاسم، فأدرك الأسانيد العالية، وحدثه جماعة عن صغار التابعين)[1].

قلت: حتى إنَّ الحفاظ يعجبون من بعض المسندين الذين عمروا، وكان يمكن إسماعهم في الصغر من طبقةٍ عاليةٍ، بحيث لو سمعوا من تلك الطبقة لكان أحدهم مسند الدنيا في زمانه، كيف لم يُسمِعُوه ولم يَعتَنُوا به؟!!

مثاله ما وقع في ترجمة أبي يعلى حمزة بن محمد بن علي، أخو طراد الزينبي الهاشمي ت ٥٠٤هـ، قال الحافظ الذهبي في: (تاريخ الإسلام): (ولو أن حمزة سمع في صغره مثل أخيه طراد لسمع من أبي الحسين بن بشران وهلال الحفار، ولصار مسند الدنيا في عصره، وأنا أتعجب كيف لم يسمعوه)[2].

قلت: لأن حمزة عُمِّرَ دون أخيه، فلو شارك أخاه السماع من شيوخه مع تعميره لتفرد بالعوالي، لكن كأن تعميره ذهب هباءً لفوات العلو في الأسانيد، ولذلك قال الذهبي بعدها: (قلت: عاش سبعًا وتسعين سنة!!)، يشير إلى علة ذلك.

ومثاله عبد القادر بن عثمان بن أبي البركات بن علي بن رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، أبو محمد البغدادي قال الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ في: (تاريخ الإسلام): (شيخ صالح معمر من بيت مشيخة وعلم، وولد في رابع

(١) سير أعلام النبلاء /١٤/٤٤١.
(٢) تاريخ الإسلام /١١/٥٠.

صفر سنة خمس وثلاثين وتوفي سنة ٦٣٦هـ، ولو سمعه أبوه لصار مسندَ الدنيا؛ فإنه أدرك إجازة القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبي القاسم ابن السمرقندي، وأدرك السماع من أصحاب أبي جعفر بن المسلمة، وابن هزار مرد الصريفيني، ولكن ذهب تعميره ضياعًا، وقد صحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وذكر أنه سمع منه)[١].

ومثاله أيضًا أسعد بن يلدرك بن أبي اللقاء، أبو أحمد الجبريلي البواب بدار الخلافة ت٥٧٤هـ، قال الذهبي في: (تاريخ الإسلام): (شيخ بغدادي معمر قال عمر بن علي القرشي: سألته عن مولده فقال: في ربيع الأول سنة سبعين وأربعمائة، قلت: كان يمكن أن يجيز له أبو الحسين بن النقور، وأن يسمع من أبي نصر الزينبي فيبقى مسند الدنيا، قال ابن الدبيثي: كان أبوه صاحبا للرئيس أبي الخطاب بن الجراح فأسمعه منه ومن: أبي الحسن بن العلاف)[٢].

وأقول أيضًا: بل أبرز مثال له الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ؛ فقد فاته السماع بل والإجازة من جماعة من أكابر المسندين، ممن أدرك زمنهم، وكان يمكن أن يروي عنهم، لكن فاته ذلك لقلة من يعتني بهذا الشأن من الأهل والأصحاب.

قال الحافظ السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (الجواهر والدرر): (ولو وجد من يعتني به في صغره لأدرك خلقًا ممن أخذ عن أصحابهم؛ إذ كان السماع عن أصحاب الفخر ابن البخاري، ثم من أصحاب الواسطي وابن مؤمن، ثم من أصحاب ابن تاج الأمناء والأبرقوهي، ثم من أصحاب

(١) تاريخ الإسلام /١٤/٢١٥/.

(٢) تاريخ الإسلام /١٢/٥٣٥/.

الدمياطي ممكنًا، أو الإجازة منهم، لكنه لم يتفق ذلك، لفقد من يعتني بهذا الفن من الآل والأصحاب، في هذا الزمن الأخير)[١].

مبحث
وينبني على ذلك تفرّده بأسانيد لا يشاركه فيها أحد من معاصريه

قلت: وينبني على تلك العناية أن يتفرد ذلك المسند بشيوخ، لا يشاركه فيهم أهل طبقته، فيرغب الناس وأهل الشأن فيه لعلو سنده دون أقرانه، ولتفرده بشيوخ لا تدرك الرواية عنهم من غير طريقه، فإن زاد على ذلك بأن رُزِقَ طُولَ العمر، فذاك الذي يدعى: مسندَ العصر، أو مسند الدنيا.

وينبني عليه أن من وصف بذلك ربما اتفق من تلامذته من يحضر عليه صغيرًا، ثم يطول عمره هو أيضًا، فيبقى العلو في الطبقات التي بعده، مثاله ما قاله الشمس الذهبي في: (سير أعلام النبلاء) في ترجمة أبي القاسم البغوي المتوفي سنة ٣١٧هـ: (وبقي حديثه عاليًا بالاتصال إلى سنة خمس وثلاثين وستمائة، عند أبي المنجا ابن اللتي، وبعد بالإجازة العالية عند أبي الحسن بن المقير.

ثم كان في الدور الأخير المعمر شهاب الدين أحمد بن أبي طالب الحجار، فكان خاتمة من روى حديثه عاليًا بالسماع، بل وبالإجازة، كان بينه وبينه ـ يعني بين الحجار والبغوي ـ أربعة أنفس.

نعم وبعده يمكن اليوم أن يسمع حديثه بعلو بثلاث إجازات متواليات، لا بل بإجازتين، فإن عجيبة الباقدارية لها إجازة من هبة الله بن

(١) الجواهر والدرر، في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر /١/١٢٥/.

أحمد الشبلي والله أعلم)[١].

قلت: وعجيبة المذكورة مسندة مشهورة، ترجم هو نفسه لها في: (تاريخ الإسلام)[٢]، قال: (شيخة مسنة مشهورة، تفردت في الدنيا بالإجازة من جماعة، وكانت امرأة صالحة، وذكر في شيوخها جماعة منهم هبة الله الشبلي المذكور، وهو أبو المظفر القصار الدقاق المؤذن ت٥٥٧هـ، وهو آخر من سمع من أبي النصر الزينبي).

مبحث

وينبني على ذلك أنه إذا توفي أحدهم نزل إسناد أهل الأرض بوفاته درجة

وينبني على ذلك أيضًا أنه لطول عمره، وقدم سماعه، وتفرده دون أقرانه بأشياخ أدركهم، فإنه تدور أسانيد الدنيا في زمانه عليه، بحيث إذا توفي نزل سند أهل الأرض بوفاته درجةً، ومن أمثال هؤلاء الأئمة الذين نزل السند درجة بوفاة أحدهم:

أبو المعالي عبد المنعم بن عبد الله بن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الفضل الفراوي الصاعدي النيسابوري الشافعي ت٥٨٧هـ، قال الحافظ الذهبي في: (سير أعلام النبلاء): (الشيخ العالم المعمر الأصيل مسند خراسان، حدث بنيسابور وبغداد والحرمين، وانتهى إليه علو الإسناد، توفي في أواخر شعبان، سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وله تسعون عامًا، ونزل

(١) سير أعلام النبلاء /١٤/٤٤٣.
(٢) تاريخ الإسلام /١٤/٥٨١.

الناس بموته درجة)[١].

ومنهم تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي المولد والمنشأ، الدمشقي الدار والوفاة، قال اليافعي في (مرآة الجنان، وعبرة اليقظان) حوادث سنة ٦١٣هـ: (النحوي اللغوي المقرئ، أكمل القراءات العشرة وله عشرة، قال بعضهم: وهذا ما لا أعلمه تهيأ لأحد سواه، ولما توفي نزل الناس بموته درجةً في القراءات، وفي الحديث، لأنه آخر من سمع ممن هو أعلى أهل عصره سندًا).

ومنهم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن الحسين ابن حفص الإمام جمال الدين أبو القاسم بن الصفراوي الإسكندري المالكي المقرئ المفتي ت٦٣٦هـ، قال الصلاح الصفدي في: (الوافي بالوفيات): (من الأئمة الأعلام، وانتهت إليه رئاسة الإقراء والفتوى ببلده، ونزل الناس بموته درجةً، وحدث ببلده وبمصر والمنصورة وتوفي سنة ست وثلاثين وست مائة، وكان قرأ القراءات على: أبي القاسم عبد الرحمن بن خلف بن محمد بن عطية القرشي، وعلى: أبي العباس أحمد بن جعفر الغافقي، وأبي يحيى اليسع بن حزم، وأبي الطيب عبد المنعم بن الخلوف، وتفقه على العلامة: أبي طالب صالح بن إسماعيل ابن بنت معافى، وسمع: السلفي، وإسماعيل بن عوف، وأبا محمد العثماني وجماعة، وهو آخر من قرأ على الأربعة المذكورين، خرج لنفسه مشيخة، وكان صاحب ديانة وجلالة)[٢].

ومنهم شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم نعمة بن حسن بن علي بن بيان الدين الحجار المعروف بابن الشحنة، قال في: (ذيل التقييد):

(١) سير أعلام النبلاء /٢١/١٧٩.
(٢) الوافي بالوفيات /١/٢٥٧٧.

(توفي سنة ٧٣٠هـ بصالحية دمشق، وفي يوم موته قرئ عليه، وله مائة سنة وعشر سنين تقريبًا، ونزل الناس بموته درجة)[١]، وقال ابن تغري بردي في: (المنهل الصافي): (ونزل الناس بموته درجة)[٢].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن قدامة المقدسي، صلاح الدين بن تقي الدين بن عز الدين بن شرف الدين الحنبلي، مسند الدنيا، توفي في شوال سنة ٧٨٠هـ، قال محمد بن أحمد الفاسي المكي في: (ذيل التقييد): (ونزل الناس بموته درجة)، وكذا قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في ترجمته في: (الدرر الكامنة)[٣].

وفي الطبقة التي تليه تلميذه إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن البعلبكي ت٨٠٠هـ، قال العلامة التقي الفاسي في: (ذيل التقييد): (الإمام المقرئ، مسند القاهرة، المعروف بالشامي، سمع على أحمد بن أبي طالب الحجار صحيح البخاري ومسند الدارمي، مات في ثامن جمادى الأولى سنة ثمانمائة، ونزل أهل مصر بموته درجة)[٤].

ومنهم عبد الرحمن بن محمد الزركشي الشيخ أبو ذر الحنبلي ت٨٢٦هـ قال الحافظ ابن حجر في: (إنباء الغمر): (سمع من أبي عبد الله البياني صحيح مسلم، وحدث به عنه مرارًا، وتفرد عنه بالرواية بالديار المصرية، بل كان في هذا الوقت مسند مصر، مات في ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر فنزل الناس بموته درجة، ومولده في سنة بضعٍ وخمسين وسبعمائة، وكان

(١) ذيل التقييد /١/٣١٧/، ونحوه في الوافي بالوفيات، والدرر الكامنة.
(٢) المنهل الصافي /٢/٢٥٠/.
(٣) ذيل التقييد /١/٣٦/، والدرر الكامنة /٥/٣٢/.
(٤) ذيل التقييد /١/٤١٦/.

يدري الفقه على مذهبه، فقرر في تدريس المدرسة الأشرفية الجديدة، وباشر في تدريس الشيخونية بعد موت القاضي محب الدين الحنبلي البغدادي، وكان صحيح البدن، ضعيف البصر، وقد ناهز التسعين)[١].

ومنهم العلامة السيد محمد بن الطاهر بن حسين بن عبد الرحمن بن البدر حسين الأهدل ت٩٩٧هـ ـ رحمه الله ـ، تلميذ الحافظ ابن الديبع الشيباني، ترجم له الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي في كتابه القيم: (زبيد، مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ)، فقال في ترجمته: (ونزل الناس بموته في إسناد الحديث درجة)[٢].

ومنهم العلامة الشهاب أبو العباس أحمد بن عبد المنعم بن يوسف الدمنهوري ت١١٩٢هـ، قال الحافظ الزبيدي في: (شرح ألفية السند) له: (وكان عالي الإسناد، رفيع العماد، ألحق الأحفاد بالأجداد، ونزل الناس بموته درجة، إذ هو آخر من كان بينه وبين الحافظ البابلي واحد).

لكن استدرك عليه أبو الإسعاد عبد الحي الكتاني، قال في: (فهرس الفهارس): (وفي ذلك نظر، أنه هو وأمثاله ممن روى عن الزعبلي، بينهم وبين البابلي واحد، وابن عبد الله المغربي الذي مات بعد المائتين يروي عن البابلي بواسطة واحدة فاعلمه)[٣].

قلت: فإن صح ذا ـ وهو صحيح ـ فابن عبد الله المغربي هو الذي نزل الناس بموته درجةً على التحقيق.

(١) إنباء الغمر /١/٦٩٦/.
(٢) زبيد، مساجدها، ومدارسها العلمية في التاريخ /ص٣٠٣/.
(٣) فهرس الفهارس والأثبات /١/٤٠٥/.

ومنهم العلامة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري الصغير ت١٢٦٢هـ، قال السيد محمد عبد الحي الكتاني ـ رحمه الله ـ في: (فهرس الفهارس): (وبموته نزل الإسناد في الدنيا درجة)[١].

مبحث
وممن توفيت من النساء،
فنزل إسنادُ أهلِ الأرض بوفاتها درجةً

ومن النساء: زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال، ولدت سنة ٦٤٦هـ، ماتت في تاسع عشر جمادى الأولى، وقد جاوزت التسعين، قال الذهبي في معجم شيوخه الكبير: (توفيت في جمادى الأولى، سنة أربعين وسبعمائة، عن أربع وتسعين سنة، ونزلوا بموتها درجة)[٢].

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في: (الدرر الكامنة) في ترجمتها: (ونزل الناس بموتها درجة، في شئ كثير من الحديث حمل بعير، وهي آخر من روى في الدنيا عن سبط السلفي وجماعة بالإجازة)[٣].

ومنهن: عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسية ثم الصالحية، توفيت سنة ٨١٦هـ، قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في: (المجمع المؤسس): (ولدت في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين، وعمرت

(١) فهرس الفهارس /١/٤٨٦/.
(٢) معجم الشيوخ /١/٢٤٨/ تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة.
(٣) الدرر الكامنة /٢/٢١٠/.

إلى أن لم يبق من سمع من أبي العباس الحجار في الدنيا غيرها).
ثم ذكر جماعة من شيوخها ثم قال: (وهي آخر من حدث عن هؤلاء بالسماع والإجازة، ونزل الناس بموتها درجة في جميع الآفاق)[١].

ومنهن: سارة بنت عمر بن عبد العزيز بن محمد المعروفة ببنت ابن جماعة، توفيت ٨٥٥هـ، ذكر الحافظ الشمس السخاوي في ترجمتها في: (الضوء اللامع) أنها: (كانت صالحةً محبةً للطلبة، ذات صبر على الإسماع وصحة السماع، وأنّ أهل مصر نزلوا بموتها درجةً في الرواية).

ومنهن: أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي الأصلية أم الخير توفيت سنة ٩٠٢هـ، قال الحافظ السيوطي في: (المنجم، في المعجم): (توفيت يوم الثلاثاء، ثالث ذي القعدة، سنة اثنتين وتسعمائة، ونزل الناس بعدها درجة؛ فإنها آخر من روى بالإجازة عن عائشة ابنة عبد الهادي، التي هي خاتمة أصحاب الحجر بالإجازة، فقلت:

(أَمَةُ الخالق لما أن قضت ... نزل الراوون عنها درجة
ما بقي في الأرض من يسند عن ... صاحبي الحجار للمبتهجة
وتساووا عددًا في سند ... عن رجال كلهم مندرجة)[٢]

قال العلامة النجم الغزي في: (الكواكب السائرة): (وهي آخر من يروي عن أصحاب الحجار، نزل أهلُ الأرض درجةً في رواية البخاري بموتها)[٣].

قلت: ويغلب هذا في من عُمِّر فجاوز المائة من المسندين أهل الاشتغال

(١) المجمع المؤسس /ص٣٢٢/.
(٢) المنجم، في المعجم /ص٩٩/.
(٣) الكواكب السائرة، في أعيان المائة العاشرة /١/١٦٢/.

بهذا الفن، والعناية به، وقد أفرد الحافظ الذهبي جزءًا اسمه: (أهل المائة فصاعدًا)[1].

مبحث

ويقرب منه مَن قيل فيه: نزل القراء بموته درجة

ويقرب منه من قيل فيه: نزل القراء بموته درجة، مثاله ما وقع في ترجمة الإمام شرف الدين أبي الحسين ابن الإمام أبي الفضل ابن الصواف، الجذامي الإسكندراني المالكي، المقرئ المعدل، يحيى بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن علي بن عبد الباقي.

قال الحافظ الذهبي في: (معرفة القراء الكبار): (ولد في أحد الربيعين سنة تسع وست مئة، وسمع سنة خمس عشرة وبعدها من ناصر بن الأغماتي، ومحمد بن عماد، وجده عبد العزيز بن الصواف، وعبد الخالق بن إسماعيل التنيسي، ومرتضى بن أبي الجود، وقرأ القراءات على أبي القاسم ابن الصفراوي وهو آخر من قرأ عليه وفاة، وآخر من حدث عن ابن عماد وجماعة.

رحلت إليه فأدخلت عليه، فوجدته قد أضرّ وأصمّ، ولكن فيه جلادة وشهامة، وهو في سبع وثمانين سنة فقرأت عليه جزءًا، ورفعت صوتي فسمع، وكلمته في أن أجمع عليه السبعة فقال: اشرع، فقرأت عليه الفاتحة وآيات من البقرة، وهو يرد الخلاف، ويرد رواية يعقوب وغيره مما قرأ به، فقلت: إنما قصدي السبعة فقط، فتخيل مني نقصَ المعرفة، وقال: إذا أردت

(١) وقد حققه الدكتور بشار عواد، ونشره سنة ١٩٧٣م، في مجلة: المورد (البغدادية)، المجلد الثاني، العدد الرابع، من /ص١٠٧ إلى ص١٤٣/.

أن تقرأ علي فامض إلى تلميذي فلان فاقرأ عليه، ثم اعرض علي، فرأيت أن هذا شيء يطول، وزهدني فيه أني كنت لا أدخل عليه إلا بمشقة، وأُمنع مرة ويؤذن لي مرة، وأيضًا، فكنت لا أقرأ ربع حزب جمعًا حتى ينقطع صوتي لمكان صممه، ثم ظفرت بسحنون المذكور بعد، وقرأت عليه كما ذكرت لك، وكنت قد وعدت أبي، وحلفت له أني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفت أعقه.

سمع منه: المزيُّ، والبرزاليُّ، وابنُ منير، وابنُ سيد الناس، وأبو الحسن السبكيُّ وطائفة، وكان من كبار عدول الثغر كأبيه وأخيه وولده.

حدثني أبو عمرو المقاتلي أنه توفي في سابع عشر شعبان سنة خمس وسبع مئة وله ست وتسعون سنة، ونزل القراء بموته درجة)[1].

مبحث

ويقرب منه من نزل الفقه بموته درجة

ذكر الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (زاد المسير) تلقيه فقه الشافعي على شيخ الإسلام، الإمام العلم صالح ابن شيخ الإسلام السراج البلقيني، ثم ذكر أيضا أنه تفقه بشيخ الإسلام والمذهب شرف الدين يحيى بن محمد المناوي، وذكر أسانيدهما في التفقه وتلقي المذهب، ثم قال: (فطريقنا الأولى أعلى من هذه الطريق بدرجة، فبيننا وبين الإمام الشافعي ﷺ من الطريق الأولى خمسة عشر، ومن الطريق الثانية ستة عشر، ونزل الناس درجة أخرى بعد موت شيخ الإسلام المناوي، فكل من أخذ الفقه عن غير

(١) معرفة القراء الكبار/٢/٦٩٧.

شيخنا البلقيني فبينه وبين الإمام الشافعي سبعة عشر أو أكثر)[1].

مبحث

ويقرب منه مَن قيل فيه: نزل العلم بموته درجة

ويقرب منه من قيل فيه: نزل العلم بموته درجة، مثاله ما وقع في ترجمة الفقيه: محمد بن عمر بن الصديق الحشيبري مفتي الديار اليمنية، فإنه لعلو طبقته وفخامته في العلوم لم يخلف بعده مثله، فقيل في حقه: إن العلم نزل بموته درجة!

قال العلامة المحبي ـ رحمه الله تعالى ـ في ترجمته في: (خلاصة الأثر): (مفتي الديار اليمنية ومحدثها، كان فقيها عالمًا محققًا، نقالًا ورعًا، زاهدًا عابدًا، حتى قال: كانت وفاته في ذي الحجة سنة خمسين وألف، ونزل العلم بموته درجة؛ لأنه لم يخلف بعده مثله في الحفظ والإتقان)[2].

مبحث

في ذكر من وصف بأنه مسند الدنيا

ومن أفراد الحفاظ الذين وصف كل منهم بأنه مسند الدنيا: أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان، البغوي الأصل، البغدادي الدار والمولد، ويقال فيه: أبو القاسم بن منيع نسبة إلى جده لأمه الحافظ أبي جعفر أحمد بن منيع صاحب المسند، توفي ليلة الفطر من سنة ٣١٧هـ، وقد

(١) زاد المسير، في الفهرست الصغير/ص٣٩٣/.
(٢) خلاصة الأثر /١٢١/٤/.

كان ـ رحمه الله ـ عجبًا من العجب، وآية من آيات الله في حفظه وورعه وجلالته وعلو شانه وسائر شؤونه، ترجم له الذهبي في: (سير أعلام النبلاء) ترجمة فخيمة، قال فيها: (قلت: قد سمعوا عليه يوم وفاته، فذكر محمد بن أبي شريح ـ في غالب ظني ـ قال: كنا نسمع على البغوي ورأسه بين ركبتيه، فرفع رأسه وقال: كأني بهم يقولون: مات أبو القاسم البغوي، ولا يقولون: مات مسند الدنيا!! ثم مات عقيب ذلك أو يومئذ، رحمه الله)[1].

ومنهم الإمام الحافظ، العلامة الحجة، بقية الحفاظ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت٣٦٠هـ عن مائة سنة وعشرة أشهر، قال ابن القيسراني ت٥٠٧هـ في: (تذكرة الحفاظ): (مسند الدنيا)[2]، وقال السيوطي في: (طبقات الحفاظ): (مسند الدنيا، وأحد فرسان هذا الشأن)[3].

قلت: وقد أطنب الذهبي في: (التذكرة) في تفخيمه وإعظام شأنه، وتوسع في سرد تصانيفه، بل أفرد أبو زكريا الأصفهاني يحيى بن عبد الوهاب بن منده ت٥١١هـ تأليفًا مستقلًا في ترجمة الحافظ أبي القاسم الطبراني، وهو مطبوع.

وقد ساق له الحافظ الذهبي في: (سير أعلام النبلاء) واقعةً نادرةً طريفةً، قال: (قال ابن فارس اللغوي سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوةً ألذ من الرياسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرةً بين أبي القاسم الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي، وكان الطبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه، حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحد يغلب صاحبه، فقال الجعابي عندي

(١) سير أعلام النبلاء /٤٥٦/١٤/.
(٢) تذكرة الحفاظ /٩١٢/٣/.
(٣) طبقات الحفاظ /ص٣٧٣/.

حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة الجمحي، حدثنا سليمان بن أيوب وحدث بحديث، فقال الطبراني: أنا سليمان بن أيوب ومني سمعه أبو خليفة، فاسمع مني حتى يعلو إسنادك، فخجل الجعابي، فوددت أن الوزارة لم تكن وكنت أنا الطبراني وفرحت كفرحه).

قلت: وقد وقع نظيرُ هذا للعلامة الشيخ نور الدين علي بن أحمد بن إسماعيل الفوي المدني ثم المدلجي، قال شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل ابن حجر في: (إنباء الغمر): (اتفق له وهو ببلاد العجم، أن شخصًا حدثه بحديث عن آخر عنه، فقال له: «أنا الفوي، اسمعه مني حتى يعلو سندك»، وهو نظير ما اتفق للطبراني مع الجعابي)[1].

ومنهم أبو محمد عبد الواحد بن عبد الرحمن بن القاسم القرشي الزبيري البخاري الوركي توفي سنة ٤٩٥هـ، قال الذهبي في: (السير): (الشيخ الإمام الفقيه الصالح المعمر مسند الدنيا، قال أبو سعد السمعاني: عُمِّر الوركي مائة وثلاثين سنة، وبين كتابته للإملاء عن أبي ذر عمار بن محمد صاحب يحي بن صاعد وبين موته مائة وعشر سنين. اهـ، رحل الناس إليه من الأقطار)، وانظر (طبقات المحدثين) أيضًا للذهبي[2].

ومنهم الإمام المقرئ المجود المحدث المعمر أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني الحداد، شيخ أصبهان في القراءات والحديث جميعًا، قال الحافظ الذهبي في: (سير أعلام النبلاء): (توفي مسند الدنيا أبو علي الحداد، في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٥١٥هـ، وقد قارب المائة)[3].

(١) إنباء الغمر /٣١/٢/.
(٢) سير أعلام النبلاء /١٠٤/١٩/، وطبقات المحدثين /ص١٤٥/.
(٣) سير أعلام النبلاء /٣٠٧/١٩/.

ومنهم العلامة الحسن بن علي بن محمد بن الحسن، أبو محمد الجوهري الشيرازي ثم البغدادي المقنعي، توفي في سابع ذي القعدة سنة ٥٤٣هـ قال الذهبي في: (تاريخ الإسلام): (مسند العراق بل مسند الدنيا في عصره، وقيل له المقنعي لأنه كان يتطيلس ويلتف بها من تحت حنكه)[1].

ومنهم صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم الميدومي المصري، توفي سنة ٥٧٤هـ، قال الحافظ شمس الدين الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (العبر): (ومات الشيخ المسند، المعمر، مسند الدنيا، صدر الدين، أبو الفتح: محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم الميدومي المصري، خاتمة أصحاب النجيب عبد اللطيف، توفي في القاهرة عن تسعين سنة، خرجت له جزءًا من عواليه حدث به غير مرة)[2].

ومنهم الحافظ الكبير شيخ الإسلام أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني توفي سنة ٥٧٦هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ترجم له الحافظ الذهبي في: (سير أعلام النبلاء)[3]، وقال العلامة اليافعي في: (مرآة الجنان): (الحافظ العلامة الكبير، مسند الدنيا)[4]، وقال السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس): (مسند الدنيا، وشيخ الأرض)[5]، وقال صاحب (كشف الظنون): (أبو طاهر أحمد بن محمد، مسند الدنيا)[6].

قلت: وللدكتور حسن عبد الحميد صالح كتاب عن الحافظ أبي طاهر

(١) تاريخ الإسلام /٣١٨٦/١/.
(٢) العبر، في خبر من عبر /٣١٣/١/.
(٣) سير أعلام النبلاء /٥/٢١/.
(٤) مرآة الجنان /٤٠٣/٣/.
(٥) فهرس الفهارس والأثبات /٩٤٤/٢/.
(٦) كشف الظنون /١٠٤٤/٢/.

السلفي اسمه: (الحافظ أبو طاهر السلفي)، وهو في الأصل أطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبردج، طبع في المكتب الإسلامي.

ومنهم العلامة علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الصالحي المعروف بابن البخاري الحنبلي ت٦٩٠هـ، مسند الدنيا، قال التقي الفاسي في: (ذيل التقييد): (علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي المقدسي الصالحي مسند الدنيا)[1].

ومنهم شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم نعمة بن حسن بن علي بن بيان الدين الحجار المعروف بابن الشحنة، قال الذهبي في: (سير أعلام النبلاء): (وقد كنت ألفت جزءًا كبيرًا فيمن جاوز المئة من المشايخ ومنهم أنس بن مالك وأبو الطفيل وغيرهما من الصحابة وسويد بن غفلة وأبو رجاء العطاردي وعدة من التابعين والحسن بن عرفة العبدي وأبو القاسم البغوي وبدر بن الهيثم وسليمان بن أحمد الطبراني والفقيه عبد الواحد الزبيري بما وراء النهر وشيخنا ركن الدين الطاووسي وبالأمس مسند الدنيا شهاب الدين أحمد بن الشحنة)[2].

ومنهم الإمام الحافظ محمد بن جابر بن القاسم الوادياشي ت٧٤٩هـ، قال العلامة السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس): (هو الإمام الحافظ، مسند الدنيا، هو شيخ شيخ الإسلام في وقته، رحل مرات، ودوخ الأرض، حج

(١) ذيل التقييد لتقي الدين الفاسي /٢/١٧٨/.

(٢) سير أعلام النبلاء /٢١/٣٨/، وانظر ذيل التقييد /١/٣١٧/، انظر: سير أعلام النبلاء /٢١/٣٩/، وذيل التقييد /٢/٣٤٣/، والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي.

وسمع بالحجاز، والشام، والعراق، ومصر، والأندلس، وبلاد المغرب، فأدرك أئمة أعلامًا، وأصبح بهم نسيج وحده، انفساح رواية، وعلو إسناد)[1].

ومنهم العلامة صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم الصالحي المشهور بالصلاح ابن أبي عمر ت٧٨٠، وهو تلميذ الفخر ابن البخاري، وقد أسند القطب النهروالي الحنفي ت٩٩٠هـ في ثبته من طريق العز ابن الفرات عنه، فوصفه بمسند الدنيا.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن قدامة المقدسي، صلاح الدين بن تقي الدين بن عز الدين بن شرف الدين الحنبلي، مسند الدنيا، توفي في شوال سنة ٧٨٠هـ، قال الحافظ ابن حجر في: (إنباء الغمر): (مسند الدنيا، في عصره ولد سنة أربع وثمانين، وتفرد بالسماع من الفخر بن البخاري، سمع منه مشيخته وأكثر مسند أحمد، والشمائل، والمنتقى الكبير من الغيلانيات، وسمع من التقي الواسطي وأخيه محمد، وأحمد عبد المؤمن الصوري، وعيسى المغري، والحسن بن علي الخلال، والعز الفراء، والتقي بن مؤمن، ونصر الله بن عياش في آخرين، وأجاز له في سنة خمس وثمانين جماعة من أصحاب ابن طبرزد والكندي، وخرج له الياسوفي مشيخة، وحدث بالإجازة عن النجم بن المجاور، وعبد الرحمن بن الزين، وزينب بنت مكي، وزينب بنت العليم، وأسمع الكثير، ورحل الناس إليه، وتزاحموا عليه، وأكثروا عنه.

وكان دينًا صالحاً، حسنَ الإسماع، أمَّ بمدرسة جده، وأسمع الحديث أكثر من خمسين سنة، وكان أولًا يتعسر ثم سمع، وقد أجاز لأهل مصر

(١) فهرس الفهارس /٢/١١١٦/.

خصوصًا من عموم فدخلنا في ذلك، مات في شوال عن ست وتسعين سنة وأشهر، ونزل الناس بموته درجة، ولد في آخر سنة ثلاث أو أول أربع وثمانين، فأكمل ستًا وتسعين سنة وأشهرًا)[١]، قال محمد بن أحمد الفاسيُّ المكيُّ في: (ذيل التقييد): (ونزل الناس بموته درجة)[٢].

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق بن إبراهيم بن يوسف الدمشقي الصوفي المؤذن الشهير بالرسام، توفي ليلة السادس عشر من شوال سنة ٨٠٦هـ بمكة، قال الحافظ في: (إنباء الغمر): (مسندُ الدنيا من الرجال، سمع من الحجار الكثير، ومن إسحاق الآمدي، والشيخ تقي الدين ابن تيمية وطائفة، تفرد بالرواية عنهم، ومتع بسمعه وعقله، سمعت منه بمكة وحدث بها بسائر مسموعاته، وقد رحل في السنة الماضية إلى حلب، ومعه ثبت مسموعاته، فأكثروا عنه، وانتفعوا به، وألحق جماعة من الأصاغر بالأكابر، ورجع إلى دمشق ولم يتزوج، ومات في شوال وله خمس وثمانون سنة وأشهرًا)[٣].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن مقبل بن عبد الله الحلبي، القيم بالجامع الأموي بحلب ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة، وتوفى سنة ٨٧١هـ، قال الحافظ السيوطي في: (المنجم في المعجم): (مسند الدنيا على الإطلاق، وملحق الأحفاد بالأجداد، والمتفرد في عصره بعلو الإسناد، ثم ذكر السيوطي له مشيخة واسعة سرد أسمائهم في صفحات ثم قال: وغالب هؤلاء لم ندرك من روى عنهم سواه)[٤]، وقال في: (تدريب الراوي): (وأخبرني مسند الدنيا

(١) إنباء الغمر /٢/٦٧.
(٢) ذيل التقييد /١/٣٦.
(٣) إنباء الغمر /١/٢٩٤.
(٤) المنجم في المعجم /ص٢١٧.

على الإطلاق أبو عبد الله محمد بن مقبل الحلبي مكاتبة منها)[١]، وكذا لقبه في (زاد المسير)[٢].

ومنهم شيخ الإسلام أبو محمد، عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني العبدري وجيه الدين ت٩٤٤هـ قال العلامة المحيوي عبد القادر العيدروس في: (النور السافر): (علامة الأنام، الجهبذ الإمام، مسند الدنيا، أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين، خاتمة المحققين، شيخ مشايخنا المبرزين، الشافعي العالم الفاضل ملحق الأواخر بالأوائل)[٣].

ومنهم العلامة الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل جمال الدين توفي سنة ٩٩٨هـ قال العلامة العيدروس في: (النور السافر): (الولي السعيد الشريف، العلامة ذو الولاية والإمامة، الحافظ الضابط، مسند الدنيا، مالك أَزِمَّة الشرف العليا، محدث الديار اليمنية، وفقيهها بإجماع البرية، الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل جمال الدين، بركة المسلمين، مفيد الطالبين)[٤].

ومنهم العلامة زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي، قال عنه الحافظ تقي الدين أبو الفضل ابن فهد الهاشمي المكي في: (لحظ الألحاظ، بذيل تذكرة الحفاظ): (مسند الدنيا)[٥].

ومنهم العلامة الإمام نجم محمد بن محمد بدر الدين الغزي العامري

(١) تدريب الراوي /١/٧٩، ونحوه في التدريب أيضًا /٢/١٦٢.
(٢) زاد المسير، في الفهرست الصغير/ص٢٨١، ط: دار البشائر، تحقيق: يوسف المرعشلي.
(٣) النور السافر/ ص١٠٦.
(٤) النور السافر /ص٢١٨.
(٥) لحظ الألحاظ، بذيل تذكرة الحفاظ /ص٣٠١.

الشافعي ت١٠٦١هـ، قال الكتاني في: (فهرس الفهارس): (مسند الدنيا في عصره ومصره، الإمام المعمر الرُّحلة، شيخ الإسلام، ملحق الأحفاد بالأجداد، المنفرد بعلو الإسناد)[١].

ومنهم الإمام الحافظ، مفخرة مصر في زمانه، العلامة الشمس أبو عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي القاهري الشافعي المتوفى عصر الثلاثاء خامس عشري جمادى الأولى سنة ١٠٧٧هـ، قال الشوكاني في: (البدر الطالع، في أعيان من بعد القرن السابع): (الإمام الكبير، مسند الدنيا)[٢].

ومنهم الإمام الكبير الوجيه أبو المحاسن عبد الرحمن بن محمد الكزبري الحفيد ت١٢٦٢هـ، قال السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس): (هو محدث الشام، الإمام المعمر، الصالح العلامة، مسند الدنيا)[٣].

ومنهم العلامة الجليل الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي المتوفى في التاسع من رجب سنة ١٣١٤هـ، وقد لقبه العلامة المحدث عبد الفتاح أبو غدة في أوائل تعليقه على كتاب: (رسالة المسترشدين): بـ(العلامة المحدث الحافظ الشيخ: عيدروس بن عمر الحبشي العلوي الحضرمي)[٤]، وقال عنه العلامة المؤرخ الفقيه عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في: (إدام القوت): (مسند حضرموت، بل الدنيا بأسرها)[٥]، وقال أيضًا في موضع آخر: (الأستاذ الأستاذ الأبرّ، مسند الدنيا: عيدروس بن عمر)[٦]، وهو صاحب الثبت

(١) فهرس الفهارس /٢/٦٦٩/.
(٢) البدر الطالع /٢/٢٠٨/.
(٣) فهرس الفهارس /١/٤٨٥/، /٢/١١٦٩/.
(٤) من تعليقات فضيلته على كتاب رسالة المسترشدين /ص١٦/ ط١٠، دار السلام.
(٥) إدام القوت، في ذكر بلدان حضرموت /ص٣٢٩/.
(٦) إدام القوت/ص٤٠١/.

المسمى: (عقد اليواقيت الجوهرية)، وقد اختصره العلامة السيد عبد الحي الكتاني في جزء صغير، وله ثبت آخر اسمه: (عقود اللآل، في أسانيد الرجال)، وله ثبت ثالث اسمه: (منحة الفتاح الفاطر) وكلها مطبوعة.

ومن المتأخرين الإمام العلامة الباقعة، المسند المحقق المدقق المعقولي السيد أحمد رافع بن محمد بن عبد العزيز الطهطاوي ت١٣٥٥هـ، صاحب الكتاب القيم الجليل: (رفع الغواشي، عن المطول والحواشي).

قال العلامة السيد عبد الله الصديق الغماري ـ رحمه الله ـ في: (سبيل التوفيق): (وكان شيخنا العلامة الحسيني الطهطاوي الحنفي مسندَ هذا العصر بدون منازع، له كتاب «المسعى الحميد، إلى بيان وتحرير الأسانيد» حرر الكلام فيه على الأسانيد الموجودة في نحو أربعمائة ثبت، ونبه على أوهام كثيرة، وقعت في كتاب: «فهرس الفهارس»، وكان لا يعرف في المتون كثيرًا ولا قليلًا).

وقد ذكره تلميذه العلامة الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري ـ رحمه الله ـ في: (العتب الإعلاني، لموثق صالح الفلاني)، ثم ذكر حاله، وكم أضاع من عمره وهو يدقق في ثبته: «إرشاد المستفيد» ولم يتمه، وكم صرف في سبيل ذلك من مال وجهد)[١]، إلى أن قال عنه: (ومع كل هذا التعب، وطول هذه المدة، ما كان يعرف حديثًا، ولا له قدرة على تمييز الصحيح من السقيم، ولقد دخلت عليه يومًا فشرع يقرأ علي ما كتبه وحرره من أسانيد الأربعين الودعانية، وذلك في نحو أربع ورقات من القطع الكبير، وبخطه الدقيق؛ لأنه يذكر في كل سند ولادة الراوي ووفاته.... فلما أتم ذلك قلت له: وأنت تعلم أن الأربعين الودعانية هذه كلها موضوعة؟ قال: (لا أعلم ذلك!! ولو علمته لما تعبت نحو أسبوع أو أكثر في تحرير هذا الإسناد)، وانظر في تفصيل أحوال الإمام

(١) العتب الإعلاني /ص٣٧/ مخطوط.

السيد أحمد رافع الطهطاوي ما ترجمت له به في كتاب: (أسانيد المصريين).

ويليه الإمام العلامة الكبير المتبحر السيد أبو الإقبال وأبو الإسعاد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ت١٣٨٢هـ صاحب: (فهرس الفهارس)، وقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ آيةً كبرى في معرفة أسانيد المتأخرين، والدراية بها، وتوسع في ذلك توسعًا زائدًا، وجمع الأثبات، والفهارس، والمعاجم، والمشيخات، وأكب على هذا الفن حتى صار فيه أعجوبة زمانه، وتذكر به الناسُ الأئمةَ المكثرين من أهل هذا الشأن كالسمعاني، والسلفي، والبرزالي، والمرتضى الزبيدي وغيرهم.

ويليه الإمام العلامة المتفنن، الأصولي الفقيه، الفلكي المنطقي، مسند العصر: علم الدين أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي ت١٤١٠هـ، أشهر مسندي عصره، وتاج مسندي زمانه، وقد كان رحمه الله تعالى فقيهًا أصوليًّا فلكيًّا منطقيًّا متفننًا، لكن غلبت عليه هذه الصنعة الإسنادية حتى عرفه الناس بها، وقصدوه لأجلها، قال عنه العلامة المحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ـ رحمه الله تعالى ـ في: (سبيل التوفيق): (وأنا أعده مسندًا للعصر بلا منازع، بعد شيخنا السيد أحمد رافع الطهطاوي)[1]، وبه تم الكتاب، المسمى: (**من لقب بمسند الدنيا، ومعنى ذلك اللقب**)، بعون الملك الوهاب جل شأنه، وأسأل الله تعالى من واسع فضله وجوده أن ينفع به على صغر حجمه، وأن يتقبله سبحانه بقبول حسن، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سبيل التوفيق /ص١٣٣.

فصل

في سَوْقِ أسانيدِنا إلى الحديثِ المسلسل بالمصريين

اشتهر هذا الحديث الجليل بحديث البطاقة، واشتهر بـ(الحديث المسلسل بالمصريين)؛ لأنه متصل الإسناد والتسلسل بالأئمة المصريين الأمجاد، وحتى صحابيه سيدنا عبد الله بن عمرو ﵄ دخل مصر.

ونظيره عند الشاميين حديث أبي ذر ﵁ عن سيدنا رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا**» الحديث، رواه مسلم وغيره، وهو المعروف بالحديث المسلسل بالدمشقيين، فقد اتصل تسلسله بالأئمة الدمشقيين، حتى إن صحابيه أبا ذر ﵁ أيضًا دخل دمشق، حتى قال الإمام أبو مسهر والإمام أحمد بن حنبل: (ليس لأهل الشام حديث أشرف منه).

ونظيره عند الكوفيين حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلمي ﵁ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْحَجُّ عَرَفَاتٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ لَيْلَةَ جَمْعٍ، قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَقَدْ أَدْرَكَ، أَيَّامُ مِنًى ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**» فقد قال ابن عُيَيْنَة: قُلْتُ

لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: (لَيْسَ عِنْدَكُمْ بِالْكُوفَةِ حَدِيثٌ أَشْرَفُ وَلَا أَحْسَنُ مِنْ هَذَا)، والحديث مع كلمة ابن عيينة عند ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في السنن الكبرى.

قلت: وكذلك أقول في هذا الحديث الجليل؛ فإنه ليس للمصريين حديث أشرف ولا أشهر ولا أجل منه، وإليك إسنادنا إليه:

أنبأني سماحة شيخنا العلامة الجليل، الإمام الشيخ علي جمعة الأزهري الشافعي المصري مفتي الديار المصرية ـ من بني سويف ـ، عن العلامة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ـ الشهير بحامد ـ المصري الأزهري، عن العلامة الإمام يوسف الدجوي المصري الأزهري، عن هارون بن عبد الرازق البنجاوي المالكي المصري ـ من قرية بنجا بإقليم طهطا ـ، عن أحمد منة الله في أرضه العدويِّ الأزهريِّ المصريِّ، عن العلامة أبي عبد الله وأبي محمد: محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير الأزهري المالكي المصري ـ اشتهر بالأمير، لقب جده الأدنى أحمد، كان هو ووالده عبد القادر لهما إمرة بالصعيد، من قرية سنبا ـ عن شيخ الإسلام: نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد المصري الصعيدي العدوي ـ من بني عدي ـ، عن السيد محمد السلموني والشيخ عبد الله البناني المصريين، كلاهما عن أبي الإمداد برهان الدين إبراهيم بن إبراهيم بن علي بن علي بن علي بن عبد القدوس الحسني المصري اللقاني من بلدة اسمها لقانة بالتخفيف ـ كما في الخطط التوفيقية ـ، عن أبي النجا سالم بن محمد السنهوري المصري، عن محمد بن أحمد الغيطي المصري، عن القاضي نور الدين علي بن ياسين، عن الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري من قرية سخا، عن العز

عبد الرحيم بن الفرات المصري، عن القاضي الخطيب بمصر أبي عمر عبد العزيز بن البدر بن جماعة الدمشقي المولد المصري الشافعي، أنا الخطيب زين الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي المصري عرف بابن الفوي، أنا الشمس أبو عبد الله محمد بن عمار بن محمد بن الحسين الحراني ثم المصري السكندري الحنبلي، أنا الفقيه الفرضي عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي المصري الشافعي، أنا قاضي مصر أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي الشافعي في الأول من فوائده، أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج الأشبيلي ثم المصري الشاهد.

قال السخاوي: (ح) وحدثني أستاذي أحمد بن علي العسقلاني المصري، قال: قرأت على عبد الله بن عمر بن علي السعودي المصري، وعبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزي المصري، قلت لكل واحد منهما: أخبرك جماعة منهم: أبو محمد إبراهيم بن علي بن محمد المصري، أنا الحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى بن علي القرشي المصري العطار.

(ح) قال السخاوي: وأنبأنا بعلو أبو عبد الله محمد بن أحمد الخليلي الخطيب، عن الصدر أبي الفتح الميدومي المصري، أنا أبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن علاق، قال: أنا أبو القاسم هبة الله بن علي البوصيري، أنبأنا أبو صادق مرشد ابن يحيى بن القاسم المديني ثم المصري، أنا أبو الحسن علي بن عمر بن حمصة الحراني الصواف، أنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني الحافظ، أن عمران بن موسى بن حميد الطيب، أنا يحيى بن عبد الله بن بكير، أنا الليث بن سعد، عن عامر بن يحيى المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، سمعت عبد الله بن عمرو

يقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَو حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبّ. فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ!! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟! فَيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ».

قال الحافظ السخاويُّ: (هذا حديثٌ جيدُ الإسناد، عظيمُ الموقع، مسلسلٌ بالمصريين إلى منتهاه، وصحابيه سكن مصر مع أبيه، وأقام بعده مدة يسيرةً ثم تحول منها).

رواه الترمذي في السنن /٥/٢٤/ كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد ألا إله إلا الله، وابن ماجه في السنن /٢/١٤٣٧/ كتاب الزهد، باب ما يرجى من ـ رحمة الله ـ يوم القيامة، وأحمد في المسند /٢/٢١٣/، وابن المبارك في مسنده /ص٦١/، والحاكم في صحيحه /١/٧١٠/ وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ورواه ابن حبان في صحيحه /١/٤٦١/، والخطيب البغدادي في: (موضح أوهام الجمع والتفريق) /٢/٢٠٤/، وأسنده الحافظ السيوطي في آخر: (تدريب الراوي) /٢/٤٠٨/ مسلسلًا وصححه، والحافظ أبو طاهر السلفي في: (الوجيز، في ذكر المجاز والمجيز) /ص٨٩/، وابن الطيب الشرقي في: (عيون الموارد السلسلة)، والعلامة اللكنوي في:

(المناهل السلسلة)، وشيخ مشايخنا أبو بكر الحبشي في ثبته: (الدليل المشير) /ص٥٣١/، وشيخ مشايخنا العلامة الفاداني في: (العجالة، في الأحاديث المسلسلة) /ص٥٦/.

وأفرده بالتصنيف الحافظ حمزة بن محمد بن علي أبو القاسم الكناني ت٣٥٧هـ، وجزءه مشهور معروف باسم: «جزء البطاقة»، طبع في دار السلام في الرياض، سنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، ومن لطائف الحديث هنا أيضًا أنه مسلسلٌ بكونِ كلِّ راوٍ من رواته من بلدٍ في غالبه.

ولو أن أحدًا نشط لجمع الأحاديث التي اشتهرت بها الأقطار المختلفة، والتي هي أشرف أحاديث المصريين، والشوام، والمغاربة وهكذا، لكان حسنًا، حيث تتفاخر الأمصار بالأحاديث التي استفاضت عند أكابر رواتها ومسنديها، وحصلت لها خصوصية عند أئمتها، وهذا كله سمت حديثي عريق، ومن الأعراف الإسنادية المنسية، وأسأل الله تعالى من واسع فضله وجوده أن يحيي بنا ما مات، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

فصل

في سَوْقِ أسانيدنا إلى السند الموصوف بأنه أصح أسانيد المصريين

اشتهر عند أهل الحديث أنَّ أصحَّ أسانيد المصريين هو: الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب المضري، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله، عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

نص على ذلك الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في: (معرفة علوم الحديث)[1]، والحافظ الزين العراقي في: (طرح التثريب)[2]، والحافظ السيوطي في: (تدريب الراوي)[3]، والصنعاني في: (توضيح الأفكار)[4]، والإمام الجليل أبو المظفر ابن السمعاني في: (قواطع الأدلة)[5]، وغيرهم كثير.

قلت: وخالف في ذلك يحي بن معين ـ رحمه الله تعالى ـ فذهب إلى أن أصح إسناد المصريين هو: عمرو بن الحارث، عن دراج أبي السمح، عن أبي

(١) معرفة علوم الحديث /ص٥٦.
(٢) طرح التثريب /١/٢٠.
(٣) تدريب الراوي /١/٨٤.
(٤) توضيح الأفكار /١/٣٦.
(٥) قواطع الأصول /١/٣٩٥.

الهيثم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، رواه عنه الحاكم في: (المستدرك)[1]، ولكن الأول أشهر.

ثم إنَّ أجودَ من روى عن الإمام الليث بن سعد ـ رحمه الله تعالى ـ هو: أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن بكير ت٢٣١هـ، قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في: (فتح الباري): (وهو من كبار حفاظ المصريين، وأثبتُ الناسِ في الليث بن سعد الفهمي، فقيه المصريين)[2].

قلت: وأجودُ وأتقنُ، وأحفظُ وأثبتُ، وأكملُ وأجلُّ من روى عن يحيى بنِ بكيرٍ هو شيخُ المحدثين، وأميرُ المؤمنين في الحديث، الإمام أبو عبد الله البخاريُّ صاحب الصحيح.

وقد روى البخاريُّ في مواضعَ من صحيحه من طريق يحيى بن بكير، عن الليث بن سعد، إلا أنه عن غير يزيد بن أبي حبيب.

والمعتبرُ في هذا الباب هو أن البخاريَّ ـ رحمه الله تعالى ـ لقي يحيى وروى عنه، وهو لقي الليثَ وروى عنه، وهو لقي يزيدَ وروى عنه في الجملة، وهو لقي مرثدًا وروى عنه، وهو لقي عقبة وروى عنه، وهو شرف بلقاء خير خلق الله، وإمام الأنبياء سيدنا محمد ﷺ؛ إذ ليس المقصود هنا أن نروي حديثًا بعينه، حتى ندقق في مخارجه، وفي الطرق التي رُوِيَ بها خصوصًا، بل المراد مجرد الأخذ الإجمالي، ولذا تراهم يذكرون السند في باب أصح الأسانيد، دون ذكر متن بعينه روي بذلك السند، لأن المقصود هو بيان جلالة كل راو، وأن من روى عنه يماثله جلالة ومنزلة.

---

(١) مستدرك الحاكم ٢/٤٦٢/.

(٢) فتح الباري ١/٢٢/.

وأقول: أخذت عن العلامة المحدث الشيخ أبي المواهب محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث السكندري، وهو عن العلامة محمد الحافظ التيجاني، وهو عن العلامة علي سرور الزنكلوني، وهو عن العلامة عبد الهادي نجا الأبياري، وهو عن الإمام البرهان السقا، وهو عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد الدمهوجي، وهو عن الحافظ محمد مرتضى الزبيدي، وهو عن شيخ الإسلام عبد الله الشبراوي، وهو عن البرهان إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي، وهو عن العلامة أبي النجا سالم السنهوري، وهو عن النجم الغيطي، وهو عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو عن الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، وهو عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي، وهو عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، وهو عن الحسين بن المبارك الزبيدي، وهو عن أبي المنجا عبد الله بن عمر اللتي، وهو عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى الهروي، وهو عن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، وهو عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عيسى بن عمر السرخسي، وهو عن محمد بن يوسف الفربري، وهو عن الإمام أبي عبد الله البخاري، وهو عن يحيى بن بكير، وهو عن الليث بن سعد، وهو عن يزيد بن أبي حبيب المصري، وهو عن أبي الخير مرثد بن عبد الله، وهو عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ، وهو عن النبي ﷺ.

فصل

في سوق أسانيدنا إلى طريق المصريين في رواية صحيح الإمام البخاري

اعلم أنَّ صحيحَ الإمامِ البخاريِّ ـ رحمه الله تعالى ـ رُوِيَ من طرقٍ كثيرة، فمنها طريقُ أبي ذرٍّ الهروي، وهي أكثر شيوعًا واشتهارًا عند المغاربة والحرميين واليمنيين، ومنها طريق أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، وهي للعراقيين والشاميين، ومنها طريق أبي علي الكتاني والمستغفري، وهي لأهل ما وراء النهر، ومنها طريق كريمة بنت أحمد المروزية، وهي خاصة بالمصريين، حيث اشتهر عند أهل مصر رواية الصحيح من الطريق المذكور(١).

وأنا أرويِ طريق المصريين في صحيح البخاري من طريق شيخِنا سماحةِ

---

(١) وقد ساق الحافظ السيوطي في (زاد المسير، في الفهرست الصغير)/ص٨٣ ـ ٨٧/ أسانيده إلى صحيح البخاري من طريق الشاميين والبغداديين، من رواية أبي الوقت، عن الداودي، عن الحموي، ثم ساق سنده إلى الصحيح من طريق المصريين من رواية كريمة بنت أحمد، ونحو ذلك عند الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في (المعجم المختص)، وكان تلميذه الإمام الجليل علي بن عبد البر الونائي، مسند مصر في زمانه، يلهج في إجازاته التي يجيز بها بذكر سنده في رواية البخاري من طريق المصريين، وكان يروي ذلك من طريق شيخه مرتضى الزبيدي، واعتنى بذلك أيضا من المتأخرين مسند العصر العلامة محمد ياسين الفاداني، كما في مشيخته المسماة(بلوغ الأماني)/٣/٥ ـ ٢٢/ تخريج تلميذه محمد مختار الفلمباني.

العلامة الإمام الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، عن العلامة المحدث محمد الحافظ التيجاني، عن العلامة علي سرور الزنكلوني، عن العلامة المحقق الشيخ حسن الطويل، عن العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عن العلامة الجليل السيد علي بن عبد البر الونائي، عن الشهاب أحمد بن العلامة أحمد جمعة البجيرمي الشافعي، والشمس أبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي الحسيني، عن الإمام نجم الدين محمد بن سالم الحفني، والعلامة أحمد بن عبد المنعم بن صيام الدمنهوري، عن محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم الحسيني الزيادي الحنفي.

(ح) قال العلامة السيد علي الونائيُّ: وأخبرنا به عاليًا الشهابُ البجيرميُّ وأبو الفيض محمد مرتضى، عن المعمر أحمد بن رمضان الزعبلي الشافعي إجازة، قال هو والزيادي: أخبرنا الحافظُ الشمسُ محمد بن علاء الدين البابليّ، عن العلامة أبي النجا سالم بن محمد السنهوري، عن النجم محمد بن محمد الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري، عن شيخ الإسلام الحافظ أبي الفضل ابن حجر العسقلاني، عن الحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، عن عبد الرحيم بن عبد الله الأنصاري المعروف بـ(ابن شاهد الجيش)، عن المعين أبي العباس أحمد بن علي الدمشقي، عن أبي القاسم عبد الله بن مسعود البوصيري، عن محمد بن بركات بن الهلال النحوي، عن أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية، قالت: أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكي الكشميهني، عن الشمس محمد بن يوسف الفربري، عن الإمام الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بصحيحه، الذي هو أصح الكتب المصنفة.

فصل

في سوق أسانيدنا إلى فقيه مصر وحافظها وعالمها الإمام الليث بن سعد رحمه الله

الإمام الجليل الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم، ولد سنة ٩٣هـ، وهي السنة التي توفي فيها سيدنا أنس بن مالك ﷺ، فقد أدرك زمان الصحابة ﷺ، إلا أنه لم يرو عن أحد منهم، لكن له رواية حسنة عن التابعين، قال أبو نعيم في (حلية الأولياء): (أسند الليثُ عن عدةٍ من كبار التابعين، عن عطاء بن أبي رباح، وعبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة، ونافع مولى ابن عمر، وقيل: إنه أدرك نيفًا وخمسين رجلًا من التابعين، وأدرك من تابعي التابعين ومن دونهم مائة وخمسين نفسًا)(١).

وقد استفاضت جلالة الإمام الليث، وأطلق الله تعالى ألسنة أئمة الأمة بالثناء الفخيم عليه، فقال ابن حبان ـ رحمه الله تعالى ـ في: (مشاهير علماء الأمصار): (وكان أحدَ الأئمة في الدنيا فقهًا وورعًا وفضلا وعلمًا ونجدةً وسخاءً، لا يختلف إليه أحد إلا أدخله في جملة عياله، ينفق عليهم كما ينفق على خاصة عياله، فإذا أرادوا الخروج من عنده زودهم ما يبلغهم الى أوطانهم رحمة الله عليه)(٢).

(١) حلية الأولياء /٧/٣٢٤/.
(٢) مشاهير علماء الأمصار /ص١٩١/.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (شرح صحيح مسلم): (وأما الليث ابن سعد ﵁ فإمامته، وجلالته، وصيانته، وبراعته، وشهادة أهل عصره بسخائه وسيادته، وغير ذلك من جميل حالاته، أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، ويكفي في جلالته شهادة الإمامين الجليلين الشافعي وابن بكير رحمهما الله تعالى أن الليث أفقه من مالك رضى الله عنهم أجمعين، فهذان صاحبا مالك رحمه الله، وقد شهدا بما شهدا، وهما بالمنزلة المعروفة من الإتقان والورع، وإجلال مالك، ومعرفتهما بأحواله، هذا كله مع ما قد علم من جلالة مالك وعظم فقهه ﵁)[١].

وقال الحافظ الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في (تذكرة الحفاظ): (الليث بن سعد، الإمام الحافظ، شيخ الديار المصرية، وعالمها، ورئيسها)[٢]، إلى أن قال: (وكان كبيرَ الديار المصرية، وعالِمَها الأنبل، حتى إن نائب مصر وقاضيها من تحت أوامره، وإذا رابه من أحدٍ منهم أمرٌ كاتب فيه الخليفة فيعزله، وقد طلب منه المنصور أن يعمل نيابة الملك فامتنع).

قلت: فانظر إلى ثناء علماء الأمة وأئمتها وأكابرها عليه، وانظر كيف أن الله تعالى أطلق ألسنة العلماء بالثناء عليه، وتبجيله، وتقديمه، وتفخيم شأنه، بل لقد أُثِرَت عن الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ كلمة جليلة في تقديمه على إمام دار الهجرة مالك بن أنس، قال الشافعي رحمه الله: (كان الليثُ أفقهَ من مالكٍ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به)، وقد نُقِلت هذه العبارة الجليلة عن اثنين من جِلَّةِ تلامذة مالك، وهما الإمام الشافعي، والإمام يحي بن بكير رحمهما الله.

(١) شرح صحيح مسلم /١١/٢/٠.
(٢) تذكرة الحفاظ /٢٢٤/١/٠.

أما كلمة الإمام الشافعي فقد رواها عنه أبو أحمد بن عدي: ثنا إبراهيم بن إسحق: سمعت أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: يقول سمعت الشافعي يقول: فذكرها، وعزاها إليه الحافظ ابن حجر في: (الرحمة الغيثية)[١]، ورواها عنه أبو الشيخ في كتاب: (النوادر): حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن: حدثنا الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: فذكرها، وقد عزاها إليه العلامة السيد عبد العزيز ابن الصديق في كتاب: (السفينة) له وهو مخطوط، ورواها عنه ابن عساكر في: (تاريخ دمشق)[٢]، وأما كلمة الإمام ابن بكير فقد رواها عنه ابن عساكر في: (تاريخ دمشق)[٣].

وقد أفرد الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ جزءًا في ترجمة الإمام الليث، اسمه: (الرحمة الغيثية، في الترجمة الليثية)، وقد طبع غير مرة، ووقعت لي منه عدة نسخ مخطوطة، وأفرد الحافظ القاسم بن قطلوبغا جزءًا في: (عوالي أحاديث الليث بن سعد)، وسبقه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي المقري الأصبهاني ت٣٨١هـ في: (عوالي الليث بن سعد)، وللأستاذ الدكتور السيد أحمد خليل كتاب: (الليث بن سعد، فقيه مصر)، طبع في دار المعارف، والمؤلفات التي أفردت للإمام الليث كثيرة جدًا.

❋ ❋ ❋

(١) الرحمة الغيثية، بالترجمة الليثية /ص٦/ ط١، المطبعة الميرية ببولاق سنة ١٣٠١هـ.
(٢) تاريخ دمشق /٣٥٨/٥٠/٠.
(٣) تاريخ دمشق /الموضع السابق/٠.

فصل

في نظائر الإمام الليث في البلدان

وقد أوردتُ لك لمحةً عن جلالة الإمام الليث وإمامته، ومقدار ما رفعه الله تعالى له في مصر من الحشمة والمنزلة، والجاه العلمي العريض، وأنت إذا فتشت في أعيان ذلك العصر رأيت له أقرانًا وأشباهًا، وقع لكل واحد منهم في قطره ومصره نظير ما وقع للإمام الليث في قطره، وكما أن الله تعالى لا يخلي زمانًا من قائم له بحجة، فإنه سبحانه لا يخلي مكانًا ولا قطرًا من قائم له بحجة، ممن يبرزهم الله تعالى في الأمصار والبقاع من أئمة الدين، الذين يثبت الله بهم أركان الملة، ويحفظ بهم على أهل كل قطر علوم الشرع، والذي أشار إلى هذه الفائدة العزيزة هو الحافظ الشمس الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ، قال في ترجمة الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (سير أعلام النبلاء): (وهو في الشاميين، نظيرُ معمرٍ لليمانيين، ونظيرُ الثوريِّ للكوفيين، ونظيرُ مالكٍ للمدنيين، ونظيرُ الليثِ للمصريين، ونظيرُ حمادِ بنِ سلمة للبصريين)[(١)].

قلت: ونظير ذلك في المتأخرين العلامة الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عليش ت١٢٩٩هـ، شيخ المالكية في زمانه، قال العلامة محمد بن الحسن الحجوي في كتاب: (الفكر السامي): (وكانت له جلالةٌ تهابها الأسود، وكلمةٌ نافذةٌ لتقواه وورعه، فهو نظيرُ الشيخ كنون عالم المغرب ومعاصره، لا تأخذهما في الله لومة لائم، ونظيرهما الشوكاني في اليمن، والآلوسي في العراق)[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٣٢.
(٢) الفكر السامي ٢/ ٣٠١.

فصل

أما أسانيدنا إليه ـ رحمه الله تعالى ورفع في الجنة درجته ـ فبأسانيدي إلى شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ـ وقد سبق بعضها ويأتي بعضها ـ، عن أبي هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير الشهير الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، وعن ابنه أبي عبد الله محمد بن أبي هريرة، وعن ابن عمته أبي محمد عبد القادر بن محمد بن علي، وعن الحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي في آخرين، كلهم عن والد الأول، الإمام الحافظ الشمس الذهبي: أخبرنا أبو علي يوسف بن أحمد الصالحي: أخبرنا موسى بن عبد القادر الجيلي: أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن البناء.

(ح) قال الذهبي: وأخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد القرافي الزاهد بمصر أخبرنا أبو علي الحسن بن إسحاق بن موهوب بن الجواليقي سنة عشرين وست مئة ببغداد.

(ح) قال الذهبي: وقرأت على أبي حفص عمر بن عبد المنعم الطائي: عن أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله ابن المهتدي بالله، في سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، قالوا: أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزيني: أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الوراق: حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث الحافظ: حدثنا عيسى بن حماد التجيبي: أخبرنا الليث بن سعد: عن هشام ابن عروة: عن أبيه: عن أسماء بنت أبي بكر قالت: (لَقَدْ رَأَيْتُ زَيْدَ بن عَمْرو بن نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إلى الْكَعْبَةِ، يَقُولُ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللهِ مَا فِيْكُم أَحَد عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ

غيري» ، وَكَانَ يُحْيِي المَوْؤُدَة ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: «مه لَا تَقْتُلْهَا أَنَا أَكْفِيكَ مَؤُنَتَهَا» فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: «إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَؤُنَتَهَا» .

قال الحافظ الذهبي: هذا حديث صحيح ، وإنما يرويه الليث عن هشام بالإجازة ؛ لأن البخاري أخرجه في صحيحه تعليقًا ، فقال: «وقال الليث كتب إلى هشام بن عروة» ، فذكر الحديث ، فهو في الصحيح وجادة على إجازة) .

قلت: والراوي هنا عن الليث بن سعد هو الإمام المحدث العمدة ، أبو موسى عيسى بن حماد بن زغبة التجيبي المصري ، وله خصوصية في روايته عن الليث ، فقد قال ابن يونس: «هو آخر من روى عن الليث من الثقات ، وهو مكثر عنه» ، وانظر ترجمته عند الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء)[1] .

فرضي الله تعالى عن الإمام الليث بن سعد ، عَلَم الأمة ، وفقيه مصر ، المعروف بالتبجيل والإجلال من الأكابر ، لسعة علمه ، وقوة مُدْرَكه[2] الفقهي ، وبسطة يده ، وسابغ جوده وكرمه ، مع أخلاقه الشريفة اللطيفة ، التي تظهر من مكاتباته ومراسلاته لأعيان عصره ، رحم الله الجميع ، وأسكنهم من الفردوس المكان الرفيع .

---

(١) سير أعلام النبلاء /١١/٥٠٦ .

(٢) المدرك بضم الميم ، لأنها من الفعل أدرك وهو رباعي ، ويقع اللحن فيه كثيرًا ، فينطقه الناس بفتح الميم ، وقد نظم بعض العلماء هذا التحرير فقال:

ومُـدْرَكُ الـشيء بضمٍّ موضـعُ ... إدراكـه ، والفـتح فيـه يُمْنَـعُ
لأنــه مــن أدرك الربــاعي ... والفــتح فيـه لـيس بالسـماعي
والفقهــاء يلحنــون فيــه ... فاشـكر لذي الإيجـاز والتنبيـه

فخذ هذا الضابط العلمي مشكورًا ، وللعلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة مبحث في هذا الباب في تعليقاته على كتاب: (الإحكام) للقرافي .

فصل

في سوق أسانيدنا إلى الإمام الحافظ الجليل عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري حافظ مصر ومحدثها ونَسَّابَتُها

محدث الديار المصرية وحافظها ، الإمام الحافظ الناقد الجليل: عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، أبو محمد الأزدي المصري ، كان ـ رحمه الله ـ مفخرةً لأهل مصر في زمانه ، وقد اشتهر ذكره بين حفاظ الحديث في المشرق والمغرب ، وسارت تصانيفه ، واشتهرت تحريراته وتدقيقاته ، وانتفع بها أهل الحديث ، وأقروا له بالسبق والمعرفة ، وقد اعتنيت بجمع ما يتيسر لي من تصانيفه ، وأحببت هنا أن أجمع أطرافًا من ترجمته ، لا سيما وللقلب به تعلق ومحبة وإكبار .

قال الحافظ الأمير أبو نصر ابن ماكولا في: (الإكمال) (الإمام أبو محمد عبد الغني بن سعيد ، حافظ المصريين ، وفريد وقته ، له المصنفات المعروفة المتداولة)[1] ، وقال الحافظ الذهبي في: (سير أعلام النبلاء): (الإمام الحافظ ، الحجة النسابة ، محدث الديار المصرية)[2] ، وقال في (تذكرة الحفاظ):

---

(١) الإكمال /٣/٨٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء /١٧/٢٦٨ .

(الحافظ الإمام، المتقن النسابة: أبو محمد الأزدي المصري، مفيد تلك الناحية)[١]، وقال في (تاريخ الإسلام): (وكان عبد الغني أعلمَ الناس بالأنساب في زمانه، مع معرفته بفنون الحديث، وحذقه به)[٢]، وقال ابن ماكولا في (الإكمال) أيضًا: (عبد الغني بن سعيد ويحي بن علي الحضرمي وهما حافظا المصريين، وأعرف بأهل بلادهما)[٣]، وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): (عبد الغني بن سعيد حافظ مصر)[٤].

قلت: أما مولده فقد قال الحافظ السِّلَفِيُّ: (سمعت الشيخ الأمين أبا محمد الأكفاني بدمشق يقول: سمعت عبد العزيز بن أحمد بن علي الحافظ يقول: كتب إلي أبو الحسن علي بن بقاء الوراق في مصر أن أبا محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ حدثهم قال: ولدت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي والدي سعيد بن علي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، ولم أسمع منه شيئا، وكان له حين وفاته ثلاث وأربعون سنة)[٥].

وأما رحلته في طلب الحديث وسماعه، فقد سمع من محدثي مصر وشيوخها، ولقي الوافدين إلى مصر من الحفاظ والمسندين، ورحل إلى بيت المقدس، ودخل دمشق، ودخل طرابلس الشام، وحدَّث بها.

ثم إنه عقد مجلسًا لإملاء الحديث، كما هي عادة الحفاظ، وكان مجلسه في جامع مصر العتيق، وقد استهل الإملاء فيه سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة.

---

(١) تذكرة الحفاظ /٣/١٠٤٧.

(٢) تاريخ الإسلام /٢٨/١٩٠.

(٣) الإكمال /٤/١٧٣.

(٤) فتح الباري /٩/٦٢٥.

(٥) وفيات المصريين /ص٥٤.

ولما أن شرع الحاكم بن العزيز في بناء جامع راشدة بظاهر مصر، وكان شروعه في عمارته يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة، كان الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد هو الذي يتولي بنائه ويشرف عليه، وكان المصحح لمحرابه أبا الحسن علي بن يونس المنجم.

وأما كاتب الحافظ عبد الغني بن سعيد، والذي كان ينسخ له فهو الشيخ المحدث أبو الحسن علي بن بقا، قال ابن خلكان في: (وفيات الأعيان): (وقال أبو الحسن علي بن بقا كاتب الحافظ عبد الغني بن سعيد)[١]، وكأني بأبي الحسن علي بن بقا قد نبغ بعد ذلك حتى وصف بمحدث الديار المصرية، فقد قال الحافظ الذهبي في: (العبر): (وعلي بن بقا أبو الحسن المصري الوراق الناسخ، محدث ديار مصر، روى عن القاضي أبي الحسن الحلبي وطائفة، وكتب الكثير)[٢].

وأما ذرية الحافظ عبد الغني فقد ولدت له بنت سماها رُبَيْسَة، وعرفت بأم سليم، وقد اشتغلت بالعلم، وسمعت الحديث، وحدَّثت، وروى عنها بعض الحفاظ، قال الحافظ أبو بكر بن نقطة ت٦٢٩هـ في: (تكملة الإكمال): (وأما ربيسة ـ بعد الراء ياء مكررة، وسين مهملة ـ فهي ربيسة بنت الحافظ أبي محمد عبد الغني ابن سعيد بن علي بن سعيد، أم سليم، حدَّثت عن أبي بكر عتيق بن موسى بن هارون الأزدي، حدَّث عنها أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني الحافظ)[٣].

ومن ذريته أيضًا: محمد بن الحسين بن بقاء الخشاب المصري الهمذاني

---

(١) وفيات الأعيان /٣/٢١٤.

(٢) العبر /٣/٢٢٥.

(٣) تكملة الإكمال /٢/٧٠٠.

ت٤٤٨هـ، فقد روى الخطيب في كتاب: (اقتضاء العلم العمل): (حدثني العلاء بن حزم الأندلسي قال: أخبرنا محمد ابن الحسين بن بقاء المصري قال: أخبرنا جدي عبد الغني بن سعيد الأزدي)(١)، فذكر أثرًا، وكان قد خطر لي أنه ربما كان ابن ابنته المذكورة، حتى وجدت التصريح بأنه سبطه وابن ابنته في غير موضع، فقد قال ياقوت الحموي في (معجم البلدان) في ترجمة أبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد التميمي البخاري: (وكان من الحفاظ الأثبات، عندي عنه «مشتبه النسبة» لعبد الغني، وقال أبو الفضل بن طاهر المقدسي في كتابه «تكملة الكامل في معرفة الضعفاء» قال: عبد الرحيم أبو زكرياء البخاري: حدث عن عبد الغني بن سعيد بكتاب «مشتبه النسبة» قراءة عليه وأنا أسمع، قال ابن طاهر: وفي هذا نظر؛ فإني سمعت الإمام أبا القاسم سعد بن علي الزنجاني الحافظ يقول: لم يرو هذا الكتاب عن عبد الغني غير ابن ابنته أبي الحسن بن بقاء الخشاب، قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: وفي قول الزنجاني هذا نظر؛ فإنه شهادة على نفي، وقد وجدنا ما يبطلها، وهو أنه قد روى هذا الكتاب عن عبد الغني أيضًا: أبو الحسن رشاء بن نظيف المقري، وكان من الثقات، وأبو زكرياء عبد الرحيم ثقة، ما سمعنا أن أحدًا تكلم فيه)(٢).

قلت: وكأن هذا الحفيد أبا الحسن بن بقاء الخشاب كان موضع عناية من جده الحافظ عبد الغني بن سعيد، فهو هنا قد أقرأه كتابه (مشتبه النسبة)، بل اتفق بينهما من النوادر العلمية ما هو أغرب، فقد أرسل الحافظ عبد الغني سبطه هذا إلى أحد المحدثين في مصر، في شأن حديث

(١) اقتضاء العلم العمل /ص٤٤.
(٢) معجم البلدان /١/٣٥٦.

معين، فذهب ابن بقاء فسمعه من ذلك الشيخ، ثم رجع، فكان الحافظ عبد الغني يرويه عن ابن بنته عن ذلك الشيخ، وهذا من النوادر، قال الحافظ السخاوي في (فتح المغيث): (ويلتحق بهذا رواية المرء عن ابن بنته، وفيه قصة الحبال عن عبد الغني أنه أرسل ابن ابنته أبا الحسن بن بقا إلى بعض الشيوخ بمصر، في حديث، فحدثه به، فقرأه عبد الغني عن ابن ابنته عن ذلك الشيخ)(١).

قلت: وقد كان الحافظ عبد الغني بن سعيد رحمة الله شامةً وغرةً لأهل مصر، لسعة علمه، وقوة حفظه، وجودة تصانيفه، وعلاقاته بعلماء الدنيا وحفاظها، وللنشاط العلمي الذي ترتب على سعة دائرة علاقاته بحفاظ المشرق والمغرب، فمنها علاقته بالإمام الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك، ومنها علاقته بالإمام أبي الحسن الدارقطني، ومنها علاقة الإمام أبي عمر ابن عبد البر به؛ إذ كتب إليه ابن عبد البر يطلب منه الإجازة فأرسل إليه بإجازته، وسيأتي تفصيل ذلك، كما كانت له علاقة علمية بأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي، وبأبي أسامة جنادة بن محمد اللغوي الأزدي الهروي، والذي كان مكثرًا من حفظ اللغة ونقلها عارفًا بوحشيها ومستعملها، ولم يكن في زمنه مثله في فنه، قال ابن خلكان في: (وفيات الأعيان): (وكان بينه وبين الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري وأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي مؤانسةٌ، واتحادٌ كثير، وكانوا يجتمعون في دار العلم، وتجري بينهم مذاكراتٌ ومفاوضاتٌ في الآداب)(٢).

(١) فتح المغيث /٣/١٨٩.
(٢) وفيات الأعيان /١/٣٧٢.

قلت: فانظر إلى هذا الجوِّ العلميِّ الحافل، المعمور بالمذاكرات، والإفادات، والعلاقات العلمية المتشعبة، ذلك الجو الذي تزكو فيه المعارف، وتتشعب فيه العلوم وتتسع فيه المعارف، وانظر إلى هذا الرحم العلمي الموصول، والذي يجلس فيه أهل الحديث، وأهل النحو، وأهل الأدب، فرحم الله تلك المجالس ورحم أهلها.

فصل

وأما ثناء العلماء عليه فقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري: ما رأت عيناي بعد عبد الغني بن سعيد أحفظ من أبي محمد بن محمد الخلال البغدادي.

وقال: أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العتيقي: أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ، وكان إمام زمانه في علم الحديث وحفظه، وما أريت بعد أبي الحسن الدارقطني مثله.

وقال أبو عبد الله محمد بن علي الصوري الحافظ قال لي عبد الغني بن سعيد: ابتدأت بعمل كتاب المؤتلف والمختلف، وقدم علينا أبو الحسن الدارقطني، فأخذت عنه أشياء كثيرة، فلما فرغت من تصنيفه سألني أن أقرأه عليه، ليسمعه مني، فقلت له: عنك أخذت أكثره، فقال لي: لا تقل هكذا، فإنك أخذته عني متفرقا وقد أوردته مجموعًا، وفيه أشياء كثيرة أخذتها عن شيوخك فقرأته عليه أو كما قال.

وقال الصوري: (قال لي أبو بكر البرقاني: سألت الدارقطني بعد قدومه من مصر: هل رأيت في طريقك من يفهم شيئًا من العلم؟ فقال لي: ما رأيت

في طول طريقي أحدًا، إلا شابًّا بمصر، يقال له: عبد الغني، كأنه شعلة نار، وجعل يفخم أمره، ويرفع ذكره).

وقال الصوري: (قال لي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي: قال لي أبي: خرجنا مع أبي الحسن الدارقطني من عند أبي جعفر مسلم الحسيني، فلقينا عبد الغني بن سعيد، فسلم على أبي الحسن، ووقفا ساعة يتحدثان، ثم انصرف عبد الغني، فالتفت إلينا أبو الحسن فقال: ياأصحابنا!! ما التقيت من مرة مع شابكم هذا فانصرفت عنه إلا بفائدة!).

وقال الصوري: (قال لي أبو الفتح منصور بن علي الطرسوسي ـ وكان شيخًا صالحًا ـ: لما أراد أبو الحسن الدارقطني الخروج من عندنا من مصر خرجنا معه نودعه، فلما ودعناه بكينا، فقال لنا: تبكون؟! فقلنا: نبكي لما فقدناه من علمك، وعدمناه من فوائدك، فقال: تقولون هذا وعندكم عبد الغني وفيه الخلف[(١)].

فصل

وأما مؤلفاته فمنها كتاب: (المؤتلف والمختلف)، وهو كتاب في غاية الجودة، ويكفيه فيه أن أحدًا من المحدثين لم يسبقه إلى التصنيف في هذا الباب، حتى قال الحافظ أبو بكر بن نقطة ت٦٢٩هـ في كتاب: (التقييد): (هو أول من صنف في علم المؤتلف والمختلف في أسماء الرواة وأنسابهم)[(٢)]،

(١) وانظر أسانيد تلك العبارات في ترجمة الحافظ عبد الغني بن سعيد في كتاب التقييد /ص٣٦٩/، ثم انظر تاريخ دمشق /٣٩٥/٣٦/، ووفيات الأعيان /٢٢٣/٣/، وتاريخ الإسلام /١٨٨/٢٨/، وتذكرة الحفاظ /١٠٤٧/٣/، وطبقات الحفاظ /ص٤١٢/، وشذرات الذهب /١٨٨/٣/، وغيرها كثير.

(٢) التقييد /ص٣٦٨/.

وقال السخاوي ت٩٠٢هـ في: (فتح المغيث): (والتصانيف فيه كثيرة، فصنف فيه أبو أحمد العسكري، لكنه أضافه إلى كتاب التصحيف له، ثم أفرده بالتأليف عبد الغني بن سعيد، ولذا كان أَوَّلَ مَنْ صنف فيه، وله فيه كتابان، أحدهما في مشتبه الأسماء، والآخر في مشتبه الأنساب).

قلت: ثم استطرد السخاوي في ذكر التصانيف التي أخرجها الحفاظ بعد ذلك في هذا الباب، فقال: (ثم شيخه الدارقطني وهو حافل، واستدرك عليهما الخطيب في ذيل مفرد، وجمعها مع زيادات الأمير أبو نصر بن ماكولا، بحيث كان كتابه ـ وهو في مجلدين كما تقدم في آداب طالب الحديث ـ أكملَ التصانيف فيه بالنسبة لمن قبله، بل واستدرك عليهم في كتاب آخر جمع فيه أوهامهم، وبينها، وكتابه في ذلك عمدة كل محدث بعده.

وقد ذيل عليه ما فاته أو تجدد بعده المعين أبو بكر بن نقطة، بذيل مفيد، في قدر ثلثي الأصل، ثم ذيل على ابن نقطة كلٌّ من الجمال أبي حامد بن الصابوني، ومنصور بن سَليم ـ بالفتح ـ، وثانيهما أكبرهما، وتواردا في بعض ما ذكراه، وكذا ذيَّل على ابن نقطة العلاءُ مغلطاي، جامعًا بين الذيلين المذكورين، مع زيادات من أسماء الشعر أو أنساب العرب وغير ذلك، ولكن فيه أوهام وتكرير)[1]، ثم ذكر السخاوي مؤلفات أخرى في هذا الفن.

قلت: فكتاب الحافظ عبد الغني من الكتب المشجرة، وأعني بها الكتب التي تفتح باب الكلام في علم من العلوم، أو تأتي في ذلك العلم بتحريرٍ مهمٍّ، فيتوارد العلماء بعده على التأليف في ذلك العلم، إما بالتذييل

(١) فتح المغيث /٣/٢٣٦/.

على كتابه والاستدراك عليه، أو بالاختصار، أو بالشرح، أو بالنقد، أو بالمعارضة، بحيث يكون الكتاب الأول بمثابة بذرةٍ، نبتت حولها شجرةٌ كاملة من التصانيف والمؤلفات، ومثال هذا النوع من التآليف: مقدمة ابن الصلاح، وألفية ابن مالك، وتفسير البيضاوي، ومتن جمع الجوامع للسبكي، وغير ذلك كثير، ولي مقالة في هذا المعنى عنوانها: (الكتب المشجرة).

ومنها كتاب (الأوهام التي في مدخل أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري)، وذلك أنه انتهى إليه كتاب: (المدخل إلى الصحيح) للحاكم، فرأى فيه أوهامًا، جمعها في جزء، قال الحافظ الذهبي: (ولعبد الغني جزء بين فيه أوهام كتاب المدخل إلى الصحيح للحاكم، يدل على إمامته وسعة حفظه)[1]، وكان الحافظ عبد الغني قد أرسل هذا الجزء إلى الحاكم، فأرسل إليه الحاكم يشكره ويدعو له، قال: (لما رددت على أبي عبد الله الحاكم الأوهام التي في المدخل بعث إلي يشكرني، ويدعو لي، فعلمت أنه رجل عاقل)[2].

وهذه واقعة جليلة، تناقلها العلماء، لما فيها من الإنصاف، حتى كأنها صارت مثلًا يضرب، قال ابن عساكر في (تاريخ دمشق): (وسمعت أخي أبا الحسين الفقيه يقول: قال لي الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبدالرزاق الزعفراني: لما بلغ الإمام أبا بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ أن ابن ماكولا أخذ عليه في كتابه «المؤتنف»، وصنف في ذلك تصنيفًا، وحضر عنده ابن ماكولا، سأله الشيخ الإمام أبو بكر عن ذلك،

(١) سير أعلام النبلاء /١٧/٢٦٩/.

(٢) تاريخ دمشق /٣٦/٣٩٨/، وتذكرة الحفاظ /٣/١٠٤٨/، وسير أعلام النبلاء /١٧/٢٧٠/، وتاريخ الإسلام /٢٨/١٩٠/.

فأنكر ولم يقر به، وقال: «ينسبني الناس إلى ما لست أحسنه»، فاجتهد الشيخ الإمام أبو بكر في أن يعترف في بذلك، وحكى له ما كان من عبد الغني بن سعيد الحافظ في تتبعه أوهام أبي عبدالله بن البيع في كتاب المدخل، وحكايات عدة في هذا المعنى، وقال: «أرني إياه، فإن يكن صوابًا استبعدته منك، ولا أذكره إلا عنك»، فأصر على الإنكار، وقال: «لم يخطر هذا ببالي قط، ولست أبلغ هذه الدرجة» أو كما قال، فلما مات الخطيب أظهر كتابه، وهو الذي سماه: «كتاب مستمر الأوهام، على ذوي النهي والأحلام، أبي الحسن الدارقطني، وأبي محمد عبدالغني بن سعيد، وأبي بكر أحمد بن علي الخطيب» وهو في عشرة أجزاء لطاف)(١)، قال الذهبي في: (تاريخ الإسلام): (قلت: وقعت لي نسخة به، وهو كتاب نفيس، يدلّ على تبحّر مصنّفه وإمامته)(٢).

ومنها كتاب: (أسباب الأسماء)، في تعليل ألقاب المحدثين، قال الحافظ السخاوي في: (فتح المغيث) (ومن المهم معرفة أسبابها؛ فربما كان لبعض منها سبب، يعني ظاهر، وإلا فكلها لا تخلو عن أسباب، ويستفاد الكثير من ذلك من جزء سمعته للحافظ أبي محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري، سماه أسباب الأسماء، كالضعيف، والصدوق، والقوي، والضال)(٣).

قال ابن القيسراني في: (المؤتلف والمختلف): (سمعت أبا إسحاق الحبال بمصر يقول: سمعت عبد الغني بن سعيد الحافظ يقول: رجلان

(١) تاريخ دمشق /٣٤/٢٦٤.
(٢) تاريخ الإسلام /٣٣/٢١٨.
(٣) فتح المغيث /٣/٢٣٠.

جليلان لحقهما لقبان قبيحان: معاوية بن عبد الكريم الضال، وإنما ضل في طريق مكة، وعبد الله بن محمد الضعيف، وإنما كان ضعيفًا في جسده لا في حديثه)(١)، قلت: وكأني بالحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي كان معنيا بهذا الفن، يجمع نظائره ووجوهه، حتى أخرج في ذلك جزئه الذي ذكره الحافظ السخاوي رحم الله الجميع.

وللحافظ عبد الغني أيضًا تأليف عجيب في تعدد الأنساب، قال السخاوي في (فتح المغيث): (ويدخل في هذا الباب نوع مستغرب، يتعلق بتعدد الإنسان، صنف فيه عبد الغني بن سعيد، فذكر: عمر بن عبد العزيز بن مروان، بينه وبين فهر بن مالك ثلاثة عشر أبًا، وأبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض بن أسود بن نافع الفهري، بينه وبين فهر ثلاثة عشر أبًا، ومات عمر سنة إحدى ومائة، ومات أبو بكر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، فبينهما في الوفاة مائتان وسبع وأربعون سنة.

وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، في التعدد مثل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبينهما في الوفاة مائة وبضع وثلاثون سنة)(٢).

ومن مؤلفاته أيضًا كتاب: (مشتبه النسبة)، وكتاب: (الغوامض والمبهمات)، وكتاب: (المتوارين)، وكتاب: (إيضاح الإشكال)، وكتاب: (الرباعيات في الحديث)، وكتاب: (تاريخ القضاة)، وكتاب: (من روى من

(١) المؤتلف والمختلف /ص٩٤.
(٢) فتح المغيث /٣/٢٠٣.

التابعين عن عمرو بن شعيب)، وكتاب: (آداب المحدثين)، وكتاب: (ومجلس من أوهام أبي عبد الله البخاري في تاريخه الكبير)، وكتاب: (العلم).

فصل

وأما وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ فقد قال تلميذه العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال ت٤٨٢هـ في كتاب (وفيات المصريين) في وفيات سنة تسع وأربعمائة: (أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ، ليلة الثلاثاء، ودفن يوم الثلاثاء، السابع من صفر، وحضرت جنازته)[(١)].

وأما وصف جنازته فقد روى الحافظ ابن عساكر في: (تاريخ دمشق): أن القاضي أبا الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي قال: (وصلى عليه قاضي القضاة أحمد بن محمد بن أبي العوام، وكانت له جنازة عظيمة، تحدث بها الناس أنهم لم يروا في هذه السنين جنازة مثلها لأحد، وكنت غائبا لم أصل من الحجاز.

وحدثني بعض أصحابنا أنه نودي على جنازته: هذه جنازة أبي محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي، الحافظ لكتاب الله، هذا نافي الكذب عن رسول الله ﷺ، فدمعت عينا القاضي وكثير ممن حضر، جزعًا عليه، وتألمًا لفقده)[(٢)].

فصل

ونحن نتصل بأسانيده من طريق سماحة شيخنا العلامة الشيخ علي

(١) وفيات المصريين/ص٨٩/.
(٢) تاريخ دمشق /٣٦/٤٠٠/.

جمعة، عن الشيخ محمد الحافظ التيجاني، عن العلامة السيد أبي الحسن علي بن سرور الزنكلوني الحسني الأزهري، عن حسن بن محمد بن داود العروي المالكي شيخ رواق الصعايدة بالأزهر، عن مصطفى بن أحمد المبلط الأحمدي الطنطاوي المصري، عن محمد بن محمد الأمير الكبير المالكي المصري، عن شيخ الإسلام علي بن أحمد العدوي الصعيدي المصري، عن محمد السلموني المصري، عن الشيخ محمد الخرشي المصري والشيخ عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري، كلاهما عن أبي الأمراء البرهان إبراهيم بن إبراهيم بن علي اللقاني المصري، عن العلامة أبي النجا سالم السنهوري، عن النجم محمد بن أحمد الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر: عن محمد بن حيان بن أبي حيان: عن جده أثير الدين أبي حيان: عن أبي الحسن بن الزبير الغرناطي: عن أبي الحسين أحمد بن محمد بن السراج: عن خاله الإمام أبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، عن أبي محمد بن عتاب، عن أبي عمر بن عبد البر الحافظ، عن الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وبه إلى الحافظ ابن حجر قال: أخبرنا أبو العباس بن أحمد بن أبي بكر بن العز أحمد بن عبد الحميد الفقيه إجازة مكاتبة: أنبأنا التقي سليمان بن حمزة المقدسي: أنبأنا جعفر بن علي: أنبأنا السلفي: أنبأنا جعفر بن أحمد السراج: أنبأنا عبد الرحيم بن أحمد البخاري، عنه.

وبه إلى الحافظ ابن حجر: أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد المطرز شفاها: عن يونس ابن أبي إسحاق: عن أبي الحسن بن الصابوني وأبي الحسن بن المقير: قال الأول: أنبأنا أبو مسعود عبد الرحيم بن أبي الوفاء الحاجي في كتابه: أنبأنا

الحافظ أبو الفضل محمد ابن طاهر: أنبأنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال عنه.

وقال الثاني: أنبأنا عاليًا أبو الفضل محمد بن ناصر إجازة مكاتبة عن الحبال به.

قلت: وبأسانيدنا إلى الإمام الحافظ الفقيه الجليل أبي عمر ابن عبد البر النمري القرطبي، عنه، رحم الله الجميع.

فصل

في سَوْقِ أسانيدنا إلى إمام أهل هذا الفن، ومركز أسانيد أهل مصر في زمانه، أمير المؤمنين في الحديث: الحافظ ابن حجر

المطالع لمعاجم الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ وفهارسه، التي فصَّل فيها أحوالَ تلقيه، وذكر فيها مشايخه وأسانيده ومقروآته، يرى من سَعةِ الرواية، وكَمالِ العناية بهذا الفن، وشدةِ السعي في تحصيله، كل هذا مع التدقيق البالغ في الفنون المختلفة، وبلوغ المرتبة العليا في الحديث الشريف وعلومه، بحيث إنه ـ رحمه الله ـ لو اقتصر على فنِ الأسانيد لكان مسند الدنيا في زمانه، لسعة روايته، وعلو أسانيده، وكثرة مسموعاته، إلا أنه اشتهر بتحريراته وتدقيقاته وبحوثه، وتآليفه في فنون الدراية والصنعة الحديثية الصرفة، وشروحه على عيون كتب الحديث، مع التبحر في نقد الرجال وسبر الطرق، حتى إنه ـ رحمه الله تعالى ـ ليلتحق بالطبقة العليا من أئمة هذا الفن من الجهابذة والنقاد.

قال الجمال يوسف بن تغري بردي في: (المنهل الصافي): (وصار حافظَ الإسلام، علامةً في معرفة الرجال واستحضارهم، والعالي والنازل، مع معرفةٍ تامّة بعلل الأحاديث وغيرها، وصار هو المعوّل عليه في هذا الشأن في سائر

أقطار الأرض، وقدوة الأمة، علامة العلماء، حجة الإسلام، محيي السنة، انتفع به الطلبة، وحضر دروسه جماعة من علماء عصرنا، وقضاة قضاتنا، وقرأ عليه غالب فقهاء مصر)[1].

قلت: وبالجملة فقد كان الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب علوم وفنون، وهو في كل واحد منها إمام متبحر، لكن من فنونه ما خفي ومنها ما ظهر، وقد برز في القرن التاسع فسطعت شمسه، وظهرت علومه واستفاضت، ودار الحديث الشريف بعده على مؤلفاته وتحريراته، فهو مجمع للعلوم، وإليه تنتهي الأسانيد.

قلت: حتى صار ـ رحمه الله ـ مركزًا للأسانيد، ودارت عليه أسانيد أهل مصر وما والاها من ديار المشرق والمغرب، قال العلامة شمس الدين محمد بن محمد البديري الدمياطي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثبته: (الجواهر الغوالي): (الطرق المتقدمة وإن كثرت واختلفت تتصل كلها بالحافظ ابن حجر العسقلاني، ولذا قيل: «لولا هو وشيخه التنوخي لم يكن لأهل مصر سند في الحديث»)[2].

وقال العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني في: (سلوة الأنفاس): (وقد ذكروا في الحافظ ابن حجر أنه أمير المؤمنين في الحديث، وأنه سيد حفاظ زمانه، وأنه جاوز فيه مرتبة الذهبي وأضرابه، وأنه بلغ فيه مرتبة لم يبلغها أحد بعده، ولا كثير ممن قبله، وأن عليه المدار فيه في الدنيا بأجمعها، وإليه المرجع فيه شرقًا وغربًا، بإطباق من بعده، ومن طالع كتبه الحديثية وكتب غيره علم صحة هذا وتيقنه).

(١) المنهل الصافي ٢/١٩.
(٢) الجواهر الغوالي، في الأسانيد العوالي /ورقة ١٤/ مخطوط.

قال الحافظ الناقد السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري في: (المثنوني والبتار): (خصوصًا قدوة الحفاظ، وأمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين، الحافظ أبا الفضل ابن حجر العسقلاني، الذي قال العلماء في حقه: «إنه أجلُّ نعم الله على المؤمنين بعد الإيمان»؛ فإنه أوسع الحفاظ روايةً واطلاعًا، وأكثرهم حفظًا وأطولهم باعًا، وقد قيل: إنه بيهقيُّ زمانه، وعندي أنه تشبيه من لم ينصفه في حفظه، ولم يقدر قدر إتقانه، فأنى للبيهقي أن يشبه به أو يكون من أقرانه، بل هو حجة الله البالغة، وآيته الباهرة، جمع فيه من الحفظ والإتقان ما قسمه بين حفاظ هذا الشأن، وألان له الحديث كما ألان لداود الحديد، ألسنةُ معاصريه بهذا ناطقة، وكتبه حاكمة بأن الخبر صحيح والشهود صادقة، فمن رجع إليها رأى من تحقيقه وسعة حفظه واطلاعه ما يحير الألباب، ومن أسماء المصنفات الحديثية التي قرأها وسمعها على شيوخه العجب العجاب، ويكفيك أنه قال: «كل حديث نقل عدد طرقه عن الحفاظ الأقدمين تتبعت طرقه، فوقع لي بأكثر مما نقل عنهم، وإنني تتبعت طرق حديث: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» من الكتب المشهورة، والأجزاء المنثورة، حتى مررت على أكثر من ثلاثة آلاف جزء فما استطعت أن أكمل له مائة طريق».

ومن قرأ كتابه: «المعجم المفهرس» وكتابه: «المجمع المؤسس» أو جمع من غضون كتبه أسماء ما ينقل عنه، أو يعزو إليه، مما رواه ووقف عليه من الكتب الحديثية، رأى أكثر من هذا العدد بكثير)[1].

قال تلميذه العلامة الجمال ابن تغري بردي في: (المنهل الصافي): (وكان

(١) المثنوني والبتار، في نحر العنيد المعثار، الطاعن فيما صح من السنن والآثار /٣٨.

ـ رحمه الله ـ حافظ المشرق والمغرب، أمير المؤمنين في الحديث، انتهت إليه رئاسة علم الحديث من أيام شبيبته بلا مدافعة، بل قيل إنه لم يرَ مثل نفسه، قلت: وهذا هو الأصح، وكان عفا الله عنه ذا شيبة نيرة، ووقار وأبهة ومهابة، هذا مع ما احتوى عليه من العقل والحكمة، والسكون والسياسة، والدربة بالأحكام، ومداراة الناس، قل أن يخاطب الشخص بما يكره، بل كان يحسن لمن يسيء إليه، ويتجاوز عمن قدر عليه)[1].

قلت: ومن عجائبه ـ رحمه الله تعالى ـ أنه أدرك على رأس القرن الرؤوس من أرباب الفنون والعلوم، من أمثال البلقيني، والعراقي، وابن عرفة وأضرابهم، حتى قال هو ـ رحمه الله ـ عن نفسه في جزئه القيم: (ذيل التبيان، لبديعة الزمان) في ترجمته لشيخه المجد الفيروزآبادي الشيرازي صاحب القاموس المحيط: (وهو آخر الرؤوس الذين أدركناهم موتًا، فإني أدركت على رأس القرن رؤوسًا في كل فنٍّ، كالبلقيني، والعراقي، والغُمَاري، وابن عرفة، وابن الملقن، والمجد الشيرازي هذا، تغمدهم الله بغفرانه، وجمع بيني وبينهم في دار رضوانه، آمين)[2]. وهذا من الخصائص التي قلَّ أن تجتمع لأحد.

وقد جمع الحافظ السخاوي كتابًا كبيرًا في ترجمة الحافظ ابن حجر، وذكر تدرجه في معرفة الحديث، وثناء العلماء عليه، من طبقة شيوخه فمن دونهم، مع ما اجتمع له في تكوينه العلمي مما لم يجتمع لغيره، وكتاب السخاوي مشهور، واسمه: (الجواهر والدرر، في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر)، وقد طبع غير مرة.

---

(١) المنهل الصافي /٢/٢٣.

(٢) ذيل التبيان، لبديعة الزمان /ص٦٨.

ثم إنني أتصل بالحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ وأروي مروياته وما تضمنته معاجمه وفهارسه مثل: «المجمع المؤسس»، و«المعجم المفهرس» وغيرها، **بسندٍ مسلسلٍ بالمصريين**، من طريق الشيخ علي محمد توفيق النحاس، عن أبيه، عن محمد بخيت المطيعي، عن محمد أحمد عليش، عن الأمير الصغير، عن أبيه محمد بن محمد الأمير الكبير المالكي المصري، عن شيخ الإسلام علي بن أحمد العدوي الصعيدي المصري، عن محمد السلموني المصري، عن الشيخ محمد الخرشي المصري والشيخ عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري، كلاهما عن أبي الأمراء البرهان إبراهيم بن إبراهيم بن علي اللقاني المصري، عن العلامة أبي النجا سالم السنهوري، عن النجم محمد بن أحمد الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن شيخ الإسلام الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الكناني المصري الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأروي مروياته بسند مسلسل بالشوام من طريق العلامة محمد مطيع الحافظ الدمشقي، عن مفتي الشام، العلامة الطبيب، السيد محمد أبي اليسر ابن مفتي الشام، العلامة الشيخ محمد أبي الخير، ابن أمين الفتوى في بلاد الشام، السيد أحمد بن عبد الغني بن عمر عابدين الحسيني الدمشقي، عن والده الشيخ محمد أبي الخير ابن أحمد بن عبد الغني بن عمر عابدين، عن والده السيد أحمد بن عبد الغني، والشيخ يوسف بدر الدين المغربي، وابن عمه علاء الدين بن محمد أمين عابدين، ثلاثتهم عن جماعة منهم: مسند الدنيا الإمام عبد الرحمن بن محمد الكزبري الحفيد، عن الشيخ مصطفى بن محمد الرحمتي الأيوبي، عن العارف الشهير الشيخ عبد الغني بن إسماعيل

النابلسي، عن الإمام نجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي العامري الشافعي، عن والده الإمام بدر الدين محمد بن محمد رضي الدين الغزي، عن شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي عن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى.

وأروي مروياته بسند مسلسل بالأتراك من طريق شيخنا العلامة الشيخ محمد أمين سراج، وهو عن العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، وهو عن علي بن زين العابدين بن الحسن الألصوني ت ١٣٣٦هـ، عن الحافظ أحمد شاكر بن خليل الحسيني ت ١٣١٥هـ، عن الحافظ محمد غالب بن محمد أمين الأصطنبولي ت١٢٨٦هـ، عن سليمان بن الحسن الكريدي، عن إبراهيم الأسبيري، عن علي الفكري بن محمد صالح الأخِشْخوي، عن محمد منيب العينتابي، عن إسماعيل بن محمد القونوي، عن عبد الطرين القونوي الآمدي، عن محمد اليماني الأزهري، عن محمد بن عبد الباقي الزرقاني، عن أبيه، عن علي الأجهوري، عن فتح الله بن محمود البيلوني، عن أبيه، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العمادي، عن أحمد بن إبراهيم الشماع الحلبي، عن الحافظ عز الدين عبد العزيز بن نجم الدين عمر بن تقي الدين محمد ابن فهد المكي، عنه.

وأروي مروياته بسند مسلسل بالمغاربة من طريق شيخنا العلامة السيد عبد الله ابن عبد القادر التليدي المغربي، عن الإمام الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي المغربي، عن السيد محمد بن جعفر الكتاني، عن أبيه، عن الوليد العراقي، عن حمدون بن الحاج، عن محمد التاودي، عن أحمد بن المبارك السجلماسي، عن أبي الحسن علي بن

الحريشي، عن شيخ الجماعة أبي البركات عبد القادر بن علي الفاسي، عن حافظ عصره الإمام أبي العباس أحمد المقري، عن عمه الإمام سعيد المقري، عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، عن والده، عن الإمام الحبر أبي عبد الله وأبي الفضل محمد بن محمد بن مرزوق الحفيد، عن الحافظ ابن حجر تدبجًا.

وأروي مروياته بسند مسلسل بالهنود من طريق شيخنا المسند المعمر أحمد علي بن محمد يوسف اللاجبوري السورتي، عن عبد الرحمن الأمروهوي، عن فضل الرحمن الكنج مراد آبادي، عن الشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي، عن أبيه، عن أبي طاهر الكوراني، عن أبيه البرهان الكوراني، عن محمد نجم الدين الغزي، عن أبيه بدر الدين الغزي، عن شيخ الإسلام زكريا، عنه، وهذا سند في غاية العلو.

وأروي مروياته بسند مسلسل بالسادة آل الأهدل من طريق شيخنا السيد محمد ابن عبده بن سليمان الأهدل، عن شيخ الإسلام الحسن بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، عن العلامة المفتي أحمد الإدريسي بن محمد بن سليمان الأهدل، عن أبيه، عن جده الإمام شيخ الإسلام السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، عن والده السيد سليمان، عن السيد أحمد بن محمد شريف مقبول الأهدل، عن خاله السيد يحي بن عمر مقبول الأهدل، عن السيد العلامة أبي بكر بن علي البطاح الأهدل، عن السيد يوسف بن محمد البطاح الأهدل، عن السيد طاهر بن حسين الأهدل، عن الحافظ عبد الرحمن ابن الديبع، عن الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، عن الحافظ ابن حجر.

وأروي مروياته بسند مسلسل بالمحمدين من طريق شيخنا محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث الكتاني، عن محمد الحافظ التيجاني، عن محمد عبد الباقي اللكنوي، عن محمد بن سليمان المكي، عن محمد بن خليل القاوقجي، عن محمد بن صالح العروي، عن محمد الأمير الكبير، عن محمد بن سالم الحفني، عن محمد البديري، عن محمد بن قاسم، عن محمد علاء الدين البابلي، عن محمد حجازي الواعظ، عن محمد نجم الدين الغيطي، عن محمد الدلجي العثماني، عن محمد بن عبد الرحمن السخاوي، عنه.

وأروي مروياته بسند مسلسل بأئمة السنة عبر الأعصار، وهو مسلسل أيضًا برواية الأبناء عن الآباء: من طريق: شيخنا العلامة السيد أبي المواهب السكندري محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث، عن أبيه، عن العلامة السيد أبي الإقبال وأبي الإسعاد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، عن أبيه، عن العلامة عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي المجددي، عن أبيه، عن العلامة الشاه عبد العزيز ابن العلامة الشاه ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم، عن أبيه، عن العلامة أبي طاهر ابن العلامة البرهان إبراهيم الكوراني، عن أبيه، عن العلامة نجم الدين أبي البركات محمد بن العلامة محمد بدر الدين الغزي، عن أبيه، عن العلامة الإمام، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر.

قلت: وهذا سند فخيم جليل، عظيم القدر، مسلسل برواية الأبناء عن الآباء، ومسلسل بالعلماء المحققين، ومسلسل بأئمة السنة عبر الأعصار، حتى إن العلامة السيد عبد الحي الكتاني احتفى به جدًا، وقال فيه كلمة فخيمة عظيمة.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ في: (فهرس الفهارس والأثبات): (لا أتقن ولا أوثق في سلاسل المتأخرين من هذه السلسلة؛ لأنها مع علوّها مسلسلةٌ بأيمة الأعصار والأمصار، وأقطاب السنة ورجال العلم والعمل، ولذلك إذا رويت عن الوالد عن الشيخ عبد الغني بها كأني أقول بالنسبة لزماننا والقرون المتأخرة: حدثني مالك، عن نافع، عن ابن عمر، فأجد لهذا السياق من الحلاوة والقبول والعظمة ما تنهدُّ له جبروتية الشباب، وتقف عنده صولة علوم الشقشقة، حشرني الله في زمرتهم، وألحقني بهم مع الرعيل الأول من السابقين الأولين)[1] انتهى كلامه.

هذا وقد جمع العلامة المسند الشيخ صالح الأركاني ـ رحمه الله تعالى ـ ثبتًا أجاز به الشيخ يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي أسماه: (فضل الرحمن، في إجازة الدكتور يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي)، وقفه على تتبع أسانيده إلى شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ، فساق فيه مائةً وخمسين سندًا منه إلى الحافظ ابن حجر، واقترح في أوله أن يسمى أيضًا: (إتحاف أهل الحديث والأثر، بذكر جملة من أسانيدنا إلى الحافظ ابن حجر)، وقد طبعه الشيخ يوسف المرعشلي بآخر: (المجمع المؤسس) للحافظ ابن حجر، وهو معجم شيوخه.

وأنا أروي هذا الجزء بعموم الإجازة من المحدث الشيخ رفعت فوزي عبد المطلب ـ حفظه الله ـ، عن الشيخ الأركاني بأسانيده المرقومة في جزئه المذكور.

وفي الشيخ الأركاني نزاعٌ مشهور بين المعاصرين المشتغلين بصنعة

---

(١) فهرس الفهارس والأثبات ٢/٧٦٠.

الإسناد، فكان فضيلة الشيخ عمر موفق النشوقاتي وفضيلة الشيخ محمد عبد الله الرشيد يميلان إلى أن الرجل يدعي الرواية عن أناس لا رواية له عنهم، وفي المقابل كان فضيلة الشيخ عبد الرؤوف المبارك البحراني يميل إلى الذب عن الشيخ صالح الأركاني، وكذلك الشيخ يوسف المرعشلي في: (معجم المعاجم والمشيخات).

وهو نظيرُ ما وقع في شأن الشيخ صالح الفلاني، فقد كان العلامة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي والحافظ السيد أحمد الصديق الغماري يميلان إلى تكذيبه، حتى أفرد في ذلك الحافظُ الغماريُّ جزءً اسمه: (العتب الإعلاني، لموثق صالح الفلاني)، وفي المقابلِ كان العلامة السيد عبد الحي الكتاني ينتصر له، ويذب عنه في: (فهرس الفهارس)، وقد سمعت أن فضيلة الشيخ عبد الرؤوف المبارك ينتوي إخراج تأليف في الدفاع عن الصالحيْن: الفلاني، والأركاني، فلعله أن ينشط في ذلك إن شاء الله، وهذا كله متفرع على قضية الجرح والتعديل في المتأخرين ممن بعد أهل القرن الخامس، وفي المسألة نزاع، فصَّلتُ القول فيه في كتاب: (إحياء علوم الحديث) فانظره هناك.

ويلتحق بصالحٍ الفلانيِّ وصالحٍ الأركانيِّ ثالث، وهو الحبيبُ سالم بن أحمد بن جندان؛ إذ وقع حوله من الجدل نظير ما وقع حولهما، فمن مدافع عنه، ومن مهاجم له، قادح في روايته ومجاميعه وكتبه، والله أعلم بحقيقة الحال.

فصل

في سَوْقِ أسانيدنا إلى ثبت الإمام: محمد بن محمد الأمير الكبير، وهو الذي عليه مدار أسانيد أهل مصر في الأعصار الأخيرة

درج أهلُ العلم على العناية التامَّةِ بمروياتهم وأسانيدهم، وطُرقِ اتصالهم بالتصانيف العلمية في الفنون المختلفة، مع الاهتمام بتراجم شيوخهم ومن فوقهم، وتمثل هذه العناية ضربًا من ضروب التوثيق، والدقة في توصيف الجداول والقنوات العلمية التي سرى من خلالها العلم الشريف إلينا.

وقد تجسدت تلك المقاصد الإسنادية الشريفة في غير نوع من تآليف العلماء، فتراه في رحلاتهم، التي يجمعون فيها أطرافًا من أخبار شيوخهم الذين اجتمعوا بهم في تطوافهم، وما جرى في مجالساتهم من مسائل وبحوث، وإنشادات وإفادات، وما أجازهم به مشايخهم، ومن أبرز الكتب التي ظهرت في هذا المعنى رحلة الحافظ ابن رشيد السبتي رحمه الله، ورحلة العلامة أبي سالم العياشي وغير ذلك.

وتراه في أثباتهم ومعاجمهم التي يجمعون فيها أخبار شيوخهم، وما تلقوه عنهم رواية ودراية، وما اتصل به سندهم من مؤلفات في العلوم المختلفة، وما عندهم من الأحاديث المسلسلة وما أشبه.

وتراه في تراجمهم الذاتية التي يتعرضون فيها لذكر مراحل الطلب، وكيفية التكوين، ويسري إلى هذه الكتب ذلك الطابع التوثيقي الذي استقر وثبت في وجدان العالم المسلم، فيعرض لذكر شيوخه وتراجمهم، ومقروآته عليهم، وكيفية تخرجه بهم، واستفادته منهم.

هذا وللدكتور موفق عبد الله عبد القادر كتاب اسمه: (علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات، وفن التراجم) طبع في معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة، سنة ١٤٢١هـ.

وللأستاذ أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري رسالة عنوانها: (كتب الفهارس والبرامج، واقعها وأهميتها) نشرها في دار ابن حزم بالرياض سنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

وللأستاذ عبد العزيز الأهواني مقالةٌ جيدةٌ، عنوانها: (كتب برامج العلماء في الأندلس) نشرت في العدد الأول من مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة[١].

وللدكتور عبد الله المرابط الترغي كتاب اسمه: (فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة)، من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، وفي أوله بحوث قيمة جدا في التعريف بالفهارس والأثبات، والعناصر المكونة لها، ودوافع كتابتها، وأصنافها، وغير ذلك.

وللدكتور أحمد رمضان أحمد كتاب عنوانه مهم: (الإجازات والتوقيعات المخطوطة، في العلوم النقلية والعقلية، من القرن ٤هـ/١٠م، إلى ١٠هـ/١٦م)، نشر في مصر، في مشروع (المائة كتاب)، وقد اشتمل على فوائد.

(١) مجلة معهد المخطوطات، العدد ١، /ص٩١ ـ ١٢٠/.

ولربما رزق واحدٌ من هذه الكتب الذيوع والانتشار، وتداولته الأيدي، واعتمده العلماء، حتى صار هو المدارَ الذي تدور عليه أسانيد من بعده، وصار هو الذي عليه المعول في رفع الأسانيد إلى الكتب الأمهات، وبيان ما تحظى به علوم أهل الإسلام من التسلسل عبر الأعصار بطرق النقل المأمونة، وأساليب التداول الموثوق بها.

تلك الشهرة التي تحصل لبعض الكتب وتجعلها معتمدةً عند العلماء يحيلون إليها، ويعولون عليها، تراها مثلًا في العلامة السيد أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي ت١٣٠٥هـ قال صاحب: (فهرس الفهارس) في ترجمته: (هذا الرجل هو مسند بلاد الشام في أول هذا القرن، وعلى أسانيده اليوم المدار في غالب بلاد مصر والشام والحجاز)[١]، فوصف القاوقجي بهذا الوصف الحسن الرفيع، أن على أسانيده مدار الرواية في البلاد المذكورة.

فصل

وأنت ترى هذه الكلمةَ في الطبقة التي قبله في العلامة الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ صاحب الثبت المسمى: (سد الأرب، من علوم الإسناد والأدب)، قال عنه العلامة السيد عبد الحي الكتاني ـ رحمه الله تعالى ـ في: (فهرس الفهارس): (وثبته مدار رواية المصريين، ومعظم الحجازيين والمغاربة، وفهرسه هذا في نحو أربع كراريس، مفيد جامع للمصنفات الحديثية والكتب، رتبها على الفنون والمسلسلات والطرق)[٢].

(١) فهرس الفهارس والأثبات /١/١٠٥/.
(٢) فهرس الفهارس /١/١٣٤/.

قلت: فهذان معًا ممن قيل فيهم إنه: (على أسانيده مدار الحديث في قطر كذا، أو في موضع كذا).

وقيلت أيضًا في العلامة المحدث أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي المتوفى سنة ١١٨٩هـ، قال عنه العلامة السيد الكتاني في: (فهرس الفهارس): (راوية سوس الأقصى، رحل في طلب هذا الشأن، وجال شرقًا وغربًا، وكاتَبَ من لم يلقه، من سوس، إلى تطوان، ومكناس، وفاس، والرباط، وبجعد، ومصر، وزوايا سوس وغيرها، بحيث يستغرب ذلك من طالع مجاميعه، وفهارسه، وفهارس أصحابه من أهل سوس؛ إذ عليه مدار الإسناد في تلك البقاع)[١].

وقيلت أيضًا في ثبت عبد الله بن سالم البصري، وثبت العلامة النخلي، قال العلامة السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس والأثبات): (على ثبت النخلي وعلى إمداد البصريِّ المدارُ في الإسناد، في القرن الثاني عشر وما بعده؛ فإنَّ البصريَّ والنَّخليَّ انتهت إليهما الرياسة في زمانهما في الدنيا في هذا الشأن، لما حصلا عليه من العلوّ، والعمر المديد، والسمت الحديثيِّ)[٢].

وقيلت أيضًا في العلامة البرهان إبراهيم بن علي السقا الأزهري ت١٢٩٨هـ، قال محمد مختار الفلمباني في: (بلوغ الأماني، في التعريف بشيوخ مسند العصر الفاداني): (البرهان إبراهيم بن علي السقا، وهو مدار إسناد المتأخرين)[٣].

(١) فهرس الفهارس /١/٣٥١/.
(٢) فهرس الفهارس /١/٢٥١/.
(٣) بلوغ الأماني /١/١٤٣/.

قلت: ونظير ذلك في المتقدمين: عبد الله بن وهب، فقد قال ابن عدي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (الكامل): (وعبد الله بن وهب من أجلة الناس، ومن ثقاتهم، وحديث الحجاز ومصر وما والى تلك البلاد يدور على رواية ابن وهب، وجمع لهم مسندهم ومقطوعهم، وقد تفرد عن غير شيخ بالرواية عنهم، مثل عمرو بن الحارث، وحيوة بن شريح، ومعاوية بن صالح، وسليمان بن بلال، وغيرهم من ثقات الناس ومن ضعفائهم، ومن يكون له من الأصناف مثل ما ذكرته استغنى أن يذكر له شيء، ولا أعلم له حديثًا منكرًا، إذا حدث عنه ثقة من الثقات)[١].

ونظيره أيضًا في المتقدمين الإمام محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري، قال الحافظ السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في: (فتح المغيث): (بحيث يستعظمه الزهري، أَحَدُ مَن انتهى إليه علم الصحابة، ومن كان عليه مدار حديث الحجاز، وإليه المرجع فيه)[٢].

قلت: بل قيلت هذه الكلمة في طبقات قبل هؤلاء؛ فروى الخطيب ـ رحمه الله تعالى ـ في: (تاريخ بغداد) عن عليِّ بن المديني قال: (مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة فذكرهم، ثم قال: فصار علم السنة عند اثنى عشر، أحدهم: ابن إسحاق)[٣].

قال ابن عساكر في: (تاريخ دمشق): (وفي معمر خاصية ليست في غيره من العلماء: سمع من الستة الذين مدار حديث رسول الله ﷺ

(١) الكامل في الضعفاء /٤/٢٠٤/.
(٢) فتح المغيث /٣/٦٦/.
(٣) تاريخ بغداد /١/٢١٩/، وهو عند الحافظ الجمال المزي في: تهذيب الكمال /٢٤/٤١٢/.

عليهم: الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، والأعمش، وأبو إسحاق، ويحي بن أبي كثير، ما اجتمعوا لأحد إلا له)[١].

بل صنف فضيلة الشيخ محمد مجير الخطيب الحسني كتابًا مهمًّا جدًّا، اسمه: (معرفة مدار الإسناد، وبيان مكانته في علم علل الحديث)، وهو مطبوع في مجلدين، وفيه فَصْلٌ مُهِمٌّ حول مكانة من تدور عليهم الأسانيد، من أهل المعرفة والرواية في أعصار الحديث الأولى، وأزمان الرواية المتقدمة.

فصل

والعلامة الشيخ محمد بن محمد الأمير هو مدار الإسناد عند المتأخرين من المصريين كما قدمنا، وقد وقع نظير ذلك في الأقطار المختلفة في تلك الحقبة؛ إذ اشتهر عدد من المسندين في عدد من الأقطار شهرة زائدة، وحرروا أسانيدهم وجودوها، وُعرِفُوا بهذا الشأن، فعوَّل الناس في أقطارهم ونواحيهم على أسانيدهم، وأحالوا إليهم، واعتمدوا على جمعهم وتحريرهم في ذلك، فكانوا هم أيضًا مدارَ الإسناد في أقطارهم.

فكان العلامة محمد بن محمد بن عبد القادر الأمير الكبير مدار الإسناد في الديار المصرية، وأسانيده في ثبته الذي نتكلم عنه.

وكان السادة العلماء الأئمة: عبد الله بن سالم البصري، والنخلي، والعجيمي هم مدار الرواية والإسناد في بلاد الحرمين الشريفين، بل وما والاهما من الأقطار النائية، والبلدان الشاسعة، كما نص عليه الحافظ مرتضى الزبيدي، وأثباتهم مشهورة متداولة.

(١) تاريخ دمشق /٥٩/٤١٦.

وكان العلامة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ت١٣٠٤هـ هو مدار الإسناد عند أهل حضرموت، وسلاسل أسانيده في ثبته المسمى: (عقد اليواقيت الجوهرية)، وقد اختصره السيد عبد الحي الكتاني، وجرد سلاسل أسانيده في كراسة، وللحبيب عيدروس ثبت آخر مشهور، اسمه: (عقود اللآل، في أسانيد الرجال)، وهو مطبوع، وله ثبت ثالث اسمه: (منحة الفتاح الفاطر) وهو مطبوع، وبالجملة فهو مسند الديار الحضرمية في زمانه بلا منازع، وعلى أثباته المعول والمدار هناك، حتى قال عنه العلامة المؤرخ الحبيب عبد الله بن محمد بن حامد السقاف في: (تاريخ الشعراء الحضرميين): (شيخ مشايخنا، وشيخ الشيوخ، ومدار السند والإسناد، ومرجع التخريج للمجيز والمجاز)[١]، وقال السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس والأثبات): (وعلى هذا السيد المدار اليوم في اليمن في علم الإسناد والتحديث، خصوصا عند السادات آل باعلوي)[٢].

وكان العلامة محمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠هـ هو مدار الإسناد عند علماء صنعاء وما والاها من بلدان شمال اليمن، وأسانيده في ثبته المسمى: (إتحاف الأكابر، من إسناد الدفاتر)، وهو مطبوع، ويشارك الشوكاني في ذلك العلامة الوجيه عبد الرحمن بن سليمان الأهدل ـ رحمه الله ـ، وأسانيده في ثبته: (النفس اليماني) وهو مطبوع.

وكان العلامة الشاه ولي الله الدهلوي الفاروقي هو مدار الإسناد في الديار الهندية، وأسانيده في كتبه المشهورة، ومنها: (الإرشاد، إلى مهمات الإسناد)، ومنها (الفضل المبين، في المسلسل من حديث النبي الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين /٤/٦٠.
(٢) فهرس الفهارس والأثبات/٢/٨٦٨.

وكان آل الكزبري هم مدار الإسناد في بلاد الشام، وقد جمع أسانيدهم ومروياتهم فضيلة الشيخ عمر موفق النشوقاتي في مجموع جيد اسمه: (مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين وسيرهم وإجازاتهم)، وهو مطبوع في مجلد.

ولاسيما العلامة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري الحفيد، وأسانيده في ثبته الذي جمعه له العلامة عبد الغني الغنيمي الميداني، وقد اعتنى به مسند العصر الشيخ محمد ياسين الفاداني، وألحق به ثبتًا آخر سماه: (إتحاف الباحث السري، بأسانيد الكزبري) وهو مطبوع، وقد طبع غير مرة.

وكان العلامة الإمام محمد بن علي السنوسي ت١٢٧٦هـ هو مدار الإسناد في الديار الليبية، وأسانيده في ثبته: (الشموس الشارقة)، وهو في مجلدين كبيرين، ولا أعلمه مطبوعًا، ثم في أثبات أولاده وتلامذته.

ثم العلامة الفقيه الكبير محمد كامل بن مصطفى الطرابلسي الحنفي ت١٣١٥هـ، فإن أسانيد طرابلس الغرب كادت تدور بكليتها عليه، ولاسيما علماء المدرسة العثمانية بطرابلس.

وكان السادة البيارمة، شيوخ الديار التونسية، مدار غالب أسانيد التونسيين في زمانهم، وهم: العلامة الجليل شيخ الإسلام محمد بيرم الرابع ت١٢٧٨هـ، ووالده العلامة محمد بيرم الثالث ت١٢٥٩هـ، ووالده مفتي تونس العلامة محمد بيرم الثاني ت١٢٤٧هـ، ووالده العلامة محمد بيرم الأول ت١٢٤٠هـ، وقد ذكر الكتاني طرفًا من أسانيدهم في: (فهرس الفهارس).

وكان العلامة أحمد بن سيدي عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري ت١٢٠٤هـ علامةَ الجزائر ومحدثها ومسندها، فكان هو مدارَ الإسناد عند الجزائريين، وأسانيده في ثبته: (منتخب الأسانيد، في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد).

وكان العلامة الإمام الجليل المتفنن أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن سودة الفاسي ت١٢٠٩هـ مدارَ الإسناد عند المغاربة، وأسانيده في فهرسته الصغرى والكبرى، وكان جليلًا، متبحرًا، له نزول مشهود عند نزوله إلى طرابلس.

ولنا بفضل الله تعالى إلى كلِّ واحدٍ من الأئمة المذكورين أسانيدُ جيادٌ موصولةٌ، فالحمد لله على ذلك، وله سبحانه الفضل والمنة، والثناء الحسن الجميل.

فصل

اشتهر العلامة الأمير الكبير في مصر والأزهر بأنه من المغرب أو من أصل مغربي، وهو بالفعل مغربيٌّ، جزائريُّ الأصل، على عادة المشارقة في إطلاق المغرب على كل بلاد الغرب دون تفصيل، وأصله من مازونة بالجزائر، كما أخبر بذلك تلميذه أبو رأس الناصري، وذكر ذلك في رحلته، وأيده مواطنه القاضي ابن الحميسي المازوني، قاضي مازونة ثم وهران في العهد التركي، وأنت ترى ذلك مفصلا في مقال بحثي كتبه المؤرخ الجزائري الشهير، العلامة المهدي البوعبدلي ـ رحمه الله تعالى ـ عن علاقة الجزائريين بالأزهر الشريف المعمور، نشر في مجلة (الأصالة) التي كانت تصدرها وزارة التعليم

الأصيل والشؤون الدينية، وكان أصل المقال محاضرة للعلامة البوعبدلّي، ألقيت في ملتقى الفكر الإسلامي السابع بتيزيوزو بالجزائر سنة ١٩٧٣م، تحت عنوان: (علاقات الجامع الأزهر بالجزائر).

فصل

وللعلامة الأمير مؤلفات كثيرة، منها: (المجموع)، وهو متنٌ جيدٌ في فقه السادة المالكية، وقد شُرح بشروح كثيرة، بل شرحه هو نفسه في كتاب اسمه: (التحرير) وهو مطبوع، ومنها: (إتحاف الإنس، في العلمين واسم الجنس)، و(انشراح الصدر، في بيان ليلة القدر)، و(مطلع النيرين، في ما يتعلق بالقدرتين)، و(الإكليل، في شرح مختصر خليل)، و(شرح أحكام: لا سيما)، و(ثمر الشمام، شرح: «غاية الإحكام، في آداب الفهم والإفهام»)، وهو شرح على كتاب: «غاية الإحكام، في آداب الفهم والإفهام» للعلامة الشيخ عمر بن علي بن يحيى الطحلاوي المالكي الأزهري ت١١٨١هـ، وقد طبع هذا الكتاب ـ أعني: كتاب الأمير ـ هنا مؤخرًا، وهو كتاب في غاية الأهمية، يبحث في آداب فهم العبارة وطرق إفهامها، كل هذا بالإضافة إلى بقية مؤلفات الأمير، حواشيه الكثيرة، وتقريراته على عدد من الكتب، حتى جمع بعض تلامذته رسالةً لطيفةً في ذكر تلك المؤلفات، سماها: (إرشاد أهل العرفان، لأسماء مؤلفات الأمير الحسان).

قلت: ومسألةُ اسمِ الجنس وعلم الجنس مسألةٌ دقيقة جدًا، وقد أفردها بالتصنيف غيرُ واحدٍ ممن سبقوا العلامة الأمير وممن لحقوا به، فمن الأقدمين السابقين على الأميرِ العلامةُ أبو جعفر أحمدُ بنُ عليّ بن خاتِمَة

الأندلسي ت٧٧٠هـ في كتابه: (إلحاق العقل بالحس، في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس)، ومن المعاصرين للأمير العلامة الإمام الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس باعلوي، فقد ألف رسالة في: (اسم الجنس وعلم الجنس)، وشرحها العلامة السيد أبو الأنوار بن وفا، وقرَّظ على شرحه هذا العلامةُ الأديب البارع عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي الشافعي الأزهري، ومن المتأخرين عن الأمير شيخ الإسلام الشيخ سليم البشري ت١٣٣٥هـ، فقد ألف في هذه المسألة كتابه: (الاستئناس، في بيان الأعلام وأسماء الأجناس).

هذا وللدكتور حمدي شلبي أطروحة علمية تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه في كلية الشريعة والقانون، حول الإمام الأمير، وجهوده الفقهية، وكتابه: (المجموع)، ومنزلته بين كتب السادة المالكية.

وللأستاذ إيهاب محمد أبو ستة مقالٌ مهمٌّ جدًا، حول العلامة الأمير، ومؤلفاته، وفيه بحوثٌ قيمةٌ حول العلامة الأمير ـ رحمه الله ـ وحياته، وشيوخه، وثبته، ومصنفاته، وغير ذلك، وعنوان المقال: (الأمير السنباوي وتراثه)، وهو منشور في مجلة معهد المخطوطات، الصادرة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة[1].

وقد كان مولده في شهر ذي الحجة، سنة أربع وخمسين ومائة وألف، وتوفي يوم الاثنين، عاشر ذي القعدة، سنة ألف ومائتين واثنتين وثلاثين، رحمه الله رحمة واسعة، وتقبل عمله في الصالحين.

(١) مجلة معهد المخطوطات، المجلد ٤٧، الجزء الأول، الصادر في ربيع الأول ١٤٢٤هـ ـ مايو ٢٠٠٣م /ص١٦٥.

وأما ولده العلامة الأمير الصغير فقد قال عنه العلامة السيد علي الببلاوي في (الأنوار الحسينية، على رسالة المسلسل الأميرية): (وكان أحد الصدور الأعلام، تولى مشيخة المالكية بالأزهر، واشتغل بقراءة الدروس، وإفادة الطلبة، بعد والده، وكان يحضر الدواوين، والمجالس العلمية، مهابًا عند الأمراء، نافذ الكلمة)[1].

قلت: وقد توفي العلامة الأمير الصغير بعد زوال أول يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من جمادى الثاني، سنة ١٢٤٦هـ، ست وأربعين ومائتين وألف، ودفن قرب زوال يوم الخميس، بزاوية الأستاذ الشيخ عبد الوهاب العفيفي، بمصر، بجانب والده الشيخ الأمير الكبير، ولم يتفق لأحدٍ من العلماء مشهدٌ كمشهده، وقد أرَّخُوه بقولهم: (قد ماس بالخلد الأمير محمد).

فصل

أما ثبت العلامة الإمام الأمير فقد قال عنه وعن ثبت رفيقه العلامة عبد الله الشرقاوي العلامةُ النورُ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر في إجازته للدمنتي: (ومن أجل ثبت عليه الآن الاعتماد، في طريق الإسناد، ثبتُ شيخنا الأمير والشرقاوي، وغالب بقية الأشياخ المصريين آخذٌ عنهما وراوي، وثبتهما مشهور، وأمرهما في الفضل غير منكور، فهذان الثبتان من

(١) الأنوار الحسينية، على رسالة المسلسل الأميرية/ص٥/، طبع في طبعة محمد أفندي مصطفى، في سنة ١٣١٤هـ، وقد رأيت نسخة أخرى مطبوعة من رسالة مسلسل عاشوراء للعلامة الأمير الصغير، طبعت منفردة دون تعليقات العلامة السيد علي الببلاوي، وقد طبعت تلك النسخة في مطبعة النهضة الأدبية، أمام مدرسة الحقوق، دون تاريخ، وعليها تعليقات يسيرة لم أعرف صاحبها، ثم وقعت لي عدة نسخ خطية من رسالة مسلسل عاشوراء للعلامة الأمير، فالحمد لله على ذلك.

غرر مروياتي، وأفضل ما اكتسبته في حياتي)، فانظر إلى هذه الكلمة الجليلة من شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار، وهو من هو علمًا وجلالةً.

قلت: وقال عنه العلامة المعمر الشيخ صالح بن الفضيل التونسي ثم المدني[1] في إجازته للعلامة السيد عبد القادر بن عبد الله بن علي عبد القادر شرف الدين الحسني: (وأخُصُّ بالبيان من ذلك ما تضمنه ثبت العلامة الأمير الكبير، المصري الشهير؛ لأنه من أكثرها جمعًا، وأكبرها ـ بحول الله ـ نفعًا، وأغزرها مادة عونًا ونوعًا وعينًا ونبعًا، وأعمرها مادةً ريعًا وربعًا، وأوجدها وأجودها وسعًا، وأحمدها وأوحدها مسعى، والثبت المشار إليه جمع فأوعى، وتتبع فأشبع نوعًا فنوعًا).

وقال عنه العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس والأثبات): (وهو من أحسن الأثبات، وأجمعها، وأخصرها).

وأنا أقول: بل إنَّ هذا الثبت مفخرةٌ لأهل مصر في عصر الأمير وما بعده، لأنه محررٌ، حسن السياق، تلقاه أقرانه فمن دونهم بالقبول، واعتمدوه وأحالوا إليه، وجعلوه مدارَ أسانيدهم، فترى الواحد منهم يقول: وأنا أروي الكتاب الفلاني عن شيخنا فلان، عن فلان، عن الأمير بما في

(١) العلامة الرحال الشيخ: صالح بن الفضيل التونسي من جلة علماء تونس، عكف على التدريس في الجامع الأموي في دمشق، ثم استقر في المدينة المنورة مدرسا في الحرم، حتى توفي في المدينة المنورة في الثاني من شهر الله المحرم سنة ١٣٧٦ هـ ودفن في البقيع، ذكره العلامة عبد الله بن عبد الكريم الجرافي في: (تحفة الإخوان، بحلية علامة الزمان) /ص٧٦/، والحبيب سالم بن حفيظ في: (منحة الإله، في الاتصال ببعض أولياه) /ص٢٩١/، والسيد عبد الله بن الصديق الغماري في (سبيل التوفيق) /ص٩٢/، وقد ترجم له الأستاذ: علي الرضا الحسيني في كتابٍ مستقل طبع في الدار الحسينية للكتاب، سنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، هذا ولم تجر العادة عندي على الترجمة لكل علمٍ يردُ ذكره في هذا الكتاب، سوى أفرادٍ تقع لي مواضعُ مهمة في الترجمة لهم، فأضعها بين يدي من يطالع هذا الكتاب.

ثبته، ولا تنس أيضًا شيوع الاعتماد عليه عند المشارقة والمغاربة.

والمقصود أنه قد ارتضى العلماء ثبت الأمير الكبير، وتلقوه بالقبول، وأحالوا إليه، وأجازوا تلامذتهم بما تضمنه، لما أنه بالغ في تحرير مروياته، وذكر شيوخه، وأسانيده إلى الكتب المعتمدة في الفنون المختلفة، والأحاديث المسلسلة التي تحملها، فكان ثبته فتحًا جديدًا، وأمرًا غير مألوف عند المصريين في ترتيب أثباتهم، وقد كانوا قبلها يوردون أسماء مشايخهم كيفما اتفق، كما تراه في ثبت الشبراوي، وثبت الدمنهوري، وثبت الشنواني، وسند الأسقاطي، وثبت أحمد بن محمد الطهطاوي، وغيرها من الأثبات.

ومن هنا ينفتح باب مهمٌّ في مقارنة أثبات المصريين بثبت الأمير، والنظر المطول في مزايا ثبت الأمير على غيره، من حيث الجودة في توظيف الأسانيد في مواضعها، وإتقان صنعة الكتاب، مما ترك تلك المنزلة العالية لثبت الأمير.

ولم يزل الكتاب موضعَ عنايةٍ من علماء مصر، يتداولونه، وينسخونه، ويجيزون به، حتى كانت فترةٌ في الأعصار الأخيرة، هُجِر فيها الكتاب، وأهملوا وصل أسانيدهم به، حتى رأيتُ مرة أحد أشياخنا المصريين المسندين، وقد جاءه الطلبة بنسخةِ ثبت الأمير ليجيزهم به، فأعاده إليهم، وذكر لهم أنه لا يرويه، مع أن أسانيد الشيخ موصولة به بعلو، لكن قلَّت العناية بثبت الأمير حتى آل الأمر إلى ما وصفته، وأيضًا ما خدمه ولا اعتنى به في المتأخرين مصريٌّ واحد، حتى خدمه وطبعه العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، وقد طبعت نسخته المذكورة في مطبعة المعاهد، بجوار قسم الجمالية في مصر، سنة ١٣٤٥هـ.

ثم نهض لخدمته وتحريره، ووصل الأسانيد بأسانيده مسند العصر العلامةُ الشيخ محمد ياسين الفاداني، ومع ذلك فمطبوعةُ الفاداني مهجورةٌ، غيرُ شائعةٍ عند أهل مصر، لا تكاد تجدها إلا بعد عنتٍ ومشقةٍ، في خزانات الكتب الخاصة.

وقد وقعت لي من ثبت الأمير عدةُ نسخٍ، ما بين مخطوط ومطبوع، فنظرت فيها طويلا، فإذا أوفى نسخه المطبوعة وأفضلها تلك النسخة التي عني بها العلامة الفاداني ـ رحمه الله تعالى ـ وألحق بهوامشها جزءًا له، فيه تعليقات وتصويبات سماها: (نهاية المطلب، تعليقات على سد الأرب، أو إتحاف السمير، بأوهام ثبت الأمير).

ثم ألحق بالكتاب جزءًا كاملًا في أسانيده إلى ثبت العلامة محمد الأمير، اسمه: (الدر النثير، في الاتصال بثبت الأمير)، ثم جزءًا آخر اسمه: (الروض النضير، في مجموع إجازات مشائخي بثبت الأمير).

وقد ذكر في الأخير أسانيده إلى الثبت مرتبةً على تلامذة العلامة الأمير ـ رحمه الله تعالى ـ بأن يذكر اسم تلميذٍ من تلامذة الأمير، ثم يسوق إسناده أو أسانيده إلى ذلك التلميذ، فذكر على ذلك النحو سبعةً وأربعين تلميذًا.

وأنا أروي هذا الجزء عن غير واحد من مشايخي، منهم الحبيب حامد بن علوي الكاف عن مسند العصر محمد ياسين الفاداني، بأسانيده التي ساقها في تآليفه المذكورة، إلى ثبت العلامة الأمير رحمه الله تعالى.

وقد سبق إلى مثل ذلك مسندُ الدنيا العلامةُ السيد محمد عبد الحي الكتاني، فقد قال في (فهرس الفهارس): (نتصل به من طريق الشاميين

والمصريين والمغاربة والحجازيين)[1]، ثم قال: (ولنصدر هنا بذكر أعلى ما حصل لنا من الاتصالات به، وذلك أننا نتصل به في جميع ما يصح له أن يرويه بواسطتين، من طريق اثني عشر رجلًا من تلاميذه، الذين تأخرت وفاتهم، إجازة معين لمعين في معين)، قلت: فذكرهم، وذكر أسانيده إلى كل واحد، ثم قال: (فهذه اتصالات عالية بواسطتين إلى الأمير من طريق اثني عشر من تلاميذه، لا أظنها اجتمعت لأحد في زماننا، والحمد لله).

وأنا أروي ذلك كله عن غير واحد من مشايخي، منهم السيد عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني، وهو عن أبيه السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، بأسانيده التي ساقها إلى الإمام الأمير رحمه الله تعالى.

قلت: وكنت قد ناشدتُ صديقنا العالم المحدث الفاضل، فضيلة الشيخ: مصطفى أبوزيد الطهطاوي الأزهري المالكي أن ينهض لخدمة ثبت الأمير، فاستجاب لذلك مشكورًا، وما زال حتى استخرج عدة نسخ مخطوطة من ثبت الأمير، ودقق في الترجمة للأعلام المذكورين فيه، مع توثيق أنقاله ونصوصه، والنظر في اتصال أسانيده، حتى تعقب العلامة الفاداني في مواضع لا تكاد تنحصر، وأنا أجزم بأن هذه النسخة هي أجود وأدق الصور التي خرج بها ثبت الأمير في تاريخه، وقد راجعتُ معه مواضع كثيرة من عمله، وكتبت مقدمة لتلك النسخة غالبها مما كتبته هنا عن العلامة الأمير وثبته، فالحمد لله على ذلك، وأظن أن عمله على ثبت الأمير، مع كتابنا هذا (أسانيد المصريين) يمثلان ـ إن شاء الله تعالى ـ خطوة جليلة في سبيل إحياء هذا التراث العلمي العريق، من أسانيد أهل مصر، وإني لأتمنى على الله تعالى من

(١) فهرس الفهارس ١/١٣٤.

واسع فضله وجوده أن يجعل كتابي هذا مثابةً وموئلًا، حتى يكون عند أهل مصر وغيرها حلقة تالية لثبت الأمير، وأن يقع هذا الكتاب عند الناس بفضل رب الناس موقعَ قبولٍ، كما وقع الثبت المذكور.

ثم إني أروي ثبت الأمير مسلسلًا بالمصريين من طرق:

فمن طريق شيخنا علي محمد توفيق النحاس، عن أبيه، عن العلامة الكبير الشيخ محمد بخيت المطيعي، عن محمد أحمد عليش، عن الأمير الصغير، عن أبيه محمد بن محمد بن عبد القادر الأمير الكبير بما في ثبته.

ومن طريق شيخنا سماحة العلامة الجليل الإمام الشيخ علي جمعة، عن العلامة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا الشهير بحامد، عن العلامة الشيخ يوسف الدجوي، عن العلامة الكبير شيخ الإسلام الشيخ سليم البشري، عن الشمس محمد الصفتي المالكي، عن العلامة الإمام الشيخ الأمير به.

(ح) وعن شيخنا محمد نمر الخطيب الحيفاوي ثم المدني، عن العلامة الشيخ يوسف الدجوي بسنده المذكور إلى الإمام الأمير.

ومن طريق شيخنا السيد محمد علوي المالكي، عن العلامة الفقيه الشيخ حسنين بن محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي، عن أبيه، عن الإمام أحمد بن شرقاوي، وهو عن شيخه محمد بن حسن المصري، عن عمه الشيخ محمد بن أحمد المصري الكبير، عن الأمير الكبير بما في ثبته.

ثم إنَّ أعلى أسانيدي إلى ثبت الأمير أني أرويه بثلاث وسائط فقط، من طريق: شيخنا العلامة المسند السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي، عن الشيخ محمد عبد الله إبراهيم العاقوري، عن العلامة شيخ الإسلام البرهان

إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، عنه، كل ذلك مع التحفظ من كلامٍ قيل في رواية البرهان الباجوري عن العلامة الأمير الكبير؛ إذ قد تظاهر عده من أفاضل المشتغلين بهذه الصنعة بالقول بالنفي، ولا أشك في رواية الباجوري عن الأمير، وللمسألة تفصيل في موضع آخر من هذا الكتاب، في ترجمة البرهان الباجوري ـ رحمه الله ـ، فانظره مشكورًا.

الْقِسْمُ الثاني

تراجم منتقاة

لعدد من علماء مصر

من بعد القرن العاشر الهجري

حرف الألف

❁ **فضيلة العلامة الفقيه الشيخ: إبراهيم بن محمد حلمي القادري الحنفي السكندري.**

وُلِدَ بثغر الإسكندرية في السادس عشر من المحرم سنة ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م، وكان أجداده قد هاجروا من العراق إلى الإسكندرية، فبها ولد ونشأ وعاش وتوفي، والتحق في صباه بمدرسة جامع الشيخ إبراهيم باشا، التي كانت تدرّس العلوم الشرعية على غرار الأزهر الشريف، وتبحر في المذهب الحنفي، وكان وافر الفضل، عالمًا مصنفًا مربيًا، صاحب عبادة ونسك، كان يقيم كل ليلة من رمضان بمائة ركعة، فتوفي ساجدًا في صلاة التراويح، ليلة السابع والعشرين من رمضان، سنة ١٣٩٠هـ، الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٧٠م، ومن كلامه: (ثمرة العقل حسن الاختيار، ودلالته صحبة الأخيار)، وكان يقول: (الصاحب كالرقعة في الثوب، إن لم تكن منه شانته).

ومن مؤلفاته: تحقيق كتاب: (القرب، في محبة العرب) للحافظ العراقي، كتاب: (تكذيب المدعي، بصحة رحلة الإمام الشافعي)، (الجهاد)، (شرح تعليم المتعلم للزرنوجي)، (جلال الحق، في كشف أحوال شرار الخلق)، (السير والسلوك)، (العدوى والوباء)، (الرسائل الصغرى)، (مناقب الإمام الجيلاني)، (سهام الإصابة، في الدعوات المستجابة)، (أبو بكر الصديق)، (رسالة التوحيد) (مدارج الحقيقة).

أما ولده الشيخ محمد إبراهيم حلمي، المولود بثغر الإسكندرية يوم ١٣٥٥/٥/١هـ، الموافق ١٩٣٦/٧/٢١م، فقد زرته يوم الجمعة ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، وطلبت منه الإجازة فأجازني، ثم زرته بعدها مرات كثيرة، وهو قد قرأ على والده شرح العيني على البخاري، ومشكاة المصابيح، ومشارق الأنوار، وغيرها.

يروي الشيخ إبراهيم حلمي القادري عن جماعة منهم: ١ ـ العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري ت١٣٧١هـ بما في: (التحرير الوجيز)، ٢ ـ العلامة الشيخ محمد بهاء الدين أبو النصر القاوقجي، ٣ ـ الملك محمد إدريس السنوسي، ٤ ـ وقد وجدت في أوراقي أنه يروي عن شيخ الإسلام مصطفى صبري التوقادي ت١٣٧٣هـ، ولا أتحقق الآن كيف سرى إليَّ ذلك، فالله أعلم.

نروي مروياته من طريق شيخنا الشيخ محمد مطيع الحافظ الدمشقي، عن المسند الشيخ محمد إبراهيم بن سعد الله الفضلي الختني ت١٣٨٩هـ، عنه.

(ح) ومن طريق ابنه فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد حلمي القادري السكندري الحنفي، عنه مباشرة.

* * *

۞ العلامة الشيخ برهان الدين أبو المعالي إبراهيم بن علي بن حسن الشبرابخومي ـ المعروف بالسقّا ـ الشافعي الأزهري.

وأصله من قرية من قرى المنوفية يقال لها: شبرا بخوم[1]، بمركز القويسنا، وانتقل منها والد صاحب الترجمة الشيخ علي إلى القاهرة، فولد له بها العلامة الشيخ إبراهيم، بحارة الدويداري، المسماة قديمًا بحارة كتامة، أواخر عام ١٢١٢هـ.

ذكر ذلك ولده محمد إمام السقَّا في الترجمة التي كتبها لأبيه، وأرسل بها إلى العلامة المسند القاضي عبد الحفيظ الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقد أدرك جماعةً من جهابذة الأزهر الشريف وأخذ عنهم، فمن أخصِّ مشايخه كما أخبر هو عن نفسه: ولي الله المقرب الأستاذ الشيخ ثعيلب، ومنهم خاتمة المحققين الشيخ محمد الأمير الكبير، ومنهم الشيخ محمد المهدي الكبير، قال المترجم: (إن لي بعض أخذ عن كل منهما)، ومنهم الشيخ عبدالوهاب النحاتي، والشيخ محمد الفضالي، والسيد حسن البقلي، والسيد حسن القويسي، والشيخ أحمد الدمهوجي، كلاهما ولي مشيخة الأزهر، والشيخ أحمد الشعراني الزيادي، والشيخ محمد قش الغرقي الزكي، والشيخ أحمد الاصطنهاوي، والشيخ محمد الجزائري المغربي، والشيخ أحمد التميمي المغربي وغيرهم.

كان ـ رحمه الله تعالى ـ من عيون متأخري علماء مصر، صاحب تحقيقٍ وتدقيقٍ في فنونه، وكان يُدَرِّسُ: متن (التحرير) ومتن (المنهج) في فقه

(١) وكلمة شَبْرا ـ بفتح الشين المعجمة على وزن سَكْرَى ـ اسمٌ لعددٍ من المواضع والأماكن= والقرى كلها بمصر، قال العلامة الفيروزآبادي في القاموس المحيط /ص٥٢٩/: (وشبرى كسكرى، ثلاثة وخمسون موضعًا، كلها بمصر)، وقد استدرك عليه الحافظ مرتضى الزبيدي في تاج العروس زيادةً على عشرين موضعًا، قال في تاج العروس /١٢/١٢٨/: (وقد تَتَبَّعْتُ أنا، فوجَدْتُه اثنَيْن وسَبْعِينَ موضِعًا، من كتاب القوانِين للأَسْعَدِ بنِ مَمّاتي، ومختصره لابن الجَيْعَان، على ما سيأتي بيانه على الترتيب)، ثم ذكرها جميعًا، مع الترجمة لبعض الأئمة المنسوبين إلى بعض الشبرات.

الشافعية، كلاهما لشيخ الإسلام زكريا، مع حاشيتيهما للعلامة الشرقاوي والعلامة البجيرمي، وكان يُدَرِّس شمائل الترمذي في رمضان، وممن حضر عليه الشمائل الشمس الأنبابي، وقد تولى خطبة الأزهر الشريف مدة تزيد على عشرين عامًا، ولم يقطعه عنها إلا لزومه لبيته؛ لأنه كان قد أُقْعِدَ في أواخر عمره.

قال الأستاذ علي مبارك باشا ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب: (الخطط التوفيقية): (وكان ربعةً، متوسطَ القامة، كثَّ اللحية، حادَّ البصر، جميلَ الخلق والخلق، وكان من دقة الطبع، ولطفه، وظَرفِه بالطرف الأعلى، يختلس لُبَّ جلسائه بلطف حديثه، وبالجملة فهو عالِمٌ كثير الفوائد، جميل العوائد، لا يجالسه إنسانٌ إلا ويستفيد منه، ويأخذ عنه، وطريقته في الخطبة تلين القلوب، وتأخذ بالألباب، وفي الدرس تحل المشكلات، وتذلل الصعاب)[1]، وقد توفي العلامة البرهان السقا يوم الخميس ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٨هـ[2].

فصل

وأما مؤلفاته فأهمها: (حاشية على تفسير أبي السعود) لم يتمها، وصل فيها تسويدًا إلى آخر سورة القصص، وتبييضًا إلى قوله تعالى في سورة النحل:

(١) الخطط التوفيقية /١٢/٣١٠/.

(٢) وقد ترجم للعلامة السقا غير واحد منهم: العلامة الشيخ أحمد بن محمد الحضراوي المتوفى سنة ١٣٢٧هـ في (نزهة الفكر، في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر) /١/٤٤/، والأستاذ إلياس خورة في كتابه الماتع (مرآة العصر، في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر) /ص٢٣٣ ـ ٢٣٤/، والبيطار في: (حلية البشر، في تراجم رجال القرن الثالث عشر) /١/٣٠/، والزركلي في الأعلام /١/٥٤/، وغيرهم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، منها ستة أجزاء مخطوطة في المكتبة الأزهرية، وتفسير العلامة أبي السعود على جودته، وكمال تحقيقه وتدقيقه، واعتماد المدارس العلمية المختلفة له في المشرق والمغرب، لم يحظَ بشروحٍ كافيةٍ لحلِّ مغلقاته، لا سيَّما وعبارته صعبةٌ في مواضع، تحتاج إلى فكٍّ وتحليل، ولا أعلم أن أحدًا حشَّى عليه إلا المترجم، والعلامة الشيخ محمد زيتونة التونسي المالكي، فقد ذكر عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس)[2] أن له شرحًا على تفسير أبي السعود اسمه: (مطالع السعود، على تفسير أبي السعود) في نيف وأربعين مجلدًا!!.

ثم إنهم يذكرون في ترجمة شيخ الإسلام العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني ـ رحمه الله تعالى ـ أن له كتاباتٍ على تفسير أبي السعود.

وقد رأيت ـ بعد مدة ـ في ترجمة العلامة أبي الفيض حمدون بن عبد الرحمن ابن حمدون، الشهير بابن الحاج السلمي المرداسي ت١١٧٥هـ أن له حاشيةً على تفسير أبي السعود، عرج فيها على عبارات البيضاوي من حيث إنه من أهم مصادر العلامة أبي السعود في تفسيره، وقد سمى حاشيته هذه باسم: (مراقي الصعود، على تفسير أبي السعود)، ذكر ذلك تلميذه العلامة الفقيه عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي في ثبته: (إمداد ذوي الاستعداد، إلى معالم الرواية والإسناد)[3].

ووقع في ترجمة العلامة جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله تعالى ـ أن له

(١) سورة النحل، آية ٩.

(٢) فهرس الفهارس والأثبات /١/٤٥٧/.

(٣) إمداد ذوي الاستعداد /ص١٥/، طبع ضمن مجموع اسمه: (ثلاثة فهارس مغربية).

تأليفًا اسمه: (الطالع المسعود، على تفسير أبي السعود)، ولا أعلم عنه شيئًا.

ومن تأليف العلامة الشيخ البرهان السقا أيضًا: (حاشية على شرح قطر الندى في النحو)، (حاشية على شرح الباجوري لعقيدة العلامة السباعي) في مجلدين، (رسالةٌ في مناسك الحج على المذاهب الأربعة)، (حاشية على: فضائل رمضان للأجهوري) وقد طبعت، (رسالة في الطب النبوي) مستخرجة من المواهب اللدنية، (ديوان خطب)، (رسالة في الكلام على انشقاق القمر) سأله فيها أهل اليمن، (بلوغ المقصود، مختصر السفر المحمود، في تأليف العسكر والجنود)، وهو اختصار لكتاب شيخه العلامة محمد بن محمود الجزائري الحنفي: (السعي المحمود، في نظام الجنود)، وقد اختصره بطلب من محمد علي باشا.

وله شرحٌ على منظومة: (العقائد السنية) للعلامة الشيخ محمد بليحة في العقائد، واسم شرحه هذا: (التحفة السنية، في العقائد السنية)، وقد ألف العلامة الشيخ محمد عياد الطنطاوي حاشيةً على شرح العلامة السقا المذكور.

فصل

وأما تلامذته فإنهم لا يحصون كثرة، فمنهم شيخ الإسلام الشمس الأنبابي، وشيخ الإسلام عبد الرحمن الشربيني، والشيخ أحمد الأجهوري ت١٢٩٣هـ، والشيخ مخلوف المنياوي صاحب كتاب: (المقارنات التشريعية)، والشيخ محمد الخضري، والشيخ سيد الشرشيمي الشرقاوي، والشيخ علي خليل السيوطي، والشيخ أحمد الإسماعيلي الصعيدي، والشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ يوسف النبهاني، وغيرهم كثير.

ومن تلامذته غير المصريين من نبغ نبوغًا زائدًا فائقًا، حتى صار إمامًا لأهل بلده، ومدارًا لأسانيدهم، ومرجعا لهم، فانشعبت بذلك من المدرسة الأزهرية روافد وجداول، قامت عليها مدارس جليلة في المشرق والمغرب.

فمنهم: شيخ علماء الشام في زمانه، الإمام الجليل بدر الدين الحسني المتوفى ١٣٥٤هـ، فقد حضر في الأزهر على البرهان السقا، وأجيز منه، ثم رجع إلى الشام، فصار له من الجلالة، والمنزلة، وعلو المقدار، عند علماء الشام ما لا مزيد عليه، ولفضيلة الشيخ محمد رياض المالح كتاب عنوانه: (عالم الأمة وزاهد العصر، العلامة المحدث الأكبر: بدر الدين الحسني)، وهو مطبوع، ولفضيلة الشيخ محمد عبد الله الرشيد كتابٌ مهمٌ عن العلامة البدر الحسني عنوانه: (محدث الشام العلامة السيد بدر الدين الحسني رحمه الله تعالى بأقلام تلامذته وعارفيه) وهو مطبوع، وللعلامة الشيخ محمد صالح الفرفور كتاب مشهور أيضًا عن العلامة البدر الحسني رحمه الله.

ومنهم: شيخ علماء ليبيا في زمانه العلامة الفقيه الجليل محمد كامل بن مصطفى بن محمود بن يوسف الطرابلسي الحنفي ت١٣١٥هـ، فقد درس في الأزهر الشريف، وأجيز من البرهان السقا وجماعة من المصريين، ثم رجع إلى طرابلس الغرب، فرأس مدرسة عثمان باشا الساقزلي، وصار إمامًا ومرجعًا لأهل ليبيا في زمانه، فقامت على أكتافه المدرسة العثمانية، حتى أفرده بالتصنيف الأستاذ محمد مسعود جبران في كتاب اسمه: (محمد كامل بن مصطفى، وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا) وهو مطبوع.

وقد أجيز العلامة محمد كامل بن مصطفى ـ رحمه الله ـ من جماعة من المصريين منهم: البرهان السقا، ومحمد الأشموني، وأحمد عبد الرحيم

الطهطاوي، وعبد الهادي نجا الأبياري، ومن جماعة من المغاربة منهم: محمد المهدي بن سودة، ومن جماعة من ليبيا منهم: عبد الله السني، ومحمد طاهر الغدامسي، وأبو القاسم العيساوي، ومن جماعة من المقدس منهم: عبد القادر الريماوي المقدسي الحنفي، ومن جماعة من الحجازيين منهم: أحمد زيني دحلان، ومن جماعة من السادة آل باعلوي منهم: الحبيب حسين صالح جمل الليل، ومن جماعة من الروم منهم: محمد الشكري بن إسماعيل، ومن جماعة من التونسيين منهم: شيخ الإسلام أحمد بن الخوجة، وشقيقه محمود الخوجة، وإبراهيم بن محمد الشابي التوزي، ومختار شويخة.

ثم إن أسانيدي إلى البرهان السقا، مرورًا بهذا الفرع الطرابلسي الكريم، وبالعلامة محمد كامل بن مصطفى، سوف يأتيك طرف منها بعد قليل، ومنها طرف في أواخر ترجمة العلامة عبد الهادي الأبياري من كتابنا هذا.

فصل

أما أسانيد البرهان السقا فقد اشتهر - رحمه الله تعالى - في الآفاق، وسعى الناس في الرواية عنه، حتى قال فضيلة الشيخ محمد مختار الفلمباني في كتاب: (بلوغ الأماني): (البرهان إبراهيم بن علي السقا، وهو مدار إسناد المتأخرين)[1]، بل إنَّ من العلماء الأكابر من جعله لجلالته عمدته في الرواية، واقتصر على ذكره دون بقية مشايخه، ومنهم إمام الشام بدر الدين الحسني، وشأنه في ذلك مشهور، وقال العلامة عبد الحفيظ الفاسي في: (رياض الجنة):

(١) بلوغ الأماني /١/١٤٣.

(وناهيك بالشيخ الإمام، علم الأعلام، شيخ الجماعة بمصر والديار المشرقية، أبي المعالي إبراهيم السقا، خطيب الأزهر الشهير)[1].

ويروي البرهان السقا عن: ١ - العلامة محمد الأمير الصغير ت١٢٤٦هـ، وهو عن أبيه محمد الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ بما في ثبته: (سد الأرب)، وقد وقع في إجازة العلامة أحمد محجوب الرفاعي الفيومي للعلامة عبد القادر القصاب الديرعطاني ت١٣٦٠ ما يوهم أن البرهان السقا يروي عن الأمير الكبير مباشرة، وقد رأيت في بعض المواضع بحثًا جيدًا، وأخذًا وردًّا في هذه المسألة بين فضيلة الشيخ محمد عبد الله الرشيد، وفضيلة الشيخ عبد الرؤوف المبارك، والتحقيق أنه لا رواية للسقا عن الأمير الكبير، بل عن ولده الأمير الصغير عنه، وقد بسط الشيخ الرشيد وجهته في ذلك في كتابه: (الإمام محمد زاهد الكوثري)[2].

٢ - ويروي عن العلامة تُعيلَب بن سالم الفشني، وهو عن الشهابين أحمد بن حسن الجوهري، وأحمد بن عبد الفتاح الملوي، وهما عن الإمام عبد الله بن سالم البصري بما في ثبته: (الإمداد، بمعرفة علو الإسناد).

٣ - ويروي عن العلامة الشيخ محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزايري الحنفي المذهب، الشهير بابن العنابي ت١٢٦٧هـ، وقد انتفع به البرهان السقَّا، وقرأ عليه جل صحيح البخاري، إلى باب الاحتباء من كتاب اللباس، وكان يحضر هذا المجلس لقراءة الصحيح عدد من الأشياخ الأزهريين، منهم الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن يوسف بن يوسف

(١) رياض الجنة /١/١٢١.

(٢) الإمام محمد زاهد الكوثري وإسهاماته في الرواية /ص٨٣.

القنياتي إمام الجامع الأزهر، والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد مطر العفيفي الشافعي، والشيخ الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن عثمان الدمياطي الغمراوي الشافعي، والشيخ الإمام أبو الحسن إبراهيم بن حسن الأسعردي الشافعي، وقد أجاز ابن العنابي لهم جميعًا بباقي الصحيح وبجميع مروياته، وكان تاريخ الإجازة خامس شعبان سنة ١٢٤٢هـ، وقد سمع البرهان السقا أيضًا مع الشيخ إبراهيم الكردي بعضًا من كتاب الدر إلى باب الحيض، وأجاز لهم ببقية الكتاب وغيره من كتب الفقه، وقد نُشِرُ نصُّ إجازات العلامة ابن العنابي الحنفي للبرهان السقا بعناية الشيخ زياد التكلة في الجزء العاشر من سلسلة لقاء العشر الأواخر فانظرها هناك.

والعلامة ابن العنابي الحنفي المذهب يروي عن: حمودة بن محمد المقابسي، وعلي بن عبد القادر الأمين الجزائري، أما حمودة المقابسي فإنه يروي عن: حسن العطار، ومحمد الدسوقي، والأمير الكبير، وأما علي الأمين فإنه يروي عن: علي الصعيدي، وأحمد الدردير، والأمير الكبير، وعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس، وعلي السقاط، وعبد الله الشبراوي، ومحمد بن سالم الحفني، والتاودي بن سودة، وأحمد الملوي، وأحمد بن حسن الجوهري وغيرهم بأسانيدهم.

ويروي العلامة البرهان السقا أيضًا عن: ٥ ـ الإمام السيد حسن القويسني، ٦ ـ والشيخ حسن العطار ت ١٢٥٠هـ، ٧ ـ والشيخ محمد الفضالي، ٨ ـ وأحمد بن الطاهر المراكشي دفين المدينة، ٩ ـ ومحمد بن صالح الرضوي البخاري.

١٠ ـ ومن مشايخه في الرواية أيضًا: الشيخ عبد الوهاب النحاتي،

١١ ـ والشيخ أحمد عيسى الحاروني، ١٢ ـ والشيخ محمد قش الغرقي الزكي بن الشيخ يوسف، بن الشيخ إبراهيم بن علي الشافعي صاحب الحاشية على كتاب: (المعجم) للمرغني، والمسماة: (فتح الملك العزيز، على المعجم الوجيز)، ١٣ ـ والشيخ حفناوي الهجرسي.

وقد رأيته ذكر أسماء هؤلاء المشايخ الأربعة ضمن مشايخه في الرواية، في ما كتبه بخطه في إجازته للعلامة الشيخ عمر عثمان وهيب الإسنوي، وقد اطلعت على أصلها، وعندي منها مصورة في خزانة كتبي، وقد أوردت مصورة منها في آخر هذا الكتاب.

١٤ ـ ويروي البرهان السقا أيضًا عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد الدمهوجي المتوفى ليلة عيد الأضحى ١٢٤٦هـ، شيخ الأزهر الشريف، وهو من أعلى شيوخ البرهان السقا إسنادًا؛ إذ يروي عن الحافظ مرتضى الزبيدي، وعن جماعة آخرين، منهم: أحمد بن أحمد بن جمعة البجيرمي، والعفيف الشرقاوي، والشمس بن أحمد النجاري النابلسي، ومحمد بن أحمد الجوهري، ومحمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، وعبد العزيز المطاعي المراكشي، وسمع الأولية من الحافظ مرتضى، ومن الناصري الدرعي المذكور.

١٦/١٥ ـ كما تدبج البرهانُ السقَّا مع أبي إسحاق الرياحي، وتدبج مع أبي المعالي عبد الكبير بن أبي البركات الفاسي الفهري.

ونحن نروي مروياته من طريق الشيخ محمد سعيد الكحيل الحمصي، وإبراهيم بن الصديق الغماري، كلاهما عن الحافظ أحمد بن الصديق الغماري ت١٣٨٠هـ، وهو عن العلامة الشيخ محمد إمام ت١٣٥٤هـ، وشقيقه عبد العظيم ابني العلامة البرهان السقا، عن أبيهما بأسانيده المذكورة.

(ح) ومن طريق المعمر الشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي، عن عمر حمدان المحرسي، عن الخطيب الشيخ عبد المعطي بن حسن بن رجب السقا الفرغلي الشافعي، وهو عن والده، وعن العلامة الشمس الأنبابي، كلاهما عن جد والده لأمه العلامة البرهان السقا.

(ح) ومن طريق السيد إبراهيم بن الصديق الغماري، عن القاضي عبد الحفيظ ابن محمد الطاهر الفاسي، عن أبيه محمد الطاهر بن عبد الكبير، ومحمد بن مصطفى بن محمد بن سعد التلمساني التازي، كلاهما عنه.

(ح) وأروي مروياته بسندٍ أعلى ثنائيٍّ، وهو ما أنبأنا العلامة عبد الغني بن محمد علي الدقر الدمشقي المتوفى سنة ١٤٢١هـ، عن العلامة بدر الدين محمد بن يوسف الحسني المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، عن البرهان السقا.

(ح) وأنبأني كذلك الشيخ الصالح البركة المعمر محمد بن سعد بن بدران الدمياطي ـ رحمه الله تعالى ـ عن البهاء أبي النصر القاوقجي ت١٣٥٦هـ، عن البرهان السقا ـ رحمه الله تعالى ـ، وهو سندٌ أنفس من الذي قبله لأنه سند مصريٌّ، والسيد البهاء القاوقجيُّ، وإن كان شاميًّا طرابلسيًّا من طرابلس الشرق، إلا أنه أقام في مصر أكثر عمره، حتى توفي ودُفن بها، وما زال عقبه وذريته في مصر، في مدينة شبين الكوم إلى اليوم.

وأروي مروياته بسند مسلسل بالطرابلسيين من طرابلس الغرب من طريق العلامة الشيخ عبد السلام بن محمد البزنطي الطرابلسي، عن السادة العلماء المهدي بو شعالة، وعلي الغرياني، وعلي المسلاتي، ثلاثتهم عن العلامة عبد الرحمن البوصيري، عن العلامة محمد كامل بن مصطفى، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة الشيخ عبد المجيد الصغير سبط العلامة المهدي بو شعالة، عن الشيخ عمر الجنزوري، عن العلامة علي الغرياني، عن البوصيري، عن محمد كامل، عنه.

(ح) ومن طريق الشيخ محمد بن عثمان بن بركة، والشيخ حسين رمضان السعداوي ـ وقد تدبجت معهما ـ كلاهما عن والد الثاني الشيخ رمضان السعداوي، عن سيدي محمد زغوان، عن البوصيري، عن محمد كامل بن مصطفى، عنه.

* * *

❁ **العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد بن سليمان بن شلبي الفاوي**، الحنفيُّ مذهبًا، الحفناويُّ طريقة، الفاويُّ بلدًا، من قرية تدعى: «فاو قبلي» بمركز دشنا، محافظة قنا، من صعيد مصر الأعلى.

يروي عن: ١ ـ العلامة الشيخ إبراهيم السقَّا، ٢ ـ والشيخ عبده البلتاني الشافعي الأحمدي، ٣ ـ والشيخ أحمد صالح السباعي المالكي، ٤ ـ والشيخ محمد حبيش، ٥ ـ والشيخ محمد عليش المالكي، ٦ ـ والشيخ إبراهيم جابر المالكي، ٧ ـ والشيخ مصطفى المبلط الشافعي الأحمدي، ٨ ـ والشيخ أحمد عمر القبيصاوي المالكي، ٩ ـ والشيخ أحمد منة الله في أرضه الشباسي المالكي.

قلت: وكأنه تتلمذ لهؤلاء جميعًا وتلقى عنهم؛ إذ لا ترجمة له، لكنني وقفت على أصول إجازات العلماء المذكورين له بخطوطهم رحمهم الله تعالى، ووافاني بها أحفادُ الشيخ وفقهم الله ورعاهم، وعندي مصوراتها في خزانة كتبي، وكل واحد من الشيوخ المذكورين أجاز له إجازةً عامةً.

إلا أنه ـ رحمه الله تعالى ـ مات ذكره، وهُضِمَ حقُّه، فلم يحفَظْ لنا أحدٌ شيئًا عنه، حتى إنه لم يتعين عندي تاريخُ وفاته، ولم أجد طريقًا يصلني بمروياته.

نعم تتصل أسانيدي بمعظم شيوخه المذكورين، وبكل مشايخ مشايخه، لكن لم أهتدِ إلى معرفة أحدٍ من تلامذته أو الآخذين عنه، حتى تكون الرواية من طريقه هو، ولله الأمر من قبلُ ومن بعد، ولا شك في أن مثله يعكف على التدريس، بحيث تتكون حوله بيئةٌ علميةٌ تنتفع به هناك في صعيد مصر، وبحيث يحمل علمه تلامذةٌ يتخرجون به، لكنَّ النسيانَ طوى الجميع، والله المستعان.

* * *

❁ العلامة الفقيه الكبير، والإمام الشهير، شيخ الإسلام، البرهان إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي الأزهري.

ولد سنة ١١٩٨هـ (١٧٨٤م) على الأرجح، ونزل القاهرة سنة ١٢١٢هـ فالتحق بالأزهر الشريف طلبًا للعلم، إلا أن الفرنسيين دخلوا القاهرة سنة ١٢١٣هـ، فتركها وخرج إلى الجيزة حتى رحيل الفرنسيين عن مصر سنة ١٢١٦هـ، وبعد عودته جد في التحصيل، وانقطع له، فتتلمذ على العلامة عبد الله الشرقاوي، والعلامة السيد حسن القويسني، والسيد داود القلعاوي، والشيخ محمد الفضالي، ومحمد الأمير الكبير، وولده محمد الأمير الصغير وغيرهم.

وكان ـ رحمه الله ـ ملازمًا للإفادة والتعليم، وكان لسانه رطبًا بتلاوة

القرآن العظيم، فكان ورده في كل يوم وليلة ختمة قرآن أو ما يقرب منها، مع اشتغاله بالتدريس والتأليف، وكان مقرئ درسه هو فضيلة الشيخ إسماعيل المحلاوي.

وكان ﷺ مهيب الركن، جليل الشان، يعظم شأنه الحكامُ والولاة، فكان عباس الأول ثالث الولاة من أسرة محمد علي باشا يزوره في درسه بالأزهر الشريف، فلا يقوم له، بل يجلسه على كرسي من جريد خارج الدرس.

أما مؤلفاته فهي نحوٌ من عشرين مؤلفًا، كلها حواشٍ وتعليقات على متون أو شروح، على ما كان مألوفًا في زمنه من طريقة التصنيف، فأولها حاشيته على رسالة: «لا إله إلا الله» لشيخه العلامة الفضالي، ألفها سنة ١٢٢٢هـ وهو ابن أربع وعشرين سنة تقريبًا، وآخر ما تم من مؤلفاته حاشيته على شرح ابن قاسم على متن أبي شجاع في فقه الشافعية، أتمها سنة ١٢٥٨هـ.

ومن نوادر مؤلفاته كتابه: (الدرر الحسان، على فتح الرحمن، فيما يحصل به الإسلام والإيمان)، وهو شرح له على كتاب: (فتح الرحمن) للعلامة محمد بن زياد الوضاحي، وقد قدم لكتاب: (فتح الرحمن) الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، وله تتمات لعبد الله بن سُمير، ولعبد الله باسودان، وقد رأيت نسخة مخطوطة من كتاب: (الدرر الحسان) للباجوري، إلا أن المخطوط تالف، قد تخرمت وذهبت مقاطع كثيرة من صفحاته، فعدم الانتفاع به.

هذا وقد تلقت الأجيال التالية له كتبه بالقبول، واعتنت بها تدريسا وتحشية، وتواردت أجيال العلماء بعده على النقل من تحقيقاته وبحوثه على وجه الإقرار والإكبار، فلم تزل حواشيه محل الدراسة في الأزهر الشريف إلى

يومنا هذا، وألفت التقارير على كتبه، وسارت بها الركبان حتى تداولها علماء الأقطار، فقد ألف العلامة المتقن الحبيب أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين الباعلوي الحضرمي ت١٣٤٠هـ كتابه: (نوافح الورد الجوري، على عقيدة الباجوري)، وقد طبع في حيدر آباد سنة ١٣١٧هـ، وكان العلامة عبد الله بن أحمد باسودان الحضرمي ت١٢٦٦هـ قد أنشأ منظومة في أحكام النكاح سماها: (ضوء المصباح، في أحكام النكاح)، ثم شرحها بشرح لطيف سماه: (زيتونة الإلقاح، شرح ضوء المصباح)، ثم شرح الإمام الباجوري المنظومة في جزء لطيف سماه: (منح الفتاح، على ضوء المصباح)، وقد طبع الثلاثة.

فقد تعرض البرهان الباجوري وهو مصري لشرح منظومة باسودان وهو حضرمي، وتعرض ابن شهاب وهو حضرمي إلى شرح عقيدة الباجوري وهو مصري، وفي هذا بيان لما كان بين أقطار الإسلام من تعاضد وتشابك في خدمة العلوم وتحريرها.

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ١٢٧٧هـ على قول، لكن قال البيطار في: (حلية البشر): (توفي فجر يوم الخميس، ثامن وعشرين من ذي القعدة، سنة ألف ومائتين وستٍ وسبعين، ودفن بتربة المجاورين)، وكذلك نص عليه عبد الستار الدهلوي في: (فيض الملك الوهاب المتعالي)، ولعله الأصح.

فصل

والمذكورون من مشايخه سابقًا هم مشايخه في الدراية، وأما مشايخه في الرواية فقد جرت عادته ـ رحمه الله تعالى ـ كلما أراد ذكر أسانيده أن يذكر محمد الأمير الصغير ت١٢٤٦هـ، ومحمد الفضالي، وحسن القويسني، قلما يتخلف عن ذلك أو يذكر سواهم، حتى ثارت الثوائر عند بعض فضلاء

المعاصرين من المشتغلين بصنعة الإسناد والإجازة والرواية، وذهب بعضهم إلى أن البرهان الباجوري لا رواية له عن الأمير الكبير صاحب الثبت، ولم يزل النقاش في ذلك يتكاثر، حتى بلغني أن بعضهم أفرد لذلك رسالة، وأن واحدًا من الفضلاء من أهل هذه الصنعة جاوبه وردَّ عليه برسالة أخرى سماها: (فتح القدير، في إثبات رواية الباجوري عن الأمير الكبير).

والذي يترجح عندي ولا أمتري فيه أن الباجوري تتلمذ للأمير الكبير، وأجيز منه، ويدل على ذلك قرائن كثيرة، وقد تبدى لي ألا أخلي هذا المجموع من تحرير في هذه المسألة، يشتمل على تلك القرائن.

فصل في ذلك

فمنها: أن الباجوري أدرك الأمير الكبير وتلقى عنه، كما نص البيطار في: (حلية البشر)، وعلي مبارك باشا في: (الخطط التوفيقية)، والحضراوي في: (نزهة الفكر) وغيرهم ممن ترجم له، إلا أنه اختص بملازمة بعض شيوخه، وخالطهم، وأكثر الأخذ عنهم، قال علي مبارك باشا في: (الخطط التوفيقية): (وقد أدرك الجهابذة الأفاضل، كالشيخ محمد الأمير الكبير، والشيخ عبد الله الشرقاوي، والسيد داود القلعاوي، ومن كان في عصرهم، وتلقى عنهم ما تيسر له من العلوم، ولكن كان أكثر تلمذته للشيخ محمد الفضالي، والشيخ حسن القويسني)[1].

قلت: بحيث صار إذا ما أراد أن يذكر أسانيده كان تقديم هؤلاء في الرواية أولى لشدة تداعيهم إلى خاطره، وكمال ملازمته لهم وانتفاعه بهم،

(١) الخطط التوفيقية ٩/٣/٠.

وهو قد أكثر من ذكر الأمير الصغير، ومحمد الفضالي، وحسن القويسني في إجازاته، رغم أنه يروي عن الأمير الكبير مباشرة على التحقيق، فهذا من باب إيثار النزول على العلو لنكتة في النزول تجعله أولى، والنكتة هنا شدة التأثر بالأمير الصغير، ومحبته له، وانتفاعه به، فكان إذا ذكر أسانيده ذكر الأمير الصغير، وأولى من يروي عنهم الأمير الصغير والده، رغم رواية الباجوري عن الوالد، وكم في الكتب الحديثية المعتبرة وفي صنيع الأقدمين من المحدثين من إيثار النزول على العلو لنكتة، كشدة المخالطة للشيخ الذي نزل سنده، أو جلالة رجال السند النازل، أو غير ذلك من الأغراض العلمية المعتبرة، وسيأتي لهذا المعنى مزيد بيان بعد قليل.

ومنها: أن العلو والنزول في الأسانيد أمر نسبيٌّ إضافيٌّ، وليس من الذاتيات، فلربما روى الواحد من أهل العلم عن شيخ قد أكثر الناس من الأخذ عنه، وأسانيده معتادة، فلا يكون أخذه عنه حينئذ علوًّا، ثم قد يعمر ذلك التلميذ، أو يستجيز منه أحد تلامذته صغيرًا ثم يعمر، فيطرأ على السند معنى العلو بعد وفاة أعيان السند وأعلامه أنفسهم، فلا يقال إن هذا السند عالٍ، وكان حق الآخذ الأول أن ينبه على علو سنده، لما أن الأمر كان في زمانه معتادًا، ثم طرأ العلو بعده، نظرًا لأمور حدثت عند تلامذته صار بها سنده هو موصوفًا بالعلو.

ومنها: أننا لو سلمنا عدم ذلك، وأن الباجوريَّ رأى في زمانه أن روايته عن الأمير في ذاتها علو تتوفر دواعيه على التنبيه عليه، لكان فواته أيضًا لنفس الأمر شيئًا مؤسفًا، تتوفر دواعيه على التأسف عليه، والتحسر له، بيان ذلك: أن البرهان الباجوري قد عمر بعد وفاة الأمير الكبير خمسًا

وأربعين سنة، وقد تقادم العهد، وعرف الناس قدر الرواية عن الأمير، فلو أنه فاته أن يستجيز منه لتحسر على ذلك، وتألم له، وهذا السيد أحمد رافع الطهطاويُّ سمع الحديث المسلسل بيوم عاشوراء من العلامة البرهان إبراهيم السقا، وفاته أن يستجيزه في عموم مروياته، ثم عُمِّرَ بعده بضعًا وخمسين سنةً، فتقادم العهدُ، وبرزت أسانيد السقا، وافتخر الناس بالرواية عنه، فكان يتحسر على فوات الرواية عنه رغم أنه أدركه وجالسه، قال الحافظ السيد أحمد الصديق الغماري في ترجمة العلامة أحمد رافع من: (البحر العميق): (وسمع مسلسل عاشوراء من البرهان السقا في بيته، قبل وفاته بعام، إلا أنه لم يستجزه، وكان يتحسر على ذلك لما صار يشتغل بعلم الإسناد؛ لعلو سند البرهان السقا)[1].

ونظيره أيضًا ما وقع للعلامة المسند عبد الحفيظ الفاسي مع شيخه أبي عبد الله التهامي بن المدني بن علي بن جنُّون الفاسي؛ فقد استسهل الفاسي فلم يستجزه، ثم ندم أشد الندم، وصار يتحسر على فوات ذلك، قال في ثبته المسمى: (رياض الجنة): (سمعت عليه موطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وأخذت عنه الفقه والتوحيد والسير، إلا أني لم أستجزه تساهلًا، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت، وما تأسفت على فوات إجازة أحد كتأسفي على فواتها منه)[2].

ومنها: أن الباجوري ـ رحمه الله تعالى ـ لم يكن مولعًا بالإجازات والأسانيد، ولا متهافتًا عليها، ولا حريصًا على الاستكثار منها، ولا يستهويه

---

(١) البحر العميق /١/٢١٩/، ط: دار الكتبي، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م.

(٢) رياض الجنة/ص١٢٨/ ط: دار الكتب العلمية.

العلوُّ المبنيُّ على الإجازة المجردة، ولا يعتني بسرد أسانيده ولا استقصائها، فلم يكن مسندًا ممن يشتغلون بفنون الإسناد، بل كان سمته ودأبه الاعتناء بالدراية والعلم والتحقيق، وتحرير القواعد وتقريبها وتفهيمها، وكانت تتحصل له الأسانيد من المشايخ الكبار، فلربما عدل عنها إلى ذكر مشايخه الذين تخرج بهم، واختص بطول مرافقته لهم، وكان يرى العلوَّ في أسانيد الدراية، وذِكْرِ الشيوخ الذين مارس العلم على أيديهم، فكأنه كان معنيًّا ومحتفيًا بأسانيد مشايخه الذين اشتدت ملازمته لهم، دون سواهم، فلما أنْ أدركنا نحن في زماننا نفرًا ممن عُمِّروا من تلامذته خصوصًا وجاوزوا المائة، صار هو بالنسبة لنا علوًّا، فصرنا نحاكمه إلى ما طرأ في زماننا من علوٍّ لأسانيدنا التي تمر به، وصرنا نقول: «لو كان يروي عن الأمير الكبير مباشرة لما فوت العلو في ذكره روايته عنه»، والشأن أن العلوَّ عنده والافتخار لا بقلة عدد الرجال، بل بذكر شيوخ تخريجه، وإن عدل في سبيل ذلك عن العلوِّ الذي يفرح به المسند الصرف.

ويدرك هذا المعنى من طالت ممارسته لكتب البرهان الباجوري، وخالط سمته، وعرف عقله، وألمَّ باهتماماته، فقد كان ـ رحمه الله ـ متأثرًا في بحوثه بطريقة شيخه العلامة الفضالي، وقد كان من شأن الفضالي أنه يعنى عناية تامة بتقريب العلوم، وبسط مقدماتها، وبيان المداخل التي يتوقف عليها فهم كل مسألة، وأنت ترى هذا جليًّا في حواشي البرهان الباجوري، ولو طالعت شرحه على السلم مثلًا لرأيته لا يَعبُرُ في دارج كلامه على اصطلاح من اصطلاحات الفنون المختلفة إلا ويتوقف عنده، ويذكر تعريفه وضابطه، جريًا منه على طريقة شيخه الفضالي في تقريب العلوم.

فمن كان هذا شأنه ودأبه، فإن الإجازة عنده تقارب معنى إجازة التدريس، فيحرص على ذكر شيوخ التخريج، ويورد أسمائهم في كل مورد يذكر فيه مشايخه، وهو في كل ذلك لا يتكلف، بل تتداعى المعاني عنده هكذا سهلةً طَيِّعَةً، وليس يشغله في ذلك أن السندَ الفلانيَّ أعلى، وأن روايته عن فلانٍ أولى.

ولقد بلغ من عناية هذه المدرسة العلمية بتلك المعاني ما حدثنا به مشايخنا غير مرة، أن العلامة الفضاليَّ ـ رحمه الله تعالى ـ كان يقطن قرب الجيزة، وكان يأتي إلى الأزهر الشريف محمولا على دابة، وذلك قبل أن تكون السيارات، فكان هناك بقرب الأزهر الشريف موضعٌ يتجمع فيه المكاريون وأصحاب الدواب المخصصة لحمل الناس، فكان إذا خرج أحد الحمارين إلى العلامة الفضالي ليحمله إلى الأزهر الشريف أو منه، لم يزل الفضاليُّ يبسط له مسائلَ ومقدماتٍ من علم الكلام، يقربها إلى فهمه، ويوضحها له، يشغل بذلك الوقت الذي يستغرقه الطريق، قال العلماء: «فما مات الفضاليُّ حتى صار الحمارون كلهم يتكلمون في علم الكلام».

ونظير هذا في الأقدمين أن أبا الفضل المراغيَّ أقام يقرأ العلم بمدينة السلام بغداد خمسة أعوام، فلما أن قضى غرضه من الطلب، وعزم على الرحيل، شدَّ رحله، ورحل على دابة قماشةً، وخرج إلى باب الحلبة طريق خراسان، وتقدمه الكريُّ بالدابة، وأقام هو على فاميٍّ ـ بائع طعام ـ يبتاع منه سفرته، فبينما هو يحاول ذلك معه، إذ سمعه يقول لفاميٍّ آخر: أي فُل ـ يعني: يا فلان، من باب ترخيم النداء ـ أما سمعت العالم ـ يقصد: الواعظ ـ يقول: إن ابن عباس يجوِّز الاستثناء ولو بعد سنة، لقد اشتغل بالي بذلك منه، منذ

سمعته يقوله، وظللت فيه متفكرًا، ولو كان ذلك صحيحًا لما قال الله تعالى لأيوب: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾[1]، وما الذي كان يمنعه من أن يقول حينئذ قل: إن شاء الله، قال المراغي: فلما سمعته يقول ذلك قلت: بلد يكون الفاميُّون به من العلم في هذه المرتبة، أخرج عنه إلى المراغة، لا أفعله أبدًا، واقتفى أثر الكريِّ، وحلله من الكراء، وصرف رحله، وأقام بها حتى مات، رحمه الله)[2] فكأن هذا من شأن الحواضر العلمية، حيث ينضح فيها من العلماء على العوام ذَرْوٌ من العلم، يتناقله العامة ويتحدثون به.

والمقصود أن المدرسة العلمية التي برز منها الفضالي، وبعده الباجوري، وبعده الشمس الأنبابي، وبعده أحمد رافع الطهطاويُّ، تسير كلها على هذا النمط، وتجري على هذا النهج، ولقد عرف هذا النهج عن أعيان هذه المدرسة، حتى قال زكي مجاهد مثلًا في ترجمة الشمس الأنبابي: (الأعلام الشرقية): (وكان من أوسع العلماء اطلاعًا، وأجلهم نفعًا للعلم والتدريس والتفهيم، «وأقدرهم على تفهيم الطلاب»، ولذلك كانت منزلته بينهم لا ترام لغيره علوًّا وارتفاعًا)[3].

وهذا السيد أحمد رافع الطهطاوي، ولد سنة ١٢٧٥هـ، ودرس على أبيه المتوفى ١٢٨١هـ، ودخل الأزهر سنة ١٢٨٧هـ، وعرف البرهان السقا، وسمع منه مسلسل عاشوراء، وما اعتنى بأن يطلب منه الإجازة العامة، مع أنه عرف

(١) سورة ص، آية ٤٤.
(٢) نقله أبو بكر ابن العربي في: أحكام القرآن /٢/١٥٤/.
(٣) الأعلام الشرقية /١/٣٦٥/.

الإجازة وفهم معناها، لأن والده قد أجازه من قبل وقد تقدمت وفاته على وفاة السقا بكثير، لكن غلب على البيئة العلمية التي نشأ فيها أن تعتني بالدراية، وما تحصل من الأسانيدِ في أثناء ذلك فهو حسنٌ، لشدة تغلغل معنى إجازة التدريس في إجازة الرواية عنده، فلما أن خالطَ المسندين المعتنين بأمور الرواية الصرفة، ممن صارت الأسانيد عندهم فنًّا خالصًا مقصودًا، يشتغل به لذاته، وذاك عند معرفته بالعلامة المسند الكبير الشيخ عبد الستار الدهلوي، رجع أحمد رافع ينظر إلى أسانيده بتلك العين، فصار يتحسر على فوات الإجازة العامة من البرهان السقا[1].

فالنمط العلميُّ الذي نشأ فيه السيد أحمد رافع يعتني بأسانيد الرواية التي تتحصل لهم من شيوخ الدراية، وهذا هو الذي نشأ عليه بين يدي علماء الأزهر من أهل الدراية والتحقيق العلمي، خصوصًا الشمس الأنبابي، وهو الذي نشأ عليه الشمس الأنبابي بين يدي البرهان الباجوري.

ومن غاب عنه ذلك، شرع يحاكمهم على ما ألف هو من اهتمامات المسندين المعتنين بالرواية الصرفة، ممن صارت صنعة الإجازات والأسانيد عندهم علمًا خاصًا مفردًا، يحرصون على رسومه ومعالمه.

ولم يزل هذا دأب علماء الأزهر، يحرصون على القواعد، وتحرير مدارك المسائل، وإذا سألتهم عن أسانيدهم لم يذكروا لك سوى أفراد ممن لازموهم، وتخرجوا على أيديهم، فكنت إذا طلبت منهم الإجازة، أو سألتهم عن أسانيدهم، لم يحفلوا بذلك، وشرعوا يذكرون شيوخهم الذين درسوا

(١) فأنت ترى أن السيد أحمد رافع فاتته الرواية عن شيخه، فلما مات الشيخ أدرك علو أسانيده فتحسر، ويشبهه في الأقدمين العلامة محمد بن الحسين الخشوعي فتأمل ترجمته.

عليهم، ولا أحصي من أدركناهم على ذلك النمط.

ولذا فقد كان المرتضى الزبيدي شيئًا عجبًا، انبهر به علماء الأزهر ممن هم أشد منه تحقيقًا للعلوم، ولكنهم رأوه يعقد المجالس للإملاء، ويستكثر من ذكر شيوخ الرواية، ويخرج الأثبات والفهارس والمعاجم لنفسه ولمشايخه، على غير ما يألفون.

ولذا أيضًا فقد ارتضى العلماء ـ كما سبق ـ ثبت الأمير الكبير، وتلقوه بالقبول، وأحالوا إليه، وأجازوا تلامذتهم بما تضمنه، لما أنه بالغ في تحرير مروياته، وذكر شيوخه، وأسانيده إلى الكتب المعتمدة في الفنون المختلفة، والأحاديث المسلسلة التي تحملها، فكان ثبته فتحًا جديدًا، وأمرًا غير مألوف عند المصريين في ترتيب أثباتهم، وقد كانوا قبلها يوردون أسماء مشايخهم كيفما اتفق، كما تراه في ثبت الشبراوي، وثبت الدمنهوري، وثبت الشنواني، وسند الأسقاطي، وثبت أحمد بن محمد الطهطاوي، وغيرها من الأثبات.

ومن هنا ينفتح ـ كما سبق أيضًا ـ باب مهمٌّ في مقارنة أثبات المصريين بثبت الأمير، والنظر المطول في مزايا ثبت الأمير على غيره، من حيث الجودة في توظيف الأسانيد في مواضعها، وإتقان صنعة الكتاب، مما ترك تلك المنزلة العالية لثبت الأمير.

والمقصود أن الفصل في مسألة رواية الباجوري عن الأمير الكبير مُحوِجٌ إلى معرفة واسعة بالجوِّ العلميِّ الذي كان شائعًا في تلك الأعصار، وكيف كانت مناهج أصحاب تلك الأزمان في التعامل مع المسائل والقضايا، حتى لا يُحاكموا إلى جوٍّ علميٍّ آخر، له اهتماماته واختياراته الخاصة.

ومما يؤيد ذلك أن جماعة من العلماء كانوا أصحاب رواية واسعة، وأسانيد متكاثرة، إلا أن الواحد منهم كان ينتقي لنفسه من أسانيده وشيوخه واحدًا بعينه، يلهج به، ويذكره كلما وجدت عنده الحاجة لذلك، ويقتصر عليه دون بقية شيوخه، بحيث لا يعرف إلا به، حتى يظن الناس أنه لا رواية له عن سواه، مع أنه يروي عن أشياخ آخرين، وأبرز مثال لذلك هنا في المتأخرين العلامة البدر الحسني، فقد ظل أربعين سنة أو تزيد وهو لا يذكر في إجازاته إلا شيخه البرهان السقا، حتى جزم جماعة من أهل هذه الصنعة أنه لا إسناد له عن سواه، ثم نهض فضيلة الشيخ محمد عبد الله الرشيد، وتتبع ذلك، حتى وقف على نصوص إجازات عدد من الأشياخ للبدر الحسني، منهم العلامة عبد القادر الخطيب، والعلامة حسن العدوي الحمزاوي، وأورد صور خطوطهم بالإجازة له في آخر كتابه: (محدث الشام العلامة السيد بدر الدين الحسني رحمه الله بأقلام تلامذته وعارفيه)، فظهر أن اقتصار البدر الحسني على شيخه السقا لم يكن لعدم وجود رواية له عن آخرين، بل لغرض علمي آخر، كشدة إجلاله للسقا، أو غير ذلك من الأغراض والمقاصد المعتبرة، وكذلك الحال في البرهان الباجوري، فتأمل ذلك.

ومنها وهو الأهم: أن البرهان الباجوريَّ نص تصريحًا على أن الأمير الكبير مؤلف الثبت قد أجازه به، وتحت يدي صورة خطه بذلك، إذ توجد نسخة من ثبت الأمير الكبير، محفوظة في دار الكتب المصرية، وعليها إجازة من البرهان الباجوري بخطه وختمه، للشيخ أحمد ابن السيد محمد الشهير بالمعرف، أجازه فيها بثبت الأمير، ونص على أن المؤلف الشيخ الأمير قد أجازه به، وهذا تصريح منه يرفع النزاع في المسألة، فإليك نص الإجازة

المذكورة، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (بسم الله الرحمن الرحيم، نحمدك اللَّهُمَّ على ما أنعمت به من تشييد الإيمان والإسلام، ونشكرك لتشريف هذه الأمة المحمدية ببقاء الجهابذة الأعلام، ونسألك من مزيد فضلك ورفايد الإنعام، أفضل صلاة وأتم سلام، على سيد شرفته على جميع الأنام، ومنحته الحكمة والمعارف وميزت به الحلال من الحرام، وعلى آله المستمدين بالاقتداء بها الهدي التام، وصحابته الممدين لمن تبعهم النور العام، صلاة وسلاما دائمين متلازمين لا انقطاع لهما ولا انصرام.

أما بعد... فإن العلم أفضل ما يكتسبه الإنسان، وأجل ما يتحلى به أهل الكمال والعرفان، وأن السند فيه أصل أصيل، وشأنه عند أهل العلم فخيم جليل، لما في صحيح مسلم عن عَبْد الله بْن الْمُبَارَك: «الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلاَ الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ»، ومن لا سند له فهو مقطوع، وعن طريق الرشد والوصول ممنوع.

هذا وممن سلك هذا المسلك القويم، ونهج منهجه الواضح المستقيم، وكان ممن جد في تحصيل ذلك ابننا، العمدة الفاضل، الشيخ أحمد، ابن العمدة التالي كتاب الله تعالى السيد محمد الشهير بالمعرف، حتى بلغه الله من العلم ما أراد، وأراد التوجه إلى البلاد، استجازني بحسن ظنه، عاملني الله وإياه بلطفه ومنه، في أن أجيزه، ولو بعبارة وجيزة، ولكن كمال المحبة يستلزم الإمارة، ويوجب الامتثال بمجرد الإشارة، فضلًا عن العبارة، وبمقتضى ذلك قلت: أجزت المستجاز، بكل ما صح عني وجاز، بما اشتمل عليه هذا الثبت وغيره، **كما أجازني بذلك مؤلفه وغيره**، موصيًا له بملازمة التقوى، فإنها السبب الأقوى، وأن يتبع النصوص فيما عنه يُسأل، ولا عن

طريق الهدى يتحول، إجازةً عامةً شاملةً، وأسأله ألا ينساني من دعائه المستطاب؛ إذ دعاء المحبين بظهر الغيب مجاب. الفقير إبراهيم الباجوري الشافعي، خادم العلم بالأزهر الأنور، وتم بحمد الله) وتحتها ختمه.

وأما الادعاء بأن هذا وهمٌ من الباجوري أو سبقُ قلمٍ فهو في غاية العجب، ولا يحتاج إلى دفعٍ أو تعليق، وأما نصوص إجازات طبقة تلاميذ الباجوري وتلاميذ تلاميذهم، كطبقة بخيت المطيعي، والسمالوطي، وأحمد رافع ونحوهم، وكونهم جميعا يجعلون الواسطة بين الباجوري وبين الأمير الكبير فليس بمشكل، فإنه من باب المزيد في متصل الأسانيد، وهو وقوفٌ منهم على ما أَلِفَ الباجوري ذكره من مشايخه، وعلى ما عهدوا شيخهم عليه من الاقتصار في أسانيده على ما يختاره ويحبه ويؤثره، فاقتصروا على ذلك، فرجع الأمر إلى الباجوري نفسه، وإلى منهجه في التعامل مع مشايخه، وهو بعينه المنهج الذي جرت عليه طبقة تلامذة الباجوري، وتلامذتهم، حتى إنني اعتبرت إجازاتهم التي كتبوها بخطوطهم، وقارنت بينها، فرأيتهم يحرصون على ذكر شيوخهم الذين لازموهم، وتخرجوا بهم، ولا يقصدون إلى الاستكثار، ولا يحفلون بالعلو والنزول، وما شذ عن ذلك سوى العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي، حينما جالس المسند الكبير الشيخ عبد الستار الدهلوي كما تقدم، والذي كان منقطعًا لفنون الإجازة وأسانيد المتأخرين، فمن يومها رجع الطهطاوي ينظر إلى أسانيده هو بهذه العين، واجتهد في جمع ثبت لنفسه، وظل رغم اعتنائه وإلى أن مات يدور في روايته على أفراد معدودين من علماء الأزهر ممن تخرج بهم وروى عنهم.

بل وانتبه إلى أنه ليست العبرة في اعتبار إجازات تلامذة الباجوري،

بل في اعتبار إجازات الباجوري نفسه، كمثل إجازته لعبد المنعم بن محمد السيوطي، وإجازته لأحمد بن محمد الجرجاوي، وإجازته لحسنين أحمد جلبي الحنفي، وإجازته لعبد السلام بن عبد الرحمن الدمشقي الحنبلي، وإجازته لعلي بن عوض البرديسي الجرجاوي، فليس في إجازاته المذكورة سوى الإفادة بصدور الإجازة، مع دعوات وإشادة بالمجازين، دون تعرض لذكر مشايخه ومروياته، فجرى تلامذته على ما اعتاد هو رحمه الله.

بل إن جماعة من تلامذة الباجوري ينصون على أنه يروي ثبت الأمير عن مؤلفه، فقد كتب العلامة الشيخ عبد الوهاب الخضري الشافعي بن العلامة الشيخ محمد الخضري، والمتوفى ـ أعني: الأب ـ يوم الثلاثاء، لثلاث من شهر صفر، سنة ١٢٩٨هـ على ثبت الأمير ما نصه: (كما أجازني به والدي وأستاذي، وقدوتي وملاذي، الأستاذ الفاضل، الحاوي لكمالات الفضائل، من هو بكل كمال حري، الشيخ محمد الخضري الأزهري، كما أجازه به شيخ الإسلام الباجوري، وهو عن صاحب هذا الثبت، أعني الشيخ الأمير الكبير)، وكذلك نص العلامة الشيخ محمد إبراهيم نوفل الشافعي السيوطي ثم الجرجاوي، فقد أجاز تلميذه العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي بما أجازه به شيخه العلامة الفقيه الشيخ حسن بشنك المُوشِيُّ السيوطي الشافعي، فقال: (وهو ـ يعني الشيخ بشنك ـ عن أشياخه المعروفين، الأئمة المحققين، لاسيما كوكب الأنوار، ومعدن الأسرار، من أبتغي به من الله تكثير أجوري، وتيسير أموري، العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري، بما حواه ثبت شيخه الشهير، العلم الكبير، من هو بجدير المعارف خبير، الأستاذ العلامة الشيخ الأمير).

فصل

يروي البرهان الباجوري عن: ١ ـ محمد الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ، ٢ ـ ومحمد الأمير الصغير ت١٢٤٦هـ، ٣ ـ ومحمد الفضالي، ٤ ـ وحسن القويسني وغيرهم، بل رأيت في مواضع متفرقة ما يفيد روايته عن عبد الله الشرقاوي، ومحمد بن علي الشنواني، وإن كان هذا يحتاج إلى تحرير.

نروي مروياته من طريق شيخنا سماحة العلامة الإمام الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، عن العلامة السيد عبد الله الصديق الغماري، عن السيد أحمد رافع الطهطاوي، عن الشمس الأنبابي، عنه.

(ح) ومن طريق شيخنا العلامة الشيخ علي جمعة، عن العلامة السيد عبد الله الصديق، عن المعمر محمد دويدار الكفراوي عنه.

(ح) ومن طريق شيخنا السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي، عن المعمر محمد عبد الله إبراهيم العاقوري، عنه.

* * *

❁ **العالم الكبير، اللغوي الأديب المفسر فضيلة العلامة الشيخ إبراهيم الجبالي ابن حسن بن يوسف الأزهري.**

ولد سنة ١٢٩٥هـ ـ الموافق ٥ يناير ١٨٧٨م بقرية الرحمانية، بمحافظة البحيرة، والتحق بالأزهر في ١٥ شوال ١٣٠٧هـ، ونال شهادة العالمية في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢هـ ـ سنة ١٩٠٤م، وصار شيخًا لعلماء الإسكندرية سنة ١٩٠٥م، وعين في سبتمبر سنة ١٩٢٠م شيخا لمعهد أسيوط الأزهري، فنهض معهد أسيوط في أيامه نهضة كبرى، فانتقل عدد طلابه من ثلثمائة إلى ألف

ومائة وسبعة وسبعين، وكان شيخًا لكلية اللغة العربية، وكان إمامًا في علوم العربية متضلعًا منها، ومن مؤلفاته كتاب: (شفاء الصدور، بتفسير سورة النور)[1]، وتوفي سنة ١٣٧٠هـ.

وكان في سنة ١٩٣٦م قد رأس بعثة أزهرية إلى الهند، لاستطلاع حال المنبوذين، وزار هناك أكثر من خمسين مدرسة وجمعية، واستقبل مع أعضاء البعثة بأسمى مظاهر الترحيب، وعقد لقاءات مع الزعيم الكبير محمد علي جناح، ومع الشاعر الفيلسوف محمد إقبال وغيرهما، وبينما هو في الهند تقرر منحه عضوية هيئة كبار العلماء في ٨ مارس سنة ١٩٣٧م، ثم عين بعدها بقليل وكيلًا لكلية أصول الدين.

وممن تتلمذ عليه، وانتفع بعلمه العلامة المحدث السيد أحمد محمد شاكر، فقال عنه في تقدمة الطبعة الأولى من كتاب: (الباعث الحثيث): (شيخي، وأستاذي، العلامة الكبير، الشيخ إبراهيم الجبالي، من أفذاذ العلماء الذين أنجبهم الأزهر الشريف).

وممن تتلمذ عليه وانتفع به أستاذنا الأديب الراوية الكبير محمد رجب البيومي، قال في آخر كتابه الماتع: (من أعلام العصر، كيف عرفت هؤلاء) وهو يتحدث عن مراحل تكوينه وأساتذته: (كما أن عميد الكلية في بعض سنواتها كان فضيلة الأستاذ الكبير إبراهم الجبالي، وهو عضو هيئة كبار العلماء، وممن ساد لهم ذكر في مجال التفسير القرآني، إذ كان يتولى تحرير باب

---

(١) ترجمته في: مجلة الأزهر، الجزء العاشر السنة السادسة والستون، /ص١٥٤٣ ـ ١٥٤٧/، وله ترجمة في كتاب: صفوة العصر /ص٥٢٩/، وترجمة أيضًا في كتاب: تاريخ معهد أسيوط الديني منذ نشأته /ص٤١/ تأليف الشيخ محمد حسين النجار.

التفسير بمجلة الأزهر تسع سنوات، فصدر عن ذاتية ممتازة في الاتجاه، وتعمق دقيق في الرأي، وسلاسة رائقة في التعبير، حتى صار نموذجًا من نماذج البيان.

هذا الرجل الكبير كان لا يسمح لطالب أن يتأخر يومًا واحدًا دون عذر يفحصه شخصيًّا، ويقتنع به، وكان من عادته أن يتقدم إليه الطالب مبديًا عذره، ليتعرض لامتحان علمي في بعض المقررات، فإن أجاب فعذره مقبول، وإلا فلا سبل إلى الاعتذار.

وقد كتب لي والدي ذات يوم أنه سيحضر إلى القاهرة في موعد حدده، وعليّ أن أكون في استقباله بباب الحديد، فرأيت أن أذهب للأستاذ معتذرًا عن التأخير، وكان مجلسه ساعتئذ عامرًا بالأساتذة، فتطلع إلي وسألني أن أجلس لأعرب له قول الفرزدق:

وكُلُّ رفـيقي كلِّ رحـل وإن هما تعـاطى القنـا قوماهـا أخـوان

وكان من حظي أن أحيط بالبيت من قبل، فابتسمت وقلت: يا سيدي!! سأعرب البيت كما تود، ولكني سأسألك بدوري عن قائله، وعن مناسبته، وعن أحد الأئمة الذي أخطأ في إعرابه من كبار النحاة، فائتلق وجه الشيخ بالنور، كأنه استمع إلى بشرى سعيدة، وقال: الله أكبر يابني، مادمت تعرف أن ابن هشام قد أخطأ في إعرابه في كتاب المغني فأنت على علم به، أما القائل والمناسبة فأنا لا أعرفهما، لقد جئت بآبدة، لقد جئت بآبدة!! وكان الشيخ محمد الطنطاوي أستاذ النحو بين السامعين، فقال للشيخ: إن الطالب من كتاب مجلة الرسالة، فنهض الرجل من مكانه محييًا، وقال:

اذهب دون اعتذار، لأنني أحرص على حضور المتعلمين لا العلماء)[1].

يروي عن: ١ ـ شيخ الإسلام العلامة الشيخ سليم البشري، و٢ ـ شيخ الإسلام العلامة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، ٣ ـ والعلامة الفقية محمد بن سالم الشرقاوي النجدي، ٤ ـ والعلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف، وغيرهم.

نروي مروياته من طريق الشيخ أسامة السيد عبيد التيدي، عن السيد أحمد الحسيني، عن العلامة الشهاب المرعشي النجفي ت١٤١٢هـ، عنه.

❁ ❁ ❁

❁ **شيخ الإسلام، الإمام الشيخ: شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله الدمهوجي الشافعي.**

ولد سنة ١١٧٠هـ الموافق سنة ١٧٥٦م، وهو منسوب إلى قرية دمهوج، قرب بنها، أما شيوخه فمنهم: العلامة عبد الله الشرقاوي، والشيخ أحمد بن جمعة البجيرمي، والشيخ عبد اللطيف الحلبي ت١١٢١هـ، وغيرهم.

وكان رحمه الله تعالى واسعَ العلم، منقطعًا للعبادة، وكان يُدَرِّسُ الأشموني في الجامع الأزهر الشريف، تولى مشيخة الأزهر أوائل رجب سنة ١٢٤٦هـ، وتوفي ليلة عيد الأضحى سنة ١٢٤٦هـ، الموافق سنة ١٨٣٠م، فبقي في المشيخة ستة أشهر، ومن ذريته الشيخ إبراهيم الدمهوجي، كان من أعيان دمياط، وهو جد الأستاذة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ لأمها.

(١) من أعلام العصر /ص٣٧٨.

ومن تلامذته: أحمد بن عبد الكريم الترمانيني الحلبي ت١٢٩٣هـ، ومحمد نجيب بن مصطفى النخالة الشافعي ت١٢٩٦هـ، ورفاعة الطهطاوي ت١٢٩٠هـ، والبرهان السقا، وبشرى بن هاشم الجبرتي، وعبد القادر بن عبد الرحيم الخطيب الدمشقي، ومحمد العزب المدني، وأحمد منة الله المالكي، وأبو عبد الله محمد بن محمد التهامي، والشهاب المعمر أحمد النحراوي المكي، وعثمان بن حسن الدمياطي الشافعي المكي، وغيرهم كثير.

يروي عن: ١ ـ الحافظ محمد مرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ، وقد سمع منه الأولية، وكان سماعه حديث الأولية من الحافظ مرتضى الزبيدي في بيت السيد مرتضى، بسويقة اللالا بالقاهرة، وتمَّ كتابةُ محضرٍ بالسماع، فيه أسماءُ الحضور، وتاريخ المجلس، وعليه توقيع الحافظ مرتضى رحمه الله تعالى، كان ذلك يوم الأربعاء، الرابع والعشرين من شوال، سنة ١١٩٦هـ، وكان كاتب السماع هو العلامة الجليل السيد علي بن عبد البر الونائي ت١٢١١هـ، وكان بينه وبين الشهاب الدمهوجي مودة ومرافقة وصحبة، وهذا نص مكتوب السماع، قال السيد علي بن عبد البر الونائي رحمه الله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي، الحمد لله الذي رحم أهل حبه، فمنَّ عليهم برفع الحجب عنهم حتى استغرقوا في شهود قربه، والصلاة والسلام على الناطق بالصواب، سيد الأحباب، محمد عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، وعلى آله وأصحابه وتابعيه وحزبه، أما بعد، فقد سمع من لفظ وحفظ إمام المحدثين، ورحلة المحققين، شمس المعارف، وكنز اللطائف: أبي الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، عومل بالرضوان الوفي آمين، الشيخُ الفاضلُ، الجهبذُ الفاضلُ الشهاب أحمد بن علي الدمهوجي

الشافعي الأزهري حفظه الله حديث الرحمة، وهو أول حديث سمعه منه، وأجاز له جميع ما يجوز له، بحق روايته لهذا الحديث عن جلة فخام، وأساتذة عظام)، ثم ساق الوناثي سند السيد مرتضى إلى حديث الأولية، إلى أن قال: (وسمع معه: سيدي محمد بن الهاني بن علي العرياني البديري، وشافعي بن عمر الدغستاني الشافعي، وهو أول حديث استمعاه عن المسمِّع المذكور، ومحمد بن مسعود القراني، وهو أول مسلسل عنه، وكاتب الأحرف، الفقير: علي بن عبد البر الشافعي الوناثي، وأخوه في الطلب: العلامة علي بن منصور الأجهوري الشافعي، كلاهما عود على بدء، في بيت المسمع المذكور، ضوعفت له الأجور، بسويقة اللالا، وصح ذلك يوم الأربعاء، أربع وعشرين من شوال، سنة ١١٩٦هـ ست وتسعين ومائة وألف، من هجرة من له الشرف ﷺ، ما بدا نجم وغرب، والحمد لله رافع الرتب)، ثم يلي ذلك قول الحافظ مرتضى: (صحيح ذلك، وقد أجزته أيضًا بما يجوز لي عمومًا، وفقه الله تعالى، وأحسن إليه، وكتبه الفقير: محمد مرتضى الحسيني، غفر له، حامدًا مصليًّا مسلمًا مستغفرًا).

٢ ـ ومحمد بن عبد السلام الدرعي الناصري ت١٢٣٩هـ، وهو عن جماعة منهم الحافظ أبو العلاء إدريس العراقي الفاسي، وقد أجاز الدرعي للدمهوجي عامةً في السادس من ربيع الثاني سنة ١١٩٧هـ، والإجازة بخط العلامة الوناثي، ٣ ـ وعبد العزيز بن عباس الأمطاعي المراكشي، نزيل مصر، ٤ ـ والشهاب أحمد بن أحمد بن جمعة البجيرمي الشافعي، وأجاز للدمهوجي في ذي الحجة ١١٩٦هـ، وكان كاتب الإجازة هو علي بن البر الوناثي، ٥ ـ وعبد الله بن حجازي الشرقاوي ت١٢٢٧هـ، ٦ ـ والصفي محمد بن أحمد بن محمد البخاري

النابلسي، وأجاز للدمهوجي عامة ضحى يوم الجمعة، سابع المحرم الحرام سنة ١١٩٧هـ، وهي بخط الوناثي، ٧ ـ ومحمد بن أحمد الجوهري وغيرهم.

أروي مروياته من طريق العلامة الشيخ عبد الغني بن محمد علي الدقر، والمعمر الشيخ سليم الحمامي، كلاهما عن البدر الحسني، عن البرهان السقا، عنه.

(ح) ومن طريق السيدة صفية بنت عمر بن صالح بن عبد الله العطاس، وهي عن الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وهو عن الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، عن العلامة محمد بن محمد العزب، عنه.

وبالإسناد إلى الإمام عيدروس بن عمر، عن العلامة علي بن عبد القادر باحسين، والعلامة محمد بن عبد الله باسودان، كلاهما عن الشيخ بشرى بن هاشم الجبرتي، عنه.

* * *

۞ العلامة الإمام الشيخ أحمد بن شرقاوي بن مساعد بن تائه بن خلف بن يوسف بن خلف بن عبد السلام بن جامع الخلفيُّ الشرقاويُّ الفرشوطيُّ الصديقيُّ المالكي.

وُلِدَ في شهر ذي القعدة سنة ١٢٥٠هـ، في قرية من أعمال مدينة قنا، بينها وبين مدينة فرشوط نحوٌ من نصف ساعة، وكان مستقره ومدفنه بعد ذلك في قرية تسمى: (دير سوادة) فغير اسمها إلى: (دير السعادة).

رباه والده على التقوى، والتزم ألا يطعمه إلا حلالًا، فنشأ في جوٍّ من

الصلاح والفضل والديانة، وأتم حفظ القرآن في العاشرة، ثم نزل إلى مدينة جرجا أيام أن كانت معمورة بالعلماء، فتلقى العلوم ونبغ فيها، كما أنه انتفع في السلوك والتربية بالإمام الشيخ أحمد الخضيري الطهطاوي، وهو عن الإمام الشيخ أحمد السكري، وهو عن الإمام الشيخ أبي البركات أحمد الدردير، وهو عن الإمام محمد بن سالم الحفناوي وإسناده معلوم.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ إمامًا في العلوم، هاديًا مهديًّا، علمًا في التقوى والصلاح، معروفًا بالولاية وعلوِّ المرتبة، حتى وصفه عددٌ من علماء عصره بمجدد القرن الثالث عشر.

منهم العلامة الشيخ أحمد منة الله المالكي، ومنهم العلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف، والعلامة الشيخ محمد البسيوني البيباني المالكي، والعلامة الشيخ هارون عبد الرازق شيخ رواق الصعايدة بالأزهر الشريف، والعلامة الشيخ محمد طموم الشبراباصي المالكي، والعلامة الشيخ محمد بن حسين بن علي الصعيدي الخزرجي قاضي مدينة إسنا، والعلامة الشيخ محمد بن حسن المصري الجرجاوي، والعلامة الشيخ حسن بشنك من أكابر علماء أسيوط.

ووصفه بالتجديد عدد من علماء جرجا، أيام أن كانت تموج بالعلماء والفقهاء، فممن وصفه بالتجديد من علمائها: العلامة السيد رضوان والد السيد خليل الأنصاري، وشقيقه العلامة السيد عثمان الأنصاري الحنفي، نقيب أشراف مدينة جرجا، والعلامة بيومي بن فراج الزيات، وهو من أكابر علماء جرجا، بل هو من شيوخ المترجم، والعلامة السيد حسنين بن السيد عبد المنعم بن أحمد بن عبد الجواد الأنصاري، والعلامة السيد الخليل بن السيد رضوان الأنصاري، والعلامة الفقيه عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن

العلامة الشيخ محمد السيوطي المالكي الجرجاوي، والعلامة الشيخ محمد بن سالم الجرجاوي، والعلامة عبد الله بن محمد القاضي الخلوتي الجرجاوي، والعلامة المقرئ الشيخ علي بن حسن الشهير بالمملوك، والعلامة الشيخ عبد الرحمن بن العلامة الشيخ أحمد بن العلامة الشيخ عبد الله أفندي الأنصاري الجرجاوي، والعلامة الشيخ عبد العال بن مكي الجزار الإخميمي، ومن علماء طهطا في الصعيد الأوسط العلامة الشيخ علي بك رفاعة الطهطاوي، والعلامة الشيخ محمد بن أحمد أفندي نجل العلامة الشيخ إسماعيل المشهور بالنحاس الطهطاوي نزيل جرجا، والعلامة محمد بن إبراهيم الببلاوي.

فما من واحد من هؤلاء إلا وهو يصف المترجم بأوصاف عظيمةٍ فخيمةٍ، منها التجديد، وذلك في قصائدهم، ومكاتباتهم، وتقريظهم لكتبه.

فصل

وقد أفرد له العلامة المؤرخ السيد محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن أحمد بن حجازي بن أحمد المالكي المراغي الجرجاوي الحسني، المتوفى صبيحة يوم الثلاثاء، عاشر شوال، سنة ١٣٦١هـ، الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٤م ترجمة ضخمة حافلة، سماها: (كنز المعارف والمطالب، فيما لأحمد بن شرقاوي من المناقب).

كما ترجم له الأستاذ محمد عبده الحجاجي في كتاب اسمه: (أبو المعارف أحمد بن شرقاوي الخلفي، الإمام القدوة، حياته، آثاره العلمية، تلامذته ومريدوه)، وقد طبع الكتاب ضمن سلسلة لمؤلفه سماها: (من أعلام

الصعيد في القرن الرابع عشر الهجري).

كما ترجم له العلامة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق في كتاب اسمه: (صفحات ناصعة من تاريخ الإمامين علمي الإسلام، الأستاذين العارفين بالله: الشيخ أحمد بن شرقاوي، والشيخ أحمد أبي الوفاء الشرقاوي) وهو مطبوع.

قال العلامة الشيخ محمد حامد المراغي الجرجاوي في كتابه المذكور: (كتابي: «خلاصة وسيلة المجدين، في ذكر أسماء وتراجم المجددين»، وفي كتابنا: «خلاصة منحة المجدين، على تحفة أسماء المجددين» للجلال السيوطي، وقد ذكر السيوطي في: «تحفته» المجددين لأمر الدين إلى القرن الثامن، وأخبر مترجيا منه تعالى أن يكون هو المجدد على رأس المائة التاسعة، وقد اتفق الكثير من العلماء على أنه هو المجدد عليها، وقليل من العلماء قال إن المجدد غيره، وقد ذكرت كلًّا من وصف به عليها، وكابدت في ذلك عناء شديدًا، ووفقت بين هذه الأقوال، وقد استدركت عليه ذكر من جاء بعده إلى أستاذنا المترجم ﷺ وأرضاه)[1].

إلى أن قال بعد كلام: (فوالله ثم والله!! لم أرَ تحت أديم السماء مثله، علمًا، وجمالًا، واتباعًا للسنة، وكرمًا، وحلمًا في حق نفسه، وقيامًا في حق الحق عند انتهاك حرماته)[2].

قلت: وأما شهادة الجرجاوي للشيخ بالتخلق بالسنة النبوية والاعتصام بها، وأنه ما رأى تحت أديم السماء مثله في اتباعه للسنة، فقد ورث ذلك

(١) كنز المعارف والمطالب /ص٣٢.

(٢) كنز المعارف والمطالب /ص٤٥.

عنه ولده العلامة أحمد أبو الوفا، حتى لقد قال المحدث الشيخ أحمد شاكر ـ وناهيك به ـ إن شيخه الشيخ أحمد أبا الوفا أعلم من رأى بالسنة، فشهد له بمثل ما شهد الجرجاوي لأبيه، وهذا من عجائب الاتفاق، وسيأتي تفصيل ذلك بعد قليل.

وقال العلامة محمد البشير ظافر الأزهري في: (اليواقيت الثمينة): (ووفق إلى العبادة والتقوى من صغره، ونشأ على غاية الصلاح، وحسن الأدب، وتهذيب الأخلاق، وصفاء السريرة، وزهادة الدنيا، وإيثار الآخرة، والإقبال على الله بكليته، وكثرة الأوراد، والمحافظة على السنة، ونوافل الخير، واقفًا مع كتاب الله والسنة، مصاحبًا للفقه.

أقبل عليه العالمون والجاهلون، وله في العلوم العقلية والنقلية مجال من غير كبير سعي، ولا تفرغ لطلب، وله المدارك الدقيقة، والمباحث الرقيقة، ومن شاركه عرف قدره، وحقق أمره، ومتى توجه لفن ساهم فيه ممارسيه، وإن لم يتقدم له عليه اطلاع، وبالجملة فهو إمام هذا العصر)[1].

وقال السيد رشيد رضا في: (تاريخ الأستاذ الإمام): (ولما أنشأت مجلة المنار عهد إلي ـ يقصد الأستاذ الإمام ـ أن أرسله إلى الأستاذ الصوفي الشهير الشيخ أبو شرقاوي في نجع حمادي، من الصعيد الطيب، وإلى الشيخ داغر، القاضي الشرعي في الشرقية، على ألا يؤخذ منهما شيء من قيمة الاشتراك، قال: هذان صديقان لي، وحسابهما عليّ، أما الأول فهو من بقايا شيوخ الطريقة الصالحين المخلصين، وأثنى على علمه ومعرفته بالتصوف).

(١) اليواقيت الثمينة، في أعيان مذهب عالم المدينة /ص٦٢، ونقل عنه العلامة محمد مخلوف في: شجرة النور الزكية /ص٤٠٩.

ثم علق السيد رشيد رضا على هذا الكلام من الأستاذ الإمام محمد عبده بقوله: (وقد جاء مصر، وزار أستاذنا فيها، ولم يتح لي لقاؤه، ولكني حظيت بصداقة نجله وخليفته الأستاذ أبي الوفا، فكان من أفضل من عرفت وصادقت)[1].

قلت: ولم يكن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مكثرًا من التصنيف، والموجود من مؤلفاته منظومة اسمها: (المورد الرحماني، والمشرب الأحلى للظمآن، في علمي التوحيد والتصوف)، وقد شرحها تلميذه العلامة الشيخ أحمد الطاهر الحامدي المالكي المتوفى بالأقصر في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٢م في كتاب اسمه: (الكشف الرباني، عن المورد الرحماني) وهو مطبوع.

ومنها كذلك كتاب: (نصيحة الذاكرين، وإرغام المكابرين)، ومنها كتاب: (شمس التحقيق، وعروة أهل التوفيق) وكلاهما مطبوع، ومنها تشطير على البردة، مطبوع في المطبعة البولاقية سنة ١٣١٤هـ.

وقد انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى في التاسع عشر من ذي القعدة، سنة ١٣١٦هـ، الموافق ٣١ مارس ١٨٩٩م، عن ستة وستين عامًا هجرية، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

فصل

أما سلاسل أسانيده، وشيوخه في الرواية فإنه يروي عن جماعةٍ من الأئمة الأعلام، والمشايخ الكبار، منهم:

(١) تاريخ الأستاذ الإمام /ص٩٥٥/.

١ ـ العلامة الشيخ محمد بن الحسن المصري الجرجاوي، وهو أول شيخ أجاز له، وقد أجازه بصحيح البخاريِّ، وهو يرويه عن عمه العلامة محمد بن أحمد المصري المالكي الجرجاوي، وعن إسماعيل بن أحمد بن شيخ الإسلام الشيخ عبد الجواد محمد الأنصاري، وعن محمد علي مكي الشهير بالسيوطي، ثلاثتهم عن شيخهم العلامة عبد الرحمن الخياط، وهو عن جماعة منهم: شيخ الإسلام الشيخ مصطفى الشهير بكنيته أبي القاسم بن الشيخ محمد البصير ابن شيخ الإسلام عبد الجواد أبي الجود الأنصاري شارح مختصر خليل، وهو عن جماعة منهم محمد البليدي، وإبراهيم الزرقاني، وعمر الطحلاوي، وثلاثتهم عن محمد عبد الباقي الزرقاني، عن علي الشبراملسي الشافعي، عن شيخ الإسلام علي الأجهوري المالكي، عن الشيخ عمر بن الجائي الحنفي، وشيخ الإسلام الرملي، كلاهما عن شيخ الإسلام زكريا، وهو عن شيخ الإسلام ابن حجر بأسانيده.

ويروي محمد بن الحسن المصري صحيح البخاري أيضًا عن علي محمد الفرغلي الطحطاوي، وعن علي عبد الحق الحجاجي القوصي، وعن مصطفى البولاقي، والبرهان السقَّا، والبرهان الباجوري، وحسن القويسني، ومحمد صالح السباعي.

وقد أجاز محمدُ بن الحسن المصري صاحبَ الترجمة بإجازة مطولة، هي ثبت كامل في مروياته، ذكر فيها أسانيده إلى كتب الحديث والتفسير والتصوف والفقه والسيرة وغيرها وبعض المسلسلات، إلى أن قال في آخرها: (وقد أجزت حضرة المومى إليه زيادة على ما فيه، بجميع مسلسلات شيخ مشايخنا الأمير، ما عدا المسلسل بالأولية لعدم توفر شرطه، وأسانيدها مبسوطة في ثبته).

٢ ـ ومنهم: العلامة الشيخ عبد الرحيم بن مسعود بن أبي السعود القلتي ـ بضم القاف وسكون اللام، من قرية تدعى: ساقية قلتة ـ الشافعيُّ الطهطاويُّ، وهو يروي عن: البرهان الباجوري توفي سنة ١٢٧٧هـ، ومصطفى البولاقي، ومصطفى بن حنفي بن حسن الذهبي ت١٢٨٠هـ، والبرهان إبراهيم السقا ت١٢٩٨هـ، ومحمد الخضري الدمياطي الشافعي، والشيخ المرصفي الكبير.

٣ ـ ومنهم العلامة أحمد بن محجوب الكبير الفيومي المالكي، المتوفى يوم الاثنين ١٨ صفر سنة ١٣٢٥هـ، يروي عن أحمد منة الله الشباسي المالكي ت١٢٩٢هـ، والبرهان السقا ١٢٩٨هـ كلاهما عن الأمير الصغير ت١٢٤٦هـ، عن والده الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ بما في ثبته، وقد أجاز العلامة الشيخ أحمد محجوب للشيخ أحمد الشرقاوي بتاريخ ١٦ ربيع الآخر سنة ١٢٨٩هـ.

ومن مشايخ الشيخ أحمد محجوب أيضًا: الشيخ محمد عليش، والشيخ محمد القطماوي، والشيخ مصطفى المبلط، والشيخ أحمد الإسماعيلي، والشيخ محمد الأشموني، والشيخ محمد الدمنهوري، والشيخ منصور كساب العدوي، والشيخ أحمد كابوه العدوي.

ومن تلامذته الشيخ بخيت المطيعي ١٣٥٤هـ، ومحمد عبده ت١٣٢٢هـ، وأبو الفضل الجيزاوي، ومحمد حسنين مخلوف ١٣٥٥هـ، ومحمد النجدي الشرقاوي الشافعي المصري.

٤ ـ ومنهم العلامة الشيخ سليم بن أبي فراج البشري المالكي ت١٣٣٥هـ، وهو عن محمد الجبالي، والبرهان الباجوري، كلاهما عن محمد الفضالي، عن الأمير الكبير بما في ثبته.

٥ ـ ومنهم العلامة عبد الهادي بن رضوان بن نجا الأبياري الشافعي ت١٣٠٥هـ، أجاز له بتاريخ ١١ربيع الثاني ١٢٩٨هـ، وهو عن البرهان الباجوري، ومحمد الدمنهوري، وأحمد المرصفي، ومصطفى المبلط، ومحمد التاودي، وفتح الله الخلوتي، والدمياطي، والشبيني، والجزايري، ومحمد عليش، والبرهان السقا وغيرهم.

٦ ـ ومنهم العلامة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي، أجازه في ١٦ ربيع الآخر سنة ١٢٩٨هـ بأسانيده وهي مشهورة.

٧ ـ ومنهم الشمس محمد بن محمد بن حسين الأنبابي ت١٣١٤هـ، أجازه في ربيع الآخر سنة ١٢٩٨هـ، بأسانيده وهي مشهورة.

٨ ـ ومنهم العلامة الشيخ إسماعيل بطران، وهو عن شيخه العلامة الشيخ الحميلي ـ نسبة لحميل كزبير، بطن من طيء ـ وهو عن العلامة علي الصعيدي العدوي، فكان العلامة أحمد بن شرقاوي يقول: (فبيننا وبين العلامة العدوي واسطتان).

وأما تلامذة العلامة أحمد بن شرقاوي فمنهم: العلامة محمد حسنين مخلوف، والشيخ هارون عبد الرازق، والشيخ محمد شاكر الجرجاوي وكيل الأزهر السابق، والشيخ أبو الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر السابق، والشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر السابق، والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية السابق، والشيخ عثمان العربي، والشيخ موسى البخانسي، وولده الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوي، والشيخ يوسف الحجاجي الأقصري، والشيخ أحمد الطاهر الحامدي، والشيخ محمد حامد المراغي الجرجاوي وغيرهم كثير.

فصل

وقد رُزِقَ ـ رحمه الله تعالى ـ بثلاثة من الأولاد، وهم: الصالح التقي الشيخ أبو الفضل بن أحمد بن شرقاوي ولد سنة ١٢٩٩هـ ـ ١٨٨١م، وتوفي سنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م.

ثم أبو المجد بن أحمد بن شرقاوي ولد سنة ١٣١١هـ ـ ١٨٩٣م، وتوفي سنة ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م، وهو دون السابعة والثلاثين من العمر.

ثم العلامة الكبير، الحجة العلم، الشيخ أحمد أبو الوفا بن أحمد بن شرقاوي، ولد في ٧ جمادى الثانية، سنة ١٢٩٦هـ ـ ٧ مايو سنة ١٨٧٩م، وقد كان ـ رحمه الله ـ عالمًا جليلًا، وأديبًا كبيرًا، وشاعرًا مطبوعًا، ورجلًا صاحب مواقف ناصعة، شهد له جماعة من الأكابر بالعلم، وسعة الاطلاع، مع الصلاح والربانية.

ومن مؤلفاته كتاب: (مصباح الأرواح، في سلوك طريق الفتاح)، وله قصيدة في مدح النعل النبوي الشريف، شرحها العلامة الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية سابقًا، في كتاب مطبوع.

وكان ـ رحمه الله ـ أديبًا مطبوعًا، يتحدر منه الشعر متين النسج، رائق السبك، ومن درر قصائده قصيدته الدالية المشهورة، والتي أنشأها عقب عودته من المدينة المنورة، والتي مطلعها:

(يمنــاك تهــمي بالنــدى وتجــود   وســمى بنســبته إليــك الجــود)

ولتلميذه وشيخنا العلامة الشيخ محمد بن محمد بن مسعود الزليتني الفرشوطي تخميس على هذه القصيدة، وقد قرأت هذا التخميس على مؤلفه المذكور.

ومن شهد له شهادةً تدل على شدة إجلال، وتمام إكبار، تلميذه العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر؛ إذ قال في الشيخ كلمة فخيمة، قال عنه في تعليقه على كتاب: (التحقيق في أحاديث الخلاف) لأبي الفرج ابن الجوزي: (أستاذنا الكبير، الحجة، أعلم من رأيت بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1]، وكأني بمعرفة العلامة المحدث أحمد شاكر بالإمام الشيخ أبي الوفا بن شرقاوي نبعت من مودة عميقة وصداقة جمعت بين الإمام بن شرقاوي والعلامة الشيخ محمد شاكر والد الشيخ أحمد.

وقال الأستاذ فخري عبد النور في مذكراته وهو يتحدث عن سعد زغلول: (وأذكر وأنا موجود معه ليلة عيد الأضحى، أنه رآني على مكتبه أكتب بعض التلغرافات والرسائل، لتهنئة أصدقائي المسلمين بالعيد، فسألني عما أكتب، وتصادف أني كنت أكتب رسالة لصديقي الحميم، صاحب الفضيلة، العالم الورع، الأستاذ الشيخ أبو الوفا الشرقاوي، فقال سعد باشا: لقد سمعت عن الشيخ أبو الوفا، ولكن لم يكن لي حظ رؤيته، فهل هو صديقك؟ وهل تعرفه جيدًا؟ فأخبرته بأني صادقته طويلًا، وأني من أشد المعجبين به، وبآدابه، وعلمه، وفضله، فسألني أن أزيد في الحديث عنه، فوصفته بأنه: رجل عالم فاضل، واسع الاطلاع، وكل من حادثه يزيد احترامًا له، وهو بعيد النظر، ثاقب الفكر، ناضج الرأي، عظيم المكانة في نفوس أهالي الصعيد، وبخاصة مديريات جرجا، وقنا، وأسوان، وأكدت أنه لو كان من رجال السياسة لكان له فيها باع طويل، ومقام يذكر.

وقد اندهش سعد باشا لهذا الوصف، وقال: زدتني تشوقًا لرؤيته،

(١) التحقيق في أحاديث الخلاف ١/٩٩.

والتعرف عليه، فبلغه في خطابك تحياتي)[1].

وقال عنه الأستاذ لمعي المطيعي في كتابه: (ألف شخصية مصرية): (كان موضع التقدير في الصعيد من المسلمين والمسيحيين على السواء، عرف عنه أنه من طبقة العلماء أصحاب البحوث العلمية، ومن طبقة الأدباء أصحاب الآثار الأدبية، وكان له مذهب في التفسير يعتمد على العقل والرأي، وكان على صلة وثيقة بسعد زغلول، وعمر طوسون، وعلي ماهر باشا، وله في عيون السياسيين هيبة واحترام)[2].

قلت: ولبَلَدِيِّنا العلامةِ الإمام اللغويِّ الضليع الشيخ محمد عبد المطلب ـ رحمه الله تعالى ـ قصيدةٌ في الإمام أبي الوفا الشرقاوي، وفي ذكر جلالته وجلالة أبيه الإمام أحمد بن شرقاوي، وقد أنشأها الشيخ عبد المطلب بطلبٍ من حضرة علي بك الكيلاني ناظر مدرسة سوهاج الأميرية، في معرض تهنئة الأستاذ الكبير الشيخ أبي الوفاء شرقاوي بحجه وقدومه سنة ١٩٠٠م، والقصيدة من الكامل:

(جدَّ المسيرُ بها فشط مزارُها ... ونأت، فأين من المحب ديارُها
كيف السبيل لمن تربع أهلها ... بيداء تعيي الناجيات قِفارُها
فقف المطيَّ على معاهدها التي ... كانت لغيرك لا يطيب قرارها
وأنِخْ إذا آنست لمعةَ بارقٍ ... بين الطلول فإنها آثارها
يا دارها إن كان أنجد قومها ... فالأرض تحسد نجدَها أغوارُها

(١) مذكرات فخري عبد النور، ثورة ١٩١٩ ودور سعد زغلول والوفد في الحركة الوطنية /ص١٦٤/، ط: دار الشروق، القاهرة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
(٢) موسوعة ١٠٠٠ شخصية مصرية /ص٣٨/.

رحلوا بها، فالعين يوم تحملوا ... بالدمع حيرى لا يقر قرارها
فلأرمين لها الفجاج بجسرة ... يطوي الفيافي والربى تَسيارها
تجفو الموارد حيث لا ينفك عن ... سفن الفرنجة ماؤها وبحارها
لله عيس يمَّمت «بأبي الوفا» ... أرضًا يعود برفدها زوارها
أرضٌ أضاء بها ضريحٌ شُرِّفَتْ ... بنبيه عدنانها ونزارها
سارت به نحو الحجاز يقودها ... شوق يذيب به القلوب أوارها
وقضى بها تلك المشاعر مصدرًا ... من حيث يحمد في السرى إصدارها
وإذا المطيُّ حملْنَ مثلَ «أبي الوفا» ... عادتْ بنجح مرادها أسفارُها
لله ركبٌ كان بدرَ سُراهمُ ... ورواحل بعلاه كان نفارها
يا بْن الكرام إذا المناقب عددت ... فإلى أبيك قد انتهت أخيارها
وإذا انتميت إلى العلوم فأحمد ... شهد الأماثل أنه زخارها
وإذا نموك إلى الطريق فإنما ... بأبيك قبل تلألأت أنوارها
وعلى محجته سريت بهمة ... شماء يفتك بالضلال غرارها
وسَلَكْتَ سنة «أحمد» فتبيَّنَتْ ... لك من حقيقة دينه أسرارُها
تحيي شعائرَه بنفسٍ كلما ... عَمِلتْ تجمَّل بالقبول شعارُها
فاهنأ بحجك، للتقى أديته ... ولك السلامةُ غرَّدتْ أطيارُها)[1]

وقد انتقل الإمام الشيخ أبو الوفا الشرقاوي إلى رحمة الله تعالى يوم الثلاثاء، آخر ذي الحجة، سنة ١٣٨٠هـ، الموافق ١٣ يونيه سنة ١٩٦١م.

(١) ديوان عبد المطلب /ص٨٦/.

وأما اتصالنا بأسانيد الإمام الشيخ أحمد بن شرقاوي، وروايتنا عنه، فمن طريق شيخنا العلامة الفقيه أحمد جابر جبران، والعلامة السيد محمد بن علوي المالكي، كلاهما عن العلامة الإمام الشيخ حسنين بن محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية ت١٤١٠هـ، عن أبيه الإمام الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي ت ١٣٥٥هـ، عنه.

وأما أسانيد ابنه الإمام الشيخ أبي الوفا فقد أجازه والده الإمام أحمد بن شرقاوي، وخصوصا بثت الأمير، وممن أجيز منه بذلك العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي.

* * *

❁ العلامة الكبير التقي الزاهد الشيخ: أحمد بن عبدالرحمن بن محمد البنا، الشهير بالساعاتي، الشافعي.

ولد سنة ١٣٠١هـ، في قرية شمشيرة، وانتقل إلى رحمة الله تعالى قبل ظهر يوم الأربعاء ٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٨م.

كان رحمه الله تعالى عالمًا زاهدًا، مشتغلًا بالحديث الشريف، منقطعًا له، مختصًّا بمسند الإمام أحمد، خبيرًا به وببحوثه، وكان في زمن علم وفضل، ظهر فيه عدد من أهل هذا العلم الشريف، فقد شاركه في العناية بالمسند العلامة المحدث السيد أحمد شاكر رحمه الله، مع فوارق بين طبيعة الاهتمام والعمل العلمي بينهما رحمهما الله تعالى، وسبقهما العلامة الإمام محمد بن جعفر الكتاني ـ رحمه الله ـ، إلا أنه اهتم بالمسند تدريسًا وتقريرًا،

فشرح منه في دروسه قسطًا، في بلاد الشام، على مدار خمس عشرة سنة أو تزيد، قبل رجوعه إلى المغرب.

وأول مشايخه الذين انتفع بهم هو الشيخ محمد زهران المحمودي، الذي أصدر مجلة اسمها (الإسعاد)، كانت على غرار مجلة (المنار) للسيد رشيد رضا، وكان الشيخ محمد زهران يقوم بإدارتها وتحرير معظم مادتها، رغم أنه كان كريم العينين، وقد انتفع به الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، حتى إنه لما أن نشر أول مؤلفاته وهو شرح الوظيفة الزروقية ذكر أنه عرضه على شيخه الشيخ محمد زهران ووصفه بقوله: (أستاذي الهمام، وشيخي الفاضل المقدام، العالم المحقق، والبحاثة المدقق، محيي السنة ومعيدها، ومميت البدعة ومبيدها، خادم السنة والقرآن، الأستاذ الشيخ محمد زهران).

ثم اشتغل الشيخ البنا ـ رحمه الله تعالى ـ بالتأليف، حتى أخرج عددًا من المؤلفات النافعة الموفقة، فمنها: (الفتح الرباني، بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني)، ومنها: (بلوغ الأماني، من أسرار الفتح الرباني)، ومنها: (بدائع المنن، في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن)، ومنها: (منحة المعبود، في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود)، ومنها: (تهذيب جامع مسانيد أبي حنيفة)، مع شرحه: (بغية المريد، شرح جامع المسانيد)، ومنها: (هداية المقتفي، إلى ترتيب مختصر الحصكفي)، (إتحاف أهل السنة البررة، بزبدة أحاديث الأصول العشرة)، (تنوير الأفئدة الزكية، في أدلة أذكار الوظيفة الزروقية).

وقد خَبَرَ الشيخُ ـ رحمه الله تعالى ـ مسندَ الإمام أحمد، واشتغل به، وأنفق فيه عمره، حتى امتلك ناصيته، وعرف خباياه، وضرب أوله بآخره، واستأنس بمتونه وأسانيده.

ومن الوقائع التي تبين لك ذلك المعنى أنه: (دارت مساجلة علمية على صفحات العدد الثاني من المجلد الحادي والثلاثين من المنار، في باب المراسلة والمناظرة، بين السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، والشيخ أحمد محمد شاكر حول حديث عن عبد الله بن مسعود في الإعلان عن المنافقين، وهل هو في المسند أو لا؟!

وذهب صاحب المنار نقلًا عن فتح البيان إلى أن الحديث موجود في المسند، بينما نفى الشيخ شاكر أن يكون موجودًا في أحاديث عبد الله بن مسعود في المسند.

وطرفا المساجلة كما هو معروف من أعلام الإسلام، فالسيد رشيد رضا رحمه الله هو راوية الشيخ محمد عبده وصاحب المنار، والتفسير، والمؤلفات العديدة، والشيخ شاكر أحد الذين عنوا بتحقيق مسند الإمام أحمد بن حنبل وخدمته خدمة دقيقة، فمن ذا يستطيع التصدي للحكم بينهما؟

كتب الشيخ البنا رحمه الله في ١٧ صفر ١٣٥٠هـ إلى السيد رشيد رضا بالفصل في الموضوع، فالحديث في المسند فعلًا، ولكنه ليس من أحاديث عبد الله بن مسعود، ولكن من أحاديث أبي مسعود، وقدم نصه، والصفحة التي جاء بها الحديث في النسخة القديمة للمسند، المطبوع بالمطبعة الميمنية سنة ١٣١٣هـ.

وجاء في خطاب الشيخ: «وعلى هذا فيكون ما نقلتموه عن فتح البيان من عزو الحديث إلى المسند صحيحًا، والصواب إلى جانبكم من هذه الناحية، وإن وقع تحريف في نقل الرواية من أبي مسعود إلى ابن مسعود،

ويكون ما نقله فضيلة الشيخ أحمد شاكر من عدم وجود الحديث في مسند ابن مسعود صحيحًا أيضًا، والصواب إلى جانبه من هذه الناحية، وإن وجد الحديث في مسند أحمد من رواية أبي مسعود الأنصاري»)[(١)].

يروي عن: ١ ـ شيخ العلماء، ومفتي وادي الفرات، العلامة محمد سعيد بن أحمد ابن محمد العرفي الحسيني نسبًا، الديرزوري بلدًا، الشافعي مذهبًا، وهو عن بدر الدين الحسني، وعن مفتي الجزيرة ووادي الفرات الشيخ حسين العزاوي البغدادي وغيرهما.

قال: (واطلعت بنفسي على ثبته، وإجازاته المتعددة، من الفقهاء والمحدثين، فأحببته وآخيته في الله، وطلبت منه الإجازة تبركًا بعلماء الشرق، فكتب لي ثبتًا بذلك، وأجازني بجميع مسموعاته، ومروياته، ومؤلفاته، إجازة عامة شاملة).

٢ ـ الحافظ الناقد السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني ت١٣٨٠هـ وأسانيده في أثباته، ومنها: (المعجم الوجيز، للمستجيز).

٣ ـ العلامة الفقيه الشيخ محمد بن سالم الشرقاوي النجدي المصري الشافعي، وهو يروي عن البرهان السقا، وجماعة.

٤ ـ العلامة المحدث محمد حبيب الله بن ما يأبى الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، وأسانيده في أثباته، وهي كثيرة، وبعضها مطبوع.

---

(١) من الترجمة المسهبة الموثقة لحياة الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، والتي كتبها ولده الأستاذ جمال البنا، وأوردها في كتاب: (خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه) /ص٣٧/، وقد ذكر هذه الواقعة أيضًا الأستاذ محمد منير أغا الدمشقي في كتابه: نموذج من الأعمال الخيرية، في إدارة الطباعة المنيرية /ص٤٨٢/، وذكر أن الذي أطلعه على ذلك هو الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا بنفسه، وأنه كانت بينهما صداقة عميقة.

٥ ـ العلامة الإمام بدر الدين الحسني ت١٣٥٤هـ، فقد نص العلامة الساعاتي في إجازته للعلامة الفقيه إبراهيم المختار بن أحمد عمر السيهاوي الجبرتي الزيلعي مفتي أريتريا أنه أجيز من العلامة محمد سعيد العرفي، ومن مفتي الشام محمد بدر الدين الحسني، وكذلك نص العلامة إبراهيم المختار بن أحمد عمر في إجازته للحبيب سالم بن أحمد بن عبد الله الحبشي.

وهذا نص إجازة العلامة إبراهيم المختار السيهاوي الجبرتي الزيلعي؛ لتلميذه العلامة الحبيب سالم بن أحمد بن عبد الله الحبشي رحم الله الجميع: (نحمدك اللَّهُمَّ يا سند الواصلين، وواصل المنقطعين، على تواتر آلائك، وتتابع نعمائك، ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد، صفيك وخليلك، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإن أخانا في الله صاحب الهمة العالية، والأخلاق المرضية، الشيخ: سالم بن أحمد بن عبدالله الحبشي الحضرمي الشافعي، كان له حيث ما يكون، ورعاه في كل حركة وسكون، قد أحسن الظن بنا، وطلب منا الإجازة في مروياتنا؛ رغبة في وصل سنده بأسانيد مشايخنا، فاستخرت بالله تعالى، وأجزته ـ وإن لم أكن أهلًا لذلك ـ إجازة عامة، متناولة لكل ما تحملته من مشايخي، قراءةً، وسماعًا، وإجازةً، ووجادةً، وكتابةً، من تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وتوحيد، ونحو، وصرف، ومعان، وأحزاب، وأدعية، وغير ذلك، بجميع ما تجوز لي روايته، وبما لي من المؤلفات والتعليقات، مراعيا في جميع ذلك الشرط، والتثبت، والضبط، رجاء دعوة صالحة تلحقني وشيوخي من الفاضل المستجيز، وحيث إن أسانيدي في جميع ما تقدم يطول سرده هنا، أحلته على بعض ما اتصل به إسنادي من أثبات جهابذة العلماء الفخام، مقتصرًا منها

على ثبتين تناولتهما مباشرة من يد أجلة مشايخي لسانًا، وكتابة، لإحتوائها على رواية جل أثبات العلماء المتقدمين.

الأول منها: الثبت المسمى بـ«الخلاصة النافعة العلية، المؤيدة بحديث الرحمة المسلسلة بالأولية» المتضمنة إجازة ما ينوف على خمسين ثبتا، لشيخنا محدث الحرمين، ونزيل القاهرة ومحدثها، الشيخ: محمد حبيب الله بن عبدالله الشنقيطي المغربي، صاحب التأليفات البديعة، المتوفي يوم الخميس ٨ من صفر ١٣٦٣هـ، المدفون بالقاهرة؛ فقد أجازني ـ أثابه الله تعالى ـ لسانًا، وكتابة بخط يده.

والثاني: الثبت المسمى بـ«التحرير الوجيز، فيما يبتغيه المستجيز»، لشيخنا العلامة المحقق، والباحث المدقق، صاحب التأليفات الممتعة، وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية باسطنبول، ثم نزيل القاهرة، وإمام محققيها، الشيخ: محمد بن حسن الكوثري التركي، المتوفي بالقاهرة، في يوم الاثنين ٢٠ ذي القعدة عام ١٣٧١هـ، الموافق ١١ أغسطس ١٩٥٢م، المتضمن أيضًا إجازة عدة أثبات؛ فإنه أحسن الله إليه أجازني إياه لسانًا، وكتابة بخط يده، وكلا الثبتين مطبوع متداول.

ولنا إجازات أخرى خطية من مشايخنا الكرام، وأخص منها إجازة شيخنا، خاتمة العلماء العاملين في عصره، ومن الزهاد الورعين، الشيخ: أحمد البنا الشهير بالساعاتي، صاحب: «الفتح الرباني، في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني»، مع شرحه: «بلوغ الأماني»، فإنه أسبل الله عليه رهمًا من ديم الرحمة والغفران، أجازني جميع مروياته ومؤلفاته، لسانا، وكتابة بخط يده، مما أجازه مشايخه الكرام، كشيخ العلماء ومفتي الفرات،

العلامة: محمد بن السيد سعيد بن أحمد العرفي الحسني، ومما أجازه أيضًا مفتي الديار الشامية ومحدثها السيد محمد بدر الدين الحسيني.

وقد أجزت الفاضل المذكور، بالشروط المعروفة عند علماء الأثر، وإني أوصي المستجيز ونفسي بالتقوى، والتحري في الفتوى، والمثابرة على تحقيق العلم في السر والنجوى، وعدم الاستنكاف من الإفادة والاستفادة إلى حين النزول إلى المثوى، وذلك في الفلاح هو السبب الأقوى، كما أوصيه بالتواضع، وحسن الخلق والمعاشرة، والسياسة مع الناس، والتأنس في الأمور، وأرجو منه أن لا ينساني ووالدي وشيوخي في خلواته وجلواته من دعائه المستطاب؛ إذ إن دعاء المحبين عن ظهر الغيب مستجاب، وختامًا نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل الهداية رائدنا، والصواب قبسنا، والحق قرة أعيننا، والباطل كريه أنفسنا بمنه وكرمه.

قال ذلك بفمه، وأمر بكتابته، الفقير إلى رحمة مولاه الغني: إبراهيم المختار بن أحمد عمر المينفراوي، السيهاوي، الأزهري، مفتي الديار الأرترية، ورئيس قضاتها وأوقافها الإسلامية حالًا، ورئيس محكمة أرتريا للاستئنافات الشرعية، وقاضي محكمة أرتريا الكبرى سابقًا، حرر بمدينة أسمرة عاصمة أرتريا في يوم ١ ربيع الأول سنة ١٣٨٦م الموافق عام ١٩٦٦).

قلت: وقد وقع هنا وهم للعلامة شهاب الدين المرعشيّ النجفي ت١٤١٢هـ، فذكر الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ضمن شيوخه في كتابه: (الإجازة الكبيرة)، وهو مطبوع، ولم يذكر له شيخًا سوى محمد عابد بن حسين المالكي، وليس كذلك، فقد توفي العلامة محمد عابد حسين إلى رحمة الله تعالى ليلة الأحد، الثاني والعشرين من شوال، سنة ١٣٤١هـ، ولا يُعْلَمُ أنه

نزل مصر، ولا أن الشيخ البنا رحل إليه، ولم يكن من دأب الشيخ البنا إنشاء استدعاءات الإجازة ليستجيز علماء الآفاق، وإنما يروي الشيخ البنا عن محمد حبيب الله الشنقيطي وهو عن محمد عابد بن حسين، فلزم التنبيه.

وممن أجيز من صاحب الترجمة: الشهاب المرعشي النجفي المذكور، والشيخ علي بن إسماعيل المؤيد، والسيد محمد زكي الدين إبراهيم، والعلامة إبراهيم المختار بن أحمد عمر المينفراوي الأزهري، مفتي الديار الأرترية سابقًا، والعلامة محمد تيسير المخزومي، وإجازة البنا له بخطه في ملاحق هذا الكتاب، فرحم الله الجميع.

ونحن نروي مروياته من طريق سماحة شيخنا العلامة الجليل الإمام الشيخ علي جمعة، عن العلامة الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم، عنه.

(ح) وبأسانيدنا إلى الحبيب سالم بن أحمد بن عبد الله الحبشي الحضرمي الباعلوي، عن العلامة الفقيه إبراهيم المختار بن أحمد عمر المينفراوي السيهاوي الأزهري، مفتي الديار الأرترية الأسبق، عنه.

* * *

❁ العلامة الإمام الأكبر، شيخ الإسلام، الشيخ: أحمد بن عبدالمنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوريُّ المذاهبيُّ الأزهريُّ.

ولد في دمنهور الوحش سنة ١١٠١هـ، فأخذ القراءات وفنون التجويد على العلامة الشيخ عبد الجواد بن القاسم الميداني، والعلامة الشيخ عبد الفتاح، والعلامة الشيخ أحمد بن الخيارة.

وحضر في فقه الشافعية على العلامة الشيخ عبد ربه الديري البصير، والعلامة الشيخ أحمد الخليفي، والعلامة الشيخ محمد الغمري، والعلامة الشيخ علي أبو الصف الشنواني، والعلامة الشيخ منصور المنوفي البصير، والعلامة الشيخ عبد الوهاب الشنواني، والعلامة الشيخ محمد الأطفيحي، والعلامة الشيخ مصطفى القاضي، والعلامة الشيخ عبد الرؤف البشبيشي، والعلامة الشيخ عبد الدائم الأجهوري.

وحضر في فقه الحنفية وأصولهم على العلامة الشيخ محمد عبد العزيز الزيادي.

وحضر في فقه المالكية على العلامة الشيخ عبد الله المغربي القصري الكُنُكِسي، والعلامة أحمد النفراوي شارح الرسالة، والعلامة الشيخ محمد السلموني.

وحضر في مذهب الحنابلة على العلامة الشيخ أحمد المقدسي.

ودرس الحساب والجبر والمقابلة وعلم المواريث وحساب الأزياج، وعلم وضع المزاول، وعلم التقويم على العلامة الشيخ علي الزعتري.

ودرس أسباب الأمراض وعلاماتها على العلامة الشيخ أحمد القرافي الحكيم.

ودرس في علم الفلك والهيئة، وعلم الإسطرلاب، وعلوم العمل بالكرة، وكيفية أخذ الوقت منها، وعلوم الزيج على العلامة المعمر الشيخ عبد الفتاح القاضي.

ودرس أشكال التأسيس في الهندسة، وعلم الفلك والهيئة، وعلم المساحة على العلامة الشيخ سلامة الفيومي.

ودرس علوم المواريث، وعلم الأرتماطيقي، على العلامة الشيخ عبد الجواد المرحومي، ودرس علم الوفق المخمس خالي الوسط، وعلم التكسير، وعلم الأوفاق، وعلم الاستنطاقات، وعلم التكعيب، وعلم رسم ربع المقنطرات، والمنحرفات، ووضع المزاول، وأعمال الرصد، وعلم الطالع، وعلم المواليد على العلامة الشيخ محمد الشهير بالسحيمي.

فصل

وقد تولى العلامة الدمنهوري مشيخة الجامع الأزهر سنة (١١٨٣هـ ـ ١٧٦٨م) خلفًا لشيخ الإسلام العلامة الشيخ عبد الرؤوف محمد السجيني رحمه الله تعالى.

وكان الخليفة العثماني مصطفى بن أحمد خان له عناية ومعرفة بالعلوم الرياضية والفلك، فكان يراسل الشيخ الدمنهوري ويهاديه ويبعث له بالكتب.

قال الجبرتي في: (عجائب الآثار): (وهابته الأمراء؛ لكونه كان قوّالا للحق، أمّارًا بالمعروف، سمحًا بما عنده من الدنيا، وقصدته الملوك من الأطراف، وهادته بهدايا فاخرة، وسائر ولاة مصر من طرف الدولة كانوا يحترمونه، وكان شهير الصيت، عظيم الهيبة، منجمعًا عن المجالس والجمعيات.

وحج سنة سبع وسبعين ومائة وألف مع الركب المصري، وأتى رئيس مكة وعلماؤها لزيارته)[1].

(١) عجائب الآثار /٣٨/٣/.

وبلغ من تقدير الأمراء المماليك له وتعظيمهم لحرمته أنه لما نشبت فتنة بين طائفة من المماليك وأتباعهم، قصده أحد أمراء الطائفتين مستنجدًا به، ولم يجد بيتًا آمنًا يحتمي به غير بيت الشيخ الدمنهوري في بولاق، فلما طلب خصومه من الشيخ تسليمهم له رفض، ولم يجرؤوا على اقتحام بيت الشيخ مراعاة له لمنزلته.

وقد مرض العلامة الدمنهوري مدة، وانقطع بمنزله، حتى توفي يوم الأحد، عاشر شهر رجب، سنة ١١٩٢هـ، ٤ أغسطس ١٧٧٨م.

فصل

أما مؤلفاته فكثيرة جدًا، قال العلامة التاودي بن سودة: (قيل إن عدة تآليفه تقرب من تآليف السيوطي)[١]، حتى إن الحافظ المرتضى الزبيدي ذكر أسماء طائفة من مؤلفاته في: (المعجم المختص) ثم قال: (وغير هؤلاء من رسائل كثيرة، صغيرة الحجم، منثورة ومنظومة، اطلعت على غالبها)[٢].

قلت: ثم إني وقفت على عدة نسخ مخطوطة من ثبته المسمى: (اللطائف النورية، في المنح الدمنهورية)، وقد شرح فيه مراحل تلقيه للعلم، وما قرأه على كل واحد من مشايخه، وذكر أسماء مؤلفاته، ثم ساق طائفة من إجازات مشايخه له، فاستفدت منه كثيرًا، ولخصت هنا فوائده.

وقد تأملتُ أسماء مؤلفاته، وما تيسر لدي منها، لأرى من خلالها مناحي اهتماماته، وأستطلع القضايا العلمية، والاتجاهات الفكرية التي

(١) فهرس الفهارس /١/٤٠٤.
(٢) المعجم المختص /ص٩٠.

شغلت ذهنه، وأنفق فيها عمره، فإذا به عالم جليل، تعددت اهتماماته العلمية، حتى تصرف في علوم متعددة، وألف في اتجاهات مختلفة.

فمن مؤلفاته في البلاغة: (حلية اللبِّ المصون، بشرح الجوهر المكنون) مطبوع، (منتهى الإرادات، في تحقيق عصام الاستعارات)، (إيضاح المشكلات، من متن الاستعارات)، (الحداقة، بأنواع العلاقة).

ومن مؤلفاته في المنطق: (إيضاح المبهم، من معاني السلم) مطبوع، وله نظم في المنطق اسمه: (إتحاف ذوي الحاجات)، وقد شرحه في كتاب سماه: (حل المشكلات، من إتحاف ذي الحاجات).

وله في علوم القرآن والقراءات والتجويد: (كشف اللثام، عن مخدرات الأفهام) على البسملة، (حسن التعبير، لما للطيبة من التكبير) في القراءات العشر، وكتاب: (تنوير المقلتين، بضياء أوجه الأوجه بين السورتين) وقد طبع، وكتاب: (خلاصة الكلام، على وقف حمزة وهشام)، وكتاب: (الكلام السديد، في تحرير علم التجويد).

ومن مؤلفاته في الفقه: (الفتح الرباني، بمفردات أحمد بن حنبل الشيباني)، (طريق الاهتداء، بأحكام الإمامة والاقتداء) على مذهب أبي حنيفة، (فيض المنان، بالضروري من مذهب النعمان).

ومن مؤلفاته في السلوك والتزكية: (منع الأثيم الجائر، من التمادي في فعل الكبائر)، (تحفة الملوك، في علم التوحيد والسلوك)، (حسن الإنابة، في إحياء ليلة الإجابة) وهي ليلة النصف من شعبان.

ومن مؤلفاته في العلوم التطبيقية: (إحياء الفؤاد، بمعرفة خواص الأعداد) في علم الأرتماطيقي، (غاية المراد، من كيفية جمع الأعداد)، (النمط، على المخمس خالي الوسط)، (عين الحياه، في استنباط المياه)،

(الأنوار الساطعات، في أشرف المربعات) وهو الوفق المتيني، (القول الصريح، في علم التشريح)، (العلاج اليسير، في علاج المعدة البواسير)، (القول الأقرب، في علاج لسع العقرب)، (إتحاف البرية، إلى معرفة الأمور الضرورية) في علم الطب، (عقد الفرائد، فيما للمثلث من الفوائد) في سبعة كراريس، (إشراف المعارج، إلى علم الزيارج).

ومن مؤلفاته في مناصحة الملوك وولاة الأمر، مما ينم عن إدراكه لسياسة عصره، وإلمامه بمعطيات زمانه، وظروف مجتمعه كتاب: (منهج السلوك، إلى نصيحة الملوك)، وكتاب: (النفع الغزير، في صلاح السلطان والوزير)، وقد طبع.

ومن مؤلفاته في الحديث الشريف (نهاية التعريف، بأقسام الحديث الضعيف)، وقد جعل هذا الكتاب شرحًا على بيتين من ألفية العراقي في علوم الحديث.

قلت: وهذا الكتاب مما لا أرضاه من مؤلفاته؛ من حيث إنه تَتَبُّعٌ واستيعابٌ لاحتمالاتٍ عقليةٍ محضة، لا تتلائم مع مقصود المحدثين من فنهم، حتى قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في: (فتح الباري): (والاحتمالات العقلية المجردة لا مدخل لها في هذا الفن)[1].

وقد سبق إلى مثل هذا التتبع العلامة القاضي شرف الدين المناوي، قال الحافظ السيوطي في: (تدريب الراوي): (وجمع في ذلك شيخنا قاضي القضاة شرف الدين المناوي كراسة، ونَوَّع ما فقد الاتصال إلى: ما سقط منه الصحابي، أو واحد غيره، أو اثنان.

(١) فتح الباري /١/٤٥/.

وما فقد العدالة إلى ما في سنده ضعيف، أو مجهول، وقسمها بهذا الاعتبار إلى مائة وتسعة وعشرين قسمًا باعتبار العقل، وإلى واحد وثمانين باعتبار إمكان الوجود، وإن لم يتحقق وقوعها).

وعني بتتبعها وبسطها الحافظ العراقي في شرحه على ألفيته الحديثية، والمسمى بـ: (التبصرة والتذكرة)[1]، وشيخ الإسلام زكريا في: (فتح الباقي) مطبوع مع السابق.

قال الحافظ السيوطي في: (تدريب الراوي): (وقد كنت أردت بسطها في هذا الشرح، ثم رأيت شيخ الإسلام قال: إن ذلك تعب ليس وراءه أرب؛ فإنه لا يخلو إما أن يكون لأجل معرفة مراتب الضعيف، وما كان منها أضعف أو لا، فإن كان الأول، فلا يخلو من أن يكون لأجل أن يعرف أن ما فقد من الشرط أكثر أضعف أو لا، فإن كان الأول فليس كذلك؛ لأن لنا ما يفقد شرطًا واحدًا، أو يكون أضعف، لا يفقد الشروط الخمسة الباقية، وهو ما فقد الصدق، وإن كان الثاني فما هو؟ وإن كان لأمر غير معرفة الأضعف، ويتفاوت ضعفه كصحة الصحيح، فإن كان لتخصيص كل قسم باسم فليس كذلك؛ فإنهم لم يسموا منها إلا القليل، كالمعضل والمرسل ونحوهما، أو لمعرفة كم يبلغ قسمًا بالبسط، فهذه ثمرة مرة، أو لغير ذلك فما هو؟ انتهى، فلذلك عدلت عن تسويد الأوراق بتسطيره)[2]، وهذا المبحث هو الذي أشار إليه الحافظ السيوطي ـ رحمه الله ـ في: (ألفية الحديث) فقال:

(وابنُ الصلاحِ فلهُ تعديدُ   إلى كثيرٍ، وهْوَ لا يفيدُ)[3]

(١) التبصرة والتذكرة /١/١١١/، ومعه فتح الباقي لشيخ الإسلام زكريا ط: المطبعة الجديدة بفاس، سنة ١٣٥٤هـ.

(٢) تدريب الراوي /١/١٧٩/.

(٣) ألفية الحديث /ص٢٠/.

فصل

ومن اللطائف التي لا بأس بالتطويل بها هنا، ترويحًا عن الخاطر، أن من مؤلفاته العجيبة كتابًا اسمه: (حلية الأبرار، بما في اسم عليٍّ من الأسرار) في ثلاثة كراريس.

ويشبهه أنَّ العلامةَ عبد الهادي نجا الأبياري أَلَّفَ كتابًا عجيبًا في شرح اسم إسماعيل، سماه: (سعود المَطالع، لسعود المُطالع، فيما تضمنه الإلغاز في اسم حضرة والى مصر من العلوم اللوامع) وهو كتابٌ نفيسٌ، بل هو أندر كتب الأبياري، تكلم فيه على واحد وأربعين فنًا استخرجها من اسم إسماعيل.

ويشبهه أن العلامةَ الشيخَ أبا الهدى الرفاعيَّ الصياديَّ ألف كتابًا اسمه: (القول المخلد، في أسرار اسم محمد).

وأعجبُ منه بكثيرٍ أن العلامة الشيخ أبا الحسن علي بن سليمان الدمنتيَّ البجمعويَّ، المتوفى بمراكش، في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٠٦هـ، ألف كتابًا عجيبًا في شرح اسمِ محمد، استخرج منه علومًا عجيبةً، قال السيد عبد الحيّ الكتانيُّ في: (فهرس الفهارس) وهو يعدد تآليفه: (وشَرْحُ العُلُومِ المستخرجةِ من اسم محمد الشريف وخواصه، وهو الذي يحيل عليه كثيرًا في مؤلفاته قائلًا: (انظر: شرح محمد)، في مجلداتٍ كبار، سماه: (منجزات جنان الشفا، في معجزات جناب المصطفى، حسبما اقتضته ظروفه الأربعة، واستنطقته حروف محمد الأربعة)، رتبه على أربعة أبواب: الأول والثاني: في شرح كلمةِ محمد، وكل بابٍ تحته أبواب، منها: الباب الثلاثون: في استخراج

مذاهبِ الإسلامِ وأئمتها من اسم محمد، والباب الثاني والثلاثون: في استخراج الفرق الثلاث والثلاثين.

وقرَّظ على هذا المؤلف العجيب جماعةٌ من أعلام المشرق والمغرب، كحسن العِدْوي المصري، ويوسف الحنبلي شيخ الحنابلة بمصر، والبرهان إبراهيم السقا، والشهاب أحمد دحلان المكي، ومفتي الحنابلة بمكة محمد بن عبد الله بن حميد الشرقي، وغيرهم)[١].

ويقرب منه أني رأيت لعددٍ من العلماء لونًا لطيفًا من التصانيف، وذلك أنهم ألفوا في أسمائهم وكناهم، وفي الترجمة لمن تسمى أو تكنى بها قبلهم.

فممن صنف في ذلك الإمام الحافظ أبو سعد السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور ت٥٦٢هـ، تاج الإسلام وابن تاج الإسلام، فقد صنف كتابًا اسمه: (العد والشد، لمن اكتنى بأبي سعد) كما في ترجمته في: (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي[٢].

ومنهم الإمام الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ت٧٠٥هـ في كتابه: (العقد المثمن، فيمن يسمى بعبد المؤمن)[٣].

ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ في كتابه: (المقصد الأحمد، فيمن كني قبلي بأبي الفضل وسمي بأحمد)[٤].

---

(١) فهرس الفهارس /١/١٧٦/.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى /٧/١٨٤/.
(٣) كشف الظنون /٢/١١٥٢/.
(٤) فهرس الفهارس /١/٣٣٦/.

ومنهم العلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس ت١٠٣٨هـ، صاحب: (النور السافر)، فقد ألف كتابه: (الروض الناضر، في من اسمه عبد القادر، من أهل القرنين التاسع والعاشر)، وهو مطبوع.

ومنهم العلامة الكبير السيد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ت١٣٨٢هـ في كتابه: (إعلام فقهاء الحي، بمن سمي قبلي بعبد الحي) كما في ترجمته أول: (فهرس الفهارس)(١).

ومنهم العلامة الحبيب سالم بن أحمد بن جندان، فقد أخبرني شيخنا العلامة المطلع الحبيب عمر بن حامد الجيلاني المكي أنه رأى له مؤلفًا ضخمًا في من سمي بسالم، وأن في مكتبته نسخةً منه.

وقد ذكر العلامة محمد البشير ظافر الأزهري في: (اليواقيت الثمينة)(٢) أنه رأى في مكتبة السيد العلامة محمد صالح الجارم برشيد كتابًا للعلامة خليل بن إبراهيم اللقاني ت١١٠٥هـ سماه: (تنبيه الفهيم، بذكر من تسمى باسم محمد الكريم)، ثم ذكر الشيخ محمد البشير أنه في ورقات!، ولا أدرى كيف يكون ذلك؟

ويقرب من هذا من عجائب المسمين بـ(محمد) رجلٌ سُمّي هو وآباؤه بمحمد إلى تمام أربعة عشر أبًا، وهو أيمن أبو البركات، المتوفى سنة ٧٣٤هـ، قال الحافظ ابن حجر في: (الدرر الكامنة): (أيمن أبو البركات بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد، أربعة عشر آباء في نسق، لم

(١) فهرس الفهارس /١/٢٧.
(٢) اليواقيت الثمينة، في أعيان مذهب عالم المدينة /ص١١٠.

يوجد نظير ذلك إن كان ثابتًا، كان تونسيًّا، قدم القاهرة، وكان كثير الهجاء والوقيعة، ثم قدم المدينة النبوية، فجاور بها، وتاب، والتزم أن يمدح النبي ﷺ خاصة إلى أن يموت، فوفى بذلك، وأراد الرحلة عن المدينة، فذكر أنه رأى النبي ﷺ في النوم، فقال: (يا أبا البركات!! كيف ترضى بفراقنا؟!) فترك الرحيل وأقام بالمدينة إلى أن مات، وسمى نفسه: (عاشق النبي ﷺ)، روى عنه من شعره أبو حيان، وبهاء الدين ابن إمام المشهد، ومن شعره:

فررت من الدنيا إلى ساكن الحمى ... فرار محب عائد لحبيبه
لجأت إلى هذا الجناب وإنما ... لجأت إلى سامي العباد رحيبه

وهي طويلة ـ كذا اختصره الصفدي، وقرأت في ذهبية العصر لابن فضل الله قال: صاحبنا بهاء الدين، ابن إمام المشهد، ذكر لي أن صاحب تونس بعث يطلب منه العود إلى بلده، ويرغبه فيه، فأجاب: إني لو أعطيت ملك المغرب والمشرق لم أرغب عن جوار رسول الله ﷺ، فذكر أنه رأى النبي ﷺ تلك الليلة، فأطعمه ثلاث لقم من دشيشة الشعير، قال: وقال لي كلامًا لا أقوله لأحد، غير أن في آخره: «واعلم أني عنك راض» فعمل هذه الأبيات التي منها المقطوع المذكور.

قال ابن فضل الله: وذكر أبو البركات أنه رأى سيدنا رسول الله ﷺ، وأنشد بين يديه هذا البيت:

لولاك لم أدرِ الهوى ... لولاك لم أدر الطريق)(١)

(١) الدرر الكامنة /١/٥١٤، ونقله العلامة اللكنوي في الفوائد البهية، في تراجم الحنفية /ص٢٤٢.

قلت: ويشبهه العلامة عليُّ بن علي بن علي بن علي بن علي بن علي بن علي بن علي بن أحمد بن عامر بن شريف الشافعي الأبياري الشهير بابن النجا، فهؤلاء ثمانية من المسمين بـ(علي) في نسق، ومن تأليفه رسائل في النحو، وهو من تلامذة الحافظ محمد مرتضى الزبيدي، وقد ترجم له في: (المعجم المختص)(١).

ويقاربه أن يروي خلفٌ عن خلفٍ عن خلفٍ عن خلفٍ عن خلف، فهؤلاء خمسةٌ في نَسَقٍ، قال الحاكمُ في: (معرفة علوم الحديث): (أخبرني خلفٌ قال: ثنا خلفٌ قال: ثنا خلفٌ قال: ثنا خلفٌ قال: ثنا خلفٌ، فالأول منهم: الأمير أبو أحمد خلف بن أحمد السجزي، والثاني أبو صالح خلف بن محمد البخاري، والثالث خلف بن سليمان النسفي صاحب المسند، والرابع خلف بن محمد بن كردوس الواسطي، والخامس خلف بن موسى بن خلف؛ وقد حدثنا بالحديث أبو صالح، قال: أخبرنا خلف بن سليمان قال: أخبرنا خلف بن محمد)(٢).

وقال نقل ذلك الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) ثم قال: (فقرأته على أحمد بن هبة الله: عن عبدالمعز بن محمد: أنا زاهر بن طاهر: أنا إسحاق بن عبد الرحمن قال: أنا الأمير خلف بن أحمد بن محمد بن خلف: نا خلف بن محمد بن إسماعيل: نا خلف بن سليمان: نا خلف بن محمد كردوس: نا خلف بن موسى العمي: نا أبي: عن قتادة: عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم حسود وبعض الناس أفضل في الحسد من بعض ولا

(١) المعجم المختص /ص٥٥١.
(٢) معرفة علوم الحديث /ص٢٣٦.

يضر حاسدًا حسده ما لم يتكلم بلسانه أو يعمل باليد»، هذا حديثٌ غريبٌ منكر)(١).

فصل

ألف الأستاذ سليمان فياض كتابًا جيدًا اسمه: (عمالقة العلوم التطبيقية، وإنجازاتهم العلمية في الحضارة الإسلامية)، تتبع فيه العباقرة والنبغاء من علماء الإسلام، الذين نبغوا في العلوم التطبيقية، ممن أسهموا في الجبر والمقابلة، وطب العيون، والطب النفسي، والوزن النوعي، وعلوم الحيوان والنبات، وعلوم الحساب والمعادلات المثلثية، والجاذبية الأرضية، وعلوم الأجنة والعقاقير، وعلوم النجوم والبيئة، وعلوم الهندسة التحليلية، وجراحة العيون، وعلوم الأورام، وموسوعات الصيدلة، وعلوم الصوتيات، وعلوم الأوبئة، وعلوم الكسور الاعتيادية واللوغاريتمات وغير ذلك.

وقد رتب الأئمة والعباقرة المسلمين الذين برعوا في هذه العلوم على القرون، حتى انتهى إلى أئمة القرن التاسع، وهو العصر الذي نبغ فيه العلامة أحمد بن ماجد المتوفى ٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م في علوم البحار، ومؤلفاته كثيرة جدًّا في ذلك، وهو الذي قاد ماجلان في اكتشافه لرأس الرجاء الصالح.

ونبغ في ذلك القرن العلامة تقي الدين الراصد المتوفى سنة ٩٩٣هـ ـ ١٥٨٥م، فاكتشف طاقة البخار لأول مرة، وصمم نماذجَ لآلات ميكانيكية متعددة، حتى عرف بـ(أبو التكنولوجيا العربية).

(١) تذكرة الحفاظ /٣/١٠٤١.

وقد نبغ في ذلك القرن أيضًا العلامة ابن حمزة المغربي ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان بارعًا في علم اللوغاريتمات.

وكتب في ذلك أيضًا الأستاذ: قدري حافظ طوقان كتابه القيم: (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك)، وكتب عبد الحليم منتصر كتابه: (تاريخ العلم، ودور العلماء العرب في تقدمه)، وكتب عبد الله الجراري كتابه: (تقدم العرب في العلوم والصناعات)، والكتابات في هذا المعنى كثيرة.

وأجود ما كتب في هذا الباب ـ فيما اطلعت عليه ـ كتاب: (أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية)، تأليف الأستاذ زهير حمدان، وهو مطبوع في ستة أجزاء، ترجم فيه لألفين وأربعمائة من أعلام تلك الفنون، مع ذكر أسماء تصانيفهم، وأماكن وجود مخطوطاتها في المتاحف ودور المخطوطات في العالم.

والقصد أن هذا العصر قد كان من أواخر مراحل العطاء الإسلامي في العلوم التطبيقية، ومن أواخر الفترات التي برزت فيها إسهامات المسلمين في صنع ثقافة العالم، وبناء معارفه وعلومه واختراعاته وإنجازاته.

ولقد كان العلامة الدمنهوري ـ رحمه الله ـ بارعًا في العلوم التطبيقية، كثير التأليف فيها، بحسب ما انتهى إليه السقف المعرفي في زمنه، مع ما استقرت عليه أحوال المعارف والعلوم في تلك الفترة، وإن كان في معارفه أو منهجه البحثي ما ينتقد أو يعاب، كل هذا مع إتقانه للعلوم الشرعية، وتوليه مشيخة الجامع الأزهر الشريف، وقد توفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وكان في زمنه كوكبة من العباقرة الذين نبغوا معه في تلك العلوم مع

مزجها بالعلوم الشرعية، من أمثال العلامة الشيخ حسن الجبرتي الكبير، والعلامة الشيخ حسن العطار، وغيرهما.

وأقصد أن أولئك الأئمة المذكورين كانوا من أواخر طبقات العلماء الشرعيين التي تعي هذه العلوم، وكأن إحاطة علماء الإسلام بتلك العلوم ما زال يتناقص، حتى اقتصر على فهم الجانب النظري منه في تلك الطبقة، وإدراك أصول العلوم العقلية التي تفضي إلى صناعة الآلات، دون التطبيق والتنفيذ، ولقد كان ذلك وحده رغم قصوره جيدًا، وليته بقي؛ إذ مجرد بقاء تلك المعارف في علوم أهل الإسلام يؤذن بإمكان إحيائها وتفعيلها، ولقد كان العطار والجبرتي الكبير من أواخر من أدرك ذلك، ولكن ذهبت تلك العلوم وطوي بساطها بالكلية، وشاع القول بتحريم الاشتغال بعلوم المعقول التي تفضي إليها.

ثم هنا ملحظ آخر، وهو بقاء تلك العلوم وأربابها والمتقنين لها في الجامع الأزهر الشريف إلى تلك الفترة، فقد كان الأزهر الشريف إلى أواخر القرن الثاني عشر معتنيًا بتدريس العلوم التطبيقية، من الفلك والهندسة والتشريح وغيرها، وكان العلماء المتقنون لتلك العلوم متوفرين على التدريس والتأليف، بحيث إن من انبعثت همته من طلبة العلم لتلقي تلك العلوم فإنه يجد من يقررها له، ربما لم تكن المعامل والأدوات التي تعين على التطبيق حاضرة، وربما كان تدريس تلك العلوم نظريًا، إلا أنها كانت حاضرة وموجودة، وكان القائمون على تدريسها يمزجونها بالعلوم الشرعية، فكانت المسافة الفاصلة بيننا وبين الحضارة الغربية في تلك الفترة خطوة، يسهل تداركها، ولكن الله غالب على أمره.

ثم إني قد وجدت التنصيص على هذا المعنى في كلام مهم للعلامة رفاعة بك الطهطاوي رحمه الله تعالى، قال في: (مباهج الألباب): (ومدار سلوك جادة الرشاد والإصابة، منوط بعد ولي الأمر بهذه العصابة، التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة، ورفع أعلام الشريعة المنيفة، معرفة سائر المعارف البشرية المدنية، التي لها مدخل في تقديم الوطنية، من كل ما يحمد على تعلمه وتعليمه علماء الأمة المحمدية؛ فإنه بانضمامه إلى علوم الشريعة والأحكام، يكون من الأعمار الباقية على الدوام، ويَقْتدي بهم في اتباعه الخاصُّ والعام، حتى إذا دخلوا في أمور الدولة يحسن من كل منهم في إبداء المحاسن المدنية قوله؛ فإن سلوك طريق العلم النافع من حيث هو مستقيم، ومنهجه الأبهج هو القويم، يكون بالنسبة للعلماء سلوكه أقوم، وتلقيه من أفواههم أتم وأنظم.

لا سيما وأن هذه العلوم الحكمية العملية التي يظهر الآن أنها أجنبية، هي علومٌ إسلامية، نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية، ولم تزل كتبها إلى الآن في خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة، بل لا زال يتشبث بقراءتها ودراستها من أهل أوربا حكماء الأزمنة الأخيرة، فإن من اطلع على سند شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد الدمنهوري، الذي كانت مشيخته قبل شيخ الإسلام أحمد العروسي الكبير، جد شيخ شيوخ الجامع الأزهر الآن، السيد المصطفوي، العلم الشهير، رأى أنه قد أحاط من دوائر هذه العلوم بكثير، وأن له فيها المؤلفات الجمة، وأن تلقيها إلى أيامه كان عند أهل الجامع الأزهر من الأمور المهمة)[1].

(١) مناهج الألباب المصرية /ص٣٧٢/، ط: الجوائب، ١٣٣٠هـ.

ثم نقل من ثبت العلامة الدمنهوري نقولا مطولة في مقروءاته على علماء الأزهر في تلك العلوم، إلى أن قال: (فانظر إلى هذا الإمام، الذي كان شيخ مشايخ الجامع الأزهر، وكان له في العلوم الطبية والرياضية وعلم الهيئة الحظ الأوفر، مما تلقاه عن أشياخه الأعلام، فضلًا عن كون أشياخه كانوا أزهرية، ولم يفتهم الوقوف على حقائق هذه العلوم النافعة في الوطنية)[1].

وقد نظم المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، في شهر نوفمبر سنة ٢٠٠٧م، ندوة دولية مهمة، حول (مصر في العصر العثماني)، شارك فيها أكثر من سبعين من المتخصصين في الدراسات العثمانية، من اثنتي عشرة دولة، وكان من المشاركين فيها الأستاذ الدكتور صبري أحمد العدل، رئيس وحدة البحوث الوثائقية سابقًا، حيث تقدم بورقة بحثية مهمة عنوانها: (موقف علماء الأزهر من دراسة العلوم العقلية والتطبيقية في العصر العثماني)، فذهب إلى أن: (الاشتغال بالعلوم التطبيقية أثار جدلا واسعًا بين علماء الأزهر، نظرا لما جرت به العادة في مناهج التدريس بالأزهر، حيث ظلت العلوم النقلية هي العلوم الأساسية التي تدرس به، ولكن بمرور الوقت أصبح الاشتغال بالعلوم التطبيقية من الأمور العادية بين الأزهريين.

وخلال العصر العثماني نشأت مشيخة الأزهر لتعبر عن الشكل المؤسسي للأزهر كأهم مؤسسة تعليمية في مصر والعالم العربي، وكان الشيخ أحمد الدمنهوري المولود بدمنهور عام ١٦٨٩م أحد رموز الأزهر في ذلك الوقت، لأنه تولي مشيخة الأزهر عام ١٧٦٨م وحتي وفاته عام ١٧٧٦م، ومن

(١) مناهج الألباب /ص٣٧٥/.

ثم فإن دراسة أفكاره ستوضح أسباب هذا التغير في موقف علماء الأزهر تجاه هذه العلوم.

ويرى العديد ممن أرخوا لتاريخ الأزهر والحركة العلمية خلال العصر العثماني أن الشيخ الدمنهوري يشكل طليعة التيار التجديدي في الأزهر، ويدللون علي ذلك بتصديه للكتابة في العلوم العقلية والتطبيقية، بالإضافة إلي اهتمامه الرئيسي بالكتابة في العلوم النقلية، ولكن هل يعد هذا الشيخ بالفعل رائد المجددين في تاريخ الأزهر، أو أن هناك من سبقوه في طرح أفكار مماثلة؟ وتشير الورقة البحثية إلى أنه قد تصدى الدمنهوري للكتابة في مجال العلوم التطبيقية ومن الملاحظ أن مؤلفاته في هذا المجال كانت بنفس غزارة مؤلفاته في العلوم التقليدية).

وهذا هو القدر المنشور من بحث الدكتور صبري العدل، وقد سعدتُ بالتواصل معه، وطلبتُ منه نصَّ هذه الورقة البحثية، فوعدني مشكورًا بإرسالها، فله خالص الشكر والتقدير.

فصل

يروي العلامة الدمنهوري عن جماعةٍ منهم: ١ ـ منصور المنوفي البصير الشافعي، ٢ ـ ومنهم محمد الغمري الشافعي، ٣ ـ ومنهم محمد الموفق المغربي التلمساني، ٤ ـ والشهاب أحمد بن محمد بن داود الهشتوكي، ٥ ـ والسيد محمد بن محمد السلموني المالكي الحسيني، ٦ ـ ومحمد بن عبد العزيز الزيادي الحنفي، ٧ ـ والشهاب أحمد بن عوض المرداي الحنبلي، ٨ ـ وعبد الله المغربي القصري الكنكسي، وهو يروي عن واحد وأربعين شيخًا، وكتب عنهم من

الإجازات نحوَ خمس كراريس، ٩ ـ وتدبج مع الإمام الكبير أبي عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن سودة الفاسي ت١٢٠٩هـ.

نروي مروياته من طريق الشيخ محمد سعد بدران الدمياطي، عن محمد بهاء الدين أبي النصر القاوقجي، عن أبيه أبي المحاسن القاوقجي، عن محمد البهي الحسيني، عن الحافظ محمد مرتضى الزبيدي، عنه.

ومن طريق العلامة الشيخ أحمد محمد نور سيف المهيري، عن العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني، عن العلامة السيد علي سرور الزنكلوني، عن العلامة الشيخ حسن الطويل، عن عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ، عنه.

* * *

۞ العلامة الفقيه الأصولي المتمكن المتقن الشيخ: أحمد بن فهمي بن محمود بن خليفة أبوسنة الحنفي الأزهري.

ولد بمحافظة الجيزة سنة ١٩٠٩م، وحفظ القرآن على يد جده الشيخ محمود خليفة أبو سنة، وتلقى على جده بعض المتون الصغيرة في التجويد والنحو، ثم التحق بالأزهر الشريف سنة ١٩٢١م، وأتم فيه مرحلتي الابتدائية والثانوية، فدرس على يد الشيخ يوسف حجازي في الفقه، والشيخ عبد الرؤف الرفاعي في النحو، والشيخ محمد المدلل، وغيرهم، والتحق بعدها بكلية الشريعة، فكان ضمن الدفعة الأولى في كلية الشريعة أول إنشائها، وتخرج فيها بامتياز.

تلقى كتاب الهداية في فقه الحنفية على الشيخ قنديل إبراهيم من كبار

علماء الأزهر، والتفسير على الشيوخ: فضيلة الشيخ طه البيباني، والشيخ حامد الجاد، والشيخ محمد عرفة، والشيخ حسين سلطان، وعلم الحديث على الشيخ الحسن الحجازي، والشيخ عبد السلام العسكري، والشيخ طه سلطان، وعلم النحو على الشيخ أحمد الدردير، والشيخ طه شقير، وعلم البلاغة على الشيخ أحمد عبد السلام، والشيخ عطاء جابر، والشيخ عبد اللطيف الحنبلي، وعلم المنطق على الشيخ أحمد غانم، وعلم أصول الفقه على الشيخ محمد عبد الفتاح العينان، والشيخ حسين البيانوني، وعلم العقائد على الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتاب المسايرة، وحضر عليه شيئًا من التفسير وأحاديث البخاري، وحضر على الشيخ يوسف الدجوي شيئًا من علم التفسير في دروس الفجر في الرواق العباسي، وحضر على الشيخ علي محفوظ في تفسير النسفي.

واختير عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ومجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة.

أما مؤلفاته فمنها: كتاب: (مقاصد الشريعة)، وكتاب: (الوسيط في أصول الفقه)، (فقه الأسرة المسلمة)، (محاضرات في أصول الفقه)، (علم الاقتصاد الإسلامي، ضرورة قائمة، وحقيقة واقعة)، (نظريات: الحق، والعقد، والملك، والضمان).

قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: (من أهم المؤلفات والبحوث التي نشرت لي: كتاب العرف في رأي الفقهاء والأصوليين وهي رسالتي للدكتوراه، كتاب الوسيط في أصول الفقه، كتاب نظرية الحق في الفقه الإسلامي، بحث حقوق المرأة السياسية في الإسلام.

وهنا كتب تحت الطبع من أهمها: نظرية العقد في الفقه الإسلامي، عقد الزواج، مقاصد الشريعة، الاقتصاد الإسلامي، محاضرات في أصول الفقه، نظرية العقد ونظرية الملك ونظرية الضمان.

فضلًا عن إلقاء المحاضرات وحضور الندوات المختلفة في الفقه والاقتصاد الإسلامي منها محاضرة ألقيتها في جمعية الشبان المسلمين في سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ بعنوان «حقوق المرأة في الإسلام»، وكانت ردًّا على دعاوى القائلين وقتها بأحقية المرأة في الحكم والقضاء، ولكن ما وصلت إليه من البحث والاطلاع بَيَّن لي أن المرأة لا تصلح للولايات العامة مثل الخلافة كرئيس أعلى للدولة أو القضاء كقاضية، وإن كانت تصلح للولايات الخاصة وعلى أثر ذلك استفتي الأزهر.

وتحرير بحوث ومقالات بمجلة الأزهر ومجلة رابطة العالم الإسلامي ومن بينها على سبيل المثال بحث في «الإشهار في العقود» وآخر باسم «حماية الفقه الإسلامي».

وأحاديث إذاعية بغرض التعريف بالإسلام على هيئة فتوى فقهية بدأت في إذاعة بغداد أثناء إعارتي لجامعة بغداد سنة ١٩٦٨) انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

وقد أفادني صديقنا العالم البحَّاثة الكريم، الشيخ أحمد ممدوح الأزهري الشافعي بمعلوماتٍ قيمة عن الشيخ حاصلها: (أن الشيخ ولد عام ١٩٠٩م بمركز الصف، محافظة الجيزة، بمصر المحروسة.

وكان قد أدرك الدراسة بالأزهر الشريف على النظام القديم بالجامع

الأزهر قبل إنشاء الكليات الشرعية، ثم انتقل لكلية الشريعة بعد افتتاحها في عهد شيخ الأزهر الظواهري رحمه الله، ثم التحق بالدراسات العليا ليشتغل بإعداد رسالته الفذة، العمدة في بابها: «العرف والعادة في رأي الفقهاء والأصوليين».

وفي عام ١٩٤١م نوقشت رسالته من قبل لجنة سباعية من كبار العلماء برئاسة الشيخ المراغي، منهم: الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ إبراهيم الجبالي، والشيخ العناني، والمحقق الشيخ عيسى منون، والشيخ محمود أبو دقيقة، والشيخ أحمد أبو النصر، فاجتاز المناقشة بامتياز، ليكون أول أزهري يحمل شهادة العالمية من درجة أستاذ، والتي لقبت فيما بعد بالدكتوراه، وكانت رسالته أول رسالة تناقش علانية في ظل نظام الشيخ المراغي.

وقد أدرك الشيخ أكابر علماء الأزهر، منهم: شيخ الأشياخ العلامة محمد بخيت المطيعي، وشيخ المالكية في وقته الشيخ محمد عبد الفتاح العناني، والشيخ حسين البيومي، والشيخ يوسف المرصفي، وغيرهم رحمهم الله أجمعين، وكان بينه وبين الشيخ محمد زاهد الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ تزاور، وصداقة وطيدة.

وقد درس وتخرج عليه كبار العلماء في هذا العصر من شتى بقاع الأرض، ومنهم العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ وقد انتقل الشيخ إلى جوار ربه مساء الجمعة ٢٠٠٣/٩/١٩م، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة).

أما مروياته فالذي استفدته من فضيلة العلامة المحقق الشيخ محمد

الهادي عبيد التونسي المالكي ـ حفظه الله ـ أنه سأل الشيخ ودقق معه، فأخبره بأن الذين أجازوا له إجازة عامة اثنان، وهما: ١ ـ الحافظ السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري ت١٣٨٠هـ، ٢ ـ والعلامة محمد أبو الخير الميداني.

قلت: وقد جمع فضيلة العلامة الدكتور يحيى الغوثاني رسالةً في أسانيد العلامة أبي سنة بناء على طلب الشيخ، وسماها: (تمام المنة، في أسانيد أبي سنة)، وكان ذلك سنة ١٤٠٨هـ تقريبًا، وسلَّم أصلها للشيخ ففرح بها، وللأسف فإن الشيخ الغوثانيَّ لم يحتفظ لنفسه بنسخة من ذلك الثبت، فلا ندري مصيره.

ونحن نروي مروياته من طريق العلامة القارئ الشيخ علي محمد توفيق النحاس، عن أحمد محمد سردار الحلبي، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة الفقيه أحمد جابر جبران الشافعي، وفضيلة القارىء المسند الشيخ يحيى الغوثاني، كلاهما عنه.

(ح) وأروي مروياته عنه مباشرة.

* * *

۞ العلامة الفقيه القارئ المتقن الإمام الشيخ: أحمد بن محجوب الكبير الرفاعي الفيومي المالكي الأزهري.

ولد في قرية اسمها الصوافنة بالفيوم، ودرس على الشيخ محمد عليش، والشيخ محمد القلماوي، والبرهان السقا، والشيخ مصطفى المبلط ت١٢٨٤هـ، والشيخ أحمد الإسماعيلي، وأحمد منة الله المالكي، والبرهان الباجوري، ومحمد الأشموني، ومحمد الدمنهوري، ومنصور كساب العدوي، وأحمد كبوه

العدوي، وغيرهم، وصار رحمه الله شيخ المقارئ بمصر، ومن مؤلفاته حاشية مشهورة على شرح الشيخ بحرق اليمني على لامية الأفعال، وتقرير على المطول، وتقرير على الأشموني، وتقرير على جمع الجوامع، وحاشية على منظومة الصبان في العروض، وتقرير على المقولات، وغير ذلك.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ قائمًا بإقراء الحديث، معنيًا بذلك، مشهورًا به، حتى قال تلميذه العلامة محمد البشير ظافر الأزهري: (وكان مواظبًا على قراءة كتب الحديث، كالموطأ والصحيحين، والكتب الستة)، وسيأتي نقل كلام العلامة محمد البشير مطولًا بعد قليل.

وقد اعتنى صاحب الترجمة بإقراء صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، أما صحيح البخاري فقد تلقاه كاملا من الشيخ مصطفى المبلط، سماعًا منه، وقراءة عليه، وإجازة، وهو عن العلامة الشيخ محمد بن علي الشنواني صاحب الثبت المشهور بأسانيده.

كما تلقى الصحيح أيضًا سماعًا لبعضه وإجازة لباقيه عن العلامة الشمس محمد عليش، وهو عن الأمير الصغير، عن أبيه الأمير الكبير.

ثم إن العلامة الرفاعي أقرأ صحيح البخاري كاملا بموجب تلك السماعات، وممن تلقاه عنه سماعًا لجميعه العلامة الفقيه طه بن يوسف الشعبيني الشافعي ت١٣٧٣هـ.

وأما صحيح مسلم فقد تلقاه كاملًا سماعًا إلا درسين أو ثلاثة من كتاب الحج مع عموم الإجازة من العلامة الشمس محمد أحمد عليش، وهو عن الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير، ثم أقرأ ـ رحمه الله ـ صحيح مسلم بكماله، وممن حضر عليه الصحيح كاملًا في تلك المجالس العلامة الفقيه أحمد بن نصر

العدوي المالكي، والعلامة طه يوسف الشعبيني الشافعي الأزهري.

ثم إن العلامة الفقيه أحمد بن نصر العدوي المالكي عقد مجلسًا لإقراء صحيح مسلم، فأقرأه كاملًا، وحضره عليه عدد من العلماء المدرسين بالأزهر الشريف.

وأما سنن الترمذي فقد اقتنى العلامة الرفاعي لنفسه نسخة من طبعة بولاق، المطبوعة سنة ١٢٩٢هـ، وهي في مجلدين، فاعتنى بضبط تلك النسخة، والتعليق على هوامشها، وإقرائها، حتى صارت تلك النسخة النفيسة أصلًا معتمدًا، وقد ذكر العلامة المحدث السيد أحمد شاكر النسخ التي اعتمد عليها في إخراج سنن الترمذي، فذكر أنه اعتمد على سبع نسخة، منها أربعة مطبوعة، وأجود النسخ المطبوعة هي تلك النسخة التي نتكلم عنها، والتي اعتنى بها العلامة أحمد الرفاعي صاحب الترجمة، وقد آلت إلى تملك العلامة أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ، وقد وصف أحمد شاكر تلك النسخة في أوائل تعليقه على سنن الترمذي فقال: (وهي نسخة نفيسة جليلة، قرأ الأستاذ الرفاعي الكبير الكتاب كله فيها قراءة درس وعناية، وصححها تصحيحًا جيدًا، وضبط بقلمه كل ما كان موضعًا للإشكال والاشتباه، وكتب في أولها بخطه ما نصه: «قال أحمد الرفاعي المالكي: أروي سنن الإمام الترمذي عن مشايخ، منهم شيخنا العلامة الشيخ إبراهيم السقا الشافعي، وهو يرويه عن مشايخ، منهم الشيخ الأمير الصغير، عن والده العلامة الأمير الكبير»).

قلت: فساق العلامة أحمد شاكر السند إلى منتهاه، إلى أن قال: (وكتب في آخر الجزء الثاني بخطه ما نصه: «قد تم تصحيح هذا الجزء مع مع التحري والمقابلة على عدة نسخ، فصار كأصل سابقه بحسب الإمكان، في الثالث

والعشرين من شوال، سنة ألف وثلاثمائة وأحد عشر، وكان ابتداء القراءة مع جم كثير من الإخوان إلى المنتهى، في رجب سنة تاريخه، على يد مالكه أحمد الرفاعي المالكي الأزهري، لطف الله به وبالمسلمين»).

فهذا نص مهم، يفيد أن اشتغال العلامة أحمد محجوب الرفاعي بسنن الترمذي قراءة وتصحيحًا كان بحضور عدد جم من الشيوخ، إلا أنه لم يتعين عندي إلى الآن أحد ممن كانوا يحضرون تلك المجالس.

بل نص العلامة الشيخ أحمد بن نوير بن جاد الأخميمي المالكي الأزهري أنه تلقى عن العلامة أحمد الرفاعي الفيومي جميع موطأ مالك، وجميع صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي.

قال العلامة محمد البشير ظافر المالكي الأزهري في (اليواقيت الثمينة): (وكان رحمه الله عالمًا بارعًا، إمامًا محققًا، تقيًّا صالحًا، مواظبًا على الصلاة مع الجماعة، دؤوبًا على التدريس، ونصح الخلق، لا يعرف الكسل ولا الملل، وكان مواظبًا على قراءة كتب الحديث، كالموطأ والصحيحين، والكتب الستة، وغير ذلك من كافة الفنون النقلية والعقلية، وكان فصيح العبارة، سهل الإفادة، يقرر المسائل أحسن تقرير، وكان بعيدًا من الدعوى والتصنع والكبر، متحليًا بمكارم الأخلاق، آخذًا بالحزم والجد في أموره، وقد لازمته ـ رحمه الله ـ في درس تفسير الخطيب الشربيني، وحضرت عليه حاشية الشيخ محمد الدمنهوري على متن الكافي في علمي العروض والقوافي، وتعين شيخا على رواق الفَيَمة، وشيخًا على المقارئ، وعضوا في مجلس إدارة الأزهر، ومكث مدرسًا بالأزهر ثلاثًا وخمسين سنة)(١).

(١) اليواقيت الثمينة /ص٦٣/.

إلى أن قال: (وكيفما قلبت طرفك في علماء الأزهر لا تجد إلا من أخذ عنه، أو عن أحد تلامذته، ويمكنك أن تستثني الشربيني والبشري، ثم تقول: إن كل الأزهريين عيال عليه في العلم.

ومن أكبر تلامذته وأشهرهم: المرحوم الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد بخيت، والشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، والشيخ محمد حسنين العدوي، والشيخ محمد النجدي الشرقاوي وغيرهم).

وقد تتلمذ له أيضًا غير هؤلاء من الأكابر، أمثال: محمد بن جعفر الكتاني، والإمام أحمد بن شرقاوي، والعلامة يوسف الدجوي، والسيد محمد عبد الحي الكتاني، ومحمد بن يوسف الكافي، وعبد القادر القصاب الدير عطاني، وعبد الحميد قدس، ومحمد بن عمر بن بكران بن سلم الحضرمي، وطه بن يوسف الشعبيني، وأحمد بن نصر العدوي، ومحمد إمام السقا، والفقيه محمد بن محمد الشافعي الشهير بالحلبي، وعبد الرحيم السيوطي الجرجاوي المالكي، وأحمد محمد الدلبشاني، ويوسف بن شلبي الشبرابخومي، ومختار الشكشوكي الطرابلسي، ومحمد بن إسماعيل بن فراج الجداوي، وغيرهم كثير جدًّا.

وقد انتقل صاحب الترجمة إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين ١٨ صفر سنة ١٣٢٥هـ، فرحمه الله رحمة واسعة، ثم رأيت في كلام أحد تلامذته ما نصه أنه توفي ظهر يوم الثلاثاء، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر صفر، سنة ١٣٢٥هـ، الموافق ٧ أبريل، سنة ١٩٠٧هـ.

يروي عن: ١ ـ شيخ الإسلام البرهان الباجوري، ٢ ـ وأحمد منة الله الشباسي المالكي ت١٢٩٢هـ، ٣ ـ ومصطفى المبلط، ٤ ـ والعلامة محمد عليش

المالكي ت١٢٩٩هـ، ٥ ـ البرهان إبراهيم السقا ت١٢٩٨هـ وغيرهم.

نروي مروياته من طريق السيد عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني، عن أبيه، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة الفقيه أحمد جابر جبران، والسيد محمد بن علوي المالكي، كلاهما، عن الإمام الفقيه حسنين بن محمد حسنين مخلوف، عن أبيه، عنه.

* * *

۞ العلامة الفقيه المسند: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي، شيخ الحنفية بالديار المصرية.

وجده إسماعيل من ذرية الولي العارف بالله تعالى الشريف العلامة السيد محمد، مفتي السادة الحنفية، بمدينة توقات، بالأقاليم الرومية.

وقد جمع لنفسه ثبتًا لطيفًا، صغير الحجم، يقع في ورقات معدودات، اطلعت على مخطوطه، فإذا به قد ذكر فيه أسماء مشايخه الذين تلقى عنهم المذهب، وذكر نصوص إجازاتهم له، ثم ذكر أسانيده إلى الكتب الستة وغيرها.

وقد ذكر في ثبته المذكور أنه تفقه بجماعة منهم والده العلامة السيد محمد بن إسماعيل، ومنهم العلامة محمد الحريري الأزهري الحنفي، مفتي الديار المصرية آنذاك، ومنهم العلامة حسن بن إبراهيم بن حسن الجبرتي، ومنهم العلامة مصطفى ابن المرحوم العلامة أبي عبد الله محمد بن يونس بن النعمان الطائي الحنفي، وقد توفي العلامة الطحطاوي إلى رحمة الله تعالى سنة ١٢٣١هـ.

وهو **يروي** عامة عن: ١ ـ حسن الجداوي، ٢ ـ والأمير الكبير، ٣ ـ وعبد العليم الفيومي، ثلاثتهم عن أبي الحسن علي الصعيدي العدوي بأسانيده.

٤ ـ ويروي عامة أيضًا عن محمد الحريري الحنفي، ٥ ـ ومصطفى بن محمد بن يونس بن النعمان الطائي، بأسانيدهما.

ونحن نروي مروياته من طريق السيد عبد الرحمن بن الإمام السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، عن أبيه، عن أبي الحسن بن ظاهر، عن أبي خضر الدمياطي، عن عبد المولى بن عبد الله المغربي الطرابلسي، عنه.

(ح) وعن السيد إبراهيم الصديق الغماري وأخيه الحسن بن الصديق الغماري كلاهما عن أخيهما الحافظ السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، عن العلامة عبد الله بن محمد بن صالح البنا السكندري، عن أبيه، عنه.

* * *

۞ العلامة المسند الشهاب: أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي العجمي الشافعي الأزهري.

ولد سنة ١٠١٤هـ، وتوفي سنة ١٠٨٦هـ.

يروي عن: ١ ـ النور الحلبيّ صاحب السيرة، ٢ ـ والشمس محمد الشوبري، ٣ ـ والعلامة المتقن سلطان المزاحي، ٤ ـ والشمس محمد الحموي، ٥ ـ والشهاب الدواخلي، ٦ ـ والوجيه الخياري المدني، ٧ ـ ومحمد حجازي

الواعظ شارح الجامع الصغير للحافظ السيوطي رحمه الله.

وله من التآليف: مشيخةٌ في نحو كراستين، عدد فيها مشايخه، رآها المحبي وعليها خط مصنفها، ونقل منها في: (خلاصة الأثر)، وقال عنها السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس): (ومشيخته هذه حلوة لطيفة)، وذكر الكتاني أيضًا أن له مشيخةً أخرى، ألفها باسم إبراهيم باشا والي مصر في وقته[1].

وله أيضًا: (شرح ثلاثيات البخاري)، و(ذيل لب الألباب في تحرير الأنساب للسيوطي)، قال الزركلي في: (الأعلام): (وهو في الأصل تعليقات له على هامش نسخته من لب اللباب، جردها من خطه عبد الرحمن الأشموني، مرتبة على الحروف، كتبت سنة ١٠٨٩هـ، يحسن طبعها)[2].

أروي مروياته بأسانيدنا إلى العلامة الشاه ولي الله الدهلوي، عن أبي طاهر بن العلامة إبراهيم الكوراني، عن أبيه، عنه.

* * *

❁ **فضيلة الشيخ: أحمد بن حسن بن جابر بن رجب الأزهري.**

وهو صهر شيخ مشايخنا العلامة المحدث الشيخ محمد محمد السماحي ـ رحمه الله تعالى ـ، وهو الذي أخرج كتاب: (الخصال المكفرة، للذنوب المتقدمة والمتأخرة) للحافظ ابن حجر بتحقيقه وتقدمته، يروي عن العلامة الشيخ محمد بن علي أحمدين صاحب كتاب: (ضوء القمر، في شرح نخبة

(١) فهرس الفهارس ١/١١٦.
(٢) الأعلام للزركلي ١/١٣٠.

الفكر)؛ أخبرنا أنه لازمه للقراءة في صحيح البخاري كل جمعة، بمسجد السيدة زينب»، فأتم معه إلى كتاب البيوع على ما أذكر، وأن الشيخ خرج إلى أرض الحرمين معتمرًا فتوفي هناك، كان ذلك سنة ١٣٩٠هـ، وأن الشيخ قبل سفره قد أرسل إليه بورقة فيها الإجازة، إلا أنها لم تكن حاضرة عند الشيخ وقت زياراتنا له، فلم نعلمْ على وجه اليقين بم أجازه الشيخ الأحمدين، هل أجازه عامة أو أجازه بصحيح البخاري فقط؟؟.

قلت: ومن الغرائب ما حدثني به شيخنا الأستاذ الجليل الصالح الشيخ سعد جاويش الكفراوي أن الأستاذ المحدث الشيخ محمد أبو شهبة ـ رحمه الله تعالى ـ أقام في مكة خمس عشرة سنة، مؤملًا أن يدفن في مكة، حتى كانت سنة نزل فيها مصر في عيد الفطر ليحضر العيد مع أولاده فتوفي في مصر ودفن فيها، وأن الشيخ محمد علي أحمدين أقام أكثر عمره في مصر، وكان يدرس صحيح البخاري، في مسجد سيدنا الحسين يومًا، وفي مسجد السيدة زينب يومًا، ثم نزل مكة معتمرًا، ومنها قصد المدينة المنورة زائرًا، ولم يكن يخطر له أن يلقى الله تعالى في الحرمين الشريفين، فتوفي هناك ودفن بالبقيع، فسبحان من قسم الحظوظ.

ومن المعلوم أن الشيخ الأحمدين يروي عن العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، وكنا قد ترددنا على الشيخ أحمد حسن جابر للزيارة غير مرة، وقرأنا معه قطعة من صحيح البخاري، وألححنا عليه في طلب الإجازة، وقد كنا أيامها في زمن التقميش والاحتطاب، وكانت همتي تأبى أن أترك مصريًا له بالعلم الشريف إلمام إلا تتبعته ما استطعت، حرصًا على إبقاء سمت التلقي والأخذ، كما درج عليه أئمة الأمة، مهما اختلفت فنونهم ومناحي علومهم، ولِمَا جُبِل عليه الطبع من المحبة والتعلق بإحياء البقايا

من علوم أهل مصر، واستنقاذها، والحاصل أنه أجاز لنا مشافهة، في يوم الأربعاء، سادس شهر فبراير سنة ٢٠٠٢م.

نروي عنه مباشرةً ما تصح له روايته.

* * *

۞ العلامة الكبير، والمحقق الشهير، السيد: أحمد رافع بن محمد بن عبد العزيز بن رافع القاسمي الحسيني الطهطاوي الحنفي.

ولد في بلدة طهطا من صعيد مصر في رجب سنة ١٢٧٥هـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، ثم حفظ المتون على يد والده، وأخذ عن والده وغيره من علماء بلده مبادي التوحيد والنحو والفقه، ثم في شهر شوال من سنة سبع وثمانين ومائتين وألف دخل القاهرة لطلب العلم بالأزهر، فأخذ به جميع العلوم التي تدرس به.

وقد ذكر ـ رحمه الله ـ ملامح من نشأته وتلقيه للعلوم فقال في: (الثغر الباسم) له: (وتلقيت علومه على كثير من أكابر علمائه، كالأستاذ الجليل الشيخ محمد عليش، وابنه الشيخ عبد الله، قال السيد أحمد الغماري: (وسمعته يقول: «إنه كان أكثر تحقيقا من أبيه») وعلى: محمد الخضري الدمياطي، والعلامة شمس الدين محمد الأنبابي، وتلميذه المحقق حسن بن رضوان الخفاجي الدمياطي، والشيخ عبد الهادي الأبياري، والشيخ عبد الرحمن الشربيني، والشيخ محمد أبي النجاة الشرقاوي، والشيخ عبد الرحمن القطب النواوي، والشيخ حسن الطويل، والشيخ محمد البسيوني البيباني وغيرهم)[1]، وقد توفي الشيخ إلى رحمة الله تعالى يوم ١٢ صفر ١٣٥٥هـ.

(١) الثغر الباسم، في مناقب سيدي أبي القاسم /ص٤٣/.

فصل

والعلامة السيد أحمد رافع نمط من العلماء أصحاب التدقيق، والتعمق البالغ في الإحاطة بالبحوث العلمية، مع التأني في تناول كل جزئية، والفحص عن كل معنى ـ ولو محتملًا ـ يطرأ لمغايرةٍ يسيرةٍ في التعبير، تلك الطريقة التي تستلزم إحاطةً مضاعفةً بعلوم الآلة، ودُربةً ومرانًا على اقتناص الاحتمالات المتبادرة من العبارة، وتأملها وسبرها، والتمييز بين المقبول وعدمه بالملائمة مع بقية الكلام، أو بالانسجام وعدمه مع لب الفن العلمي وروحه.

وقد سَرَى إليه هذا النفسُ العلميُّ من شيخه العلامة المحقق المدقق الشمس الأنبابيِّ؛ قال السيد أحمد الصديق الغماري في: (البحر العميق): (وكان أكثر ملازمته للشيخ الأنبابي، وبه تخرج في المعقولات، وسلك طريقه في الأبحاث، وزاد في الإتقان والتحقيق عليه، وهو الذي أذن له في التدريس، وأجاز له إجازةً عامةً، لفظًا وكتابةً).

قلت: وكانت تلك الطبقة التي برز منها الشمس الأنبابي، والعلامة عبد الرحمن الشربيني، والسيد أحمد رافع الطهطاوي، والعلامة الشيخ بخيت المطيعي، والعلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي، والعلامة الشيخ يوسف الدجوي، وأضرابهم خاتمة عهد مجيد من اجتماع العمالقة والجبال الرواسخ من العلماء في عصر واحد، بحيث إن الزمان لم يعد يجود بأمثال هؤلاء إلا الفرد بعد الفرد، والواحد بعد الواحد.

وقد تفرغ ـ رحمه الله ـ لعلوم الإسناد، وأقبل عليها بكليته، فحرر

فيها التحريرات العجيبة، الدالة على سعة اطلاعه، حتى تفرد في وقته بإتقان تلك العلوم، وصار مرجعًا فيها لا ينازع.

ولا أجد أوعب ولا أدق من كلمة للعلامة الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ يصف فيها حال المترجم بعد تحوله إلى ممارسة الأسانيد، قال الكوثري ـ رحمه الله ـ: (وهو من كبار العلماء في القطر المصري، له مصنفات ممتعة في علوم الرواية والدراية، وقد قام في هذا العصر بأعباء علوم الإسناد، وتفرغ لتمحيص ما في الأثبات والمعاجم والمشيخات من الأسانيد ورجالها، وضبط أسمائهم، وتحقيق وفياتهم وأنسابهم، مما يهم المشتغلين بعلم السنة والتاريخ، وإن كان يرتئي بعض من لا خبرة عنده أن ذلك كثير المؤونة، قليل الجدوى في الرواة المتأخرين، وقد متعه الله مع ما له من بسطة في العلم بكتب مخطوطة نادرة، وأصول يعتمد عليها، فأصبح المرجع الوحيد في هذه الأقطار لحل مشكلات تتعلق بعلم الآثار، أدامه الله ذخرًا للعلم)[1].

قلت: وهذه كلمةٌ نفيسةٌ من ناقدٍ خبيرٍ، والحيثيات التي ذكرها الكوثريُّ هنا، وإقرار مثل الكوثريِّ ـ وهو المحدث الناقد ـ له بهذه المرجعية، هو الذي أورثه الشهرة بالإسناد، ولأجلها عُدَّ مسندَ العصر؛ إذ يُكتفَى فيه بما دون ذلك، باعتبار حال هذا الزمان، نعم للعلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني مزية من حيث سعةُ روايته، وكثرةُ مشايخه، وطولُ ممارسته، وكمالُ تتبعه لذلك الفن، إلا أن الطهطاويَّ أقعدُ في العلوم وأمكن، وقد أنفق عمره وماله في تتبع الأثبات، والتدقيق في الاتصال والانقطاع، ثم ـ وهو الأهم ـ أنه من طبقة سابقة على طبقة السيد الكتاني.

(١) من تقدمة الكوثري على كتاب: «التنبيه والإيقاظ، لما في ذيول تذكرة الحفاظ» للسيد أحمد رافع صاحب الترجمة /ص٢، ٣/.

وقد ذاعت شهرة الشيخ، وعرفه علماء الأقطار لشيوع مؤلفاته، فقد ذكر السيد أحمد الصديق أن والده السيد محمد الصديق الغماري هو أول من أرشده إلى معرفته.

قال في: (البحر العميق) وهو يتحدث عن والده: (وهو أول من أرشده إلى معرفة السيد أحمد رافع الطهطاوي؛ فإنه بعد رجوعه المرة الأولى من القاهرة سأله عن شيوخه، ومن أخذ عنهم، فذكر له أسماءهم، فقال له: والسيد أحمد رافع؟؟ فقال له: ما سمعت به!! فقال له: إنه رجل محقق، فإني قرأت له كتاب: (كمال العناية، في توجيه ما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ من أنواع الكناية) وكتاب: (بلوغ السول، في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾) فعرفت منزلته في العلم، وأنه علامة كبير، محقق في فنونه، فإذا رجعت إلى مصر فلابد أن تزوره.

وكان السبب في عدم سماعه أولًا أن السيد أحمد رافع كان معتزلًا، في بيته لا يخرج إلا قليلًا، ولم يصل الأزهر منذ سنة ثلاث عشرة، وهي سنة وفاة شيخه الشمس الأنبابي إلى أن مات سنة خمس وخمسين)[1].

فصل

وأما مؤلفاته فمنها: (فرائد الفوائد الوفية، لمقاصد خطبة الألفية) وهو أول مؤلفاته المعتبرة، وكان سنه وقت تأليفه إحدى وعشرين سنة، (بلوغ السول، بتفسير: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾)، (كمال العناية، بتوجيه ما في: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ من الكناية)، (القول الإيجابي، في ترجمة العلامة شمس الدين الأنبابي)، (رفع الغواشي، عن معضلات المطول والحواشي) بلغ

(١) البحر العميق /١/١٦٠/.

خمسة أجزاء ضخام، طبع الأول منها، (نفحات الطيب، على تفسير الخطيب) يعني به الخطيب الشربيني، (شرح الصدر، بتفسير سورة القدر) في أربعة كراريس، من أوسع ما كتب على تلك السورة الكريمة، (نظم الدرر الحسان، في تفسير آية شهر رمضان)، (المسعى الرجيح، إلى فهم شرح غرامي صحيح)، (النسيم السحري، على مولد الخضري)، (منصة الابتهاج، بقصة الإسراء والمعراج)، (هداية المجتاز، إلى نهاية الإيجاز، في التشبيه والكناية والمجاز) وهو شرح للمنظومة البيانية المسماة: (نهاية الإيجاز، في التشبيه والكناية والمجاز) للعلامة الشيخ محمد رفاعة عنبر أفندي الطهطاوي، (الرياض الندية، على الرسالة السمرقندية)، (الطراز المعلم، على حواشي السلم) ألفه وهو ابن تسع عشرة سنة فكأنه لم يكن يعتبره أو يعتدّ به، (وسائل المحاضرة، بمسائل المناظرة)، (تقريرات على: «بغية المقاصد، في خلاصة المراصد» لمحمد بن علي السنوسي)، (حاشية على حدود النحو للفاكهي)، (تقريرات على شرح قطر الندى)، (شرح جمال الآجرومية) وجمال الآجرومية نظم لرفاعة بك الطهطاوي، عقد فيه متن الآجرومية، وحلى جيدها بالأمثلة الغزلية، والشواهد الأدبية، وغير ذلك.

فصل

أما عن ثبت السيد أحمد رافع المسمى: (المسعى الحميد، في بيان وتحرير الأسانيد) فإن أخباره عجيبة جدًّا، إن في تأليفه أو في مصيره ومآله.

قال الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري ـ رحمه الله ـ في: (البحر العميق): (ثم لما ذهب إلى الحج اجتمع بالشيخ عبد الستار الصديقي الهندي[2]

محدث مكة ومسندها، بل والحجاز في عصره، وتدبج معه، وطلب منه أن يكتب له الإجازة، فوعده بكتابتها بعد رجوعه إلى مصر.

فلما رجع وشرع في كتابتها مع ذكر بعض الأسانيد، دعاه تحقيقه وولعه بالبحث، إلى الوقوف على تراجم رجال الإسناد ووفياتهم، ليذكر وفاة كل رجل وولادته عند ذكره، فعثر أثناء بحثه على أوهام في أثبات المتأخرين، وانقطاعات في الأسانيد، فجره البحث إلى كتابة ثبت في مجلدين، سماه أولًا: «المسعى الحميد، إلى بيان وتحرير الأسانيد» ثم غير اسمه بـ«إرشاد المستفيد»، مكث فيه نحو خمسة عشر عامًا، أتى فيه بالعجب العجاب لا من حيث الإكثار؛ ولكن من حيث التحقيق في: الاتصال، والمواليد، والوفيات، والتنبيه على أغلاط الأثبات والتواريخ.

وأعانه على ذلك كثرة ما تيسر له من الأثبات والمعاجم والتواريخ الغريبة، بسبب غناه ووجاهته، فكان يستعير من دار الكتب المصرية كل ما يحتاجه من ذلك، وكذلك من مكتبة صديقه أحمد باشا تيمور، وقد بقي عنده معجم الذهبي، ومعجم ابن السبكي، ومعجم الحافظ، وشذرات الذهب قبل أن يطبع أزيد من خمسة أعوام.

وبسبب ذلك ألف: «مختصر المعجم المختص للذهبي»، و«مختصر معجم ابن السبكي»، و«مختصر معجم الحافظ ابن حجر»، و«ملخص ما في معجم الحافظ السيوطي المسمى: «المنجم، في المعجم»»، و«ما في نظم العقيان له»، و«جزء يتضمن كثيرًا من شيوخ الحافظ صلاح الدين العلائي»، و«التنبيه والإيقاظ، بما في ذيول تذكرة الحفاظ»)[1].

(١) البحر العميق /١/ ٢٢١.

وقال فضيلة العلامة الشيخ محمد عبد الله الرشيد في: (إمداد الفتاح):

(وقفت على رسالة لشيخنا الحافظ السيد عبد الله بن الصديق الغماري ـ رحمه الله تعالى ـ كتبها لأحد تلاميذه، وهي مؤرخة بتاريخ: ١٤٠٠/٢/١٢هـ قال فيها: (وثبت السيد أحمد رافع مقدم على «فهرس الفهارس» لشدة إتقانه، ولأنه نبه على أوهام «فهرس الفهارس» وغيره، وأنا لم أره، ولكن أخبرني عنه أخي السيد أحمد الذي رآه وأثنى عليه كثيرًا، بل فضله على كثير من الأثبات لتحقيقه، ولو طبع لكان يغني عن غيره، لكن أولاد المؤلف لا علاقة لهم بالعلم فلم يهتموا بطبعه، ثم إن بعض من لا يتقي الله استعار بعض كراسات منه، ولم يردها حتى مات المؤلف، وبقي الكتاب ناقصًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

وللعلامة السيد أحمد خيري باشا مقال منشور بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد التاسع الجزء الأول ـ في ذي الحجة سنة ١٣٨٢هـ بعنوان: «أنباء وآراء» قال فيه/ ص١٧ ـ ١٧٥/: (للسيد أحمد رافع الطهطاوي محدث مصر المتوفى سنة ١٣٥٥هـ، مؤلف جليل جدًّا لم يطبع، اسمه: «المسعى الحميد، الجامع لمتفرقات الأسانيد» قضى الرجل في جمعه، وترتيبه، وتهذيبه أكثر من أربعين سنة، وقد كانت له في هذا الفن دراية واسعة، تدل عليها تحقيقاته العلمية التي طبعت في دمشق سنة ١٣٤٨هـ باسم: «التنبيه والإيقاظ، لما في ذيول تذكرة الحفاظ».

والمسعى الحميد يحتوي على كل ما أمكن للرجل جمعه من الأثبات والإجازات، مع الكلام على رجال الحديث ومصنفاتهم ووفياتهم، وأخذ بعضهم عن بعض بتسلسل الروايات في عصره، ويعتبر هذا المؤلف من أوفى

وأكمل ما كتب في هذا الباب، كما يعتبر نادرا في هذا العصر.

والمأمول أن يهتم معهد المخطوطات للاتصال بورثة السيد أحمد رافع ليأذنوا بتصويره، حفظًا له من الضياع، وإبقاءً لهذا المجهود العلمي المفيد الفريد.

وأرى أن تصوير هذا الأثر لا يقل أهمية عما صوره المعهد، ولا سيما أنه لا يوجد منه إلا نسخة المؤلف، وهي عرضة للضياع، فيضيع بضياعها ذلك المجهود العلمي الضخم، الذي لا يمكن إنكار فائدة حفظه، والله المستعان، وعليه التكلان، جعلنا الله جميعًا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[1].

وممن اطلع على هذا الثبت، وشهد بعمق ما فيه من تحريرات: الشيخ محب الدين الخطيب، وقد ذكر ذلك في مقدمته للجزء المسمى: (أربعون حديثا من رواية شيخ الإسلام ابن تيمية، عن أربعين من كبار مشيخته رجالا ونساء)، تخريج العلامة المحدث أمين الدين محمد بن إبراهيم الواني، فقال محب الدين ما نصه: (وكنت في سنة ١٣٣٤هـ قد صححت بعض الأسماء الواردة في هذه النسخة على شيخنا العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري رحمة الله عليه، ثم لما عزمنا الآن على طبعها رجعت في التصحيح أولا إلى النسخة نفسها، وذلك بتتبع الأسماء المكررة فيها، ومقارنة بعضها ببعض، وعرض ذلك جميعا على ما لديّ من الكتب المؤلفة في رجال الحديث.

ولكن كل هذا ليس شيئا في جانب ما استفدته من الأستاذ العلامة المسند المحقق السيد أحمد رافع الطهطاوي، فقد صحح لي من مراجع ثبته

(١) إمداد الفتاح، بأسانيد ومرويات عبد الفتاح (أبو غدة) /ص٤٢٣/.

العظيم، المسمى: (المسمى الحميد، في بيان وتحرير الأسانيد) أكثر ما كنت متوقفا فيه من الأسماء، فجزاه الله بخير ما يجزي به عباده الصالحين)[1].

ثم قال محب الدين الخطيب في آخر الجزء ما نصه: (قراءة وإجازة، يقول مصحح هذه الأربعين: محب الدين ابن المرحوم الشيخ أبي الفتح بن الشيخ عبد القادر الخطيب الدمشقي نزيل القاهرة: قرأت هذا الجزء المبارك على مولانا، الأستاذ الأجل، المسند المحقق، الحجة العمدة، صاحب الفضيلة السيد: أحمد رافع الطهطاوي، في منزله بالحلمية الجديدة، بمدينة القاهرة، في مجلس واحد، ليلة الثلاثاء، سادس المحرم، افتتاح سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف، وأجاز لي روايته عنه)

ثم ساق الشيخ محب الدين أسانيد السيد أحمد رافع، ثم أثبت بعدها تصديق السيد أحمد رافع على القراءة والإجازة، ما نصه: (صحيح ما ذكر من القراءة والإجازة، في التاريخ المذكور، كتبه الفقير: أحمد رافع الطهطاوي الحنفي، غفر الله له)، ثم ساق الشيخ محب الدين تحريرًا دقيقًا للسيد أحمد رافع رحمه الله، صحح فيه سقطًا وقع في سماعات الجزء الحديثي المذكور.

فصل

يروي عن: ١ ـ العلامة شيخ الإسلام الشمس محمد بن محمد الأنبابي بأسانيده التي فصلها الطهطاوي في كتابه المسمى: (القول الإيجابي، في ترجمة الشمس الأنبابي).

(١) أربعون حديثا، رواية شيخ الإسلام ابن تيمية، عن أربعين من كبار مشيخته رجالا ونساء/ص٤/، ط: المطبعة السلفية، القاهرة، سنة ١٣٤١هـ.

٢ ـ ويروي أيضًا عن والده محمد بن عبد العزيز الطهطاوي، وهو عن جده لأمه العلامة القاضي الشيخ علي بن محمد الفرغلي الأنصاري، وهو جد والدته، أبو أمها، توفي سنة ١٢٨١هـ، قال عنه في: (الثغر الباسم): (كان من أبطال المدرسين، وأقيال المحققين، وقد كتب له الشيخ محمد الأمير الكبير إجازة بخطه على ظاهر ثبته المشهور في ٨ رجب من سنة ١٢٢٧هـ، وكذا الشيخ داود بن محمد القلعي الشافعي، والشيخ حسن العطار، والسيد أحمد الطحطاوي محشي الدر وغيرهم).

٣ ـ ويروي أيضًا عن العلامة أبي الحسن علي بن خليل السيوطي، وهو عن علي عبد الحق القوصي، عن العلامة محمد الأمير الكبير.

٤ ـ وحضر على العلامة البرهان إبراهيم السقَّا، وسمع منه الحديث المسلسل بيوم عاشوراء فقط، وليس له عنه رواية سواه، قال الحافظ أحمد بن الصديق الغماري: (وسمع مسلسل عاشوراء من البرهان السقا في بيته قبل وفاته بعام، إلا أنه لم يستجزه، وكان يتحسر على ذلك لما صار يشتغل بعلم الإسناد؛ لعلو سند البرهان السقا)[1].

٥ ـ ويروي أيضًا عن العلامة محمد بن جعفر الكتاني ت ١٣٤٥هـ، ٦ ـ وقد تدبج مع العلامة عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي الدهلوي الهندي محدث مكة ومسندها، بل والحجاز في عصره، ٧ ـ بل تدبج مع تلميذه السيد أحمد بن الصديق الغماري بحضور محدث الحرمين العلامة عمر حمدان المحرسي.

وقد سمع الحديث المسلسل بالأولية من العلامة محمد الأشموني الأزهري

(١) البحر العميق /١/٢١٩/.

ت١٣٢١هـ، وهو من علي بن عيسى النجاري ـ بتقديم النون الموحدة على الجيم ـ توفي ١٢٥٦هـ، وهو من الأمير الكبير المتوفى سنة ١٢٣٢هـ بأسانيده المذكورة في ثبته.

أما عن اتصالنا به فإنني أروي مروياته من طريق شيخنا العلامة المحدث السيد إبراهيم بن محمد بن الصديق الغماري، عن أخيه العلامة السيد عبد الله الصديق الغماري، وأخيه الحافظ أحمد بن الصديق، كلاهما عنه رحمه الله.

ومن طريق شيخنا العلامة علي جمعة، عن محمد ياسين الفاداني، عن عبد الستار الدهلوي، عنه.

(ح) وبواسطةٍ واحدةٍ من طريق شيخنا العلامة السيد الحسن بن محمد بن الصديق الغماري الحسني، عنه مباشرةً.

* * *

❁ العلامة المحدث النقاد الشيخ الجليل: أحمد بن معبد بن عبدالكريم بن سليمان بن حسن الفيومي الأزهري.

ولد يوم الاثنين ١٣٥٨/٩/٢٤هـ الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٣٩م.

وكان أول أشياخه هو خاله الشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل محمد خضرة، وعلى يديه تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ثم درس في المعاهد الأزهرية، ومنها إلى كلية أصول الدين، حيث حصل منها على الماجستير والدكتوراه والأستاذية، وقد تلقى العلم على الأكابر من علماء الأزهر الشريف، فقرأ: (فتح المغيث) للسخاوي بأكمله على العلامة الكبير

الشيخ محمد محمد السماحي ـ رحمه الله ـ؛ إذ كان يسكن بالقرب منه، فكان ربما أرسل إليه يدعوه للقراءة، وقرأ من المجموع للنووي شرح مهذب الشيرازي على الشيخ يوسف عبد الرازق، وهو تلميذ العلامة الشيخ عيسى منون وزوج ابنته، ودرس على الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، وعلى الشيخ مصطفى أمين التازي، وعلى الشيخ عبد الوهاب غزلان، والشيخ السيد أحمد صقر، والشيخ محمد محمد السماحي، ثم انتفع بالعلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ، وغيرهم.

والشيخ اليوم شيخُ المحدثين بالديار المصرية، من غير منازعة ولا مدافعة، فهو عارفٌ بالصنعة، بصيرٌ بالعلل، صاحب استقراءٍ تامٍّ لعددٍ من الكتب الكبرى في الحديث والرجال، خذ مثالًا على ذلك كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، فقد طالعه ترجمةً ترجمةً، مع المقارنة والتأمل والتدقيق، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي، قال لي الشيخ: (قرأته كاملًا، لأتأمل مدرسة الزبيدي في التخريج)، بل قلَّ كتابٌ من كتب الشيخ إلا وله عليه تعليقات وإحالات وهوامش، تدلك على تدقيقه وسعة اطلاعه.

ومن مؤلفات الشيخ كتاب: (ألفاظ الجرح والتعديل المفردة والمركبة) مجلد، وكتاب: (الحافظ العراقي وجهوده في الحديث الشريف) ستة مجلدات، وكتابه: (إرشاد القاري، إلى النص الراجح لحديث: «ويح عمار» في صحيح البخاري، وأثر ذلك في تحقيق معنى الحديث وفقهه)، وكتاب: (الحاسب الآلي واستخداماته في مجال السنة النبوية وعلومها، بين النشأة والتطور)، وتعليقاته النفيسة الحافلة بالعلم على كتاب: (النفح الشذي، على سنن الترمذي) لابن

سيد الناس، أخرج منها ثلاثة مجلدات وغيرها، وله أيضًا بحث لطيف عنوانه (علوم الحديث بين المتقدمين والمتأخرين)، (سيف بن عمر التميمي، وتحقيق الأقوال في حاله، وفي درجة مروياته).

وهو يروي عن جماعة منهم: ١ ـ العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، ٢ ـ والعلامة الأصولي الفقيه مسند العصر الشيخ محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني ت١٤١٠هـ، ٣ ـ والعلامة المحدث عبد الفتاح أبو غدة ت١٤١٧هـ، ٤ ـ وشيخنا سماحة الإمام الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، ٥ ـ والمعمر الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الملا الأحسائي ت١٤٢١هـ، ٦ ـ والشيخ عبد القادر كرامة الله البخاري الرابغي، ٧ ـ والشيخ حماد بن محمد الأنصاري، ٨ ـ والشيخ حمود بن عبد الله التويجري بما في ثبته: (إتحاف النبلاء، بالرواية عن الفضلاء)، ٩ ـ والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث الكتاني بما في ثبته، ١٠ ـ والشيخ محمد بن سعد بن بدران الدمياطي الشاذلي القاوقجي، ١١ ـ والشيخ عبد الغفار حسن الباكستاني المتوفى يوم ٣ ربيع الأول ١٤٢٨هـ، ١٢ ـ والملكة فاطمة الشفاء ابنة الشريف أحمد السنوسي بأسانيدها المشهورة، وغيرهم ممن ضمنهم ثبته.

وقد انتفعت به، وتعلمت منه، وترددت عليه، وباحثته، وسمعت من فوائده وتدقيقاته، وتدبجت معه بطلب منه، تنزلًا وتكرمًا منه، من باب رواية الأكابر عن الأصاغر، وقرأت عليه كتاب: (التحفة المرضية، في حل بعض المشكلات الحديثية) للعلامة المحدث حسين بن محسن الأنصاري قراءة بحث وتأمل، وسمعت منه مسلسل الأولية، وأجاز لي إجازة عامة غير

مرة، منها مرة أجاز فيها لي ولبعض رفاقي ليلة الخميس ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٢هـ، موافق ٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

* * *

❁ العلامة الفقيه الشيخ: شهاب الدين أحمد بك بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الحسيني الشافعي الأزهري.

ولد سنة ١٢٧١هـ، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ.

حضر دروس البرهان السقا، والعلامة الخضري، ولازم الشمس الأنبابي خمس عشرة سنة، وقرأ عليه، وانتفع به، والشمس الأنبابي انتفع بالبرهان الباجوري، وتفقه به، والباجوري كان آيةً في تفهيم العلم، وكان صاحبَ مقدرةٍ على التوضيح والتسهيل، وإيصال المسائل، تأثرًا منه بطريقة شيخه محمد الفضالي، فالبرهان الباجوري هو الذي أسس هذه المدرسة في الحقيقة.

وكانت أسرته أسرة علم وفضل، ومخالطة للعلماء، فقد قال هو مثلًا في (مقدمة شرح الأم) عن العلامة حسن العطار: (وكان بينه وبين سيدي الجد السيد يوسف الحسيني نسب؛ فإنَّه تزوج شقيقته، فأولد منها: سيدي الوالد، فهو ـ يقصد العطار ـ خال والدي).

وقد ولد لصاحب الترجمة عدد من الأولاد، منهم بنت، زَوّجها تلميذه الشيخ صالح الهلالي، وكان صاحب مكتبة لطباعة الكتب في خان جعفر.

وكان صديقه العلامة الشيخ محمد محمد خليفة الأزهري الشرقاوي الشافعي ت١٣٥٩هـ حافظا للمذهب الشافعي، متضلعا منه، وهو الذي اشترك معه في طبع كتاب الأم.

أما مؤلفاته فمنها: (البيان، في أصل تكوين الإنسان) ذكر فيه كلام الأطباء في كيفية التناسل، طبع في مطبعة كردستان سنة ١٣٢٨هـ، (بهجة المشتاق، في حكم زكاة الأوراق)، طبع في مطبعة كردستان سنة ١٣٢٩هـ، (القول الوضاح، في أن الأكل من الأضحية المعينة بالجعل، منه سُنة، ومنه مباح) طبع في بولاق سنة ١٣٢٢هـ، وقد ناقشه فيه بعضهم، فرد عليه بكتاب آخر اسمه: (دفع الخيالات، في رد ما جاء على القول الوضاح من المفتريات)، (القول الفصل، في قيام الفرع مكان الأصل) طبع في بولاق سنة ١٣١٩هـ، (تحفة الرأي السديد، لفتيا التقليد والتجديد) طبع في مطبعة كردستان سنة ١٣٢٦هـ، (دليل المسافر، في بيان ما اختص هو به من العبادة صومًا وصلاةً وما يتعلق بذلك) عُنِيَ فيه بتحرير القول في مسافة القصر، وتقدير مسافته بآلات المساحة الحالية، (نهاية الإحكام، في بيان ما للنية من الأحكام) وغير ذلك.

وقد اعتنى ـ رحمه الله ـ بكتاب: (الأم) لإمام المذهب أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وأنفق في خدمته عمره، وطبعه على نفقته، وشرحه شرحًا واسعًا، قال العلامة الفقيه المحقق أحمد ميقري شميلة الأهدل في: (سلم المتعلم المحتاج): (ثم كتاب: «الأم» من أعظم كتب الشافعية، الشرقية والغربية، صنفه إمام المذهب: محمد بن إدريس الشافعي، رضي الله تعالى عنه، جمع فيه أصول المذهب وفروعه، عبادة ومعاملة، مع بيان النصوص القرآنية والحديثية، التي أداه اجتهاده باستنباط الأحكام منها.

وكان عزيز الوجود، تسمع به الأمة ولا تراه، إلى أن قيض الله صاحب الهمة الشماء، علامة دهره في عصره، سعادة: صفي الدين أحمد بك الحسيني المعظم ـ رحمه الله تعالى ـ فجمع أجزاءه المتفرقة بعد شتاتها، من مصر، فالحجاز، فاليمن، فالشام، فأوربا، برواية صاحب إمام المذهب ـ رحمه الله تعالى ـ عنه، الربيع بن سليمان المرادي رحمه الله، فطبع على نفقته وانتشر)[1].

قلت: وشرحه على كتاب الأم كبير جدًّا، وقد سماه: (مرشد الأنام، إلى بر أم الإمام)، وقد شرح فيه أبواب العبادات في أربعة وعشرين مجلدًا، قدم له بجزء في تراجم أئمة الشافعية إلى طبقة مشايخه، ومخطوطه موجود في دار الكتب المصرية، وقد اطلعت على بعضه، وطالعت منه قدرًا، ومقدمته في غاية الأهمية، حيث اشتملت على قواعد مذهب الشافعية، وعلى تراجم أعيان المذهب، من الإمام الشافعي رحمه الله إلى طبقة أشياخة السيد أحمد بك الحسيني، رحم الله الجميع.

وكانت علاقته حميمة بعلماء حضرموت، من أعيان السادة آل باعلوي، وعلى رأسهم العلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، والعلامة علي بن محمد بن حسين الحبشي، وأخيه الحبيب شيخ بن محمد بن حسين، وكان الوافدون من الديار الحضرمية يقصدونه بالزيارة، كما وقع للحبيب حسن بن عبد الله بن عبد الرحمن الكاف ت١٣٤٦هـ، فقد نزل مصر سنة ١٣٣٠هـ، ومعه الشيخ محمد بن عوض بن محمد بافضل، فحرصا على زيارة المترجم، وكان دليلهما إليه العلامة محسن بن ناصر بو حربة، شيخ رواق الحضارم في الأزهر الشريف، وكان بصحبة الحبيب حسن الكاف مكتوب من

(١) سلم المتعلم المحتاج، إلى معرفة رموز المنهاج /ص٤٤.

الحبيب أحمد بن حسن إلى السيد أحمد بك الحسيني، وقد استجاز الحبيب حسن الكاف والشيخ بافضل من العلامة أحمد بك الحسيني، فحرر لهما إجازة مؤرخة بيوم الاثنين، الثاني من ذي القعدة، سنة ١٣٣٠هـ، روى فيها من طريق الأنبابي والخضري، ونص الإجازة موجود في رحلة الحبيب حسن بن عبد الله الكاف، وجزى الله بالخير والفضل من نبهني إليها، وهي مطبوعة.

ومما ذكره الحبيب حسن الكاف في ذلك اللقاء أنه نقل له السلام من أعيان السادة آل باعلوي، وقال له: (إن أهل الجهات الحضرمية تلقوا كتبكم بالقبول التام).

يروي عن: ١ ـ البرهان إبراهيم السقا وقد تقدمت أسانيده في ترجمته، ٢ ـ وعن شيخ الإسلام الشمس محمد بن حسين الأنبابي، ٣ ـ وعن الشمس محمد الخضري الأزهري، ٤ ـ وعن السيد محمد عبد الحي الكتاني، وقد رأيت إجازته لأحمد بك الحسيني في ورقة مصورة من خطه، ٥ ـ وعن العلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس تدبيجا.

وقد أمدني المسند البحاثة المتقن المُحَرِّرُ، فضيلة الشيخ خالد السباعي ـ حفظه الله ورعاه ـ بوثيقةٍ مهمة، وهي ورقةٌ بخطِّ مسند الدنيا العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني، سجل فيها ـ رحمه الله ـ توثيقًا وتدوينا لمجلسٍ حديثيٍّ مشهود، انعقد في بيت السيد أحمد بك الحسيني صاحب الترجمة، وقد اجتمع في ذلك المجلس كوكبة من أكابر علماء الأزهر الشريف، بل كان المجلس غاصًّا بهم، وإن كانت الوثيقة المذكورة مبتورة من آخرها، فلم أر التصريح من السيد عبد الحي بالإجازة للمذكورين، ولكن السياق يحملني على الجزم بذلك،

قال مسند الدنيا السيد عبد الحي الكتاني بعد الديباجة ما نصه: (أما بعد، وفي كل ركب بنو سعد، فيقول الفقير الأفقر، خويدم الحديث والإسناد بالديار المغربية: محمد عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير الكتاني الحسني، كان الله تعالى له ووفقه، وفي كل مشهد أوقفه وحققه، آمين: لما حللتُ في مدة الوجهة الحجازية، بالديار المصرية، أمَّنهما الله تعالى وسائر مدن الإسلام، اجتمع عليَّ في بيت الشهم الهمام، الفاضل القمقام، تاج الفضلاء، وأحد النبلاء، العالم الوجيه، السيد الشريف: أحمد بك الحسيني، جماعةٌ من أهل العلم والفضل، وذوي الرجاحة والنبل، كالعالم الصوفي الفاضل مولانا الشيخ: سعيد بن علي بن محمد الموجي الغرقي الشافعي، المدرس بالأزهر، والعالم الفاضل الكامل الشيخ: محمد بن موسى البحر الشافعي، أحد الأفاضل المدرسين بالأزهر المعمور، والعالم الصوفي الأديب البليغ المنشي مولانا الشيخ: يوسف بن سالم بن شُرَّاب العباسي الغزي الحنفي الشاذلي، المدرس بالأزهر، والعالم الفاضل المدرس مولانا الشيخ: محمد فراج بن الشافعي الضرير الشافعي الشاذلي، المدرس بالأزهر، والعالم الفاضل الدراك الشيخ السيد: أحمد الحلبي بن محمد الحملاوي الشافعي الخلوتي، أحد مدرسي الرياضة بالأزهر الشريف، وناظر مدرسة المرحوم عثمان باشا الدينية، صاحب التآليف اللطيفة، وحضرة العالم الفاضل الماجد مولانا الشيخ: محمد بن محمد بن محمد الحلبي الصَّنْعَيْني مولدا وبلدا، الشافعي الخلوتي، المدرس بالأزهر الشريف، والعالم الفاضل الكامل الشيخ: محمد بن أحمد باشا بن حسين الشافعي الأزهري القادري، والعالم الفاضل الكامل، النقاد الوقاد، مولانا الأستاذ: أحمد بن حسن بن خميس بن علي، المعروف بالطلاوي، الشافعي الخلوتي الأزهري، صاحب التآليف الحسنة، والعالم الفاضل الكامل

الشيخ: محمد بن حسن بن عبد الوهاب الأسيوطي الحنفي، والعالم الفاضل الجليل الشيخ: أمير بن حسن بن علي شرارة الإسكندري الحنفي الأزهري، والعالم الفاضل مولانا الشيخ: خليفة بن فتح الباب محمد بن علي الحناوي الشافعي الأزهري، والعالم الفاضل الشيخ: علي رجب الصالحي الفشني المالكي الخلوتي، والعالم الفاضل المدرس مولانا الشيخ: علي بن إبراهيم البرلسي الحنفي الشاذلي الخلوتي الأزهري، ومولانا العالم الفاضل، الكامل المعمر، مولانا الشيخ: عبد البر بن شيخ المشايخ الشيخ أحمد منة الله المالكي الأزهري، ومولانا العالم الفاضل الكامل المدرس مولانا السيد الشيخ: محمد بن شيخ العلماء مولانا الشيخ محمد عليش المالكي، والعالم الفاضل المدرس الجليل مولانا الشيخ: محمد الإمام بن شيخ الإسلام مولانا الشيخ إبراهيم السقا الأزهري، والعالم الفاضل الكامل الشهير المقدام مولانا الشيخ: محمد راضي بن راضي البحراوي الحنفي الأزهري، وأديب مصر العالم الفاضل الكامل مولانا الشيخ: سليمان العبد الشافعي الخلوتي الأزهري الشهير، وفقيه الديار المصرية العالم الفاضل الكبير الشيخ السيد: علي بن محمد عاشور الصدفي الحنفي، وشيخ علماء دمياط مولانا الفاضل العالم الكبير الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الحي بن الشيخ محمد الخضري مُحَشِّي ابن عقيل، بيت العلم الشهير، وقاضي مدينة بني سويف الشيخ: إبراهيم بن أحمد بن حسين (ثم كلمة غير مقروءة)، وشيخ القراء بالديار المصرية..).

ثم بياض من بعد ذلك إلى آخر الصفحة، وتنتهي طبقة السماع على هذا النحو، ولا يخلو ما نقلته هنا من شيء من التصحيف في ألفاظ يسيرة، عَسُرَ عليَّ قراءتها، ومن هذه الوثيقة ترى صورة من مجالسهم المعمورة رحمهم الله، وكيف كانت غاصَّة بالأئمة والأكابر، وترى كيف أن الطبقة المذكورة

لم تُوَفَّ حقها، ولم يتتبع أحد أعيانها، بخلاف حال طبقة مشايخهم وآبائهم، وترى أيضا منزلة السيد أحمد بك الحسيني وأن داره كانت مقصد العلماء والوجهاء والفضلاء، فرحم الله أهل العلم بواسع فضله رحمته.

نروي مروياته من طريق شيخنا العلامة المحدث أحمد معبد عبد الكريم الأزهري، عن الإمام الشيخ محمد ياسين الفاداني، عن محمود بن رشيد العطار، عنه.

(ح) وعن العلامة الإمام الحبيب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف، عن أبيه، عن العلامة الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، عنه، تدبيجا.

(ح) وعن الحبيب زين بن سميط نزيل المدينة المنورة، والحبيب سالم بن عبد الله الشاطري، والسيد محمد بن علوي المالكي، والحبيب أبي بكر العدني بن عبد الرحمن المشهور أربعتهم عن المعمر الحبيب عبد الرحمن بن أحمد الكاف، عن الحبيب حسن بن عبد الله بن عبد الرحمن الكاف، عنه.

* * *

❁ العلامة المحدث الناقد السيد: أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر بن عبد الوارث الأزهري الحسيني.

ولد بعد فجر الجمعة ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩هـ، الموافق ٢٩ يناير ١٨٩٢م، وكان تلقيه للعلم حقيقة على يد أبيه العلامة الشيخ محمد شاكر، وكيل الأزهر الشريف، فقد أقرأه في التفسير: تفسير البغوي وتفسير النسفي، وفي الحديث: صحيح مسلم، وسنن الترمذي، والشمائل، وسنن

النسائي، وبعض صحيح البخاري، وفي الأصول: جمع الجوامع للتاج السبكي، وشرح الإسنوي على منهاج البيضاوي، وفي المنطق شرح الخبيصي، وشرح القطب على الشمسية، وفي الفقه الحنفي: كتاب الهداية، وفي البيان: الرسالة البيانية، إلى غير ذلك من الرسائل والعلوم المختلفة، وقد ذكر ذلك كله العلامة الشيخ أحمد شاكر وهو يتحدث عن أبيه في مقال منشور في مجلة المقتطف، إلى أن قال: (وقد تلقيت عنه أكثر العلوم العالية، ولازمت دروسه أكثر من ثمان سنين، في الصباح والمساء).

وقد حضر صاحب الترجمة أيضًا على العلامة الشيخ محمود أبو دقيقة، والعلامة الشيخ عبد السلام الفقي، والعلامة الشيخ إبراهيم الجبالي، والعلامة الشيخ محمد مصطفى المراغي، وغيرهم.

وقد انقطع العلامة السيد أحمد شاكر للتصنيف، وتحقيق التراث، فلم يتتلمذ عليه أحد مباشرة فيما نعلم، أو لم يشتهر أحد بذلك إلا قليل، فقد كان العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة يتردد عليه، وينتفع به، وإنما انتفع الناس بكتب العلامة الشيخ شاكر ومؤلفاته.

وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى في الساعة السابعة والنصف، من صباح يوم السبت، ٢٦ من ذي القعدة ١٣٧٧هـ، الموافق ١٤ يونيه سنة ١٩٥٨م[1].

(١) محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر إمام المحدثين، مجلة المجلة، القاهرة، العدد (١٩)، (١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م)، وهو في كتاب: جمهرة مقالات محمود شاكر ٢/١٠١١، ومحمد عزت الطهطاوي، الشيخ أحمد محمد شاكر إمام من أئمة الحديث في هذا العصر، مجلة الأزهر، العدد (٥) السنة الثانية والستون - (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، والسيد الجميلي، طبقات المحققين والمصححين (أحمد محمد شاكر)، مجلة الأزهر، العدد (١١) السنة الثامنة والستون - (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

وأما والده العلامة محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر الحنفي الجرجاوي فقد ولد في العشر الأوسط من شهر شوال، سبعة عشر أو ثمانية عشر منه، سنة ١٢٨٢هـ، فأخذ العلم بجرجا عن ساداتها، مثل العلامة عبد الله بن محمد السيوطي، والعلامة خليل بن رضوان المصري، والعلامة حجازي بن محمد بن عبد الله العناني الحنفي، ثم رحل إلى الأزهر الشريف، فتلقى على أئمته الأكابر، مثل العلامة محمد المهدي العباسي الحنفي، والعلامة الشيخ محمد الملقب بأبي خطوة، والعلامة حسن الطويل المالكي، والعلامة هارون عبد الرازق المالكي، والعلامة محمد البحيري الشافعي، والعلامة محمد المغربي، والعلامة محمد أبو الفضل الجيزاوي، والعلامة أحمد الدرستاوي الحنفي الشامي وغيرهم، ثم أخذ الأوراد والأذكار من الإمام أحمد بن شرقاوي المالكي.

ثم تولى وظيفة قاضي قضاة السودان، ثم انتقل منها إلى مشيخة معهد الإسكندرية، بأمر من الخديوي عباس حلمي الثاني، ثم صار وكيلا للأزهر الشريف، وقد توفي الشيخ محمد شاكر صباح الخميس ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨هـ- ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٩م، وقد ترجم له صديقه العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي في: (تعطير النواحي والأرجا)[1].

وقد ترجم العلامةُ السيدُ أحمد شاكر لوالده ترجمةً حسنةً، في تقدمته على شرحه لسنن الترمذيّ، فذكرني بعددٍ من العلماء ترجموا لآبائهم، منهم التاج السبكيُّ، فقد ترجم لأبيه في أواخر: (طبقات الشافعية الكبرى)، ومنهم الحافظ التقيُّ الفاسيُّ، فقد ترجم لأبيه في: (العقد الثمين)، ومنهم

(١) تعطير النواحي والأرجا، بذكر من اشتهر من علماء وأعيان مدينة الصعيد جرجا ٢/١٥٦.

ابن قوام البالسي، فقد ترجم لأبيه في جزء مستقل، أورد منه التاج السبكي نُتَفًا في: (طبقات الشافعية الكبرى)، ثم رأيت ذلك الجزء مطبوعا بعد ذلك، ومنهم الحافظ الأصولي الولي العراقي فقد ترجم لأبيه الحافظ الحافظ الزين العراقي في جزء مفرد، ومنهم العلامة بدر الدين العينيُّ صاحب: (عمدة القاري)، فقد ترجم لأبيه في تاريخه: (عقد الجمان)، ومنهم النجم الغزيُّ، فقد ترجم لوالده بدر الدين، ولجده رضيّ الدين في كتاب مستقل اسمه: (بلغة الواجد، في ترجمة الجد والوالد)، ومنهم عبد الرحمن بن حسن الجبرتيُّ، فقد ترجم لأبيه في تاريخه المشهور: (عجائب الآثار)، ومنهم العلامة الجمال القاسمي، فقد ترجم لأبيه في كتابه: (طبقات مشاهير الدمشقيين)، ومنهم السيد محمد عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتاني، فقد ترجم لأبيه في: (فهرس الفهارس)، ومنهم الحافظ أحمد الصديق الغماريُّ، فقد ترجم لأبيه في كتاب مستقل اسمه: (سبحة العقيق، في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن الصديق)، ثم في كتاب آخر اسمه: (التصور والتصديق، بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق) وهو مطبوع، ومنهم شيخنا العلامة محمد سعيد رمضان البوطي، فقد ترجم لوالده العلامة الملا رمضان في كتاب مستقل اسمه: (هذا والدي)، وغيرهم كثير، وحبذا لو أن أحدًا تتبع هذا المعنى ولو في مقالة، والمقصود أن أسرة آل شاكر من الأسرة العلمية الجليلة، التي أَمَدَّت الأمةَ بعددٍ من الأعلام، ضربوا بأسهمٍ وافرة في فنون العربية والحديث والتفسير والمنطق وغيرها من العلوم، وهي أنموذج للأسر العلمية التي شهدها تاريخنا العلمي العريق؛ إذ شكلت ظاهرة الأسر العلمية واحدة من الظواهر العلمية الفريدة التي تستحق التوقف عندها.

فصل

وكنتُ قد جمعتُ رسالةً لطيفةً عن الأسر العلمية في تاريخنا، وقد خطر لي أن أوردها هنا، وهذا نصها: (**بسم الله الرحمن الرحيم**، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد. فلقد شهد تاريخ المسلمين عددًا من الأسر العلمية العريقة، وبيوتات الفضل والعلم، التي توارثت العلم كابرًا عن كابر، وما تلقاه منهم واحد، حتى ورثه منه ذووه وأقاربه، فتسلسل العلم في تلك الأسرة، واشتهر منها غير واحد من أهل الفضل.

والذي يستوقفني في ظاهرة الأسر العلمية هو كيفية توريث العلم، والمسالك التي كانت تسلكها تلك الأسر في التربية، وما كان يشيع فيها من جو علمي، تنبعث به الهمم، ويصنع فيه الرجال، حتى تميزت تلك الأسر عن غيرها من الأسر التي نبغ فيها الواحد من العلماء، ثم لم يتابعه في ذلك أحد من ذويه، فهذا باب جدير بالنظر والتأمل، وهو الفوارق التي تميزت بها تلك الأسر حتى نبغ منها عدد من العلماء، ولقد ذكر ابن المعلم القرشي في: (الجواهر المضية) أمورًا من صعوبة تعلم النساء ثم قال: (وهذه الأشياء كلها مانعة لهن من التعليم والتعلم، اللَّهُمَّ إلا أن يكون الواحدة منهن فى قعر بيتها مستغنية بعلماء بيتها، كزوجٍ وعمٍ وأخٍ وخالٍ وجدٍّ وأبٍ، إلى غير ذلك من الإلزام، وسيأتي فى ترجمة فاطمة السمرقندية بنت محمد بن أبي أحمد، صاحب التحفة، وزوج أبي بكر بن مسعود صاحب البدائع، أن الفتوى كانت تخرج من بيتها وعليها خطها وخط أبيها وزوجها، وقد بلغنا عن بلاد ما وراء النهر وغيرها من البلاد أن فى الغالب لا يخرج فتوى من بيت إلا

وعليها خط صاحب البيت وابنته وامرأته أو أخته)[١].

ثم قال في ترجمتها: (فاطمة بنت محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي مؤلف التحفة، تقدم، وهي زوجة الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني صاحب البدائع، تقدم في الكنى، تفقهت على أبيها، وحفظت مصنفه التحفة، قال ابن العديم: حكى والدي أنها كانت تنقل المذهب نقلًا جيدًا، وكان زوجها الكاساني ربما يهم في الفتيا فترده إلى الصواب، وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، قال: وكانت تفتي، وكان زوجها يحترمها ويكرمها، وكانت الفتوى أولًا يخرج عليها خطها وخط أبيها السمرقندي، فلما تزوجت بالكاساني صاحب البدائع كانت الفتوى تخرج بخطوط الثلاثة، قال داود بن علي ـ أحد فقهاء الحاوية بحلب ـ: هي التي سنت الفطر في رمضان للفقهاء بالحلاوية، كان في يديها سواران فأخرجتهما وباعتهما وعملت بالثمن الفطور كل ليلة، واستمر على ذلك إلى اليوم)[٢].

قلت: فانظر إلى هذه البيئة العلمية المعمورة، وإلى هذه الأسرة العلمية المباركة، فما أحسنه من نمط تزكو فيه العلوم والمعارف.

وأقول: أقلُّ ما يصح أن يسمى أسرة علمية فيما أقدر أن يخرج من الأسرة الواحدة أب وابنه، أو جد وحفيده، أو عدد من الإخوة، فضلًا عن البيوت التي استفاض فيها العلم، وتحملته منهم طبقات وأجيال، والأسر العلمية بهذا الشرط كثيرة جدًّا.

قال الإمام أبو عبد الله الحاكم في (معرفة علوم الحديث): (قال

(١) الجواهر المضية /٢/٢٧٦/، وانظر حاشية ابن عابدين /١/١٠٠/.
(٢) الجواهر المضية /٢/٢٧٨/.

أبو عبد الله: قد ذكرت من الإخوة في بلدان المسلمين بعض ما يستفاد، وفيه ما يستغرب، ويَعَزُّ وجوده في كتب المتقدمين؛ فاني أخذت أكثره لفظًا عن أئمة الحديث في بلدي وأسفاري، وأنا ذاكرٌ بمشيئة الله تعالى مالا أحسب ذكره غيري، من الإخوة في علماء نيسابور)[١]، ثم قال بعدها مباشرة: (ذكر الإخوة من علماء نيسابور، على غير ترتيب وتقديم وتأخير)، فساق تحت هذا العنوان فصلا ماتعا، ولا يخفاك أنهم جميعًا أسر علمية عريقة.

والمقصود أنني سوف أذكر هنا جملة من الأسر العلمية، وأما الاستقصاء والحصر فليس من غرضي، وإنما غايتي في كثير مما أجمعه من التآليف الصغيرة هو فتحُ بابِ النظر في هذا المعنى، ثم أترك مجال الاستدراك لمن يأتي من بعدي.

فصل

وأما عن الأسر العلمية في مكة المكرمة زادها الله تعالى شرفًا وتمجيدًا، فقد ألفت الأستاذة: خلود عبد الباقي إبراهيم البدنة كتابها: (الأسر العلمية في مكة المكرمة، وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي)، وهو أطروحتها للماجستير في جامعة طيبة.

وأما عن الأسر العلمية في دمشق فقد كتب الدكتور محمد بن عزوز كتابه: (بيوتات الحديث بدمشق)، وهو دراسة لمشاهير أعلام الأسر العلمية بدمشق، مع تتبع أخبارهم وسيرهم وفضائلهم وتراثهم العلمي.

وأما عن الأسر العلمية في بغداد فقد ألّف السيد محمد سعيد الراوي

(١) معرفة علوم الحديث/ص١٥٥.

البغدادي كتابه: (تاريخ الأسر العلمية في بغداد)، وقد صدر بتحقيق الدكتور عبدالسلام رؤوف، يحكي الكتاب تاريخ الأسر البغدادية الرئيسية، وإن كانت تنحدر من أصول غير بغدادية، إلا إن ما جمع بينها هو إقامتها في مدينة بغداد مدة طويلة من الزمن حتى عدَّت من أهلها.

وأما عن الأسر العلمية في بلاد الأندلس، فقد ألف الأستاذ الدكتور محمد بن زين العابدين رستم كتابًا حافلا، عنوانه: (بيوتات العلم والحديث في الأندلس)، وهو مطبوع.

وأمَّا الأحساء فغلب على أهلها المذهب المالكي، واشتهرت به أسر علمية كاملة من أمثال: آل كثير وآل موسى وآل زواوي وآل غنام وآل مبارك وآل مشرف وآل عكاس، وللمؤرخ الشيخ جواد بن حسين الرمضان كتاب: (أعلام الأحساء)، وهو مهم في تتبع الأسر العلمية وأصولها وأعيانها في الأحساء.

وأما عن الأسر العلمية في مدينة جرجا في صعيد مصر، من أمثال بيت الأشراف الأنصار المعروف بالبيت الأصيل، وبيت الشيخ المصري، وبيت القاضي المهندس، وبيت الشريف الزيتوني، وبيت الخياط، وبيت السيوطي، فقد تتبع أخبارهم وأعيانهم العلامة الكبير، جبرتي الصعيد؛ الشيخ محمد بن محمد بن حامد المراغي الجرجاوي في كتابه: (تعطير النواحي والأرجا، في تراجم علماء جرجا)، وهو مخطوط.

وأما عن الأسر العلمية في المغرب فقد جمع العلامة القاضي عبد الحفيظ الفاسي كتابا عنوانه: (أشهر مشاهير العائلات).

كما أن هناك العديد من الأسر العلمية التي ظهرت في مجال العلوم البحتة منهم: أسرة بني موسى بن شاكر، التي نبغت في علوم الفلك والهندسة والحيل «الميكانيكا» والمساحة والفيزياء، وكان قوامها الأبناء الثلاثة محمد وأحمد والحسن.

وقد ألف الأستاذ الدكتور خالد أحمد حسنين علي حربي كتابًا مهمًّا اسمه: (الأسر العلمية، ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية) وهو مطبوع، تكلم فيه على خمسِ أُسَر، اثنتين من الأسر التي نبغت في العلوم البحتة، مثل: بني موسى بن شاكر، وبني زُهْر، وثلاثة من الأسر التي نبغت في حركة النقل والترجمة، مثل: بني حنين بن إسحاق، وبني قرة، وبني بختشيوع، وهو كتاب مهم.

فصل

ثم إن مقصودنا من هذا التأليف اللطيف هو تلك الأسر التي اشتغلت بالعلوم الشرعية، فمنهم:

آل **منده**، وقد أفرد لهم الحافظ الذهبي كتابًا اسمه: (معرفة آل منده)، وقال في: (تذكرة الحفاظ): (واستوفينا ذكر أبي عبد الله في: كتاب آل منده)[1].

ومنهم آل شيبة، أبو بكر وعثمان والقاسم، قال الإمام النووي في: (شرح صحيح مسلم): (وأما أبو بكر بن أبي شيبة فاسمه عبد الله وقد أكثر مسلم من الرواية عنه وعن أخيه عثمان ولكن عن أبي بكر أكثر

(١) تذكرة الحفاظ /٣/١٠٣٥.

وهما أيضًا شيخا البخاري، وهما منسوبان إلى جدهما واسم أبيهما محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتِي بخاء مُعْجَمة مضمومة ثم واو مُخَفَّفَة ثم ألف ثم سين مُهْمَلَة ساكنة ثم تاء مُثَنَّاة من فوق ثم ياء مثناة من تحت.

ولأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة أخ ثالث اسمه القاسم ولا رواية له في الصحيح، كان ضعيفًا، وأبو شيبة هو إبراهيم بن عثمان وكان قاضي واسط وهو ضعيف متفق على ضعفه، وأما ابنه محمد والد بني أبي شيبة فكان على قضاء فارس وكان ثقة قاله يحيى بن معين وغيره، ويقال لأبي شيبة وابنه وبني ابنه: عَبْسِيُّون بالموحدة والسين المهملة.

وأما أبو بكر وعثمان فحافظان جليلان واجتمع في مجلس أبي بكر نحو ثلاثين ألف رجل، وكان أجلَّ من عثمان وأحفظ، وكان عثمان أكبر منه سنًّا، وتأخرت وفاة عثمان فمات سنة تسع وثلاثين ومائتين، ومات أبو بكر سنة خمس وثلاثين)[1].

ومنهم السادة آل الحكم: عبدُ الرحمن بنُ بشرِ بن الحكم بن حبيب بن مِهْران العبديُّ النيسابوريُّ، شيخ صاحبي الصحيح، ففي: (مشيخة قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة)، تخريج الحافظ علم الدين البرزالي أن الإمام الحاكم النيسابوريَّ كان يقول: (هو العَالمُ ابنُ العالمِ ابنِ العالم)[2].

ومنهم آل الشحامية، قال الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في ترجمة أبي علي وقيل أبي حبيب الخليل بن وجيه بن طاهر الشَّحامي: (وهو من بيت الحديث والعدالة، وكانت له يدٌ باسطةٌ في كتابة السجلات والصكوك، وبيت

(١) شرح النووي على مسلم ١/٦٤.
(٢) مشيخة قاضي القضاة، شيخ الإسلام، بدر الدين بن جماعة، تخريج البرزالي ١/٨٩.

الشَّحاميَّة بيت الحديث، سمعت عن قريب من عشرين نفسًا منهم)[1].

ومنهم آل السبكي، شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، وأولاده: الإمام المجتهد تاج الدين، والإمام بهاء الدين، وغيرهم من رجال البيت السبكي ونسائه، إذ قد اشتغل بالعلم منهم عدد، وقد ألف فيهم الأستاذ محمد الصادق حسين كتابه: (البيت السبكي، بيت علم في دولتي المماليك)، طبع في دار الكتاب المصري.

ومنهم آل جماعة، الإمام عز الدين، والإمام بدر الدين، وقد أفرد لهم الحافظ السيوطي مؤلفًا مستقلًّا اسمه: (البراعة، في تراجم بني جماعة)، لا أعلم شيئًا عن مخطوطه.

ومنهم آل رُشْدٍ: العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ت٥٢٠هـ، صاحب: (البيان والتحصيل)، وولده العلامة أبو العباس أحمد ت٥٦٣هـ، وله: (تفسير للقرآن الكريم)، و(شرح على سنن النسائي)، حافل للغاية، ثم ولده قاضي الجماعة أبو الوليد محمد بن أحمد ت٥٩٥هـ، الفقيه الفيلسوف صاحب: (بداية المجتهد).

ومنهم آلُ مرزوق: محمد ابن مرزوق الكفيف، ووالده محمد بن مرزوق المشهور بالحفيد، ووالده أحمد بن مرزوق وأخوه أبو الطاهر أحمد، ووالدهما الخطيب ابن مرزوق، أما الخطيب ابن مرزوق الأكبر ت٧٨١هـ، وهو جدُّ هذه الأسرة المباركة فهو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي، من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب بشمس الدين، الإمام، فخر المغرب على المشرق، نادرة الدنيا، شارح البخاري، ثم إن

(١) المنتخب من مشيخة الحافظ أبي سعد ابن السمعاني ت٥٦٢هـ ٢/٧٧٨.

أعلمهم بعده هو الحفيد محمد بن أحمد ٨٤٢هـ، الأستاذ الإمام الحافظ النظار قرين الحافظ ابن حجر.

ومنهم آل باديس، قال العلامة ابن خلدون: (اجتمع أربعون عمامة من أسرة باديس في وقت واحد، في التدريس والإفتاء والوظائف الدينية).

ومنهم أسرة ابن مفلح، وقد ألف الدكتور عمار توفيق بدوي كتابًا (العلماء الكرميون، وأثرهم في الحضارة العربية الإسلامية، من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر الهجري)، أصدره مركز البحوث والدراسات الاسلامية، أكاديمية القاسمي، طولكرم، فلسطين، تناول في هذا الكتاب الحديث عن عدة أسر علمية في طولكرم، عبر التاريخ المذكور، منها أسرة ابن مفلح.

ومنهم آل البلقيني، شيخ الإسلام علم الدين صالح البلقيني، وأخوه قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، ووالدهما شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني.

ومنهم آل الأثير، وهم الأشقاء الثلاثة، أكبرهم مجد الدين صاحب (جامع الأصول)، وصاحب: (النهاية في غريب الحديث والأثر)، وأوسطهم عز الدين، صاحب (أسد الغابة)، وصاحب: (الكامل في التاريخ)، وأصغرهم ضياء الدين، صاحب: (المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر)، ويشتبه بآل الأثير المذكورين بيت آخر عرف أيضًا بآل الأثير، وقد ذكر الجمال ابن تغري بردي طرفًا من هذا في: (المنهل الصافي)، ثم قال: (وأولاد الأثير هؤلاء غير بني الأثير الموصليين)[1].

---

(١) المنهل الصافي /١/٣٠٠.

ومنهم آل الطبري، وأعني به الإمام المحب، وقد ألف الدكتور عائض الردادي كتاب: (الأسرة الطبرية المكية)، طبع في دار الرفاعي بالرياض، وسبقه إلى ذلك العلامة نجم الدين عمر بن فهد كتابًا مهمًا عنوانه: (التبيين، بتراجم الطبريين).

ومنهم آل السمعاني، وقد ألف الدكتور محمد بن سليمان الراجحي كتابه: (السمعانيون وجهودهم العلمية في المشرق الإسلامي).

ومنهم آل دقيق العيد، وأشهرهم شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد، ت٧٠٢هـ، وشقيقه أبو العباس أحمد القشيري ت٧٢٣هـ، وقد ترجم له الأدفوي في: (الطالع السعيد)، وابن تغري بردي في: (المنهل الصافي)، ووالدهما الإمام مجد الدين القشيري.

ومنهم آل تيمية، الجد العلامة الشيخ عبد السلام، وولده عبد الحليم، وولده تقي الدين أحمد وهو أشهرهم، والجد هو صاحب عمدة الأحكام، ولهم من التأليف كتاب: (المسودة في الأصول)، توارد ثلاثتهم على الكتابة فيه.

ومنهم آل الشمني، العلامة الإمام تقي الدين أحمد ت٨٧٢هـ ابن العلامة الرحلة المسند كمال الدين محمد بن محمد القسنطيني الأصل، السكندري المولد والوفاة، وترجمة التقي الشمني في: (الدرر الكامنة)، وفي (المنهل الصافي)، وقد اعتنى الشيخ الكمال بولده تقي الدين، فدرّس له بنفسه في العربية وغيرها، واستجاز له من القاهرة وغيرها، ثم استوطن به القاهرة، وأسمعه الحديث، وحضر به على أبي الفضل التلمساني وغيره.

ومنهم الحفاظ آل فهد: الحافظ التقي ابن فهد، وولده الحافظ نجم الدين عمر، وولده الحافظ عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد، وولده أبو الفضل محب الدين محمد جار الله بن عبد العزيز بن فهد، وفي (فهرس الفهارس) وقال عنه الحافظ الزبيدي عن عبد العزيز بن فهد: (أبوه وجده وجد أبيه حفاظ ومشايخه بالإجازة والسماع نحو من ثلاثمائة نفس أوردهم في كتاب له سماه: «ذروة العز والمجد، لمشايخ ابن فهد»، ساوي في الكثير مشايخ والده)(١)، حتى قال الكتاني في: (فهرس الفهارس): (وأنت إذا تأملت قل أن تجد في بيت في الإسلام أربعة من الحفاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد يتوارثون الحفظ والإسناد غير هذا البيت العظيم)(٢).

ومنهم بيت العلامة الحافظ تقي الدين الفاسي، فقد كان حافظًا جليلًا، ومن أشهر تصانيفه تاريخ مكة المسمى: (العقد الثمين)، ووالده القاضي شهاب الدين أحمد بن علي الفاسي ت٨١٩هـ، وقد ترجم له ولده في تاريخه المذكور.

ومنهم آل الغزي، العلامة الإمام نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد، بن رضي الدين محمد العامري الغزي، له ولأبيه ولجده تصانيف، وهم أئمة الشافعية في زمانهم، وقد جمع النجم الغزي الحفيد كتابه: (بلغة الواجد، في ترجمة الجد والوالد)، وقد تضمن من أخباره أيضًا قدرًا ليس بالقليل.

ومنهم آل الدهلوي، ورأسهم العلامة الشاه ولي الله الدهلوي الفاروقي، وولده الشاه عبد العزيز محدث الهند من بعده، وسبطه الشاه محمد إسحاق محدث الهند من بعدهم.

(١) فهرس الفهارس/٢/٧٥٥/.

(٢) فهرس الفهارس/٢/٩١٢/.

ومنهم آل الألوسي، العلامة الجليل، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله، صاحب روح المعاني، وولده نعمان، وحفيده محمود شكري.

ومنهم آل السنوسي، ورأسهم الإمام محمد بن علي السنوسي، ت١٢٧٦هـ في جغبوب، وحفيده الشريف أحمد السنوسي، ومن أبنائه عدد من الأعيان والعلماء، ومن ذرية السيد محمد بن علي الملك محمد إدريس السنوسي، آخر ملك من ملوك الإسلام تحمل الحديث بأسانيده، وأجاز وأجيز.

ومنهم آل عليش: العلامة محمد أحمد عليش ت١٢٩٩هـ، صاحب شرح مختصر خليل، وولده عبد الله، وولده محمد، وولده عبد الرحمن، وسبطه عبد الرحمن، وكلهم علماء، وقد سقت ما وقع لي من أخبارهم في ترجمة الشيخ عليش من هذا الكتاب.

ومنهم آل السويدي: العلامة محمد سعيد السويدي، ووالده العلامة أبو البركات عبد الله بن الحسين السويدي، وشقيقه الأكبر العلامة عبد الرحمن بن عبد الله السويدي.

ومنهم آل عابدين، ورأس الأسرة الإمام الكبير، الفقيه الأصولي المتمكن محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الحسيني الشهير بابن عابدين الدمشقي الحنفي ت١٢٥٢هـ، ثم ولده العلامة محمد علاء الدين ت١٣٠٦هـ.

ومنهم آل الزهاوي: ومن أشهرهم العلامة أمجد بن محمد سعيد الزهاوي المتوفى يوم الجمعة ١٤شعبان ١٣٨٧هـ، ووالده العلامة محمد سعيد مفتي العراق، وجده العلامة محمد فيضي الزهاوي كان من أكابر أئمة العراق على الإطلاق، وقد ألف العلامة محمد محمود الصواف كتابا عنوانه: (العلامة المجاهد أمجد الزهاوي، شيخ علماء العراق المعاصرين).

ومنهم آل الكزبري، وهم مفخرة بلاد الشام، فمنهم العلامة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري الحفيد، وأبوه وجده، وقد جمع أسانيدهم ومروياتهم الأستاذ عمر موفق النشوقاتي في مجموع جيد اسمه: (مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين وسيرهم وإجازاتهم)، وهو مطبوع في مجلد.

ومنهم آل المزجاجي: العلامة يحيى بن إبراهيم المزجاجي، وأخوه الإمام عز الإسلام محمد بن إبراهيم المزجاجي، ووالدهما العلامة البرهان إبراهيم بن محمد المزجاجي، وابن عمه العلامة محمد بن الزين المزجاجي، ووالده العلامة مفتي الأنام الزين بن عبد الخالق المزجاجي، وأخوه العلامة جمال الإسلام محمد بن عبد الخالق المزجاجي، وأخوه العلامة شمس الدين علي بن عبد الخالق المزجاجي، ووالد هؤلاء الثلاثة، العلامة الإمام، المتفق على علمه وجلالته عبد الخالق بن علي المزجاجي، ووالده العلامة علي بن الزين المزجاجي، ووالده العلامة الزين بن محمد باقي المزجاجي، وأخوه العلامة عبد الله بن محمد باقي المزجاجي.

قلت: وقد بقي من فروع الأسرة المزجاجية قدرٌ من ذكرنا أو أكثر، ولم أرَ فيما اطلعت عليه كتابًا مفردًا في تراجم أعيان الأسرة المزجاجية، ومؤلفاتهم، وأخبارهم، وهذا من العجب.

ومنهم آل الأهدل: وهي الأسرة التي حملت لواء العلم في زبيد عدة قرون، وهم في تسلسل العلم في أجيالهم وفروعهم كمثل الأسرة المزجاجية، وقد ألف الأستاذ عبد الله خادم العمري كتابه: (بيت الأهدل، وأديب العصر محمد مساوى الأهدل).

ومنهم آل باكثير، وقد ألف فيهم محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن سالم بن عبد الغفار باكثير كتابه: (البنان المشير، إلى علماء وفضلاء آل أبي كثير)، طبع بتحقيق البحاثة الحبيب عبد الله محمد الحبشي.

ومنهم آل بيرم: العلامة الجليل شيخ الإسلام محمد بيرم الرابع ت١٢٧٨هـ، ووالده العلامة محمد بيرم الثالث ت١٢٥٩هـ، ووالده مفتي تونس العلامة محمد بيرم الثاني ت١٢٤٧هـ، ووالده العلامة محمد بيرم الأول ت١٢٤٠هـ، قلت: وهؤلاء المشايخ البيارمة هم فخر الديار التونسية، وعلى أسانيدهم غالب مدار رواية التونسيين.

ومنهم آل الجبرتي: العلامة عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي المؤرخ، صاحب التاريخ المشهور، والمسمى: (عجائب الآثار)، ووالده العلامة المتفنن الكبير الشيخ حسن الجبرتي.

ومنهم آل الحبشي، ومن أشهرهم العلامة محمد بن حسين الحبشي، وقد كان مفتي السادة الشافعية في مكة المكرمة، ثم ولده العلامة الفقيه حسين بن محمد وقد كان شيخًا للسادة الشافعية في مكة المكرمة بعد أبيه، ثم ولده الآخر، الإمام الكبير علي بن محمد بن حسين الحبشي، وإمامته وفضله في غاية الظهور.

ومنهم آل الكتاني، وقد ألف فيهم العلامة محمد بن جعفر الكتاني كتابه الماتع: (النبذة اليسيرة النافعة، التي هي لجملة من أستار مزايا الشعبة الكتانية رافعة)، طبع بتحقيق: محمد الفاتح الكتاني، ومحمد عصام عرار.

ومنهم آل الغماري، وقد أفردهم بالتأليف فضيلة الشيخ المختار محمد

التمسماني في كتاب عنوانه: (صديقيون، ريحانة طنجة سيدي محمد بن الصديق، وأنجاله الأشقاء الخمسة الغماريون، السادة: أحمد، عبد الله، محمد الزمزمي، عبد الحي، عبد العزيز)، وهو مطبوع في دار ابن حزم.

ومنهم آل شاكر، العلامة محمد شاكر وكيل الأزهر الشريف، وأولاده أحمد ومحمود، وقد جمع الأستاذ محمد أسامة المعتز بن أحمد شاكر كتابًا جليلًا في ترجمة والده العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر، وعمه العلامة الأديب الكبير محمود محمد شاكر، وجده العلامة الشيخ محمد شاكر، والكتاب اسمه: (من أعلام العصر) وهو مطبوع.

ومنهم آل عاشور، العلامة محمد الطاهر بن عاشور، وحفيده محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، شيخ الإسلام بالديار التونسية ت١٣٩٣هـ، وقد ولد له العلامة محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، وله عدد من المؤلفات الجليلة، منها كتاب: (التفسير ورجاله)، وقد توفي في حياة أبيه، ونظيره الشهاب الألوسي صاحب: (روح المعاني)، فقد توفي في حياة أبيه، ونظيره في الأقدمين: ذر بن عمر بن ذر بن عبد الله المرهبي المعروف بـ(ذر الأصغر)، تمييزًا له عن جده ذر الأكبر، وقد توفي ذر بن عمر في حياة أبيه، فتكلم أبوه عمر عند موته بكلام محفوظ، منه: (يا ذر! لقد شغلني الحزن بك عن الحزن عليك)، نقل ذلك الحافظ المتقن عبد الغني بن سعيد الأزدي ت٤٠٩هـ في الجليل: (الأوهام التي في مدخل أبي عبد الله الحاكم النيسابوري)[1] وهو مطبوع، في آخرين من العلماء، ممن شهد آباؤهم جنائزهم، ولو تتبعهم أحد وجمع فيهم مقالةً لكان شيئًا حسنًا.

(١) الأوهام التي في مدخل أبي عبد الله الحاكم /ص٦٠.

ومنهم آل العروسي: شيخ الإسلام مصطفى، ابن شيخ الإسلام محمد، ابن شيخ الإسلام أحمد بن موسى العروسي؛ إذ قد تولى مشيخة الأزهر، هو وأبوه وجده، وهذا من المفاخر، وقد توفي الجد الشيخ أحمد العروسي يوم ٢١ من شهر شعبان سنة ١٢٠٨هـ (١٧٩٤م)، وقد ترجمت لثلاثتهم في كتابنا هذا.

ومنهم آل جعيط، منهم العلامة أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن عثمان جعيط ت ١٣٣٣هـ، ومنهم العلامة الشيخ محمد العزيز جعيط، وولده العلامة محمد كمال الدين جعيط مفتي الديار التونسية.

ومنهم آل القاوقجي، العلامة أبو المحاسن محمد بن خليل القاوقجي ت١٣١٠٥هـ وله مؤلفات كثيرة في الحديث والتفسير وعلم الكلام، وله أثبات مشهورة، تدور عليها أسانيد الشوام والمصريين في وقتها، وأولاده: محمد بهاء الدين أبو النصر، ومحمد كمال الدين.

ومنهم آل المرغني: العلامة عفيف الدين عبد الله بن إبراهيم الميرغني الحسيني ومؤلفاته كثيرة، وعمه محمد أمين وله مؤلفات، وولده أحمد وكان شيخ السادة الأحناف في مكة المكرمة، وحفيده محمد عثمان وله مؤلفات، وعم هذا الحفيد السيد ياسين الميرغني وله مؤلفات، وحفيده أيضًا محمد بن محمد شمس الدين، وقد أفردتُ لهم مؤلفًا لطيفًا أسميته: (فتح الغني، في أسانيد السادة آل الميرغني)، وقد أوردته كاملًا في موضع من هذا الكتاب.

ومنهم آل القاسمي، وقد ألف فيهم الشيخ محمد بن ناصر العجمي كتابه: (آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل)، طبع دار البشائر في بيروت.

ومنهم آل الخفاجي، وقد ألف فيهم أستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي كتابه: (الخفاجيون في التاريخ) وهو في عدة أجزاء، وقد طبع، ورأيت منه جزءًا.

ومنهم آل طموم، قال في: (تقويم دار العلوم): (من الأسر التي تشتهر بالعلم، ويظهر العلماء بين أفرادها)، ثم ذكر منهم: الشيخ محمد طموم المالكي، ثم الأستاذ مصطفى طموم ت١٩٣٥م، مؤلف كتاب: (سراج الكتبة شرح تحفة الأحبة) كلاهما في رسم الحروف، ثم الشيخ علي سالم طموم ت١٩٣٥م، وهو والد الأستاذ أمين فكري طموم، ثم الشيخ محمود سالم طموم ت١٩٤٣م.

ومنهم آل المالكي: العلامة السيد محمد بن علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني، ووالده العلامة السيد علوي شيخ علماء الحرم في زمانه، ووالده العلامة السيد عباس، وقد ألف السيد عباس بن علوي المالكي كتابا عنوانه: (صفحات مشرقة من حياة الإمام السيد الشريف علوي بن عباس المالكي الحسني)، وهو مطبوع.

ومنهم آل البوطي، العلامة الملا رمضان البوطي، وولده الإمام الكبير محمد سعيد رمضان البوطي، ومؤلفاته فوق المائة، وولده محمد توفيق ومؤلفاته مطبوعة.

وغير هؤلاء المذكورين كثير جدًّا، وهذا تمام الجزء المسمى بـ**(الأسر العلمية)**، والله تعالى أعلى وأعلم، وأجلُّ وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

فصل

وأما منزلة العلامة المحدث السيد أحمد شاكر في الحديث الشريف، ومعرفته به، فقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ شامة في جبين المحدثين في زمانه، عارفًا بالصنعة الحديثية معرفة تامة، بصيرًا بخباياها، ممارسًا لنقد الرجال، وسبر الطرق، ونقد الأسانيد، وقد شهد له أهل المعرفة بهذا الشأن بالعلم والتقدم، قال العلامة المحدث السيد عبد الله الصديق الغماري في تقدمته على رسالة ابن الصلاح في وصل البلاغات الأربعة الواقعة في الموطأ بعد أن نقل عبارة للشيخ أحمد شاكر: (وهذا كلام خبير بالصناعة الحديثية، عارفٍ بقواعدها)(١).

قال العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى: (شيخنا وأستاذنا، العلامة المحدث، الفقيه، الأديب، اللغوي، المحقق المتقن، القاضي، أبو الأشبال أحمد شاكر، ابن العلامة الكبير الجليل محمد شاكر، المصري المنشأ، والدار، والقرار، العالم المعروف بتحقيقاته وكتاباته، وتجويده وتبريزه، في محققاته ومؤلفاته)(٢)، وغيرهما كثير من أكابر أهل الحديث في المشرق والمغرب، ممن شهدوا لصاحب الترجمة بالعلم والتمكن من الصنعة الحديثية.

---

(١) رسالة في وصل البلاغات الأربعة في الموطأ /ص٩١٦/ تحقيق: العلامة السيد عبد الله الغماري، من الطبعة التي ألحقها العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بطبعته لكتاب: توجيه النظر، للعلامة الشيخ طاهر الجزائري.

(٢) من تقدمة العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على كتاب: (تصحيح الكتب، وصنع الفهارس المعجمة، وكيفية ضبط الكتاب، وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك) /ص٥/ للعلامة الشيخ أحمد شاكر، ط: مكتبة السنة، القاهرة.

فصل

وأجلُّ أعماله الحديثية على الإطلاق خدمتُه وتحقيقُه وشرحُه لمسند الإمام أحمد؛ وقد وصل فيه إلى ثلثه تقريبًا، وعدد الأحاديث التي حققها ثمانية آلاف حديث ومائة حديث.

ولم يزل مسند الإمام أحمد ديوانًا عظيمًا، جليل المقدار، وقد سبقت كلمة للحافظ الذهبيِّ رحمه الله، يترجى فيها أن ينهض في الأمة من يحرر وجوه الخدمة للمسند، في: (سير أعلام النبلاء): (فلعل الله يُقيِّضُ لهذا الديوان العظيم من يُرتبه ويهذبه، ويحذف ما كرر فيه، ويصلح ما تصحف، ويوضح حال كثير من رجاله، وينبه على مرسله، ويوهن ما ينبغي من مناكيره، ويرتب الصحابة على المعجم، وكذلك أصحابهم على المعجم، ويرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب الستة، وإن رتبه على الأبواب فحسن جميل، ولولا أني قد عجزت عن ذلك، لضعف البصر، وعدم النية، وقرب الرحيل، لعملتُ في ذلك)[1].

فلعل غالب هذه الأعمال والوجوه المتعاقبة في خدمة المسند والقيام بالوظائف العلمية اللائقة به، قد تحققت بعمل الشيخ أحمد شاكر، وبعمل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، وبمجموع أعمال المعاصرين وبحوثهم حول المسند.

ولم يزل العلماء يعرفون لعمل الشيخ أحمد شاكر حول المسند قدره ومكانته، فقد قال شقيقه العلامة الشيخ محمود محمد شاكر: (أما عمله الذي

(١) سير أعلام النبلاء /١٣/.

استولى به على الغايات، فهو شرحه على مسند أحمد بن حنبل، منه خمسة عشر جزءً، فيها من البحث والفقه والمعرفة مالم يلحقه فيه أحد من أهل زمانه)[1].

وقال العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى: (وبخاصة: خدمته الجليلة، وتحقيقه وشرحه الماتع للكتاب العظيم مسند الإمام أحمد بن حنبل، فإنه أربى فيه على الغاية، وقام عن علماء مصر في خدمة الحديث الشريف بفرض الكفاية)[2].

وأما تحقيقه لكتاب: (الرسالة) للإمام الشافعي فهو أول كتاب عرف به الشيخ، قال محمود محمد شاكر: (وأول كتاب عرف به الشيخ أحمد محمد شاكر، وعرف به إتقانه وتفوقه، هو نشره رسالة الإمام الشافعي، عن أصل تلميذه الربيع بن سليمان، الذي كتبه بخطه في حياة الشافعي من إملائه، ونشره رسالة الشافعيِّ يعد من أعظم الآثار التي تولى العلماء نشرها في هذا العصر)[3].

وقال العلامة الشيخ محمود محمد الطناحي في كتاب: (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي): (ولقد كان ظهور الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر في سنة ١٣٥٨هـ= ١٩٣٩م، إيذانا بظهور مرحلة جديدة تمامًا من النشر العلمي العربي، المستكمل لكل أسباب التوثيق والتحقيق، وهي مرحلة جديدة فيما يظهر للناس في تلك الأيام،

(١) جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر /٢/١٠١٤.
(٢) من تقدمة العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على كتاب: (تصحيح الكتب، وصنع الفهارس المعجمة) /ص٥/ للعلامة الشيخ أحمد شاكر.
(٣) جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر /٢/١٠١٤.

ولكنها موصولة الأسباب والنتائج بما سنه الأوائل وأصلوه، كما قلت آنفًا.

وقد نشر الشيخ أحمد محمد شاكر ـ رحمه الله ـ الكتاب عن أصل بخط الربيع بن سليمان صاحب الشافعي، وكتبه في حياته، كما يرجح الشيخ، ومن غريب ما لحظه، في هذا الأصل المخطوط، وجود إجازة بخط الناسخ ـ وهو الربيع تلميذ الشافعي ـ ولكنها ليست إجازة رواية، كالمألوف في الإجازات، ولكنها إجازة النسخ، ونصها: أجاز الربيع بن سليمان، صاحب الشافعيّ نسخ كتاب الرسالة، وهي ثلاثة أجزاء، في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين، وكتب الربيع بخطه.

وقد جرى الشيخ ـ رحمه الله ـ في تحقيق الرسالة على أعدل المناهج وأقومها، من حيث التنبه الشديد لفرق ما بين النسخ، وبإضافات النساخ، فيما خفي ودق، وربط كلام الشافعي رضي الله عنه، في هذا الكتاب، بكتبه الأخرى، وتوثيق النقول، وتحرير المسائل، ثم العناية الفائقة بالضبط، وصنع الفهارس الفنية، التي شملت آيات القرآن الكريم، وأبواب الكتاب على ترتيبها، والأعلام، والأماكن، من حيوان، ونبات ومعدن، ونحو ذلك، والمفردات المفسرة في الكتاب، والفوائد اللغوية المستنبطة منه، ومواضيع الكتاب ومسائله، في الأصول، والحديث، والفقه، على حروف المعجم)[1].

فصل

وأما بقية أعماله العلمية فهي ما بين تأليف وتحقيق، أما مؤلفاته فمنها: (شرح ألفية السيوطي في علم الحديث)، (الباعث الحثيث شرح

(١) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي /ص٩٢/.

اختصار علوم الحديث)، (نظام الطلاق في الإسلام)، (الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين)، (كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر)، (السمع والطاعة)، (أوائل الشهور العربية، هل يجوز شرعا إثباتها بالحساب الفلكي).

(كلمة الحق) وهو عبارة عن كتاب جمعت فيه مقالات كتبها في مجلة الهدي النبوي حينما كان رئيس تحرير لها، ثم قام الأستاذ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن حماد العقل، بجمع مقالات شاكر مرة أخرى، فأخرجها في مجلدين، تحت عنوان: (جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، مع أهم تعقبات الشيخ على دائرة المعارف الإسلامية).

تحقيق مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ومعه معالم السنن للخطابي وتهذيب ابن القيم بالاشتراك مع الشيخ محمد حامد الفقي وطبع في ثمانية مجلدات، تحقيق صحيح ابن حبان حقق الجزء الأول فقط، تحقيق كتاب الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، عمدة التفسير اختصار تفسير ابن كثير، تحقيق كتاب لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ، تحقيق شرح الطحاوية، تحقيق جزأين من المحلى، تحقيق «عمدة الأحكام» للحافظ المقدسي.

وأما ما قام بإخراجه وتحقيقة بالاشتراك مع غيره من أهل المعرفة بصنعة التحقيق فمنه: تحقيق أحاديث تفسير الطبري، اشترك معه أخوه الشيخ: محمود شاكر، وصل فيه إلى الجزء الثالث عشر، واشترك مع الشيخ عبد السلام هارون في تحقيق «المفضليات» و«الأصمعيات» و«إصلاح المنطق» لابن السكيت[1].

(١) وللأستاذ السيد الجميلي مقال مهم، عن طبقات المحققين والمصححين (أحمد محمد شاكر)، نشر في مجلة الأزهر، العدد (١١) السنة الثامنة والستون (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

فصل

يروي عن: ١ ـ العلامة الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي الدهلوي ت ١٣٥٥هـ، وأسانيده في أثباته المتعددة، ومنها: (نشر المآثر، فيمن أدركت وكاتبت من الأكابر)، ومنها: (فيض الملك الوهاب المتعالي، بأنباء القرن الثالث عشر والتالي)، وقد طبع الأخير في ثلاثة مجلدات.

بل أفرد العلامة عبد الستار الدهلوي لإجازة الشيخ أحمد شاكر كتابًا مستقلًّا سماه: (بغية الأديب الماهر، في إجازة الشيخ أحمد بن محمد شاكر).

وقد أورد العلامة السيد أحمد الصديق الغماري في كتابه: (البحر العميق) نص الإجازة التي أجازه بها عبد الستار الدهلوي، فكان مما جاء فيها قول الدهلوي: (وإني أجزت السيد أحمد بن الصديق المنوه بذكره أعلاه بالمؤلفات خصوصًا، وبجميع مروياتي عمومًا، وبما كتبته وسطرته للشيخ أحمد بن الشيخ محمد شاكر في إجازته المسماة: «بغية الأديب الماهر، في إجازة الشيخ أحمد بن محمد شاكر»؛ فإني قد أطلت في الإجازة المذكورة في ذكر مشايخي من جميع الجهات، وأوصلت فيها سند حديث الأولية، وسند الكتب الستة، والأئمة الأربعة، ومشكاة المصابيح، وذكرت فيها بيان نسبتنا، ونسبنا إلى مجدد المائة الثامنة علي بن مبارك شاه البكري الصديقي)[1].

٢ ـ العلامة السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ت١٣٨٢هـ، وأسانيده في: (فهرس الفهارس والأثبات).

(١) البحر العميق /١/٢٩٨.

٣ ـ العلامة السيد عبد الله بن إدريس بن محمد السنوسي الحسني ت١٣٥٠هـ، أجازه برواية البخاري، وباقي الكتب الستة، وقد فصل أسانيده ومروياته تلميذه العلامة القاضي عبد الحفيظ الفاسي في ثبته: (رياض الجنة).

٤ ـ العلامة الشيخ بسيوني بن بسيوني بن حسن عسل القرنشاوي الشافعي المصري الأزهري ت١٣٤٢هـ، من ناحية قرنشو، بمركز كفر الزيات، من مديرية الغربية.

وقد وصف الشيخ شاكر شيخه المذكور بأوصاف جليلة فقال: «شيخنا، وسيدنا، وأستاذنا، العالم العامل العلامة، محيي سنة رسول الله ﷺ»، وذكر هناك أن الشيخ يروي صحيح البخاري من أوله إلى آخره إجازة، ومن أوله إلى آخر سورة الفرقان سماعًا عن شيخه محمد الخضري المصري الشافعي، عن شيخه، شيخ الوقت إبراهيم الباجوري، بسماعه منه وقراءته عليه، عن شيخه شيخ الإسلام الشيخ حسن القويسني)، إلى آخر السند الذي أورد الشيخ أحمد شاكر بتمامه إلى أبي عبد الله البخاري في آخر كتابه: «نظام الطلاق في الإسلام».

ويروي الشيخ بسيوني عسل أيضًا عن: أبي المحاسن القاوقجي، وهاشم النحرير، ومصطفى عز المطعني، وهو عن مصطفى المبلط، عن محمد بن علي الشنواني بما في ثبته: (الدرر السنية، فيما علا من الأسانيد الشنوانية).

٥، ٦، ٧ ـ ويروي عن العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي، أجازه ببلوغ المرام والكتب الستة، وعن العلامة أحمد بن الشمس الحاجي الشنقيطي ت١٣٤٢هـ، أجاز له إجازة عامة في جميع علمه! وعن العلامة الشيخ

شاكر العراقي، أجازه بجميع كتب السنة.

٨ ـ العلامة الكبير الشيخ جمال الدين القاسمي، وقد أجاز له إجازة عامة، وكان العلامة الشيخ أحمد شاكر قد أرسل استدعاء للإجازة من القاسمي بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣١هـ، فرد عليه القاسمي بإجازة مؤرخة بيوم ٢٠ ذي الحجة ١٣٣١هـ أجاز له فيها ماله من مؤلفات ومسموعات ومُجازات، ثم إن أسانيد القاسمي في ثبته المسمى: (الطالع السعيد، في مهمات الأسانيد).

وأنت ترى نص استدعاء العلامة أحمد شاكر للإجازة من الجمال القاسمي بخطه في آخر كتاب: (رحلتي إلى المدينة) للقاسمي، حيث ألحق به محققه نصوص إجازات القاسمي للعلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني، والعلامة السيد عبد الحي الكتاني، والعلامة السيد أحمد شاكر، رحم الله الجميع.

٩ ـ ويروي عن السيد محمد رشيد رضا ت١٣٥٤هـ، وهو عن أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي ت١٣٠٥هـ بما في أثباته ومسلسلاته وأوائله.

نروي مروياته من طريق شيخنا سماحة العلامة الجليل الإمام الشيخ علي جمعة، عن العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، عنه.

* * *

المسند المعتني، فضيلة الشيخ: أبو أنس أسامة بن السيد بن عبيد بن السيد التيدي.

ولد سنة ١٣٨٤هـ، الموافق ١٩٦٤/١١/٢٧م، وهو مسندٌ معتنٍ، صاحبُ اشتغالٍ بهذا الفن، خرَّج لنفسه ولغيره، وصنَّف وجَمَع، له من المؤلفات:

(البيان، في حكم اختلاف البلدان، في رؤية هلال رمضان) مطبوع، وقدم له العلامة المحدث السيد عبد العزيز بن الصديق الغماري بمقدمة طويلة، تأتي في حجم الكتاب تقريبا، ولكنها لم تنشر بعد، وعندي مصورة منها، (البدر التمام، في الفتح على الإمام) مطبوع، (مختصر علم أصول الفقه)، (حكم جمع القراءات في مجلس واحد).

أما عن مؤلفاته وأثباته فله: (العقد المنظوم الحسن، في أسانيد الشيخ محمد صبحي حسن)، (المختصر المفيد، فيما للسيد إسماعيل المختفي من الأسانيد)، (المسلسلات الكبرى)، (المسلسلات الصغرى)، (نيل المراد، من فنون الإسناد)، (الكنز الثمين، في الحديث المسلسل بالمصريين)، (إتحاف الأحبة، بالمسلسل بالمحبة)، (التاج المكلل، في حديث الرحمة المسلسل)، (إرشاد العباد، إلى فضل الاشتغال بالحديث النبوي والإسناد) وغيرها، وله ثبت لطيف اسمه: (حلية الجيد، بزبدة الأسانيد)، استوعب فيه ذكر ممن أجازوا له.

زرته وسمعت منه المسلسل بالأولية، والمسلسل بالمحبة، والمسلسل بالضيافة على الأسودين التمر والماء، والمسلسل بالعد في اليد، والمسلسل بالمغاربة، والمسلسل بآخر سورة الحشر، وأجاز لي عامة، وطلب مني الإجازة، فأجزته، وأسمعته بعض المسلسلات فتدبجنا، كان ذلك يوم ١٨ من صفر الخير سنة ١٤٢٦هـ، لا سيما وبيني وبينه مناسبة لطيفة، وهي أننا توافقنا في الاسم واسم الأب، فيصلح هذا مثالًا في أسانيد المتأخرين، للنوع المسمى في علوم الحديث بـ(المتفق والمفترق).

يروي عن: ١ ـ محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الأهدل مفتي

زبيد، ٢ ـ وأحمد بن محمد زبارة الصنعاني الحسني، ٣ ـ وإسماعيل بن أحمد الملقب بالمختفي الشهاري، مفتي لواء صعدة، ٤ ـ وعبد الله بن أحمد المحفدي، ومحمد بن إسماعيل العمراني، ٥ ـ وحمود بن عباس المؤيد، ٦ ـ ومحمد بن محمد بن إسماعيل المنصور، ٧ ـ والعلامة المحدث عبد الله الصديق الغماري، ٨ ـ والعلامة عبد العزيز الصديق الغماري، ٩ ـ وصالح أحمد بن محمد إدريس الأركاني، ١٠ ـ ومحمد سعد بدران الدمياطي، ١١ ـ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، ١٢ ـ أحمد داود البطاح الأهدل، ١٣ ـ أحمد معبد عبد الكريم، ١٣ ـ محمد إبراهم عبد الباعث، ١٤ ـ محمد ابن عبد الخالق الأمير الحسني الصنعاني، ١٥ ـ عبد الرحمن بن حسين بن محمد شايم المؤيدي، وغيرهم.

ثم إني أروي من طريقه سندًا عجيبًا، في تسلسله بمؤلفي الأثبات، فأنا أسامة بن السيد بن محمود الأزهري الشافعي ولي ثبت اسمه: (معجم الشيوخ) وقد طبع، أروي عنه وهو الشيخ أسامة بن السيد بن عبيد التيدي، وله ثبت اسمه: (نيل المراد، من فنون الإسناد)، وهو عن شيخه عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، وله ثبت اسمه: (ارتشاف الرحيق، من أسانيد عبد الله الصديق)، وهو عن شيخه القاضي عبد الواسع بن يحيى الواسعي ت١٣٧٩هـ، وله ثبت اسمه: (الدر الفريد، الجامع لمتفرقات الأسانيد)، وهو عن شيخه القاضي محمد بن عبد الله الغالبي ت١٣٣٤هـ، وله ثبت اسمه: (منتقى العسجد)، وهو عن أبيه القاضي عبد الله الغالبي ت١٢٧٦هـ، وله ثبت اسمه: (العسجد المنظوم)، ويسمى أيضًا: (الإحازة، في طرق الإجازة)، وهو عن شيخه القاضي محمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠هـ، وله ثبت اسمه: (إتحاف الأكابر، بإسناد الدفاتر)، وهو عن شيخه العلامة المتبحر

عبد القادر بن أحمد الكوكباني ت١٢٠٧هـ وله ثبت، قال عنه الشوكاني في: (البدر الطالع): (وشيوخه قد اشتمل عليهم مجلد حافل، ذَكَرَ فيه من أخذ عنه، ومن أجاز له، والأسانيد التي تلقاها عن شيوخه)، وهو عن شيخه محمد حياة السندي ت١١٧٣هـ، وله ثبت ذكر فيه شيوخه ومروياته، منه نسخة خطية في مركز جمعة الماجد للمخطوطات بدبي، وهو عن شيخه عبد الله بن سالم البصري ت١١٤٣هـ وله الثبت الأشهر: (الإِمْداد، بمعرفة عُلُوِّ الإسناد)، وهو عن شيخه البرهان إبراهيم بن حسن الكوراني ت١١٠١هـ، وله الثبت الأشهر: (الأَمَم، في إيقاظ الهمم)، عن العلامة الإمام العارف الصفي أحمد بن محمد القشاشي ت١٠٧١هـ، وله ثبت اسمه: (السمط المجيد) طبع في الهند، ويروي البرهان الكوراني عن النجم الغزي، عن أبيه بدر الدين، عن شيخ الإسلام زكريا، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني.

أروي عموم مروياته عنه مباشرة كما تقدم.

* * *

❁ الفقير إلى رحمة مولاه القدير: أسامة بن السيد بن محمود بن محمد بن سعد بن نعمان الأزهري الشافعي، كاتب هذه السطور، ومؤلف هذا الكتاب.

ولدت في ثغر الإسكندرية بعد مغرب الجمعة ١٩ رجب سنة ١٣٩٦هـ، الموافق ١٦ يوليو ١٩٧٦م، وقد قضيت في الإسكندرية سنواتٍ في مقتبل العمر، ثم رجع والدي إلى موطن الأهل والعشيرة في سوهاج من صعيد مصر.

ونشأتُ في كنفِ أبي، وقد عُرِف هو وآباؤه بالصلاح والفضل، ووعيتُ الدنيا على صلواته وأذكاره، وقد كان حافظًا لكتاب الله تعالى، محبًّا

للصالحين، يُحْيِي ليله بتلاوة القرآن، كأني به ما أكل حرامًا قط، مع سخاء النفس، ومحبة البذل والعطاء، فاعتني بأن أحفظ القرآن الكريم، وأن أتعلم في الأزهر الشريف المعمور، وإنْ يكنْ مِنْ شيءٍ من الخير في ديني ودنياي فمن فيض دعواته.

ثم إني ما كنت لأذكر نفسي في هذا الكتاب، بجوار من ذكروا فيه من الأئمة والأكابر، إلا رجاء التشرف بالذكر معهم على وجه الخدمة لهم، وإلا فأين الثرى من الثريا، ولقد والله ترددتُ كثيرًا في كتابة هذه السطور، واستشرتُ أهل الفضل وبعض مشايخي في ذلك، لشدة تصاغر نفسي عندي، والله عليم بما في قلوب العباد، ثم إنهم هُم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وإذا استحكمت المرافقة تعذرت المفارقة، وقد أمرنا الله تعالى أن نكون مع الصادقين، وقد سلك الأكابرُ هذا المسلك، فترجم الحافظ ابن حجر لنفسه في كتابه: «رفع الإصر»، وترجم الحافظ السخاويُّ لنفسه في كتابه: «الضوء اللامع»، وترجم الحافظ السيوطيُّ لنفسه في كتابه: «حسن المحاضرة»، وترجم ياقوت الحموي لنفسه في كتابه: «معجم الأدباء»، وترجم الشوكانيُّ لنفسه في كتابه: «البدر الطالع»، سوى من أفرد لترجمة نفسه كتابًا مفردًا.

ثم إنه ليس من شرطي في كتابي هذا إلا أن أورد شذرة من أهل الإسناد من المصريين، مع غض الطرف عما سوى ذلك، والفقير على ذلك الشرط.

فصل

أما شيوخي في الدراية فقد لزمتُ في صباي الشيخ الصالح محمد إسماعيل وقَّاد الشندويلي، وكان رجلًا صالحًا معمرًا، قارب التسعين من

العمر أو جاوزها، يحفظ «حاشية الصفتي على العشماوية»، ويلم بـ«الشرح الصغير» لسيدي أحمد الدردير، فانتفعت به وبصلاحه، وحفظت من لسانه فوائد ومسائل من تلك الحاشية، وكان هو قد لزم العلامة الشيخ علي عتمان ـ بالتاء المثناة الفوقية ـ، الملقب في تلك النواحي بـ: «مالك الصغير»، وهو الذي لقنه حاشية الصفتي مسألة مسألة، وقد انتفعت بالشيخ المذكور، وبصلاحه وبركته وفضله.

وانتفعتُ بشيخي، وشيخ مشايخي، العلامة الجليل الشيخ محمود حمدي الأزهري وكيل المنطقة الأزهرية، وقد كان عالمًا أزهريًّا جليلًا، مفسرًا نحويًّا، يحفظ ألفية ابن مالك ويسردها رغم تقدم عمره، وكنت ربما لقيته وفي يدي نسختي من الألفية أتحفَّظها، فسألني مرةً: ما هذا الكتاب؟ فقلت: «ألفية ابن مالك»، فقال: اقرأ، فقرأت منها حظًّا، فقال: «سلَّم الله فمك لعذوبة العربية فيه، وإني لأتوقع أن تكون شمسًا من شموس الدعوة في مصر».

ولزمتُ شيخنا العلامة المحدث النحوي الورع الشيخ أحمد محرم الشيخ ناجي، فقرأت عليه قطعةً صالحةً من: «شرح ابن عقيل على الألفية»، ومن: «حاشية العطار على متن الأزهرية»، ومن: «صحيح البخاري»، وكتاب: «تأنيب الخطيب» للكوثري كاملًا، وقطعة من «التنكيل» للمعلمي، وقرأت على الشيخ من مؤلفاته، لاسيما من كتابه المسمى: «وقفات مفيدة، أمام توجيهات نبوية سديدة»، ومن كتب أخرى كثيرة، وقطعة صالحة من: «عمدة القاري» للبدر العيني، ومن: «فتح الباري» لابن حجر، ويسيرا من: «تفسير أبي السعود»، وكنتُ ربما قرأت للشيخ ما يرغب هو في مطالعته، فسردت على مسمعه الشريف كتبًا كاملة.

ولزمت شيخنا العلامة الأصولي الشيخ أحمد عبد العزيز السيد الإسنوي، فقرأت عليه كتاب: «قرة العين، بشرح ورقات إمام الحرمين» للحطاب الرعيني، وقرأت قطعة صالحة من: «لمع أبي إسحاق الشيرازي»، ومن كتاب: «الزبدة في علم الأصول» تأليفه، ومن باب القياس من كتاب: «نهاية السول» للإسنوي.

ولزمت شيخنا العلامة النحوي الشيخ عبد الصبور أحمد خلف منصور الأزهري، فقرأت عليه متن: «الآجرومية»، ومتن «الأزهرية»، وأكثر «قطر الندى»، ونحو النصف من «اللمع لابن جني»، و«شرح السيوطي على ألفية ابن مالك»، وقطعة من «تفسير النسفي».

ولزمتُ العلامةَ المعقولي الشيخ فوزي عرفة جاد، مستشار العلوم الفلسفية بمنطقة أسيوط الأزهرية، فقرأت عليه: «متن الشمسية» في علم المنطق، وقبله قطعة من شرح «السلم»، وكتابًا له في علم الوضع، و«منظومة ابن سينا» في المنطق وغير ذلك.

ولزمتُ العلامة الفقيه الأصولي النحوي المفسر الجليل محمد هاشم محمود عمر السيوطي الحنفي، فقرأت عليه غالب «صحيح مسلم»، ونصف «الموطأ» رواية محمد بن الحسن، وحضرت عليه في «نسمات الأسحار لابن عابدين»، ثم قرأت عليه من «متن المنار»، و«العقيدة الطحاوية».

ولزمت العلامة المعقولي الشيخ: مصطفى عبد الجواد عمران العدوي؛ فحضرت عليه قسم التصورات من: «حاشية العطار على الخبيصي»، ومن كتاب: «الاقتصاد، في الاعتقاد» للإمام الغزالي، وقرأت عليه بحوثًا ومواضع كثيرةً من تفسير الفخر الرازي.

وحضرت على شيخنا الإمام الأكبر العلامة الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف قطعة من كتاب «إيضاح المبهم، في شرح السلم» للإمام الدمنهوري، وقد كان يشرحه في الرواق العباسي بالأزهر الشريف.

ولزمتُ العلامة المحدث السيد محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، فقرأت عليه: «الشمائل المحمدية» للترمذي، و«موطأ مالك»، و«الأربعين النووية»، و«نخبة الفكر»، وألفية التزكية والسلوك المسماة: «رشفات أهل الوصال، ونسمات أهل الكمال» للعلامة عبد الرحمن بلفقيه، ومن: «تفسير ابن جزي» وغير ذلك كثير.

ولزمت العلامة المتكلم الشيخ محمد عبد الفضيل القوصي، فحضرت عليه في مواضع من كتاب: «اللمع»، وكتاب: «رسالة أهل الثغر» كلاهما للإمام الأشعري، وبحوثًا من: «شرح المقاصد» للعلامة السعد، وبحوثًا من: «البرهان» للجويني، وغير ذلك.

ولزمت العلامة المتكلم الشيخ حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، فحضرت عليه في كتاب: «تقريب المرام، شرح تهذيب المنطق والكلام».

وحضرت على العلامة محمد عبد الصبور هلال في علم المنطق قِسْمي التصورات والتصديقات، في كتاب من تأليفه.

وحضرت على العلامة المتكلم الفيلسوف الشيخ جميل محمد أبو العلا في علم الكلام، في كتاب من تأليفه.

وحضرت على العلامة المفسر الشيخ مجاهد محمد هريدي في قطعة من تفسير أبي السعود، وقطعة من كشاف الزمخشري، مع مواضع من تفسير القرطبي ومن مناهل العرفان، وغيرها.

وحضرت على العلامة الجليل الشيخ إبراهيم محمد عبد الله الخولي في مواضع من كتاب: «الوسيلة الأدبية» للحسين المرصفي، ومن كتاب: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، ومن كتاب: «إعجاز القرآن» للباقلاني، وغيرها.

وحضرت على العلامة الشيخ محمد محمود أحمد بكار في كتاب «تدريب الراوي» للسيوطي كاملًا، مدة سنتين كاملتين، مع مطالعة بحوث من «فتح المغيث» للحافظ السخاوي، ومن «توجيه النظر» لطاهر الجزائري وغيرها.

وقرأت على شيخنا العلامة محمد بن محمد بن مسعود الزليتني الفرشوطي منظومته: (تمام المنة، في بيان عقيدة أهل السنة)، وله عليها شرح اسمه: (عرف الجنة).

وقرأت على العلامة المعمر الفرضي الشيخ شحاته سليم بُقَّة من كتاب «فتح القريب المجيب»، وقرأت عليه في علم المواريث.

وقرأت متن نخبة الفكر على فضيلة الشيخ محمد سعيد الكحيل الحمصي، وهو قرأه على الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري رحمه الله.

ولزمتُ سماحة شيخنا الإمام العلامة الجليل الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية في قطعة من «صحيحي البخاري ومسلم»، وحضرتُ عليه «سنن أبي داود»، و«سنن الترمذي»، و«موطأ مالك»، وقطعة من «سنن النسائي»، وقرأت عليه قطعة صالحة من «سنن الدارمي»، و«لمع أبي إسحاق»، وحضرت عليه في كتاب «غاية الوصول» لشيخ الإسلام زكريا، وحضرت عليه: «فتح القريب المجيب» لابن قاسم، وغير ذلك كثير.

ولزمتُ شيخنا العلامة المحدث أحمد معبد عبد الكريم الفيومي الأزهري، فقرأت عليه بعض الأجزاء الحديثية، وطالت صحبتي له، ولا أحصي مقدار ما انفتح من بحوث الحديث والرجال والعلل في مجالس خاصة، فكان في ذلك بحرًا يتدفق.

ومن شيوخي العلامة الجليل الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، ترددت عليه كثيرًا، وسألته وانتفعت به، وقد نزل إلى مصر أياما، فرافقته طوال أيام إقامته بمصر، وقرأت عليه في أثناء ذلك «متن الحكم» لابن عطاء الله كاملا، و«متن العقيدة الطحاوية»، و«متن الخريدة» للإمام الدردير، وقطعة من ألفية السلوك المسماة: «رشفات أهل الكمال» للحبيب عبد الرحمن بلفقيه، وقرأت عليه أكثر همزية البوصيري، وكان ذلك كله بحضور الحبيب علي الجفري.

سوى السادة العلماء الأزهريين، الفضلاء النبلاء، الذين درسوا لنا العلم في المعاهد الأزهرية، وفي كلية أصول الدين، في نحو عشر سنوات كاملات أو أكثر، وقد شرحوا لنا مقاطع من تفسير النسفي، ومن شرح شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي على مختصر صحيح البخاري للزبيدي، ومن شرح الخريدة للإمام أبي البركات الدردير، ومن حاشية البرهان الباجوري على متن الجوهرة للبرهان اللقاني، ومن متن مراقي الفلاح ثم من شرح الاختيار للموصلي، أيام أن كنت أدرس الفقه الحنفي، ومن تيسير شرح الآجرومية، ثم تيسير شرح الأزهرية، ثم من شرح ابن عقيل على الألفية، وغير ذلك كثير في الصرف والبلاغة والأدب والسيرة النبوية، وغيرها من العلوم والكتب المقروءة في الأزهر الشريف عمره الله وصانه.

إلى غير ذلك من المقروءات التي أتمها الله تعالى لي بفضله، أو ما زلت أتابع قراءته مع أشياخي ﵃ وجزاهم خيرًا، ولا سيما في مطولات كتب الحديث الشريف وغيره، والعلوم أرزاق، يأخذ منها كُلُّ عبدٍ ما قُسِمَ له.

وممن عرفتهم وانتفعت بهم: العلامة الفيلسوف الدكتور طه عبد الرحمن، والعلامة الفقيه عبد الله بن بيه، والعلامة الفقيه سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري، والعلامة المحدث أحمد محمد نور سيف، والعلامة المحدث حمزة عبد الله المليباري، والعلامة السيد محمد عجاج الخطيب الحسني، والعلامة الشيخ نور الدين عتر، والعلامة الشيخ محمد بن ناصر السلامي مفتي تونس، والعلامة الشيخ بركات دويدار، والعلامة عبد العزيز سيف النصر، والعلامة الشيخ محمود أمين مكي، والعلامة المحدث محمد محمد عوامة، والعلامة الشيخ مصطفى اليدّاك، والعلامة المحدث الشيخ زهير بن ناصر الناصر الحلبي، والعلامة الفقيه أحمد عبد العزيز حداد، والعلامة الشيخ عبد الفتاح بركة، وقد ترددت على المذكورين كثيرًا، وجالستهم وباحثتهم، وسمعت من فوائدهم، وغيرهم كثيرٌ جدًا من العلماء الأجلاء، جزاهم الله عني خيرًا.

وأما شيوخي في الرواية فإني قد رويت عن المشارقة والمغاربة، فمنهم من لقيته، ومنهم من كاتبته، واجتهدت في ذلك برهة من الزمن ثم انصرفت عنه إلى المقصود من العلم وهو الدراية، وأنا أتمثل في ذلك مسلك الأئمة من السابقين، كما أنني استجزت من أناس من طبقات مختلفات في السن والعلم والرواية، وقد نقل ابن الصلاح ـ رحمه الله ـ في المقدمة قول وكيع بن الجراح: (لا ينبل الرجل من أصحاب الحديث حتى يكتب عمن هو فوقه، ومن هو مثله، ومن هو دونه).

وهذا ذكر أسماء بعض شيوخي في الرواية، وقد رتبتهم على حروف المعجم: إبراهيم بن صالح الحسيني النيجيري مفتي نيجيريا، إبراهيم بن عبد الله الخليفة الأحسائي، إبراهيم بن محمد بن الصديق الغماري، أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، أحمد جابر جبران الشافعي، أحمد بن عبد الرزاق الرقيحي الصنعاني، أحمد بن عبد السلام بن أحمد السوداني، أحمد بن علوي الحبشي، أحمد علي بن محمد يوسف السورتي، أحمد مختار بن عثمان رمزي الكردي، أحمد بن محمد نور سيف المهيري، أحمد بن معبد بن عبد الكريم الفيومي الأزهري، أكرم عبد الوهاب محمد أمين الموصلي، بشار عواد معروف، أبو محمد باوا مسليار الويلتوري القادري الهندي، البشير علي حمد الترابي، التهامي بن محمد بن محمد الوزاني التجاني، جعفر بن محمد بن حسين السقاف، جمال بن فاروق الدقاق الحسني، حامد أحمد أكرم الخوقندي المدني، حبيب الله قربان علي المظاهري، الحسن بن محمد بن الصديق الغماري، حسين بن السيد أحمد البدوي بن صالح بن علوي جمل الليل، حسين أحمد عسيران، حسين بن محمد بن هادي السقاف، حمزة بن عبد الله المليباري، رفعت فوزي عبد المطلب، زين بن إبراهيم بن سميط، محمد زكريا البخاري المدني، سعد سعد رزق جاويش، سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري، صبحي البدري السامرائي الحسيني، ضياء الدين بن محمد نجم الدين الكردي، عبد الحكيم محمد الأنيس، عبد السلام محمد محمد حبوس الشرقاوي، عبد الغني بن محمد علي الدقر الدمشقي، عبد الفتاح بن حسين إسماعيل راوة المكي، عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف، عبد الله بن أحمد بن محسن الناخبي، عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل آل عقيل الحنبلي، عبد الله بن عبد القادر التليدي الحسني، عبد الله بن محمد

المشري الشنقيطي، عبد الله بن محمد بن علي بن محمد ابن الإمام عيدروس بن عمر الحبشي، علي بن جمعة بن محمد الأزهري الشافعي مفتي الديار المصرية، علي أحمد السنديلوي اللاهوري، علي بن محمد توفيق النحاس، علي بن محمد بن هادي السقاف، علي بن محمد بن سالم العطاس، كمال الدين بن محمد العزيز جعيط مفتي الديار التونسية، مالك بن العربي السنوسي، محمد أبو الهدى بن إبراهيم اليعقوبي، محمد إبراهيم حلمي القادري، محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث الكتاني، محمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، محمد بن إسماعيل العمراني الصنعاني، محمد أمين سراج الحنفي، محمد عبد الرحيم بن جاد بن السيد بن بدر الدين الحسيني، محمد درويش الخطيب الحلبي، محمد بن سعد بن بدران الدمياطي، محمد بن سعيد بن عبد الله بن سعيد البيض باعلوي، محمد بن عبد الرحمن با شيخ، محمد عبد الحكيم شرف القادري، محمد بن علي عجلان الصنعاني، محمد الفاتح بن محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني، محمد مطيع الحافظ الدمشقي، محمد نمر بن عبد الفتاح الخطيب الحيفاوي ثم المدني، محمد عبد الله سليمان الأهدل، محمد بن علوي بن عباس المالكي، محمد بن هاشم بن محمود بن عمر السيوطي الحنفي، محمد فوزي فيض الله الحلبي، محمد سعيد الكحيل الحمصي، محمد أختر رضا خان القادري، محمود بن أحمد الزين الحلبي، مصطفى أبو سليمان الندوي المنصوري، نافع بن العربي السنوسي، محمد نبيه بن نجيب سالم الحلبي، وهبي سليمان غاوجي الألباني، يسري بن رشدي بن السيد الصديقي الشافعي، يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، يوسف بن عبد الله القرضاوي، وغيرهم كثير، إلى نحو ثلاثمائة شيخ أو أكثر.

وقد ذَكَرني العلامةُ الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري في ثبته: (الجواهر الغالية)، فقد تدبجتُ معه، وذكرني أيضا شيخنا مسند العراق العلامة المسند الشيخ أكرم عبد الوهاب محمد أمين الموصلي في ثبته المسمى: (نفعي، الجامع لشيوخ أكرم عبد الوهاب الموصلي)، وهو مطبوع، فقد تدبجت معه، فتكرم مشكورا بأن ذكرني في ثبته، وذكرني فضيلة الشيخ أسامة السيد عبيد التيدي في ثبته: (حلية الجيد)، وترجم لي صديقُنا البحاثة المسند المؤرخ بشار بن يوسف الحادي في ثبته المسمى: (الإقليد، في تحرير الأسانيد)، وهو في قُنَيِّي؛ فقد أهداني نسخة من ثبته المذكور، وترجم لي تلميذُنا الفاضل محمد حياة حسني جينتنج بن محمد حياة اللنكاتي الأزهري الأندونوسي في ثبته المسمى: (معجم الشيوخ)، وأهداني نسخة من ثبته المذكور.

والحق أن هؤلاء جميعا متفضلون بذلك أتم التفضل، ولهم المنة بذلك، وما الأمر عندي إلا أن أتشرف بأن أندرج في سلك الرواة، الذين تنتهي سلاسل أسانيدهم إلى خير الخلق، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، عسى الله أن يجعل اتصال السند موصولا باتصال الأخلاق والشمائل والعوارف، وأسأله سبحانه كمال التوفيق إلى مرضاته، وكمال الوفاء بالعبودية التامة له.

ثم تبقى من بعد ذلك مُجْرَيَاتُ الحياة، وأحداثُها ومواقفُها، وما اتفق فيها من العجائب، وما تحصل في مُدَّة العمر من الغرائب، وما تراكم من الفوائد من لقاء الشيوخ، ومداخلة العلماء من المشارقة والمغاربة، إلى غير ذلك مما لا تحيط به هذه العجالة، كل ذلك على رغم قصر المدة، وحداثة السن، ولله تعالى الحمد والمنة على سوابغ نعمه.

ولا يستوقفني في كل ذلك إلا ما عهدتُه، وشهدتُه، وتعودتُه من لطف المولى سبحانه، فله الحمد والمنة على سوابغ مننه، وكريم عطائه، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

فصل

وقد منَّ الله تعالى على عبده الفقير بعددٍ من المؤلفات، منها كتاب: (إحياء علوم الحديث) طبع، وكتاب: (أسانيد المصريين، جمهرة في المتأخرين من علماء مصر، ومناهجهم، وبيان سلاسل أسانيدهم، وذكر أسانيدنا إليهم) وهو ذا بين يديك، وكتاب: (المدخل إلى أصول التفسير) وقد طبع كاملًا بفضل الله تعالى في بداية الجزء الأول من تفسير شيخنا سماحة العلامة الشيخ علي جمعة، والمسمى بـ(النبراس في تفسير القرآن الكريم)، ثم طبع على حدته، وتم ترجمته إلى الإنجليزية والفرنسية، وكتاب: (الإمعان في محاور سور القرآن)، وكتاب: (العلاقة بين الفقه وأصوله)، وكتاب: (الذين ترجموا لأنفسهم)، وعجالة اسمها: (الأُسَرُ العِلْمية)، وكتاب: (عقد الجوهر والسند الأصح الأشهر، فيما رواه أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر)، وكتاب: (التأصيل لمنهج السلف في الفهم)، وكتاب: (خريطة العلوم الشرعية)، وكتاب: (هداية الأمم، بما في الأربعين النووية من المقاصد والحكم)، وكتاب: (معجم الشيوخ) وهو الثبت الذي ذكرت فيه شيوخي في الرواية، وقد طبع في ماليزيا، وجمعت كتابًا آخر أوسع منه في الغرض نفسه اسمه: (الروض النضير، في معجم الشيوخ الكبير) يخرج في مجلدين، و(من لقب بمسند الدنيا، ومعنى ذلك اللقب)، و(الحدائق في

المسائل المنثورة)، و(المقتطف، من فوائد الحواشي)، و(الطِّيبُ العَنْبَري، في طرق حديث: «ما بين قبري ومنبري»)، و(جزء حديثي حافل في طرق حديث: «أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالًا»)، و(إرشاد المستفيد، إلى أن الغريق منه شهيد ومنه غير شهيد)، و(درة المحدثين) وهو نظمٌ حول الكتب الستة ومزاياها وأهم شروحها، ألفته وأنا ابن إحدى وعشرين، وقرأته على شيخنا العلامة أحمد محرم الشيخ ناجي فاستحسنه جدًّا، وقرأت بعضه على شيخ مشايخنا العلامة الشيخ موسى شاهين لاشين فاستحسنه كذلك، وقد سبقته تآليف لا أعتبرها، وديوان شعر اسمه: (شَدْوُ القيثار، في منثورات الأشعار)، و(الإحياء الكبير، لمعالم المنهج الأزهري المنير)، وترجم إلى الإنجليزية، وغير ذلك من التصانيف، والله أسأل أن يستعملنا في مرضاته، وأن يبلغ بنا دينه، وأن يحيينا على طاعته، وأن يجعل خير أيامنا يوم لقائه.

* * *

❁ فضيلة المسند الشيخ: أيمن بن عبد الفتاح أبو شادي الحسني المالكي.

زرته في الثامن والعشرين من المحرم، سنة ١٤٢٣هـ، بصحبة أخينا الكريم أيوب بن عيسى البحراني، واستجزناه فأجاز لنا، وأسمعنا المسلسل بالأولية بشرطه، وهو يرويه عن شيخه محمد يونس الجونفوري، بسنده.

وللمترجم عدة تآليف، أهمها كتاب: (نظرة علمية في أهل التبليغ والدعوة)، وهو مطبوع في أربعة أجزاء.

يروي عن: ١ ـ شيخه محمد يونس الجونفوري، ٢ ـ الشيخ محبوب الرحمن الأزهري، ٣ ـ الشيخ محمد إلياس البارابنكوي، ٤ ـ الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الملا الأحسائي، ٥ ـ الشيخ مصطفى أبو سليمان الندوي، وغيرهم.

حرف الباء

۞ شيخ الإسلام، الإمام العلامة الفقيه الأصولي المفسر المعقولي الفيلسوف، مفتي الديار المصرية، الشيخ: محمد بخيت بن بخيت بن حسين المطيعي الحنفي.

مولده في عاشر المحرم سنة ١٢٧١هـ كما أخبره والده، وتوفي في ٢١ رجب سنة ١٣٥٤هـ في منتصف شعبان منه، توفي هو والعلامة الشيخ محمد إمام السقا بن الإمام البرهان السقا في يوم واحد، وصُلِّيَ عليهما بالجامع الأزهر.

وهو شيخ شيوخ الديار المصرية بلا منازع، وعلم أعلامها بلا مدافع، وهو الإمام الذي ألقت إليه العلومُ على اختلافِها مقاليدَها، والحبرُ الذي أرجعتْ إليه الأحبارُ من النظارِ سلاسَلها وأسانيدَها، ولد في قرية المطيعة بمديرية أسيوط، وكان اسمها قبلُ: (القَطِيعَة)، وهو الذي غير اسمها إلى: (المُطِيعَة).

قدم لمصر أوائل سنة ١٢٨١هـ فحضر على مشاهير الأزهر، كالشيخ الدرستاوي، والشيخ عبد الغني الملواني، والشيخ عبد الرحمن البحراوي، والشيخ الدمنهوري، والعلامة محمد عليش المالكي، والعلامة عبد الرحمن الشربيني، والعلامة أحمد الرفاعي، والعلامة الشيخ حسن الطويل، والعلامة الشيخ محمد البسيوني، وأخذ المعقول على الشيخ الجمال الأفغاني.

وقد تقلد القضاء سنة ١٢٩٧هـ في مديرية القليوبية، ثم في مديرية المنيا، ثم في بورسعيد، ثم في السويس، ثم في الفيوم، ثم في أسيوط، ثم تولى تفتيش نظارة الحقانية، ثم قضاء الإسكندرية، ثم تولى رياسة المجلس الشرعي بمحكمة مصر الكبرى، كل ذلك مع ملازمة التدريس والتأليف والإفادة.

فصل

نبغ الشيخُ المطيعيُّ - رحمه الله تعالى - نبوغًا لا نظير له في عددٍ من العلوم، فقد كان واسعَ الإطلاع جدًّا، محققًا في المعقول والمنقول، حتى صار شيخ العلوم بالديار المصرية، بل والشرق بأجمعه، وكان إذا تكلم في التفسير والأصول والكلام والفقه تدفق كالسيل الجرار، مع التوسع في العلوم الإفرنجية كعلم الهيئة.

فقد اتفق أنه لما كان يقرأ درس التفسير وصل إلى سورة الأنعام، مكث يقرأ سبع عشرة ليلة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1]، ويتكلم على هيئة الأفلاك والأرض، وينقل مذاهب الفلاسفة المتقدمين، ومذاهب الإفرنج، ويجمع بين ذلك، فطلب منه الطلبة أن يكتب لهم ذلك، فما كانت إلا أيامٌ قلائلُ، حتى أظهر لهم كتابه: (توفيق الرحمن، للتوفيق بين ما قاله علماء الهيئة وما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن).

وكان له اختصاص بشيخه العلامة المتقن الشيخ: عبد الرحمن بن

(١) سورة الأنعام، آية ١.

عبد الرحمن البحراوي، فقد حضر عليه مدة ست سنوات في كتاب: (الهداية) من عيون متون المذهب الحنفي، قال الشيخ بخيت في كتاب: (بغية أهل الدراية): (ولما اشتمل عليه كتاب الهداية من الفروع المدلل عليها بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، التزم شيخنا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحمن البحراوي مدة تبلغ اثنتي عشرة سنة التنقير والبحث عن فوائده، وفهم مقاصده، على ما أشار إليه المحققون، وعُلم من شرحه: «فتح القدير» للمحقق ابن الهمام، وقد وصل فيه إلى كتاب الوكالة، وقد التزم شيخنا هذا الشرح، كما التزم تكملته للإمام المحقق الشهير بأخي زاده.

ولشيخنا - رحمه الله - تحقيقاتٌ لطيفة، وتدقيقات شريفة، حلى بها هوامش نسخته من كتاب الهداية، وشرح الفتح عليه وتكملته، وقد اقتفينا أثره - رحمه الله تعالى - في قرائتنا كتاب الهداية ثلاث مرات.

وقد لازمنا شيخنا المغفور له في تلقيها عنه نحوًا من ست سنين، كان أستاذنا يفيض علينا فيها من تحقيقاته وتدقيقاته ما يروي من الظما، وخرجنا به من الظلمات إلى النور، وأبصرنا به دقائق الفقه بعد العمى)[1].

فصل

وأما مؤلفاته فمنها أيضًا: (الفتاوى الفقهية) في أربعة مجلدات، و(شرحه على جمع الجوامع، وهو المسمى بالبدر الساطع) مطبوع منه جزء، و(حاشيته على شرح الإسنوي على منهاج البيضاوي وقد سماها: سلم الوصول) في أربعة مجلدات، طبع مرتين، و(القول الجامع، في الطلاق البدعي

(١) بغية أهل الدراية، من ختم كتاب الهداية /ص٣٠.

والمتتابع)، و(أحسن الكلام، فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام)، و(إرشاد أهل الملة، إلى إثبات الأهلة)، (إرشاد الأمة، إلى أحكام أهل الذمة)، (حسن البيان، في دفع ما ورد من الشبه على القرآن)، (رسالة الفونوغراف والسوكرتاه)، (إزالة الاشتباه، عن رسالتي الفونوغراف والسوكرتاه)، (الكلمات الحسان، في الأحرف السبع وجمع القرآن)، (القول المفيد، في علم التوحيد)، (أحسن القرا، في صلاة الجمعة في القرى)، (الأجوبة المصرية، عن الأسئلة التونسية)، (حل الرمز عن معمى اللغز) (إرشاد العباد، إلى الوقف على الأولاد)، (الكلمات الطيبات، في المأثور عن الإسراء والمعراج)، (إرشاد القارئ والسامع، إلى أن الطلاق إذا لم يضف إلى المرأة غير واقع)، (المخمسة الفردية، في مدح خير البرية)، (متناول سبيل الله في مصارف الزكاة «فتوى»)، (حاشية على شرح الإمام الدردير على منظومته في العقيدة، والمسماة بالخريدة)، (الدراري الإلهية، في جواز الصلاة على خير البرية ﷺ، بالصيغة الكمالية).

ومن مؤلفاته المهمة كتاب: (توفيق الرحمن، للتوفيق بين ما قاله علماء الهيئة وما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن)، وقد كان العلامة الشيخ عبد المحيط بن يعقوب بن نانجي السيد راجي السرباوي الجاوي ثم المكي، المتوفى في شهر ذي القعدة، سنة ١٣٨٤هـ معتنيًا بهذا الكتاب، فكان يُدَرِّسُه، وكان قد كتب عليه تعقبات، اطلع العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني عليها، حتى قال مختار الفلمباني في: (بلوغ الأماني): (سمع منه مواضع متفرقة من كتاب: «توفيق الرحمن، بين أقوال علماء الهيئة والقرآن» للشيخ بخيت المطيعي، واطلع على تعقباته على هذا الكتاب)[١].

(١) بلوغ الأماني ١/٦٣.

ومن مؤلفاته المهمة أيضًا كتابه: «حقيقة الإسلام وأصول الحكم»، وهو كتابٌ كاشفٌ عن سعة اطلاع الشيخ، وإلمامه بشؤون السياسة والمجتمع، وتصديه للشأن العام، قال أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي في كتاب: (النهضة الإسلامية): (ولا أترك هذا المقال دون أن أشير إلى كتاب: «حقيقة الإسلام وأصول الحكم»، الذي رد به الشيخ بخيت على كتاب: «الإسلام وأصول الحكم» للأستاذ علي عبد الرازق، فقد أبان هذا الكتاب عن ثقافة متشعبة الفروع لدى الفقيه الكبير، وإذا كان تضلعه الوثيق في علمي الفقه والأصول مما يشهد به كل قارئ لمؤلفاته وتحقيقاته، وبخاصة فيما كتبه تعليقًا على «شرح منهاج الأصول» للعلامةِ الإسنويِّ بمجلداته الكبار، فإنَّ كتابَ «حقيقة الإسلام وأصول الحكم» قد جمع بين علوم الفقه، والأصول، والتاريخ، والسياسة، والاجتماع، بما أصبح به فريدًا في مؤلفات الأستاذ الكبير.

وقد اطرد به الحديث في فصول عدة، اطرادًا يدل على تدفق الخاطر، وسلاسة اليراع.

ففي الباب الأول مبحثٌ شافٍ، يثبت أنَّ المسلمين كانوا أوَّل من جهر بأن الأمة مصدر السلطات، وهي عبارة حرص الشيخ على تسجيلها بدستور سنة ١٩٢٣ المصري، وقد كان من أبرز الأعضاء الذين قاموا بتدوينه، كما كان أول من سجل بهذا الدستور أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، فأذعن له الأعضاء عن طواعية وترحيب.

وفي الباب الثاني رد على من أنكر وجوب الخلافة، ناقضًا ما تورط فيه الأستاذ علي عبد الرازق من شبه يحسبها أدلة، وهي فقاعات تتطاير في الهواء.

ثم مضى الحديث العلمي القويم متتابعًا في فصول الكتاب، وقد بلغ أكثر من أربعمئة وخمسين من الصفحات، ليعرض المقرر المعلوم في كتب الأصول عن الإجماع، وحال القضاء في زمن الرسالة، والوظائف والعمالات، وما يضاف إلى الإمامة العامة من ملحقات كالوزارة والحجابة، ومغزى رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك، وبعثاته المتكررة إلى القبائل دعوة للإسلام، وتحببًا في الصلح وإعطاء الأمان، فإذا وفي حديث الرسالة في عهد الرسول ﷺ حقه، تكلم بإفاضة وإشباع عن عهد أبي بكر ﵁، والتزامه بما بدأ به الرسول ﷺ باسطًا مجال القول في الجهاد وضروراته، ومبينا عثرات التناقض فيما بدا في كلام الشيخ علي عبد الرازق.

ومن أنفس فصول الكتاب ما دحض به الرأي القائل بأن شريعة الإسلام مقصورة على الأمور الدينية، وهي دعوى كاذبة، يرددها العلمانيون بغيا دون حق، لأنهم ما قرؤوا القرآن، وعرفوا ما به من آيات السياسة والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، امتثالًا لحكم الله! وإذا ارتكز المؤلف المنقود على زعمه أن الشريعة الإسلامية روحية محضة، لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ، فقد عصف الشيخ بكل ما قاله في وضوح ساطع لا يقبل المراء، وكذلك ما قرره في دحض ادعائه بأن الخلافة ليست من الخطط الدينية، وأنها نظام عتيق يجب أن يهدم)[1].

ومن مؤلفاته المهمة: حاشيته على شرح الإمام الإسنوي لكتاب منهاج الوصول للبيضاوي في علم أصول الفقه، فهو كتاب نفيس جدًّا، حافل بالتدقيقات المتينة في بحوث علم الأصول، وهي بطبيعتها بحوث وعرة

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين /٣/٣٣٩.

شائكة، حتى إن الحاشية المذكورة للشيخ بخيت - رحمه الله تعالى - لتعدّ خاتمة المؤلفات التي خرجت على طريقة الحواشي، قال سماحة شيخنا العلامة الجليل الإمام الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية: «ويعدّ الشيخ الباجوري - رحمه الله - من أواخر أصحاب الحواشي، والتي ظهرت تدريجيًّا في صورة بحث في اللفظ عند الإمام النووي ت٦٧٦هـ في القرن السابع، حيث ألف دقائق المنهاج»، وذكر في أوله: «ومقصودي به التنبيه على الحكمة في العدول عن عبارة المحرر، وفي إلحاق قيد، أو حرف، أو شرح للمسألة، ونحو ذلك».

ثم رأينا السعد التفتازاني ت٧٩٢هـ تظهر عنده كلمة الحاشية على العضد، فيقال: حاشية التفتازاني على العضد، أي: على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، ثم يأتي كذلك الشريف الجرجاني ت٨١٦هـ، فحشى على العضد أيضًا.

ثم نرى الحاشية بمعناها المتأخر مع الشيخ سليمان الجمل ت١٢٠٤هـ، حيث حشى على جملة كتب، منها كتب السيوطي ت٩١١هـ، فله حاشية على تفسير الجلالين في أربعة مجلدات، انتهى منها سنة ١١٩٨هـ، وبعد الشيخ الجمل انتشرت طريقة الحواشي، أي في القرن الثاني عشر الهجري.

وظلت حتى الشيخ محمد بخيت المطيعي ت١٣٥٤هـ، الذي حشى على شرح الإسنوي على متن منهاج الأصول للبيضاوي، فكأن هذه المرحلة من التأليف ظلت من نحو سنة ١٢٠٠هـ إلى ١٣٥٠هـ، قرن ونصف من الزمان)[1].

(١) من تقدمة فضيلته لتحقيقه وتعليقه على كتاب: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، المسمى: تحفة المريد، على جوهرة التوحيد /ص١٢/.

قلت: وقد قامت الدكتورة هانم عبد الرحيم إبراهيم بإعداد دراسة في غاية الأهمية حول ظاهرة الحواشي عنوانها: (ظاهرة كتب الحواشي في التراث العربي، دراسة ببليوجرافية)، رصدت فيها ألفًا وثمانمائة وخمسًا وتسعين حاشية وأَوْرَدَتْ أسمائها، قام بإعدادها ألف وسبعة وتسعون من العلماء، مع دراسة للمجالات الموضوعية للمتون التي تمَّ إعدادُ الحواشي حولها، ودراسة لأبرز المؤلفين لكتب الحواشي، وأبرز مؤلفي المتون التي تم إعداد حواش عليها، ودراسة حول التوزيع التراكمي للحواشي على متونها، ودراسات وبحوث أخرى مهمة، حتى قالت: (يعد القرن الخامس الهجري هو البداية الرسمية لإعداد كتب الحواشي في التراث العربي، حيث لم يتم حصر أي كتاب من كتب الحواشي خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة، ولقد تم حصر كتابين فقط من كتب الحواشي خلال القرن الخامس) فذكرتهما[1].

إلى أن قالت: (بدأت أعداد الحواشي التي يتم إعدادها في النقصان في القرون التالية للقرن الحادي عشر، الذي سجل ثاني أكبر نسبة في عدد الحواشي التي تم حصرها، والتي بلغت (٣٤١) حاشية، ثم بدأت أعداد تلك الحواشي في التناقص تدريجيا، حتى القرن الرابع عشر الهجري، والذي انتهى فيه عصر المخطوطات، وبدأ عصر جديد من المعرفة الحديثة).

قلت: ولشيخنا البحَّاثة المطلع الحبيب عبد الله بن محمد الحبشي الحضرمي الباعلوي الحسيني كتاب مهم اسمه: (جامع الشروح والحواشي) طبع في ثلاثة مجلدات، وقد أهدانيه مؤلفه ـ حفظه الله تعالى ـ، وشيخنا المذكور هو حفيد حفيد الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، إمام أهل الحضرموت من السادة آل باعلوي في زمانه.

(١) ظاهرة كتب الحواشي في التراث العربي /ص٦١.

وقد سمعت من شيخنا سماحة الإمام الشيخ علي جمعة أيضًا أن كتاب: (أصول الفقه) لشيخه العلامة الأصولي المتقن الشيخ محمد أبو النور زهير يعد حاشية على كتاب: (نهاية السول) للإمام الإسنوي، وهو على هذا آخر الحواشي على الإطلاق.

فصل

وبالجملة فإن الشيخ لا نظير له في المتأخرين، رسوخَ قدمٍ، وسعة اطلاع، وقوةَ نظرٍ وتحقيق، وليت شعري! لقد أهمله المصريون، حتى لا يكاد يسمع به العلماء فضلًا عن الطلبة، فأضاعوا عَلَمًا من أعلام مصر، يفخرون به على المشرق والمغرب قرونًا عديدة.

قال الحافظ أحمد بن الصديق الغماري في: (البحر العميق): (وبالجملة فهو أعجوبة زمانه، بل من الطراز الأول، والأئمة القدماء، أهل القرن الرابع والخامس).

وقال الشيخ أحمد بن محمد الهواري في رحلته الماتعة المسماة: (دليل الحج والسياحة) عند ذكر ما حضره من دروس علماء الأزهر الشريف: (ودرسا للشيخ بخيت، مفتي الديار المصرية، وهو الملقب عندهم بحجة الإسلام، وعالم وقته، وأبي حنيفة زمانه، وقد وجدناه جل تلامذته من العلماء والمشايخ، وهو يبلغ من العمر نحو السبعين سنة)[1].

وأقول: ما حَظِي الشيخ بمكانته ولا ببعض ما يستحق، وكان ينبغي على المعتنين بالفقه والأصول إحياء ذكر الشيخ، والاعتناء بآثاره ومنهجه، وإقراء

(١) دليل الحج والسياحة/ص٦٧.

تصانيفه في فني الأصول والكلام وغيرها، فإنك تكاد ألا تجد له ذكرًا إلا عند الخاصة من أهل العلم، الذين وعوا عنه سعة علمه، وضخامة شخصه، وقد توفي الشيخ منذ سبعين سنة أو يزيد، فما أفرده أحد بكتاب يجمع أخباره، ويعرف به، بينما أفرد بالتأليف من هو دونه بكثير، رحمه الله رحمة واسعة.

فصل

أما عن روايته وأسانيده واتصالنا به فقد قال شيخ مشايخي العلامة الشيخ: محمد ياسين الفاداني: (إن له ثبتًا يروي فيه عن سبعين شيخًا!!).

قلت: وقد أخبرني المسند الشيخ: حامد أحمد أكرم الخوقندي ثم المدني: أنه رأى في إحدى المكتبات ذات مرة ثبتًا للعلامة الشيخ بخيت المطيعي، مطبوعًا طبعةً قديمةً، فلم يعتن به، ولا أقبل على اقتنائه، ثم إنه بعد انصرافه بمدة ندم، فرجع فلم يجده، ولم يره ثانية بعد ذلك، وأقول: وهذا كله غريب.

يروي عن: ١ ـ الشهاب أحمد بن محجوب الفيومي الرفاعي، وهو عن البرهان الباجوري، ٢ ـ ويروي عن محمد الخُضري الدمياطي وهو عن الباجوري، عن عبد الله الشرقاوي بما في ثبته.

٣، ٤، ٥ ـ ويروي عن عبد الرحمن الشربيني، وعن عبد الرحمن البحراوي، وعن أحمد بن مصطفى ضياء الدين الكمشخانوي، صاحب كتاب: (راموز الحديث)، وهو عن أحمد بن سليمان الأروادي بأسانيده.

٦، ٧ ـ ويروي عن محمد عليش المالكي وهو عن الأمير الصغير عن

الأمير الكبير بما في ثبته، وسيأتيك ذكر أسانيد الشيخ عليش وأخباره في ترجمته من هذا الكتاب.

١٥/٨ ـ ويروي عن الشمس محمد بن محمد بن حسين الأنبابي، وعن محمد بن سالم النجدي المصري الشرقاوي، والشيخ أحمد عبد الخالق الوفائي، والسيد أحمد رافع الطهطاوي، والشيخ سعيد بن علي بن محمد بن أحمد الموجي الأزهري، أمير المحمل المصري، والشيخ عبد الفتاح بن أحمد بن محمد العدوي، والشيخ محمد بن علي الحبشي السكندري، والشيخ عبد العزيز الموسوي البغدادي وغيرهم.

نروي مروياته من طريق العلامة الشيخ علي محمد توفيق النحاس، عن والده، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث السكندري، عن العلامة الشيخ صالح الجعفري الأزهري، عنه.

ومن طريق شيخنا رفعت فوزي عبد المطلب، عن صالح أحمد الأركاني، عن أمين بن إبراهيم البخاري الطائفي الحنفي، عنه

ومن طريق شيخنا المسند الكبير السيد عبد الرحمن بن مسند الدنيا السيد محمد عبد الحي الكتاني، عنه مباشرة[1].

(١) ترجم له تلميذه الأستاذ سليمان رصد الحنفي الزياتي في: (كنز الجوهر، في تاريخ الأزهر) /ص٧٢/، وأستاذنا البيومي في: (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) /٣/٣٢٧ ـ ٣٤٦/، والأستاذ عمر رضا كحالة في: (معجم المؤلفين) /٩/٩٨/، وانظر ترجمته في: (قدم الرسوخ، فيما لمؤلفه من الشيوخ) للعلامة أحمد سكيرج العياشي ت ١٣٦٣هـ /الترجمة ٥٤/، وانظر ترجمته أيضًا في: (الفكر السامي) للحجوي /٢/٢٠١/ وفي معجم المطبوعات لسركيس /ص ٥٣٨/، وفي الأعلام للزركلي/٦/٥٠/، وفي صفوة العصر لزكي فهمي /١/٥٠١/ وغيرها كثير جدًا.

❁ **العلامة الشيخ: بسيوني بن بسيوني بن حسن عسل الحسني القرنشاوي الشافعي الأزهري.**

من ناحية قرنشو، بمركز كفر الزيات، من مديرية الغربية.

كان من كبار العلماء المدرسين بالأزهر، وكان رجلًا صالحًا ناسكًا خاشعًا، ذا سمت حسن، منور الشيبة، متواضعًا، ظاهرًا عليه أثر الخير، وكان من عادته في صلاته أن يطيل القراءة جدًّا، حتى عرف ذلك عنه، وكان قد جمع مكتبة كبيرة جدًّا، بيعت بعد وفاته، وهو والد محمد عسل بك المتوفى سنة ١٣٥٣هـ.

ومن تلامذته: العلامة المحدث أحمد شاكر، والعلامة مصطفى عبد الرازق، والعلامة السيد عبد الحي الكتاني، والحافظ أحمد الصديق الغماري، والعلامة الجليل الشيخ محمد طاهر الكيالي مفتي إدلب، ونقيب أشرافها، ورئيس علمائها، المتوفى يوم الثلاثاء، ١٧ محرم سنة ١٣٦٣هـ ـ ١٢ من كانون الثاني سنة ١٩٤٤م، وغيرهم كثير.

وقد تأثر به العلامة الشيخ أحمد شاكر، واستفاد منه، وأثنى على علمه، ولما أن ساق إسناده إلى صحيح البخاري من طريقه، في الأوراق التي ألحقها بآخر كتاب: (نظام الطلاق في الإسلام) قال في حقه: (شيخنا، وسيدنا، وأستاذنا، العالم العامل العلامة، محيي سنة رسول الله ﷺ، الشيخ بسيوني بن بسيوني بن حسن عسل).

وقد اعتنى صاحب الترجمة بتصحيح كتاب: (العقود اللؤلؤية، في تاريخ الدولة الرسولية) تأليف: علي بن الحسن الخزرجي، وطبع بعنايته في مطبعة الهلال سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م، وقد توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٤٢هـ.

يروي عن: ١ ـ أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي ت١٣٠٥هـ، بما في أثباته ومسلسلاته، ٢ ـ وعن مصطفى عز المطعني، وهو عن جماعة منهم: مصطفى المبلط، عن العلامة محمد بن علي الشنواني بما في ثبته، وأسانيده في ترجمته من هذا الكتاب، ومنهم شيخ الإسلام مصطفى بن محمد بن أحمد العروسي، وأسانيده أيضًا في ترجمته من هذا الكتاب، ٣ ـ وعن هاشم النحرير، وهو عن إبراهيم بن محمد الجارم الرشيدي، عن الأمير الكبير، ٤ ـ وعن محمد الخضري المصري، وهو عن شيخ الإسلام البرهان الباجوري، ٥ ـ وعن شيخ الإسلام الشمس محمد بن حسين الأنبابي، وأسانيده في ترجمته من كتابنا هذا.

نروي مروياته من طريق السيد أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، والسيد عبد الرحمن بن السيد عبد الحي الكتاني، كلاهما عن والد الثاني، العلامة السيد عبد الحي الكتاني، عنه.

(ح) ومن طريق شيخنا المسند الكبير السيد عبد الرحمن بن الإمام السيد محمد عبد الحي الكتاني، عنه مباشرة، فبيننا وبينه واسطة واحدة.

حرف التاء

❁ **العلامة اللغوي السيد: محمد توفيق أفندي بن علي أفندي بن محمد بن أبي السعود بن أبي المكارم بن عبد المنعم البكري الصديقي.**

نقيبُ السادة الأشراف، وأحد أركان النهضة الأدبية واللغوية في مصر، ومؤسس أول مجمعٍ للغة العربية بها.

وُلِد ليلة الجمعة ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧هـ، من مؤلفاته: كتاب: (أخبار أبي الطيب المتنبي)، وكتاب: (صهاريج اللؤلؤ) طبع، وبهامشه كتاب: (الوفاقات في العادات) له أيضًا، وكتاب: (بيت الصدّيق) طبع في مطبعة المؤيد سنة ١٩٠٢م، ثم رأيت له طبعة أخرى حديثة، وكتاب: (بيت السادات الوفائية)، وكتاب: (المستقبل للإسلام)، وكتاب: (فحول البلاغة)، وكتاب: (التعليم والإرشاد)، وكتاب: (أراجيز العرب)، وقد ألفه بالتعاون مع العلامة محمد محمود التركزي الشنقيطي، ثم طبع باسم السيد توفيق البكري وحده، أو هكذا قيل، فحصل نزاع بينهما بسبب ذلك[(١)].

وكان رحمه الله تعالى يجيد عدة لغات، منها الإنجليزية والفرنسية

(١) ترجم له العلامة عبد الرزاق البيطار في حلية البشر /٤٢٩/١/، والشيخ يوسف المرعشلي في معجم المعاجم والمشيخات /٤٠٨/٢/، والعلامة محمد رجب البيومي في: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين /٣٥٩/٣/.

والتركية، وحصلت له آلام وأمراض، نقل بعدها إلى مستشفى العصفورية ببيروت، فلبث فيه ستة عشر عامًا، ثم أعيد إلى بيته، واستمر في عزلته حتى توفي إلى رحمة الله تعالى في ١٠ من ربيع الآخر، سنة ١٣٥١هـ، الموافق ١٣ من أغسطس سنة ١٩٣٢م.

فصل

كان السيد توفيق البكري صاحب الترجمة عالمًا بلغة العرب، صاحب تتبع ودراسة لدقائقها وظواهرها، في وقت كان فيه الجوُّ العلميُّ العامُّ معنيًّا باللغة العربية، حتى إن السيد توفيق البكري لَيُذْكر له أنه أول رئيس لأول مجمع للغة العربية في مصر، وقد تم الاجتماع والتحضير لإنشاء المجمع بعنايته وفي بيته، فقد تواصل مع العلامة محمد محمود التركزي الشنقيطي، والشيخ محمد عبده، والعلامة الشيخ حمزة فتح الله، وحفني ناصف، وحسن الطويل، ومحمد بيرم، ومحمد المويلحي، ومحمد عثمان جلال، ومحمد كمال، واتفق المذكورون على عقد اجتماع لذلك، فتم الاجتماع الأول في بيت السيد البكري في ٢١ من شوال ١٣٠٩هـ ـ ١٨ مايو ١٨٩٢م، فناقشوا الأخطار التي تهدد اللغة العربية، وانتخب الحاضرون محمد توفيق البكري رئيسًا لهذا المجمع، ومحمد بيرم سكرتيرًا له؛ وبهذا أنشئ أول مجمع للغة العربية.

غير أن هذا المجمع لم يكن له قانون ينظم أعماله، ويحدد هدفه ورسالته، ويضع شروط الالتحاق به، وعدد أفراده، ولم يكن له خطة مرسومة سوى صيانة اللغة العربية، ووضع ألفاظ جديدة لِمَا استحدث في الحياة، ولم يعقد هذا المجمع سوى سبع جلسات ألقيت فيها بعض البحوث، ووضعت كلمات جديدة لمصطلحات أجنبية.

وقد عقدت أولى جلسات المجمع في (١٨ من رجب ١٣١٠هـ ـ ٤ من

فبراير ١٨٩٣م)، ثم عقدت جلسة أخرى عقب هذه الجلسة في (١ من شعبان ١٣١٠هـ ـ ١٧ من فبراير ١٨٩٣م).

ولم يقدر لهذا المجمع أن يبقى، فمات، ولكن نشط آخرون بعدها لتأسيس هيئات تعتني بخدمة علوم اللسان العربي، مثل: نادي دار العلوم، ومجمع دار الكتب، إلا أنها هيئات نشطت فترة ثم ماتت أيضًا.

ثم ظهر أول مجمع للغة العربية في دمشق سنة (١٣٣٧هـ ـ ١٩١٩م)، ثم تبعه مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م)، ومجمع اللغة العربية في بغداد (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م)، ومجمع اللغة في عمان سنة (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).

وحول مجمع اللغة العربية في القاهرة كتاب الدكتور عبد المنعم الدسوقي الجميعي كتابًا مهمًّا اسمه: (مجمع اللغة العربية، دراسة تاريخية).

وأخبار السيد توفيق البكري طويلة الذيول، حتى ألف الدكتور ماهر حسن فهمي كتابًا عنوانه: (محمد توفيق البكري) طبع في دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة (١٩٦٧م).

فصل

يروي عن: ١ ـ أبيه العلامة علي بن محمد البكري المولود بالقاهرة سنة ١٢١٩هـ، والمتوفى بها ليلة الجمعة ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ، وأسانيده في ثبته: (الكوكب الدري، في أسانيد علي بن محمد البكري).

وهو يروي فيه عن: والده محمد بن أبي السعود البكري، ومحمد الفضالي، والبرهان إبراهيم البيجوري، ومحمد الدمنهوري الحسيني المصري، وعبد الرحمن بن محمد الكزبري، وإسماعيل بن إدريس الرومي.

٢، ٣ ـ ومنهم أخوه العلامة السيد الصالح عبد الباقي بن علي البكري، وأخته السيدة عائشة بنت علي البكرية، سمع من كليهما مسلسل الأولية.

وهما يشاركان والدهما فيه عن محمد الخضري الدمياطي، عن محمد الفضالي، ومحمد الدمنهوري، والبرهان الباجوري، ثلاثتهم عن العلامة عبد الله بن حجازي الشرقاوي بإسناده.

ويروي أيضًا عن: ٤ ـ العلامة الشمس محمد بن حسين الأنبابي، ٥ ـ العلامة عبد الله بن درويش السكري، ٦ ـ والعلامة محمد أبو النصر الخطيب، ٧ ـ العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني ت١٣٥٠هـ.

ويروي عن: ٨ ـ العلامة عبد الرحمن الشربيني، ٩ ـ والعلامة محمد الأشموني، كلاهما عن: مصطفى المبلط، والحسن المرصفي، والحسن العدوي، كلهم عن الإمام البرهان الباجوري بأسانيده.

نروي مروياته من طريق شيخنا سماحة الإمام علي جمعة، والشيخ عبد السلام ابن محمد بن محمد حبوس الشرقاوي، والشيخ محمد عبد الله المشري الشنقيطي، ثلاثتهم عن مسند العصر العلامة محمد ياسين الفاداني، عنه.

هذا، وقد شاركه العلامة الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر الشريف في الرواية عن أخيه العلامة الشيخ عبد الباقي بن علي البكري بأسانيده، ويتصل إسنادنا بهذا الفرع النادر الكريم من طريق شيخنا سماحة الإمام الشيخ علي جمعة، عن العلامة محمد الحافظ التيجاني، والعلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني، كلاهما عن الإمام شيخ الإسلام محمد الأحمدي الظواهري، عن عبد الباقي بن علي البكري، عن أبيه بما في ثبته (الكوكب الدري).

حرف الجيم

◈ **القارئ المتقن العلامة السيد: جمال بن فاروق بن جبريل بن محمود الدقاق الفرشوطي الحسني الحنفي الأزهري.**

ولد يوم الجمعة أول ذي الحجة سنة ١٣٧٩هـ، الموافق ٢٧ مايو ١٩٦٠م بمدينة طهطا، موطن أخواله، أما آباؤه فأشراف حسنيون، يقطنون مدينة فرشوط من أعمال محافظة قنا في الصعيد الأعلى، والصعيد الأعلى يمتد من أسوان إلى أخميم، والصعيد الأوسط من أخميم إلى البهنسا، والصعيد الأدنى من البهنسا إلى الجيزة.

حفظ القرآن الكريم على يد القارئ الشيخ محمد منصور حسين، فأتم حفظه وهو دون العاشرة من عمره، ثم قرأ القرآن الكريم مرة ثانية على الشيخ أنور إبراهيم صادق الكاشف، ثم قرأه أيضًا على الشيخ سيد محمود الأمير، وقرأ إلى سورة الصافات على الشيخ العلامة الشيخ محمود أمين طنطاوي، ولزم العلامة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف عبد الله، فقرأ عليه القرآن برواية حفص، ثم قرأ عليه السبع، ثم أتم العشر، حتى أخبرني مرة أنه ختم القرآن تلاوة على الشيخ عبد الحكيم فوق الاثنتين والعشرين مرة.

وقد انتفع كثيرًا بشيخه محمد منصور حسين، في زهده وخلقه واعتزازه بالقرآن الكريم، كما انتفع بملازمة الشيخ عبد القادر عبيد عبد الرحمن

الأسواني، وأخبرني أنه كان آية في الخلق والتقوى والعبادة، كما انتفع بملازمة الشيخ محمد عبد الباقي إسماعيل، والشيخ عبد الرحمن حسن محمود، والشيخ إسماعيل صادق العدوي، والشيخ رؤوف شلبي، وقرأ (حاشية الصفتي) كاملة على العلامة الشيخ أحمد علي طه ريان المالكي، وقرأ قطعة من (متن جمع الجوامع) في الأصول على شيخنا سماحة العلامة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية.

وله عدد من المؤلفات منها: (الوحي والإلهام بين المسيحية والإسلام)، (التقديس بين اليهودية والمسيحية والإسلام) وهو أطروحته التي نال بها درجة العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر الشريف، (الاختلاف في المسائل الدينية، مجالاته، ودعائمه الخلقية)، (دراسات نصية في السيرة النبوية)، (حقيقة التوسل في الكتاب والسنة)، (وقفة تحليلية حول تعدد الأديان والشرائع).

كما أنه حقق بعض الكتب وقام على خدمتها وإخراجها، منها كتاب: (الدر الناظم، بين حفص الدوري وحفص عاصم)، وكتاب: (الفوائد المفهمة، في شرح الجزرية المقدمة) لابن يالوشة، وغيرها.

فصل

وهو العالم الرباني الفاضل، ذو الشمائل الجمة، والخصال المحمدية الكريمة، جمع الله تعالى له شرف الانتساب إلى بيت النبوة، مع امتزاجه بالقرآن الكريم امتزاجًا تامًا، فقد أفنى عمره في حفظ كتاب الله تعالى، وأتقن القراءات العشر، وحفظ متن الشاطبية والجزرية وغيرهما من

المتون، وجلس لتحفيظ كتاب الله تعالى وتلقينه حيثما حل، وتفانى في خدمة أهل القرآن وموادتهم، ووَصَلَهم وأبرهم، فكنتُ إذا رأيتُه تذكرتُ الحديثَ الصحيح: «**إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض**»، رواه الحاكم في مستدركه وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما من حديث زيد بن أرقم.

ولقد ورد القاهرة فلزم الجامع الأزهر الشريف سنوات بل عقودًا عديدة، لا تراه إلا فيه، فكان حمامة الجامع الأزهر الشريف، ثم أقبل على القرآن الكريم بكليته، واشتغل بالعلم، مع ما جبل عليه من الخير والجود والمعروف، وتعظيم العلم وأهله، والصلاح الظاهر والباطن، والأخلاق المحمدية الطاهرة.

وقد أجيز بالإقراء من غير واحد من مشايخه، وتولى مشيخة قراء مسجد السيدة زينب» عدة سنوات، واعتنى بالرواية وأسانيد الحديث، فتحصلت له أسانيد جيدة، كتب لي الإجازة يوم الأربعاء ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٤ يوليو ٢٠٠٢م، وجمعت جزءًا لطيفًا في أسانيده، أسميته: (المرموق، في أسانيد العلامة الشيخ جمال فاروق)، وأجزت له فتدبجنا.

يروي عن: ١ ـ السيد إبراهيم الخليفة الأحسائي، ٢ ـ السيد إبراهيم بن الصديق الغماري، ٣ ـ الشيخ أحمد سالم كريم القطعاني، ٤ ـ الشيخ أحمد جابر جبران، تدبج معه، ٥ ـ الشيخ تقي الدين الندوي، ٦ ـ الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم، ٧ ـ الحبيب سالم الشاطري، ٨ ـ الشيخ سعد سعد جاويش الكفراوي الأزهري، ٩ ـ الشيخ عبد الله الناخبي، ١٠ ـ السيد عبد الله التليدي، ١١ ـ سماحة مولانا الإمام علي جمعة مفتي الديار المصرية،

١٢ ـ السيد محمد علوي المالكي، ١٣ ـ الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري، ١٤ ـ الشيخ محمد سعد بدران، ١٥ ـ السيد مالك العربي السنوسي، ١٦ ـ السيد محمد حسين الجلالي، ١٧ ـ الشيخ محمد مطيع الحافظ، ١٨ ـ الشيخ محمد الرابع الندوي، ١٩ ـ الشيخ محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني السكندري، ٢٠ ـ الشيخ محمد هشام البرهاني، ٢١ ـ الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني، ٢٢ ـ الشيخ يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ٢٣ ـ الشيخ أحمد معبد عبد الكريم الفيومي الأزهري، ٢٤ ـ العلامة الشيخ محمد نمر الخطيب، ٢٥ ـ العلامة الشيخ أحمد محمد نور سيف المهيري، ٢٦ ـ العلامة المحدث حمزة بن عبد الله المليباري، ٢٧ ـ العلامة الشيخ عبد الفتاح بركة الأزهري، ٢٨ ـ المعمر أحمد علي بن محمد يوسف السورتي اللاجبوري، ٢٩ ـ الشيخ محمد سعيد الكحيل، ٣٠ ـ السيدة فاطمة الشفاء ابنة الشريف أحمد السنوسي وهي تروي عن أبيها بما في ثبته، ويروي صاحب الترجمة عن كثيرين سوى المذكورين.

حرف الحاء

❁ العلامة الفقيه الجليل الشيخ: حسن بن إبراهيم بَشَنْك ـ بفتح الموحدة، والشين المعجمة، وسكون النون ـ المُوشِيُّ الشافعيُّ السيوطي.

هو عالم أسيوط، وفقيهها، ومفتيها، طلب العلم في أسيوط على جماعة من العلماء منهم العلامة الكبير الشيخ عبد الرحمن القُلْتي ـ من ساقية قلتة ـ ثم السيوطي إقامة ووفاة، وهو تلميذ العلامة الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ.

وقد حضر المترجم على جماعة منهم العلامة الشيخ عبد الرحمن القلتي ثم السيوطي، تلميذ العلامة الأمير الكبير، ثم رحل صاحب الترجمة إلى الأزهر الشريف، ومن أشهر مشايخه فيه شيخ الإسلام البرهان الباجوري، ثم رجع إلى أسيوط واستقر بها، فارتفع بها ذكره، وظهر علمه وفضله، وانتفع الناس بعلومه، وكان يُدَرِّسُ اللغة العربية بالمدرسة الأميرية، وكانت له دروس لعامة الناس في مسجد القاضي، وفي مسجد سيدي جلال، وكانت أسيوط في ذلك الوقت حافلة بالعلماء، من أمثال العلامة القدوة الشيخ محمود قراعة، قاضي محكمة مديرية أسيوط الشرعية، وابنه العلامة عبد الرحمن محمود قراعة، والعلامة المحدث علي بن الحق القوصي، والعلامة الشيخ خليل مفتي المحكمة وقتئذ، والعلامة الشيخ علي بن أحمد الطوبجي المالكي، وغيرهم

كثير، هذا وقد توفي العلامة الشيخ حسن بشنك سنة ١٩٠٠م، وقيل: قبلها بسنة، سنة ١٨٩٩م.

قال فضيلة الشيخ سيد علي الطوبجي في: (المقال الموجز في مدينة أسيوط): (وفي عصرهم ظهر الشيخ حسن بشنك، وحضر بالأزهر، وعلى الشيخ عبد الرحمن القلتي، ونشر العلم بأسيوط، وفقه السادة الشافعية، وكان من العلماء الأعلام، وحضر عليه كثيرون، ومنهم الشيخ حسن جاد الله، وهو من العلماء الأفاضل)[1].

وكان ـ رحمه الله ـ قد رزق بثلاثةٍ من الأولاد، كلهم علماء أجلاء، وهم: الشيخ عبد الحكيم، والشيخ كامل، والشيخ محمد فاضل، وكان الأخير من علماء معهد أسيوط الديني، وقد ترجم له فضيلة الشيخ محمد حسين النجار ترجمةً عابرةً في كتابه القيم: (تاريخ معهد أسيوط الديني منذ نشأته)[2]، وقال الشيخ سيد علي الطوبجي في كتاب: (المقال الموجز في مدينة أسيوط): (الشيخ فاضل بشنك، مراقب بمعهد القاهرة، وحضر على والده قبل الأزهر، وكان يلازمه أخوه الشيخ كامل، الذي اقتصر في الحضور على والده)[3].

وقد حضر دروسَ العلامة الشيخ حسن بشنك جماعةٌ لا يحصون منهم: فضيلة العلامة الشيخ أحمد الزقيم، ومنهم: فضيلة الشيخ محمد القُلْتي الشافعي ت١٩١٢م، حفيد العلامة الشيخ عبد الرحمن القلتي، ومنهم: فضيلة العلامة الشيخ محمود بن إبراهيم بن نوفل الشافعي السيوطي أصلًا،

(١) المقال الموجز في مدينة أسيوط/ص٥/.
(٢) تاريخ معهد أسيوط /ص٢٧/.
(٣) المقال الموجز في مدينة أسيوط/ص٢٠/.

الجرجاوي إقامة ودارًا ووفاة، ت١٣٢٨هـ، فقد نشأ في أسيوط، فحفظ القرآن، ثم طلب العلم على علماء أسيوط، لكن كان جل اشتغاله واستفادته من العلامة المحقق الفقيه حسن بشنك، حتى أجازه الشيخ حسن بما تجوز له روايته من مسموعاته، ومروياته، من منقول ومعقول.

وقد عمرت مجالس الشيخ حسن بشنك بالعلم، وتخرج به تلامذة كثر، فإذا ما أضفت إليهم تلامذة الشيخ علي عبد الحق القوصي، والشيخ محمود قراعة، والشيخ عبد الرحمن القلتي، والشيخ علي حسين الطوبجي، وغيرهم من كبار العلماء، أمكنك أن تتصور حال الحركة العلمية في أسيوط في ذلك العهد، وقد ظهرت لذلك كله ثمرات، منها تأسيس المجمع العلمي بأسيوط، قال الطوبجي في: (المقال الموجز): (فضيلة الشيخ علي بكر، وهو من علماء الأزهر، وهو أحد أعضاء المجمع العلمي، الذي أنشأه فضيلة الأستاذ الشيخ محمود البدري، مدة أن كان مفتشا لمساجد أوقاف أسيوط، وكنا نجتمع بعد صلاة العشاء من كل أسبوع، مساء الجمعة، في منزل كل منا، ومن المجمع الشيخ محمد حنفي، والشيخ أحمد عرابي، وصاحب المقال، وكنا نتناقش في مسائل علمية كثيرة، مناقشة أزهرية عميقة)[1].

قلت: وهذا نص إجازة العلامة الشيخ حسن بشنك لتلميذه محمود إبراهيم نوفل، قال رحمه الله: (بسم الله الرحمن الرحيم، نحمدك يا نعم الجر السند، ونشكرك ياحبذا منهلًا، سلسبيله روى من ورد، ونستهديك هدى مسندات دعائمه مرفوعة، ونستمطرك مرسلات رحمةٍ، لا مقطوعة ولا ممنوعة، ونستمنحك مسلسلات متن موصولة، ومسبلات نعم غير مفضولة،

(١) المقال الموجز في مدينة أسيوط/ص٢٧/.

ونستعطيك عوائد فرائد، ونستندبك موائد عوائد، ونستعينك على نظم عقد الصلاة والسلام، بجيد واسطة عقود خير الأنام، وعلى آله هداة الأمة، وصحبه وكل من نحاه وأمَّه، وعلى أوعية الشريعة أئمتنا، وأخبية الحقيقة وحجتنا، ما غرد قمري غصن البان، وأجابه بلبل سوق التبيان، وبعد، غير خاف على ذي بصيرة، أن اقتناء العلم أبقى ذخيرة، وأوفى من عطيات الدهور، وأنقى للعرض من كل طهور، فكان ذلك السبب، أن يُجعل مَقْصِدًا وأشهى أرب، وكان ممن دعته عليا العناية لذلك، فحاز في تحصيله أعدل المسالك، وطوى الكشح في رحاب سيره، ونوى الشفع في محراب قصره، وصام عن طعام المنام، وزكى نفسه لذلك المرام، وأحرم عن شهوات النفوس، وطاف بكعبة هرم الطروس، ووقف بعرفات المباني، وسعى بين صفا ومروة المعاني، وشرب من زمزم التعليم، واستلم ركن الانقياد والتسليم، فأتى بمعنى متمناه، وحل بعرصة فوزه، وودع بيت الاستفادة، بطواف الإعادة والإجادة، فرجع من الحق إلى الخلق، يروي ما راق مورده ورق، أخونا الفاضل، العلامة المبجل، الشيخ محمود إبراهيم نوفل، فلما رأيته وافي المذهب، وصافي المشرب، طرزت برد إجازته، وحررت حلل إجابته، بما في سند شيخ مشايخنا العلامة الأمير، أرويه عنهم حسب التيسير، خصوصًا من أرجو به مضاعفة أجوري، شيخ الإسلام العلامة الباجوري، داعيًا له بالثبات، وأن يكون لي بعد الممات، وأن يلين جانبه لسائله، وأن يجيد نظمه بجيد نائله، وأن يديم النفع في مسعاه، ويقرب له كل قاص توخاه، بجاه من به تنال المكرمات، عليه وعلى آله أكمل الصلوات وأتم التحيات، كتبه أفقر الورى بلاشك، حسن بشنك، غفر له) ثم ختم الشيخ [illegible]

وقد جمع الأستاذ الفاضل حسن محمود نوفل كتابًا عنوانه: (عذب المنهل، في ترجمة ابن نوفل)، طبع في مطبعة جرجا الوطنية، سنة ١٩٣٩م(١).

فمما أورده مؤلفُ الكتاب مرثيةَ العلامة الشيخ محمود إبراهيم نوفل في شيخه العلامة حسن بشنك رحم الله الجميع.

يروي العلامة الشيخ حسن بشنك عن شيخ الإسلام البرهان الباجوري، وهو عن جماعة، منهم: الأمير الكبير بما في ثبته: (سد الأرب، من علوم الإسناد والأدب).

وقد سمع العلامة الشيخ حسن بشنك الحديث المسلسل بالأولية الحقيقية من العلامة الشيخ شرف الدين بن علي بن عبد الرؤوف بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف ابن محمد الحنفي الجرجاوي، مفتي سوهاج، المتوفى يوم ١٤ من شهر ذي الحجة الحرام، سنة ١٣٠٦هـ.

نروي مروياته بإسنادنا إلى العلامة الشيخ محمد حامد المراغي الجرجاوي، عن العلامة محمود بن إبراهيم بن نوفل الشافعي، عنه.

* * *

۞ شيخ الإسلام، الإمام العلامة السيد: حسن العلوي ابن السيد درويش ابن السيد عبد الله بن مطاوع القويسني الشافعي.

جاور في الأزهر الشريف من سنة إحدى وسبعين ومائة وألف إلى سنة ألف ومائتين وتسعة من الهجرة، وتخرج بالعلامة الجوهري صاحب النهج، والأستاذ الشيخ الشرقاوي، والعلامة أحمد الدردير، والعلامة الأمير الكبير وغيرهم.

وكان قد وافق ابتداء مجاورته في الأزهر الشريف ابتداء مجاورة العلامة الجليل الشيخ رضوان نجا الأبياري، فاصطحبا من حينئذ مطالعةً وحضورًا

حتى تخرجا معًا سنة ١٢٠٩هـ، ولذا كان العلامة القويسني يعتني كثيرًا بالعلامة الشيخ عبد الهادي نجا، ابن الشيخ رضوان نجا الأبياري، ويلاحظه كثيرًا، وكان يقول له: (أنت ابن أخي).

وقد وصفه علي مبارك باشا فقال في: (الخطط التوفيقية): (وكان مع انكفاف بصره مهيبًا جدًّا عند الأمراء وغيرهم، وله الحل والعقد)[1].

له من التآليف: (رسالة في المواريث)، (شرح على متن السلم في المنطق) في خزانة كتبي نسخة منه مصورة من المخطوط، قال في: (الخطط التوفيقية): (إنه أملاه على بعض الأمراء في ذلك الوقت)[2].

وهو الذي تولى مشيخة الأزهر الشريف بعد العلامة الشيخ حسن بن محمد العطار ـ رحمهما الله تعالى ـ، وكان رحمه الله يدرِّس كتاب (جمع الجوامع) في الأصول، وكتاب: (مشارق الأنوار) في الحديث، وممن حضر عليه دروسه في الكتب المذكورة رفاعة الطهطاوي، ومن تلامذته أيضًا شيخ الإسلام البرهان الباجوري، والشيخ محمد البناني، والسيد مصطفى الذهبي، والشيخ أحمد المرصفي، بل ومن تلامذته الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولهذا الشأن حديث طويل، يأتيك بعد قليل.

وقد توفي الشيخ إلى رحمة الله تعالى سنة ١٢٥٤هـ.

قلت: وقد (نقل الشيخ محمد سليمان عن شيخه العلامة الشيخ عبد المجيد اللبان أنه: كانت هناك جفوة بين الشيخ القويسني والشيخ الأمير،

(١) الخطط التوفيقية /٤/٨٥/، وكحالة في معجم المؤلفين /٣/٤٣/، وسليمان رصد الحنفي في الكنز والجوهر /ص١٤١/، وأنت تجد شذرات حوله في مواضع متفرقة من تاريخ عبد الحميد بك، والمطبوع في دار الغرب تحت عنوان: (أعيان من المشارقة والمغاربة).

(٢) الخطط التوفيقية /١٤/٤٤٠/.

وبلغ ذلك الحاكم، فأرسل للشيخ الأمير يسأله عن سبب الجفوة، وأخبره أن الشيخ القويسني حدثه عنها، إلا أن الشيخ الأمير قال: ليس بيننا إلا الخير، وما أظن الشيخ القويسني حدثك بشيء من هذا، وأثنى الشيخ الأمير على العلامة القويسني خيرًا، ولما انصرف من عند الوالي ذهب إلى الشيخ القويسني وأخبره بما حدث، فقال له: صدقت في ظنك، ما قلتُ للحاكم شيئًا، فقال الشيخ الأمير: (هكذا أهل العلم، يسوون ما بينهم في خاصتهم، وأما مظهرهم فيجب أن يكون قدوة للتآلف والخير، وإمساكًا على عروة الإسلام، وحفظًا لكرامة العلم)، وبذلك زال ما بينهما من جفاء)[1].

فصل

كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب قد حُمِلَ إلى مصر، بعد أن قرأ على جده من كتاب التوحيد له، وحضر عليه في صحيح البخاري، وفي تفسير ابن كثير وغيره، فحمل إلى مصر، وانتظم للدراسة في الأزهر الشريف، فحضر على شيوخ الأزهر وعلمائه، وتتلمذ عليهم، وانتفع بهم، ولما أن رجع إلى نجد روى عنهم بموجب إجازاتهم له.

وكان قد حضر على شيخ الإسلام الشيخ حسن القويسني ـ صاحب هذه الترجمة ـ في علم الأصول وعلوم البلاغة، وحضر على شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجوري صاحب الشرح المشهور على جوهرة التوحيد في العقائد، حضر عليه في علم النحو وعلم المنطق، وحضر على الشيخ محمد الدمنهوري في البلاغة وعلم العروض، وحضر على الشيخ أحمد سلمونة في القراءات والتجويد، ودعا للأزهر الشريف، فرحمه الله من أهل إنصاف ومعرفة.

(١) شيوخ الأزهر /٢/٤٣/ تأليف: أشرف فوزي صالح.

وأنا أنقل لك هنا نص كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بحروفه رغم طوله، لترى إجلاله للأزهر الشريف.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ كما في: (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية): (اعلم أني قرأت على شيخنا الإمام الجد، شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كتاب «التوحيد»، من أوله إلى باب السحر، وجملة من: «آداب المشي إلى الصلاة».

وحضرت عليه عدة مجالس كثيرة في البخاري، والتفسير وكتب الأحكام بقراءة شيخنا الشيخ عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في سورة البقرة من كتاب ابن كثير، وفي كتاب: «منتقى الأحكام» بقراءة الشيخ عبد الله بن ناصر وغيرهم.

وسنده رحمه الله تعالى معروف، تلقاه عن علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة، منهم: محمد بن حياة السندي، والشيخ عبد الله بن إبراهيم الفرضي الحنبلي.

وقرأت وحضرت جملة كثيرة من الحديث والفقه على الشيخين المشار إليهما أعلاه، وشيخنا الشيخ حسين رحمه الله تعالى.

وحضرت قراءة وأنا إذ ذاك في سن التمييز على والده شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ وشيخنا الشيخ حمد بن ناصر ـ رحمه الله تعالى ـ، وقرأت عليه في مختصر الشرح والمقنع وغيرهما، وشيخنا الشيخ عبد الله بن فاضل ـ رحمه الله تعالى ـ قرأت عليه في السيرة، وشيخنا الشيخ عبد الرحمن بن خميس قرأت عليه في شرح الشنشوري في الفرائض، وشيخنا الشيخ أحمد بن حسن الحنبلي، قرأت عليه شرح الجزرية للقاضي زكريا الأنصاري، وشيخنا الشيخ أبو بكر حسين بن غنام قرأت عليه شرح الفاكهي على المتممة في النحو.(١)

وأما مشايخنا من أهل مصر، فمن فضلائهم في العلم الشيخ حسن القويسني، حضرت عليه «شرح جمع الجوامع في الأصول» للمحلي، ومختصر السعد في المعاني والبيان، وما فاتني من الكتابين إلا أفوات يسيرة.

وأكبر مَن لقيت بها من العلماء: الشيخ عبد الله سويدان، وأجازني هو والذي قبله بجميع مروياتهم، ودفع لي كل واحد منهما نسخته المتضمنة لأوائل الكتب التي رووها بسندهم إلى الشيخ المحدِّث عبد الله بن سالم البصري، شارح البخاري، ولقيت بها الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، وحدَّثني بالحديث المسلسل بالأولية بشروطه، وهو أول حديث سمعته منه، وقرأت عليه سنده حتى انتهيت إلى الإمام سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»، وأجازني بجميع مروياته عن شيخه الشيخ مرتضى الحسيني عن الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل، وعن الشيخ أحمد الجوهري، كلاهما عن عبد الله بن سالم البصري، وهو يروي عن أبي عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي عن الشيخ سالم السنهوري عن النجم الغيطي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب «فتح الباري»، وأكثر روايات مَن ذكرنا من مشايخنا للكتب تنتهي إليه.

وأما روايتهم للبخاري فرواه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ عن إبراهيم بن أحمد التنوخي عن أحمد بن أبي طالب الحجار، عن الحسين بن المبارك الزبيدي الحنبلي، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي، عن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود الداودي،

عن أبي عبد الله محمد بن يوسف ابن مطر الفربري، عن الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ، وقرأت عليه أسانيده عن شيخه المذكور متصلة إلى مؤلفي الكتب الحديثية، كالإمام أحمد ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ـ رحمهم الله ـ، فأجازني بها وبسند مذهبنا بروايته عن شيخه المذكور عن السفاريني النابلسي الحنبلي، عن أبي المواهب متصلًا إلى إمامنا رحمه الله تعالى.

وأما الشيخ عبد الله سويدان، فأجازني بجميع ما في نسخة عبد الله بن سالم المعروفة بمصر ونقلتها من أصله، فهي الآن موجودة عندنا مسندة إلى الشيخ المذكور بروايته عن محمد بن أحمد الجوهري عن أبيه عن شيخه عبد الله بن سالم. وقد تقدَّم سياق سنده إلى البخاري، وأجاز لي برواية مذهب إمامنا بروايته عن يد الشيخ أحمد الدمنهوري عن الشيخ أحمد بن عوض عن شيخه محمد الخلوتي عن شيخه الشيخ منصور البهوتي، عن الشيخ عبد الرحمن البهوتي، عن أظن اسمه يحي بن الشيخ موسى الحجازي، عن أبيه، وسند الأب مشهور إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

وأما الشيخ حسن القويسني فأجاز لي بجميع ما في نسخة الشيخ عبد الله بن سالم البصري المذكور، بروايته عن الشيخ عبد الله الشرقاوي، عن الشيخ محمد بن سالم الحفني، عن الشيخ عيد بن علي النمرسي، عن عبد الله بن سالم البصري.

(ح) قال: وأخذت «صحيح البخاري» جميعه عن الشيخ داود القلعي، عن الشيخ أحمد بن جمعة البجيري: عن الشيخ مصطفى الإسكندراني المعروف بابن الصباغ: عن الشيخ عبد الله سالم بسنده المتقدم.

قال: أخذت الصحيح عن شيخنا سليمان البجيرمي: عن الشيخ محمد العشماوي: عن الشيخ أبي العز العجمي: عن الشيخ محمد الشوبري: عن محمد الرملي: عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: عن الحافظ ابن حجر العسقلاني: عن الشيخ التنوخي: عن الشيخ سليمان بن حمزة: عن الشيخ علي بن الحسين ابن المنير: عن أبي الفضل ابن ناصر: عن الشيخ عبد الرحمن بن منده: عن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الجوزقي: عن مكي بن عبدان النيسابوري: عن الإمام مسلم: عن الإمام البخاري رضي الله عنهم أجمعين. قلت: وبهذا السند روى صحيح مسلم.

ولقيت بمصر مفتي الجزائر: محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري، فوجدته حسن العقيدة، طويل الباع في العلوم الشرعية، وأول حديث حدثنيه المسلسل بالأولية، رواه لنا عن شيخه: حمودة الجزائري بشرطه، متصلًا إلى سفيان بن عيينة كما تقدم، وأجازني بمروياته عن شيخه المذكور وشيخه علي بن الأمين، وقرأت عليه جملة في «صحيح مسلم»، وأول البخاري رواية ابن سعادة بالسند المتصل إلى المؤلف رحمه الله تعالى، وقرأت عليه جملة من «الأحكام الكبرى» للحافظ عبد الحق الإشبيلي رحمه الله، وكتبت أسانيده في الثبت الذي كتبته عنه.

وممن وجدت أيضًا بمصر الشيخ إبراهيم العبيدي المقرئ شيخ مصر في القراءات، يقرأ العشر، وقرأت عليه أول القرآن، وأما الشيخ أحمد سلمونه فلي به اختصاص كثير، وهو رجل حَسَن الخُلُق، متواضع، له اليد الطولى في القراءات والإفادات، قرأت عليه كثيرًا من الشاطبية وشرح الجزرية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وقرأت عليه كثيرًا من القرآن، وأجاد وأفاد، وهو

مالكي المذهب، والذي قبله روايات وأسانيد متصلة إلى القراء السبعة وغيرهم، ومنهم الشيخ يوسف الصاوي، قرأت عليه الأكثر من «شرح الخلاصة» لابن عقيل رحمه الله تعالى.

ومنهم: إبراهيم البيجوري، قرأت عليه «شرح الخلاصة» للأشموني إلى الإضافة، وحضرت عليه في السلم.

وعلى: محمد الدمنهوري في: (الاستعارات)، و(الكافي، في علمي العروض والقوافي)، قرأها لنا بحاشيته **بالجامع الأزهر، عَمَرَهُ الله تعالى بالعلم والإيمان، وجعله محلًّا للعمل بالسُّنّة، وجميع المدن والأوطان**، إنه واسع الامتنان، وصلى الله على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا.

أملاه الفقير إلى الله تعالى: عبد الرحمن بن حسن، أحسنَ الله إليه بمنّه وكرمه، وكتبه الفقير إلى الله: إبراهيم بن راشد سنة ١٢٤٤، ونقله من خطه الفقير إلى رحمة ربه العزيز: محمد بن علي بن محمد البيز، رزقه الله العلم والعمل وحسن الخاتمة عند حلول الأجل، إنه واسع المَنّ، كثير الفضل، سنة ١٣٣٤هـ)[1].

قلت: وقد توفي الشيخ عبد الرحمن بن حسن في الرابع عشر من ذي القعدة، ليلة السبت سنة ١٢٨٥هـ، ولِمَا أحبَبْتُه من إنصاف الرجل وإجلاله لعلماء الأمة، وتوقيره لهم، فإني أسوق إسنادي إلى شيخ الإسلام الشيخ حسن القويسني مرورًا به، وذلك من طريق شيخنا العلامة الجليل الشيخ حسن محمود الشافعي، عن محمد الحافظ التيجاني، عن عبد الستار الدهلوي، عن

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٢/٢٠ ـ ٢٤.

أحمد بن عيسى الشرقيّ النوريّ الحنبليّ، عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن، عن شيخ الإسلام، وشيخ الجامع الأزهر الشريف، العلامة الشيخ حسن القويسني، رحم الله الجميع.

فصل

يروي شيخ الإسلام حسن القويسني عن: ١ ـ العلامة السيد داود القلعي، ٢ ـ والعلامة الشيخ سليمان البجيرمي، ٣ ـ والعلامة عبد الله الشرقاوي ت١٢٢٧هـ، ٤ ـ ومحمد الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ وغيرهم.

وكان شيخ الإسلام حسن القويسني قد سمع رسالة الأوائل لعبد الله بن سالم البصري بتمامها، وسمع متن صحيح البخاري بتمامه في سبعة وخمسين مجلسًا، سنة ١٢٢٠هـ، مع جمع من أهل العلم بالأزهر الشريف، على شيخه خاتمة المحدثين السيد داود القلعي، وهو قد أخذ ذلك عن الشيخ أحمد جمعة البجيرمي، وهو عن الشيخ مصطفى السكندري الصباغ، وهو عن عبد الله بن سالم البصري جامع رسالة الأوائل، وهو عن العلاء البابلي، عن سالم السنهوري، عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، وانظر لزامًا ترجمة السيد داود القلعي من كتابنا هذا.

وقد سمع القويسني أيضًا صحيح البخاري بتمامه على العلامة سليمان البجيرمي، وأجازه ببقية الكتب الستة، وبجميع مروياته، وهو أخذ عن العلامة العشماوي، عن أبي العز العجمي، عن الشيخ الشوبري، عن الرملي الصغير، عن شيخ الإسلام زكريا، عن الحافظ ابن حجر.

وسمع القويسني صحح البخاري بتمامه على الشيخ عيد النمرسي، وهو عن عبد الله بن سالم البصري بسنده السابق.

وسمع القويسني قسطًا من صحيح البخاري على شيخ الإسلام وشيخ الأزهر الشريف محمد الشنواني، وكان ذلك في زاوية الأستاذ الحفني، وهو أخذ عن الشيخ الحفني، وعن الشيخ البراوي، وهو عن الجوهري الكبير، وهو عن عبد الله ابن سالم البصري.

وممن حضر تلك المجالس، وتلقى تلك الكتب سماعا من القويسني: شيخ الإسلام مصطفى العروسي، وارجع لزامًا إلى ترجمته من كتابنا هذا.

نروي مروياته من طريق العلامة عبد الغني بن محمد علي الدقر الدمشقي، عن الإمام بدر الدين الحسني، عن الإمام برهان الدين السقا، عنه.

(ح) ومن طريق السيد أحمد بن أبي بكر الحبشي والسيد عبد الرحمن بن عبدالحي الكتاني، كلاهما عن والد الثاني، عن أبي الحسن علي بن ظاهر الوتري، عن أحمد بن محمد بن الطاهر الأزدي المراكشي، عنه.

(ح) ومن طريق السيد أحمد بن أبي بكر بن حسين الحبشي، عن السيد محمد عبدالحي الكتاني، عن إبراهيم بن سليمان الحنفي المكي، عن محمد بن حميد المكي الشرقي، مفتي الحنابلة في مكة المكرمة، عن الإمام الشهاب أبي الثناء محمود الألوسي المفسر، صاحب: (روح المعاني)، عن شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد عارف بن إبراهيم الحنفي الحسيني[1]، عنه، فهذا

(١) شيخ الإسلام، العلامة المدقق، الشيخ أحمد عارف حكمت، صاحب مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، توفي سنة ١٢٧٥هـ، ترجم له العلامة الشهابُ الألوسيُّ في جزء مستقل اسمه: (شهيُّ النغم، في ترجمة شيخ الإسلام: عارف الحكم) وهو مطبوع، وترجم له الأستاذ أحمد صدقي شقيرات في كتابه القيم: (تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني) /١٩٩/٢/، ولشيخ الإسلام عارف حكمت في القلب من الإجلال والمحبة والمهابة الشيء الكثير، ومن لطائفه رحمه الله أنه كان ينشد:

سياق جليل، اجتمع فيه الأكابر في نسق، وأين أمثال الألوسي، وشيخ الإسلام عارف حكمت، وشيخ الإسلام القويسني، في جلالتهم ونبلهم وعلمهم، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

(ح) ومن طريق شيخنا المحدث السيد صبحي البدري السامرائي الحسيني، عن شيخه عبد الكريم بن عباس الحسني البغدادي، عن خير الدين نعمان الألوسي، عن أبيه الشهاب الألوسي، عن شيخ الإسلام عارف حكمت، عن الإمام، شيخ الإسلام السيد حسن القويسني، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

* * *

❁ العلامة المتفنن الإمام، شيخ الإسلام، الشيخ: نور الدين أبو السعادات حسن بن محمد كتن بن محمود العطار الأزهري.

ولد بالقاهرة سنة ١١٨٢هـ، وذكر الزياتي في: (كنز الجوهر) أن ولادته سنة ١١٨٠هـ، وسمع من أهله أنه مغربيُّ الأصل، وتوفي في الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٥٠هـ. كما نص عليه الأستاذ صالح مجدي في كتاب: (حلية الزمن).

درس على العلامة الشيخ محمد بن محمد الأمير ت١٢٣٢هـ، والشيخ محمد الصبان ت١٢٠٤هـ، والشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي.

= ألــم تعلــم بــأنَّ ســماءَ فِكْــري ... تجــولُ بأُفْقِــه شــمسُ المعــارفْ
تفــــرَّسَ والدِي فيَّ المعــــالي ... فيــوم وُلِدتُ ســماني بعــارفْ

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ورفع في الجنة درجته، وألحقنا به في عافية.

ونصَّ في إجازته للشيخ حسن بن إبراهيم البيطار على أسماء جماعة من شيوخه في الرواية، وقد أورد نص هذه الإجازة ولد المجاز بها، الشيخ عبد الرزاق البيطار في: (حلية البشر) له ترجمة حسن العطار[1]، فممن ذكر: العلامة الشيخ محمد الصبان، والفهامة الشيخ أحمد يونس، والشيخ عبد الرحمن المغربي، والشيخ أحمد السجاعي، والشيخ أحمد العروسي المتوفى يوم ٢١ من شهر شعبان سنة ١٢٠٨هـ (١٧٩٤م)، والشيخ عبد الله الشرقاوي، والشيخ محمد بن علي الشنواني، والشيخ عبد الله سويدان بن علي بن عبد الرحمن الدمليجي، والشيخ محمد الأمير، والشيخ محمد عرفة الدسوقي، والشيخ أحمد الشهير ببرغوث المالكي ت١٢٢٣هـ، والشيخ البيلي وغيرهم.

فصل

يُعَدُّ العلامة الشيخ حسن العطار شخصيةً فارقةً في تاريخنا المعاصر، لإحاطته بأنماطٍ من العلوم لم يكن يعتني بها كثيرٌ من معاصريه.

فقد كان متقدمًا في معرفة العلوم العقلية من أصولٍ، ومنطقٍ، ومقولات، ووَضْعٍ، وكلام، وآداب البحث والمناظرة، إضافة إلى النحو والبلاغة، إضافة إلى الطب والهندسة والفلك وغير ذلك من العلوم والمعارف.

وقد أضاف إلى معارفه وعلومه التي كسبها من علماء الأزهر أنه حرص على مباحثة من لقيهم من العلماء، في الأقطار التي نزل بها، قال في إجازته لحسن البيطار: (وقد يسر الله حين سياحتي في الديار الرومية والشامية والحجازية، فرأيت جهابذة فضلاء، وأساتذة نبلاء، قد تسنموا غارب الفضل،

(١) حلية البشر /١/٤٩١.

واجتنوا ثمار العقل، فأخذت عنهم بعضًا من العلوم، وربحت تجارتي بما استفدته من دقائق المنطوق والمفهوم).

فأنت ترى رجلًا، نظر في علومٍ مختلفة، ومزج في عقله بين أنماطٍ من الثقافات المتنوعة، وخالط أذواقًا ومنازع متعددة في الفهم والتحليل، نتيجة رحيله ومداخلته للمدارس العلمية المتعددة، بما تتضمنه كل مدرسة من منهج تحليل، وطريقة تعليم.

وتصانيف العلامة العطار مُؤْذِنةٌ بذلك، فقد تباينت اهتماماته، وتعددت مواهبه، فمن تصانيفه: في علم أصول الفقه (حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع)، وفي علم المنطق له (حاشية على شرح الخبيصي على تهذيب العلامة السعد)، و(حاشية على المطلع لشيخ الإسلام زكريا شرح إساغوجي)، وفي علم الوضع له (حاشية على شرح العصام على الرسالة العضدية)، وفي علم المقولات له (حاشية على مقولات السيد البليدي)، و(حاشيتان كبرى وصغرى على شرح مقولات السجاعي)، وفي علم الكلام له رسالة في (المستحيل وأنه هل ينقلب جوازًا)، وهي عندي في خزانة كتبي، مصورة من نسخة نقلت من خط المؤلف، وفي علم آداب البحث له (حاشية على ولدية المرعشي)، وفي علم النحو له (حاشية على شرح الأزهرية للشيخ خالد)، و(حاشية على مغني اللبيب لابن هشام)، و(حاشية في شرح قواعد الإعراب)، وفي علم البلاغة له (حاشية على الرسالة السمرقندية)، وفي الطب له (شرح منظومة التشريح)، وفي الهندسة له (شرح أشكال التأسيس)، وفي الفلك له (رسالة في كيفية العمل بالإسطرلاب)، (والربعين المقنطر والمجيب والبسائط)، وله (رسالة في الرمل والزايرجة).

وبالجملة فقد كان الرجل متصرفًا في علومٍ متعددة، ومعارفَ متشعبة، ضاربة بجذور عميقة في مختلف أنواع التراث الإنساني، ولاسيما علوم المعقول، التي تمنح صاحبها عقلية فارقة، قادرةً على الاستيعاب والتحليل.

وقد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مكبًّا على إقراء المنطق والأصول والمقولات والنحو، وستجد أوصافًا دقيقة خطتها يداه لما كانت عليه الحالة العلمية، وأوضاع الطلاب في الحوزات العلمية حينئذ، ترى ذلك مثلًا في آخر شرحه على قسم التصورات من حاشيته على الخبيصي على تهذيب السعد وغيرها من المواضع.

وقد استفاضت هذه المحاسن عن شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار، وشهد له بها الخاص والعام، قال العلامة رفاعة بك الطهطاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب: (مباهج الألباب المصرية): (وكان للمرحوم العلامة الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر أيضًا مشاركة في كثير من هذه العلوم، حتى في العلوم الجغرافية، فقد وجدتُ بخطه هوامشَ جليلةً على كتاب «تقويم البلدان» لإسماعيل أبي الفداء، سلطان حماه، المشهور أيضًا بالملك المؤيد، وللشيخ المذكور هوامش أيضًا وجدتها بأكثر التواريخ، وعلى «طبقات الأطباء» وغيرها، وكان يطلع دائما على الكتب المعربة، من تواريخ وغيرها، وكان له ولوعٌ شديدٌ بسائر المعارف البشرية، مع غاية الديانة والصيانة، وله بعض تآليف في الطب وغيره، زيادة عن تآليفه المشهورة)[1].

* * *

(١) مباهج الألباب المصرية /ص٣٧٥/؛ ط: الجوائب، سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م.

فصل

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ قد ألَّف منظومةً في علم التشريح، وشرحها صاحبُه ورفيقُه العلامة الفاضل الشيخ محمد الأستاذ العطار الدمشقي، وترجمَ له في أولها ترجمةً نفيسةً للغاية، اشتملت على أسماء كتبٍ نادرة للعلامة العطار، لم أرَ لها ذكرًا عند بقية من ترجموا له.

وسوف أُوردُ لك هنا نصَّ كلامه، رغم طوله، لما اشتمل عليه من كشف دقائق من حياة الإمام العطار ـ رحمه الله تعالى ـ، لا سيما في الشق الذي قضاه من حياته في بلاد الشام وفي بلاد الروم، ولما فيه من إلقاء الأضواء على عددٍ من مؤلفاته، وظروف تأليفها، ومن المؤلفات المذكورة هنا ما لم أَرَ له ذكرًا في غير هذا الموضع كما تقدم، قال العلامة محمد العطار الدمشقي: (وقبل أن أشرع في شرحها لا بأس بترجمة الناظم، وهو حسن بن محمد، الشهير بالعطار، المغربي الأصل، المصري المولد والمنشأ، ولد في حدود سنة ١١٩٠هـ بمصر القاهرة، وحفظ القرآن العظيم قبل البلوغ، ثم شرع في تعلم العلوم على فضلاء مصر، فحصَّل من كل علمٍ من العلوم المتداولة بينهم بغيته.

ثم طمحت نفسه بعد ذلك؛ للاطلاع على العلوم الحكمية، فتوجه نحوها بعزيمته، وأخذ يتلقى على كلِّ أحد ما عنده منها، لا سيما الفضلاء الأغراب الواردين على مصر.

ثم نزح عن وطنه، وتوجه نحو البلاد الرومية، وذلك سنة ١٢١٧هـ، فجال في تلك البلاد، وطاف بها في كلّ واد؛ حتى ورد علينا مدينة دمشق الشام، في ربيع الأول سنة ١٢٢٥هـ، وتذاكر معي في علومٍ كثيرة، تتعلق بالرياضيات والطبيعيات والإلهيات.

وكان قد قرأ التشريح والطب بمدينة القسطنطينية، وتعلم هذه المنظومة هناك، ونظم بها أيضًا منظومة المقولات، وكنت إذا ذاك بإسلامبول، فأشار عليَّ بشرحها، فلم يتيسر لي، وإني على نية من شرحها إن شاء الله تعالى.

وألف بمدينة إشكودرة من بلاد الأرنؤد حاشية على شرح الإظهار للعلامة مصطفى الآطه لي، المسمى بـ«نتائج الأفكار»، وهو كتاب في النحو دقيق جدًّا، يتداوله طلبة الروم، وحاشية على متن استعارات السمرقندي، ورسالة في «الفرق بين إمكان ولا إمكان»، ورسالة أخرى سماها: «تحفة غريب الوطن، في تحقيق نصرة الشيخ أبي الحسن»، شرح فيها موضعًا من شرح خادمي زاده على الطريقة المحمدية، تعرَّض فيه لجانب الشيخ أبي الحسن الأشعري، فانتدب المترجم لتأليف هذه الرسالة، وزيف مقالة الشارح المذكور، وألف عندما أقام ببلدة إزمير، رسالة سماها: «التدمير، على إزمير».

وألَّف عندنا بدمشق الشام حاشيةً على الأزهرية في النحو، وحاشية أخرى على متن النخبة في أصول الحديث، وحاشية على متن الولدية في فنِّ آداب البحث، يتعرض فيها بمناقشة شارحها محمد أفندي البهنسي، واستعار مني الشرح المذكور مع تقرير القوانين؛ فأدرج في حاشيته جميع ما علقناه على الكتابين، وتكلم علينا ومعنا في بعضها، وشرح منظومته التي في علم الوضع بشرح متوسط، لخصه من شرح العصام على متن العضدية، وشرح نزهة الأذهان في علم الطب لداود الحكيم، ابتدأ في شرحه مع ابتدائي شرحي القانونجة.

وللمترجم غير ما ذكر من التأليفات، التي ألَّفها بمصر كحاشية شرح

الأزهري على قواعد الإعراب لابن هشام، وحاشية العصام على الوضعية، وحاشية على متن الاستعارات أكبر من التي ألفها في البلاد الرومية، وحاشية على الولدية أيضًا.

وكنت حين توجهت إلى مصر طالع عليَّ بعض أفاضل مصر الولدية مع حاشية المذكور، ولم يكونوا يعرفون غيرها، لأنَّه هو الذي فتح لهم هذا الباب، بوضع تلك الحاشية، وهي أكبر حجمًا من التي ألفها بمدينة دمشق الشام.

وحاشية على تعريب الرسالة الفارسية في البيان، وحاشية على شرح أشكال التأسيس في الهندسة، ورسالة تتعلق بختم شرح الأزهري على الآجرومية، ورسالة جمع فيها بعض مقطعات شعرية في فنون مختلفة نظمها، ورسالة في حلِّ لغزٍ لبعض فضلاء الروم في: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾، وشرح على منظومةٍ له في آداب البحث، وديوان شعر، جمعه من كلامه، وديوان نثر مما اتفق له إنشاؤه، وله من المنظومات هذه المنظومة، ومنظومة المقولات، ومنظومة الوضع، ومنظومة الآداب، ومنظومة في الفرق بين أم المتصلة والمنقطعة، ونظم قواعد الإعراب، ومنظومة في الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس بأقسامه، وقصيدة في النحو من بحر الطويل، ذكر فيها الأمثلة على طريق الغزل، قلت: وله من التآليف غير ما ذكر: حاشية على جمع الجوامع، وحاشية على مقولات السجاعي، وحاشية على شرح الخبيصي على تهذيب المنطق، ورسالة في كيفية العمل بالإسطرلاب، والربعين المقنطر والمجيب والبسائط، ورسائل في الرمل، والزايرجة، وغير ذلك، وكان يرسم بيده المزاول النهارية والليلية، وبالجملة فقد كان حبرًا عالمًا، وشهمًا فاضلًا،

متضلعًا من جميع العلوم، مشتغلًا بها قراءة وإقراء وكتابة، لا يكلُّ ولا يملُّ، إلى أن توفاه الله في سنة ١٢٥٠هـ، وكان يجيد اللغة الإفرنسية، والتركية والفارسية).

قلت: انتهى نصُّ العلامة الشيخ محمد العطار الدمشقي رحمه الله تعالى، ومما ذكر من تآليف العلامة حسن العطار قصيدة في النحو من بحر الطويل، وأقول: قد شرحها العلامة هارون عبد الرازق، ثم ألف العلامة محمد بن حسين الخزرجي الأنصاري حاشية على شرح الشيخ هارون على منظومة العطار.

وقد قام العلامة الشيخ حسن قويدر الخليلي رحمه الله تعالى بإنشاء شرح آخر على منظومة النحو لشيخه الإمام حسن العطار، كما هو في ترجمة الشيخ حسن قويدر من كتاب (حلية البشر) للبيطار.

وأنت ترى أيضا معلومات عن شرح الشيخ حسن قويدر على منظومة العطار في النحو، مع ترجمة للشيخ حسن قويدر في أعيان البيان للسندوبي[١]، بل قال السندوبي وهو يتكلم عن مؤلفات الشيخ قويدر: (شرح منظومة العطار، هي منظومة في النحو لشيخه الشيخ حسن العطار، معروفة بشرحها لدى طلبة الأزهر).

وأما كتاب إظهار الأسرار، فهو متنٌ دقيقٌ في النحو، ألفه العلامة المحقق زين الدين محمد بن بيرعلي محي الدين بركوي الرومي الحنفي ت٩٨١هـ، وقد طبع هذا المتن مرات، في الآستانة، وفي بولاق، ثم شرحه العلامة مصطفى ابن حمزة الأطه وي ت بعد ١٠٨٥هـ، في كتاب اسمه: (نتائج الأفكار لشرح إظهار الأسرار)، وهو مطبوع أيضًا، وعليه حواشٍ، منها: (سراج

(١) أعيان البيان/ص١٧ ـ ٢٦/.

بصيرة ذوي الأبصار، على نتائج الأفكار، في شرح الإظهار)، ولا يعلم مؤلفها، ومنها نسخة خطية في دار الكتب المصرية، ومنها حاشية للشيخ رضا يعقوب، طبعت في الآستانة، سنة ١٢٨٨هـ، ومنها حاشية الشيخ حسن العطار، ولا أعلم عنها شيئًا حتى وقت كتابة هذه السطور.

وأنت ترى أيضا معلومات عن كتابه (تحفة غريب الوطن، في نصرة الشيخ أبي الحسن) في: (حاشية جمع الجوامع)، حيث تكلم هناك على مسألة دقيقة، وهي أن المؤثر في قدرة العبد ما هو؟ فبحث في ذلك إلى أن قال: (وطال نزاع الخصوم معنا في هذه المسألة، وكنت وأنا ببلاد «روم أيلي» أطلعني بعض الأفاضل على كلامٍ يتعلق بهذه المسألة، ذكره الخادمي في «شرح الطريقة المحمدية»، فألفت هناك رسالة سميتها: «تحفة غريب الوطن، في تحقيق نصرة الشيخ أبي الحسن»، ثم توجهت إلى القسطنطينية، وأطلعت عليها شيخ الإسلام إذ ذاك، وهو العلامة عرب زاده، فكتب عليها تقريظًا، ثم صحبتها معي عند توجهي لدمشق الشام، واجتمعت فيها بالعلامة العارف بالله الشيخ عمر اليافي، شيخ طريقة الخلوتية، وكان ذا باع في فهم كلام الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي، وله براعة تامة في الإنشاء والشعر، فقرظها أيضا، وهي باقية عندي الآن)[١].

فصل

ومن المعلوم أن للعلماء دورًا يقوم على شقين: الأول علميٌّ أكاديميٌّ بحت، وهو الإحاطة بالمسائل العلمية، والمعرفة التامة بالمدارك والمعاقد التي

(١) حاشية العطار على المحلي على جمع الجوامع/٢/٥٢٣/.

تقوم عليها العلوم المختلفة، ومعرفة المسائل الجزئية المبحوثة في كل علم، وكيف انبثقت من أصولها، واستخرجت منها، ومدى اتساقها مع البناء العلمي الكلي، والقيام على تعليم ذلك كله، وتوريثه للأجيال الجديدة الناشئة.

وكل عالم يقوم في ذلك بدورٍ مناسبٍ لما رُزِق من علمٍ، وفُتِحَ له من فهم، وعليه فإنهم في ذلك طبقات.

والشقُّ الثاني هو كيفيةُ تسخيرِ ذلك في توجيه الناس، وتصحيح مسار الأفراد والأمم والشعوب، والقيام على الرصد والمتابعة لما يطرح في المجتمع من أفكارٍ، وتيارات، وتوجهات فكرية، وتحليل ذلك كله وتقييمه بواسطة تلك الآلة العلمية المحكمة، التي تكاملت في نفس العالم بناء على الشق الأول، ثم الشروع في تصحيح أحوال ذلك المجتمع.

وهذا المحور الثاني هو الذي به يمارس العلماء دورهم المنوط بهم من هداية الخلق إلى طريق الحق سبحانه، وتوضيح الخطأ من الصواب، والتدخل في النوازل والحوادث، التي تطرق حياة البشر، في مختلف نواحيهم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والإدارية، والفكرية، والثقافية، بالبيان الشافي، والدراسات المؤصلة التي تبين للمجتمع كيف يسلك، وإلى أين يتوجه[1].

هذا الدور هو الذي أخذ الله ميثاقه على العلماء، (لتبيننه للناس ولا تكتمونه)، وهو الذي يكملون به مسيرة الأنبياء الكرام، في إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد.

---

(١) وانظر حول هذا المعنى مبحثًا بعنوان: (الوظيفة التربوية للعلماء كنواب عن المجتمع) للدكتور أحمد عرفات القاضي ضمن كتابه القيم: (الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين) /ص ٤١٦ ـ ٤٥١/ ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ولكي يقوم العالم بدوره هذا لا بد له من التمكن من العلوم الشرعية، والدراسة العميقة لفنونها المختلفة، لا سيما العلوم التحليلية التي تورث صاحبها منهجًا معتبرًا في التحليل والاستنباط كأصول الفقه، وعلم البلاغة، وعلم المنطق، فإذا ما أتقن العالم ذلك ثنى بمعرفة أحوال البشر، كيف يعيشون ويفكرون، وإلى أين انتهت قفزاتهم الفكرية، وأنماط المعيشة عندهم، وما الذي جدَّ في مجتمعاتهم من أنواع المعاملات، وما يؤثر في الاجتماع البشري من مؤثرات اقتصادية، وسياسية، وفكرية وغير ذلك، كما تراه عند الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ في كتاب: (إنباء الغمر)، فإن الشيخ محدثٌ حافظٌ، معنيٌّ في المقام الأول بالحديث الشريف وعلومه، إلا أنك تراه في هذا الكتاب يرصد المجتمع، ويصف الحركات الفكرية التي تبرز هنا وهناك، ويصف أحوال الأسواق وما يجد فيها من رخص وغلاء، وتصرفات التجار وأولي الأمر في ذلك، والأحداث المهمة من زلازل أو حرائق أو معارك، إلى غير ذلك من صور المتابعة لأحداث عصره وأحوال زمانه.

ثم لابد من المعابر والجسور التي تربط ما بين القواعد والعلوم الشرعية، وبين هذا الواقع المعيشي المتقلب المتغير على الدوام، تلك المعابر هي العلوم المعنية بدراسة النفس البشرية، وكيفية صدور الأفعال منها، وكيفية التأثير فيها وتوجيهها، هذا على سبيل الإفراد، ثم التأمل في ذلك على سبيل التركيب، أعني: الاجتماع البشري، وأحوال التعامل الإنساني، كما تراه عند ابن خلدون في المقدمة.

والحاصل أن العلماء أنواعٌ وفصائل وأنماط، وكلٌّ يخدم الشرع بقدر ما أوتي من معارفَ وعلومٍ ومواهب، إلا أن منهم المُكِبَّ على دراسة القواعد

وتلقينها، ولا دراية له بما وراء ذلك، إلا بمقدار ما يعرف عامة الناس ممن عاشوا حوله، ولربما تميز عنهم درجة لما عنده من علم، ومنهم في المقابل مَنْ يحيط بهذا وذاك، ويتابع أحوال البشر على نحو من التأمل في أسباب ذلك وكيفية حدوثه، وما يمكن أن يؤثر ولو بعد زمن في توجه المجتمع وحركة حياة البشر.

قال العلامة الأستاذ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر في كتابه: (الجامع الأزهر نبذة في تاريخه): (وفي أواخر القرن التاسع الهجري أصاب الأزهرَ ما أصاب المعاهدَ الأخرى من الذبول والركود، فتقلص ظل النشاط والازدهار العلمي، وانصرف كثيرٌ عن العلوم العقلية الفلسفية والرياضية والجغرافية، وأخذ القولُ بحرمتها يتسرب شيئًا فشيئًا، حتى تركت هذه العلوم من الأزهر، وبقيت مهجورةً، ينظر إليها بنظر السخط، حتى صدرت فتوى من شيخ الأزهر الشيخ الأنبابي، والشيخ محمد محمد البنا مفتي مصر بجواز تعلمها، وعدم حرمة تدريسها)[1].

قلت: وكأني ببعض العلماء قد بدأوا ينفصلون شيئًا فشيئًا عن الشق الثاني من دورهم، والذي هو متابعة أحوال المجتمع والقيام على استيعابه، وتحليل أحواله، والتدخل بالتصويب عند الحاجة، وجعلوا يبتعدون عن ذلك يسيرًا يسيرًا، وينكبون على الشق الأول وحده، فيمعنون في تدقيق المسائل وتحريرها، والدنيا من حولهم تضطرب وتتحرك وتغلي، وتتداول الحياة حركتها دونما توجيه أو تصحيح، فينتج أن تستقر الأمور وتثبت تدريجيًا على نحو يعسر بعد ذلك تغييره.

(١) الجامع الأزهر، نبذة في تاريخه /ص٢٤/.

حتى إذا وصلت الأمور إلى أيام الشيخ حسن العطار كان ذلك الانفصال عند بعض العلماء قد بلغ مبلغًا، عجزوا معه عن فهم الواقع، واستيعابه، وتحليله، وتقييمه، وطرح الحلول والتوجيهات التي ينتظرها الناس منهم.

وإن كان هذا لم يؤثر على الدور الإجمالي للأزهر الشريف في القيام بتبصير الناس، وهدايتهم وتعليمهم، فقد كان الأزهر الشريف في تلك الفترة حاضرًا بعلومه، وعلمائه، وقد كانوا قادة الشعب، وكانوا زعماء البلاد والعباد ضد الاستعمار.

ولذلك كله كان الشيخ حسن العطار نمطًا فريدًا في علماء عصره، لأنه تمكن من الإلمام بعلوم الشريعة، ثم تخطى إلى الفلك والهندسة والتشريح، ودرس علوم المنطق والمقولات، وعلم المقولات علم يعتني بأجناس الوجود العليا، كالمكان، والزمان، والجوهر، والعرض، والكيف ـ ومنه محسوس ونفسي ـ، والكم، والفعل، والانفعال، وغيرها.

والبحوث المذكورة مع مزيدٍ من التدقيق فيها، والتمديد لها، تفضي إلى الأصول التي نهضت عليها المخترعات الحديثة.

ولعلك أن تلحظ فارقًا بين عقلية العلامة العطار، وعقلية العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ـ رحمهما الله رحمة واسعة ـ؛ فإن العطار قد تكون تكوينًا عقليًا، امتزجت فيه علوم المعقول بالعلوم الشرعية، فاستوعب الواقع وأحاط به، أما الجبرتي فقد تقدم في العلوم النقلية من تاريخ وما أشبه، ورغم درايته الواسعة بالتاريخ، إلا أنه مؤرخٌ على طريقة النقل للحوادث والوقائع والتراجم، ومن المؤرخين من هو يحيط بذلك مع تجريد الحوادث واستخراج

المبادئ والكليات التي تؤثر في ذلك كما هو عند ابن خلدون، ومنهم من يغلب عليه سَمْتُ النقل الصرف وإن بالغ في خدمة ذلك وتحريره.

والمقصود أن العطارَ والجبرتيَّ قد اطلعا على علوم الفرنسيين ومعاملهم، واطلعا على التجارب الكيميائية والفيزيائية التي يقوم بها الفرنسيون، فاختلف موقف الشيخين تماما، أما الجبرتي فقد كان موقفه موقف المندهش المذهول، العاجز عن التفسير والفهم، وأما موقف العطار فقد كان موقف المحلل، الذي يستوعب ما رأى، وينتقل من صدمة معرفية إلى تأمل أصوله وأسسه، والمقارنة بينه وبين ماعنده من معارف.

وسأورد لك هذين الموقفين لترى، قال العلامة الجبرتي في تاريخه: (ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان، أن بعض المتقيدين أخذ زجاجةً من الزجاجات، الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة، فصب منها في كأس، ثم صب عليها شيئًا من زجاجة أخرى، فغلا الماءان، وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجفَّ ما في الكأس، وصار حجرًا أصفر، فقلبه على البرجات حجرًا يابسًا، أخذناه بأيدينا ونظرناه، ثم فعل كذلك بمياه أخرى، فجمد حجرًا أزرق، وبأخرى فجمد حجرًا أحمر ياقوتيًّا، وأخذ مرة شيئًا قليلًا جدًّا من غبار أبيض، ووضعه على السندان، وضربه بالمطرقة بلطف، فخرج له صوتٌ هائل، كصوت القرابانة، انزعجنا منه، فضحكوا منا.

وغير ذلك أمور كثيرة، وبراهين حكمية، تتولد من اجتماع العناصر وملاقاة الطبائع، ومثل الفلكة المستديرة التي يديرون بها الزجاجة، فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شيء، ويظهر له صوت وطقطقة، فإذا مسك عَلَّاقتها شخصٌ، ولو خيطًا لطيفًا متصلًا بها، ولمس آخر الزجاجة

الدائرة أو ما قرب منها بيده الأخرى، ارتج بدنه، وارتعد جسمه، وطقطقت عظام أكتافه وسواعده في الحال برجة سريعة، ومن لمس هذا اللامس أو شيئًا من ثيابه، أو شيئًا متصلًا به حصل ذلك له، ولو كانوا ألفًا أو أكثر، ولهم فيه أمور وأحوال، وتراكيب غريبة، تنتج منها نتائج، لا تسعها عقول أمثالنا)[1] انتهى كلام الجبرتي ـ رحمه الله تعالى ـ، فانظر كيف أن الشيخ قد غاب عن تتبع ما تطفر به عقول البشر، من متابعة قوانين الأكوان، ورصدها رصدًا دقيقًا، ومحاولة الاستيعاب لتلك القوانين وتطويعها، والاقتدار على تكرارها عند الحاجة، غاب العلامة الجبرتي عن ذلك كله، ولم يكن له من واقع ثقافته ومعارفه ما يوقفه على أسباب ذلك إذا رآه، فحصل أن هاله ما رأى، ووقع لذهنه ذهول وصدْمةٌ معرفية، أعجزته عن محاولة الاستيعاب والتفكير.

أما العطار فلربما غاب عنه ذلك التطور كما غاب عنه العلامة الجبرتي، لكنه كان يدرس العلوم العقلية، ويفهمها فهمًا تامًّا، فلما أن رأى تجارب الفرنسيين أدرك فورًا أنها خطوة في سلم التطور، تاليةٌ للحدِّ الذي انتهى هو إلى معرفته، وأنها قامت على إخراج مسائلَ من علم المقولات من طور الدراسة النظرية، إلى طور التجربة والتنفيذ والتطبيق، ومن القوة إلى الفعل، وعرف فورًا أن الفارق بين علومنا وعلوم الفرنسيين ليس بالبعد الذي يتصوره الجبرتي وأمثاله، بل هي خطوةٌ يمكن استدراكها والنهوض لتجاوزها، وأدرك الشيخ أنه حديثُ عهدٍ بتلك التجارب، بل كان بالأمس القريب يدرس لطلابه قواعد مشابهة، إلا أنه درَّسها لهم نظرًا، ثم فوجئ

(١) تاريخ الجبرتي ٣/٤٨.

اليوم بأن أناسًا طوروها، وجعلوها مَيْكَنَةً، أو اختراعًا ملموسًا، يمكن على أساسه إنتاجُ الآلة الحربية أو الصناعية أو غير ذلك.

وإذا ما أردت أن تقف على تصوير العطار لما رآه في معامل الفرنسيين، وأن تضع كلامه في مقابل كلام الجبرتي، وترى الفارق بين العقليتين، فانظر كلام العطار في أواخر (حاشيته على شرح الجلال المحلي، على متن جمع الجوامع للإمام المجتهد التاج السبكي)، حيث قال هناك ما نصه: (وأقول: مسئلة الخلاف، ومسئلة إثبات الميل في الأجسام من مسائل العلم الطبيعي، وبتحقيقهما ينكشف للفطن أسرار غريبة، وعليهما ينبني كثير من مسائل علم جر الأثقال، وعلم الحيل، واستحداث الآلات العجيبة.

ووقع أن في زماننا جلبت كتبٌ من بلاد الإفرنج، وترجمت باللغة التركية والعربية، وفيها أعمالٌ كثيرةٌ، وأفعالٌ دقيقةٌ، اطلعنا على بعضها، وقد استخرجت تلك الأعمال ـ بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية ـ من القوة إلى الفعل، وتكلموا في الصناعات الحربية، والآلات النارية، ومهدوا فيها قواعدَ وأصولا، حتى صار ذلك علمًا مستقلًا، مدونًا في الكتب، وفرعوه إلى فروعٍ كثيرة.

ومن سمت به همته إلى الاطلاع على غرائب المؤلفات، وعجائب المصنفات، انكشف له حقائق كثيرة من العلوم، وتنزهت فكرته إن كانت سليمة في رياض الفهوم:

فكـن رجـلًا رجلـه في الـثرى وهامــةُ همتــه في الثريــا)[1].

(١) حاشية العطار على المحلي على جمع الجوامع /٢/٥٠٦/، وقد ترجم للعطار الأستاذ علي مبارك باشا في الخطط التوفيقية /٤/٨٢/، والعلامة أحمد تيمور باشا في أعلام الفكر الإسلامي في =

قلت: ومن جميل التوفيق أنني كنت قد تأملت حياة العلامة العطار، ورأيت أثر تكوينه العلمي في استيعابه لمعطيات علوم الفرنسيين، وأن موقف الجبرتي كان مخالفًا تمامًا، تبعًا لتكوينه العلميّ، ثم رأيت بعد فترة الأستاذ عبد المنعم شميس يتناول مثل ذلك في كتابه: (عظماء من مصر)، فقال: (وكان سابقًا لعصره من ناحية اهتماماته العلمية، فقد شاهد بنفسه مظاهر العلوم الحديثة، التي جاءت مع الحملة الفرنسية إلى مصر، ودخل مع صديقه الجبرتي معامل الكيمياء والطبيعة، ولم يتعجب مما رأى كما فعل الجبرتي، ولم يصبه الذهول، فقد كانت خلفيته العلمية تمكنه من إدراك حقائق هذه العلوم الحديثة التي شاهدها)[1].

والحاصل أن العلامة العطار ـ رحمه الله تعالى ـ كان مدركًا لزمانه، قائمًا بواجب الوقت، مستوعبًا للأحداث على نحو يمكنه من أن يكون فاعلًا، ومؤثرًا، ومحركًا لها، قال العلامة أحمد تيمور باشا في: (أعلام الفكر الإسلامي في الوقت الحديث): (والخلاصة أن الشيخ حسن العطار كان له موقفٌ متكاملٌ من مشكلات عصره الثقافية، والتعليمية، والأدبية، والسياسية، وقد حاول أن يشخص هذا الواقع، ويحدد جوانب الضعف فيه،

= العصر الحديث /ص١٩ ـ ٣٨/، والزركلي في الأعلام /٢/٢٢٠/، وللأستاذ محمد عبد الغني حسن كتاب عنه اسمه: «حسن العطار» صدر ضمن سلسلة: نوابغ الفكر العربي، الصادرة عن دار المعارف، وقد ترجم له العلامة أحمد بك الحسيني ترجمة طويلة حسنة في مقدمة شرح الأم له، وقفت عليها، تبلغ عشر صفحات، إلا أن شرحه هذا ما زال مخطوطًا، وقد يسر لي الله تعالى نسخ مقدمة هذا الشرح، والتي تقع في مجلدين كبيرين، وقد اشتملت على قواعد نفيسة للمذهب الشافعي، وعلى تراجم أعلامه عبر الأعصار، وسوف أدفعها للنشر قريبًا بتوفيق الله وعونه.

(١) عظماء من مصر /ص٥٠/.

كما نادى بضرورة التغيير، ورسم خرائط هذا التغيير، ثم أسهم بدوره في هذا التغيير)[١].

قلت: ومن المعلوم أن ديار الشرق قد أصيبت بالجمود، وجعل العلماء فيها ينفصلون عن تحليل الواقع واستيعابه، وقد وقعت بوادر هذا أواخر القرن العاشر، وما زال ذلك يعتمل حتى ظهرت له آثار في القرنين التاليين، الحادي عشر والثاني عشر، ثم في أواخر القرن الثاني عشر بدأت تبزغ في الأفق بوادر نهوض وتغيير، وجعلت ديار الإسلام تنفض عن نفسها ذلك الركام، وتشرع في سلوك سبل التجديد، وقد بدأت حركة النهوض هذه تتبلور وتنضج على يد أناس هنا وهناك، ظهروا في فترات متقاربة، منهم العلامة الشاه ولي الله الدهلوي في الديار الهندية، ومنهم العلامة عبد القادر البغدادي في أرض العراق، ومنهم العلامة محمد بن علي الشوكاني في أرض اليمن، ومنهم العلامة المجدد محمد مرتضى الزبيدي في أرض الكنانة مصر، ومنهم العلامة محمد بن علي السنوسي في ليبيا وغيرهم.

هذه الحركة من التجديد كانت فتيةً نشيطةً، أشاعت أجواء من التطور والنهوض هنا وهناك، وقد كانت كفيلةً لو مضت في مسارها بإحداث سياق من النهضة، يماثل أو يوازي ذلك السياق الذي سبقت إليه أوربا، وكانت كفيلة بإيقاظ ديار الشرق، لتجتاز بها تلك الفجوة التي تفصلنا عن حركة التطور التي شبت في أوروبا وقامت على قدم وساق، وكانت كفيلة كذلك باستدراك تلك الخطوة التي سبقونا بها في سلم التطوير.

وقد كانت حركة الإحياء تلك نابعة من ثقافتنا وهويتنا، ونظرتنا

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث /ص٣٨/.

للكون والحياة، محققة لمقاصدنا كمسلمين، سالمة من الاضطراب والتحير بين رؤى مختلفة، لكن حدث أن وقع التقاطع الحاد بين هذه النهضة المشرقية المسلمة، التي كانت تستجمع قواها لتقف على قدمين، وبين نهضة سبقت واستقوت، وفرغت من تدبير شؤون ممالكها، وتنظيم مجتمعاتها، وتطوير حياتها، ثم شرعت ترقب الدنيا من حولها، فتحاول أن تبسط عليها سلطانها، فدخلت ديار المشرق دخولًا عنيفًا، أربك المشارقة، وشتت ما استجمع من حركة الإحياء عندهم.

وقد تناول سياق نهضة المشرق هذه غير واحد منهم الأستاذ ناصر عبد الله عثمان في كتابه: (قبل أن يأتي الغرب، الحركة العلمية في مصر، في القرن السابع عشر)، وهو مطبوع ضمن منشورات دار الكتب والوثائق القومية، ومنهم الدكتور عبد الله عزباوي في كتابه: (الحركة الفكرية في مصر في القرن الثامن عشر)، ومنهم العلامة الشيخ محمود محمد شاكر في كتابه: (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)، ومنهم الدكتور مصطفى عبد الغني في كتابه: (حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية)، مطبوع في مكتبة الأسرة، ومنهم عبد المنعم شميس في كتاب: (عظماء من مصر)، ومنهم الدكتور أحمد زكريا الشلق، في كتابه: (الحداثة والإمبريالية، الغزو الفرنسي وإشكالية نهضة مصر)، وهو مطبوع، بل كل الكتب المذكورة منشورة مشهورة، وقد اطلعت بفضل الله على كل ذلك مرارا[١].

(١) وانظر في حال التعليم أيام محمد علي وما طرأ عليه من تغيير في كتاب: (تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق) للأستاذ: أحمد عزت عبد الكريم، ط: مطبعة النصر، القاهرة، سنة ١٩٤٥م، وكتاب: (التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر) للأستاذ: سامي سليمان محمد السهم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فصل

يروي العلامة العطار عن جماعة منهم: ١ ـ العلامة الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ بما في ثبته: (سد الأرب)، ٢ ـ شيخ الإسلام عبد الله بن حجازي الشرقاوي ت ١٢٢٧هـ بما في ثبته، ٣ ـ العلامة أبو العرفان محمد بن علي الصبان، ٤ ـ العلامة أحمد بن يونس، ٥ ـ العلامة عبد الرحمن المغربي، ٦ ـ العلامة محمد بن علي الشنواني بما في ثبته، ٧ ـ العلامة عبد الله سويدان، ٨ ـ العلامة محمد عرفة الدسوقي، ٩ ـ العلامة الشيخ أحمد الشهير ببرغوث، ١٠ ـ العلامة الشيخ البيلي، رحمهم الله جميعًا.

ونحن نروي مرويات العلامة العطار ونتصل به من طرق: منها روايتنا عن السيد أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، عن أبيه، عن العلامة عبد الله غازي، عن العلامة السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي، عن محمد بن محمد العزب الدمياطي، عنه.

(ح) وعن شيخنا العلامة الإمام علي جمعة الأزهري والعلامة السيد عبد الله التليدي، كلاهما عن مسند العصر محمد ياسين الفاداني، عن محمد المرزوقي، عن السيد علي الوتري، عن أحمد بن الطاهر الأزدي، عن أبي حامد العربي الدمنتي، عنه.

(ح) ومن طريق شيخنا سماحة العلامة علي جمعة الأزهري، عن العلامة محمد مصطفى أبي العلا الشهير بحامد، عن العلامة الجمال يوسف النبهاني، عن العلامة البرهان السقا، عنه.

(ح) وبالسند إلى الفاداني، عاليًا عن شيخه محمود العطار، عن الشمس محمد الأشموني، عنه.

إلى غير ذلك من الأسانيد المتكاثرة الموصولة بالإمام العطار، لما استفاض من علمه وفضله وتآليفه وتلامذته، ولما قاموا به من خدمة دين الله تعالى، فرحمه الله ورحمهم.

* * *

❁ **العلامة الجليل، المتكلم المعقولي، الصالح التقي الشيخ: حسن بن محمود بن عبد اللطيف الشافعي الأزهري.**

ولد سنة ١٩٣٠م، ونشأ بين يدي والده، الذي كان معلمًا ونقيبًا للمعلمين في مركز ببا، بمحافظة بني سويف، وكان والده حريصًا على متابعة تعليمه، حتى إن صاحب الترجمة ليذكر أنه لما أن توجه إلى بلدته، بعد أداء امتحان السنة الأولى الابتدائية، سأله والده: إلى أين انتهيت في دراسة النحو؟ فأجابه الشيخ: إلى فاء السببية، وواو المعية، فسأله الوالد: متى ينصب المضارع بـ(أن) مضمرةٍ وجوبًا؟ فسرد له أحوال نصبها، على ما هو منصوص عليه عند النحاة، ثم ذكر له بيتًا من الشعر، يجمع تلك الصور والمواضع، فسُرَّ والده بذلك.

ولم يزل الشيخ على هذا الحال، حتى حصل على ليسانس دار العلوم سنة ١٩٦٣م، وعلى العالمية من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف سنة ١٩٦٣م، فحصل عليهما معا في سنة واحدة، لأنه كان يخرج من الامتحان في كلية أصول الدين، ليذهب في اليوم الذي يليه إلى الامتحان في كلية دار العلوم، وهكذا تكون همم الرجال والأكابر.

وهو أستاذ الفلسفة الإسلامية، ووكيل كلية دار العلوم، وعضو في مجمع اللغة العربية، ورئيس الجامعة الإسلامية بباكستان سابقًا، وكان

فضيلته عضو الهيئة الاستشارية العليا لدائرة المعارف الإسلامية، وعضو لجنة الفلسفة الإسلامية والفكر المعاصر في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وكان أول اشتغاله بعلم الكلام على العلامة علي عبد المنعم عبد الحميد، ثم الدكتور محمود قاسم، وله حوله بحث عنوانه: (محمود قاسم والدراسات الكلامية في مصر).

من مؤلفات صاحب الترجمة: كتاب: (المدخل إلى دراسة علم الكلام)، وكتاب: (الإمام الآمدي وآراؤه الكلامية)، وكتاب: (فصول في التصوف الإسلامي)، وكتاب: (علم الكلام بين ماضيه وحاضره)، (التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية)، (تطور الفكر الفلسفي في إيران، لمحمد إقبال) مترجم من الإنجليزية، وله بحث مهم عنوانه: (حركة التأويل النسوي للقرآن والدين، وخطرها على البيان العربي وتراثه)، وبحث عنوانه: (نحو علم للقواعد الاعتقادية الشرعية) يبحث فيه حول إمكانية إنشاء علمٍ أو فرعٍ من فروع البحث والدرس الكلامِيَّيْنِ، للقواعد الاعتقادية الشرعية، يشبه علم القواعد الفقهية، وأهميته لا تخفى، وقد تكلم فضيلته حول أمور منها: علم القواعد الفقهية باعتباره أصلًا نريد أن ننسج على منواله، ومنها النظر في بعض الجهود السابقة في مجال القواعد الكلامية والاعتقادية، ومنها: جملة من القواعد الاعتقادية التي صاغها السابقون، أو يُقْتَرح إضافتها إلى جهودهم.

وله ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ مشاركة في خدمة التراث وتحقيقه، تدل على العلم الجمِّ، والمعرفة الواسعة المستوعبة، فحقق كتاب: (عطف الألف

المألوف، على اللام المعطوف) لعلي بن محمد البوديلمي، وحقق كتاب: (غاية المرام، من علم الكلام) للآمدي، وحقق كتاب: (المبين، في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين)، وكتاب: (أساس الاقتباس في المنطق) للطوسي، وكتاب: (شرح الإشارات والتنبيهات) لابن سينا.

ولقد كان ﷺ من العلم والصلاح والمعرفة والجلالة بالمحل الأعلي، كأني به واحد من سلف الأمة قد بعث حيًّا في أيامنا هذه، وقد رأيت غير واحد من كبار مشايخي يبجلونه غايةً، ويعتدونه من طبقة مشايخهم، وكان يحبني ويتعهدني، ولربما حضر خطبة الجمعة عند الفقير بمسجد السلطان حسن، فكان يبدي من السرور والحبور بالخطبة ما لا مزيد عليه، وقد أجاز لي إجازةً عامة بعد ظهر الخميس ٢٠٠٨/١١/٢٧م.

وقد عَقَدَت مجلة (الرسالة) ندوة حول العلامة الدكتور حسن الشافعي، صاحب الترجمة، ضمن سلسلة ندواتها التي تنعقد تحت عنوان: (رموز في دائرة الضوء)، وقد حضر تلك الندوة عدد من كبار العلماء والمفكرين، فتكلموا عن العلامة الدكتور حسن الشافعي، وأبعاد شخصيته، ومعالم فكره، وتاريخه العلمي العريق، فكان من الحاضرين الدكتور محمد عمارة، والدكتور عبد اللطيف عامر، والدكتور عبد الباري محمد الطاهر، والدكتور السعيد بدوي، والدكتور جمال نصار، والدكتور أحمد العسال، والدكتور عبدالرحمن سالم، والدكتور أبو اليزيد العجمي، والدكتور أحمد يوسف سليمان، والدكتور عبد المجيد محمود، والدكتور جابر قميحة، والشيخ السيد عسكر، والدكتور عبدالحميد مدكور، والمستشار وليد عبد الحكيم الشافعي، والدكتور حافظ محمد منير.

وقد نشرت مجلة الرسالة تغطية لتلك الندوة، وخلاصة الكلمات التي ألقيت فيها، في العدد رقم (٣٠)، الصادر في السنة الثامنة، بتاريخ ذي الحجة ١٤٢٩هـ- محرم ١٤٣٠هـ/ ديسمبر ٢٠٠٨م - ٢٠٠٩م[1]، وحبذا لو جُمِعت كلمات السادة المذكورين وخرجت في كتاب.

وقد ذكر العلامة الشيخ علاء الدين الصديقي النقشبندي أنه رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجده الشريف، بالمدينة المنورة، وهو يطلب الدكتور حسن الشافعي، ويسأل: أين هو؟ فما لبث أن حضر الدكتور حسن مُحْنِيًا رأسه تواضعًا وأدبًا، في حالة من البكاء والتضرع، فأحضره الخدام أمام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الشيخ علاء الدين الصديقي: وبعد برهة سمعت نداء آخر يقول: (إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راضٍ عن الدكتور حسن الشافعي)، فرجع باكيًا من شدة الفرح والسرور.

يروي عن: ١- العلامة المحدث محمد الحافظ بن عبد اللطيف التجاني، وقد ذكرت أسانيده في ترجمته، ٢ - ويروي عن العلامة المسند المعتني علي أحمد السنديلوي، وقد تدبجتُ معه، ٣ - والعلامة عبد الله بن الشيخ عبد الحق نافع كاكاخيل، وهو عن جماعة منهم: محمد يوسف البنوري، ومنهم: عمه المعمر فوق المائةالشيخ عزير كل بن الشيخ شاهد كل، وعن الشيخ السيد فخر الدين، كلاهما عن شيخ الهند محمود الحسن بأسانيده، ٤ - والعلامة الشيخ محمد سعيد بن نجيب البادنجكي الندوي، وهو عن جماعة منهم: العلامة السيد إبراهيم اليعقوبي، وهو عن جماعة كثُر، منهم العلامة السيد علي البوديلمي بما في ثبته: (صلة الموصول، بحديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ٥ - والعلامة الشيخ عبد الغفار حسن الباكستاني، المتوفى يوم

(١) مجلة الرسالة، العدد المذكور /ص١٠٣ - ١١٣/.

٣ ربيع الأول ١٤٢٨هـ، ١٢ وغيرهم، ٦ - وشيخنا العلامة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، ٧ - وشيخنا العلامة الشيخ أحمد معبد عبد الكريم، وغيرهم.

أروي مروياته عنه مباشرة كما تقدم.

* * *

❁ العلامة الشيخ: الحسن بن منصور الأزهري.

ولد سنة ١٢٩٦هـ تقريبًا، وكان مدرسًا بمدرسة القضاء الشرعي، ثم وكيلًا لمدرسة دار العلوم، وعمل في تحرير مجلة (نور الإسلام) الشهيرة.

يروي عن: الحسن المرصفي العدوي المالكي، والبرهان السقا، وعبد الهادي نجا الأبياري، والشمس محمد الأنبابي، ومحمد الأشموني، وعبد الوهاب الخضري، كلهم عن: الأمير الصغير، والبرهان الباجوري، ومصطفى المبلط، والحسن العدوي الأزهري، ومحمد الفضالي، ومحمد بن أحمد المرصفي، وأحمد العدوي، والحسن بن سرور القويسني، كلهم عن: الأمير الكبير، كذا ذكر العلامة سالم بن جندان، وحاله معروف، والعهدة عليه، والله أعلم بحقيقة الحال.

أروي مروياته عن أبي بكر ابن شهاب، عن العلامة المسند سالم بن أحمد بن جندان، عنه.

* * *

❁ العلامة المعمر الشيخ: حسنين بن محمد بن حسنين بن محمد بن حسنين بن علي مخلوف العدوي ثم القاهري الحنفي.

العلامة المعمر الفقيه، مفتي الديار المصرية، من كبار علماء مصر، ووالده كذلك، ولد العلامة الشيخ حسنين يوم السبت ٢٧ رمضان سنة ١٣٠٧هـ، الموافق ٩ مايو سنة ١٨٩٠م، وتوفي يوم ١٩ رمضان سنة ١٤١٠هـ، الموافق١٥ أبريل ١٩٩٠م.

تلقى العلم على والده العلامة الجليل محمد حسنين مخلوف، وعن جماعة غيره مثل: الشيخ عبد الله دراز، والشيخ عبد الهادي سالم مخلوف، والشيخ علي إدريس العدوي، والشيخ عبد الفتاح المكاوي، والشيخ محمد الطوخي، والشيخ عبد الحكيم عطا النواوي، والشيخ محمد البجيرمي، والشيخ عبد المعطي الشرشيمي، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد بخيت المطيعي.

فحضر على والده دروسه في شرح تهذيب المنطق والكلام للعلامة السعد، ثم متن العقائد النسفية، وحضر على الشيخ عبد الحكيم النواوي شرحه لكتاب متن تلخيص المفتاح مع شرح العلامة السعد التفتازاني، وحضر علم الحساب على الشيخ الحملاوي في مسجد المؤيد، وعلى الأستاذين أحمد عبد البر، ومحمد إدريس، صاحب الكتب المشهورة حينئذ في علم الحساب، وحضر علم أصول الفقه على الشيخ محمد راضي البحراوي، ودرس في التفسير: الجلالين، وتفسير البيضاوي، وتفسير النسفي، وحضر دروس الشيخ الإمام محمد عبده لأنه كان صديقًا حميمًا لوالده.

وقد تقدم لامتحان العالمية أمام لجنة علمية يرأسها العلامة الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر الشريف، فنال الشهادة بتفوق سنة ١٩٤١م.

ثم جلس للتدريس في الجامع الأزهر، فأقرأ شرح الملوي على السلم، والوليدية في علم آداب البحث، والمقولات بحاشية والده، وكتاب ابن مسكويه في الأخلاق.

ومن مؤلفاته: (كلمات القرآن، تفسير وبيان)، وقد اشتهر هذا الكتاب، وألقى الله له القبول، وطبع مرات كثيرة جدًّا، وانتفع الناس به.

وكتاب: (صفوة البيان، في تفسير القرآن)، و(الفتاوى الشرعية)، و(كتاب المواريث)، وكتاب: (الفتاوى الشرعية)، ورسالة في شرح أسماء الله الحسنى، ورسالة في فضائل نصف شعبان، ورسالة في حكم الشريعة الإسلامية في مأتم الأربعين، وغير ذلك كثير من الرسائل والمؤلفات النافعة.

ومما اعتنى به أيضًا: (شرح نصيحة الإخوان) للإمام ابن طاهر الحضرمي، (شرح الحكم) للإمام عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي، (شفاء الصدور الحرجة، في شرح قصيدة المنفرجة)، (شرح جالية الكدر، بنظم أسماء أهل بدر)، (رسالة في أخطار المعاصي والآثام، ووجوب التوبة منها)، (رسالة في فضل تلاوة القرآن العظيم)، (رسالة في شرح أسماء الله الحسنى)، (رسالة في تفسير سورة القدر)، (أدعية من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية)، (نفحات زكية، من السيرة النبوية)، (شرح تشطير البردة للشيخ الشرقاوي)، (شرح مشكاة الأنوار، في أوصاف المختار ﷺ)، (شرح البيقونية في مصطلح الحديث)، وغير ذلك.

وللشيخ رواية حسنة؛ **إذ يروي عن**: ١ ـ أبيه العلامة محمد حسنين مخلوف ت١٣٥٥هـ، ٢ ـ والعلامة المتبحر الشيخ محمد بخيت المطيعي ت١٣٥٤هـ مفتي الديار المصرية، ٣ ـ والعلامة الشيخ عبد الرحمن قراعة السيوطي مفتي

الديار المصرية، ٤ ـ والعلامة الشيخ يوسف الدجوي ت١٣٥٦هـ، ٥ ـ والعلامة الشيخ عبد الله دراز، ٦ ـ والشيخ محمد راضي البحراوي، ٧ ـ والعلامة أحمد نصر العدوي وغيرهم[1].

وقد ترجم له المسند الشيخ صالح الأركاني في ثبته: (إتحاف ذوي الرسوخ، بذكر جملة من أجازوني من الشيوخ)، فقال: (وهو يروي عن أبيه العلامة محمد مخلوف العدوي المصري المالكي، وكيل الأزهر، والعلامة محمد بخيت المطيعي الحنفي، والمفتي عبد الرحمن قراعة المصري، والعلامة عبد الله دراز، والشيخ عبد الهادي مخلوف المصري، والشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر، والشيخ محمد الطوخي، والشيخ محمد راضي البحراوي، والشيخ أحمد بن نصر العدوي المالكي، والشيخ علي بن إدريس العدوي، وشيخ القراء في وقته الشيخ محمد علي خلف الحسيني، وغيرهم، ويروي عن الأخير ـ محمد علي خلف ـ القرآن الكريم، بروايته عن شيخ القراء الشيخ حسن بن خلف الحسيني، عن شيخ القراء أحمد بن محمد المتولي بسنده المعروف)[2].

قلت: والذي يلوح لي الآن أن الأركاني خلط هنا شيوخ الرواية بشيوخ الدراية، ويحتاج التمييز بينهم، والتمييز بين صور تحمل المترجم عن هؤلاء الأشياخ وغيرهم، إلى تحرير طويل، وتتبع موسع.

---

(١) وقد ترجم له قديمًا الشيخ علي الغاياتي في جريدته: (منبر الشرق)، وترجم هو لنفسه في أحاديث أجريت معه ونشرت سنة ١٩٨٣م، ثم أستاذنا العلامة محمد رجب البيومي في النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين /٥/٨٤/، ومحمد خير رمضان يوسف في تتمة الأعلام /١/١٤٠/، والعلامة الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي بالاشتراك مع الدكتور علي صبح في كتاب: الحركة العلمية في الأزهر في القرنين التاسع عشر والعشرين /٢/٣٦٣/، وترجم له تلميذه محمد علي مخلوف في كتابه القيم: (تاريخ بني عدي) وهو مخطوط.

(٢) إتحاف ذوي الرسوخ/ص١٢/.

ووالد المترجم يروي عن جماعة منهم: العلامة أحمد محجوب الرفاعي، والعلامة محمد عرفة المالكي، والإمام أحمد بن شرقاوي، وكنت قد اطلعت على نسخة عتيقة من كتاب: (الرسالة المستطرفة) للسيد محمد بن جعفر الكتاني، عليها إهداء بخطه للعلامة محمد حسنين مخلوف، مع الإجازة له بمروياته، وإن كنت أحتاج في هذا إلى المراجعة في اقتران الإهداء بالإجازة، لطول العهد، فهذا الذي في ذهني الآن.

نروي مروياته من طريق العلامة السيد محمد بن علوي المالكي، والعلامة الفقيه أحمد جابر جبران الضحوي الشافعي، وغيرهما، كلهم عنه.

(ح) ومن طريق شيخنا سماحة العلامة الشيخ علي جمعة، عن الإمام الرائد الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم، عنه.

* * *

۞ الإمام الأكبر، شيخ الإسلام، وشيخ الأزهر الشريف، العلامة الشيخ: حسونة بن عبد الله النواوي الحنفي.

صاحب المنقبتين، وحائز المفخرتين، فقد تولى مشيخة الأزهر الشريف، وضم إليها الإفتاء، فكان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية في آنٍ واحد، ولم يجتمعا معًا لأحد إلا له، وللعلامة الشيخ محمد المهدي العباسي الحنفي من قبله، فقد ولي كلاهما المشيخة والإفتاء، وكان كلاهما حنفي المذهب، كما أن أسرته حازت الفخر التليد، بأن تولى هو مشيخة الأزهر، ثم تولاها من بعده ابن عمه الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي الحنفي ت١٣٢٧هـ، فهذه أسرة علمية جليلة، تمثل ركنًا من أركان الأزهر، كما هو شأن آل العروسي، فقد ولي مشيخة الأزهر منهم ثلاثة من الأئمة،

كما تراه مفصلا في ترجمة شيخ الإسلام مصطفى العروسي من كتابنا هذا.

ولد المترجم سنة ١٢٥٥هـ في قرية محلة نواي، بمركز ملوي، وحضر على كبار علماء الأزهر الشريف، مثل الشمس الأنبابي، والشيخ عبد الرحمن البحراوي، واختص بملازمة العلامة المحقق السيد علي بن خليل السيوطي.

وكانت المودة والحميمية قد انعقدت بينه وبين العلامة الشيخ علي بن محمد الببلاوي، والذي تولى مشيخة الأزهر أيضا بعد ذلك، فكانا يقيمان معا، ويحضران الدروس معا، فلا يفترقان إلا في درس الفقه، لأن العلامة الببلاويَّ كان مالكيَّ المذهب.

وبعد أن تم تكوينه العلمي بدأ بتدريس عيون الكتب، ثم عين لتدريس الفقه في مسجد محمد علي باشا، ثم اختير أستاذا للفقه بدار العلوم، ومدرسا بكلية الحقوق، وعين عضوا دائما غير قابل للعزل بمجلس شورى القوانين (البرلمان)، وعين وكيلا للجامع الأزهر، ثم شيخا للأزهر الشريف من سنة ١٣١٣هـ ـ ١٨٩٦م إلى سنة ١٣١٤هـ ـ ١٨٩٩م، ثم أعيد اختياره شيخا للأزهر مرة أخرى سنة ١٣٢٤هـ ـ ١٩٠٧م إلى سنة ١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٩م.

وأما تلامذته فكثيرون، منهم: العلامة علي سرور الزنكلوني، ومنهم العلامة محمد إبراهيم السمالوطي، وغيرهم، كما كانت تربط المترجم علاقة حسنة بالعلامة المفتي الشيخ عبد الرحمن قراعة، والمترجم هو الذي سعى لقراعة عند الشمس الأنبابي حتى طاب خاطر الأنبابي على قراعة بعد جفوة.

أما مؤلفاته فقد كان مقلا، ألّف كتابا اسمه: (سلم المسترشدين في

أحكام الفقه والدين) طبع في جزئين، وله شعر قليل، نشر في بعض الدوريات، وقد رصده الدكتور أحمد موسى الخطيب في كتابه القيم (الشعر في الدوريات المصرية ١٨٢٨م ـ ١٨٨٢م، توثيق ودراسة).

ومن مآثره أنه أمر بجمع مكتبات الأزهر، وكانت مبعثرة في الأروقة، فضمها في مكتبة واحدة، مع ترتيبها وتنظيمها، فاستنقذ تلك الثروة الثمينة من كتب الأزهر ومخطوطاته النادرة.

وقد توفي الشيخ إلى رحمة الله تعالى صباح الأحد ٢٤ شوال سنة ١٣٤٣هـ، الموافق ١٧ مايو، سنة ١٩٢٥م، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

فصل

ومن المآثر الحديثية الإسنادية الجليلة، التي تذكر للمترجم في باب أسانيد المصريين، أنه كان هو القائم بتنفيذ الأمر السلطاني، في طباعة صحيح البخاري، وفق النسخة اليونينية، فنشط في ذلك، وجمع فريقا من جلة علماء الأزهر الشريف، وسعوا في استخراج النسخ الخطية المفرقة في المكتبات العامة والخاصة، ثم أكبوا على مقابلة النسخ، وسرد الصحيح، والتدقيق التام في أسماء الرواة، وأوجه الرواية، مع ضبط فروق النسخ، حتى تمت قراءته ومقابلته في مدة يسيرة من الزمان، فهذا المجلس الحديثي الفخيم، حري أن يذكر جنبا إلى جنب، مع مجالس ابن مالك والشرف اليونيني، والتي أسفرت عن النسخة اليونينية الجليلة من صحيح البخاري، وكأني بالصحيح قد حظي بالمجلس اليونيني على طورين، الأول أيام الشرف اليونيني والجمال ابن مالك، والثاني أيام الشيخ حسونة النواوي ورفاقه من الأئمة النحارير، من أهل الحديث والمعقول والعربية.

وهل كان بالإمكان أن يخلو كتابنا هذا ـ وقد سعى في الكشف عن معالم الصنعة الإسنادية في مصر ـ من التشرف بذكر أنباء هذه المجالس الإسنادية الحديثية المفخمة، التي تفاخر بها الديارُ المصرية، وتحفظ لأهل مصر على وجه الزمان، وإليك طرفا من وصف المجلس، ومن سرد أسماء الأئمة الذين نهض هذا المجلس على أكتافهم، وقد حفظ لنا التاريخ ذلك كله بقلم صاحب الترجمة، الإمام الأكبر الشيخ حسونة النواوي؛ إذ قال رحمه الله: (وبأن يتولى قراءة المطبوع بعد تصحيحه في المطبعة جمعٌ من أكابر علماء الأزهر الأعلام الذين لهم في خدمة الإسلام قدمٌ راسخةٌ بين الأنام، وفي التاسع عشر من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣١٢للهجرة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، أبلغ صاحب الدولة الغازي أحمد مختار باشا المندوب العالي العثماني في القطر المصري هذه الأوامر السلطانية إلينا، لنجمع من حضرات أكابر العلماء الزهريين من يُعتمد عليهم في هذا الباب، ونقوم معهم بهذه الخدمة الشريفة والأعمال المنيفة، ثم بعث دولته إلينا بالنسخة اليونينية والنسخ المطبوعة على يد صاحب السعادة عبد السلام باشا المويلحي للمقابلة عليها كما قضى بذلك الأمر الهمايوني الكريم، وقد كان، وجمعنا ستة عشر ممن عمَّ فضلُهم واشتُهر وأبلغناهم هذه الأوامر السلطانية، فتلقوها بصدور رحبة، وأفئدة فرحة لعلمهم أنها خدمة من أجل الخِدمِ الدينية، وأعظمها قدرا، وأكبرها نفعا، خصوصا وقد أمر بها جلالة سلطان المسلمين، وحافظ حوزة الدين، وأظهروا غاية القبول لهذا العمل المأمول، وعلى ذلك، جمعنا أيضا ما أمكن جمعه من نسخ هذا الصحيح القديمة من المكاتب العامة والخاصَّة، مما عني به المتقدمون ضبطا وتصحيحا، وبدأنا مع حضراتهم في العمل بغاية الجد، والاجتهاد حتى تمت

قراءته ومقابلته في مدة يسيرة من الزمان، مع بذل ما في الاستطاعة من العناية بضبط الحروف وشكلها وتحري أسماء الرواة وضبطها وأوجه الروايات، فجاء هذا الكتاب الجليل بحمد الله على غاية ما يرامطابقا لما أراده مولانا أمير المؤمنين).

إلى أن قال: (أما حضرات العلماء الأعلام الذين خدموا صحيح هذا الإمام فهم: حضرة الأستاذ الشيخ سليم البشري شيخ السادة المالكية، حضرة الأستاذ السيد علي الببلاوي من علماء السادة المالكية بالأزهر ونقيب السادة الأشراف بالديار المصرية، حضرة الأستاذ الشيخ أحمد الرفاعي من علماء السادة المالكية بالأزهر وشيخ رواق السادة الفِيَمَةِ بالأزهر، حضرة الأستاذ الشيخ إسماعيل الحامدي من علماء السادة المالكية بالأزهر وشيخ رواق السادة الصعايدة بالأزهر، حضرة الأستاذ الشيخ أحمد الجيزاوي من علماء السادة المالكية بالأزهر شيخ الجيزاوية بالأزهر، حضرة الأستاذ الشيخ حسن داود العِدْوِيّ من علماء السادة المالكية بالأزهر وإمام راتب بالجامع الأزهر، حضرة الأستاذ الشيخ سليمان العبد من علماء السادة الشافعية بالأزهر، حضرة الأستاذ الشيخ يوسف النابلسي من علماء السادة الحنابلة بالأزهر، حضرة الأستاذ الشيخ بكري عاشور الصِدْفِيّ من علماء السادة الحنفية بالأزهر مفتي بيت مال مصر والمجلس الحسبي، حضرة الأستاذ الشيخ عمر الرافعي من علماء السادة الحنفية بالأزهر مفتي مديرية الجيزة، حضرة الأستاذ الشيخ محمد حسين الابريري من علماء السادة الشافعية، حضرة الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل الوراقي من علماء السادة المالكية، حضرة الأستاذ الشيخ هارون عبد الرازق من علماء السادة المالكية، حضرة الأستاذ الشيخ حسن الطويل من علماء السادة المالكية، حضرة الأستاذ الشيخ حمزة

فتح الله مفتش اللغة العربية بالمعارف المصرية، حضرة السيد محمد غانم من أهل العلم الشافعية بالأزهر الذين لهم دراية بعلم الحديث).

فصل

وقد كان الإمام النواوي رحمه الله حليمًا، واسعَ الصدر، يَسَعُ الناس بعلمه وخلقه، لا سيما المخالف، يدلك على ذلك موقفه من الدكتور منصور فهمي، فقد حصل الدكتور منصور على رسالته للدكتوراه من باريس، وكان موضوعها: (المرأة في لإسلام)، وأشرف عليه فيها المستشرق اليهودي (ليفي رايل)، وقد تورط الدكتور منصور في أن نسب عددا من التهم والمظالم إلى الإسلام في قضية المرأة، حتى صار يعرف في مصر بالملحد، إلا أنه أنصف من نفسه، وذكر أنه لقي عددا من علماء الأزهر، من ذوي الأفق الواسع، والصدر الرحب، والحلم والعلم، الذين صبروا عليه، وأخلصوا له النصح، ولم يتجهموا في وجهه، ولا ضاقوا به، وكان على رأسهم الشيخ حسونة النواوي، فسجل الدكتور منصور فهمي تغييره لموقفه، وتراجعه عن تحامله على الإسلام، بسبب رحابة صدر أولئك النفر من العلماء.

فقال في مجلة (حياتك): (كانت رسالتي في الدكتوراه عن المرأة في الإسلام، واندفعتُ أكتبُ بحرارة الشباب المندفع، ويظهر أني انحرفت قليلاً حيث كانت معلوماتي عن الإسلام طفيفة، وحين قُوبلت ـ في مصر ـ بضجة كبرى ازددتُ عنادًا، ولكن الله كتب لي أن أجلس طويلاً مع بعض مشايخ العلماء، من ذوي الأفق الواسع، والصدر الرحيب، من أمثال الشيخ: حسونة النواوي، والشيخ: مصطفى عبدالرازق، والشيخ: علي سرور الزنكلوني،

هؤلاء الذين يمثلون «عالم» الدين الحقيقي في عقولهم وعلومهم، فبدأتُ أتخلَّص من الزيغ، لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله)[1].

وقال أيضا في مجلة (لواء الإسلام): (لقيتُ المرحوم الشيخ حسونة النووي حين زرته في منـزله، فوجدتُ شيخًا وقدرًا يملأُ القلب بمهابته وتقواه، وكنتُ أسمع الكثير عن شجاعته وهمته، واستهانته بشؤون الدنيا، فلما قُدِّمتُ إليه، قال لي: أأنت الذي يُقالُ عنك: إنك ملحد؟! فقلتُ: نعم يا مولاي، فربت على كتفي، وقال لي: اقرأ القرآن، اقرأ البخاري إن لم تكن قرأته، فوعدتُ الشيخ الوقور بذلك، ولما خرجتُ استحييتُ ألا أفي بعهدي، فعكفتُ على قراءة البخاري، وعجبتُ لغفلتي الأولى؛ وجدتُ حكمًا ونظمًا، وأخذتُ أقارن ذلك بما درست في الفلسفة، فوجدت ما جاء به (محمد) ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أعلى من كل فلسفة، وأن الإلهام الصادق يبدو في كل حديث، فلم أجد إلا أن أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله)[2].

قلت: فرضي الله عن هذه الثلة الصادقة من العلماء، وعلى رأسهم صاحب الترجمة، من الأئمة الأكابر، الذين تنجلي في شخوصهم الطاهرة، وفي علومهم الباهرة، معالمُ الوراثة المحمدية، وحمل أمانة الدين، والقيام بتبصير الناس، وبسط اليد إليهم عن بصيرة وصبر، ورحم الله العلامة الشيخ حسونة النواوي، فلقد كان إماما أزهريا هاديا، قائما بواجب وقته، ناشرا لمعالم الشرع الشريف علما وعملا ومسلكا.

يروي المترجم عن جماعة من شيوخه، منهم: ١ ـ العلامة الشيخ

(١) مجلة (حياتك)، العدد الصادر في ديسمبر، سنة ١٩٥٨م.
(٢) مجلة (لواء الإسلام)، العدد الصادر في شوال، سنة ١٣٧٨هـ.

الشهاب أحمد عبد الرحيم الطهطاوي الشافعي الأزهري ت١٣٠٢هـ بأسانيده ومروياته، ومن أجل تلامذة الطهطاوي العلامة محمد كامل بن مصطفى شيخ المدرسة العثمانية، في طرابلس الغرب، وقد تدبج الشيخ الطهطاوي المذكور مع العلامة الشيخ يوسف بدر الدين، والد البدر الحسني، شيخ الشام ومسنده، ٢ ـ العلامة المحقق السيد علي بن خليل السيوطي، وهو عن جماعة منهم ابن عبد الحق القوصي.

نروي مروياته من طريق: شيخنا المسند الكبير السيد عبد الرحمن ابن السيد عبد الحي الكتاني، وهو عنه مباشرة.

ومن طريق السيد أحمد بن أبي بكر الحبشي، عن مسند الدنيا السيد عبد الحي الكتاني، عنه.

حرف الدال

❁ **العلامة المسند المعمر: داود بن سليمان بن أحمد بن محمد بن عمر بن عامر بن خضر الشرنوبي البرهاني المالكي الخربتاوي.**

ولد سنة ١٠٨٠هـ، وحضر على الأكابر من علماء عصره، مثل العلامة محمد الزرقاني شارح المواهب، والعلامة محمد الخرشي شارح خليل، وطبقتهما، وعاش حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وتوفي سنة ١١٧٠هـ، قال الحافظ المرتضى الزبيدي: (وكان شيخًا معمرًا، مسندًا، له عنايةٌ بالحديث).

قلت: وقد كان هو مُعَمَّرًا، وكان والده العلامة سليمان الخربتاوي مُعَمَّرًا، وكان شيخه شمس الدين الفيومي معمرًا، فهذه سلسلة من المعمرين الثقات المعروفين المأمونين، أما والده فقد عُمِّر مئة وست عشرة سنة، وكان معروفًا بالعلم، مشهورًا به، قال عنه الجبرتي في تاريخه: (مات الإمامُ العلامةُ المحققُ المعمرُ الشيخ: سليمان بن أحمد بن خضر الخربتاوي البرهاني المالكي، وهو والد الشيخ داود الخربتاوي الآتي ذكر ترجمته، توفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف، عن مائةٍ وست عشرة سنة)، وأما شيخه الشمس الفيومي فهو تلميذ السيد الشريف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن عبد الله بن سعيد الأرميوني الحسيني الشافعي ت٩٥٨هـ، تلميذ الحافظ السيوطي، وكان السيوطي يجل الأرميونيَّ لشرف نسبه، وقد روى الحافظ مرتضى الزبيدي عن صاحب الترجمة، عن الفيومي، عن الأرميوني، عن السيوطي، فكان العلامة

السيد عبد الحي الكتاني يقول عن هذا السند: (وهذا أعلى ما وقع لنا) يريد من هذا الوجه، لا مطلقًا، وعلى كلام الإمام السيد عبد الحي تحريرٌ يأتي في ترجمة الحافظ مرتضى من هذا الكتاب.

فهذا سياقٌ من المعمرين مؤتمن؛ إذ في النفس وقفة من اللهج بالمعمرين، وما ينسب إليهم من بحوث الرواية، كما في شأن ابن سنة، وبابا يوسف الهروي، وأضرابهم، وللعلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري كتاب نفيس اسمه: (عتب المغترين، بدجاجلة المعمرين)، لكنه مفقود، وقد سبق إلى ذلك الأئمة، كالذهبي في (ميزان الاعتدال) في غير موضع.

يروي صاحب الترجمة كما تقدم عن: المعمر الشمس الفيومي، عن السيد يوسف الأرميوني، عن الحافظ السيوطي بأسانيده ومروياته، في: (زاد المسير)، وفي: (المنجم، في المعجم)، وفي: (حاطب ليل، وجارف سيل) وغيرها من معاجمه ومشيخاته.

نروي مروياته من طريق السيد عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني والسيد أحمد بن أبي بكر الحبشي، والسيد محمد بن إبراهيم الكتاني، ثلاثتهم عن والد الأول، وهو عن فالح الظاهري، عن العلامة الحافظ محمد بن علي السنوسي، عن العلامة عبد الحفيظ العجيمي المكي، عن العلامة عبد القادر بن خليل كدك زاده، خطيب الحرم النبوي الشريف، عنه.

ومن طريق السيد محمد علوي المالكي، عن العلامة الشيخ حسنين مخلوف العدوي مفتي الديار المصرية، عن العلامة الشيخ عبد الرحمن قراعة السيوطي مفتي الديار المصرية، عن العلامة علي عبد الحق القوصي، عن العلامة الحافظ محمد بن علي السنوسي، عن العلامة عبد الحفيظ العجيمي، عن العلامة عبد القادر بن خليل، عنه.

❁ **العلامة المسند المعتني الكبير، السيد: أبو هريرة داود بن محمد بن أحمد القَلعيُّ الشافعي الأزهري.**

أفاد السيد أحمد رافع فيما نقل عنه الغماري في (البحر العميق) أنه: القلعيُّ نسبة إلى قلعة مصر، وهو ميدومي الأصل.

يروي عن: ١ ـ شيخه العلامة الشيخ أحمد السحيمي وهو عن العلامة عبد الله الشبراوي بما في ثبته، ٢ ـ وعن العلامة الشيخ أحمد الملوي، ٣ ـ وعن أحمد جمعة البجيرمي، وهو عن: الشيخ أحمد مصطفى الإسكندراني المعروف بابن الصباغ، وهو عن العلامة عبد الله بن سالم البصري بما في: «الإمداد»، ٤ ـ والشيخ أحمد الدمنهوري الشافعي بما في ثبته.

٥ ـ ويروي عن الشيخ محمد البجيرمي، وقال: (حضرت عليه سنين كثيرة)، ٦ ـ والشيخ عيسى البراوي، ٧ ـ والشيخ حسن المدابغي، ٨ ـ والشيخ محمد المصيلحي، ٩ ـ والشيخ عطية الأجهوري، ٩ ـ والشيخ أحمد القوصي، ١٠ ـ والشيخ عمر الطحلاوي وغيرهم ممن يطول ذكره.

وقد كان ـ رحمه الله ـ معنيًّا بالحديث، مكبًّا على إقراء كتبه، حتى إن الأكابر من شيوخ الطبقة التي تليه تلقوا عنه عيون كتب الحديث مسموعة، وإليك نص إجازته لتلميذه العلامة حسين الأنصاري بن العلامة السيد محمد أبو السعود المالكي بن شيخ الإسلام المشهور بكنيته أبي القاسم مصطفى الأنصاري، جد عائلة الأنصاري بجرجا؛ فإنه نص نادرٌ، مهمٌّ جدًّا، فيه تفصيل مقدار مسموعه من الصحيح، كما تلقاه هو، وكما تلقاه أشياخه عبر سلسلة سنده، قال رحمه الله: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد: فيقول

العبد الفقير: داود بن الشيخ محمد الشافعي الأزهري، بن السيد أحمد القلعي، وقد أخذ العلم عن رجال منهم: الشيخ أحمد الملوي بن الشيخ عبد الفتاح، والشيخ أحمد الدمنهوري، والشيخ أحمد السحيمي بن الشيخ محمد الشافعيون، وقد أجازني المذكورون بأسمائهم بما في أثباتهم، ولما قدر الله ـ عز وجل ـ الاجتماع بالسيد حسين بن السيد محمد أبو السعود المالكي، وقد طلب مني الإجازة، فأجزته بجميع مروياتي عن المشايخ المذكورين وغيرهم، كالشيخ أحمد البجيرمي بن الشيخ أحمد، وقد سمعت عليه البخاري من أوله إلى آخره، وقد سمع الشيخ أحمد البجيرمي المذكور البخاري من أوله إلى كتاب التفسير للقرآن على الشيخ أحمد بن مصطفى بن الشيخ أحمد المالكي الإسكندراني المعروف بالصباغ، والشيخ أحمد بن الشيخ مصطفى الصباغ المذكور أخذ البخاري سماعًا من أوله لمناقب الأنصار، وإجازة لباقيه على الشيخ عبد الله البصري المكي، وهو أخذه رواية ودراية على الشيخ علاء الدين ابن الشيخ محمد البابلي، والشيخ محمد علاء الدين البابلي سمع من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب التفسير على الشيخ إبراهيم اللقاني، وقرأ البعض وسمع البعض، ومجموع القراءات والسماع من أول البخاري إلى فضائل القرآن على الشيخ سالم السنهوري، قال الشيخ سالم السنهوري: قرأته بتمامه وكماله على النجم الغيطي، والشيخ النجم الغيطي قال: قرأته بكماله على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشيخ زكريا قرأ جميعه على الشيخ ابن حجر العسقلاني بسنده بالسماع، وقد سمع الشيخ أحمد البجيرمي المذكور البخاري أيضًا على الشيخ أحمد الجوهري الخالدي بسنده في ثبته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين، في حادي عشر من ذي الحجة سنة ١١٩٨هـ).

وقد اعتنى العلامة السيد داود القلعي بإقراء صحيح البخاري بموجب تلك السماعات، فممن سمعه منه شيخ الإسلام حسن القويسني، فقد حضر عليه الصحيح كاملًا في سبعة وخمسين مجلسًا، وانظر تفصيل ذلك في ترجمة القويسني من كتابنا هذا.

نروي مروياته عن: شيخنا محمد سعيد الكحيل الحمصي، والحبيب علي بن محمد بن هادي السقاف الباعلوي الحضرمي، كلاهما عن الحافظ أبي الفيض أحمد بن الصديق الغماري، عن العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي، عن شيخ الإسلام محمد بن حسين الأنبابي، عن شيخ الإسلام مصطفى بن محمد بن أحمد العروسي الشافعي، عن شيخ الإسلام حسن القويسني، عنه.

حرف الراء

۞ العلامة المحقق الشيخ: محمد رشاد بن عبد المطلب.

ولد سنة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م، قال العلامة المحقق الدكتور محمود محمد الطناحي في كتابه القيم: (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي): (من العلماء بالمخطوطات وأماكن وجودها، وكان لا يجارى في معرفة المطبوعات وأماكن طبعها شرقًا وغربًا، وفرق ما بين الطبعات، وعدد طبعات الكتاب المختلفة، ومن وراء ذلك كانت له صلات وثيقة بعلماء الدنيا من عرب وعجم، كنت لصيقًا به، ملازمًا له، عشر سنوات في معهد المخطوطات، وتعلمت منه الكثير).

وقال عنه بعض عارفيه: (فكان آيةً في معرفة الكتاب العربي المخطوط والمطبوع، يعرفهما كما يعرف الناس آباءهم، وكان يشم رائحة المخطوط النفيس من مكان بعيد، ويقع عليه كما يقع الصائد على فريسته لا يفلتها، وقد عمل بمعهد المخطوطات منذ إنشائه سنة ١٩٤٦ إلى حين وفاته سنة ١٩٧٥م، وكثير من نفائس مقتنيات المعهد من صيده هو رحمه الله) انتهى.

عمل في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، من بدء إنشائه (سنة ١٩٤٦م) وساعد في تحرير مجلته، وأرسل في عدة رحلات إلى الهند وتركيا وسواهما، للبحث عن نفائس التراث وتصويرها، فجمع القسم الأكبر من

مصورات المخطوطات، التي تضمها مكتبة المعهد، وتعاون مع المحقق الكبير فؤاد السيد على وضع فهارس لبعض الخزائن العامة.

وألقى محاضرات في جامعات بالولايات المتحدة سنة ١٩٦٤م، وفي بريطانيا سنة١٩٧٢م، وفي مصر سنة١٩٦٨م، وسنة ١٩٧٤م وغيرها. وحقق كتبًا، منها (ذيول العبر ـ ط) للذهبي، وصنع فهرسًا لكتب الطب والعلوم ١٩٧٣م، وكان شعلة نشاط انطفأت فجأة كما عبَّر الزركلي في: (الأعلام)، بإصابة قلبية بالقاهرة، وقد توفي في غرة المحرم سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

يروي عن: ١ ـ العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، ٢ ـ والعلامة الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي، ٣ ـ العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي ـ رحمهم الله ـ، أفادني بذلك فضيلة الشيخ محمد عبد الله الرشيد، وأخبرني أنه اطلع على أصول إجازات الشيوخ المذكورين له، قلت: ولا أعلم أنه أجاز لأحد.

* * *

❁ المحدث العلامة الشيخ: رفعت بن فوزي بن عبد المطلب بن محمد شهبة الحنفي.

ولد في قرية من قرى الدقهلية في الثلاثين من يوليو سنة ١٩٤٠، الموافق سنة ١٣٥٩هـ، حفظ القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وتخرج من كلية دار العلوم سنة ١٩٦٥م، وحصل على الماجستير سنة ١٩٧٣م، وعلى الدكتوراه سنة ١٩٧٦م، وشغل رئاسة قسم الشريعة بالكلية مدة سبع سنوات.

وكان من مشايخه السادة العلماء الفضلاء: الشيخ عبد العظيم معاني،

وهو الذي أشرف عليه في رسالتي الماجستير والدكتوراه، والشيخ عبد المجيد محمود، والشيخ محمد الحافظ التيجاني.

وصاحب الترجمة عالمٌ جليلٌ من علماء مصر، انقطع للعلم ولا سيما الحديث الشريف، وخدم عددًا من كتب العلم خدمة جيدة، مع ما هو عليه من سمت حسن، وصلاح ظاهر، وله مكتبة معمورة، يقضي فيها غالب أوقاته، ويفتح أبوابها لطلبة العلم يترددون عليها، وينتفعون بها وبه.

ومن مؤلفاته: (المدخل إلى توثيق السنة، وبيان مكانتها)، (المدخل إلى مناهج المحدثين)، (توثيق السنة في القرن الثاني الهجري)، (ابن أبي حاتم وأثره في علوم الحديث)، (الإسراء والمعراج، دراسة توثيقية).

وكتاب: (صحيفة وهب بن منبه)، وحقق كتاب: (تحفة التحصيل، في أحكام المراسيل) للحافظ أبي زرعة العراقي، وخدم كتاب الأم للإمام الشافعي وحققه تحقيقًا جيدًا، وحقق كتاب: (أدب الفتوى وشروط المفتي وصفة المستفتي) لابن الصلاح، وكتاب: (الابتهاج، في أحاديث المعراج) للحافظ أبي الخطاب بن دحية، وكتاب: (لمحات الأنوار، ونفحات الأزهار) للغافقي، وكتاب: (الجعديات، أو حديث علي بن الجعد) لأبي القاسم البغوي، وكتاب: (التذكرة، بمعرفة رجال الكتب العشرة) لأبي المحاسن الحسيني، وغير ذلك كثير من الأعمال العلمية النافعة.

اجتمعت به ضحوة السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٤٢٢هـ، الموافق ١٦ أغسطس ٢٠٠١ م، وأجاز لي إجازة عامة، وحضرت عليه شيئًا من قراءة موطأ مالك، ثم ترددت عليه وعلى مكتبته.

يروي عن: ١ ـ العلامة المحدث محمد الحافظ التيجاني ت ١٣٩٨هـ، وكانت إجازة التيجاني له يوم الجمعة ١٩ شوال سنة ١٣٩٢هـ، الموافق ٢٤ نوفمبر ١٩٧٢م، ٢ ـ والعلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، ٣ ـ والعلامة الشيخ عبد السبحان نور الدين البرماوي ت١٤٢١هـ، بما في ثبته: (اللؤلؤ والمرجان، في أسانيد عبد السبحان)، ٤ ـ والعلامة الشيخ صالح إدريس الأركاني ت١٤١٨هـ، بما في أثباته، وما أكثرها وأضخمها.

نروي مروياته عنه مباشرة كما تقدم.

حرف الزاي

❁ العلامة الجليل، الإمام الولي العارف المربي الشيخ: محمد زكي الدين بن الخليل إبراهيم بن علي الشاذلي الأزهري، رائد العشيرة المحمدية.

ولد يوم الأربعاء ١٣٢٤/٧/٣هـ الموافق ١٩٠٦/٨/٢٢م، ونشأ في كنف العلم والصلاح والرعاية، مع توجيه باكتساب العلوم والمعارف، حتى تعلم الشيخ الإمام رحمه الله تعالى الإنجليزية في المرحلة الابتدائية، وتعلم الفرنسية على يد الأستاذ داود سليمان من أعيان أسيوط، والألمانية بالقاهرة على يد الأستاذ راغب والي، وتخرج بالأزهر الشريف، وأجاد عدة لغات، وعمل مفتشًا للتعليم بوزارة التربية والتعليم، ثم أستاذًا بالدراسات العليا والمعهد العالى لتدريب الأمة والوعاظ، ثم عميدًا لمعهد إعداد الدعاة قبل أن تضمه إليها وزارة الأوقاف، بعد أن أنشأته العشيرة، وتخرج فيه كثير من الدعاة الكرام.

وعمل مدرسًا بالمدرسة الألمانية بالقاهرة، وقد ترجم الشيخ بعض قصائد الشاعر الألماني (هايني رش هايني) من الألمانية إلى العربية، وتعلم الفارسية على يد الشيخ محمد الأعظمي الإيراني عضو جمعية الأخوة الإسلامية، وترجم عددًا من قصائد إقبال إلى العربية، بعضها منشور بمجلة (أبولو).

كما كان ﷺ مؤسسًا لمؤتمر الهيئات والجمعيات الدينية، للعمل على

تطبيق الشريعة الإسلامية، بالاشترك مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود، والأستاذ الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية، وعضوية جمهرة رؤساء وعلماء وممثلي الجامعات الإسلامية الرسمية والشعبية بمصر، والذي انعقد في الثمانينيات لثلاثة أيام، كما أسس المؤتمر الصوفي العالمي، ومؤتمر المرأة المسلمة الذي عقد في أوائل الخمسينيات، كما كان أمينًا ورائدًا دينيًّا بجمعيات الشبان المسلمين العالمية، والمؤتمر القرآني برئاسة نائب رئيس الجمهورية السيد حسين الشافعي، واللجنة العليا للدعوة بالأزهر، برئاسة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود.

كما كان عضوًا إداريًّا عاملًا في أكثر من جماعة وهيئة ولجنة إسلامية واجتماعية وثقافية وعامة وخاصة، رسمية وشعبية، بمصر والخارج، منها جماعة أبولو للشعراء برئاسة المرحوم أحمد شوقي أمير الشعراء، كما اشتغل فترة بالصحافة والنشاط النقابي للمعلمين.

وقد شارك في الإعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣م هو وتلامذته وكبار أعضاء العشيرة بأعمال التعبئة والتوعية والإعداد، حتى كان يبيت الليالي ذوات العدد، مع جنود الجبهة على البحر الأحمر، مع أخيه في الله زعيم السويس الشعبي الصوفي الشيخ حافظ سلامة، وفضيلة الشيخ محمد الغزالي، وبعض العلماء، وكم تعرض ومن معه للأخطار الداهمة وواجه الأسر والقتل، بين بورسعيد والإسماعيلية والسويس، أمام الهجمات الإسرائيلية.

وعندما اتهم بعضهم الشيخ بأنه شيخ أزهري (معمم ومقفطن) لا يدري من علوم الدنيا شيئًا، إذا بالشيخ يرد عليه بما نصُّه: (كتب إليَّ كاتبٌ، يعنفني بأنني أحبس نفسي في قمقم التصوف، وأتقوقع في صدفة التدين المتأخر، وأعيش متخلفًا في عصور الجمود الماضية، بينما نحن في

عصر تقدمي متحضر لم تعرفه دنيانا من قبل... إلخ.

والذي أحب أن يعرفه هذا الأخ وأمثاله، أنني وأنا رجل معمَّم مقفطن، لا أزال أثقف نفسي، وأزودها بكل ثقافة من المشرق أو المغرب، باحثًا عن الحكمة، جاريًا وراء الحقيقة، كلما أذنت لي صحتي وأوقاتي وقدرتي.

فكما أقرأ تاريخ الإسلام والفلسفة، وتدرج المذاهب، ونشوء الفرق والنحل، وأتابع الصوفية والسلفية، وتطور تاريخ المسلمين، وأتابع أدباء العرب وقصاصيه وناقديه ومهرجيه ومفسديه.

كذلك أدرس ملامح الفن القوطي، وتدرجه إلى الريسانس، إلى الكلاسيكية القديمة فالجديدة، إلى الرومانتيكية، إلى التأثرية، إلى الواقعية، إلى الرمزية، إلى الالتزامية، إلى التجريدية، حتى بيكاسوا في التصوير، وأندريه في الأدب، واسترافنسكي في الموسيقى.

وأنا أقرأ لشكسبير، وبوب، وشيلي، وبيكون، وهيجل، وفلامريون، وجيته، ونيتشه، إلى سارتر، وسومرست موم، وبرتراند رسل، وأقرأ كذلك رونسار، وفارلين، ورامبو، وبودلير، وأفرق بين لوحات جنيسبورو، ورينو لدزر، وأميز في مدارس الموسيقى بين صامويل جونسون، وبوالوا، إلى كل ما يتعلق بفن المسرح والسينما.. إلخ.

فلست بمقمقم ولا مقوقع ولا جامد، ولا متخلف بحمد الله، إنني أعيش في عصري، مندمجًا فيه، ثقافةً ودعوة ومعاشًا، غريب عنه أخلاقًا وعبادة واتجاهًا، ولكن على قدر مقدور، لا بد منه للدعاة إلى الله).

فرحم الله هذا النَفَس الرباني العالي، في الجمع بين فنون الثقافة،

ووجوه المعرفة المتشعبة، مع الربانية والبصيرة، والأخذ بزمام الخلق إلى الله جلّ شأنه.

أما مؤلفاته ﷺ فمنها: (أبجدية التصوف الإسلامي)، (أصول الوصول)، (الخطاب)، (فواتح المفاتح)، (أهل القبلة كلهم موحدون)، (الأربعون حديثًا الحاسمة، ردعًا للطوائف المكفّرة الآثمة)، (حكم العمل بالحديث الضعيف)، (مراقد أهل البيت في القاهرة)، (قضية الإمام المهدي)، (ديوان البقايا)، (ديوان المثاني) جزءان، (أمهات الصلوات النافلة)، (ليلة النصف من شعبان: قيامها، فضلها، الدليل الحاسم على إحيائها)، (عصمة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونجاة أبويه وعمه)، (الإسكات بركات القرآن على الأحياء والموتى)، (حول معالم القرآن)، (معالم المجتمع النسائي في الإسلام)، (فقه الصلوات والمدائح النبوية).

وقد انتقل الإمام إلى رحمة الله تعالى الساعة الثالثة تمامًا من فجر يوم الأربعاء ١٦ من جمادى الآخرة ١٤١٩هـ، الموافق ٧ من أكتوبر ١٩٩٨م.

وقد جمع صديقنا البحاثة الكريم فضيلة الشيخ محي الدين الإسنوي ترجمة حسنةً وافيةً لشيخه الإمام الرائد محمد زكي الدين إبراهيم رحمه الله تعالى، اشتملت على فوائد وشمائل، وقد طبعت غير مرة، وانتفعت بها كثيرا فيما أوردته هنا.

فصل

أما مروياته فقد قال ﷺ في ثبته المسمى: (الإذن المحمدي): (فإنني أروي قراءة، وسماعًا، ووجادةً، وإجازةً، بالإذن الموصول والمكرر بالأثبات، والجوامع، والفهارس، والأسانيد، والمعاجم، والمسلسلات، والمختصرات، عن أشياخي الأماجد الأكرمين:

١ ـ سيدي محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، ٢ ـ وسيدي علوي بن عباس المالكي الحسني، ٣ ـ وعن سيدي أحمد الصديق الغماري ت١٣٨٠هـ، ٤ ـ وشقيقه السيد عبد الله الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، ٥ ـ وسيدي محمد زاهد الكوثري ت١٣٧١هـ، نائب عام شيخ الإسلام بتركيا قبل الانقلاب (أي على الخلافة العثمانية)، ٦ ـ وسيدي أحمد عبد الرحمن البنا، ٧ ـ وسيدي الشيخ المُعمّر السيد محمد عبد الله العربي العاقوري الليبي المصري، ٨ ـ وسيدي الشيخ إبراهيم الغلاييني الدمشقي، ٩ ـ وسيدي الشيخ حسن حبنكة الميداني السوري، ١٠ ـ وسيدي الشيخ الببلاوي المصري، ١١ ـ وسيدي الشيخ حسنين مخلوف، المفتي المصري، ١٢ ـ والشيخ الحسيني أبو هاشم الأزهري المصري، ١٣ ـ والشيخ المبشر الطرازي، مفتي البلقان وآسيا الوسطى قبل الشيوعية، ١٤ ـ والشيخ يوسف الدجوي المصري ت١٣٦٥هـ، ١٥ ـ وسيدي الشيخ محمد بخيت المطيعي المفتي المصري ١٣٥٤هـ، ١٦ ـ وسيدي الشيخ محمد الحافظ التيجاني، ١٧ ـ والشيخ أحمد عبد الجواد الدومي، ١٨ ـ والشيخ الخضر حسين المغربي من شيوخ الأزهر، ١٩ ـ والأمير عبد الكريم الخطابي مجاهد المغرب، ٢٠ ـ والسيد اليمني الناصري الشاذلي المغربي المجاهد، ٢١ ـ والشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف الأزهري من علماء الحديث بمصر، وبقية أشياخي ممن سبق ذكر بعضهم ﷺ، ٢٢ ـ وعن والدي السيد إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي، بأسنادهم المحررة بأثباتهم، عن أشياخهم عمومًا بمروياتهم من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والمنطق، والسيرة، والمصطلح، وعلم الرجال والتوحيد، وعلوم القرآن، والعقائد، وفروع اللغة العربية، والثقافة

العامة، والتصوف الصحيح، وخصوصًا كتب: القشيري، والغزالي، والسهروردي، وغيرهم مما أشرت إليه، وما فاتني أن أشير إليه).

قلت: وقد توفي المعمر العاقوري - رحمه الله - يوم الخميس ١٤/٤/١٣٩٠هـ، الموافق ١٨/٦/١٩٧٠م، وعمره يومئذ ١٥٠ سنة، وثلاثة أشهر، وتسعة أيام، وقد نشر رثاؤه المتضمن لتلك التواريخ في مجلة المسلم، العدد العاشر، السنة العشرين، غرة جمادى الأولى سنة ١٣٩٠هـ ـ ٤ يوليو ١٩٧٠م، وفي جريدة الأهرام في اليوم التالي لوفاة الشيخ رحمه الله تعالى، وقد حدثني شيخنا السيد محمد علوي المالكي أنه توصل إلى الشيخ عن طريق العلامة المحدث محمد الحافظ التيجاني، وأنه عندما لقيه كان عمره نحوًا من مائة وأربعين سنة، وأنه قد استجاز منه لنفسه ولأبيه العلامة السيد علوي بن عباس، ولشيخه العلامة الشيخ حسن المشاط، ولصديقنا البحاثة الشيخ محي الدين الإسنوي مقال مهم حول العلامة العاقوري - رحمه الله -، فيه تحريرات مهمة، وقد أخبرني أنه سينشر قريبا بإذن الله.

ونحن نروي مروياته من طريق شيخنا سماحة العلامة الإمام علي جمعة، وهو عنه.

* * *

۞ العلامة الجليل الشيخ: محمد زكي الدين بن محمد أبي القاسم الحَجَازي بن محمد علي بن محمد سليمان القوصي المالكيُّ الأزهريُّ.

الشيخ صفحةٌ ناصعة من تاريخ العلم والعلماء في مصر، ورجلٌ من رجالات الدعوة والحديث الشريف، وإمامٌ من الأئمة الداعين إلى الله على

بصيرة، سألته عن مولده، سنةَ كمْ كان؟ فذكر لي أنه لا يتحقق منه على وجه التحديد، وذكر لي أن والده العلامة الشيخ محمد أبا القاسم الحَجَازي كان قد أقام في مطلع عمره ما يزيد على العشرين سنة في الحجاز، لما أن أصوله وأجداده من هناك، من أسرة ديار حرب، في منطقة المسيجيد، قرب المدينة المنورة، وكان من شيوخه هناك: الشيخ إسماعيل النواب، والشيخ رحمة الله الهندي صاحب: إظهار الحق، حتى ذكر لي أنه كانت عندهم نسخة من كتاب: (إظهار الحق)، عليها تعليقات لمؤلفها رحمة الله بخط يده.

وذكر لي أن والده خرج إلى الحج مرات، آخرها سنة ١٣٥٣هـ، وأنه كان ينوي وقتها الإقامة في الحجاز، حتى إنه أعدَّ العدة لذلك، واشترى منزلًا هناك، فلم يكن يعتني حينها بتسجيل من يولد له في الأوراق الرسمية، لما أنه ينوي المغادرة، قال الشيخ: فولدت في تلك الفترة، فلم يسجل تاريخ مولدي على وجه التحديد.

قال الشيخ: ولكن التحري أوصلني إلى أني ولدت قبل وفاة والدي بنحو ثلاث سنين، وأنه لم يكن عمري يتجاوز الرابعة بحال عندما توفي والدي.

قلت: وقد توفي والده صبيحة يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شهر الله المحرم سنة ١٣٥٥هـ، عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، وكان والده قد أمضى مجاورًا بالحرمين الشريفين لتلقي العلم قرابة بضعة عشر عامًا أو تزيد، أخذ فيها نفسه بالتربية، وتلقي العلم، حتى تصدر للتدريس، وكان من أكثر ما اشتغل به أخذًا وعطاء علوم الحديث.

وكان والده لاشتهاره بالعلم يقصد العلماء والوافدون بيته، حتى إن

العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ لما أن غادر الأراضي الحجازية إلى الديار المصرية، نزل بالقُصَيْر على ساحل البحر الأحمر، فجعل يسأل الناس هناك عن الشيخ محمد أبي القاسم، فكان ممن سألهم جيران للشيخ، فحملوه إليه في قرية: (حَجَازة) من أعمال مدينة قوص بصعيد مصر.

وأقام الشيخ الشنقيطي فترة عندهم، وحدَّث الناس بأحاديث عديدة في دار ضيافته، وفي مسجده، ومن بين ما حدث به: حديث: (إنما الأعمال بالنيات)، في مجلس استمر من عقب صلاة الجمعة إلى ما بعد أذان العصر، وفي الأوقات التي أمضاها والده في مصر كان عمره معمورًا بالعلم، وكانت داره ملتقى للعلماء من الوافدين والمقيمين، وقد جمع العلامة الشيخ أبو المجد السليمي الأزهري كتابًا في مناقب الوالد الشيخ: محمد أبي القاسم، إلا أنه مفقود.

قال الشيخ صاحب هذه الترجمة: (ولقد شهدتُ في طفولتي في دارنا مجالس العلم، ومناظرات العلماء، وتباريهم في شئونه وفنونه، في القرآن وعلومه، والسنة وعلومها، والفقه ومناهجه، واللغة والأدب وفنونهما.

وكان من بين من أذكر منهم: الشيخ محمد تقي الله الشنقيطي، والشيخ محي الدين محمد الحاج السوداني، والشيخ أبو المجد العقيلي السليمي الأزهري، وكثيرون غيرهم من علماء القرية، والحواضر، والقرى حولها، لا أكاد أستوعبهم سردًا، أو أحصيهم عدًّا).

قلت: وكان من أثر هذه البيئة العلمية العامرة أن شيخنا وأشقائه نشأوا

على العلم وعاشوا له، وقد سبقه إلى ذلك شقيقه العلامة محمد زين العابدين بن محمد أبي القاسم، فقد أخذ القدر الأكبر من دراسته، وتلقيه للعلوم الشرعية وعلوم الشرع في بيت أبيه ـ مقيمًا ـ، ثم رحل للالتحاق بالأزهر الشريف ـ مجاورًا ـ، ثم استقر به المقام في مكة المكرمة ـ ملازمًا للحرم الشريف، ومجاورًا له ـ، وكان إذ ذاك يتعيش وينفق من تجارة الكتب، ويدرس في المسجد الحرام، وكان مما نيط به: تدريس سنن أبي داود، وكان وفاته نحوًا من عام ١٣٣٧هـ.

فصل

وكان من شأن صاحب الترجمة أيضًا أن نشأ في الكُتّاب على حفظ القرآن الكريم، فحفظ معه الأربعين النووية، وحفظ الرحبية في المواريث، ومتن الخريدة في العقيدة، ومتن العشماوية في فقه السادة المالكية، وانتفع في تلك الفترة بعدد من العلماء، منهم: الشيخ محمد نور العبادي، والشيخ حسن علي، والشيخ حسن النجار، والشيخ محمود مناع، والشيخ أحمد محمد إبراهيم الشريف، وكان شأن العلامة الشيخ أحمد محمد الشريف عجيبا، فهو: العلامة المعمر الشيخ أحمد محمد إبراهيم الشريف، ولد سنة ١٨٩٧م، وتوفي سنة ١٩٨٧م، وقد جاور في الأزهر الشريف، فحضر في علم الأصول على العلامة الشيخ محمد راضي، وفي علم التفسير على العلامة الشيخ بخيت المطيعي، وفي علم الحديث على العلامة الشيخ حبيب الله الشنقيطي، وفي علم النحو على الشيخ سيد المرصفي، وصحب الشيخ أحمد رضوان في التزكية والسير إلى الله، وحصل على العالمية، ثم رجع إلى قوص، فصار إمام المسجد العتيق فيها مدة ثلاثين سنة، وكان الشيخ الشريف يلازم الجامع العتيق، ويقيم فيه كل يوم من

الصباح إلى ما بعد العشاء، وكان يُدَرِّس علم التوحيد، وعلم الميراث، وعلم الفقه، بحيث كلما انتهى من تدريس علم من تلك العلوم أعاد تدريسه، حتى إن أصحاب الحرف والمهن والصنائع ممن يجاورون المسجد صاروا من أهل المعرفة بتلك العلوم، وكان رحمه الله يخطب الجمعة فلا تزيد خطبته على الدقائق العشر.

فصل

ثم توجه بعدها شيخنا إلى القاهرة، فتخرج من كلية أصول الدين، وحضر فيها دروس الأكابر من علماء الأزهر الشريف، من أمثال الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ محمد محمد الأودن، والشيخ محمد علي أحمدين، والشيخ محمد محمد أبو شهبة، والشيخ محمد محمد السنوسي، والشيخ محمود حُبَّ الله، والشيخ سليمان دنيا، والشيخ عبد الرحمن بيصار، والشيخ موسى شاهين لاشين، والشيخ إبراهيم عجلان، والشيخ عبد الحكيم بدير، والشيخ عبد العال محمد عبد العال، والشيخ صالح الجعفري، وغيرهم كثير، ثم رحل شيخنا إلى ليبيا، وإلى الكويت، ونزل الحرمين الشريفين كثيرًا.

فصل

وكان مما نتج من صداقة والده بالعلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي أن العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي أهدى إلى الوالد نسخة من كتابه: (زاد المسلم)، حتى قال شيخنا صاحب الترجمة: (كما علمت أنه أهدى لوالدي كتابه الفريد: (زاد المسلم)، وهو ما وجدت وريقات منه فيما أبقته الأَرَضة لنا من مكتبة الوالد، التي كانت زاخرة ـ فيما

سمعت ـ بصنوف الكتب المخطوطة والمطبوعة، في شتى الفنون والمعارف.

ومما عثرنا عليه منها ـ أيضًا ـ إجازة الشيخ الشنقيطي، التي سطرها بخط يده للشيخ الوالد، بحديثي المصافحة والضيافة، مع ذكر أسانيده فيهما).

قلت: فنشأ شيخنا معنيًّا بكتاب: (زاد المسلم)، ثم من بعده بكتاب: (اللؤلؤ والمرجان، فيما اتفق عليه الشيخان) لمحمد فؤاد عبد الباقي.

فتوجه الشيخ شيئًا فشيئًا إلى العناية بأحاديث الشيخين، وما كتبه شراح الحديث في تفصيل البحوث المتعلقة بتلك الأحاديث، حتى أخرج كتابه الجليل: (جامع البيان، لما اتفق عليه الشيخان)، ولعله أجمع كتاب لروايات البخاري ومسلم في صحيحيهما، مع الدلالة على موضعها فيهما، مشروحًا بخلاصة وافية من شرح النووي على مسلم، ومن فتح الباري لابن حجر العسقلاني، وقد تم في خمسة عشر مجلدًا، طبع الأول منها في دار المنار بالكويت، وكان قد طبع كاملًا في دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع بالغردقة، وجارٍ إصداره منقحًا ومتممًا بدار المصحف بالغردقة.

ومما انشغل به الشيخ كثيرًا كتاب: (خدمة مصحف التهجد)، على هيئة هي الأولى على الساحتين: التاريخية والعالمية، وجارٍ إخراجه في الطور الجديد، ومنها كتاب: (المسئولية في الإسلام: الفرد والأسرة)، طبع عدة مرات، ونشرته الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة، ومنها كتاب: (مدخل إلى معرفة القرآن الكريم)، نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بوزارة الأوقاف، في مصر، وهو الذي يمثل الجزء الأول من كتاب: (هذا القرآن، فأين منه المسلمون؟!)، ومنها كتاب: (رجال ومناهج في الفقه الإسلامي: الأئمة الأربعة)، نشر في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، بالكويت، ومنها

كتاب: (في عالم القيم، مع الخلفاء الراشدين)، نشر في دار الفلاح، بالكويت، ومنها كتاب: (هذا القرآن فأين منه المسلمون)، وهو في ثلاثة أجزاء، وقد طبع غير مرة، فنشر في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، وفي دار الصفوة للطباعة والنشر بالغردقة، بمصر، وقد طبع الجزء الأول باللغة الأوردية، ترجمة الأستاذ عبد الغني السلفي، ونشرته دار: الزكي ـ ناجبور، بالهند، ومنها كتاب: (مسئولية الجماعة في الإسلام)، نشر في الدار السعودية للنشر والتوزيع، بجدة، ومنها كتاب: (الدعوة إلى الله فقهًا ومنهجًا)، نشر منه الجزء الأول والثاني في دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ومنها كتاب: (الماسونية بين الحقيقة والشعارات)، نشر في الدار السعودية للنشر والتوزيع، بجدة، وفي جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، ويمثل الفصل الأول من كتاب: (الإسلام والمؤامرات اليهودية)، (التالي)، ومنها كتاب: (الإسلام والمؤامرات اليهودية)، نشر في دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع بالغردقة، ومنها كتاب: (الإسلام والفطرة)، نشر في دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع بالغردقة، ومنها كتاب: (مسائل وقضايا، بحوث فقهية موجزة فيما تمس الحاجة المعاصرة إليه)، نشرته دار المنار في الكويت، ودار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع بالغردقة، ومنها كتاب: (الحج بين العبرة والتاريخ)، نشرته دار المصحف بالغردقة، وقدم له وخرج أحاديثه الدكتور: مصعب الخير إدريس السيد مصطفى الإدريسي ـ أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية المساعد بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ـ باكستان.

ومما هو تحت الطبع من مؤلفاته: كتاب: (وميض من السيرة العطرة، دراسة تحليلية لأيام السيرة النبوية ومواقفها)، وكتاب: (الأجوبة النبوية

والتوجيه الحضاري)، ثلاثة أجزاء، دراسة تحليلية للحضارة الرفيعة، وكتاب: (الدعوة إلى الله فقهًا ومنهجًا)، وهو ثلاثة أجزاء، عقبات، ومصاعب، وحلول، وكتاب: (إلا تنصروه... فقد نصره الله)، معالجة موضوعية لإحدى القضايا المثارة على الساحتين الإسلامية والعالمية، وكتاب: (لقط السنابل، من حصاد الدعوة في سبعين عامًا)، وهو تتبع تحليلي لحياة المؤلف.

قال الدكتور: مصعب الخير إدريس السيد مصطفى الإدريسي، في تقدمته لكتاب: (الحج): (وأحسب ـ ولا نزكي على الله أحدًا ـ أنه من بقية الدعاة، الذين أشرت إلى استمرار خيرية هذه الأمة في جهودهم الطيبة، فضيلة الشيخ: محمد زكي الدين محمد أبو القاسم؛ فإنه رغم اشتغاله بعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف، واشتغاله بعلم الفقه والفتوى، واشتغاله زمانًا غير قصير بمهام الإدارة، هو عالم ذو روحٍ دعويةٍ خاصة، لا يخطئها الناظر في جميع مؤلفاته المتعلقة بالمجالات العلمية السابقة، ولا الذي يقترب من الشيخ في حياته وسلوكه ومعاملاته اليومية.

وعمود الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ الاقتدارُ على فنون التربية المُوَجّهَةِ للمُخَاطَبينَ بالدَّعْوَةِ، ولئن كانت التربيةُ أساسَ المِنهج السلوكي في الإسلام، وفضيلة الشيخ محمد زكي الدين نشأ في أحد أكبر بيوتات هذا المنهج الذي يذخر بالعلماء المتحققين في صعيد مصر؛ لكنَّ هذه التربية في حقيقتها نمطٌ خاصٌّ يتوجَّهُ إلى نُخْبَةٍ خاصَّةٍ من ذوي الاستعداد الفطري لسلوك هذا الطريق، والتربية الدعوية التي يشتغل بها الشيخ محمد زكي الدين وأئمة الدعاة في زماننا، وراء ذلك لها عموم يشمل جميع مراتب الناس المخاطبين بالدعوة؛ فلها أدوات ووسائل أعم، وأنسب للتعامل مع جميع طبقات البشر؛ على اختلاف ثقافاتهم وتوجهاتهم في فهم الدين والعمل في الحياة، وأظهر ما في

المنهج الدعوي للشيخ الجليل أنه نافذ النظر في الحكم المقصودة من التكاليف الشرعية، وأنه يربط بين الأحكام الشرعية وتاريخها من جهة، وبين أهل الدعوة وما يحيط بهم من الظروف والأحوال المعاصرة من جهة أخرى؛ ساعيًا في تطبيق ظاهر الأداء وتحقيق روح التشريع وغاية الحكم التكليفي في آن معًا) إلى آخر كلام الدكتور مصعب الخير.

فصل

وأما مروياته وأسانيده، فقد أخبرني أنه وجد فيما بقي من مكتبة والده ـ رحمه الله تعالى ـ إجازة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي لوالده ولأولاده، فتشمله تلك الإجازة، إلا أنه يعتمد ويعول في أسانيده على شيخين اثنين: أولهما: مسند العصر، العلامة الإمام الشيخ: محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني، وقد اجتمع به في مكة المكرمة، وأجاز له إجازة عامة، عقب صلاة المغرب، من يوم الجمعة، السادس عشر من جمادى الأولى، سنة ألف وأربعمائة وسبع من الهجرة، الموافق للسادس عشر من يناير، سنة ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين من الميلاد.

وثانيهما: العلامة المحدث المسند السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي، أجاز له إجازة عامة عندما اجتمع به في المدينة المنورة، بعد صلاة المغرب، من يوم الأربعاء، الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى، من السنة نفسها.

أروي عنه مروياته، فقد أجاز لي إجازة عامة، عقب صلاة المغرب من يوم الخميس، الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ألف وأربعمائة وتسع وعشرين، وقد تنزل حفظه الله بطلب الإجازة، فتدبجنا.

حرف السين

❁ **العلامة الصالح التقيّ الشيخ: سعد بن سعد بن رزق بن عبد الرحمن جاويش الكفراوي الأزهري الحسيني.**

ولد في شهر أبريل سنة ١٩٤١م، سنة ١٣٦٠هـ، وهو العالم التقي الصالح، آيةٌ في نقاء السريرة، وسلامة الصدر، مع الصلاح الظاهر، وكان والده رجلًا صالحًا، من حفظة كتاب الله، وكان ربما قرأ سير الصالحين فيبكي بُكاءً شديدًا، وقد نشأ الشيخ بين يديه، فكأنه ورث أوصافه.

حضر في كلية أصول الدين على عدد من كبار علماء الأزهر الشريف، منهم: الشيخ محمد علي أحمدين، ومصطفى أمين التازي، ومحمد محمد السماحي، ومحمد محمد أبو شهبة، وعبد الوهاب عبد اللطيف، وشيخ الإسلام عبد الحليم محمود، وعبد الوهاب غزلان، وأحمد السيد الكومي، ومحمد السيد ندا، وسليمان دنيا، ومحمد فتح الله بدران، وغيرهم.

ومن مؤلفات شيخنا صاحب الترجمة كتاب: (رفع الحرج عن الأمة في ضوء الكتاب والسنة)، وكتاب: (السنن الزكية، في الفضائل النبوية)، وكتاب: (التوجيهات النبوية، لسلامة المعاملات الإسلامية)، وكتاب: (على طريق الهجرة)، وكتاب: (سنن الزكاة)، وكتاب: (المأدبة النبوية، في الهبة والهدية والوصية)، وكتاب: (السنة المشرفة وعلوم الحديث)، وكتاب:

(موقف السنة من التبرج)، وكتاب: (السنة مسئولية الأمة، شبهات وردود)، وكتاب: (المسحة المحمدية)، وكتاب: (آداب العلم)، وكتاب (آداب الدعاء)، وكتاب: (ألقاب أهل الله)، وغير ذلك من المؤلفات.

زرته في منزله مساء الثلاثاء، الثاني من ذي القعدة، سنة ١٤٢٠هـ، فأكرمني غاية الإكرام، وسمعت منه بعض المسلسلات، وأجاز لي إجازة عامة، ثم تكررت زياراتي لفضيلته، ورافقته في بعض الأسفار أيامًا طوالًا، فرأيت منه من التواضع، ولين الجانب، وهضم النفس، ما لا يوصف.

يروي عن: ١ ـ محمد ياسين الفاداني ت١٤١٠هـ، ٢ ـ وعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، ٣ ـ ومحمد زكي الدين إبراهيم ت١٤١٩هـ، ٤ ـ والسيد محمد بن علوي بن عباس المالكي ت١٤٢٥هـ، ٥ ـ والسيد محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، ٦ ـ ومحمد ضياء الدين بن محمد نجم الدين الكردي، ٧ ـ وعن والده نجم الدين، وهو عن العلامة الشيخ سلامة العزامي ت ١٣٧٦هـ، ٨ ـ وتدبج مع الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري، ٩ ـ ومع العلامة الشيخ أحمد معبد عبد الكريم، ١٠ ـ والعلامة السيد عباس بن محمد السقاف الحضرمي.

* * *

العلامة الإمام الفقيه، شيخ الإسلام والمسلمين: سليم بن أبي فراج بن سليم بن مطر البشري المالكي الأزهري.

ولد في قرية بشر، من أعمال مركز شبراخيت، بمديرية البحيرة، سنة ١٢٤٩هـ الموافق ١٨٣٢م، ونزل الأزهر سنة ١٢٦٠هـ، وحضر على جماعة من كبار

علماء الأزهر، منهم البرهان الباجوري، والبرهان السقا، ومحمد أحمد عليش، ومصطفى المبلط، وأحمد كبوة، والشيخ الإسماعيلي، والشيخ الخناني، والشمس محمد الصفتي، وغيرهم.

ودرّس في سنة ١٢٧٢هـ، واشتغل بجميع الكتب المعتادة في الأزهر مرات عديدة، وتخرج من درسه كثيرون بالأزهر، منهم: الشيخ محمد راشد، إمام الخديوي عباس حلمي باشا، والمرحوم الشيخ محمد البسيوني البيباني، والشيخ محمد عرفة، والشيخ محمود خطاب السبكي، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد إبراهيم السمالوطي وغيرهم، وتعيّن شيخاً للجامع الزيني، ورتب فيها من المدرّسين نحوًا من سبعة، يقرؤون الحديث وفقه المذاهب الأربعة، والأخلاق وغيرها، وطلب لهم مرتبات من الأوقاف، فرتب لهم ذلك، حتى صار الجامع المذكور كأنه قطعة من الأزهر الأنور.

ولما أن تولى مشيخة الأزهر الشريف للمرة الثانية اشترط أن يُرَفَّه من حال العلماء والطلبة، وأن يوسع أرزاقهم، فتم ذلك، وردت لهم حقوقهم، حتى تقرر يومئذ زيادة مرتبات العلماء عشرة آلاف جنيه سنويًا، وصرح لكل عالم بركوب السكة الحديد بنصف أجرة، وكذلك للطلبة في أيام حضورهم للدراسة، وانصرافهم للمسامحات.

ومن مؤلفاته: (تحفة الطلاب، شرح رسالة الآداب) وهو شرح على رسالة الملا حنفي في آداب البحث والمناظرة، (الاستئناس، في بيان الأعلام وأسماء الأجناس)، وله شرح على متن العقيدة للعلامة الشيخ عليش، وتقرير على السعد، وحواش أخرى صغيرة، وله شرح على البردة مشهور، فيه فوائد، واسمه: (وضح النهج)، وقد توفي الشيخ بعد أن لزم الفراش يومين،

وكانت وفاته قبيل ظهر الجمعة، رابع ذي الحجة، سنة ١٣٣٥هـ الموافق ٢١ سبتمبر ١٩١٧م، عن تسعين سنةً تقريبًا بل أكثر، ودفن في مدافن السادة المالكية، بقرافة الإمام الشافعي رحمه الله، وكان حال وفاته يملي الحديث الشريف على طلبته، ورثاه حافظ إبراهيم في قصيدة قال فيها:

(أيدري المسلمون بمن أصيبوا   وقد واروا (سليما) في التراب
هوى ركن الحديث فأي قطب   لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالكٍ عَزِّ البخاري   ودع لله تعزية الكتاب
فما في الناطقين فمٌ يُوفِّي   عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملي   على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسعون عزما   ولا صدته عن درك الطِلاب
وما غالت قريحته الليالي   ولا خانته ذاكرة الشباب)(١)

وقال بلديُّنا العلامة الجليل الشيخ محمد عبد المطلب الباصوني في ديوانه: (في رثاء شيخ الإسلام والمسلمين شيخ الكتاب والسنة الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر، وهي من البسيط):

يا شيخ مصر أما لو يدفع القدر   ردَّ الردى عنك أهلوها بما قدروا
ما للمعاهد بالبلوى مدلهة   لما أتاها من الحلمية الخبر
نعم بكى شيخَه الإسلامُ حين ثوى   تحت الرجام وحالت دونه الحفر
بكى الحديث سليمًا يوم ودعه   واسترجعت بعده الآيات والسور

(١) ديوان حافظ إبراهيم /٢/١٨٩/.

أين الرواية؟ أين الحافظون؟ مضوا   كما مضت، وعفا من آيها الأثر
لا يبعد الله نورًا في الضريح هوى   كما تحجب من آفاقها القمر
تضوعت في الثرى مسكًا خلائقه   كما تضوع في أكمامه الزهر(١)

وأقول: لقد نُسبت إليه مراجعاتٌ ومناقشاتٌ، يُدَّعى أنها جرت بينه وبين الشيخ عبد الحسين شرف الدين الكاظمي، في المسائل المشهورة بين السنة والشيعة، وهذا غيرُ صحيحٍ ولا ثابت، وقد أخبر الشيخ محمد ابن الإمام الشيخ سليم البشري أنه لازم والده ثلاثين سنة للقراءة عليه والتعلم منه، فما سمعه يذكر أي شيء عن المراجعات المزعومة، ولو وقعت لكان لها عنده شأن، تتوافر الدواعي على ذكره، والكلام عنه.

وكان الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الشريف قد طلب من سعادة المستشار طارق البشري حفيد الشيخ الإمام سليم البشري أن يتحقق من قضية المراجعات، وأن يفتش في أوراق الشيخ ومقتنياته، فأخبره بعد بحثٍ أنها لا تثبت بالمرة، إلا أن المستشار البشري لم يكتب شيئًا في ذلك، ثم خرجت كتب كثيرة في تفنيد المراجعات المذكورة.

فصل

ومن مظاهر عنايته بالحديث أن تلميذه العلامة الشيخ محمد المكاوي قد قرأ عليه صحيح البخاري قراءة بحثٍ وتدقيق، ثم اشتغل المكاوي المذكور بالصحيح بعد ذلك، حتى صار خبيرًا به، فلما أن صدرت الطبعة السلطانية

(١) ديوان عبد المطلب /ص٩٨/.

ثم الطبعة الفكهانية من الصحيح، استدرك على الطبعتين جملة أخطاء، وكتب بها تقريرا، وكان العلامة الشيخ عبد الغني عبد الخالق قد أشار إلى التقرير المذكور في تقدمة الطبعة التي أشرف عليها من صحيح البخاري، ثم سعى شيخنا سماحة العلامة الجليل، الشيخ علي جمعة مفتي الديار، فاستخرج من دار الكتب جداول الأخطاء المذكورة، وأورد شيخنا تلك الوثيقة المهمة في أواخر كتابه المهم حول صحيح الإمام البخاري.

والقدر الذي يعنينا هنا هو تلك اللمحة التي ذكر فيها العلامة الشيخ محمد بن علي بن محمد بن علي الشهير بالمكاوي، الجُدِّيُّ مولدا، المصري إقامة، الحنفي مذهبا، الخلوتي طريقة، قراءته صحيح الإمام البخاري على شيخ الإسلام الشيخ سليم البشري رحم الله الجميع.

قال المكاوي في تقريره بشأن قراءته لصحيح البخاري: (وقد عارضته على شيخ الشيوخ، العلامة، الحبر البحر الفهامة، الحافظ المتقن المجيد، مربي الطلاب بهديه وعلمه المفيد، من انتهت إليه رئاسة العلوم في هذا الزمان، وفاق في جميع الفنون الرءوس والأقران، الأستاذ الشيخ سليم البشري، شيخ السادة المالكية، نفع الله بع وبعلومه آمين، وراجعته فيه من أوله إلى آخره)[١].

فصل

وأما مشيخة السادة المالكية فقد تولاها كثيرون، ولْنأت بذكرهم هنا إجمالًا؛ فمن تولى مشيخة المالكية بالأزهر: الشيخ علي الصعيدي

(١) من كتاب (الإمام البخاري وجامعه الصحيح) لمولانا سماحة المفتي العلامة الشيخ علي جمعة، /ص١٠١/، ط: دار الفاروق، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م.

المنسفيسي، المتوفى سنة ١١٨٩هـ، ثم أبو البركات أحمد الدردير المالكي العدوي الخلوتي، المتوفى سنة ١٢٠١هـ، ثم محمد الأمير الكبير صاحب المؤلفات، المتوفى سنة ١٢٣٢هـ، ثم ابنه الشيخ محمد الأمير الصغير ت١٢٤٦هـ، ثم الشيخ إبراهيم الملواني، ثم الشيخ عبد الله القاضي، ثم الشيخ محمد عليش، المتوفى في سنة ١٢٩٩هـ، وكان له ولد اسمه عبد الله عليش اشتهر بالألمعية، وتوفي قبل والده في سنة ١٢٩٤، ثم أُلْغِيتْ تلك المشيخة ـ أي مشيخة السادة المالكية ـ بعده بنحو خمس سنين، ثم تولاها العلامة الإمام الشيخ سليم البشري بأمر الخديوي عباس حلمي باشا في سنة ١٣٠٤هـ.

وبالجملة، فإن مناقب العلامة الشيخ سليم البشري كثيرة، وهو جديرٌ وحقيقٌ أن ينشط الباحثون لإخراج كتابٍ موسع عنه، لعلمه، وجلالته، وتعميره، واشتغاله بالحديث الشريف، مع تعلق الكبار بالأخذ عنه، حتى إن العلامة الحافظ أبا شعيب الدكالي حافظ المغرب في زمانه ليفتخر بأنه قرأ الموطأ على العلامة الشيخ سليم البشري، رحم الله الجميع.

وهو يروي عن: ١ ـ شمس الدين محمد الخناني الشافعي، وهو عن جماعة منهم شيخ الإسلام عبد الله الشبرقاوي، وشيخ الإسلام حسن القويسني، والسيد داود القلعي، ٢ ـ العلامة محمد الأشموني، ٣، ٤ ـ الشيخ منصور كساب، والشيخ محمد العريان كلاهما عن مصطفى البولاقي، ٥ ـ الشيخ أحمد كبوه العدوي عن جماعة منهم الأمير الكبير، ٦ ـ محمد صالح السباعي، عن أبيه، عن الشهاب أحمد الدردير، ٧ ـ أحمد منة الله المالكي عن جماعة منهم الأمير الكبير، ٨ ـ الشيخ عبد الله النبراوي، عن جماعة منهم محمد الفضالي، ٩ ـ الشمس محمد الصفتي المالكي عن جماعة منهم الأمير

الكبير، ١٠ ـ البرهان إبراهيم السقا وقد تقدمت أسانيده في ترجمته، ١١ ـ البرهان الباجوري بأسانيده المذكورة في ترجمته من كتابنا هذا.

نروي مروياته من طريق شيخنا سماحة الإمام علي جمعة، عن العلامة السيد عبد الله الصديق، عن العلامة الشيخ عبد الستار الدهلوي، عنه.

ومن طريق الصالح التقي السيد عبد الرحمن بن العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني، وهو عن أبيه، عنه.

* * *

❁ العلامة الجليل، فضيلة الشيخ: سيد بن أحمد بن رمضان المُسَيَّر الأزهري.

ولد في قرية كفر طبلوها، مركز تلا، محافظة المنوفية، تعلم في الأزهر الشريف، حتى حصل على العالمية (الدكتوراه) سنة ١٩٤٦م، وكان موضوع رسالته: (موقف السنة من القرآن)، ناقش فيها أحمد أمين في مزاعمه حول الحديث الشريف ورجاله في فجر الإسلام وضحى الإسلام، وكان المترجم عالما جليلا، معتزا بالأزهر الشريف، شديد الانتماء إليه، حتى إنه كان يقول: (لو كان لي من الأبناء عشرة ما علمتهم إلا في صحن الأزهر القديم)، ومن تأليفه أيضا كتاب: (إلزام القرآن للماديين والمليين)، وكتاب: (تفسير الآيات النفسية والكونية)، وقد ترقى حتى صار أستاذا للتفسير والحديث، ورئيسا لقسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، وقد توفي في الثامن عشر من ذي القعدة، سنة ١٣٩٥هـ، الموافق الحادي عشر من نوفمبر، سنة ١٩٧٥م، ومن الجدير بالذكر أن المترجم هو والد العالم الجليل الشيخ محمد سيد أحمد

المسير، رحمه الله تعالى، ورحم أباه، وعلماء المسلمين أجمعين.

يروي عن: ١ ـ العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، بما في أثباته: (ظهير المحدثين، باتصال أسانيد كتب العشرة المجتهدين)، و(المقدمة العلمية، في ذكر الأسانيد العلية، وفوائد العلوم السنية)، و(الجامع لأثبات المتأخرين)، ٢ ـ العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، بما في ثبته: (التحرير الوجيز)، وكلاهما أجاز للمترجم إجازة عامة.

ولا أعلم أن أحدا استجاز منه، إلا فضيلة العلامة الشيخ: البشير علي حمد الترابي، رئيس قسم الحديث بجامعة أم درمان، بالسودان، وقد حرر المترجم له الإجازة قبل وفاته بأشهر، وتاريخها ١٩ المحرم سنة ١٣٩٥هـ، ٣١ يناير سنة ١٩٧٥م، وقد أورد العلامة الشيخ محمد سيد أحمد المسير نص إجازة والده المترجم، للعلامة الشيخ البشير الترابي في مطلع كتاب: (السنة المطهرة)، ثم أخبرني الشيخ البشير أن المترجم أملاها على ولده الشيخ محمد سيد أحمد المسير، فهي بخطه.

نروي مروياته من طريق: العلامة الشيخ البشير علي حمد الترابي، عنه.

حرف الصاد

❁ **العلامة الصالح التقي الإمام العارف الشيخ: صالح بن محمد بن صالح بن محمد رفاعي الجعفري الحسيني الأزهري.**

ولد في دنقلة شمال السودان في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١١م، وترجع أصوله إلى إسنا من صعيد مصر، حيث خرج منها جدُّ أبيه إلى السودان.

وقد ترجم لنفسه في مقدمة كتابه: (المنتقى النفيس) وذكر أن قبيلته من بلدة الأقصر، بصعيد مصر، من القبيلة المشهورة بالجعافرة العلوية، وهم منتشرون بين الأقصر والحلة والدير، وقد تناثروا في البلاد، قال: وفي السلمية يوجد قبر جد والدي (محمد رفاعي) بمقبرة جد الجعافرة الشريف السيد الأمير حمد، وللجعافرة أنساب كثيرة محفوظة، ومن أشهرهم في إظهار تلك النسب أخيرًا الشريف السيد إسماعيل النقشبندي، وتلميذه السيد موسى المرعيابي، ولا تزال ذرياتهم تحتفظ بتلك النسب كثيرة الفروع المباركة.

وقد تلقى العلم بالأزهر الشريف، على يد نخبة من كبار العلماء العاملين، ومنهم: الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي، والشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ علي الشائب، وكثير من العلماء الوافدين على الأزهر الشريف.

وحصل على الشهادة العالية والعالمية، مع إجازة التخصص في التدريس

من كلية الشريعة الإسلامية وعين إمامًا ومدرسًا بالجامع الأزهر الشريف، فاتخذ من رواق المغاربة مقرًا له، حيث تفرغ للعلم والدعوة والعبادة لله تعالى.

وكانت له خلوة مباركة يعتكف فيها، فقد مكث مجاورًا بالأزهر الشريف خمسين عامًا لا يخرج منه إلا لزيارة الأولياء والصالحين والحج والزيارة في كل عام من عمره المبارك إلى أن لقي الله.

قال العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري في: (سبيل التوفيق): (والشيخ صالح الجعفري رحمه الله، حج اثنتين وخمسين مرة، وكان من الصالحين، له كرامات ومكاشفات)[1].

وقد تصدَّر ﷺ لنفع الخلق، وتربية الناس، ونشر الشمائل المحمدية والآداب النبوية، مع الولاية الظاهرة، والربانية والزهد، وقد أُفْرِدَت المؤلفات لترجمته ﷺ، فمنها كتاب: (الكنز الثري، في مناقب الجعفري) تأليف ولده فضيلة الشيخ عبد الغني صالح الجعفري، ومنها كتاب: (الشيخ صالح الجعفري، حياته، وجهوده في الحياة الروحية، في ميزان الإسلام) تأليف الدكتور محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي، وهو أطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر الشريف.

وسمعت شيخنا سماحة الإمام الشيخ علي جمعة يذكر أنه حضر عند العلامة الشيخ صالح الجعفري مرة، وقد سُئِل عن مسألة من الفقه، فأجاب عنها ثم قال: (الحمد لله الذي حفظ علينا العلم، منذ أربعين سنة لم يسألني أحد عن هذه المسألة!!).

---

(١) سبيل التوفيق /ص٩٧.

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين، الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ من الهجرة النبوية.

وقد جمع له صديقنا الأستاذ محمد فؤاد بن كمال الدين الرمباوي ثبتًا اسمه: (الجواهر الغوالي، من أسانيد الإمام الأزهري، الشيخ صالح الجعفري)، ذكر فيه شيوخه في الرواية، وأخبرني أنه تتبع تراث العلامة الشيخ صالح الجعفري حتى يجمع أسماء شيوخه في الرواية، فاستوثقت منه أنه رأى التصريح بالإجازة العامة من المذكورين للعلامة الشيخ صالح الجعفري؟ فأكد لي ذلك مشكورًا.

يروي عن: ١ ـ محمد إبراهيم السمالوطي ت١٣٥٣هـ، ٢ ـ ومحمد بخيت المطيعي ت١٣٥٤هـ، ٣ ـ ويوسف الدجوي ت١٣٦٥هـ، ٤ ـ وعبد الرحمن بن محمد عليش، ٥ ـ ومحمد حسنين مخلوف ت١٣٥٥هـ، ٦ ـ ومحمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، ٧ ـ ومحمد عبد الحي الكتاني ت١٣٨٣هـ، ٨ ـ ومحمد إدريس السنوسي، ٩ ـ وأحمد بن الصديق الغماري ت١٣٨٠هـ، ١٠ ـ وعبد الله بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، يروي المترجم عن المذكورين بأسانيدهم المشهورة، وأثباتهم المنشورة.

نروي مروياته من طريق جماعة عنه، منهم العلامة السيد محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، والعلامة السيد محمد بن علوي المالكي، كلاهما عنه.

حرف الضاد

❁ **فضيلة العلامة الشيخ المبجل: محمد ضياء الدين بن محمد نجم الدين ابن الإمام محمد أمين الكردي الشافعي الأزهري.**

كان ﵁ من كبار علماء الأزهر الشريف، ومن البيت الذي هو في العلم والصلاح والفضل بالمحل الأعلى، وكان من أهل الولاية والعرفان، وكان رئيسًا لقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين، بجامعة الأزهر الشريف، ومن مؤلفاته كتاب: (الأخلاق الإسلامية والصوفية)، وكتاب: (عقيدة الإسلام في رفع عيسى ونزوله آخر الزمان).

لقيته مساء الخميس رابع ذي القعدة ١٤٢٠هـ، عاشر فبراير ٢٠٠٠ م، وسألته الإجازة، فأجازني مشافهة، إلا أن لفظه في الإجازة: (أجزت لك أن تروي عني كتب الحديث كما أجازني مشايخي) اهـ، فإجازته لي ليست عامةً، بل مقيدة بكتب الحديث فقط، فلا أروي عنه سواها، وقد توفي الشيخ إلى رحمة الله تعالى في السادس من ذي القعدة سنة ١٤٢١هـ.

وجده هو الإمام الكبير، والعلم الحجة الشهير سيدي محمد أمين الكردي، صاحب كتاب: (تنوير القلوب)، والمتوفى ليلة الأحد، الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ، ومن مؤلفاته كتاب: (إرشاد المحتاج، إلى حقوق الزواج)، وكتاب: (خلاصة التصانيف، لأبي حامد الغزالي)، وكتاب:

(ضوء السراج، في فضل رجب وقصة المعراج)، وكتاب: (العهود الوثيقة، في التمسك بالشريعة والحقيقة)، وكتاب: (سعادة المبتدئين، في علم الدين، على مذهب الشافعي ﵁)، وكتاب: (فتح المسالك، في إيضاح المناسك، على المذاهب الأربعة)، وكتاب: (مرشد العوام، لأحكام الصيام، على المذاهب الأربعة)، وكتاب: (نصيحة البرية، في الخطب المنبرية) وهو ديوان خطب، وكتاب: (هداية الطالبين، لأحكام الدين، على مذهب مالك ﵁)، ثم كتابه الأشهر: (تنوير القلوب، في معاملة علام الغيوب).

يروي شيخنا عن: ١ - مسند العصر العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني ت ١٤١٠هـ وأسانيده في أثباته وهي كثيرة، ٢ - والعلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ت١٤١٧هـ وأسانيده في ثبته: (إمداد الفتاح)، ٣ - ومجيزنا العلامة الشيخ محمد محمود الحجار الحلبي رحم الله الجميع.

نروي عنه مباشرة على التفصيل السابق.

حرف العين

❁ **العلامة الفقيه الجليل، شارح مختصر خليل، الإمام الشيخ: عبد الجواد بن محمد بن أبي الجود بن صائن الدين الأنصاري، الخزرجي، المالكي، البرديسيُّ الأصل، الجرجاويُّ الإقامة والسكن.**

مفتي جرجا، بل مفتي الصعيد في زمانه، طلب العلم في جرجا على شيوخها وعلمائها، ثم رحل إلى الأزهر الشريف، فتلقى العلم على جماعةٍ من الأئمة الأكابر، منهم الإمام البدر الأجهوري المالكي، والعلامة الشيخ محمد سلامة البنوفري المالكي، المتوفى ١٩ ربيع الأول، سنة ٩٩٨هـ، والعلامة عبد الكريم البرموني، والعلامة عثمان العزي، والعلامة عبد الدائم البقري، والعلامة علي السنهوري، والعلامة الشبراوي.

أما مؤلفاته فمنها: (شرح مختصر خليل) قال العلامة الشيخ محمد حامد المراغي الجرجاوي في: (تعطير النواحي والأرجا): (شرحه على مختصر أبي الضياء سيدي خليل، في أربعة أجزاء ضخام، ما عدا الكلام على الخطبة، فإنه أفرده بجزء مستقل، رأيته في مكتبة السري الفاضل، سلالة الأفاضل: عبد المجيد بن محمود بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الجواد بن محمد بن المترجم، بخطه، ونقلت منه فرائد فوائد)[1]، ومن مؤلفاته: (رسالة في

(١) تعطير النواحي والأرجا /١٧٢/٢/، وقد تفرد مؤلف التعطير بالترجمة للعلامة عبد الجواد الأنصاري، وأكثر ما هو مسطور في هذه الترجمة فهو من إفادات صاحب التعطير، فرحمه الله وأجزل له العطاء، فقد حفظ لنا أخبار جماعة من العلماء، لولاه لمات ذكرهم.

فضائل النصف من شعبان)، (رسالة في الكلام على الإسراء والمعراج)، وغيرها.

وقد توفي بمصر سنة ١٠٩٠هـ، فرحمه الله رحمة واسعة.

يروي عن: ١ ـ العلامة الشيخ عبد الصمد علي الزعيري الأزهري، ٢ ـ العلامة الشيخ عبد المعطي المالكي، مفتي السادة المالكية بالأزهر، ٣ ـ العلامة علي الشبراملسي، أجازه سنة ١٠٧٩هـ، ٤ ـ والعلامة عبد المنعم النبتيتي الحنفي، إمام المشهد الحسيني.

نروي مروياته من طريق العلامة السيد محمد علوي المالكي، عن العلامة حسنين بن محمد حسنين مخلوف، عن أبيه، عن الإمام أحمد بن شرقاوي، عن محمد بن الحسن المصري، عن عمه العلامة محمد بن أحمد المصري، عن العلامة عبد المنعم أبي بكري، عن العلامة محمد المدابغي، عن العلامة الشيخ يوسف بن الإمام عبد الجواد بن محمد الأنصاري صاحب الترجمة، عن أبيه.

* * *

❁ العلامة الفقيه الأديب الشيخ الوجيه: عبد الرحمن بن محمود بن أحمد قُرَّاعة السيوطي الحنفي، مفتي الديار المصرية الأسبق.

ولد يوم ١٢٧٩/٨/١٢هـ، الموافق الحادي والثلاثين من يناير عام ١٨٦٣م، بمدينة أسيوط، ونشأ في بيت علم وفضل؛ إذ كان والده قاضي محكمة مديرية أسيوط الشرعية، وكان جده الشيخ أحمد من العلماء، فتعلم المترجم المبادئ الأولية، وحفظ القرآن وجوده، على يد أبيه، وهو دون التاسعة، واشتغل بشيء من العلوم على يد أبيه إلى سن الثانية عشرة،

فدرس على والده الفقه والنحو والعروض.

قال فضيلة الشيخ سيد علي الطوبجي في كتابه: (المقال الموجز في مدينة أسيوط): (فعميد أسرة قراعة العالم العلامة المتبحر، الشيخ محمود قراعة، قاضي المديرية، فكر في مطالعة الكشاف للزمخشري، وفاتح العلماء فوافقوه، وكان المقريء لهم العلامة الأديب والشاعر الكبير الشيخ عبد الرحمن قراعة، مفتي ديار مصر، عليه سحائب الرحمة والرضوان، قبل توليه القضاء، وكان والدي متفقا عليه في البدء بالتقرير، وبعدئذ يطول الجدل والحوار، واستمروا على ذلك حتى نهاية سورة يوسف عليه السلام)[(١)].

ثم إنه نزل الأزهر الشريف، فتتلمذ على العلامة البرهان السقا، والعلامة الشيخ عليش، والشيخ محمد المهدي العباسي، والشيخ محمد الأشموني، والشيخ شمس الدين الأنبابي، وعبد القادر الرافعي، وحضر دروس السيد جمال الدين الأفغاني.

بل كان له اختصاص بالعلامة الشيخ حسن الطويل ـ رحمه الله تعالى ـ، قال العلامة أحمد تيمور باشا في: (أعلام الفكر الإسلامي) في ترجمة الشيخ حسن الطويل: (وقد قرأ عليه في الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين، فكان الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة، والشيخ الإمام محمد عبده، والسيد أحمد الشريف، وإبراهيم بك اللقاني، والشيخ محمد راضي البوليني، في الطبقة الأولى من تلامذته.

ثم قرأت عليه طبقة ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فودة، والشيخ محمد الغريني، والشيخ عبد الرحمن قراعة، وقرأ عليه أيضًا الشيخ محمد بخيت،

(١) المقال الموجز في مدينة أسيوط/ص١٠.

والشيخ داغر، والشيخ محمد المغربي، والشيخ أحمد الزرقاني، وغيرهم ممن لا يحصون.

واختصَّ به الشيخ أحمد أبو خطوة، والشيخ راضي البوليني، والشيخ عبد الرحمن فودة، والشيخ عبد الرحمن قراعة، فكانوا يقرأون عليه في داره دروسًا غير الدروس الأزهرية، وصحبوه ولازموه، فانتفعوا به في دينهم وأخلاقهم، فوق انتفاعهم بعلمه)[1].

ولم يزل الشيخ كذلك حتى نبغ ـ رحمه الله تعالى ـ في المعقول والمنقول؛ وهو شاعرٌ مجيد، وخطيب مفوه، وقد اشتغل بتدريس علم الأدب في الأزهر، بل هو أول مدرس رسمي للأدب، درَّس مقامات الحريري، وحضر عليه كثير من نوابغ الأدب، مثل الأديب الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي.

وكان بعض الحساد قد أوقع بينه وبين شيخه الشمس الأنبابي، فأبعده إلى أسيوط، فأقام بها أربع عشرة سنة، إلى أن تولى وكالة المشيخة العلامة الشخ حسونة النواوي، فسعى بالشفاعة له عند الشيخ، فزال ما بينهما، ورجع إلى القاهرة.

وفي سنوات إقامته في أسيوط كان يقيم مجلسًا يحضره عددٌ من علماء الأزهر، المقيمين أو الوافدين إلى أسيوط، وغيرهم من الأدباء ورجال المحاماة والقضاء، من مثل محمد بك أبو شادي، وعبد الله هاشم، وحسين بك فهمي، وإمام بك فهمي، وغيرهم، فكان يقرأ في مجلسه هذا من تفسير الكشاف للزمخشري، ومن سنن النسائي، ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وغيرها من الكتب.

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث /ص٩٦/.

وفي سنة ١٨٩٧م قلد وظيفة الإفتاء بمديرية جرجا، ثم رقته وزارة الحقانية (العدل) إلى وظيفة قاضى مديرية أسوان في عام ١٩٠٦م، فاشتهر بالنزاهة، والعفة، والكرامة، والرأى النافذ فى فصل الخصومات، والبعد عن مواطن الشبهات، فأعلنت الحكومة ترقيته إلى درجة قاضي مديرية الدقهلية سنة ١٩٠٨م، ولما عدل ترتيب المحاكم الشرعية عين رئيسًا لمحكمة بني سويف الشرعية سنة ١٩١١م، وأخذ يترق في سلك القضاء حتى عُيِّن عضوًا بالمحكمة الشرعية العليا ثم نائبًا لها، ثم عين مديرًا للجامع الأزهر الشريف فى عام ١٩١٤م.

وفي ٣٠ من ربيع الآخر ١٣٣٩هـ الموافق ٥ من يناير ١٩٢١م عين مفتيًّا للديار المصرية، وظل يشغل منصب الإفتاء حتى ٧ شعبان ١٣٤٦هـ الموافق ٣٠ يناير ١٩٢٨م وأصدر خلال هذه الفترة ما يزيد على: ٣٠٦٥ فتوى، وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى في عام ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م وله قصائد ثمينة، قالها في أغراض مختلفة، وله رسائل إخوانية.

وقد ترجم له ولده الأستاذ: محمود علي قراعة في كتاب اسمه: (الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي الديار المصرية سابقًا كأديب)، طبع في مطبعة الفتوح سنة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م، إلا أن الكتاب بأكمله يدرس الجانب الأدبي في حياة الشيخ، وليس فيه أدنى تعرضٍ لمراحل التكوين العلمي في حياته، وكتب فضيلة الشيخ: توفيق إسلام يحي عدة مقالات عن حياة الشيخ ـ رحمه الله ـ، وقد نشرت في مجلة الأزهر، وترجم له الأستاذ فرج سليمان فؤاد في: (الكنز الثمين)[1].

(١) الكنز الثمين، في تراجم عظماء المصريين/ص١٢١/، وترجم له الشيخ عبد العزيز الدردير موسى في كتاب: قلائد الجيد، وهو مخطوط، وله ترجمة في مجلة الأزهر، عدد شوال،=

فصل

كان من العلماء الذين تخرجوا في الأزهر الشريف العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي، والعلامة الشيخ أحمد يحي الإسنوي، وقد كانا رفيقين حميمين، وبعد تخرجهما عُيِّن الشيخ محمد بخيت المطيعي قاضيًا في أسوان، وعين الشيخ أحمد يحي قاضيًا في الواحات، ثم في أسيوط، فعرف هناك الشيخ محمود أحمد قراعة قاضي أسيوط، ووالد العلامة الشيخ عبد الرحمن قراعة، حتى توثقت المودة بينهما، فتزوج ابنة الشيخ محمود قراعة، والتي هي أخت الشيخ عبد الرحمن قراعة، ثم عين بعد ذلك قاضيًا في مدينة دسوق، وفيها توفي سنة ١٨٩٢م، وكان رحمه الله تعالى عنده إجازات من جماعة منهم العلامة البرهان السقا ـ رحمه الله ـ، يتوارثها أحفاده إلى اليوم.

وكان قد رزق بولد نجيب، وهو العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن يحي الإسنوي، الذي نشأ محبًّا للعلم، في كنف خاله العلامة الشيخ عبد الرحمن قراعة، وقرأ على خاله المذكور في الفقه الحنفي، وحضر في الأزهر الشريف على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في التفسير والبلاغة، وحضر على الشيخ محمد بخيت المطيعي في الفقه وأصول الدين، وحضر على الشيخ محمد راضي الكبير في الفقه، وحضر على الشيخ محمد راضي الصغير في الفقه والأصول والتوحيد، وعلى الشيخ محمد شقير النواوي في النحو والصرف، وعلى الشيخ السمالوطي في النحو والصرف، وعلى الشيخ الدسوقي العربي في البلاغة، وعلى

= سنة ١٤٠٨هـ/ص١٣٣٢/، وله ترجمة في كتاب: الحركة العلمية في الأزهر في القرنين التسع عشر والعشرين/ص٥٣٧/ تأليف الأستاذين الجليلين: محمد عبد المنعم خفاجي، وعلي علي صبح.

الشيخ علي المرصفي في الأدب، وعلى الشيخ محمد حسنين مخلوف في المنطق، وعلى الشيخ أحمد نصر العدوي في التوحيد والمنطق، ولازم الشيخ أبا الوفا الشرقاوي وتأدب به، وتوفي في إسنا سنة ١٩٤٤م.

ثم إن من تلامذته هو أيضًا ابن أخته الشيخ محمد عبده عبد الصبور عبد القادر الإسنوي، وكان ـ رحمه الله ـ فقيهًا ومفسرًا وأديبًا، وقد أتم دروس تفسير القرآن الكريم كاملة في مسجد آل حزيّن، وهو مسجد مشهور في إسنا، وكان رفيقًا لمولانا الشيخ محمد متولي الشعراوي في البعثة الأزهرية في مكة، مدة سبع سنوات، ثم رجع إلى إسنا وفيها توفي سنة ١٩٧٤م، فرحم الله الجميع.

فصل

يروي العلامة الشيخ عبد الرحمن قراعة: ١ ـ حديث الرحمة المسلسل بالأولية كما سمعه من شيخه العلامة الشيخ محمد الأشموني مع عامة مرويات الأشموني، ٢ ـ العلامة الشيخ علي بن عبد الحق القوصي، ٣ ـ البرهان السقا، ٤ ـ محمد عليش، ٥ ـ محمد المهدي العباسي، ٦ ـ الشمس الأنبابي، ٧ ـ عبد الرحمن البحراوي، ٨ ـ عبد القادر الرافعي، وغيرهم.

ونحن نروي مروياته من طريق العلامة الفقيه الشيخ يوسف القرضاوي، والعلامة المحدث محمد محمد عوامة، والشيخ محمد سعيد الكحيل الحمصي، ثلاثتهم عن الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة عبد الفتاح حسين راوة، والعلامة عبد الله

بن أحمد الناخبي، كلاهما عن محدث الحرمين الشريفين العلامة عمر حمدان المحرسي، عنه.

(ح) ومن طريق فضيلة المسند الشيخ محمد عبد الله الرشيد، عن العلامة الفقيه الأصولي السيد عبد الحي بن محمد بن الصديق الغماري، عنه.

* * *

❁ العلامة الشيخ: عبد الرحيم بن إبراهيم بن عثمان بن محمد بن داوود بن أحمد بن محمد بن سليمان بن علي العطار السَمَنُّوديّ الحسينيّ المنصوريّ الأزهري.

ولد في سَمَنُّود بناحية المنصورة سنة ١٣١٩هـ، وحفظ القرآن على أبيه صغيرًا، وأخذ عنه وعن عمه مبادئ العلوم، بل حضر على أبيه كثيرًا، فحضر عليه في كتاب: (شرح الفشني على الزبد)، وفي النصف الأول من: (حاشية الصاوي على الجلالين)، وفي (الزواجر) لابن حجر، وفي: (الزاهد على الستين مسألة)، وفي: (المنن) للشعراني، والخطيب على أبي شجاع.

ووالده هو العلامة المشهور، صاحب التصانيف، وشيخ علماء الدقهلية، العلامة الشيخ إبراهيم بن عثمان السمنودي، تلقى العلم على جماعة منهم: العلامة محمد بسره المنزلي الأزهري الشافعي، ومنهم: محمد إبراهيم البرديني الشافعي، ومنهم: عناني مصطفى الخالدي، ومنهم: موسى المرصفى الشافعي، ومنهم: محمد عبد المتعال البهوتي الشافعي.

ومن مؤلفات الوالد المشهورة كتاب: (نصرة الإمام السبكي، في الرد على كتاب الصارم المنكي) تصنيف الشمس ابن عبد الهادي، و: (سفينة العلوم)

طبع منه مجلدان، و: (سعادة الدارين، في الرد على الفرقتين: «الوهابية، والمقلدة الظاهرية») طبع سنة ١٣٢٠هـ، و: (سيف أهل العدل) طبع، و: (رسالة في الربا).

ثم إن صاحب الترجمة الشيخ عبد الرحيم بن إبراهيم قد حمله أهله إلى القاهرة لتلقي العلم في الأزهر الشريف، فحضر على العلامة محمد إبراهيم السمالوطي المالكي في صحيح مسلم، وسنن الترمذي بشرح ابن العربي، والبيضاوي في التفسير، وحضر على محمد بخيت المطيعي في: حاشيته على نهاية السول للإسنوي، وحضر على الشيخ الشافعي الظواهري شيخ معهد الإسكندرية الأسبق بعض أصول الشافعية وفروعهم، وحضر على الشيخ إبراهيم الجبالي شيخ معهد الزقازيق الأسبق، وحضر شيئًا يسيرًا في التفسير على الشيخ سليم البشري، وسمع بعض القاموس والمختار على العلامة اللغوي حمزة فتح الله.

وحضر كثيرًا على كثيرٍ من المشايخ منهم: علي سرور الزنكلوني، وعبد الوهاب الحضري، وحسن عباس شيخ مسجد الصالح، ومحمد الخياري الأزهري، وحسين الدلتوني الأحمدي، ومحمد ناصر الأزهري، وحسن الحو الأحمدي، وإبراهيم مصبح الأزهري، وغيرهم، حتى تخرج بعدد من علماء الأزهر الشبريف.

ثم إنه نزل سنغافورة سنة ١٣٥٧هـ فأقام بها زمانًا، حيث استقدمه صاحب مدرسة الجنيد الإسلامية، ليتلقى عنه أهلها، فدرس فيها الحديث الشريف وغيره، وكان يلقي الدرس والمواعظ في جامع: (الست خديجة) بشارع قيلان، وفي جامع السلطان أيضًا، وكان يرتجل خطبه، ويتكلم الفصحى.

ثم هجم اليابانيون على سنغافورة سنة ١٣٦١هـ في حربهم مع الإنجليز، فهرب كثيرٌ جدًا من أهل سنغافورة إلى ماليزيا، وكان منهم صاحب الترجمة، فانتقل منها إلى ولاية باهنج في ماليزيا، وأقام بها إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبعدها عاد إلى مصر، وقد استخلصت هذا القدر من المعلومات عنه بعسر، ثم إني لم أعلم شيئا عن حاله بعد رجوعه إلى مصر، ولم يتعين عندي تاريخ وفاته.

يروي عن جماعة منهم: ١ ـ والده العلامة الشهير إبراهيم بن عثمان السمنودي توفي سنة ١٩٠٨م، وهو عن جماعة منهم: محمد إبراهيم البرديني الشافعي، ومنهم: عناني مصطفى الخالدي، ومنهم: موسى المرصفي الشافعي، ومنهم: محمد عبد المتعال البهوتي الشافعي، ومنهم: العلامة محمد بسرة المنزلي، وكلهم أجاز له إجازة عامة.

والعلامة الشيخ محمد بسره المنزلي حضر على البرهان الباجوري، ومصطفى المبلط، والعلامة الدمنهوري، وأجازه إجازة عامة جماعة منهم: شيخ الإسلام الشمس الأنبابي، والبرهان السقا، ومحمد الأشموني، وعبد الهادي نجا الأبياري، ومصطفى عز الشافعي.

٢ ـ ومنهم عبد الوهاب الحضري الأزهري، عن جماعة منهم: مصطفى المبلط الأحمدي، عن الأمير الكبير بما في ثبته.

٣ ـ ومنهم محمد بدر الدين الحسني المتوفى صباح الجمعة ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٥٤هـ، سمع منه جزء من صحيح البخاري ومسلم، وإحياء الغزالي، والإشارات لابن سينا، وفاتحة الشهاب على تفسير البيضاوي، والأذكار للنووي، وحضر درسه العام في الجامع الأموي بدمشق، وأجاز له إجازة عامة.

٤ ـ ومنهم محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، تلقى عليه بعض صحيح البخاري ومسلم، وتفسير سورة القدر، وكثيرا مما اتفق عليه الشيخان، وناوله كتابه: (زاد المسلم) وكتبه له عليه الإجازة في عموم مروياته.

أروي مروياته من طريق شيخنا العلامة الحبيب: عبد القادر الجيلاني بن عبد الرحمن بن عمر الجنيد الحضرمي ـ رحمه الله تعالى ـ مفتي شرق أفريقيا، ونزيل دار السلام في تنزانيا، وهو عنه مباشرة.

* * *

۞ العلامة، الأديب الكبير، الداعية السيد: محمد عبد الرحيم بن جاد بن السيد بن بدر الدين بن عبد الباري الحسيني التلاوي الأزهري الشافعي.

العلامة اللغوي الأديب المتفنن، من النمط القديم من علماء الأزهر الشريف، الذين يضربون في كل فن بسهم، مع بروزه في الأدب، فهو شاعر مطبوع متدفق، قد ألينت له القوافي، حتى كأنه يغرف من بحر، مع اتساع محفوظه من شعره وشعر غيره، وشدة استحضاره لما أنشأه منذ نصف قرن أو يزيد من الزمان.

ولد يوم الجمعة ليلة السبت غرة شعبان ١٣٥٠هـ، الموافق ١٢من شهر ديسمبر ١٩٣١م، في مدينة تلا بالمنوفية، وهو ـ حفظه الله تعالى ـ من خبايا الزوايا في مصر، يمثل صفحة مجيدةً مشرقةً من تاريخ الأزهر الشريف ورجالاته وعلمائه، حفظ القرآن الكريم في العاشرة من عمره، وتخرج من كلية اللغة العربية فحصل منها على الشهادة العالية (الليسانس) سنة ١٩٥٨م،

ثم على العالمية (الماجستير) سنة ١٩٥٩م، ورأى أن هذه الدراسة حققت له الوسائل، وحتى يحقق المقاصد التحق بكلية أصول الدين عام ١٩٦٠م إلى عام ١٩٦٥م، وكان يحصل على المرتبة الأولى كل عام.

وأما مشايخه فمنهم الشيخ محمد خليل الخطيب، درس عليه النحو والصرف، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، والشيخ محمد عبد الله دراز، والشيخ محمد عبد العزيز بهنسي في الفقه والمنطق، والشيخ عبد الرحمن جودة في الفقه، والشيخ محمد فوزي خشبة في الأدب والبلاغة، والشيخ عبد الكريم جاويش في التفسير، والشيخ مصطفى غُبَارة في البلاغة، والشيخ عبد العاطي المسير في البلاغة، والشيخ كمال أحمد عون في العقيدة.

وكان والده العلامة الشيخ جاد بدر الدين فقيهًا معروفًا، يقصده الناس ويعرفون له قدره، فاعتنى العلماء بولده صاحب الترجمة لأجل ذلك، ومن الطرائف أن العلامة السيد عبد الله الصديق الغماري أيام أن كان يطلب العلم في الأزهر الشريف، وكان وقتها معنيًّا بالرواية، والسعي في طلب الإجازة من المشايخ أهل الإسناد، سمع عن العلامة المعمر الشيخ محمد دويدار الكفراوي، وأنه يقيمُ بقريةٍ من نواحي المنوفية تسمى: تلا، فرحل إليها، ونزل ضيفًا على العلامة الشيخ جاد بدر الدين، ووصل إلى داره مساءً، وكان ذلك في حدود سنة ١٩٤٥م، وكان شيخنا صاحب الترجمة أيامها صغير السن، فكان هو الذي يقوم على خدمة السيد عبد الله الصديق، وكان يصب الماء على يديه إذا انتهى من الطعام، فطلب العلامة الشيخ جاد بدر الدين من السيد عبد الله الغماري أن يجيز لولده صاحب الترجمة، وأن يسمعه الحديث المسلسل بالأولية، ففعل، ثم مضى من السنين نحو من خمسين سنة، حتى

وافت سنة ١٤١٠هـ فجلس صاحب الترجمة الشيخ محمد عبد الرحيم جاد في مجلس العلامة الإمام مسند العصر الشيخ محمد ياسين الفاداني في مكة المكرمة، وبجواره واحد من كبار العلماء، فسأل عنه: من ذا، فأجابه الناس أنه السيد عبد الله الصديق الغماري، فقصده صاحب الترجمة، وقال له: أتذكر واحدًا من علماء مصر، يدعى الشيخ جاد بدر الدين، فقال الغماري نعم، زرته قديما في بيته بقرية تلا، في طريقي إلى الشيخ محمد دويدار الكفراوي، فقال صاحب الترجمة: أتذكر طفلا للشيخ، كان يصب الماء على يديك، وأسمعته مسلسل الأولية، قال الغماري: نعم، قال: أنا ذلك الطفل، ففرح به السيد الغماري كثيرًا، ونزل في ضيافته في بيته بمكة أيامًا، فسبحان الجامع.

وفي الفترة من سنة ١٩٨٤م إلى الآن شارك الشيخ في تأسيس ووضع مناهج جامعة دار الإحسان بدكا، والجامعة الإسلامية بالنيجر، ومركز التوحيد بجوهانسبرج، ومعهد اقرأ في موريتانيا، وكلية النساء العربية في سريلانكا، وشارك في عشرات الندوات والمؤتمرات والدورات في آسيا وأفريقيا وأوربا، من الصين حتى غرب أفريقيا، ومن الدانمارك حتى كيب تاون، وغير ذلك.

أما مؤلفات الشيخ فمنها: (نظرات في الفكر المعاصر)، (أماكن ذكرت في القرآن الكريم)، (الحضارة الإسلامية)، (التيارات والمذاهب الفكرية)، (الطبع والصنعة في الأدب)، (الغموض والوضوح في الأدب)، (المختصر المفيد، في علم التجويد)، (فوائد، في علم الفرائض)، (أصول الفقه والفقه المقارن)، (مقاصد الشريعة)، (ميزان الاجتهاد وبيان أسباب

الخلاف)، (فن الخطابة)، (الدعوة أصولها ومناهجها)، (نقد كتاب: «رفع الملام» لابن تيمية)، (السنة، تدوينها وحجيتها)، (من علوم القرآن)، وعشرة دواوين شعرية لم تطبع بعد.

وقد سمعت منه الحديث المسلسل بالأولية بشرطه، والمسلسل بالمحبة، والمسلسل بالمصافحة، والمسلسل بالمشابكة، والمسلسل بالضيافة على الأسودين التمر والماء، والمسلسل بالضيافة على الماء والخبز، وأجاز لي إجازة عامة في صفر سنة ١٤٢٧هـ، ثم رافقته في سفر طويل، فانتفعت به، وأجاز لي غير مرة.

فصل

يروي عن جماعة منهم: ١ ـ العلامة الشيخ سلامة القضاعي العزامي ـ رحمه الله ـ، أجاز له صغيرًا، في الجامع الأحمدي بطنطا، بطلب من والده السيد جاد بدر الدين، فأجازه الشيخ، ودعا له قائلًا: (بارك الله فيك، وجعلك نافعًا منتفعًا)، ٢ ـ ومنهم العلامة الفقيه إسماعيل عثمان زين الضحوي ت١٤١٤هـ، بما في ثبته: (صلة الخلف)، ٣ ـ والعلامة الفقيه عبد الفتاح حسين رواة، بما في ثبته: (المصاعد الراوية)، ٤ ـ والشيخ محمد إبراهيم شمس الدين الفاسي، ٥ ـ والإمام الحبيب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف، وأسانيده في كتاب: (جني القطاف) تخريج تلميذه العلامة الحبيب أبي بكر المشهور، ٦ ـ والعلامة المسند محمد ياسين الفاداني ت١٤١٠هـ، ٧ ـ والعلامة السيد عبد الله الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، ٨ ـ ومنهم شيخنا العلامة الإمام المفسر الشيخ محمد متولي الشعراوي

بأسانيده، ٩ ـ ومنهم والده العلامة الشيخ جاد بدر الدين الحسيني وغيرهم.

أما والده العلامة المعمر السيد جاد بدر الدين الشافعي فهو عالمٌ متمكن، من أكابر العلماء، توفي سنة ١٩٦٧ عن مائة وعشرين سنة، وتخرج بشيخه العلامة محمد عبد الرحيم النشابي الطندتائي الشافعي، بعد أن لزمه خمسًا وأربعين سنة، درس فيها عليه الفقه والتفسير والبلاغة وغيرها.

والعلامة محمد عبد الرحيم بن عبد الوارث بن خليل بن علاء الدين بن إبراهيم النشابي الحسني الشافعي، الجرجاوي أصلًا، الطنطاوي إقامة ودارًا، المنتهي نسبه إلى سيدي عبد الله أبي نشابة ـ بضم النون ـ من أهل الصلاح والولاية والفضل، وهو ـ أي الجد عبد الله ـ من أهل الظاهرية، بلدةمن البحيرة، تبع مركز شبراخيت، غربي بحر رشيد، وقد انتقل العلامة محمد عبد الرحيم النشابي مع أبيه من جرجا إلى طنطا، وأقام بها، ودرس على علماء الجامع الأحمدي، وبعد أن مات خطيب الجامع الأحمدي كلف هو بالخطابة فيه، فقبلها مكرها، وألف ديوانا للخطب اسمه: (الفيض المحمدي، في خطب الجامع الأحمدي)، وقد قرظه جماعة من العلماء منهم العلامة الكبير محمد الأبياري المغربي الهلالي، والشيخ محمد عبد الرحيم النشابي مشهور عند أهل جرجا بالسيد عبد الرحيم صبيحة، وقد ولد سنة ١٢٦١هـ، وتوفي يوم ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨هـ، وقد ترجم له جَبَرْتيُّ الصعيد العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي في كتاب: (تعطيرالنواحي والأرجا)[1]، إلا أنه وهم فيه، فسماه محمد بن عبد الرحيم، والصواب أنه اسم مركب.

(١) تعطير النواحي والأرجا، بذكر من اشتهر من علماء وأعيان مدينة جرجا/٣/١٥٦، ومختصره المسمى: خلاصة تعطير النواحي /ص٢١٠.

أما عن مرويات الوالد العلامة الشيخ جاد بدر الدين ـ رحمه الله ـ فإنه يروي عن جماعة منهم:

١ ـ محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، ٢ ـ ومنهم الشيخ عبد الحميد سلامة، ٣ ـ ومنهم الشيخ سلامة العزامي، ٤ ـ ومنهم المعمّر الشيخ محمد الكفراوي ابن سيد دويدار التلاوي الشافعي، وهو عن جماعة منهم: البرهان الباجوري، روى عنه بالعامة؛ إذ أجاز البرهان الباجوري عامة لمن أدرك عصره، وقد أدرك التلاوي عصره، ثم إنه يروي أيضًا بالإجازة الخاصة عن: عبد الرحمن الشربيني، والشمس الأنبابي، وعبد الهادي نجا الإبياري، والشهاب الرفاعي، وإسماعيل الحامدي، ومحمد عيسى القلماوي(١).

٥ ـ ويروي الشيخ جاد بدر الدين أيضًا عن شيخه العلامة السيد محمد عبد الرحيم النشابي الطندتائي، وهو يروي عن جماعة منهم: العلامة أبو المحاسن القاوقجي ت١٣٠٥هـ وهو عمدته، ومنهم: الشيخ حسن العِدوي الحمزاوي، ومنهم: أحمد بن مصطفى الكمشخانوي بأسانيدهم.

ومن روى عن السيد محمد عبد الرحيم النشابي العلامةُ السيد عبد الحي الكتاني، فقد أسند من طريقه في غير موضع من (فهرس الفهارس)(٢).

* * *

العلامة القارئ المتقن الشيخ: عبد السلام بن محمد بن محمد بن إبراهيم حبوس الشرقاوي الأزهري.

ولد في محافظة الشرقية ١٩٣٦/٤/٣م، ومهر في القرآن الكريم وتجويده وقراءاته، فحصل على الإجازات من كبار علماء هذا الفن، وقد ذكر هو بنفسه

شيئًا من ذلك فقال ما حاصله: (إجازة برواية حفص عن عاصم عن الشيخ محمد أبو يحيى عن جدي الشيخ محجوب بن منصور السعيدي ١٩٤٩م، وإجازة برواية حفص عن عاصم عن الشيخ محمد رشاد الخضري ١٩٥٠م، وإجازة برواية حفص عن عاصم عن الشيخ عبد الصادق عمار البيومي، وإجازة برواية حفص عن عاصم عن الشيخ الوالد محمد حبوس عن الشيخ الجد محجوب بن منصور، وإجازة بالقراءات السبع عن الشيخ محمد عبدالرحمن البربري، وإجازة بالقراءات السبع عن الشيخ سيد لاشين أبو الفرج ١٩٨٥م، وإجازة بالقراءات العشر عن الشيخ عبدالفتاح المرصفي ١٩٨٥م، وإجازة بالقراءات كلها المتواترة والشاذة عن الشيخ المنتصر بالله الكتاني).

وكان قد حصل على الإجازة العالية بكلية أصول الدين قسم الدعوة والإرشاد جامعة الأزهر، سنة ١٩٦٨م.

ومن مؤلفاته: (إرشاد العباد، إلى طريق الرشاد)، (إدراك المغيث، في الذب عن عرض أهل الحديث)، (بحر أنساب الأكابر والأماجد، عن عرب مصر وعرب العايد)، (تاريخ القراءة والمقرئين)، (تعطير الخاطر، في الرواية عن سيد الأوائل والأواخر)، (الحيازة، في الإجازة)، (مسند الإمام أحمد الرفاعي)، (النفحة العطرية، في أسانيد الأربعين النووية) وغير ذلك، أجاز لي إجازةً عامةً، وأرسل إلي إجازته المكتوبة وتاريخها ١٤٢٤/١١/١٧هـ، وقد انتقل الشيخ عبد السلام إلى رحمة الله تعالى في دولة الكويت في يوم ٢٠٠٨/٤/٢م.

فصل

وهنا تنبيهٌ مهمٌّ، فقد ذكر الشيخ عبد السلام حبوس أسماء شيوخه في فنون القراءات، ولعله لا يوجدُ بين أيدينا شيءٌ عن حياتهم، وجهودهم

العلمية، وأكثر علماء القراءات قد مات ذكرهم، فلم تجمع الدواوين والسجلات الموسعة بحيث تشتمل على أسماء علماء ذلك الفن، وحفظ أخبارهم، وسلاسل شيوخهم وأسانيدهم في القراءة.

وقد رأيت كتابات جيدة، في ترجمة متأخري القراء، منها كتاب: (هداية القاري، إلى تجويد كلام الباري) تأليف الشيخ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، ومنها كتاب: (الحلقات المضيئات، من سلسلة أسانيد القراءات) تأليف الشيخ: السيد أحمد عبد الرحيم، وهو مطبوع في مجلدين، ومنها كتاب: (غاية المسرة، بمعرفة أسانيد القراء المعاصرة في المدينة المنورة)، وكتاب: (إمتاع الفضلاء، بتراجم القراء)، كلاهما تأليف الشيخ: إلياس بن أحمد حسين بن سليمان البرماوي، ومنها كتاب: (القراءات القرآنية والقراء بمصر) تأليف الشيخ: يوسف أبو علي عبادي، ومنها كتاب: (خير البُشَر، بمن أتمّ حفظ القرآن ولمّا يبلغ العَشَر)، لمحمد حسين إبراهيم الرنتاوي، مخطوط (قيد الطبع).

وإليك أسماءَ جماعةٍ من متأخري أئمة ذلك العلم الشريف، تجمعت تحت يدي نتيجة رصدي لأسماء علماء مصر في الفنون المختلفة، مما كان يقع لي أثناء المطالعة في الكتب والوثائق المنتشرة هنا وهناك، وأكثرهم لم يترجم له من قبل ولا في الكتب المذكورة، أسجلها هنا، لتكون مفتاحًا لمن سَمَتْ هِمَّتُه إلى الترجمة لأئمة ذلك الفن.

فمنهم: العلامة القارئ أحمد الحسيني الجزائري المغربي، أحد علماء الأزهر الشريف، ومن كبار قراء المغرب، والعلامة عثمان سليمان مراد، معلم علم القراءات بالأزهر الشريف.

ومن قراء الجامع الأحمدي وعلماء طنطا في القراءات: العلامة مصطفى محمد البلشة القاضي الأحمدي، خادم القرآن بالجامع الأحمدي، والعلامة الشيخ محمد محمد العقلة، من قراء القراءات العشر الكبرى بطنطا، والعلامة الشيخ أحمد حبيب المنوفي، خادم العلم والقراءات السبع بالجامع الأحمدي، والعلامة الشيخ محمد أبو سرية، من قراء القراءات العشر الصغرى بالجامع الأحمدي، والعلامة الشيخ عبد الحميد مرعي إبراهيم، شيخ المشايخ، ومن قراء العشرة الكبرى بالجامع الأحمدي، والعلامة الشيخ شفيق أبو شهباء، من قراء القراءات العشر الصغرى بطنطا، والعلامة الشيخ إسماعيل جلبي، من قراء القراءات السبع، والعلامة الشيخ سيد محمد يوسف الحمامي، من قراء القراءات العشر الكبرى، والعلامة الشيخ محمد عامر الحسيني، من قراء القراءات العشر بطنطا، والعلامة الشيخ مصطفى أحمد الجندي، شيخ قراء الجامع الأحمدي، ومعلم القراءات العشر الكبرى، والعلامة محمد القزاز النواجي، من قراء القراءات العشر بطنطا، والعلامة إبراهيم أحمد سلام، معلم فن القراءات العشر الكبرى بالجامع الأحمدي.

ومن قراء الغربية: العلامة الشيخ إبراهيم محمد محمد محمد هلالي، خادم القرآن، والقراءات العشر الكبرى بأبيار الغربية، والعلامة الشيخ محمد محمد البلتاجي، من أكابر القراء بأبيار الغربية، والعلامة الشيخ محمد رضوان، خادم القرآن الكريم، والقراءات العشر الكبرى بأبيار الغربية، والعلامة الشيخ إسماعيل أبو خضراء، معلم القراءات العشر بناحية تل بنت قيصر من أقاليم الغربية.

ومن علماء الإسكندرية وقرائها: العلامة الشيخ حسن السيد سالم، أحد قراء العشرة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ عبد الحليم حسن فراج، شيخ مقرأة مسجد الشرقاوي بالإسكندرية، والعلامة الشيخ إبراهيم حسن، أحد قراء العشرة للطيبة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ جمعة عامر، أحد قراء العشرة للطيبة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ مصطفى عبد الله سليمان، أحد قراء الطيبة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ مرسي محمد ماضي، أحد قراء العشرة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ محمد عبد العزيز كحيل، شيخ مقرأة مسجد محرم بك بالإسكندرية، والعلامة الشيخ محمد علي، أحد القراء العشرة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ مصطفى شريف، أحد قراء العشرة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ كامل رزق، أحد قراء العشرة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ عبد الفتاح البشبيشي، أحد قراء العشرة بالإسكندرية، والعلامة الشيخ محمد أحمد البشبيشي، شيخ مقارئ الإسكندرية بالنيابة، وإمام وخطيب مسجد الورديان، ومدرس بها، والشيخة نفيسة أبو العلا قارئة العشر، وتلميذتها: أم السعد محمد علي نجم، والعلامة القارئ الشيخ محمد بن عبد الحميد بن عبد الله بن خليل.

ومن قراء السويس: العلامة الشيخ سيد أحمد قادوس.

ومن قراء المنيا: العلامة الشيخ محرم بن محمد بن عبد النبي الأزهري الحنفي، وتلميذه: محمد بن منازع بن طراف بن حسين المالكي، العلامة الشيخ عثمان بن سليمان مراد المتوفى في ٨ شعبان عام ١٣٨٢هـ الموافق ٤ يناير عام ١٩٦٣م.

ومن قراء الفيوم: العلامة القارئ الشيخ ونيس محمد علي، المتوفى في الأربعينيات عن سن جاوز الثمانين سنة.

ومن قراء أسيوط: العلامة الشيخ حسن بن محمد بيومي الكرّاك، البصير بقلبه، المتوفى سنة ١٣٤٢هـ، وقد قرأ عليه العلامة الشيخ حسن بن إبراهيم الشاعر، ثم خرج إلى المدينة المنورة، فصار شيخ القراء بها، وتخرج به في فنون القراءات كثيرون، انتشروا في بقاع الأرض، ومن قراء أسيوط أيضًا العلامة الشيخ علي عبد الرسول الريفي، والعلامة الشيخ عبد المجيد سليم، والعلامة الشيخ أحمد المصري، والعلامة أحمد عبد الغني عبد الرحيم، والعلامة محمود عثمان فراج شيخ قراء الصعيد في زمانه.

ومن قراء سوهاج: العلامة القارئ الشيخ أحمد مهران الصلعاوي، وتلميذه شيخنا العلامة الشيخ سيد إسماعيل أبو خشبة الشندويلي، والعلامة القارئ الشيخ محمود خبّوط الطماوي.

ومن قراء قنا: العلامة الشيخ محمد السيد عفيفي طنطاوي، والعلامة الشيخ أحمد كويس طنطاوي المتوفى أول المحرم سنة ١٣٦٥هـ، والعلامة الشيخ مصطفى حسن سعيد، كان يقرئ العشرة، وجلُّ قراء قنا في زمانه من تلامذته، ومنهم العلامة الشيخ محمد إبراهيم عويضة، قارئ العشرة الكبرى، والعلامة شمروخ محمد شمروخ الأبنودي، المتوفى عن نحو ثمانين سنة، ومنهم العلامة عبد الحافظ أمين صادق، وغيرهم.

ومن قراء أسوان: العلامة القارئ الشيخ مصطفى خضر حسين ت١٤١٥هـ، رحم الله الجميع، وأسكنهم من الفردوس المكان الرفيع.

* * *

فصل

يروي الشيخ عبد السلام حبوس عن جماعة منهم: ١ ـ سيدي عبد الله بن الصديق الغماري، حضر عليه الأربعين النووية، والأوائل السنبلية، بقراءة شيخنا العلامة علي جمعة الأزهري، ٢ ـ ومنهم: العلامة الفقيه المسند محمد ياسين الفاداني، ٣ ـ ومنهم محمد هاشم البخاري وهو عن: حسين أحمد المدني، وإبراهيم البلياوي، والشيخ فخر الحسن، والشيخ حسين المدني المذكور يروي عن: أحمد البرزنجي وعبد السلام الداغستاني وعبد الجليل برادة وجماعة سواهم، ٤ ـ ومنهم: عبد الوهاب عبد اللطيف عبد الله المالكي الأزهري، وهو عن جماعة منهم العلامة السيد: محمد الباقر الكتاني بما في أثباته، وأشهرها: (غنية المستفيد)، ٥ ـ ويروي أيضًا عن: محمد عاشق إلهي بما في ثبته: (العناقيد الغالية، في الأسانيد العالية)، ٦ ـ ويروي عن السيد محمد علوي المالكي بما في أثباته وغيرهم.

ونحن نروي مروياته عنه مباشرة كما تقدم.

* * *

❁ **العلامة التقي، المتكلم الجليل، الشيخ: عبد الفتاح بن عبد الله بن طه بن محمد بركة الأزهري السكندري ثم الدمياطي.**

من كبار علماء الأزهر الشريف، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية سابقًا، ولد في دمياط يوم الاثنين ١٠ رمضان ١٣٥٠هـ، الموافق ١٨ يناير سنة ١٩٣٢م، ودرس في المعهد الأزهري في دمياط، ثم في المعهد الأزهري بالقاهرة، ثم درس في كلية أصول الدين، ومن أشياخه الفقيه

الشيخ عبد السلام الريِّس، والشيخ المنيِّر، والنحوي الشيخ محمد عمارة، والنحوي الشيخ البلتاجي، والشيخ محمد الطيب النجار، وحضر أيضًا على أبيه الشيخ الطيب النجار، وحضر على الشيخ محمود فياض، والشيخ محمد السماحي، والشيخ الشاذلي، والشيخ محمد الأودن، والشيخ سليمان دنيا، وغيرهم.

وفي سنة ١٩٥٦م اعترفت مصر بالصين الشعبية، فاستضافت الصين الوفد المصري المشارك في مؤتمر شباب جامعات آسيا وأفريقيا لفترة مفتوحة، وكان قد نمى إلى علم الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الشريف أن صاحب الترجمة يجيد الإنجليزية، فاستدعاه، وألحقه بوفد مصر، وكان الوفد مشتملًا على شباب الجامعات المصرية، فكان من كل جامعة اثنان، ومن جامعة الأزهر واحد فقط، وقد أقام الشيخ في الصين شهرًا، ثم رجع للامتحان، وقدم تقريره عن هذه الرحلة إلى الشيخ عبد الرحمن تاج في الرواق العباسي في الأزهر الشريف؛ إذ كان الإمام الأكبر يحب الجلوس فيه.

ثم إن الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج ألحقه بوفد الأزهر المسافر إلى موسكو للمشاركة في مهرجان الشباب المنعقد في موسكو، فأقام هناك نحوًا من عشرة أيام، وقد ألقى هناك الشيخ عبد المجيد وافي خطبة الجمعة، وألقى هو الجمعة التي تليها، وقد امتلأ يومها المسجد والشارع المجاور له، وقد سافر الشيخ بعدها إلى كندا وغيرها من الدول.

وبعد تخرجه سنة ١٩٥٦م عُيِّن مدرسًا في جرجا، ثم انتدب إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج، ثم انتدب إلى مكتب أمين مجمع البحوث الإسلامية، فضيلة الشيخ محمود حب الله ـ رحمه الله ـ، ولم

يزل شيخنا صاحب الترجمة حتى تولى هو أمانة مجمع البحوث الإسلامية، فضلًا عن التدريس في كلية أصول الدين.

ومن مؤلفاته: كتاب: (الأخلاق والتصوف)، وكتاب: (الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية)، وكتاب: (العقيدة وبناء الإنسان)، (أخلاقيات العلم وأزمة الحضارة الحديثة)، وتعلقياته على العقيدة السنوسية الكبرى، وتحقيقه لكتاب: (آداب المريدين) للحكيم الترمذي، وغيرها.

يروي عن: ١ ـ العلامة السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني ت١٣٩١هـ، وهو عن جماعة منهم: محمد بخيت المطيعي، ومحمد زاهد الكوثري بما في ثبته: (التحرير الوجيز)، والسيد عبد الحي الكتاني بما في: (فهرس الفهارس)، وعبد الحفيظ الفاسي بما في: (رياض الجنة)، وعمر حمدان المحرسي بما في: (مطمح الوجدان)، ومحمد حبيب الله الشنقيطي، ومحمد علي حسين المالكي، وغيرهم كثير، وسلاسل أسانيده في ثبته: (العقود اللؤلؤية، بالأسانيد العلوية)، و(إتحاف ذوي الهمم العلية، برفع أسانيد والدي السنية)، وأيضًا في ثبته: (فهرست الشيوخ والأسانيد للإمام السيد علوي بن عباس المالكي الحسني) كلها من تخريج ولده العلامة السيد محمد بن علوي.

٢ ـ ويروي شيخنا صاحب الترجمة أيضًا عن السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي ت١٤٢٥هـ؛ فقد أعلمه شيخنا بأنه أجيز من أبيه السيد علوي بن عباس المالكي، فأرسل إليه الإجازة أيضًا، وأسانيد السيد محمد بن علوي وأثباته كثيرة مشهورة.

ونحن نروي مروياته عنه مباشرة، فقد أجاز لي إجازةً عامةً في كافةِ ما أجازه به مشايخه، واحتفى بي، وهو ممن تكرموا بالتقدمة لكتابي: (إحياء علوم الحديث)، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

❁ **العلامة الفقيه، مفتي الديار المصرية الشيخ: عبد القادر الرافعي الحنفي الأزهري بن مصطفى الرافعي بن عبد القادر الرافعي بن عبد اللطيف البياري بن عمر البياري**، صاحب الزاوية المشهورة في القونيات بطرابلس الشام، المنتهي لأحد العبادلة الأربعة، سيدنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

العلامة الجليل، مفتي الديار المصرية، كان ـ رحمه الله تعالى ـ فقيهًا ضليعًا، متبحرًا في مذهب السادة الأحناف، حتى إنه كان يعرف بـ(أبي حنيفة الصغير)، وكان ـ رحمه الله ـ شيخ رواق الشوام بالأزهر الشريف، وممن حضر دروسه، وتتلمذ له، وانتفع به الشيخ يوسف النبهاني.

وأجود مؤلفاته هو حاشيته أو تقاريره على حاشية ابن عابدين، والتي سماها: (التحرير المختار، على الدر المختار)، وقد طبعت قديمًا بالمطبعة الأميرية.

وقد توفي فجأة ليلة السبت، سابع عشر شهر رمضان، سنة ١٣٢٣هـ، بعد أن صلى العشاء والتراويح في منزله، وشيعت جنازته صباح السبت المذكور، وصلي عليه في الأزهر، ودفن في قرافة المجاورين، بمقبرة أخيه العلامة الشيخ محمد الرافعي بن العلامة الشيخ مصطفى الرافعي، المتوفى سنة ١٢٨٣هـ.

وأما تلامذته فعلى رأسهم ولده العلامة الشيخ محمد رشيد الرافعي، فقد جرد تحريرات والده على حاشية ابن عابدين، وقابلها معه، حتى قال في تقدمته لـ(تقريرات والده على ابن عابدين): (إن سيدي وأستاذي، وشيخي وملاذي، ووالدي، المغفور له، العلامة الشيخ عبد القادر الرافعي مفتي

الديار المصرية، لما قرأ عدة مرات حاشية العلامة السيد محمد أمين، الشهير بابن عابدين، المسماة رد المحتار، ووقف في كل مرة منها على غوامضها وأسرارها، وكشف عنها حجب الخفاء حتى أضاءت لديه بأنوارها، علق عليها تقريرا هو غاية غاياتها، ومفتاح مغلقاتها، أنفق فيه شطر العمر، ما بين مراجعة وتنقيب، وإيضاح وتقريب، ونظر وتحرير، وبحث وتقرير، ولما رأيت منه هذه العناية، استأذنته ـ رحمه الله ـ في تجريده من هوامش نسخته رد المحتار، فأذن لي، وقابلته معه بعد تجريده، فكان بعد ذلك عنده، في موضع حاجة النفس، لم يزل يتعهده بالنظر والتنقيح، حتى كان آخر عهده به اليوم الآخر من شهر شعبان، سنة ١٣٢٣هـ قبل وفاته ببضعة أيام) إلى آخر كلامه رحمه الله.

ثم إن الشيخ محمد رشيد ألف كتابًا حافلًا في ترجمة والده، سماه: (ترجمة الشيخ الرافعي)، طبع قديمًا سنة ١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٦م، في نحو مائتي صفحة، وقد أورد فيه نصوص إجازات مشايخه له.

يروي عن: ١ ـ أخيه العلامة محمد الرافعي، وهو لازم العلامة التميمي الداري مفتي مصر، وهو عن العلامة أحمد الطحطاوي، بأسانيده، ٢ ـ العلامة أحمد منة الله المالكي، ٣ ـ شيخ الإسلام البرهان الباجوري، ٤ ـ البرهان السقا، ٥ ـ الإمام البلتاني، ٦ ـ الشيخ الإسماعيلي، ٧ ـ الشيخ القلعاوي، ٨ ـ العلامة الشيخ محمد الأشموني، ٩ ـ العلامة الفقيه الجليل أبو بكر المشهور بـ(بكري دباح) بن عبد الجواد بن مصطفى بن بكري بن عمر بن أحمد بن محمود بن أحمد المشهور بـ(دباح) الجرجاوي.

نروي مروياته من طريق شيخنا السيد عبد الله بن عبد القادر التليدي، عن العلامة السيد محمد الباقر الكتاني ت١٣٨٤هـ، عن شقيقه

العلامة السيد محمد المهدي ابن الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني ت١٣٧٩هـ، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة الحسن بن محمد بن الصديق الغماري، عن العلامة أحمد رافع الطهطاوي، عنه.

* * *

❁ العلامة التقيُّ الفقيهُ المسند المعمر: أبو محمد عبد الله بن محمد بن صالح البنا الحنفي الرشيدي ثم السكندري.

ولد سنة ١٢٥١هـ، ونشأ في كنف والده العلامة محمد بن صالح البنا الرشيدي، مفتي الأحناف في الإسكندرية، فتعلم من أبيه، ثم حضر على علماء الأزهر الشريف، ومن أجل شيوخه العلامة الشيخ مصطفى المبلط، ولم يزل حتى عين إماما لمسجد سيدي أبي العباس المرسي، وتوفي آخر ربيع الأول، سنة ١٣٤٧هـ، الموافق ١٤ من شهر سبتمبر، سنة ١٩٢٨م، وقد ترجم له ولأبيه فضيلةُ الشيخ إبراهيم أحمد شحاتة الرازقي في كتابه: (أولياء الإسكندرية).

بل ذكر فضيلة الشيخ إبراهيم شحاتة في كتابه المذكور أنه توصل إلى ذرية صاحب الترجمة، وأنهم أطلعوه على إجازات المترجم ووالده، فقال في ترجمة العلامة محمد البنا: (وقد أطلعني الأستاذ محمد إبراهيم البنا ـ من ذرية الشيخ ـ على الكثير من الإجازات العلمية، التي حصل عليها من كثير من علماء مصر، مثل الشيخ أحمد الصاوي، والعلامة أحمد الطحطاوي الحنفي، والعلامة الشيخ محمد محمد الأمير المالكي)[١].

(١) أولياء الإسكندرية/ص٣٣.

وقال أيضا في ترجمة الابن الشيخ عبد الله البنا: (وقد أطلعني الأستاذ محمد محمد البنا على الكثير من الإجازات العلمية، التي حصل عليها من كبار علماء عصره، وكذلك الإجازات التي منحها هو لبعض العلماء)[1].

قلت: والوثائق المشار إليها في غاية الأهمية، والشيخ إبراهيم شحاتة قريب العهد، وقد توفي هنا مؤخرا، منذ بضع سنوات، وكنت قد زرته في بيته بالإسكندرية، إلا أنه كان طريح الفراش، لا يقتدر يتكلم، فقدرت أن الأشخاص الذين لقيهم من ذرية الشيخ البنا ربما كانوا أحياء، أو الجيل الذي يليهم، فطلبت من أصدقائي السكندريين التكرم بالتفتيش عن بقايا ذرية الشيخ البنا، حتى أتوصل إلى تلك الإجازات، وعسى أن تنفتح تلك الأبواب، لأثبت هنا بإذن الله ما في تلك الإجازات من أخبار وأسانيد، والله المستعان.

يروي عن جماعة، منهم: ١ـ والده السيد محمد بن صالح البنا، ٢ ـ ومنهم مصطفى المبلط، وغيرهما، أما والده فإنه واسع الرواية، أدرك الأكابر، وروى العوالي، يروي عن جماعة منهم: العلامة محمد الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ بما في ثبته وفي عموم ما له، ومنهم مسند المدينة المنورة السيد زين العابدين جمل الليل المدني ت١٢٣٥هـ، ومنهم الشهاب أحمد الصاوي وهو عن الشهاب أحمد الدردير ت١٢٠١هـ شيخ المالكية في عصره بما في ثبته، ومنهم أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي المصري ت١٢٣١هـ. وأما مصطفى المبلط فإنه يروي عن الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ بما في ثبته، وعن محمد بن علي الشنواني ت١٢٣٣هـ بما في ثبته.

وممن شارك الشيخ عبد الله بن محمد ـ صاحب الترجمة ـ في الرواية عن

(١) أولياء الإسكندرية/ص٣٦.

أبيه السيد محمد بن صالح، العلامة أبو القاسم الطرابلسي الأزهري، محدث الآستانة ومسندها، والمتوفى بها سنة ١٢٩٨هـ عن ثمان وخمسين سنة، ومن شيوخه أيضًا البرهان السقا وقد سبقت ترجمته.

وكذلك السيد محمد بن عبد الواحد الكتاني، وهو جد العلامة السيد محمد عبد الحي صاحب: (فهرس الفهارس) فإنه تدبج مع السيد محمد بن صالح البنا المذكور.

وقد روى عن عبد الله بن محمد ـ صاحب الترجمة ـ العلامةُ المسند السيد محمد عبد الحي الكتاني، لقيه في الإسكندرية سنة ١٣٢٣هـ، وروى عنه أيضا العلامةُ عمر حمدان المحرسي ت١٣٦٨هـ، وروى عنه الحافظُ السيد أحمد الصديق الغماري ت١٣٨٠هـ، وإجازته للسيد الغماري مؤرخة بجمادى الثانية سنة ١٣٤٣هـ، وقد علمتَ بذلك أسانيدنا إليه.

* * *

❁ العلامة الفقيه الأديب، شيخ الإسلام، الشيخ: عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي الشافعي الأزهري.

ولد تقريبًا سنة ١٠٩٢هـ ـ ١٦٨١م، وهو أول من تولى مشيخة الأزهر الشريف من الشافعية، قال الحافظ السيد محمد مرتضى الزبيدي في: (تاج العروس): (شيخنا، خاتمة المُسْنِدِين، عَبْدُ الله بنُ مُحمّدِ بنِ عامر بنِ شَرَفِ الدِّينِ الشَّبْرَاوِيّ الشافِعِيّ الأَزْهَرِيّ، سمع جَدُّه الكتب الستة تمامًا على أَبِي النَّجَاءِ سالِمِ بن محمد بن محمّد السَّنْهُورِي، وروى هو عن مُحمد بنِ عبدِ الله الخِرْشِيّ، ومحمّد بن عبد الباقي الزُّرْقاني، وعبد الله بن سَالِم البَصْرِيّ،

والشّهاب الخَلِيفِيّ، وأبي الإمدادِ خليلِ بن إبراهيم اللّقانيّ، ودَرس وأفاد، وتَوَلّى مشيخةَ الجامِعِ الأَزهرِ، وباشرَ بعفةٍ وصيانة، وكان وافرَ الحِشْمة والجاه، وُلد سنة نيّف وتسعين وأَلف، وتوفّي سنة ١١٧٠هـ)[1].

وقال في: (المعجم المختص): (ولم يزل يترقى في الأحوال والأطوار، ويفيد ويملي ويدرس الكتب الكبار، حتى أشير بمشيخة الأزهر في حياة كبار العلماء من مشايخه ومن الأقران، فتصدر بهذا المنصب العزيز الشان، وصار له عظيم الجاه، ومنزلة عند رجال الدولة وأمراء مصر، ونفذت كلمته، وقُبِلت شفاعته، وصار لأهل العلم في مدة توليه رفعة المقام، والمهابة عند الخاص والعام)[2].

إلى أن قال: (أول ما لقيته في مشهد القطب سيدنا أبي محمود الحنفي ـ قدس سره ـ، فتشرفت بتقبيل أياديه، ودعا لي، وشملتني إجازته، ثم حضرت عليه دروسه التفسيرية وغيرها، مما يقرأ عليه بالجامع الأزهر، فكان يلقي في تقريره أنواع الفوائد، ومهمات المقاصد، وعليه خَفَرٌ وهيبة، والناس بين يديه نواكس الأذقان، كأن على رؤوسهم الطير، وهكذا من أول الدرس إلى آخره).

أما مؤلفاته فمنها كتاب: (العقد الفريد، في استنباط العقائد من كلمة التوحيد)، (شرح الرسالة الوضعية العضدية)، (عنوان البيان، وبستان الأذهان) في الأدب والأخلاق والوصايا والنصائح، (نظم بحور الشعر وأجزائها)، (عنوان البيان) في البلاغة، (منظومة في علم النحو) وهي

(١) تاج العروس /١٢/١٢٩.
(٢) المعجم المختص /ص٣٠١.

قصيدة لامية، وقد توفي الشيخ صبيحة الخميس، سادس ذي الحجة الحرام، ختام سنة ١١٧١هـ، فرحمه الله رحمة واسعة.

يروي الكتب الستة عن: ١ ـ العلامة محمد بن عبد الله الخرشي المالكي شارح مختصر خليل المتوفى في ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٠١هـ، وهو عن والده، وعن البرهان إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي، كلاهما عن العلامة سالم السنهوري، عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي.

وقد أجاز له أبو عبد الله الخرشي وعمره إذ ذاك نحو ثمان سنوات، أجازه بالبخاري وبقية الستة، وذلك بعناية خاله الشهاب الخليفي، وذلك سنة ألف ومائة، ومات الخرشي بعد ذلك بسنة.

٢ ـ ويروي أيضًا عن الشيخ خليل ابن الشيخ إبراهيم اللقاني المذكور ت١١٠٤هـ، أجازه بصحيح البخاري بحق روايته له عن: أبيه، عن الشمس الرملي شارح المنهاج، ابن العلامة الشهاب أحمد بن حمزة الرملي، عن شيخ الإسلام زكريا، عن الحافظ ابن حجر بسنده المذكور أول الفتح.

٣ ـ ويروي أيضًا عن جماعة منهم: الشيخ الشهاب أحمد بن محمد الخليفي المتوفى سنة ١١٢٧هـ، ٤ ـ ومنهم: الشيخ محمد الزرقاني شارح الموطأ ابن العلامة عبد الباقي الزرقاني شارح مختصر خليل، ٥ ـ ومنهم: الشيخ جمال الدين صالح بن علي الحنبلي، ٦ ـ ومنهم: الشيخ عبد الله بن سالم البصري المتوفى نهار الاثنين، قبيل العصر، رابع شهر رجب الحرام سنة ١١٣٤هـ، ٧ ـ ومنهم: الشيخ محمد المغربي الشهير بالصغير ت١١٤١هـ، ٨ ـ ومنهم: الشيخ أبو عبد الله عيد بن علي النمرسي الشافعي ت١١٤٠هـ ودفن

بالبقيع، ٩ ـ ومنهم: الشيخ منصور المنوفي الشافعي، ١٠ ـ ومنهم أيضا العلامة الشهاب أحمد النفراوي المالكي، المتوفى يوم الجمعة أذان العصر، عاشر ربيع الثاني، سنة ١١٢٦هـ، وغيرهم.

قلت: وأسانيده في ثبته المشهور، بل هو من أشهر أثبات المصريين، تداولته أيديهم، وأحالوا إليه، وأجازوا به تلامذتهم، قال السيد محمد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس والأثبات): (له ثبتٌ، هو عندي في نحو كراسين، ألفه باسم وزير الدولة العثمانية عبد الله باشا الكابورلي الغازي سنة ١١٤٢هـ، ختمه بنبذةٍ نافعةٍ من وفيات مشايخه ومشايخهم إلى القرون الأولى، وعليه يعوِّلُ كثيرٌ من المصريين في الأسانيد)[١].

وقد طُبِع أخيرًا، ملحقًا به ثبت العلامة السيد عبد الله الصديق الغماري واسمه: (ارتشاف الرحيق، من أسانيد عبد الله بن الصديق)[٢].

نروي مروياته عن شيخنا رفعت بن فوزي بن عبد المطلب، عن العلامة محمد الحافظ التيجاني، عن الحافظ أحمد الصديق الغماري، عن العلامة السيد أحمد رافع بن محمد الطهطاوي، عن أبيه، عن جده لأمه علي بن محمد الفرغلي الأنصاري، عن العلامة السيد داود القلعي، عن الشيخ السيد أحمد بن محمد السحيمي الحسيني المتوفى في ثامن شعبان سنة ١١٧٧هـ؛ عنه.

(ح) وبالسند إلى الغماري، عن عوض بن محمد الزبيدي، عن

(١) فهرس الفهارس /٢/١٠٦٦/.

(٢) وانظر ترجمة الشبراوي في: سلك الدرر للمرادي /٣/١٠٧/، وفي نزهة الفكر /٢/٦٨/ للحضراوي، وفي: عجائب الآثار /١/٢٩٧/ للجبرتي، وفي: الخطط التوفيقية /٤/٣١/ لعلي مبارك، وفي: الفكر السامي /٢/٣٥٤/ للحجوي، وفي الأعلام للزركلي /٤/١٣٠/.

إسماعيل البرزنجي، عن داود القلعي بسنده المار.

(ح) ومن طريق شيخنا محمد سعد بدران، عن البهاء أبي النصر القاوقجي، عن أبيه، عن محمد البهي الحسني، عن الحافظ مرتضى الزبيدي، عنه.

* * *

۞ العلامة الفقيه الشيخ: أبو محمد عبد الله بن محمود بن عبد الرحيم زنط ـ بضم الزاي وسكون النون، لقب لغطاء الرأس ـ الصعيدي الإسنوي المالكي.

ولد سنة ١٨٨٦م، وقد كنت أتصفح شيوخ الحافظ أحمد بن الصديق الغماري ـ رحمه الله تعالى ـ في: (البحر العميق)، وفي: (المعجم الوجيز)، وفي: (الإتحاف، بإجازة الحبيب محمد بن هادي السقاف)، فرأيته ذكر منهم العلامة الشيخ: أبا محمد عبد الله محمود زنط المالكي الإسنوي الصعيدي، وأنه نزل القاهرة، وسمع بالغماري فزاره، فلما أن التقيا أهدى الشيخ زنط إلى الغماري بعض مؤلفاته المطبوعة، منها شرح له على العشماوية في فقه المالكية، وأجاز له عامة. قال الغماري في: (البحر العميق): (وأجاز لي عن شيخه إبراهيم بن مصطفى المطعني، عن علي بن عبد الحق القوصي، عن الأمير الكبير بسنده، قال: وأروي أيضًا عن الشيخ هاشم بن عبد الرحيم زنط، والشيخ صالح بن إسماعيل الضوي كلاهما عن والد الثاني إسماعيل الضوي، فقلت: وهو عمن يروي؟؟ فقال: لا أدري)!! قال السيد الغماري: (ثم لم أعلم عنه شيئًا بعد ذلك، وكان الاجتماع به سنة ثلاث وأربعين).

قلت: وقد توسمت أن أحدًا لم يترجم للشيخ زنط، بل كنت جازمًا،

ثم رأيت الشيخ عبد الرؤف المبارك قال في كتاب: (التمييز) له: (ولم أقف على ترجمة للمذكور فأرجح بها، بل لم أر له ذكرًا عند غير المصنف) انتهى كلامه، والقصد أنني رجعت إلى نفسي وقلت: واحسرتاه على أناس أفنوا حياتهم في خدمة الشرع الشريف، ثم فرَّط فيهم مَن بعدهم، حتى لم يعد لهم ذكر.

ثم شرعتُ في تَلَمُّسِ خيوطٍ، أصل منها إلى معرفة شيء عن الشيخ، فرأيت الشيخ الغماري قال: إنه إسنوي، فكلفت من أصدقائي مَنْ قَرُبَ موطنُه من إسنا بالسؤال عن الشيخ عبد الله زنط، فخبَّرني أن بإسنا بيتًا مشهورًا، اسمه بيت زنط، ثم غاب عني زمانا طويلًا، وأخبرني أنه توصل إلى الحاج محمد عبد المنعم بن عبد الفتاح زنط، ابن أخي صاحب الترجمة، وزوج حفيدته، ففرحت والله، وأمرته بالذهاب إليه ففعل، فكتب له الشيخ ترجمة للشيخ عبد الله زنط، وبعث إلي معه بأحد مؤلفات الشيخ عبد الله زنط، وهو كتابه المسمى: (المناهل العذبة الفقهية، شرح العشماوية، في فقه السادة المالكية)، فالحمد لله على ذلك.

ثم إن الله - تعالى - يسر لي نزول الأقصر يوم الأحد، ثالث أيام عيد الأضحى المبارك، من سنة ١٤٢٥هـ، فعرجت منها على إسنا، أنا وجماعة معي، وأعلمت أقارب الشيخ برغبتي في الزيارة، فلما أن وصلت وجدت آل الشيخ وأحفاده وذرياتهم، وأناسًا من عائلته وعشيرته تجمعوا لاستقبالي، وبالغوا في إكرامنا والحفاوة بنا، وألقيت فيهم محاضرةً عن فضل العلم وأهله، وذكرت ما عندي من ترجمة جدهم مما لا يعلمونه، وحثثتهم على الإقبال على العلم، وتنشئة ذرياتهم عليه، وتحفيظهم كتب جدهم، حتى لا ينقطع العلم من البيت، فكان بحمد الله مجلسًا لطيفًا مباركا بإذن الله.

فانظر كيف أن هذا الشيخ قد انطوى ذكره إلا من صدور أفراد، حتى وقعت لنا إجازات الغماري، ففتحت لنا أبواب الخير التي ذكرت لك، وكيف أن علمائنا مات ذكرهم، حتى إنني وجدت ذرية الشيخ لا يذكرون على من تلقى الشيخ العلم في الأزهر، ولا عمن يروي، سوى ما حفظه لنا السيد أحمد الغماري في ثبته.

ثم من يكون الشيخ إبراهيم بن مصطفى المطعني؟؟ مات ذكره، وهل تراك تعرف من يكون الشيخ نور الدين علي بن عبد الحق القوصي الحجاجي من ذرية الإمام أبي الحجاج الأقصري ت١٢٩٤هـ؟؟!! انظر ترجمته في كتاب: (الخطط التوفيقية) لعلي مبارك باشا، وقد ترجمت له ترجمةً حسنةً وافية في كتابنا هذا.

أما ترجمة الشيخ عبد الله زنط التي أرسلها الحاج محمد عبد المنعم زنط فهي في ورقة، وقد رأيت إثبات نصها هنا؛ صونًا لها من الضياع، واستنقاذًا لهذا العالم الجليل من أن تطويه الأيام فينسى، قال فضيلة الشيخ محمد عبد المنعم زنط:

(بسم الله الرحمن الرحيم، نبذةٌ عن حياة المرحوم الشيخ: عبد الله محمود عبد الرحيم زنط، الاسم: عبد الله محمود عبد الرحيم زنط، تاريخ الميلاد: ١٨٨٦م، الموطن الأصلي: مدينة إسنا، الحالة العلمية: ١ - حفظ القرآن الكريم وأتم حفظه تلاوةً وأحكامًا.

٢ - التحق بالجامع الأزهر الشريف، حيث كانت الدراسة فيه بنظام المجاورة، وأخذ يتنقل من شيخ إلى شيخ، ومن عمود إلى عمود، حتى ألمَّ بالعلوم الدينية والعربية، وقضى في الدراسة والتحصيل بضع سنين حتى

أصبح على دراية كبيرة بالعلوم والمعرفة.

٣ ـ عاد إلى موطنه إسنا بعد عودته من القاهرة، وعمل خطيبًا ومدرسًا بمسجد جده الشيخ هاشم بإسنا، وأخذ يقوم بتدريس الفقه والعلوم الشرعية لرواد المسجد وأصبح مسجده عامرًا بالمريدين.

٤ ـ كان بأعلى هذا المسجد حجرة يجتمع فيها العلماء والمثقفون للاستزادة من العلوم والمعرفة.

٥ ـ ثم كرس جهده للتأليف، فألف: أ ـ كتاب: المناهل العذبة الفقهية، لشرح متن العشماوية، على مذهب الإمام مالك، ب ـ قام بتشطير البردة، ج ـ جمع الصلوات على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تقال كل غرة شهر عربي.

٦ ـ وفي هذه الآونة طلبت وزارة المعارف العمومية نظارًا ومدرسين؛ فعين مدرسًا ثم ناظرًا في مدارس الدر، بمديرية أسوان (حاليًا محافظة أسوان)، وأخذ يتنقل في المدارس: (المحاميد، ونجع هلال)، وطيلة عمله بالتدريس أخذ يقوم بتوعية المصلين، في المساجد بالعلوم الدينية، حتى استفاد منه المصلون، وأصبح مركز إشعاع لكل من يلتقي به.

٧ ـ ثم أحيل للتقاعد لبلوغه السن القانونية بعد أن قضى بالتعليم بضعًا وعشرين سنة أفاد فيها كل مريديه.

٨ ـ انتقل إلى الرفيق الأعلى في ديسمبر سنة ألف وتسعمائة وأربع وخمسين، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جناته جزاء ما قدم للمسلمين والإسلام) انتهت الرسالة.

وقد أخبرني فضيلة الشيخ محمد عبد المنعم بن عبد الفتاح بن محمد زنط أن عمه صاحب الترجمة كان قد رزق بعدد من الأولاد، منهم: محمد عبد الوهاب، ومحمد عبد الله الشهير بصلاح، وهو من زوجة أخرى للشيخ، وأن صاحب الترجمة كان صديقا لمولانا الإمام الشيخ أحمد رضوان، والشيخ الطيب الكبير، والشيخ إسماعيل حسن، وأن صاحب الترجمة كان كريما، لا يخشى الفقر، بل كان يعطي ويجود، وكان بيته في يوم الجمعة من كل أسبوع مجمعا لعائلته وأرحامه.

نروي مروياته عن العلامة السيد عبد الله بن عبد القادر التليدي، عن الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري، عنه.

* * *

۞ العلامة الفقيه المتفنن الشيخ: أبو محمود عبد المجيد بن إبراهيم بن محمد الشرنوبيُّ الأزهريُّ المالكيُّ.

ولد سنة ١٢٦٠هـ تقريبًا، وتوفي سنة ١٣٤٨هـ.

فقيه مالكيٌّ، وعالمٌ أزهريٌّ كبير، جاور في الأزهر الشريف سنة ١٢٧٨هـ، فتفقه بأشياخه وعلمائه، ومن شيوخه: العلامة الشيخ حسن العدوي، والبرهان إبراهيم السقا، وجماعة، واشتغل بالتصحيح في دار الطباعة المصرية الأميرية، ثم اشتغل بالعلم والتأليف، وقد أعرض عن دخول امتحان العالمية رغم كفاءته ومقدرته.

كان ـ رحمه الله ـ آيةً في التصنيف على طريقة موجزة، يحل بها المتن المشروح وييسره، دون خوض في التدقيقات العالية، مع إفادةٍ وإجادةٍ، فله

من التصانيف على ذلك النمط: (مناهج التسهيل، على مختصر خليل)، (مناهج التيسير، على مجموع الأمير)، (تقريب المعاني، على رسالة ابن أبي زيد القيرواني)، (شرح على حكم ابن عطاء)، (وإرشاد السالك، شرح ألفية ابن مالك)، وغير ذلك.

قال العلامة محمد مخلوف في: (شجرة النور): (العلامة المحقق المُجيد، واسطة العقد الفريد، العمدة الإمام، المؤلف الهمام، أخذ عن جلة علماء الأزهر، له تآليف رزق فيها القبول)[1].

يروي عن: ١ ـ البرهان السقا، ٢ ـ والشيخ محمد عليش، ٣ ـ والشيخ حسن العدوي (بكسر العين) الحمزاوي، ٤ ـ وعبد الهادي نجا الأبياري، ٥ ـ والشمس الأنبابي، ٦ ـ وعبد الرحمن الشربيني، ٧ ـ وأحمد ضياء الدين، ٨ ـ وزين المرصفي، ٩ ـ وأحمد شرف الدين المرصفي، ١٠ ـ وحسن المرصفي، ١١ ـ وموسى المرصفي، ١٢ ـ وأحمد الأجهوري، ١٣ ـ وأحمد كبوة (بفتح الكاف وضم الباء) العدوي، ١٤ ـ وعلي مرزوق العدوي، ١٥ ـ وحسن داود العدوي (بفتح العين والدال)، ١٦ ـ ومحمد البسيوني، ١٧ ـ ومحمد الشعبوني.

أروي مروياته من طريق شيخنا إبراهيم بن محمد بن الصديق الغماري، عن العلامة القاضي عبد الحفيظ الفاسي، عنه.

ومن طريق شيخنا العلامة محمد نمر الخطيب، عن العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي، عنه.

* * *

(١) شجرة النور الزكية /ص٤١٢.

۞ العلامة الجليل المحقق، الواسع الاطلاع، الشيخ عبد المعطي بن حسن بن رجب السقا الفرغلي الشافعي.

سليل بيت العلم والفضل والإمامة، والده هو العلامة الكبير، خطيب الأزهر الشيخ حسن ت١٣٢٦هـ هو سبط العلامة البرهان السقا، وقد كان والده المذكور من العلماء الأجلاء، حتى إن خاله، العلامة الشيخ محمد إمام بن البرهان السقا، قد قرأ عليه، وعده في شيوخه، وممن تتلمذ أيضا للوالد الشيخ حسن السقا الفرغلي: العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني، وأسند من طريقه في: (فهرس الفهارس)، وممن تتلمذ أيضا للوالد الشيخ حسن: العلامة الشيخ محمد بن علي بن إسماعيل الأنصاري الجرجاوي.

حضر المترجم الشيخ عبد المعطي على أبيه، وعلى العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني، وعلى العلامة الشمس الأنبابي، وغيرهم من أكابر علماء الأزهر الشريف، وبرز في فقه السادة الشافعية، وكان خبيرا بالكتب، مطلعا على نوادرها وغرائبها، وألف المؤلفات المحررة، التي تشهد له بالتمكن والتحقيق وعلو الكعب، فمن تأليفه كتاب: (الإرشادات السنية، للأحكام الشرعية) في فقه السادة الشافعية، في مجلدين، طبع في المطبعة الجمالية، سنة ١٣٣١هـ، كما أنه اعتنى بطبع كتاب: (درة التنزيل، وغرة التأويل) للإسكافي، فطبع الكتاب بعنايته في مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٢٦هـ، وله مقدمة صغيرة على النسخة المطبوعة من مسند الإمام زيد، هو والشيخ بخيت، والشيخ سليم البشري، وغيرهم.

وقد أخبرني سماحة شيخنا العلامة الجليل الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية أن الشيخ عبد المعطي السقا هو وجيله من العلماء الأزهريين يمثلون طبقة من العلماء المحققين، الذين ورثوا العلم كاملا عن أشياخهم،

وأنه من جيلٍ قرأ العلم بأنواعه المختلفة، وبدرجاته المتتالية، وقرأ الكتب بتمامها، بخلاف من بعدهم، وأن الشيخ عبد المعطي بلغ درجة من التحقيق والتضلع، والإلمام بفوائد حواشي أشياخه فمن فوقهم، والتبحر في الفهم والتدقيق.

وقال لي سماحته أيضا: الشيخ عبد المعطي السقا رجل شعر العلم بعده بغربة، وبموته هو وطبقته افتُقِد جزءٌ من العقلية الفقهية، فقد كان العلم ينقل بكليته عبر الطبقات، حتى انتهى إلى الباجوري وطبقته، ثم إلى الأنبابي وطبقته، ثم إلى بخيت المطيعي وعبد المعطي السقا وطبقتهما، وكان العلم في كل هذه الطبقات ساريا واحدا، ثم انكسر شيء، جعل الطبقات التالية ـ رغم جلالة رجالها ـ لا تقارب هؤلاء.

وقال لي شيخنا سماحة المفتي: (ظفرت بالجزء الأول من كتابه «الإرشادات السنية»، فلما رأيت فيه ذلك النمط من التحقيق العلمي العالي؛ ظلت أتطلب الجزء الثاني منه نحو خمس وعشرين سنة، حتى سقط لي).

قلت: وقد نزل المترجم المدينة المنورة غير مرة، وأجاز واستجاز، وممن لقيه بالمدينة المنورة محدث الحرمين، العلامة الشيخ عمر حمدان المحرسي ت١٣٦٨هـ، واستنسخ من المترجم شواهد البغدادي على المغني لابن هشام.

كما لقيه بمصر عدد من الأكابر الوافدين إلى مصر، فشهدوا له بالتضلع، فممن لقيه في مصر: العلامة الشيخ عمر حمدان المحرسي، والحافظ السيد أحمد الصديق الغماري، والعلامة السيد المهدي الكتاني، والعلامة الشيخ الخضر حسين، والعلامة السيد عبد الواسع الواسعي.

قال العلامة الشيخ محمد الخضر حسين في كتاب: (الرحلات): (ثم مضينا للوفاء بموعد الشيخ عبد المعطي السقا، فجاز بنا إلى داخل منزله،

وأهداني كتابا حافلا، ألفه فضيلة جده المنعم، في فضل عمارة المساجد، وللشيخ عبد المعطي عناية كبرى بالفحص عن التآليف النادرة، والسعي الحثيث في تحصيل ما نشرته المطابع في البلاد القاصية)(١).

ولما أن أراد العلامة البحاثة الكبير الشيخ أحمد تيمور باشا أن يكتب شيئا في ترجمة العلامة الشيخ محمد عياد الطنطاوي، لقي عسرا، وعنتا شديدا، في جمع المعلومات عنه، وأحمد تيمور هو من هو في المقدرة البحثية، وسعة الاطلاع، ووفرة المصادر، والعلاقات الواسعة بالعلماء، لكن الذي أسعفه في ذلك هو المترجم، العلامة الشيخ عبد المعطي السقا، وذكر له الشيخ عبد المعطي أنه دبج تلك الترجمة (مجموعة مما بلغه عنه، واستخلصه من مؤلفاته)، وكتب أحمد تيمور باشا ترجمته لمحمد عياد الطنطاوي في مقال بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، وذكر أنه استقى معلومات مقاله من الشيخ عبد المعطي، ومما يستوقفني هنا ذلك التعبير العميق، أنه جمع ترجمة عياد الطنطاوي مما بلغه عنه ومما استخلصه من مؤلفاته، فأفادنا ذلك سعة اطلاع المترجم، ومعرفته بالكتب الغريبة النادرة، التي لا يعرفها غيره.

هذا وقد توفي المترجم سنة ١٣٤٨هـ كهلا، فرحمه الله تعالى من إمام محقق متضلع، هضم حقه، ولم يعرف الناس له قدره، وأسأل الله تعالى أن يرزقنا كمال الأدب والوفاء والعرفان، للأئمة الجلة، المحققين المتضلعين الأكابر، الذين قضوا أعمارهم في خدمة العلم والشرع الشريف.

يروي عن: ١ ـ والده العلامة الشيخ حسن بن رجب السقا، وهو عن البرهان السقا، بأسانيده التي تقدمت في ترجمته، ٢ ـ وعن شيخ الإسلام الشمس الأنبابي، وأسانيده في ترجمته ٣ ـ وعن عبد الستار الدهلوي بما في

(١) الرحلات/ص٥٠/، ط: المطبعة التعاونية، سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

أثباته، ٤ ـ وعن الإمام يحي بن محمد حميد الدين ت١٣٦٧هـ، ٥ ـ وعن الوجيه عبد الرحمن بن محمد الشربيني، وأسانيده مشهوره.

ونحن نروي مروياته من طريق الشيخ الصالح المبارك محمد سعيد بن هاني الكحيل الحمصي، والشيخ أحمد محمد بشير حداد الحلبي، كلاهما عن الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة الفقيه القاضي الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني، عن العلامة المسند الكبير عبد الواسع الواسعي، عنه.

(ح) وعن العلامة المؤرخ الشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي، عن محدث الحرمين العلامة الشيخ عمر حمدان المحرسي، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة السيد عبد الله التليدي، عن العلامة السيد محمد الباقر الكتاني، عن العلامة السيد محمد المهدي الكتاني، عنه.

* * *

❁ العلامة الفقيه اللغوي المتقن السيد: عبد الهادي نجا بن رضوان نجا بن محمد الأبياري الشافعي.

ولد في قرية الأبيار، بإقليم الغربية، سنة ١٢٣٦هـ ـ ١٨٢١م، وتوفي سنة ١٣٠٥هـ ـ ١٨٨٨م، وكان أول حضوره في العلم على يد والده، العلامة الجليل الشيخ رضوان نجا الأبياري، ومما درسه على والده في الحديث: الجامع الصغير وصحيح البخاري، والمواهب اللدنية، ودرس عليه في علم التفسير من تفسير الجلالين، وفي الفقه إلى المنهج، وفي النحو إلى الأشموني، وفي الفرائض والتوحيد وغيرهما جملةً. ثم إن والده توفي ليلة الجمعة، في رجب سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف، فجاء إلى الأزهر وجاور به إلى سنة

خمس وخمسين، وكانت سنه عند وفاة أبيه خمس عشرة سنة.

ولما أن نزل الأزهر الشريف لزم العلامة البرهان الباجوري، والعلامة محمد الدمنهوري، والبرهان إبراهيم السقا، والشيخ أحمد المرصفي، والشيخ مصطفى المبلط، والشيخ محمد التاودي، والشيخ الدمياطي، والجزائرلي، والشيخ محمد عليش شيخ المالكية، وطبقتهم.

ثم تصدر للتعليم في الجامع الأزهر الشريف، فدرَّس فيه صحيح البخاري، ومقامات الحريري، وحاشية الدمنهوري ت١٢٨٥هـ الصغري على الكافي في علمي العروض والقوافي، وذاع صيته في أنحاء القطر المصري، وكان يلقب في زمانه بـ(قاموس اللغة العربية)، لسعة اطلاعة، وتمكنه من هذا الفن، قال عنه العلامة علي مبارك باشا في: (الخطط التوفيقية): (الحبر الهمام، وفخر العلماء الأعلام، الإمام الأريب، واللوذعي الأديب، الشاعر الناثر، الحافظ الماهر، محط رحال الأدب، وقاموس لسان العرب)[١].

وقد عهد إليه الخديوي إسماعيل بتعليم أبنائه، وتولى منصب: (مفتي المعية الخديوية) في بلاط محمد توفيق باشا عزيز مصر، فقام بمهام هذه المرتبة إلى أن توفي.

فصل

كان ـ رحمه الله تعالى ـ من كبار الكتاب والمؤلفين في زمانه، صاحب صيت واشتهار، حتى قال إدوارد فنديك في: (اكتفاء القنوع): (وأشهر

(١) الخطط التوفيقية /٨/٩٠.

مصنفي هذا العصر هم: كرنيليوس فنديك، وناصيف اليازجي، وأحمد فارس الشدياق، ورفاعه بك الطهطاوي، وعبد الهادي نجا الأبياري، وبطرس البستاني، فلنذكرهم أولاً في فصل مخصص لهم، ثم لنذكر الآخرين مرتبين حسب المواضيع التي صنفوا فيها)[١].

قلت: وقد ترك نحوًا من أربعين مصنفًا، فضلًا عن الكتب التي اعتنى بتحقيقها وإخراجها وطباعتها.

فمن مؤلفاته: كتاب: (الكواكب الدرية، في نظم الضوابط العلمية) يشتمل على ضوابط في ثمانية فنون، وله عليه شرح سماه: (المواكب العلمية، في توضيح: الكواكب الدرية)، طبع في مصر سنة ١٣٠٤هـ.

ومنها كتاب: (سعود المَطالع، لسعود المُطالع، فيما تضمنه الإلغاز في اسم حضرة والي مصر من العلوم اللوامع) جزءان، تكلم فيهما على واحد وأربعين فنًا، وهو كتاب نفيس، طبع في البولاقية بمصر، سنة ١٢٨٣هـ.

ومنها كتاب: (القصر المبني، على حواشي المغني) وهو شروح وتعليقات على كتاب: (مغني اللبيب) لابن هشام، طبع منه جزءان.

ومنها كتاب: (الوسائل الأدبية، في الرسائل الأحدبية)، يقصد به صديقه العلامة اللغوي الشيخ إبراهيم الأحدب الطرابلسي المتوفى يوم ٢٢من شهر رجب ١٣٠٨هـ ـ الثاني من شهر آذار سنة ١٨٩١م، والذي نزل مصر سنة ١٨٧٢م، واجتمع بأعيان المصرين وعلمائهم، وأنشأ معهم صداقات شخصية حميمة، لاسيما العلامة الأبياري صاحب الترجمة، وبعد عودة الشيخ الأحدب إلى موطنه ربطت بينه وبين الشيخ الأبياري المراسلات التي جمعها

(١) اكتفاء القنوع ١/١٣٩.

الأبياري فيما بعد في كراس مستقل، وطبع بالعنوان السابق في القاهرة سنة ١٣٠١هـ.

ومنها كتاب: (النجم الثاقب، في المحاكمة بين البرجيس والجوائب)، ألف هذا الكتاب بسبب أن صاحبي: الجوائب والبرجيس اتخذاه حكمًا يفصل في المناظرات اللغوية التي قامت بينهما، وقد نظم أحمد فارس صاحب الجوائب قصيدته الدالية التي يقول فيها شاكرًا:

أبدى لنا في مصرَ نجمًا ثاقبًا	لكن ثناهُ بكل مصرٍ هادِ
فيهِ الفوائد والفرائد فُصّلت	موصولةَ البرهانِ بالإسنادِ
إن قال لم يترك لقوّالٍ مدّى	أو صالَ هالَ وطال كلَّ معادِ
هو فَيْصلُ في الفكر يرضى فصله	من لم يكن يقنع من الأشهادِ
لولاهُ لم يُقطعْ لسانُ المفتري	عني ولم يُفصل جدالُ بلادِ
فلذاك كان على الجوائب مدحُهُ	حقًّا وإيجابًا مدى الآبادِ

قلت: والذي يعرف قدر الأستاذ أحمد فارس الشدياق، وتمكنه من علوم اللغة، ويطالع كتابه: (الجاسوس، على القاموس)، وكتابه: (الساق على الساق، في معرفة الفارياق)، حتى لقد فضله الشيخ حسن أفندي السندوبي في كتاب: (أعيان البيان) على صاحب القاموس، ثم يرى خضوعه في هذه العلوم للشيخ عبد الهادي نجا الأبياري يدرك قيمة الأبياري، ومدى إحاطته بأسرار اللسان العربي، ومدى سبقه وتضلعه من فنون العربية، وعلومها الدقيقة.

ومنها كتاب: (راحة الحلواني) مخطوط، وهو رسالة في الرد على من انتقد كتاب: (الضوء الشارق) للعلامة السيد مصطفى البكري، يشتمل على تحقيقات في اللغة.

ومنها كتاب: (نشوة الأفراح، في شرح راحة الأرواح) مخطوط بخطه، قال الزركلي في: (الأعلام): (وراحة الأرواح قصيدة لمحمد الهراوي الشافعي، نظمها سنة ١٢٨٠هـ، وقد مرض بالوباء، متوسلا بطلب الشفاء)، ومنها كتاب: (العرائس الواضحة الغرر، في شرح المنظومة البدرية المسماة: جالية الكدر)، ومنها كتاب: (الفواكه الجنوية، في الفوائد والملتقطات النجوية) وهو مطبوع.

ومن مؤلفاته أيضًا في فنون اللغة: (نفحة الأكمام، في نظم ما ثلث من الكلام) طبعت على الحجر، وبآخرها رسالة أخرى اسمها: (طرفة الربيع، في نظم أنواع البديع).

ومن مؤلفاته منظومة اسمها: (حديقة البيان)، وقد شرحها بشرحين، اختصر أحدهما في كتاب سماه: (ثمرة المجاز والحقيقة، في شرح أبيات الحديقة)، وهو مخطوط.

ومن مؤلفاته: (سعود القران، في نظم مشترك القرآن)، وقد شرح هذا النظم العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي في كتاب اسمه: (تحفة الأقران).

ومن مؤلفاته: (البهجة التوفيقية، في اللغة والأدب)، (زهرة الحمدلة، في الكلام على البسملة)، (دورق الأنداد، في جمع أسماء الأضداد)، وشرحه في: (رونق الأسياد) نحو أربعين كراسة.

ومن مؤلفاته في الآداب والشمائل والمواعظ: (سرور الغني، شرح المولد الهني)، (زهرة الطلع النضيد، على إرشاد المريد) مخطوط في المكتبة الأزهرية بخطه، (زكاة الصيام، بإرشاد العوام) طبع.

ومنها كتاب: (فاكهة الإخوان، في مجالس رمضان)، وقد شرحه

الفاضل الشيخ إبراهيم المسيري المحلي الشافعي الأزهري ابن الحاج حسن بن الحاج علي بن أحمد المسيري في حاشية سماها: «منحة الباري، على مجالس الأبياري»، وفرغ من تبييضها يوم الثلاثاء، لستة عشر يومًا مضت من شوال سنة ١٢٩٤، وقد طبعت حاشيته في ربيع الثاني من سنة ١٣١٧هـ. ومن مؤلفاته الفلسفية: (باب الفتوح، في معرفة أحوال الروح) طبع في المطبعة الخيرية ١٨٨٦م.

ومن مؤلفاته الفقهية: (الثغر الباسم، في مختصر حاشية الباجوري على ابن قاسم).

ومن مؤلفاته في الحديث الشريف وعلومه: (نيل الأماني، في توضيح مقدمة القسطلاني على شرحه لصحيح البخاري)، (رشف الرضاب) في المصطلح، ثم شرحه في كتاب اسمه: (كشف النقاب)، (حجة المتكلم، على متن مختصر النووي لصحيح مسلم) نحو خمسين كراسة، (صحيح المعاني، شرح منظومة البيباني) في المصطلح.

كما أنه قام بطباعة عددٍ من الكتب القيمة بعنايته وتعليقاته، فمنها: كتاب: (الحصن الحصين) لابن الجزري، طبعه مع تقريرات له على الحجر في مصر سنة ١٢٧٧هـ، ومنها كتاب: (البيان، في التمدن وأسباب العمران) تأليف رفيق بك العظم ت١٣٤٣هـ، فقد صححه وهذبه العلامة الأبياري، وطبع في مطبعة الأعلام سنة ١٣٠٤هـ، ومنها كتاب: (سحر العيون) في الغزل، لمؤلف مجهول، اعتنى بطبعه، فطبع في القاهرة سنة ١٢٧٦هـ.

* * *

فصل

وقد كان العلامة الأبياريُّ واحدًا ضمن كوكبة من العلماء اللغويين الأفذاذ، الذين حفظ الله تعالى بهم اللغة العربية وعلومها وآدابها وفنونها أوائل القرن الماضي، وكان نشاط هذه الكوكبة تأليفًا، وكتابةً، ومطارحةً، ومشاركةً في الشأن العام، هو الجذوةَ التي بقيت بسببها العربية إلى يومنا هذا.

فمنهم: العلامة نصر الدين الهوريني المتوفى سنة١٢٩٠هـ صاحب: (المطالع النصرية، في المطابع المصرية).

ومنهم: العلامة الشيخ حمزة فتح الله توفي ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٦هـ ـ ١٩من فبراير سنة ١٩١٦م، صاحب كتاب: (المواهب الفتحية، من علوم العربية)، وصاحب: (الأصل والبيان، لمعرب القرآن).

ومنهم العلامة الشيخ حسين بن أحمد المرصفي ت ١٣٠٧هـ ـ ١٨٨٩م صاحب كتاب: (الوسيلة الأدبية).

ومنهم العلامة: سيد بن علي المرصفي ت ١٣٤٣هـ ـ ١٩٣١م صاحب: (رغبة الآمل، من كتاب الكامل)، بالإضافة إلى شروحه على الحماسة، والأمالي، والعقد الفريد، ولم يطبع منها إلا: (رغبة الآمل).

ومنهم العلامة محمد محمود التركزي الشنقيطي ت ١٣٢٢هـ، صاحب: (الحماسة السنية، في الرحلة العلمية)، ضمنها شيئًا من أخباره وقصائده، وصاحب: (عذب المنهل) أرجوزة، وصاحب: (إحقاق الحق)، حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليمني، بين فيها أغلاطه، وصحح بعض الأوهام

الواقعة في الطبعة البولاقية من: (الأغاني) فنشرت تصحيحاته بكتاب سمي: (تصحيح الأغاني).

ومنهم العلامة محمد بك المويلحي ت١٩٣٠م صاحب كتاب: (حديث عيسى ابن هشام) وهو مشهور.

ومن أواخر هذه الطبقة: العلامة أحمد تيمور باشا ت١٣٤٨هـ، والأديب الكبير الأستاذ الشيخ مصطفى صادق الرافعي، ثم العلامة اللغوي الضليع، والأديب الكبير، شاعر البادية الشيخ محمد عبد المطلب الباصوني ت١٣٥٠هـ رحمه الله تعالى، والعلامة أحمد زكي باشا شيخ العروبة ت١٣٥٢هـ.

وآخر هذه الطبقة في نظري، من حيث اتساع دائرة المعرفة باللسان العربي، والإحاطة والفهم لألفاظ اللغة وتراكيبها، وإدراك نسق اللغة، والتغلغل إلى أعماقها، وفهم أسرارها، والغيرة عليها، هو العلامة الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله تعالى، قال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ وهو من هو ـ في كتاب: (صفحات من صبر العلماء): (العلامة الأديب الكبير، والمحقق الضليع، أحد أركان العلم بالعربية وآدابها في هذا العصر الأستاذ محمود شاكر)[1].

وواكبهم في الشام إبراهيم اليازجي، وأحمد فارس الشدياق، وأمير البيان شكيب أرسلان، وفي العراق: الشهاب الألوسي ت١٢٧٠هـ، وحفيده محمود شكري الألوسي ت١٣٤٣هـ، والأب أنستاس ماري الكرملي، وغيرهم.

وقد أنفق كل واحد من المذكورين عمره في خدمة اللغة، والانكباب

(١) صفحات من صبر العلماء /ص٣٧٧.

على مطالعة دواوينها، والغوص على أسرارها وأنساقها، حتى قال الأب أنستاس الكرملي مثلًا: (ونحن نشتغل بهذه اللغة الشريفة العدنانية، منذ أكثر من خمسين عامًا)[1].

وانتبه أيضًا إلى ظهور عدد من الشعراء الكبار في تلك الفترة، وهم من الذين أسهموا في بعث اللغة، قال العلامة محمود شاكر في: (أباطيل وأسمار): (واقترن وجود المرصفي، بظهور شاعر فذ، نقل اللغة يومئذ من حال إلى حال، فأسقط عن الهمم تلك الأغلال التي كانت تمسكها إلى الأرض، وتقعدها بالعجز عن توهم إدراك الأوائل، في نصاعة العبارة، وتجويد الشعر، وهو الإمام محمود سامي البارودي، المولود سنة ١٨٤٠م، وظهر اسمه وشعره في نحو هذا الوقت، أي ١٨٧٠م، وبدأت العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوتها، وانطلقت الألسنة من عقال العجز، بفضل هذين الرجلين)[2].

قلت: ومما دفع هذا الاتجاه الناهض في إحياء اللسان العربي وآدابه وعلومه وفنونه نشاط المطابع في إخراج كتب العربية الكبرى، على ما رصده العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي في كتابه القيم المهم: (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي).

وقد كانت الفترة التي عاش فيها هؤلاء الأعلام فترة تحولات عميقة وشاملة في الفكر، والثقافة، والانتماء، ونمط المعيشة، ونظم الإدارة، وغيرها.

وفيما يتعلق باللغة العربية خصوصًا فلقد كانت هناك ـ في تقديري

(١) أغلاط اللغويين الأقدمين /ص٦.
(٢) أباطيل وأسمار /ص١٦١.

وتأملي ـ ظواهر أربعة مهمة، تشكل أذرع التحول وآلياته، منها: قضية العامية، وقضية تطوير النحو، وقضية المناهج الأدبية الغربية، وقضية البلاغة العربية، لا سيما وقد دخل الاحتلال الإنجليزي إلى مصر في تلك الفترة، فقد وقعت مصر تحت الاحتلال سنة ١٨٨٢م ـ ١٣٠٠هـ.

أما قضية العامية فقد دعا إليها المستشرق الألماني ولهلم سبيتا، وألف سنة ١٨٨٠م كتابه: (قواعد اللغة العربية العامية في مصر)، وبعده كارل فولرس في كتابه: (اللهجة العربية الحديثة)، وبعده المستشرق الإنجليزي سلون ولمور في كتابه: (العربية المحلية في مصر).

وبعدهم السير وليم ويلكوكس، وهو أشدهم وأعنفهم هجومًا على اللغة العربية، وقد ربط كل تخلف وتدهور يعانيه المصريون بلغتهم العربية، وتبعه على ذلك عدد من المثقفين من أمثال الأستاذ محمد عثمان جلال، وإسكندر معلوف، وعبد العزيز فهمي باشا، وكان في مقابل هؤلاء خليل اليازجي، وحافظ إبراهيم، ومصطفى صادق الرافعي، وعباس العقاد، وقد رصدت تلك الظاهرة بكل أطوارها وتداعياتها الدكتورة: نفوسة زكريا في كتابها: (تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر)، ثم العلامة محمود محمد شاكر في (أباطيل وأسمار)، وللعلامة أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري أيضًا كتاب: (معركة العامية) وهو مطبوع.

وأما قضية النحو العربي فقد هاجمه بشدة جرجس الخوري المقدسي سنة ١٩٠٤م، وقاسم أمين الذي دعا إلى تسكين أواخر الكلام العربي، وتابعه الدكتور إبراهيم أنيس الذي تحمس لقضية تسكين أواخر الكلم.

وكتب إبراهيم مصطفى سنة ١٩٣٧م كتابه: (إحياء النحو)، وتابعه

عبد الرحمن أيوب وغيره، وقدم شوقي ضيف مقترحات إلى مجمع اللغة العربية بشأن تجديد النحو، وفي سنة ١٩٣٨م قامت وزارة المعارف بدراسات موسعة حول قضية تجديد النحو، جاءت بعدها محاولة أخرى وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٧م، وفي تلك الفترة قام مجمع اللغة العربية بدراسة مقترحات وزارة المعارف، ومقترحات شوقي ضيف، وأصدر فيها قرارات، قبل فيها بعض مقترحاتهم ورفض البعض الآخر.

بالإضافة إلى محاولات لبعض علماء الأزهر، مثل العلامة الشيخ محمد أحمد عرفة، فقد رد على كتاب: (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى في كتاب مهم اسمه: (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة)، وقد طبع قديمًا في مطبعة السعادة.

ومثل الشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتابه: (النحو الجديد)، إضافة إلى دراسات وبحوث لعلماء كلية دار العلوم.

ثم اطلعتُ بعد ذلك على كتاب اسمه: (النحو العربي بين الأصالة والتجديد، دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النحوية) للدكتور عبد المجيد عيساني، وفيه أيضًا رصد وتتبع لمحاولات تجديد النحو، وقد اطلعت أيضًا هنا مؤخرًا أيضًا على كتاب اسمه: (قضايا اللغة العربية في العصر الحديث) تأليف الدكتورة سمر روحي الفيصل، وقد طبع في مركز الشيخ زايد للتراث.

ثم رأيت بعد ذلك مقالًا جيدًا للدكتورحسن العايب، الأستاذ في جامعة منتوري في قسنطينة، وعنوان مقاله: (إسهامات المجامع اللغوية العربية في تيسير النحو، دراسة نقدية في ضوء التراث النحوي العربي)، وهو منشور في

مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الصادرة عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الأمير عبد القادر[1].

وأما قضية المناهج الغربية في النقد الأدبي فقد تبلورت على يد مرجليوث، في مقال له حول الشعر العربي، مال فيه إلى قضية الانتحال، والتقطها منه الدكتور طه حسين، فتبناها في محاضراته وكتبه، وبناء عليها ألف كتابه: (في الأدب الجاهلي) الذي أصدره سنة ١٩٢٤م، وكتابه عن المتنبي، وناقشه في ذلك الشيخ محمود شاكر في كتابه: (مع المتنبي)، وفي كتابه: (نمط صعب، ونمط مخيف)، وفي كتابه: (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)، وفي كتابه: (أباطيل وأسمار) وغيرها من كتبه.

وهناك طبقة مزجت النقد العربي بالمناهج النقدية الغربية، من أمثال جورجي زيدان، والأستاذ العقاد في كتاب: (الديوان في الأدب والنقد)، وكان في مقابله الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه: (على السفود).

وللشاعر الأستاذ العوضي الوكيل كتاب مستقل حول قضية السفود، وهو مطبوع، إلا أن العوضي الوكيل من مدرسة العقاد، وله كتابٌ عنه.

وقد انتصر للعقاد أيضًا الأستاذ سيد قطب في عدة مقالات له، هاجم فيها الرافعي، فرد عليه العلامة الأديب الكبير محمود محمد شاكر في عدة مقالات انتصر فيها للرافعي، وأتى فيها بفوائد وقواعد نفيسة في الأدب والنقد.

قال الدكتور قصي الحسين في كتابه: (النقد الأدبي ومدارسه عند العرب): (لعل النصف الأول من القرن العشرين، شهد أربعة تيارات نقدية

(١) مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الخامس، الصادر في ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، الموافق مايو ٢٠٠٥ /ص٣٩٧.

كبرى، كان لها أثرها البارز على مسار الحركة الشعرية المعاصرة والحديثة، وهذه التيارات التجديدية هي: تيار خليل مطران، ويضم خليل شيبوب، وأحمد زكي أبو شادي، تيار الشعراء الثلاثة الذي أطلق عليه اسم مدرسة الديوان، وهم: عبد الرحمن شكري، وعباس محمود العقاد، وعبد القادر المازني، ومدرسة المهجر: وتضم ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، وجبران خليل جبران، التيار التقليدي بما دخل عليه من تجديد في ظهور المسرحيات الشعرية لشوقي، والشعر التجديدي والمرسل عند الزهاوي والرصافي)[1].

وأما قضية البلاغة العربية فقد كان للشيخ أمين الخولي ـ رحمه الله تعالى ـ بحوث حول البلاغة العربية، وكان يميل إلى أنها جزئية، وذلك في كتابه: (فن القول)، وفي كتابه: (مناهج تجديد) وغيرها من كتبه.

فصل

تعرض أستاذنا العلامة الأديب المؤرخ محمد رجب البيومي للبحث في تأثر العلامة الكبير الشيخ سيد بن علي المرصفي ت١٣٤٢هـ صاحب: (رغبة الآمل) بشيخه العلامة عبد الهادي نجا الأبياري، لا سيما وقد اتفقت كلمة العارفين بالمرصفي على تلمذته للأبياري وانتفاعه به، فذهب أستاذنا البيومي إلى أن هناك فوارق منهجية ضخمة، بين منهجي الرجلين في دراسة الأدب، وأطال في بيان ذلك، إلا أنه لم ينصف الشيخ الأبياري.

فقال شيخنا في كتاب: (النهضة الإسلامية): (وأنت حين تحاول أن تدرس

(١) النقد الأدبي ومدارسه عند العرب /ص١٩٣/.

الخطوط الأولى لحياة الشيخ، لا تجد ما تطمئن إليه، مما كتب عنه، أو تناقله تلامذته، فجميع من حدثتهم عن نشأته العلمية يذكرون أنه تتلمذ في الأدب على السيد عبد الهادي نجا الأبياري، أحد علماء الأزهر وأدبائه، وأنه تأثر به تأثرا دفعه إلى الإكباب على دراسة آثار السلف المتقدم في اللغة والشعر.

وأنا شخصيًّا ـ وقد أكون مخطئًا ـ لا أستطيع أن أقر ذلك، إذ أن ما لدينا من إنتاج الأستاذ الأبياري شعرًا ونثرًا وتأليفًا، يخالف منهج المرصفي ومنحاه، بل يقف منه موقف النقيض من النقيض، فنثره مثقل بالبديع المستكره، وشعره نمط من الطراز المملوكي في سطحيته وتكلفه، وتآليفه ضرب من الثقافة الغابرة، التي تفضل القشور على اللباب.

ويكفي أن تعرف أنه أصدر كتابًا في مجلدين كبيرين، جعله يدور على لغز ذهني في اسم الخديوي إسماعيل، ثم استطرد فذكر فنونًا من القول، لا يجمعها في نطاق واحد غير التكلف والإرهاق.

وقد يكون الرجل معذورًا فيما يصنع، لأنه يمثل ثقافة عهده، واتجاه معاصريه، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن يتخرج على يديه أديب فحل مطبوع كالمرصفي العظيم.

وربما أكب على حلقات أستاذه في طفولته الأدبية، ثم بدا له أن يتحول عنها دون أن يترك أثرا ما في اتجاهه ومشربه، وكم من تلاميذ شافهوا بعض الأساتذة دون أن ينتفعوا بمذهبهم في الرأي، ونظرتهم للعلم)[1].

ثم ذهب أستاذنا البيومي إلى أن السيد المرصفي تأثر في الحقيقة بالعلامة الحسين المرصفي صاحب: (الوسيلة الأدبية)، وكان العلامة حسن السندوبي

(١) النهضة الإسلامية /١/٢٧٢/.

قد عقد ترجمة جيدة للعلامة عبد الهادي نجا الأبياري، في كتابه المهم (أعيان البيان، من صبح القرن الثالث عشر إلى اليوم)[1]، لكنه حين تعرض للكلام على إنشاء الأبياري انتحى ذلك المنحى الذي مال إليه شيخنا العلامة البيومي.

وقد سبق الكلام في مطالع كتابنا هذا على الحواشي، وطريقة التصنيف المألوفة في ذلك الزمن، وأنها له دور محدد، ومجال علمي تعبر عنه.

وكان الدكتور عبد العزيز الدسوقي في كتابه: (حسين المرصفي) قد ألمح إلى احتمال وجود تأثر من الحسين المرصفي بالأبياري، وإن كان لا يجزم بذلك، قال: (ثم إن كلمة الوسيلة والوسائل كانت شائعة على ألسنة الأدباء والمؤلفين في عصر المرصفي، وخاصة بين الأدباء الذين درسوا في الأزهر الشريف.

وقد أتيح لي أن أقرأ كتابًا صغيرًا في دار الكتب بعنوان: الوسائل الأدبية، في الرسائل الأحدبية للشيخ نجا الأبياري الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٥هـ، وكان معاصرًا للمرصفي، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل التي كان يتبادلها مع بعض أدباء العصر في مصر والشام، ومعظمها رسائل متبادلة بينه وبين السيد إبراهيم الأحدب، أحد أدباء الشام، ولهذا سميت بالرسائل الأحدبية.

ولا يمكن أن أتهم أحدًا بأنه تأثر بالآخر أو أخذ عنه هذا العنوان؛ لأن الثقافة العربية والإسلامية التي درساها تعرف هذه الألفاظ، والأولى أن يأخذ كل منهما من النبع الذي استقى منه ثقافته الأصلية)[2].

(١) أعيان البيان/ص٢٢٢/، ط: المطبعة الجمالية، بحارة الروم، مصر، سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م.
(٢) كتاب: حسين المرصفي /ص٢٤/.

فصل

يروي العلامة الأبياري عن: ١ ـ شيخ الإسلام البرهان الباجوري ت١٢٧٧هـ، ٢ ـ ومحمد الدمنهوري، ٣ ـ ومصطفى المبلط، ٤ ـ ومحمد التاودي، ٥ ـ وفتح الله الخلوتي، ٦ ـ وعبد الغني الدمياطي، ٧ ـ والشبيني، ٨ ـ والجزايري، ٩ ـ ومحمد عليش، ١٠ ـ والبرهان السقا ت١٢٩٨هـ، ١١ ـ ومحمد الأمير الصغير ت١٢٤٦هـ، ١٢ ـ والحسن العدوي الأزهري، ١٣ ـ ومحمد الفضالي، ١٤ ـ ومحمد بن أحمد المرصفي، ١٥ ـ وأحمد العدوي، ١٦ ـ والحسن بن سرور القويسني، ١٧ ـ وعن عبد القادر بن عبد السلام بن عبد الوهاب الطرابلسي نزيل الاسكندرية والمتوفى بها سنة ١٢٩٧هـ، وهو عن جماعة منهم: الحسن بن حمزة ظافر المالكي الأزهري، عن السيد أبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي بما في أثباته، ١٨ ـ وقد روى الحديث المسلسل بالأولية عن السيد عمر بن سودة المري الفاسي، عن عبد السلام الأزمي، عن ابن الطالب التاودي، عن أحمد بن مبارك صاحب «الإبريز»، عن حسن اليوسي، عن الإمام الزرقاني، عن علي الأجهوري، وروى «المسلسل بالمصافحة» عن السيد عمر بن سودة المري، عن محمد بن علي السنوسي، ١٩ ـ ومنهم والده العلامة رضوان نجا الأبياري، وهو عن الأمير الكبير بما في ثبته، وعن أبي البركات أحمد الدردير ت١٢٠١هـ، بما في ثبته، والعلامة الصبان وغيرهم.

وكان شيخ علماء ليبيا العلامة الفقيه الجليل محمد كامل بن مصطفى بن محمود بن يوسف الطرابلسي الحنفي ت١٣١٥هـ قد أرسل بيتين من الشعر إلى العلامة الأبياري يستدعي فيهما الإجازة، فأجازه العلامة الأبياري نظمًا، وذكر في نظمه أسماء شيوخه في الرواية، قال العلامة محمد مصطفى:

(يامن غدا في العلم فردَ زمانه ... يامن بدا كالشمسِ في الأقطار
أرجوك منح إجازةٍ أشفى بها ... مِنْ عِلَّتِي يا سيدي الأبياري)

فأجابه العلامة الأبياري بمنظومة طويلة منها قوله:

(وأقول ممتثلا أجزتك بالذي ... أروي من الأخبار عن أخيار
من كل منقول ومعقول تصح ... روايتي فيه بلا استنكار
كالستة الكتب الصحاح وكالشفا ... وجميع ما أروي من الآثار
عن سادةٍ غرٍّ كشيخي والدي ... بل سيدي رضوانِ الأبياري
عن شيخه الحبر الأمير وثبْته ... بادٍ كنارٍ فوق رأس منار
وكذلك الدردير والصبان ثم ... الجوهرِيْ، والنهج والتذكار
وكشيخنا الباجورِ عن أشياخه ... والحبر فتح الله ذي الأسرار
وكشيخنا عبد الغني الدمياطِ والمـ ... ـهدي بنِ سودة صاحب الأنوار
فالله ينفحنا بنفحة سرهم ... وبكم يديم النفع في الأقطار
ثم الصلاة على النبي وآله ... ما سار في جنح الدجنة سارِ)

قلت: وأنا أروي ـ تدبيجًا ـ بسندٍ مسلسلٍ بالليبيين الطرابلسيين عن صديقنا العلامة الشيخ عارف بن علي بن أحمد النايض الطرابلسي المطرفي الوُرْفَلِّي، عن العلامة الشيخ عبد السلام البزنطي، عن العلامة الشيخ المهدي بو شعالة، عن العلامة الشيخ عبد الرحمن البوصيري، عن العلامة محمد كامل بن مصطفى، عن العلامة الأبياري بموجب الإجازة المذكورة.

(ح) وأروي عن شيخنا العلامة الفقيه المتفنن الشيخ عبد السلام بن محمد البزنطي الطرابلسي مباشرةً بسنده المذكور.

(ح) وأروي من طريق السيد الحسن بن الصديق الغماري، عن الحافظ السيد أحمد بن الصديق، عن العلامة محمد بن علي بن محمد الشريف زغوان الطرابلسي، عن العلامة الشيخ عبد الرحمن الأخضري البوصيري القدامهي، عن شيخ الشيوخ العلامة محمد كامل بن مصطفى بأسانيده ومروياته.

ونروي أيضًا مرويات العلامة الأبياري من طريق شيخنا سماحة العلامة الجليل الإمام الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، عن العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري، عن محمد دويدار الكفراوي التلاوي، عنه رحمه الله.

(ح) ومن طريق الشيخ عبد المجيد بن خليل الشريف والعلامة الشيخ حسن محمود الشافعي، كلاهما عن محمد الحافظ التيجاني، عن العلامة السيد علي سرور الزنكلوني الأزهري ت١٣٥٩هـ، عنه.

* * *

۞ الإمام العارف التقي المعمر السيد: عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازى العفيفي المرزوقي المالكي.

هو عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي بن عبد القادر ابن أبي العباس بن مدين بن أبي العباس بن عبد القادر بن أبي العباس بن شعيب بن محمد بن عمرالمرزوقى العفيفى، بن سيدى مرزوق الكفافي، بن أحمد بن عيسى بن محمد بن داود بن أبي داود محمد بن يحيى السويقي بن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن رضي الله عنه ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه والسيدة فاطمة الزهراء»، بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولد بمنية عفيف، إحدى قرى مصر، ونشأ بها على صلاحٍ وعفة، ولما ترعرع قدم إلى مصر، فحضر على شيخ المالكية في عصره الشيخ سالم النفراوي في مختصر خليل، وحضر دروس الحديث على العلامة الشيخ أحمد بن مصطفى السكندري الشهير بالصباغ، ولازمه كثيرًا حتى عُرِف به، وحضر تفسير البيضاوي كاملًا على العلامة السيد محمد البليدي، بل كان له محبةٌ وتعلقٌ بالشيخ البليدي، حتى إن العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير تكلم في ثبته: (سد الأرب) على العلامة السيد البليدي، ووصف شيئًا من دروسه، ثم ذكر السيد عبد الوهاب العفيفي، وأنه كان ممن يحضر دروس شيخه البليدي، وكان البليدي يحبه ويستبشر به، قال الأمير في: (سد الأرب): (وكان ممن يحضر مجْلِسَ السيدِ ـ يعني البليدي ـ الشيخُ الصالحُ المعتقدُ العابدُ، مربي المريدين، الشيخُ عبدُ الوهاب العفيفيُّ المرزوقيُّ، وكان السيد ـ يقصد البليديَّ ـ يتباشر بحضوره، ويتبرك به، نفعنا الله بالجميع)(١).

ومما يدلك على ذلك أن العلامة المرادي قال في ترجمة العلامة محمد البليدي من: (سلك الدرر): (وكان يقرأ تفسيرَ البيضاوي في الجامع الأزهر، ويحضر درسه أكثر من مائتي مدرس ومفيد، وكان الأستاذ وليّ الله عبد الوهاب العفيفي يلازم درسه)(٢).

ومن جملة ما سبقَ يتضحُ لك الإبهام الواقع في هذا الموضع في النسخة التي أخرجها مسند العصر الشيخ ياسين الفاداني من ثبت العلامة الأمير، فقد وردت العبارةُ مبهمةً، توهم أن السيد البليديَّ كان يحضر مجلس السيد

(١) سد الأرب، من علوم الإسناد والأدب /ص٧/.
(٢) سلك الدرر، في أعيان القرن الثاني عشر /١٣٠/٤/ ط: دار صادر.

العفيفي والأمر ليس كذلك، وقد طالعت عدة نسخ مخطوطة من ثبت الأمير، حتى رأيت نسخةً كُتِبتْ سنة ١٣٠٥هـ بخط الشيخ محمد إبراهيم القاياتي، فإذا به قد وضع بالقلم علامة الضم على كلمة: (الشيخ)، تنبيهًا على أنها فاعلُ الحضور، فتأمل.

ومن شيوخ المترجم أيضًا: العلامة الشيخ الكنكسي، والعلامة الشيخ محمد التهامي، وهو شيخه في التربية والسلوك والزهد.

وكان من شأن العارف العفيفي أن أقبل على العبادة، وقطن بالقاعة بالقرب من الأزهر، بجوار مدرسة السنانية، قال الجبرتي في تاريخه: (وكان كثير الزيارة لمشاهد الأولياء، متواضعًا، لا يرى لنفسه مقامًا، متحرزًا في مأكله وملبسه، لا يأكل إلا ما يؤتى إليه من زرعه من بلده، من العيش اليابس مع الدقة، وكانت الأمراء تأتي لزيارته، ويشمئزُّ منهم، ويفر منهم في بعض الأحيان، وكل من دخل عنده يقدم له ما تيسر من الزاد، من خبزه الذي كان يأكل منه، وانتفع به المريدون، وكثروا في البلاد، ونجبوا، ولم يزل يترقى في مدارج الوصول إلى الحق)(١).

قلت: وكان صاحبُ الترجمة يعقدُ دروسًا لإقراء صحيح مسلم، وقد حضرها جماعةٌ من الأكابر، منهم الحافظ محمد مرتضى الزبيدي، كما أنه قد تتلمذ له جماعةٌ من الأكابر، منهم: العلامة أبو العرفان محمد بن علي الصبان ت١٢٠٤هـ، ومنهم: محمد أبو الأنوار بن يوسف بن أبي التخصيص عبد الوهاب بن أبي الأسعاد يوسف الوفائي القرشي المغربي الأصل المصري الدار المالكي المذهب شيخ السجادة الوفائية بمصر المتوفى سنة ١٢٢٨، ومنهم: الشريف

(١) تاريخ الجبرتي /٣٠٢/١/.

الصالح المرشد السيد محمد هاشم الأسيوطي، ومنهم: أبو عبد الله محمد ابن الهادي مدينه ـ به عرف ـ التطواني، ومنهم: العلامة الكبير الإمام محمد بن محمد بن عبد القادر الأمير الكبير ت١١٣٢هـ، ومنهم إبراهيم السكندري الشريف، وكان شديد الملازمة له، ت١١٨٤هـ.

ومن أجل تلامذته العلامة الحافظ السيد محمد مرتضى الزبيدي، فقد حضر دروسه في صحيح مسلم، وكان يكثر التردد عليه، وترجم له في: (المعجم المختص)، وفي: (ألفية السند). قال الحافظ مرتضى في: (ألفية السند):

ومنهم الصوفيُّ ذو التشريف ... من نسل مرزوقٍ هو العفيفي
العابدُ الوهابِ، قطبُ عصره ... تِرْبُ التقى الأسمى، فريدُ دهره
أبوه يُسْمَى عابدَ السلام ... وجده أحمد ذو الإنعام
ذو الفضل والتأييد والعرفان ... والمجد والتسديد، عالي الشان
مستغرق الأوقات في العباده ... أوحد من لقيت في الزهاده
شهدت في مجلسه أعواما ... وفزت من صحبته إنعاما
وكان بي برًّا رؤوفًا يعتني ... يتحفني بكل تلميح سني
واتفق السماع لي عليه ... في بعض ما يَقْرونه لديه
أجازني من لفظه وشرّفا ... فانتظم السلك ووقتي قد صفا
وهو روى عن شيخه السكندري ... أي: أحمد الصباغ، بدر الأزهر
وسالم بن أحمد العلامهْ ... فقيه مصر، الماجد، الفهامه
ويوسف بن ناصر الإمام ... والسيد البكري ذي الإنعام

والمسند الصعديّ: إدريس العلا ... وغيرهم من سادة أجلا
كشيخه محمد التهامي ... قطب الكمال مرشد الأنام
سليل أقطاب بلا نكران ... عزيز أنجاب ذوي العرفان
عنه روى الأحزاب والطريقهْ ... وفاز من شهوده الحقيقهْ
وكان لا يرى برفع القيد ... ملازما لشيخنا البليدي
قد عمر الله به الأطوارا ... فقدس الله له الأسرارا

وقد توفي الشيخ في الثاني عشر من صفر سنة ١١٧٣هـ، وصُلِّي عليه بالجامع الأزهر الشريف، وقد نقل جثمانه بعد وفاته بسبع سنوات إلا أشهر، فكان جسده طريًّا لم يتغير.

وكان من ذرية صاحب الترجمة السيد عبد الخالق، والسيد عبد البر، والسيد إبراهيم، وهو الذي جلس مكان أبيه بعد وفاته في إرشاد الناس وتعليمهم، وقد توفي في أواخر شعبان سنة ١١٧٣هـ في بلدته منية العفيف، ودفن بها، كما كان لصاحب الترجمة أخ اسمه الشيخ علي بن عبد السلام العفيفي، ولد سنة ١١١٩هـ، ولم أعرف تاريخ وفاته، وكان صاحب صلاح وتقوى، ولديه مروءة وحسن خلق.

ومما أردت التنبيه إليه في حق المترجم قول العلامة المرادي في: (سلك الدرر): (رآه العلامة عيسى البراوي في عرفات، حين حج، مع أنه لم يخرج من مصر، وله غير ذلك من الكرامات التي لا تعد)[١]، وأقول: إن هذا غير مسلم، فقد نص الجبرتيُّ في تاريخه على أن الشيخ العفيفيَّ قد: (حج، وأنه لقي

(١) سلك الدرر ٣/١٦٠.

بمكة الشيخ إدريس اليماني فأجازه)، والجبرتي أخبر وأعلم بأحوال المترجم.

ومن الأوهام في حق المترجم أيضًا أن العلامة المرادي في: (سلك الدرر) جعله شافعيَّ المذهب، وهو خلاف ما نص عليه الحافظ مرتضى الزبيدي في: (المعجم المختص)، والجبرتي في تاريخه، فقد جعلاه مالكيًا، والمرتضى الزبيدي تلميذه المباشر، فهو أخبر بأحواله من المرادي.

يروي عن: ١ ـ العلامة أحمد بن مصطفى الصباغ السكندري ت١١٦٢هـ بما في ثبته، وهو عن جماعة منهم: البرهان إبراهيم الفيومي، وعبد الله بن سالم البصري، والعلامة النخلي، ومنصور المنوفي، ومحمد بن عبد الله المغربي، والشمس محمد زيتونة التونسي البصير، ومحمد بن أحمد البديري الشهير بابن الميت، ومحمد عبد الباقي الزرقاني، وتاج الدين القلعي، ومحمد بن عبد الله السجلماسي، والشهاب أحمد النفراوي وغيرهم.

ويروي أيضًا عن: ٢ ـ العلامة الفقيه سالم بن أحمد النفراوي المالكي الضرير ت١١٦٨هـ، وهو عن بلديّه الشيخ أحمد النفراوي، وسيدي محمد الزرقاني وطبقتهما، ٣ ـ العلامة يوسف بن ناصر، ٤ ـ العلامة السيد البكري، ٥ ـ العلامة إدريس اليماني الصعدي.

نروي مروياته من طريق شيخنا محمد سعد بدران الدمياطي، عن محمد بهاء الدين أبي النصر القاوقجي، عن أبيه، عن محمد البهي الحسيني، عن الحافظ مرتضى الزبيدي، عنه.

* * *

❁ فضيلة العلامة الشيخ: عبد الوهاب بن عبد اللطيف بن عبد الله الحسيني الديروطي المالكي الأزهري.

ولد في ديروط الشريف بصعيد مصر، في ١٣٢٤/٦/٢٥هـ، الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٦م، ونشأ في رعايةِ أسرةٍ كريمة، معروفةٍ بالصلاح والعلم والولاية، فوالده هو العالم الزاهد المتعبد الشيخ عبد اللطيف الديروطي، المتوفى مغرب يوم السبت، الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٠هـ ـ ١٩٣٩م، كان من العلماء الصالحين، يصوم الدهر ويقوم أكثر الليل بالنوافل، مع كثرة الإنفاق ورعاية الفقراء والأيتام، وجده هو الشيخ التقي الزاهد الشيخ عبد الله الديروطي المتوفى سنة ١٣٢٥هـ.

نشأ صاحب الترجمة في كنف الصلاح والفضل، ثم حضر على عدد من كبار علماء الأزهر منهم العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي، ومنهم الشيخ يوسف الدجوي، ومنهم الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر الشريف، ومنهم العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي، وتخرج من الأزهر الشريف، وحصل على العالمية، وعمل أستاذا بكلية الشريعة، حتى عين وكيلا لكلية أصول الدين.

من مؤلفاته: (المختصر، في علم رجال الأثر)، (المعتصر، من مصطلحات أهل الأثر، من أهل السنة، والشيعة الإمامية والزيدية)، وأخرج كتاب: (تدريب الراوي) للحافظ السيوطي إخراجًا جيدًا، وكذلك (الموطأ) برواية محمد بن الحسن الشيباني، و(التكملة، في تواريخ العلماء والنقلة)، وعلق على طبعة من تقريب التهذيب لابن حجر، وأشرف على تحقيق نسخة من (تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي)، وكتاب: (مفتاح الوصول) لابن

التلمساني، وأشرف مع الشيخ عبد السميع أحمد إمام في إخراج الجزء الأول من كتاب: (الذخيرة) للقرافي، وغير ذلك كثير.

وكانت له علاقات علمية طيبة بالعلماء والأكابر من المصريين والوافدين، من أمثال العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، والعلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والعلامة السيد عبد الله الصديق الغماري، والعلامة السيد محمد الباقر الكتاني، وغيرهم كثير.

وكانت له صداقة أكيدة مع الكتبي المشهور الأستاذ زكي مجاهد، حتى ترجم له زكي مجاهد ترجمة موجزة عابرة في كتابه: (الأخبار التاريخية)[1]، وقال عنه: (وكان من العلماء المشتغلين بالعلم ونشره، والتأليف، وتحقيق الكتب الدينية، والتخصص في علوم الحديث النبوي الشريف ونشره).

وقد توفي الشيخ إلى رحمة الله تعالى يوم ٢ مايو سنة ١٩٧٠م، ودفن في بلدته ديروط الشريف، والله يرحمه بواسع رحمته.

يروي عن: ١ ـ العلامة السيد محمد الباقر ابن الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني، وأسانيده في ثبته: (غنية المستفيد، بذكر أصح الأسانيد)، وهو مطبوع.

وقد ساقه فضيلة الشيخ محمد عبد الله الرشيد في كتابه: (الإمام الكوثري وإسهاماته في الرواية) ضمن المجازين عن الكوثري، فراجعت الشيخ الرشيد في ذلك لأتثبت، فأخبرني أن لم ير التنصيص على ذلك، بل استخرجه من عدة قرائن.

(١) الأخبار التاريخية، في السيرة الزكية/ص١٢٠.

نروي مروياته من طريق شيخنا سماحة الإمام الشيخ علي جمعة، عن العلامة الشيخ محمد زكي إبراهيم، عنه.

(ح) وعن شيخنا العلامة القارئ الشيخ عبد السلام محمد حبوس الشرقاوي رحمه الله تعالى، عنه.

* * *

العلامة الفقيه الشيخ: عثمان بن عيسى بن عبد الله بن علي بن وهيب بن ناصر بن محمد بن النجار بن علي بن أحمد بن محمد بن حربي بن غالي بن نجم الدين الأمير بن تمام بن تميم بن الوليد بن تمام الأنصاري الخزرجي الإسنوي المالكي.

اشتغلت زمانًا بتتبع أخبار العلامة الشيخ علي عبد الحق القوصي ـ رحمه الله تعالى ـ، فرأيت في ترجمته أنه رجع إلى إسنا بعد سنة ١٢١٢هـ، فلزم العلامة الشيخ عثمان الإسنوي، فاجتهدت في الكشف عن ترجمته فلم أظفر بشيء.

فكلفت مِنْ أصدقائي مَنْ قَرُبَ موطنه من إسنا، وناشدتهم التكرم بالبحث معي، وكان ممن نهض معي إلى ذلك حِبُّنا الكريم السيد: الحسين بن محمد سليمان محمد، سبط الإمام المربي الشيخ أحمد رضوان ﷺ، فلقد تتبع ـ وفقه الله تعالى ـ حتى توصل بفضل الله إلى ذرية الشيخ، في وقتٍ كنت أطالع فيه كتاب: (المعجم المختص) للحافظ السيد مرتضى الزبيدي، وهو في تراجم أعيان الحقبة التي كان فيها الشيخ عثمان الإسنوي، فرأيته ترجم للمسمين بعثمان، فذكر تسعةً منهم، ثم العاشر منهم أبهم اسمه، لبياض وقع في المخطوط في اسم الشخص، وبقي اسم أبيه ونسبته، والذي بقي

واضحًا هو ما نصه: (.... بن عيسى الإسنائي المالكي)، وبعده من سمي بعز الدين، وأنا إلى ذلك الوقت لا أعلم عنه إلا أنه الشيخ عثمان الإسنوي فقط، فبقيت مترددًا في ذلك الشخص المترجم عند السيد مرتضى، حتى أخبرني تلميذنا الحسين بن محمد أنه توصل إلى ذرية الشيخ عثمان الإسنوي، وأنهم أطلعوه على مكتبته، فأمرته أن يسألهم عن اسم الشيخ كاملاً، فإذا هو عثمان بن عيسى بن عبد الله الإسنوي، فجزمت أنه الذي أبحث عنه، وفرحت به، رغم قلة ما أورده السيد مرتضى عنه.

فنزلت إسنا في شهر صفر سنة ١٤٢٩هـ في ضيافة الأستاذ الفاضل: رسمي بن عبد الصبور بن الطيب بن حسنين بن حسن ابن العلامة الشيخ عثمان الإسنوي صاحب الترجمة، فاستقبلنا، وأكرم وفادتنا، وأطلعنا على بقايا مكتبة الشيخ، وأوقفنا على قبره، فرأيت على شاهد القبر نسب الشيخ كاملاً، كما سقته في صدر الترجمة، ورأيت هناك تاريخ وفاته، فإذا به قد توفي إلى رحمة الله تعالى قبل فجر الاثنين، تاسع عشر ذي القعدة، سنة ١٢٢٧هـ.

قال الحافظ مرتضى الزبيدي في: (المعجم المختص): (عثمان بن عيسى الإسنائي المالكي، الشيخ الفاضل المستعد، ولد بأسنا، ورد الجامع الأزهر، فاختص بصاحبنا الشيخ محمد الأمير، وحضر دروسه، وأتقن في الفنون، ودرس، حضر عندي في ثاني شوال سنة ١٢٠٢هـ، فسمع حديث: «إنما الأعمال» بسنده من طريق المعمرين، وهو نعم الرجل صلاحًا وزهادة ومروءة، بارك الله تعالى فيه)[١].

قلت: وقد أثنى العلماء عليه الثناء الفخيم فيما رأيته بخطوطهم، فقال

(١) المعجم المختص /ص٤٦٨.

عنه العلامة الشيخ حمد محمد الصعيدي العدوي: (العمدة الإمام، المحيي للشريعة، الوسيلة العظمى، من له شوارد المعاني سهلة مطيعة، سيدي وأستاذي، وعمدتي وملاذي، الشيخ عثمان، الإسنويُّ بلدًا، المالكيُّ مذهبًا).

وقال عنه العلامة الشيخ مصطفى البولاقي: (الإمام الأوحد، والهمام الأمجد، مربي الطالبين، وبركة المسلمين، سيدي وأستاذي الشيخ: عثمان عيسى وهيب الإسنوي المالكي).

وقال عنه العلامة الشيخ فراج العدوي: (العلامة المحقق المدقق الشيخ: عثمان الإسنوي المالكي).

فصل

وأما أساتذته وشيوخه في الرواية بل والدراية فأمرٌ معضلٌ، إذ لم أرَ له ترجمةً تفصيليةً تَصِفُ أطوار حياته، وتكشف عن تكوينه العلمي كيف وقع، وتذكر تلقيه للعلم على من كان، والذي عند الحافظ مرتضى في: (المعجم المختص) أنه اختص بالشيخ محمد الأمير، وأنه سمع من مرتضى حديثًا بعينه، دون تصريحٍ بأنه أجاز له عامةً، مع أنه صرَّح بذلك في حقِّ غيره.

والظاهر أن المراد هنا هو الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ، لكن الذي رأيته في عدد من الأثبات أنهم يجعلون روايته عن الأمير الصغير، وقد كان السيد شمس الدين محمد بن محمد سر الختم بن عثمان المرغني الحسيني الحنفي المكي يروي دائمًا ثبت الأمير عن شيخه محمد بن سلطان الصعيدي دفين أرض الحبشة، عن عثمان الإسنوي، عن الأمير الصغير، عن أبيه الأمير الكبير بما

في ثبته، وهذا غريبٌ، وعندي فيه وقفةٌ، فقد توفي الشيخ عثمان الإسنوي سنة ١٢٢٧هـ كما تقدم، والأمير الكبير وقتها على قيد الحياة، إذ توفي بعده سنة ١٢٣٢هـ، وتوفي الأمير الصغير سنة ١٢٤٦هـ، فالإسنوي من طبقة مشايخ الأمير الصغير، فروايته عنه مع إدراكه لأبيه ومشايخه أمر غريب وبعيد، ولا أدري كيف أَحُلُّ هذا الإشكال.

والحاصل أنه لم يتحررْ عندي شيءٌ في ذلك، ولم أَرَ في مكتبة الشيخ شيئًا من إجازات مشايخه له، رغم أني ظفرت بإجازاتٍ كثيرةٍ من عدد من العلماء لولده، العلامة الشيخ عمر بن عثمان، يأتي الكلام عنها بعد قليل، والله يمن بفضله بما يعين على الكشف عن ذلك.

ونحن نروي مروياته من طريق شيخنا العلامة الفقيه يوسف بن عبد الله القرضاوي، عن الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري، عن العلامة عبد الرحمن محمود قراعة السيوطي، عن العلامة المحقق السيد علي ابن عبد الحق القوصي، عنه.

ومن طريق شيخنا سماحة العلامة الإمام الشيخ علي جمعة، عن العلامة السيد عبد الله الصديق الغماري، عن العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي، عن علي بن خليل السيوطي، عن علي بن عبد الحق القوصي، عنه رحمه الله تعالى.

ومن طريق شيخنا محمد نمر الخطيب الحيفاوي، عن محمد حبيب الله الشنقيطي، عن شمس الدين محمد بن محمد سر الختم بن عثمان المرغني، عن شيخه محمد بن سلطان الصعيدي دفين أرض الحبشة، عنه.

فصل

وقد كان ولده العلامة الشيخ عمر بن عثمان بن عيسى من العلماء الأكابر، معروفًا عند أهل العلم بذلك، وقد وقفت على أصول إجازات مشايخه له، وكلها ثناء عليه، وتبجيل له، وفي خزانة كتبي مصورات منها، فممن أجاز له: العلامة الشيخ عبد الغني بن محمد الدمياطي الشافعي، والعلامة الشيخ محمد عرفة الدسوقي المالكي، والعلامة الشيخ محمد الشبيني الشافعي، والعلامة البرهان إبراهيم السقا، والعلامة إبراهيم الملوي المالكي، والعلامة عبد الله القاضي المالكي، والعلامة مصطفى البولاقي، والعلامة محمد ابن أحمد عليش، والعلامة حمد محمد الصعيدي المالكي، وكذلك العلامة محمد فتح الله بن الشيخ عمر السميدسي المالكي أجاز له في ابتداء جمادى سنة ١٢٥٠هـ، والعلامة أحمد صالح السباعي المالكي الأزهري، والعلامة البرهان إبراهيم الباجوري الشافعي، والعلامة خليل بن إبراهيم الرشيدي، والعلامة فراج العدوي المالكي وغيرهم، غير أني لم أَرَ ترجمة للعلامة الشيخ عمر بن عثمان الإسنوي، ولا أعلم متى توفي، ولا أعرف سندًا يوصلني إليه.

❁ ❁ ❁

❁ **العلامة الجليل، الفقيه، الأصولي، المتفنن، الأستاذ الإمام: نور الدين أبوالحسن علي بن جمعة بن محمد بن عبد الوهاب بن سليم بن عبد الله بن سليمان الأزهري الشافعي، مفتي الديار المصرية.**

ولد ﵁ في بني سويف، يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة، سنة ١٣٧١هـ، الموافق ٣ مارس سنة ١٩٥٢م.

وقرأ القرآن الكريم كاملًا على العلامة القارئ الشيخ محمد إسماعيل

الهمداني ـ رحمه الله تعالى ـ شيخ مقرأة الجامع الأزهر الشريف، وهو عن العلامة الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، عن العلامة الشيخ خليل الجنايني، عن الشيخ المتولي الكبير بأسانيده وهي مشهورة.

وقرأ من رواية ابن كثير إلى آخر سورة مريم على العلامة المتقن الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف عبد الله المالكي شيخ مقرأة الأزهر الشريف.

وقد قرأ كتاب: (الأدب المفرد) للبخاري على العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وقرأ على العلامة الشيخ محمد أبو النور زهير كتابه: (أصول الفقه)، وحضر في: (منهاج البيضاوي) وشروحه على العلامة الشيخ الحسيني الشيخ، وقرأ: (اللمع) لأبي إسحاق الشيرازي، و(صحيح البخاري) كاملًا، وشمائل الترمذي)، و(الأربعين النووية)، و(الأوائل السنبلية)، و(موطأ مالك) وغيرها على العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري، وحضر كتاب: (الأشباه والنظائر الفقهية) للسيوطي على العلامة الشيخ جاد الرب رمضان، وحضر في: (مغني المحتاج) للخطيب الشربيني على العلامة القارئ الفقيه الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، وحضر في كتاب: (التمهيد في تخريج الفروع على الأصول) للإسنوي على العلامة الحسيني يوسف الشيخ، وحضر في كتاب (شرح العضد على مختصر ابن الحاجب)، وفي: (إحكام الآمدي) على العلامة الشيخ عبد الجليل القرنشاوي المالكي.

وحضر على غيرهم كثير، مثل: العلامة الشيخ إبراهيم أبو الخشب، والعلامة الشيخ محمد شمس الدين المنطقي، والعلامة الشيخ عوض الله حجازي، والعلامة الشيخ عبد الحميد ميهوب، والعلامة الشيخ حسن أحمد مرعي.

كما أنه لزم العلامة المربي الشيخ أحمد محمد مرسي النقشبندي بضع سنواتٍ ملازمةً تامة وانتفع به، ثم العلامة الشيخ السيد محمد زكي الدين إبراهيم، وكذلك العلامة الأصولي المعمر الشيخ أحمد حمادة الشافعي النقشبندي، والعلامة الشيخ صالح الجعفري، والعلامة الشيخ إسماعيل صادق العدوي، كما انتفع كثيرًا بالإمام الأكبر شيخ الإسلام العلامة الفقيه جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر الشريف، واتصل طريقه أيضًا بالشيخ عبد الفتاح القاضي من طريق السيد حسن عباس زكي.

وتلقى علم الاقتصاد الإسلامي على يد الدكتور: عيسى عبده إبراهيم، وتلقى أسس علم الاقتصاد الغربي على يد الدكتور: يحي عويس، والدكتور: علي لطفي، والدكتور: منيس عبد الملك، وتلقى علم القانون الوضعي على يد الدكتور: سامي مدكور، والدكتور: حمدي عبد الرحمن، والدكتور: حسين النوري وغيرهم، وتلقى علم الإدارة على يد الدكتور: ماهر عليش، والدكتور: علي عبد الوهاب، والدكتور: سيد الهواري وغيرهم، وتلقى علم المحاسبة على يد الدكتور: الجزيري، والدكتور: العشماوي وغيرهم، وتلقى علم الرياضيات العليا على يد الدكتور: فتحي محمد علي، والدكتور: داود منسي وغيرهم.

وقد ذكر لنا مرةً أنه سأل العلامة الشيخ محمد خاطر، مفتي الديار المصرية سابقًا عن المقادير المذكورة في كتب الفقه، وخصوصا: (الدرهم والدينار) وما أشبه، فقال الشيخ: لا أدري، ولكن سل الصاغة، فإن عندهم خبرةً بالموازين والمقاييس، قال شيخنا: فسألت الصاغة فلم يعرفوا، فانتبهت من يومها إلى أمر مهمٍّ جدًّا، وهو أنَّ كلَّ مسألةٍ شرعية يتوقف فهمها على أصل في علمٍ آخر، أذهب لأدرسها في ذلك العلم أولًا، ثم أرجع لقراءتها في كتب

العلم الشرعي، قال شيخنا: فبناء على ذلك درست الكيمياء، ودرست الرياضيات، وفهمت فلسفة المعادلات، ودرست في الفلك، والموسيقا، ودرست علوم الإدارة، ودرست القانون وغير ذلك كثير.

وكان من شأنِ الشيخ أيضًا أن تفرَّغ في مقتبل عمره لمدة سنة، حفظ فيها القرآن الكريم، ومتن الرحبية في المواريث، ونصف ألفية ابن مالك، ثم أحضر الكتب المقررة على المعاهد الأزهرية من الصف الأول الابتدائي إلى الصف الرابع الثانوي في العلوم المختلفة، من علومٍ لغوية وشرعية وعقلية، فدرسها كاملةً في تلك السنة، وحفظ ما فيها من قواعد علمية، وضوابط دقيقة، حتى إنه سعى في استخراج كل أوراق الامتحانات المفروضة على الصفوف الدراسية المذكورة، وانكب عليها لحلها والإجابة عنها.

قلت: وعند الشيخ الأستاذِ من الاطلاع الواسع، والمعرفةِ التامةِ والمكتبة الواسعةِ العامرة بغرائبِ المصنفات، وعجائب المؤلفات، التي تقدر بأربعين ألف عنوان، وقد اطلع الشيخُ عليها اطلاعًا تامًّا، مع ما تهيأ له من مصادر المعرفة، والثقافة المتشعبة، والإلمام بالاقتصاد، والفكر المعاصر والفلسفة، والمناهج الفكرية المختلفة، على نحو قلَّ أن يتهيأ أو يجتمع لأحد.

سمعت منه الحديث المسلسل بالأولية ضحوة الأحد ٢٩ رجب ١٤٢٠هـ، الموافق ٧ نوفمبر ١٩٩٩م، وأجاز لي إجازةً عامةً، ثم ناولني إجازته بعد أن كتب اسمي عليها بخطه صبيحة الاثنين تاليه.

وقد قرأت عليه: ثلاثيات البخاري، ومقدمةَ سنن الدارمي، وقطعة صالحة من لمع أبي إسحاق في الأصول، وحضرت عليه أطرافا من الصحيحين، وغالب سننِ أبي داود والترمذي، ونحو نصف الموطأ، وحضرت

عليه شرح ابن قاسم على أبي شجاع، وغالب زبد بن رسلان، وقسطًا من التمهيد والكوكب الدري كلاهما للإسنوي، ومن الأشباه والنظائر للسيوطي، ومن حاشية الباجوري على ابن قاسم، ومن الإقناع للخطيب الشربيني، وحضرت عليه شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندري غير مرة، وحضرت دروسه في تفسير القرآن الكريم، ودرس الأصول من كتاب: (غاية الوصول، شرح لب الأصول) لشيخ الإسلام زكريا، وغير ذلك كثير في رواق الأتراك بالأزهر الشريف.

ثم إنه ﵁ أنابني عنه في خطبة الجمعة عند غيابه، بجامع السلطان حسن في القاهرة، بل إنه كان بعد ذلك يحضر ويسمع خطبة الجمعة من الفقير، ثم يلقي بعدها درس التفسير.

ولقد انتفعت بعلمه وعقله وسمته، وتفقهت به، حتى إنني لأذكر به كلمةَ أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ في الإمام الشافعي ﵁؛ فقد روى ابن أبي حاتم في: (الجرح والتعديل)، وأبو نعيم في: (حلية الأولياء)، وأبو القاسم ابن عساكر في: (تاريخ دمشق) عن محمد بن الفضل البزاز قال: سمعت أبي يقول: حججت مع أحمد بن حنبل، ونزلنا في مكان واحد، فلما صليت الصبح درت المسجد، فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، وكنت أدور مجلسًا مجلسًا طلبًا لأحمد بن حنبل، حتى وجدت أحمد عند شاب أعرابيٍّ، وعلى رأسه جمة، فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل، فقلت: يا أبا عبد الله!! تركت ابن عيينة عنده: الزهري، وعمرو بن دينار، وزياد بن علاقة، والتابعون ما الله به عليم!! فقال لي: اسكت!! فإن فاتك حديثٌ بعلوٍّ تجده بنزول، ولا يضرك في دينك ولا في عقلك، **وإن فاتك عقل هذا الفتى**

أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة!! ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله ـ عز وجل ـ من هذا الفتى القرشي!! قلت: من هذا؟!! قال: محمد بن إدريس الشافعي)[١].

قلت: وقد أحيا الله تعالى به العلم وحلقاته في الأزهر الشريف بعد طولِ موات، فعادت تقرأ فيه عيونُ الكتب حديثًا، وفقهًا، وأصولاً، وعربيةً، ومعقولا على عدد من العلماء على نحو كان قد انقطع منذ زمن.

فأقرأ صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وموطأ مالك، وقطعة من سنن النسائي، والشفا للقاضي عياض، وتشنيف المسامع للزركشي على جمع الجوامع للتاج السبكي في أصول الفقه، وابن عقيل على الألفية في النحو، ومتن السلم للأخضري في علم المنطق، ومتن الخريدة في علم الكلام، والإقناع للخطيب الشربيني والباجوري على حاشية ابن قاسم في فقه السادة الشافعية، والأشباه والنظائر للسيوطي، والتمهيد للإسنوي وقطعة من الكشاف للزمخشري، وأقرأ غاية الوصول لشيخ الإسلام زكريا أكثر من مرة وغير ذلك كثير، كما كان له درس في مسجد السلطان حسن عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع، فأقرأ فيه ابن قاسم على متن أبي شجاع؛ ومتن الزبد لابن رسلان وغيرها.

وكان رضي الله عنه يأتي إلى الأزهر الشريف عقب الشروق بقليل، فيجلس نحوًا من ثلاث ساعات أو تزيد، فيتحلق طلاب العلم من الأقطار المختلفة، حتى يمتلىء بهم رواق الأتراك، وتوضع بين يديه في المجلس مبخرةٌ يفوح منها

(١) الجرح والتعديل /٧/٢٠٣/، حلية الأولياء /٩/٩٩/، تاريخ دمشق /٥١/٢٣١/.

الطيب والبخور، فكأن المجلس روضةٌ من رياض الجنة، ثم يشرع القارئ في قراءة مجلس الحديث، وبعده مجلس الأصول، وبعده حظٌّ من الفقه، وبعدها قراءات أخرى في فنون مختلفة، فتارة من الشفا للقاضي عياض، وتارة من الكشاف للزمخشري، والشيخ في كل ذلك يسمع، فإذا عرضت مسألةٌ أو قضية أو مبحث، أو استشكل أحد شيئًا، شرع الشيخ في الكلام، فيأتي بالتدقيقات الباهرة، والفهوم الدقيقة، مستعملًا الأدوات العلمية من أصول ومنطق ولغة، ثم إنه يأذن للطلبة بالسؤال والمباحثة، فلا تزال تنفتح البحوث والمسائل، ولربما شارك في النقاش غير واحد، والشيخ يرقب نقاشهم، ثم يعقب على الجميع، فيأتي بما لم يخطر لهم على بال، ولربما احتاج الأمر إلى اجتلاب النصوص من الحواشي والمطولات، فترى من سعة اطلاع الشيخ، ومعرفته بمظان المسائل العجب العجاب، والأعجب من ذلك كله أنه يتغلغل في المبحث العلمي الدقيق، فلا يزال به حتى ينزله على الفكر المعاصر، والنوازل المستجدة، فنتعلم منه كيف يُدرس الواقع على ضوء القواعد، وله في ذلك التفرد الذي لا يلحقه فيه أحد من المعاصرين، ولا نحصي كم سمعناه يقول: (أنا لا أريدكم أن تحفظوا كلام الصحابة فقط، بل أريدكم أن تعيشوا في عصركم كما عاش الصحابة في عصرهم، حتى تقوموا بواجب وقتكم كما قاموا بواجب وقتهم).

قلت: بل إنني كلما تأملت عقل الشيخ وفقهه، ورأيت قوة نظره في الحوادث، وكيفية إلحاقها بنصوص العلماء وكلامهم، تذكرت العلامة زين الدين الشافعي عمر بن محمد البلفيائي، حيث قال عنه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في ترجمته في كتاب: (الدرر الكامنة): (قال الإسنوي: كان إمامًا في الفقه، غواصًا على المعاني، مُنَزِّلًا للحوادث على القواعد والنظائر تنزيلًا

عجيبًا، لم أر مثله في هذا الباب)[1]، قلت: وكأني به يصف شيخنا ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ.

بل كأني بالإمام الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ يصف شيخنا الإمام حين قال في: (الفقيه والمتفقه): (لأن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرفٍ من معرفة كلِّ شيء من أمور الدنيا والآخرة، وإلى معرفة الجدِّ والهزل، والخلافِ والضِّدِّ، والنفع والضر، وأمور الناس الجارية بينهم، والعادات المعروفة منهم.

فمن شرط المفتي النظر في جميع ما ذكرناه، ولن يدرك ذلك إلا بملاقاة الرجال، والاجتماع مع أهل النحل، والمقالات المختلفة، ومساءلتهم، وكثرة المذاكرة لهم، وجمع الكتب ودرسها، ودوام مطالعتها)[2].

فكأني به قد نظر إلى الشيخ، ويجعل يعبر عنه وصفًا وصفًا، لشدة انطباق تلك الأوصاف على الشيخ، وقد عايشناه فرأينا فيه ذلك عيانًا.

وقد كان شأن الشيخ في فتواه عجبًا من العجب، في معرفته بنفسية المستفتي ومقصوده، وسرعة إدراكه لمحل السؤال، ثم في مسلكه في التحقيق مع المستفتي لاستخراج الجهات والمدارك، التي تتغير بها الفتوى من حالٍ إلى حال، ومن شخصٍ إلى شخص، ثم في إحاطته بالأعراف والقوانين، وأنماط المعيشة التي تتولد عنها الحوادث والنوازل، فضلًا عن إحاطته بالحكم الشرعي الذي يتنزل على كل حال من الأحوال المذكورة، ولا ينقضي عجبي منه في إدراكه لمقصود المستفتي من مجرد كلمات قليلات يستهل بها سؤاله، حتى إن كان ليخبر السائل عن صورة النازلة التي يسأل عنها، وعن مقصوده

(١) الدرر الكامنة /٤/٢٢٠.

(٢) الفقيه والمتفقه /٢/٣٣٣.

الذي أراده، قبل أن يتم السائل كلامه، وقد كنا نرى منه هذا عيانًا مع جماهير الواردين عليه بقصد السؤال والاستفتاء، على اختلاف مستويات معيشتهم، وأمزجتهم، وطبائعهم، حتى لقد تذكرت به قاضي القضاة العلامة الشيخ محب الدين البغدادي الحنبلي ت٨٤٤هـ؛ إذ قال الإمام الجمال ابن تغري بردي في: (المنهل الصافي): (انتهت إليه رئاسة الحنابلة في زمانه بلا مدافعة، أقام مدةً قبل موته والمعوَّل على فتاويه، وكانت كتابَتُهُ على الفتوى لا نظير لها، يجيبُ عمَّا يقصده المستفتي)[1].

قلت: فتأمل كيف أنه جعل فتاواه لا نظير لها، ثم علل ذلك بأن الشيخ كان يفهم مقصود المستفتي على وجه التحديد من جملة كلامه، وكأنه تفرد عمن اشتهروا بالفتوى في زمانه بقوة إدراكه لمقصود السائل، بحيث يتنزل جوابه على المحل الذي كان السائل يريده بعينه، فكأن الناس انتبهوا إلى هذه الخصيصة في فتاواه، وأنه متفردٌ بها، فصارت من مزاياه، واشتهرت حتى سجلها عنه المؤرخون، وكذلك كان شيخنا ﵁.

ولست أشبه شيخنا ﵁ في زمانه إلا بالعلامة الإمام الأكبر شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار، في قوته في العلوم الشرعية، مع سعة اطلاعه، وثقافته، ومعارفه، وكثرة رحيله وأسفاره، واطلاعه على ثقافات الأمم، وإحاطته بأحوال زمانه، وتصديه للشأن العام، مع شدة تجرده للحق، وإخلاصه لهذا الدين.

وخذ عندك مثالًا على ذلك الحديث الشريف، وقد كان شأن الشيخ فيه وعلمه به عجبًا، مع أن الحديث ليس من فنونه الأولى، التي استغرق فيها

(١) المنهل الصافي، والمستوفى بعد الوافي /٢/٢٤٧.

وقته وزمانه وفكره، وقد استوقفني في معرفة الشيخ به أمور:

الأمر الأول: أني سمعته مرة في مجلسٍ علميٍّ حافلٍ بالعلماء يذكر أنه قرأ في علوم الحديث وحدها مائتي مصنف، حتى إن واحدًا من الحاضرين ـ وقد كان رئيسًا لقسم الحديث بكلية أصول الدين ـ وهو مشهود له بالعلم في فنه، والتصانيف الجيدة فيه، خرج معي وهو يقول لي: (سبحان الله!! أنا لا أعرف أسماء مائتي تصنيف في علوم الحديث، فأي قراءة قرأ هذا الرجل!!).

الأمر الثاني: أنه خالط المحدثين وباحثهم، فقرأ على العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري صحيح البخاري كاملًا، وشمائل الترمذي، والأربعين النووية وغيرها، وقرأ الأدب المفرد على العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وخالط العلامة المحدث الشيخ محمد الحافظ التيجاني كثيرًا، وحضر مجالس الرواية عند الشيخ ياسين الفاداني، وكان ينقل لنا أنه سأل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن منهج تكوين المحدث، وسأل مثل ذلك أيضًا الشيخ الألباني لما أن زاره في دمشق سنة ١٩٧٤م، فمخالطته للمحدثين أورثته معرفةً ودراية، وبصرًا بهذا الفن وغاياته، على نحو لا يتهيأ لمن ليست له مخالطة لأهل الحديث في مراحل تكوينه، ثم هو بعد ذلك يدعى الحديث.

الأمر الثالث: أنه تصدى لإقراء كتب السنة في الجامع الأزهر الشريف، فأقرأ فيه صحيح البخاري كاملًا، وصحيح مسلم كاملًا، وسنن الترمذي كاملة، وسنن أبي داود كاملة، وموطأ مالك كاملًا، وقطعة صالحة من سنن النسائي، وهو في كل ذلك يخوض في البحوث الحديثية والفقهية واللغوية الواقعة في تلك الكتب، فيأتي بالتحريرات الرائقة، وأشهد أننا كنا

نحضر المجلس، فلربما انجر البحث إلى راو من الرواة، فنفتح كتب الرجال، ونقرأ عليه كلام نقاد الحديث فيه، فيأتي في فهم كلام الحفاظ والنقاد بما لا يخطر لأحد على بال، وقد رأينا ذلك مرارًا لا تحصى، وما شهدنا إلا بما علمنا، فضلًا عن إشرافه على طباعة الكتب الستة ومسند أحمد وسنن الدارمي وغيرها في المكنز الإسلامي، وهي أجود طبعات الكتب الستة على الإطلاق، وقد تابع تلك الكتب كلمة كلمة، وعرضت عليه بحوثها ومشكلاتها، على مدى نحوٍ من خمس عشرة سنة.

الأمر الرابع: قوة ذهنه في فهم مقاصد المحدثين، وإدراك مرامي بحوثهم، ولقد كنت أقرأ عليه قراءة خاصة في سنن الدارمي، فأرى منه في ذلك عجائب، مع شدة تتبعي لكلام المحدثين وشراح الحديث، غير أني لم أكن أدون ما أسمع منه، وأذكر أننا كنا مرة في مجلسه الشريف في الجامع الأزهر ـ صانه الله ـ، وقد انتهى المجلس وهمَّ الشيخ بالقيام للانصراف، فسأل أحدُ الناس عن مسألة، فتكلم الشيخ فيها، فقلت: هذا مشكل، وهو يشبه عندي كلام الحافظ ابن حجر في أن الشذوذ في الحديث لا ينافي الصحة، وذكرت للشيخ أني متحير فيه، ثم أحضرت تدريب الراوي وقرأت على الشيخ ما نقله السيوطي عن ابن حجر في المسألة، فشرح الشيخ في المسألة وجهًا، ثم شارك الحاضرون في النقاش، فلم يزل الشيخ يقرر ما ذهب إليه، والحاضرون ينازعون فيه، والشيخ يتوسع في شرحه، حتى أفضى كلام الشيخ إلى أن شبه لنا مقصود الحافظ ابن حجر بكلام الأصوليين في العمل بالعام قبل العلم بمخصصه، فانفضَّ المجلس، وانصرفنا من الأزهر الشريف إلى مكتبة الشيخ، ونشرنا كتب الاصطلاح نتصفح المسألة، ونحن نعجب مما ذهب إليه الشيخ، حتى رأيت الحافظ السخاوي ـ رحمه الله ـ حكى

المسألة في: (فتح المغيث) ثم عقَّب عليها بقوله: (وهو أيضًا شبيه بالاختلاف في العام قبل وجود المخصص، وفي الأمر قبل وجود الصارف له عن الوجوب)(١).

قلت: فبهتني ذلك، وتعجبت من انطباق كلام الشيخ على عبارة الحافظ السخاوي، لا سيما وقد طُرِحت المسألة في المجلس فجأة، من غير سابق إعداد من الشيخ لها، حتى لا يقال إن الشيخ بحث فنقلها من السخاوي، فذهبنا صبيحة اليوم التالي إلى الأزهر الشريف، وذكرنا للشيخ أننا فوجئنا بكلامٍ للسخاويِّ هو نصٌّ في كلامه، فتهلل الشيخ، وأمرنا بإحضار كلام السخاوي، فقرأنا عليه نصه، ففرح به كثيرًا.

فهذا شأن الشيخ في الحديث، ولم يكن منصرفًا إليه، فكيف به فيما هو متلبس به ليل نهار من الفقه والأصول وغيرهما!!

وإنما كان شأن الشيخ في ذلك شأن الأئمة المجتهدين، الذين يحصلون من كل علم ما يدركون به مقاصده، ثم ينصرفون إلى مقصودهم من الاستنباط، والقيام بواجب الوقت في بيان أحكام الشرع الشريف.

قال فضيلة الشيخ عصام أنس: (وقد تمت له علوم المقاصد والآلات جميعًا، واعتنى بمعارف العصر الحديثة، وما يؤثر منها في الفتوى، مع سعة الاطلاع جدًّا، وفقه النفس، وهي أخص صفات المجتهد، كما يقول شيخ الإسلام التقيُّ السبكيُّ، ولست أشبه شيخنا إلا به، مع سلامة القلب وحسن المقصد، ما رأيته يعمل لغرض نفسه قط، أما الفضائل والكمالات التي كانت حبيسة الأسطر والأوراق فأحياها، تخلقًا، وتحققًا، ونشرًا فلا

(١) فتح المغيث ١/١٩.

يحصيها إلا الله، مع سعة الدائرة في تربية مريديه، فإن عامة المشايخ اليوم يربون على طريقة واحدة قلما تختلف، فربما لم تصادف من المريد موضع العلاج، فيضل على آفته، أو يعتمدون على مدد الطريق وبركة السلسلة وحسب، أما شيخنا فشأنه شأن كبار القوم، ينوعون للمريد بحسب استعداده، وراثةً محمديةً، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعالج كل شخص بما يناسبه.

وأصعب ما رأيت من تربية شيخنا أنه يُدْخِل المريد في الدنيا، ويفتحها عليه، لتخرج من قلبه، ويصير المريد لا يأبه لها، ولا يبالي إن جرى ورائها، أو جرت وراءه، أو تدابرا خصمين، ويصير إن دالت له لم يدل، وإن زالت عنه لم يزل.

وما رأيت أكثر عيونًا منه، وهذا من كماله نفعنا الله به، فبينما الناس لا يكادون يبصرون فلا يزال هو يرى الأمر الواحد من جهات كثيرةٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وما يزال الوليُّ يزداد عيونًا كلما زاد كماله حتى يصير كله عيونًا.

وقد رأيت مولانا شيخ الإسلام عبد الله الغماري يجله إجلالًا عظيمًا، وسمعت شيخنا العلامة الفقيه شيخ السادة الشافعية جاد الرب رمضان الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: «الشيخ عليٌّ أمةٌ وحده»، ومات من مات من شيوخ الوقت ممن أدركتهم وهم عنه راضون، وهذا من علامات التوفيق كما يقول العارف الشعراني، فمنهم مولانا شيخ الإسلام عبد الله بن الصديق، ومولانا شيخ الإسلام ضياء الدين الكردي، ومولانا العلامة المحقق الحسيني الشيخ، ومولانا الشيخ جاد الرب رمضان، ومولانا الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر، ومولانا العارف الكبير أحمد مرسي النقشبندي، وغيرهم.

ومن علامات التوفيق أن جمع الله له من الطلبة والمريدين من صاروا فضلاء وعلماء، فعامة من حوله بين عالم ومتعلم، فالله يكثر من أمثالهم، وهذا مالم يحصل لغيره من أكابر الوقت رضي الله عن الجميع، ولم أر أو أسمع بمثله في القدرة على تربية الرجال، وصنع الكوادر العلمية، وإنشاء المؤسسات، التي ترقى بها الأمة)[1].

فصل

وأما مؤلفات الشيخ فمنها كتاب: (المدخل، إلى دراسة المذاهب الفقهية)، ومنها كتاب: (الطريق إلى التراث الإسلامي، مقدمات معرفية، ومداخل منهجية)، وكتاب: (سمات العصر، رؤية مهتم)، (الكلم الطيب، في الفتاوى العصرية) مجلدان، (البيان، لما يشغل الأذهان)، (سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رسول الله إلى العالمين)، (المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم)، (علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة)، (قضية تجديد أصول الفقه)، (أثر ذهاب المحل في الحكم)، (الحكم الشرعي عند الأصوليين)، (آليات الاجتهاد)، (المكاييل والموازين الشرعية)، وكتاب: (مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين)، (النسخ عند الأصوليين)، (الإجماع عند الأصوليين)، (الأوامر والنواهي عند الأصوليين)، (قول الصحابي عند الأصوليين)، (الكامن في الحضارة الإسلامية)، (الطريق إلى الله)، (المرأة في الحضارة الإسلامية، بين نصوص الشرع، وتراث الفقه، والواقع المعيش)، (النبراس في تفسير القرآن الكريم)، وغير ذلك كثير، مما يزيد على الخمسين مؤلفًا.

---

(١) جامع الأحاديث من كتب الإمام السيوطي: المتقي الهندي، المناوي، النبهاني ١٠٤/١/.

فصل

ولقد كان ﵁ من الألمعيَّة، وحدّة الذهن، وشدة الذكاء، وقوة المُدْرك بالمحلّ الأعلى، وكم تفتق ذهنه عن ابتكار بحوث عجيبة، أو دراسة عدد من البحوث المشهورة من وجهة جديدة، فكان يأتي في ذلك بالومضات الدالة على صفاءِ ذهنٍ، وإدراكٍ لنسق الشرع الشريف في بناء العلوم والمعارف.

فمن ذلك أنه: دعا إلى دراسة الشخصية الاعتبارية، وأثرها في الترجيح، وفي الحكم على العقود المعاصرة، والمعاملات المستجدة.

ودعا إلى إبراز التصورات الكلية للعلوم، وأن هذه التصورات كانت ساريةً في أذهان العلماء الذين كتبوا التراث، وأن غياب هذه التصورات الكلية عن الدارسين والباحثين من المعاصرين يؤثر بدرجة كبيرة في مدى فهمنا لتراث الأمة.

ودعا إلى استخدام أصول الفقه في فهم كلام الناس، لتكوين العقلية القادرة على التعبير الدقيق فيما يفكر فيه الإنسان، والفهم الدقيق لما يفكر فيه الآخرون، مما يؤدي إلى فتح قنوات التواصل والتفاهم بين فئات المجتمع وتياراته وأحزابه وأطيافه الفكرية.

ودعا إلى التفرقة بين العقلية العلمية والعقلية الخرافية، ووجوب إنشاء دراسات موسعة حول سمات كل عقلية منهما وخصائصها، وكيفية تكوين العقلية العلمية بصورة تربوية واسعة.

ودعا إلى دراسة سمات العصر، وأنها تزيد على الثلاثين سمة، وأن إدراكها، وإدراك العلاقات البينية التي تربط تلك السمات، هو الذي يصنع عقلية قادرة على فهم الواقع واستيعابه وتحليله.

ودعا إلى دراسة السنن الإلهية، وأنها المدخل لتوليد علمٍ جديدٍ، يمكن تسميته: (أصول فقه الحضارة)، في مقابل علم أصول فقه النص، الذي تولد على يد الإمام الشافعي.

ودعا إلى إنشاء بحوثٍ ودراسات حول توليد العلوم، وأن توليد العلوم فرض قامت به الأمة الإسلامية عبر عصورها المختلفة، واستطاعت من خلاله أن تتوسع في فهم الشرع الشريف وأن تستوعب الواقع المعيش.

ودعا إلى دراسة ما يسمى بواجب الوقت، وهو إدراك المسلم لما يجب أن يستوعبه، وأن يتصرف على أساسه، من المسائل الشرعية والظروف الواقعية، مع ما يجب على المسلم التحلي به من الهمة، والتجرد، والمعرفة الواسعة، وحمل هم الهداية، ليستطيع أن يعيش بالإسلام في زمانه كما عاش السابقون به في زمانهم فنجحوا، فدعا إلى إنشاء بحوث تشخص الواقع، وتعيد توصيفه وتعيد بناء شخصية المسلم على الإدراك والتفاعل مع ذلك التشخيص حتى يقوم بواجب الوقت.

ودعا إلى إنشاء بحوث مطولة في المشترك بيننا وبين الحضارات والثقافات الأخرى؛ تمهيدًا لبناء الجسور بيننا وبين تلك الحضارات.

ودعا إلى الصناعة والصياغة لعلوم التوثيق بما يتلائم مع الثقافة المعاصرة، حتى يعرف المسلم كيف يصل إلى الحقائق بطريق منضبط، وكيف يتثبت من مصادر معرفته في كل مسائله.

ودعا إلى إحياء علم مقاصد الشريعة، وأن نعيد دراسة مقاصد الشريعة على أربع مستويات: المستوى الأول هو: الفرد، والمستوى الثاني هو: الأسرة، والمستوى الثالث: المجتمع، والمستوى الرابع: الإنسانية، فلابد من

دراسة المقاصد الشرعية الخاصة بكل مستوى.

ودعا إلى دراسة النموذج المعرفي الإسلامي، لأن النموذج المعرفي هو الأصل الأعلى الذي يؤثر في الثقافة، والقوانين، والآداب، والفنون، فلا بد من إحياء معالم النموذج المعرفي الإسلامي، وإحياء الروابط بينه وبين مجالات الحياة المختلفة.

ودعا إلى دراسة أسماء الله الحسنى، وجمعها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ودراسة أثرها على منظومة الأخلاق، لأن الأسماء الحسنى هي الإطار الأعلى لمنظومة القيم الإسلامية.

ودعا إلى دراسة نظرية تفريق الأحكام، وأثرها في الإلمام باختلاف أحوال الأحكام الشرعية، الواردة على المحل الواحد، باعتبارات مختلفة.

ودعا إلى دراسة قضية أثر ذهاب المحل في الحكم، وأنه لابد من التدقيق في دراسة المجالات التي تتنزل عليها الأحكام الشرعية، والتدقيق في عدم زوالها، أو تغير أوصافها، مما يقتضي تغير الحكم الشرعي المتعلق بها، حتى لا تتنزل الإحكام الشرعية على معنى مخالف لما وضعت له، فيقع تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

ودعا إلى دراسة قضية اللحظة اللطيفة، وأثرها في الأحكام الشرعية، وأنها مهمة جدًّا في تصحيح بعض العقود، فدعا إلى تتبع ضوابطها، والمواضع التي استعملها فيها الفقهاء، وكيفية تفعيلها في الحياة المعاصرة.

ودعا إلى دراسة ما يسمى بالسقف المعرفي، وهو الإدراك الإنساني العام للعلوم والمعارف المتاحة للمكلف في حدود زمنه، والتي ينبني عليها الفهم العام للنصوص، ثم إنه يتسع ذلك السقف المعرفي كلما حصل للبشرية ارتقاء

في سلم الحضارة، بحيث تتسع معه آفاق أخرى للفهم، فدعا إلى دراسة ذلك المعنى، وإلى النظر في صلة ذلك بقضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وأن ذلك الأعجاز في الحقيقة هو اتساع المعنى القرآني للأسقف المعرفية عبر الأزمان.

ودعا إلى إنشاء علم يسمى بعلم حفريات القرآن، يدعو فيه إلى تنشيط بعثات التنقيب الأثري للبحث في الأمكنة والحضارات التي ذكرها القرآن الكريم، من باب التجاوب مع لمحات القرآن ولفتاته.

ودعا إلى دراسة ما يسمى بزمن الضرورة، وزمن الجهالة، ومدى إمكانية اتساع الحالات الاستثنائية للأحكام، حتى تصير هي الأصل المعمول به في زمن معين، وأثر هذه القضية في تحليل الواقع المعاصر.

ودعا إلى التفرقة بين فقه الأفراد وفقه الأمة، وأن الدراسات في فقه الأمة قليلة، منها كتاب: (غياث الأمم، في التياث الظلم) لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني رحمه الله تعالى، وأن هذه التفرقة مهمة جدًّا في إنضاج الأحكام الشرعية المتعلقة بتصرفات الأمة في المجالات المختلفة.

فصل

وأما الرواية فإنه يروي عن: ١ ـ العلامة المحدث السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ وأسانيده ومشايخه في كتاب: (سبيل التوفيق)، وفي كتاب: (ارتشاف الرحيق)، ٢ ـ وعن الإمام مسند الدنيا أبي الفيض محمد ياسين الفاداني ت١٤١٠هـ، بما في أثباته، وهي كثيرة جدًّا، ٣ ـ وعن العلامة المحدث محمد الحافظ التيجاني ت١٣٩٨هـ، ٤ ـ وعن العلامة

الفقيه إسماعيل عثمان زين ت١٤١٤هـ بما في ثبته: (صلة الخلف)، ٥ ـ وعن العلامة الفقيه عبد الله بن سعيد عبادي اللحجي ت١٤١٠هـ، بما في ثبته: (المرقاة)، ٦ ـ وعن العلامة السيد محمد زكي الدين إبراهيم ت١٤١٩هـ بما في إجازته المطبوعة: (الإذن المحمدي)، ٧ ـ وعن العلامة المحدث عبد الفتاح أبو غدة ت١٤١٧هـ، بما في: (إمداد الفتاح)، ٨ ـ وعن العلامة المحدث عبد العزيز بن الصديق الغماري ت١٤١٨هـ، بما في ثبته: (فتح العزيز)، ٩ ـ وعن العلامة محمد المنتصر الكتاني ت١٤١٩هـ، ١٠ ـ وعن العلامة محمد عوض منقش الزبيدي ثم المكي، ١١ ـ وعن العلامة أحمد جابر جبران اليمني نزيل مكة، بما في ثبته، ١٢ ـ وعن العلامة الفقيه عبد الرزاق الحلبي الشامي الحنفي، أجاز للشيخ كتابة على ثبت العلامة محمد صالح الفرفور، والمسمى: (التحرير الفريد)، تخريج الشيخ عمر النشوقاتي، وتاريخها ٢٤ من ذي القعدة الحرام ١٤٢٢هـ، وقد أجاز له بالثبت المذكور خصوصا، ثم بسائر مروياته عمومًا، بعده خط العلامة أديب الكلاس كذلك، ١٣ ـ وعن العلامة محمد مصطفى أبو العلا المصري الشهير بجامد، ١٤ ـ وعن مسند الحجاز العلامة السيد محمد بن علوي المالكي المكي بما في أثباته، ١٥ ـ وعن العلامة الفقيه محمد أديب الكلاس، ١٦ ـ وعن المسند المعمر أحمد علي بن محمد يوسف اللاجبوري السورتي، وهو عن جماعة منهم المسند المعمر عبد الرحمن الأمروهوي، عن فضل الرحمن الكنج مراد آبادي، عن الشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي، عن أبيه بما في أسانيده وأثباته، وغيرهم كثير، وقد تشرفتُ فخرجتُ ثبتًا لطيفًا في أسانيده، أسميته: (فتح الملك العلي، في أسانيد مولانا الشيخ علي).

* * *

❁ **العلامة الشيخ السيد: أبو الحسن علي بن سرور الزنكلوني الحسيني الأزهري.**

حضر في الأزهر الشريف على العلامة محمد الأشموني، وعبد الهادي نجا الأبياري، والشمس محمد الأنبابي، ومحمد أبو الفضل الجيزاوي، ومحمد مخيمر الشرقاوي، وحسونة النواوي، ومحمد أحمد عليش، والبرهان السقا، وحسن الطويل، وعبد الحميد حمروش البحراوي، وحسن بن محمد بن داود المالكي العدوي شيخ رواق الصعايدة بالأزهر الشريف، وحضر دروس الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وكانت تربطه بالسيد رشيد رضا أخوة ومودة.

ثم تصدر للتدريس، فكان من دروسه أن درَّس تفسير: (الكشاف) للزمخشري في الرواق العباسي بالأزهر الشريف، وأفادني بعض إخواني الكرام أن العلامة السيد عبد العزيز بن الصديق الغماري ممن حضر تلك الدروس، وقد نص هو على ذلك في: (تعريف المؤتسي)[1].

واشتهر صاحب الترجمة بين المفكرين والمثقفين، وكانت له مقالات في الصحف والمجلات، عالج فيها الكثير من نواحي الحياة الاجتماعية والخلقية، وله مناقشات وردود على القس صمويل زويمر، صاحب كتاب: (الغارة على العالم الإسلامي)، وكان عضوًا بمجلس إدارة جمعية الرابطة الشرقية، وكان للجمعية آثار جليلة في متابعة شؤون المسلمين في جنوب شرق آسيا، وإنهاء الخلافات بين المسلمين هناك.

وكان معروفًا في زمانه بسعة الأفق، والمتابعة لمشكلات العالم الإسلامي؛

(١) تعريف المؤتسي /ص٣٣.

قال الدكتور منصور فهمي في مجلة (حياتك) الصادرة في ديسمبر سنة ١٩٥٨م: (كانت رسالتي في الدكتوراه عن المرأة في الإسلام، واندفعتُ أكتبُ بحرارة الشباب المندفع، ويظهر أني انحرفت قليلًا، حيث كانت معلوماتي عن الإسلام طفيفة، وحين قُوبلت في مصر بضجةٍ كبرى ازددتُ عنادًا، ولكنَّ الله كتب لي أن أجلس طويلاً مع بعض مشايخ العلماء، من ذوي الأفق الواسع، والصدر الرحيب؛ من أمثال الشيخ حسونة النووي، والشيخ مصطفى عبدالرازق، والشيخ علي سرور الزنكلوني، هؤلاء الذين يمثلون عالم الدين الحقيقي في عقولهم وعلومهم، فبدأتُ أتخلَّص من الزيغ، لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله).

ومن المعارك العلمية التي خاضها صاحب الترجمة مسألة رفع الصوت خلف الجنائز، فقد وقع نقاش بين علماء مدينتي حيفا وعكا؛ إذ سأل أحد المسلمين الشيخ كامل القصاب، حول حكم الشريعة في رفع الصوت خلف الجنائز، فأجاب بأنه مكروه تحريمًا، وأنه بدعة قبيحة، يجب إنكارها وإزالتها، وتوجه الرجل بالسؤال الى الشيخ عبد الله الجزار قاضي عكا ومفتيها، فأجاب بالجواز، مما حدا بالسائل إلى أن يرسل نص فتوى القصاب وفتوى الجزار إلى الشيخ علي سرور الزنكلوني، والشيخ محمود محمد خطاب السبكي، وهما من علماء الأزهر الشريف، فأفتيا بأن رفع الصوت خلف الجنائز بدعة منكرة، مؤيدين فتوى القصاب، وقام الزنكلوني بنشر الفتوى على صفحات جريدة الشورى المصرية، فقام الشيخ محمد صبحي خزيران رئيس كتاب المحكمة الشرعية في عكا بطباعة رسالة بعنوان: (فصل الخطاب، في الرد على الزنكلوني، والقسام، والقصاب) انتصر فيها لأستاذه الشيخ عبد الله الجزار،

وبعد أن نشرت الرسالة، قام الشيخ عز الدين القسام والشيخ القصاب بتأليف كتاب أسمياه (النقد والبيان، في دفع أوهام خزيران)، وطبعاه على نفقتهما في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٩٢٥م، وقد نقلا فيه كلام أئمة المذاهب الأربعة، ونقلا في آخر الكتاب فتوى العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية بالمنع أيضًا.

ومن مؤلفات الشيخ علي سرور ـ رحمه الله تعالى ـ كتاب: (الدعوة والدعاة، أسباب التخلف، ومنهاج التطبيق)، طبع قديمًا في مكتبة وهبة بالقاهرة، بتقديم سعادة الدكتور محمد البهي، وقد ترجم له حفيده الشيخ محمد الطاهر الزنكلوني ترجمة لطيفة، مثبتة في صدر الكتاب المذكور، وهو مطبوع في مكتبة وهبة، في رمضان، سنة ١٣٩٩هـ، هذا وقد انتقل الشيخ المترجم إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٥٩هـ.

يروي عن: ١ ـ العلامة سيف الله بن إبراهيم بن عمر بن خفاجي السكندري ت١٣١٠هـ، وهو عن البرهان الباجوري، عن العلامة الشرقاوي والعلامة الشنواني بما في ثبتيهما.

٢ ـ ويروي عن العلامة حسن بن محمد بن داود العروي المالكي ـ شيخ رواق الصعايدة بالأزهر ـ عن مصطفى بن أحمد المبلط الأحمدي الطنطاوي، عن الأمير الكبير بما في ثبته.

٣ ـ ويروي عن العلامة البرهان إبراهيم بن الحسن بن علي السقا الشبرانجومي، عن الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير بما في ثبته: «سد الأرب».

٤ ـ ويروي عن الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله عليش المالكي، عن أبيه، عن محمد بن علي الشفراني.

٥ ـ ويروي عن الشيخ حسن الطويل، عن عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المصري، وهو جماعة منهم: السيد محمد مرتضى الزبيدي بأسانيده، والسيد علي بن عبد البر الونائي.

٦ ـ ويروي عن عبد الرزاق بن حسن بن علي البيطار الشامي، عن محمد أمين البيطار، عن الوجيه عبد الرحمن الكزبري الصغير، عن أبيه، عن محمد بن عقيلة المكي بما في ثبته.

٧، ٨، ٩ ـ ويروي الزنكلوني عن: الجمال يوسف أفندي، ومحمد بن درويش الحوت الشامي، وحسين الجسر الطرابلسي: ثلاثتهم عن الوجيه الكزبري الصغير، وعلي الرئيس الزمزمي، والسيد بن عثمان الميرغني، ثلاثتهم عن صالح بن محمد الفلاني بما في ثبته «قطف الثمر».

١٠ ـ ويروي عن العلامة السيد عبد الهادي نجا الأبياري الأزهري الشافعي بأسانيده، وقد تقدمت في ترجمته من هذا الكتاب.

نروي مروياته عن سماحة شيخنا العلامة الجليل الإمام الشيخ علي جمعة الأزهري، عن العلامة محمد الحافظ التيجاني والعلامة محمد ياسين الفاداني، كلاهما عنه.

ومن طريق العلامة الفقيه أحمد جابر جبران الشافعي، عن العلامة الفقيه محمود بن عبد الدايم الأزهري الشافعي، عنه.

* * *

❁ **العلامة المحدث الفقيه المسند: نور الدين أبو الحسن علي بن عبد البر بن علي بن عبد البر بن عبد الفتاح بن محمد الونائي الحسني الشافعي الأزهري.**

العلامةُ الإمام، الفقيه المسندُ المحدث، صاحب التصانيف والمناقب الجمة، وصاحب الصلاح والولاية، والونائي نسبة إلى ونا، وهي بالفتح، قرية في صعيد مصر، من بلاد البهنسا، تتبع محافظة بني سويف، قال الحافظ مرتضى الزبيدي في: (تاج العروس): (ووَناءُ كسَحابٍ، أَو هي وَنَى بالقَصْرِ، قَرْيةٌ بِمِصْرَ، بالصَّعِيدِ الأَدْنى، منها الشمسُ محمدُ بنُ إسْمعيل الوَنائِيُّ، أَحَدُ الأَذْكياءِ، رَوَى عن السمي محمدِ بنِ عبدِ الدائِمِ البرماوي وغيرِهِ، تَرْجَمه الحافِظُ السَّخاوي في الضوءِ)[١]، قلت: وقد ذكرها علي مبارك باشا في (الخطط التوفيقية)[٢]، وترجم لثلاثة من أعيانها، وهم: قاضي القضاة شمس الدين الونائي، المترجم في حسن المحاضرة، والشمس محمد بن الفخر الونائي المترجم في الضوء اللامع، ومحمد أفندي عثمان الونائي، الذي استكتبه علي مبارك باشا، وطلب منه سيرة ذاتية، أثبتها في (الخطط التوفيقية)، ولم يترجم علي مبارك باشا للعلامة علي بن عبد البر الونائي صاحب هذه الترجمة، وكأني به قد غابت أخباره وخفيت، لهجرته إلى المدينة المنورة ووفاته هناك، وعدم شيوع المصادر التي ترجمت له.

وقد ولد العلامة الونائي سنة ١١٧٠هـ، ونشأ في كنف والده الشيخ عبد البر بن علي بن عبد البر الونائي، المتوفى في ربيع الأول سنة ١٢٠٣هـ،

(١) تاج العروس /٤٠/٢٦٢.
(٢) الخطط التوفيقية /١٧/١٦٩.

وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ يلازم دروس السيد محمد مرتضى الزبيدي، ويحضر في منزله كثيرًا، وحضر دروس السيد مرتضى في جامع شيخو، وكتب قطعة من شرحه على الإحياء، وكان يحث ولده المترجم على ملازمة السيد محمد مرتضى.

وقد تتلمذ المترجَمُ لجماعةٍ من العلماء، فمن كبار شيوخه المصريين: الإمام أبو البركات أحمد الدردير، والإمام محمد بن سالم الحفني، وعيسى البراوي، وعطية الأجهوري، وعلي الصعيدي العدوي، ومحمد بن علي الشنواني، وأبو الحسن علي القطوري، وقد كان اختصاصه وتخرجه بالحافظ مرتضى الزبيدي، حتى ترجم له شيخه الحافظ مرتضى في (المعجم المختص)، قال ما حاصله وخلاصته: (لازمني ملازمةً تامةً، وطبق الطباق، وضبط الأسماء، وعرف الأسانيد والرجال، وتدرج في فنون الحديث، وناولته شرحي على الإحياء، وأمرته بمطالعته من أوله، فنظر فيه بالإمعان، ونبه على مواضع منه، فأصلحته فيما يحتاج إليه، وهكذا إلى قريب الآخر، ولاحت عليه الأنوار، وله في معاملة القلوب قدم راسخ)[١]، وقد نقل الكتانيُّ كلامَ الزبيدي هذا، ثم قال: (وناهيك بهذا من مثل هذا الشيخ).

ولم يزل المترجم في ترقٍّ وصعود، وقد رُفِعَت له وجاهةٌ ومنزلةٌ، حتى لقبه العلامة السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس) بـ(مسند مصر)[٢]، وقال عنه أيضًا: (هذا الرجل كان من نوابغ المصريين، ولو طال عمره لأنسى ذكرَ كثيرٍ من مشايخه)[٣]، وقال العلامة الوجيه الكزبري في

(١) المعجم المختص /ص٥٤٨.
(٢) فهرس الفهارس /٢/٩٠٤.
(٣) فهرس الفهارس /٢/١١١٤.

ثبته: (ومن أكابر شيوخي: السيد الإمام، والسند الهمام، ذو الكشوفات الباهرة، والكرامات الظاهرة، سيدي نور الدين علي بن عبد البر الحسني الشهير بالونائي، الأزهري الأصل، المدني الهجرة والوفاة، اجتمعت به في المسجد الشريف النبوي، بالقرب من المواجهة الشريفة، وحدثني بحديث الأولية بشرطه، وكتب لي إجازة بخط يده، وله أسانيد رفيعة عالية، وسيرد عليك شيء منها، توفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى عشرة، ودفن في البقيع)[1]، وبالجملة فقد كان المترجم كثيرَ الفضائل، جمَّ المناقب، حتى أفرد تلميذه العلامة أبو حفص عمر بن عبد الرسول العطار المكي ت١٢٤٩هـ كتابًا في ترجمته ومناقبه، وكان من جملة رفاقه الشهاب أحمد الدمهوجي، فقد كانت بينهما مودة ومرافقة في الطلب والتحصيل، حتى إن غالب إجازات الدمهوجي كانت بخط الونائي كما سبق في ترجمة شيخ الإسلام الدمهوجي من هذا الكتاب.

وأما تلامذته فقد قال الكتاني في: (فهرس الفهارس): (أجاز الونائي لعمر بن عبد الرسول المكي، وولده محمد بن عمر، وصالح الفلاني، ومحمد صالح الرئيس، والمسند محمد بن مصطفى البسنوي المدني، وصديق بن عبد الله ربيع العطار، وحسن بن إبراهيم البسناني الحنفي، وعبد الرحمن الجبرتي، ومحمد شفيع الهندي الحنفي، وعبد الرحمن بن محمد الرئيس الشافعي عامة، بل أجاز الونائي يوم الخميس ٢٢ ذي الحجة عام ١٢٠٧ لأهل مكة الموجودين بها حالة الإجازة، ومن يولد منهم ما دام موجودًا بها)[2].

---

(١) ثبت الكزبري /ص٢٤/، تحقيق الإمام المسند محمد ياسين الفاداني، وهو أيضًا في ثبت الكزبري /ص٣٢٤/ من النسخة التي اعتنى بها فضيلة الشيخ عمر موفق النشوقاتي، والتي أخرجها ضمن مجموعه النفيس المسمى: (مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين، وسيرهم، وإجازاتهم).

(٢) فهرس الفهارس /٢/١١١٥/.

قلت: ويضاف إلى تلامذته الإمام الوجيه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري كما تقدم، والعلامة محمد بن محمد بن محمد العربي البناني المالكي ت١٢٤٥هـ، والإمام محمد بن عيدروس بن عبد الرحمن بن عيسى الحبشي باعلوي، والإمام الوجيه عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، والسيد زين العابدين بن علوي جمل الليل، وعبد الله بن عبد الباقي الشعاب الأنصاري المدني، وقد أجاز الونائي للمذكورين جميعًا إجازة عامة.

قلت: وأما مؤلفاته فمنها: كتاب: (الدلالات المعتبرة، بشرح الجوهرة)، (تحفة الأفكار الألمعية، بشرح السبط للرحبية)، (فيوض الملك الدائم، على شباك المناسخات لابن الهائم) في الفرائض، (نجاة الروح، وكنز الفتوح)، (مورد الظمآن، إلى مولد خير الأنام ﷺ)، (شرح صلوات الدردير)، (الدرة السنية، بشرح الكنوز البهية) في البلاغة، (عناية الملك الرحمن، في حكم شرب الدخان)، (كشف النقاب، عن منهج الطلاب)، (أربعون حديثًا)، (إمداد جامع الحقائق، بشرح المورد الرائق)، (دليل السالك، إلى مالك الممالك)، (الزهرة العليا، في التحذير من متاع الحياة الدنيا)، (الكلمات الجلية، في بيان المراد من الآجرومية)، (المنح الإلهية، بشرح بعض الأوراد البكرية)، (درة السالكين، إلى رضا رب العالمين).

ومن مؤلفاته أيضًا: ثبت مروياته، والذي شرع فيه في ذكر شيوخه مع ترتيب ذكرهم وَفْقَ ترتيبِ المعجم، لكنه لم يتم، و(مختصر ثبت شيخ الإسلام زكريا)، و(مختصر ثبت الإمام عبد القادر الفاسي)، و(عمدة الأبرار، في أحكام الحج والاعتمار) وللعلامة الشيخ بكري شطا حاشيةٌ على هذا الكتاب، وصل فيه إلى زيارة النبي ﷺ، وقد قامت الباحثة السيدة

الفاضلة ليلى بنت عبد الله بن سالم بن حفيظ بتحقيق كتاب: (عمدة الأبرار)، وهو أطروحتها التي نالت بها درجة الماجستير.

وقد توفي الشيخ بالمدينة المنورة، لثمان أو تسع بقين من شهر المحرم، سنة ١٢١١هـ، وقد جعل الكتاني وفاته سنة ١٢١٢هـ، وهو غير دقيق، فلزم التنبيه، كما أن صاحب الترجمة حسني النسب، من ذرية أبي محمد الحسن بن علي ﷺ، وقد اضطرب المترجمون للشيخ، فمنهم من يجعله حسينيًا ومنهم من يجعله حسنيًا، والصواب ما ذكرته؛ لأن عمود نسبه ينتهي إلى الحسن الأنور ابن الإمام الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ، ثم إن ابن عمه السيد عبد الرحمن بن أحمد بن علي الونائي الحسني كان له اشتغال بالعلم أيضًا، وكان يحضر دروس السيد مرتضى الزبيدي، رحم الله الجميع».

يروي عن: ١ ـ الحافظ محمد مرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ، بما في أثباته ومعاجمه وهي كثيرة ومشهورة، ٢ ـ ومحمد بن عبد ربه بن الست المالكي وهو أعلى شيوخه المصريين إسنادًا، ٣ ـ والشهاب أحمد بن محمد الدردير ت١٢٠١هـ، بما في ثبته، ٤ ـ ومحمد بن علي بن منصور الشنواني ت١٢٣٣هـ، بما في ثبته: (الدرر السنية) ٥ ـ وأحمد بن أحمد بن جمعة البجيرمي الشافعي ت١١٩٧هـ، وللونائي ثبتٌ فيما يرويه عن شيخه أحمد جمعة البجيرمي خصوصًا، ٦ ـ وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي ت١٢٣٩هـ، بما في ثبته، ٧ ـ والبرهان إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب النمرسي الشافعي، ٨ ـ والمعمر عبد القادر بن أحمد الأندلسي، وهو عن البرهان الكوراني بما في ثبته: (الأمم)، ٩ ـ وصفي الدين محمد بن أحمد البخاري الحنفي الأثري ت١٢٠٠هـ، ١٠ ـ وعبد الرحمن بن عبد الله بن حسن بن عمر الأجهوري المالكي

ت١١٩٨هـ، وقد جمع له السيد مرتضى الزبيدي معجما لشيوخه، ١١ ـ وأبي الفتح بن محمد ابن الإمام الكبير مسند الحجاز حسن بن علي العجيمي المكي، وهو عن أبيه عن جده بما في ثبته المشهور (كفاية المتطلع لما ظهر وخفي، لأسانيد العجيمي الحنفي)، ١٢ ـ ومصطفى بن محمد بن رحمة الله الأنصاري الأيوبي الرحمتي، وهو عن جماعة منهم الإمام عبد الغني النابلسي ت١١٤٣هـ بما في ثبته، ١٣ ـ وتدبج مع صالح بن محمد الفلاني ت١٢١٨هـ، وأسانيده في أثباته، ١٤ ـ الإمام الجليل محمد بن سالم الحفني، ١٥ ـ والعلامة عيسى البراوي، ١٦ ـ العلامة عطية الأجهوري، ١٧ ـ الإمام الجليل علي بن أحمد الصعيدي العدوي، ١٨ ـ المعمر بدر خوج المكي الحنفي، عن الشمس محمد الطبري المكي، عن عبد الواحد بن إبراهيم الحصاري، وهو عن الشمس الغمري، والشمس السخاوي، والشرف عبد الحق السنباطي، ثلاثتهم عن الحافظ ابن حجر، وأرجو أن يتيسر لي النظر في هذا السياق، فإني لست منه على ثلج، ١٩ ـ ويروي أيضًا عن خديجة بنت الإمام عبد الوهاب بن علي بن عبد القادر الطبري.

ونحن نروي مروياته من طريق الحبيب حامد بن علوي الكاف، والشيخ محمد زكي الدين أبو القاسم، وشيخنا سماحة الإمام الشيخ علي جمعة، ثلاثتهم عن العلامة الإمام محمد ياسين الفاداني، عن العلامة السيد علي سرور الزنكلوني، عن العلامة الشيخ حسن الطويل، عن العلامة عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة المؤرخ الحبيب جعفر بن محمد بن حسين السقاف، عن العلامة الأصولي الأديب الحبيب عبد الرحمن بن عبيد الله

السقاف، عن الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، عن عمه محمد بن عيدروس الحبشي، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة الحبيب عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن عيدروس بن عمر الحبشي عن: جده علي بن محمد، عن جده عيدروس بن عمر، عن عبد الله بن عبد الباقي الشعاب الأنصاري المدني، عنه، وهذا سندٌ عالٍ نفيس.

* * *

۞ العلامة المحقق الأصولي الأديب الشيخ: نور الدين أبو الحسن عليُّ بن عبد الحق القوصي بن يوسف بن حسن بن نوفل ابن سيدي يوسف أبي الحجاج الأقصري، الحسينيُّ القوصيُّ ثم السيوطيُّ، الحجاجي المالكي.

ولد بقوصٍ سنة ١٢٠٢هـ، وكان والده العلامة السيد: عبد الحق بن يوسف من كبار العلماء، حضر على العلامة الشيخ علي الصعيدي العدوي ولازمه، وكان يُدَرِّس بالجامع الأزهر إلى أن توفي سنة ١٢١٢هـ ودفن بالمجاورين، وقد أثبتُّ نسبه هنا كما هو في ترجمته من كتاب: (الجامع لصلة الأرحام)[1] للعلامة النسابة السيد: أحمد وفقي بن محمد يس رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ثم إني بعد أن تحققت من نسبه على النحو المذكور عرفتُ أنه هو بعينه المترجم عند الحافظ مرتضى الزبيدي في: (المعجم المختص)[2] غير أنها ترجمة موجزة في أسطر، ولما أن مات التحق ولده المترجم بقوص، وحفظ

(١) الجامع لصلة الأرحام /١/٧١.

(٢) المعجم المختص /ص٣٢٦.

القرآن الكريم بها، ثم التحق بإسنا، ولزم العلامة الشيخ عثمان الإسنوي ت١٢٢٧هـ، وأخذ عنه، ثم التحق بالأزهر الشريف، فلزم العلامة الشيخ محمد الأمير ت١٢٣٢هـ، وأخذ عنه وعن طبقته من علماء الأزهر الشريف، ثم رجع إلى قوص ودرس بها زمانًا، ولزم الشيخ أحمد بن إدريس وأخذ عنه، كما لزم العلامة السيد محمد بن علي السنوسي ت١٢٧٦هـ خمس سنوات بالجبل الأخضر، وأخذ عنه علوم الميقات والأوفاق.

ثم حببت إليه السياحة، فدخل بلاد الشام، واليمن، والقسطنطينية، وجزيرة كريت، كما أنه أقام في مكة فترة في حدود سنة ١٢٦٩هـ، وجرى بينه وبين علماء الحجاز مناقشات ووقائع.

ولما رجع إلى مصر ارتفع شأنه جدًّا، وصار من أعيان المجتمع، يشار إليه بالبنان، وكان له اجتماعٌ خاصٌّ بالخديوي عباس، وخلع عليه كسوة تشريف، واجتمع بعده بسعيد باشا في ولايته على مصر.

فصل

أما مؤلفاته ـ رحمه الله تعالى ـ فمنها: (شرح على خطبة مختصر السعد التفتازاني على التلخيص)، و(رسائل في علم الفلك على الربع المقنطر والمجيب)، و(رسالة في الإسطرلاب)، و(حاشية على مولد سيدي أحمد الدردير)، و(تشنيف الأسماع، في تعريف الإجماع)، و(إيقاظ الوسنان، في العمل بالسنة والقرآن).

وحدثني شيخنا محمد زكي الدين أبو القاسم أن لصاحب الترجمة قصيدة في الشاي اسمها: (نغمة الناي، في نعمة الشاي)، وأنه شرح قصيدته المذكورة

في كتاب لطيف اسمه: (ذكرى مس الطائف، في لطائف تقوي شاربي الشاي بالطائف)، وأنه يقتني نسخة من المخطوط، قلت: ومن هذا الكتاب الأخير نسخة مخطوطة في مكتبة الإسكندرية، في اثنتين وثمانين ورقة.

ومن مؤلفاته أيضًا رسالة في: (نسبة المعصية إلى آدم عليه السلام)، وكان حينئذ بأرض الحجاز، فتعصب عليه العلماء، وشكوه لابن عون شريف مكة، فعقد بينه وبينهم مناظرة فألزمهم الحجة، ثم مدح شريف مكة بقصيدة طويلة، في نحو من مائة وخمسين بيتًا، هكذا قيل، وإن كنت قد علمت أنه رجع عن قوله بنسبة المعصية إليه، وأن قصيدته كانت في الاعتذار عن ذلك، فالله أعلم بحقيقة الحال.

فصل

ثم انفتحت مصادر المعرفة بتوفيقٍ من الله جلَّ شأنه، فعلمت أن واحدًا من الناس قد تكلم في نسبة المعصية على وجه التحقيق إلى آدم عليه السلام، دون حملٍ للنصوص على مقتضى العصمة، ومقامِ الحشمة مع الأنبياء، فحصل نزاعٌ شديد، وتطاير شرر المسألة، وتدافع الناس فيها، واتُّهِم ابنُ عبد الحق بمتابعته، لِمَا كان عند ابن الحق من تعلقٍ ومتابعة لذلك الرجل، مع أن كلامَ ابن عبدِ الحق مغايرٌ تمامًا لكلام ذلك الرجل الذي أثار الفتنة، ولم يزل الأمر حتى رفعت الاستفتاءات إلى علماء الحرمين وغيرهما من علماء الآفاق، ووقع كلام شديد في حق من ينسب المعصية إلى الأنبياء على وجه يصادم عصمة الأنبياء عليهم صلوات الله تعالى، وخرجت الفتاوى عليها توقيعات الأكابر من العلماء والمفتين، بتشديد النكير على القائل بذلك، فممن كتب من

العلماء بذلك: العلامة المفتي محمد الكتبي، والعلامة حسين إبراهيم مفتي المالكية بمكة المكرمة، والعلامة الشيخ صديق بن عبد الرحمن الحنفي، والعلامة السيد أحمد دحلان مفتي الشافعية، والعلامة أحمد عبد الرحمن النحراوي، والعلامة جمال بن عبد الله شيخ عمر الحنفي، والعلامة الحبيب حسين بن محمد بن حسين الحبشي مفتي الشافعية، والعلامة إبراهيم محمد سعيد، والعلامة عبد الله بن مصطفى فقيه، والعلامة يوسف السنبلاويني، وغيرهم كثير.

وقد تبين أن ما يقوله ابن عبد الحق مغاير تمامًا لما يقوله ذلك الرجل، حتى قال الشريف أحمد السنوسي رحمه الله: (وإن كان كلامه في وادٍ، وكلام ذلك الرجل في واد).

وقد أنشأ ابن عبد الحق في ذلك قصيدة يرفع فيها إلى شيخه الإمام السيد السنوسي اعتذاره، وتحقيق مراده ومقصوده، قال ومطلعها في مخاطبته:

لبدء الهدى بالحمدِ أبدأ بالحمدِ ... وأسأل مولى خصَّ جدَّك بالحمد
صلاة وتسليمًا عليه وآله ... وأولاده طُرًّا إلى العلم الفرْدِ
إمام الهدى، مولى الجميع، سَمِيِّه ... أبي العون حقًّا، لا ابنه، بل أبي المجد

إلى أن قال وهو يصف مجلس المناظرة:

فلما التقينا أحجموا وعلى المِرَا ... أصرُّوا ولم يخشَوْا صيارفة النقد

دعوتم نِزَال الحرب أقدمتُ حاسرًا   لكم، وغدوتم قادرين على حَرْدِ

ملأت كنانتي كتابًا وسنةً   فلا غرو أن ألقى جموعكمو وحدي

إلى أن قال:

ولكنني قمت انتصارًا وغيرةً   أناضل في تكفير جل ذوي الرشد

جهابذة التفسير من كل مذهبٍ   ولا سيما الحفاظ كالقرطبيْ المجـ

ودُرِّ جلال الدين، والبغويْ، وقِسْ   عليهم، وأعلام الكلام من العـد

وسيد جرجان المحقق ما اختفى   ونحوهما، كالآمديْ السيفِ والعضد

وأصحابنا القاضي، عياضٍ وغيرهم   وتلميذه، والشيخ ذي الجوهر الفرد

وقطب رحى التوحيد حجة أهله السـ   ـنوسي، أعممتم لواسطة العقد

إلى أن قال:

فمنها بشرط البحث ما شئتموا خذوا   فإن رُدَّ بالأقوى فلسنا من اللُّدِّ

وما المطل بعد الفصل شيمة مهتدٍ   ولا العسف قبل الكشف ديدنُ مَنْ يَهْدي

فمهما تجلت شمسُ حقٍّ بحجة   أوينا إليه كالعرمرم في وهْدِ

بفاروقنا في العَوْدِ للحق نهْتدي   ولو من فتاةٍ جاء أو جاء من وغْدِ

ثم أنشأ قصيدة أخرى في مدح السيد المذكور مطلعها:

حظوظُ روحي، حظوظي، عنهم حجبي   فيا خطوطيَ روحي، فالصبا نجبي

ويا نسيم الصبا، لبَّ الملاب ورِقّ   ورَقِّ وارْقَ أماليد النقا وطِبِ

وامْرُرْ على الروضة الغناء مرتكضًا   واجْرُرْ بها فضلَ ذيلٍ بالندا رطِبِ

حتى خلص إلى ذكر السيد فقال فيه:

وفي مثاني الثنا شرف لسانك والـ   أسماع شنف هنا بالشعر والخطبِ

وارفع أكف ابتهال بالدعاء بحفـ   ـظِ ابنٍ به ابتهجت أمُّ القرى وأبِ

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابـ   ـن الطاهر النسب بن الطاهر النسبِ

ثم أنشأ فيه قصيدةً أخرى مطلعها:

لــــو ســــامحوا مهجــــورهمْ أو زاروا
بــــالطيف مــــا قعــــدت بــــه الأوزارُ

وله فيه أيضًا قصيدة مطلعها:

مَــنْ لِمَــنْ مِــنْ رقــدة الغفلــة هــبْ
بهْرَجًــا بــين شــذورٍ مــن ذهــبْ
صِــفْرَ كــفٍّ في اصــفرار الشــمس مِــنْ
يــومِ عُمْــرٍ في المعــاصي قــد ذهــبْ

فصل

وكانت إقامته ـ رحمه الله تعالى ـ بمدينة أسيوط، وكان له بها درس دائم، بمسجد سيدي جلال الدين السيوطي، ولما طعن في السن كان يقرأ الدرس في البيت، ويحضره أكابر العلماء، وله بها دار مشيدة، وعقارات ومزارع، وكان لا يذهب إلى بلدته قوص إلا نادرًا، وله بها رحم وأملاك من عقارات ومزارع، وكان قد أقرأ صحيح البخاري في أسيوط، وممن حضر عليه الصحيح كاملًا العلامة حسن بن أحمد الرفاعي الهواري، وقد توفي العلامة علي عبد الحق إلى رحمة الله تعالى بأسيوط، سنة ١٢٩٤هـ، ودفن بجبانتها.

وقد ترجم له ابن أخيه العلامة الفاضل الأزهريُّ الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد بن عبد الحق القوصي، في رسالة أرسل بها إلى العلامة علي مبارك

باشا، وقد أوردها الأخير في: (الخطط التوفيقية) مع زيادات[1].

وقد ولد لمحمد هذا ولد، اسمه أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الحق القوصي، ولد بقوص سنة ١٢٨١هـ الموافق ١٨٦٤م، وتعلم بأسيوط، ثم بالأزهر ومدرسة دار العلوم، وكان له اشتغال بالأدب، وعانى التدريس، واشترك في تحرير بعض المجلات، وأنشأ جريدة (النجاة) الأسبوعية، ولقيت إقبالا، وقد امتازت أزجاله بالمعاني الاجتماعية والأخلاقية في قالب فكاهي شعبي رقيق، له ديوان مطبوع، احتوى على بعض ما كتب من زجل وشعر، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٥م، وكذلك كان شقيقه الشيخ حامد القوصي، فقد كان لهذين الشقيقين القدح المعلى في الزجل.

وأما العلامة الشيخ علي عبد الحق صاحب الترجمة فقد ولد له الشيخ أحمد، وولد للشيخ أحمد السيدة إحسان، وكانت رحمها الله تعالى كاتبة شهيرة، لها مقالات سائرة، وقد درس الشيخ أحمد بن علي بن عبد الحق على أبيه، وعلى العلامة الشيخ علي حسين الطوبجي السيوطي، والشيخ علي الطوبجي من تلامذة العلامة الأمير الكبير، رحم الله الجميع، وأسكنهم من الفردوس المكان الرفيع.

فصل

وقد اعتنيتُ لفترةٍ طويلةٍ بتأمُّلِ أبعاد شخصيته، وفكره، وثقافته، والتدقيق في كيفية تكوينه، فرأيت عالمًا جليلًا، أتقن العلوم الشرعية، وكان فيها كامل الآلة متضلعًا، تربى على أيدي الأكابر علمًا وسلوكًا، وخالط الصالحين وعايشهم.

(١) الخطط التوفيقية /١٤/٤٣٤، وترجم له أيضًا الزركلي في الأعلام /٤/٢٩٨.

وكان مثقفًا، يتقن اللغة التركية، وقد سافر كثيرًا، فخالط ثقافات الأمم والشعوب، فاتسعت مداركه وآفاقه، كما أنه خالط الملوك ووجهاء المجتمع، كل ذلك مع ديانة موفورة، وصلاح ظاهر، فكان كثير الذكر، وكان يطول في الصلاة جدًّا، حتى كان من لا يعرف ذلك منه يقطع الصلاة إذا اقتدى به، كما كان جريء الجنان، قوي الشخصية، لا يهاب المناظرة، ويخوض المعارك العلمية، ويَظهر فيها على خصومه.

وكانت قد وقعت لي قديمًا نسخةٌ مخطوطةٌ من كتابه: (تشنيف الأسماع، في تعريف الإجماع) له، ففرحت بها جدًّا، واقتنيت مصورةً منها، فلما أن نشطتُ للترجمة له، رجعتُ أبحث عن ذلك الكتاب فوجدته، فأقبلتُ عليه، وقرأتُه مراتٍ، وتأملته طويلًا، وأنا أحاول أن أستكشف منه اطلاعه، وقوة مُدركه في تمحيص المسائل العلمية.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يرى الاجتهاد، والخروج عن الجمود على تقليد المذاهب الفقهية، قال علي مبارك باشا في: (الخطط التوفيقية): (ومن ألمعيته، وكثرة اطلاعه، كان له تصرف واستنباطات من الكتاب والسنة، حتى شاع عنه أنه لا يتقيد بمذهب، بعد أن كان مالكيًّا.

وكان يقرأ الحديث مثلًا، ويقول: هذا مما يرد على مالك، وهذا مما يرد على الشافعي، وهذا مما يرد على أبي حنيفة، ويقول: إن باب الاجتهاد لم يزل مفتوحًا، وما من إمام من الأربعة المجتهدين إلا وأوصى قبل موته أن من ظهر له الحق على خلاف ما قاله فيتبعه، ويقول: أنا في الحقيقة متبع للأئمة في العمل بوصيتهم، وغيري هو المخالف لهم)[1].

(١) الخطط التوفيقية /١٤/٤٣٦.

قال العلامة المؤرخ عبد الستار الدهلوي في: (فيض الملك الوهاب المتعالي): (وعدم تقيده بمذهبٍ سرى إليه من شيخيه ابن إدريس والسنوسي، كما أننا أدركنا تلامذتهما كذلك غالبًا).

قلت: وقد صدق العلامة الدهلوي في ذلك، فقد كان العلامة الحافظ محمد بن علي السنوسي ـ رحمه الله ـ مشهورًا بذلك، حتى جرت له بسبب ذلك الوقائع، قال الأستاذ الإمام محمد عبده: (ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسي كتب كتابًا في أصول الفقه، زاد فيه بعض مسائل على أصول المالكية، وجاء في كتابٍ له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة، وقد يرى ما يخالف رأي مجتهد أو مجتهدين)[1].

كل هذا فضلًا عن براعة العلامة القوصي في فنون الأدب، حتى لقد ذكره تلميذه العلامة فالح الظاهري في: (حسن الوفا) وهو يتكلم عن أبي الحلم الزموري البرقي إلى أن قال عنه: (وبأبي الحلم المذكور تخرجتُ في قرض الشعر، وكان من البلغاء المفلقين، كابنِ عبد الحق المذكور).

قلتُ: وأرى خيوطًا دقيقةً تربط بين صاحب الترجمة الشيخ علي عبد الحق، وبين شيخ الإسلام العلامة الشيخ حسن العطار، والأستاذ رفاعة الطهطاوي، والأستاذ الشيخ محمد عياد الطنطاوي رحم الله الجميع؛ إذ يتفق أربعتهم في كثرة السياحة والسفر، وكثرة القراءة في الثقافة المعاصرة، مع معرفة التراث، والتضلع من العلوم الشرعية، إضافةً إلى الاطلاع على الوضع العالمي، واتساع النظرة، لملاحظة مدى تأثير ذلك على الفقه الموروث، فخرج الثلاثة بدعوة إلى التجديد، مع اختلاف يسير في طبيعة التجديد

(١) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده /٣/٣٣٠.

عند كل واحد، تبعًا للفروق الطفيفة في التكوين العلمي، وحجم المعطيات التي اطلع عليها كل واحد منهم، ووضعت بين يديه.

أما اتساع ثقافة شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار، واطلاعه على التراث الإنساني الواسع، فيدل له قوله، فيما نقله عنه البيطار في: (حلية البشر): (وقد يسر الله حين سياحتي في الديار الرومية والشامية والحجازية، فرأيت جهابذةً فضلاء، وأساتذةً نبلاء، قد تسنموا غارب الفضل، واجتنوا ثمار العقل، فأخذت عنهم بعضًا من العلوم، وربحت تجارتي بما استفدته من دقائق المنطوق والمفهوم).

وأما اطلاع رفاعة بك الطهطاوي على التراث الإنساني الواسع، وإدراكه لظروف المجتمع الدولي، فأمر مشهور، ويكفيه فيه كتاب: (تخليص الإبريز، في تلخيص باريز).

وأما اطلاع العلامة علي عبد الحق القوصي فيدل له كثرة أسفاره، وإتقانه بعض اللغات سوى العربية، وقد وضح أثره في نظرته الفقهية.

وأما اطلاع العلامة الأستاذ محمد عياد الطنطاوي فأمر مشهور، فقد درس في الأزهر الشريف على أكابر العلماء، ولزم البرهان الباجوري، وتتلمذ للعلامة العطار، واشتهر بالعلم، وتتلمذ عليه في القاهرة عدد كبير من المستشرقين، ثم انتقل إلى روسيا، وسافر إليها يوم ٢٤ من المحرم سنة ١٢٥٦هـ، ودرس اللغة الروسية، وأقام في بطرسبورج؛ إذ كان يعمل مدرسًا للغة العربية بمعهد اللغات الشرقية في بطرسبورج (لينجراد الآن)، وظل يعمل هناك نحو ربع قرن، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٨٦٢م[١].

(١) وقد ترجم له أغناطيوس كراتشكوفسكي في كتاب مستقل، اسمه: (حياة الشيخ محمد عياد طنطاوي) ترجمه إلى العربية كلثوم عودة، ونشر في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب =

وكان رأس هذه المدرسة العلمية القائمة على المزج بين المعارف والعلوم الشرعية، وبين علوم الواقع وعوالمه، شيخ الإسلام العلامة الشيخ حسن العطار؛ إذ التف حوله التلامذة، وأعجبوا باتساع علومه ومعارفه، واتساع أفقه لكثرة سياحته، وتأثروا بشخصيته، مع تميز دروسه ومجالسه بأنماط من العلم، وأنساق من الفكر، لا يجدونها عند غيره، فكان ـ رحمه الله ـ رائدًا من رواد الإحياء، وكان من تلامذته الذين لزموه وتخرجوا به، رفاعة الطهطاوي، وعياد الطنطاوي، والبرهان السقا وغيرهم كثير.

وليس عندي أدنى شك في تلمذة القوصي للعطار، وتأثره بشخصه وعقليته، رغم أني لم أرَ التصريح بذلك، لقلة المصادر التفصيلية حول حياة الشيخ علي عبد الحق القوصي، فإني قد جمعت تلك الشذرات المتفرقات التي سجلها المؤرخون حوله، وتأملتها زمانًا طويلًا، مع مراجعة مطولة لحياة أعلام تلك الفترة وتحركاتهم، ونشاطهم، وأنا أحاول في ذلك الوصول إلى تصور واضح لشبكة العلاقات التي كانت قائمة بين أولئك الأعلام، فقد حضر العلامة القوصي في الأزهر الشريف أيام أن كان العطار متصدرًا للتدريس فيه، والعطار ممن تتوفر الهمم على التعلق بمثله، وقد اشتهر عن

= والعلوم الاجتماعية، وترجم له أيضًا العلامة أحمد تيمور باشا في كتابه القيم: (أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث) /ص٤٥/، وترجم له الدكتور محمد عبد الغني حسن ترجمة جيدة في كتابه: (أعلام من الشرق والغرب)/ص٣٠/، وترجم له الأستاذ أنور الجندي في كتاب: (أعلام لم ينصفهم جيلهم) /ص١٦/، وانظر كتاب: (الاستشراق الروسي، دراسة تاريخية شاملة)/ص١٠٨/ للدكتور سعدون محمود الساموك، ثم إني رأيت بعد ذلك كله الرحلة الروسية للشيخ محمد عياد الطنطاوي، والتي أسماها الشيخ: (تحفة الأذكيا، بأخبار بلاد الروسيا)، وقد نشرها وقدم لها الدكتور محمد عيسى الصالحية، وفي تقدمته رصد جيد للكتابات التي عرفت بالشيخ محمد عياد رحمه الله تعالى.

القوصي ملازمته للعلامة محمد الأمير الكبير المتوفي سنة ١٢٣٢هـ، وتولى العطار مشيخة الجامع الأزهر الشريف سنة ست وأربعين ومائتين، وابن عبد الحق القوصي في ذلك الوقت يتردد بين القاهرة وقوص، فلا يفوته شخص في مثل تألق العطار وتفرده وتميزه.

وقد وقع لي جزء مخطوطٌ نفيسٌ، وهو مجموع من كلام الشيخ علي عبد الحق القوصي وملفوظاته، جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الرقيم السيوطي، وعنوان المخطوط: (مجموعة من كلام الحافظ علي عبد الحق القوصي نزيل أسيوط)، فمما ورد فيها أن القوصي كان يرى أن الحق واحد لا يتعدد، وأنه لا إثم على أحد من المخطئين حيث وفى النظر حقه، فأنشأ الشيخ رفاعة الطهطاوي بيتين في مدحه لأجل هذا المعنى، قال الشيخ رفاعة:

(الحق عند ابـن عبـد الحـق وحدتـه ... يبقيـه مذهبـه في القـول والعمـل
حـبر جليـل وبحـر طـاب مشـربه ... حدث عن البحر أو فضل الإمام علي)

قلت: والبيتان المذكوران ليس لهما ذكر في (ديوان رفاعة الطهطاوي) المطبوع، والذي جمعه الدكتور طه وادي، فيستدركان عليه.

ثم إنه يستفاد من هذا السياق وجود الروابط والصلات بين رفاعة الطهطاوي وعلي عبد الحق القوصي، مما يدل على ما أرتأيه وأذهب إليه، من أن الجميع ينتمون إلى مدرسة واحدة، على رأسها شيخ الإسلام الحسن العطار.

والمقصود أن العطار ـ رحمه الله تعالى ـ قد امتزجت في عقله العلوم والمعارف، ورصد الواقع، مع سعة الاطلاع، والإلمام بثقافات الأمم، فاتسع نظره لفهم معنى عالمية الدين ومخاطبته للحضارات والثقافات المختلفة، وعرف مقدار تأثير ذلك في فهم المسائل وتكييفها، وبث هذا المعنى في نفوس

تلامذته، فكتب هو نفسه يدعو إلى التجديد الفقهي والفكري، وكتب تلميذه رفاعة الطهطاوي في التجديد الفقهي كتابه القيم المهم: (القول السديد، في الاجتهاد والتقليد)، وهو مطبوع في مطبعة وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٧هـ، وكتب العلامة علي عبد الحق القوصي في التجديد الفقهي كتابه: (تشنيف الأسماع، في مسألة الإجماع) وهو مخطوط، حتى إن شيخنا سماحة العلامة الجليل الإمام الشيخ: علي جمعة مفتي الديار المصرية حينما أرخ للتجديد في أصول الفقه في كتابه القيم: (قضية تجديد أصول الفقه) قال: (بدأت الدعوة إلى تجديد أصول الفقه منذ زمن ليس بالقصير، ضمن الدعوة إلى تجديد العلوم بصفة عامة، فقد رأينا كلمة تجديد تظهر عند رفاعة الطهطاوي في كتابه: «القول السديد، في الاجتهاد والتقليد» الذي طبع بمصر سنة ١٢٨٧هـ)[1].

كما أرى هنا لمحة مهمة، وهي أن العطار قد دفع تلامذته إلى الاطلاع على ثقافات الأمم، ورَصْد ما يدور فيها من حراك فكري واجتماعي، فدفع رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا، ودفع عياد الطنطاوي إلى روسيا، فرصد كل منهما أمة من الأمم، حتى انصب ذلك الرصد بين يدي العطار، فأعانه ذلك على أن يدرك زمانه، حتى يعينه ذلك على أن يعرف الواقع، وما ينبغي له أن يستخرجه لهذا الواقع من الشرع الشريف، وقد قال الإمام العطار في إجازته لأبي حامد الدمنتي: (لما كان لكل زمان رجال، ولكل حادثة مقال، اقتضت الحكمة الإلهية أن يقوم في كل عصر من يدون لأهل ذلك العصر على شاكلة عقولهم، ويقرب إليهم كلام من تقدم على قدر قرائحهم وفهومهم، طلبا للتحصيل، وروما للتسهيل).

---

(١) قضية تجديد أصول الفقه /ص٤/.

قلت: وقد ذكرني هذا النمط من العلماء بنسق الجهابذة من الأقدمين الذين قاموا بواجب وقتهم، فعرفوا واقع زمانهم، فاستخرجوا له من الشرع الشريف ما يناسبه من الهداية، وانظر مثلا قول يونس بن عبد الأعلى: (كان الشافعيُّ إذا أخذ في أيام الناس تقول هذه صناعته)، ثم ارجع بهذا إلى قول أحمد بن محمد ابن بنت الشافعي: ثنا أبي قال: (أقام الشافعي على العربية وأيام الناس عشرين سنة، وقال: ما أردت بهذا إلا الاستعانة على الفقه)[1]، وقد توسعت في شرح ذلك في كتابي المسمى: (العلاقة بين الفقه وأصوله)، فانظره مشكورا.

وأقول: ولعلك ترى من السياق الطويل الذي ذكرته لك هنا، وفي ترجمتي للعلامة العطار من هذا الكتاب، أن رفاعة ـ رحمه الله ـ لم يكن سوى ثمرة من ثمرات فكر العطار، وأن اتجاه رفاعة إلى الكتابة في تجديد أصول الفقه لم يكن سوى تجاوب وتأثر منه بشخصية العطار وعقليته وفكره.

فصل

كان رحمه الله قد عرف الإمام الكبير السيد أحمد بن إدريس، اجتمع به في قريته الزينية، ورافقه إلى مكة المكرمة، ولازم دروسه، وتلقى على يديه الطريق، ثم لما أن توفي السيد أحمد بن إدريس رجع القوصي إلى مصر، ولا أشك في أنه أجيز من السيد أحمد بن إدريس، ولكني لم أر التصريح بذلك، فلا أتقحم على هذا الأمر؛ إذ هو باب مرده النقل البحت.

(١) نقله الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق/٥١/٢٩٨/، والحافظ المجتهد أبو شامة المقدسي في كتاب: الروضتين، في أخبار الدولتين/١/٢٢/، والحافظ الذهبي في: تاريخ الإسلام/١٤/٣٤٠/، وفي سير أعلام النبلاء/١٠/٧٥/، والحافظ السيوطي في: نظم العقيان/ص٢/.

يروي عن جماعة منهم: ١ ـ العلامة محمد بن محمد الأمير الكبير، وروايته عن الإمام العلامة محمد بن محمد بن عبد القادر الأمير ت١٢٣٢هـ، بما في ثبته: (سد الأرب)، فله فيها خصوصية، إذ هو آخر من بقي يروي عنه على ظهر الأرض في زمانه، قال العلامة السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس): (وهو آخر من بقي على وجه الأرض من الآخذين عن الأمير، خلافًا لزعم أبي الحسن ابن ظاهر في حق شيخه أحمد منة الله أنه آخرهم، لأن منة الله مات سنة ١٢٩٢هـ، والقوصي هذا تأخر بعده إلى سنة ١٢٩٤هـ)[1].

هذا ولْيُعْلَم أن البحث في الآخريات أمر صعب، يحتاج إلى تحقيق دقيق في التواريخ، وهو موجود عندنا في عدد من المسائل، وتترتب عليه فوائد علمية، كمثل البحث في آخر الصحابة موتًا، وكمثل البحث في آخر من روى عن الحافظ ابن حجر رحمه الله، وغير ذلك كثير من المسائل، مما لا يحضرني الآن.

ومن أمثلته المعاصرة المتعلقة بأسانيد المصريين أن العلامة الشيخ محمد أمين سراج نص على أن إجازة شيخه العلامة الكوثري له كانت قبل وفاته بعشرين يومًا، كما في إجازته التي كتبها بخطه لفضيلة الشيخ محمد عبد الله الرشيد على طرة ثبت العلامة الكوثري، وقد أورد الرشيد مصورتها في: (إمداد الفتاح)[2]، وكانت وفاة الكوثري في يوم الأحد، التاسع عشر من ذي القعدة، سنة ١٣٧١هـ، أي أنّ الإجازة كانت في التاسع والعشرين أو الثلاثين من شوال في العام المذكور، ومنه تعلم خطأ العلامة المحقق المتقن:

(١) فهرس الفهارس /٢/٨٩٦/.
(٢) إمداد الفتاح /ص٢٤٢/.

محمود محمد الطناحي ـ رحمه الله تعالى ـ حيث ترجم للعلامة المحقق الأستاذ فؤاد السيد عمارة ـ رحمه الله تعالى ـ المتوفى في صباح الأحد الثاني من رمضان سنة ١٣٨٧هـ، والترجمة المذكورة في مقالات الطناحي[1]، فذكر أن الشيخ فؤادًا هو آخر من أجيز من الكوثري، قال: (وقد أجاز الشيخ الكوثري فقيدنا في ليلة الجمعة ٢٠ من رمضان سنة ١٣٧١هـ، في السنة التي توفي فيها، وكانت آخر إجازة يمنحها الشيخ لتلاميذه)[2]، ثم ذكر نص الإجازة، ومن مجموع ما تقدم تعلم أن إجازة الكوثري للشيخ فؤاد صدرت من الكوثري في ٢٠ رمضان قبل وفاته بتسعة وخمسين يومًا تقريبًا، بينما صدرت منه الإجازة للشيخ سراج قبل وفاته بعشرين يومًا، فآخر من أجيز من الكوثري هو الشيخ محمد أمين سراج على التحقيق.

قلت: ثم إني لقيت الدكتور أيمن فؤاد السيد، في مكتب الإمام الأكبر، شيخ الأزهر الشريف، فذكرت له ذلك، فقال لي: (إذن أنا السبب في ذلك، فأنا الذي ذكرت للطناحي أن إجازة الكوثري لوالدي هي آخر إجازة صدرت منه)، والله تعالى أعلم.

ونعود إلى ما كنا بصدده فنقول: ٢ ـ ويروي العلامة القوصيُّ أيضًا عن العلامة الإمام محمد بن علي السنوسي ت١٢٧٦هـ بما في أثباته وهي كثيرة مشهورة.

٣ ـ ويروي عن العلامة الشيخ عثمان بن عيسى الإسنويِّ المالكيِّ ت١٢٢٧هـ ـ وقد سبقت ترجمته ـ بأسانيده.

(١) مقالات العلامة محمود محمد الطناحي /١/٧٠/.
(٢) مقالات الطناحي /١/٨١/.

قلت: وممن تتلمذ على العلامة علي بن عبد الحق القوصي وروى عنه: إبراهيم بن مصطفى المطعني، وأبو اليسر فالح الظاهري لقيه في مكة، وذكره في ثبته: (حسن الوفا)، ومحمد بن الحسن المصري، ومحمد الطنطاوي الأزهري، وأبو الحلم عبد الرحيم بن أحمد الزموري البرقي، وأبو الحسن علي بن خليل السيوطي، والعلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمود السيوطي الحنفي المعروف بقراعة، مفتي الديار المصرية ت ١٣٥٨هـ، وأحمد بن عبد القادر الريفي، وعلي بن حسن الليثي البولاقي.

وممن تتلمذ عليه أيضًا العلامة الشيخ أبو محمد حسن بن أحمد الرفاعي بن أحمد الشهير بالهواري العدوي، وهو شيخ السيد عبد الحي الكتاني، قال مخلوف في: (شجرة النور): (ولازم بأسيوط درس العلامة المحدث الشيخ علي بن عبد الحق القوصي، تلميذ الإمام السنوسي والأمير الكبير، وانتفع به، وأجازه بمروياته وأسانيده)[1]. قلت: بل حضر على ابن عبد الحق صحيح البخاري كاملا، وغيره من كتب الحديث.

وممن تتلمذ علي ابن عبد الحق أيضًا العلامة عبد الله باشا فكري ت١٣٠٧هـ، فقد لازمه، ولازم تلميذه العلامة المحقق علي خليل السيوطي.

ونحن نروي مروياته من طريق: شيخنا السيد محمد بن علوي المالكي، عن العلامة الشيخ حسنين بن محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية، عن أبيه، عن العلامة أحمد بن شرقاوي، عن محمد بن الحسن المصري، عنه.

(ح) ومن طريق شيخنا العلامة الشيخ يوسف بن عبد الله القرضاوي، عن الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري، عن العلامة عبد الرحمن بن

(١) شجرة النور /ص٤١٢/.

محمود قراعة مفتي الديار المصرية سابقا، عنه رحمه الله.

(ح) ومن طريق السيد الحسن بن الصديق الغماري، عن العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي، عن العلامة أبي الحسن علي بن خليل السيوطي، عنه.

(ح) ومن طريق الشيخ محمد الفاتح بن محمد المكي الكتاني، عن أبيه، عن توفيق الأيوبي الدمشقي، عن محمد الطنطاوي الأزهري، عنه.

(ح) ومن طريق السيد عبد الرحمن بن محمد عبد الحي الكتاني، عن أبيه، عن حسن العدوي الصعيدي، عنه.

❁ العلامة القارئ الشيخ: علي بن محمد توفيق النحاس الدمياطي.

ولد في فارسكور بمحافظة دمياط سنة ١٩٣٩م، تلقى القراءات العشر الصغرى وفنون التجويد على عدد من العلماء منهم: العلامة الشيخ عامر السيد عثمان، والعلامة الشيخ: عبد الرزاق السيد البكري، ودرس على يد الدكتور عيسى عبده، وعلى يد الشيخ محمد أبو زهرة، كما درس كثيرًا على والده الشيخ محمد توفيق الأزهري الشافعي، وكان والده المذكور من علماء الأزهر الشريف، ولد سنة ١٨٩٨م، وحصل على العالمية سنة ١٩٢٧م، وعمل خطيبًا ومدرسًا بأسيوط وبورسعيد والزقازيق، وكان هو المراقب السابق للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر إلى أن تقاعد سنة ١٩٦٧م، وكان قد تلقى القراءات على يد الشيخ محمد جابر، مؤلف تحريرات طيبة النشر، وحضر دروس الإمام الشيخ محمد بخيت المطيعي وأجيز منه.

وهو قارئٌ متقن، وله عدد من المؤلفات النافعة في هذا الباب، فمن

مؤلفاته كتاب: (الوجيز، في أحكام تلاوة الكتاب العزيز) قدم له العلامة الشيخ عامر السيد عثمان شيخ المقارئ المصرية، وكتاب: (القصيدة الحسناء، في الأوجه المقدمة عند العشرة القراء)، وكتاب: (المجلى، في أحكام كلا)، (فيض الآلاء، في الأوجه المقدمة لورش في الأداء)، (رسالة في الرد على من منع قراءة حمزة والكسائي)، (رسالة في طرق حفص)، (تعريف بالقراء العشرة وأصول قراءاتهم)، (مقدمة في علوم القراءات)، وغيرها من المؤلفات.

وكان الشيخ قد انتقل إلى المملكة السعودية عام ١٩٧٢م، وعمل بها، وأثناء وجوده بها اختاره المشرف على الدعوة والإرشاد بنجران للعمل على توعية الجاليات غير المسلمة، فأنشأ قسم الجاليات هناك، وألف كتابًا بالإنجليزية أسماه: (إظهار الحق من الكتاب المقدس)، كان سببًا في إسلام كثير من الناس، حتى أسلم على يديه ما يزيد على المائة.

اجتمعت به مساء عاشر جمادى الأولى ١٤٢١هـ، فكتب لي الإجازة، وهو يروي عن: أبيه ت١٣٩٤هـ، عن: علامة الديار المصرية محمد بخيت المطيعي ت١٣٥٤هـ، عن: شيخه أبي عبد الله محمد بن أحمد عليش ت١٢٩٩هـ، عن: الأمير الصغير ت١٢٤٦هـ، عن: والده الإمام محمد بن عبد القادر الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ بما في ثبته المشهور: (سد الأرب، من علوم الإسناد والأدب).

قلت: وهذا سندٌ لطيفٌ مسلسلٌ بالمصريين، ولا أدري هل أجاز العلامة الشيخ بخيت المطيعي لمحمد النحاس إجازة عامة، أو أنه اقتصر على ثبت الأمير بالسند المذكور، فاقتصرت على سياقة السند كما كتبه لي الشيخ بخطه.

هذا وقد تدبج شيخنا الشيخ علي النحاس أيضًا مع مسند حلب الشيخ أحمد محمد سردار، وقد ذكره الشيخ أحمد سردار ضمن شيوخه في ثبته (أعلام الرواة المحدثين)(١).

فصل

وأما قضية الأوجه المقدمة فهي اختيارٌ للشيخ، تفرد به، ونازعه وناقشه فيه أرباب هذه الصنعة، وقد رغبتُ إلى أخي الكريم، فضيلة الشيخ أحمد محمد سعد الأزهري ـ نزيل لندن ـ أن يحرر لي ما وعاه من مباحثة شيخه صاحب الترجمة، فأرسل إليّ مشكورًا جزء لطيفًا في المسألة، أسماه: (فتح ذي العطاء، في الأوجه المقدمة عند القراء)، ثم أرسل إلي بعدها تحريرًا في وريقة، فيه خلاصة المسألة، أحببت أن أثبته هنا، تصويرًا لمذهب الشيخ المترجم حفظه الله، قال فضيلة الشيخ أحمد سعد الأزهري حفظه الله: (خلاصة مذهب الشيخ علي النحاس ـ حفظه الله تعالى ـ: الإقراء من التيسير والتحبير، لأنهما أصل الشاطبية والدرة، والتعويل عليهما في الطرق والوجوه، فما كان فيهما صار لدى الشيخ مقدما، بشرط اتصال سند صاحبي التيسير والتحبير بالقارئ أو الراوي في هذا الوجه، قال: «مدارنا في اختيار الوجه الراجح في الأداء، فيما ورد فيه الخلاف، على تتبع السند الذي قرأ به الداني على شيخه، في الطريق الذي أسنده في تلك الرواية في التيسير، وكذا سند ابن الجزري في الطريق المسندة في التحبير.

وما زاده الشاطبي في الشاطبية من الوجوه والطرق التي لا توجد في

(١) إعلام الرواة المحدثين /ص٢٣٧/.

التيسير لا ينبغي أن يقرأ الناس بها من طريق الشاطبية (لأن أصلها التيسير) وإنما من طريق طيبة النشر لأنها وردت فيها، وقد ذكره الشاطبي على سبيل الحكاية وتتميم الفائدة، ولذا ينبغي العودة للتيسير لأنه هو الأصل وعليه المعول بالشرط السابق وهو اتصال السند للقارئ والراوي. والعودة للتيسير ستكفي الناس مؤونة تشعب الوجوه في الشاطبية التي سببها عدم العودة للأصل».

الرد على فضيلته: **أولا**: الشاطبية انتشرت واستفاضت، وتلقاها المختصون بالقبول، والناس يحفظونها، فمن يحفظ التيسير؟!.

ثانيا: ثبت ـ كما ذكر الإمام السخاوي ـ أن الشاطبي كان يقرئ بوجوه، مما زاده على التيسير، فكيف يقول أنها ذكرت على سبيل الحكاية؟

والشاطبي نفسه ذكر زياداته فقال:

وألفافها زادت بنشر فوائد ... فلفت حياء وجهها أن تفضلا

بل والقول بأنها ملخص للتيسير كلام غير دقيق.

ثالثا: استحكام الفكرة في الشيخ النحاس أدته إلى إلغاء وجوه قوية في الشاطبية فترك بذلك قرآنا يقرأ.

رابعا: التحقيق أن الشاطبية أصل يرجع إليه، ومرجع وحده، بدليل أن ابن الجزري أشار إليها في أصول النشر كطريق مستقل، مرة مع التيسير، ومرة من غيره، ثم كيف تصح أوجه الشاطبية من طريق الطيبة، والشاطبية سابقة على الطيبة، وحجة عليها، وأصل لها؟

خامسا: مع أن الشاطبي لم يبين أصوله، فمن تتبعه من طلابه حرر هذه الأوجه، وقد قبلها محررو هذا الفن، كسلطان المزاحي، والمنصوري، ومحمد

المتولي وغيرهم، وفوق هذا فكتاب جامع البيان للداني اشتمل على كثير منها مما لم يذكر في التيسير، فهل يقرئ الشيخ النحاس من جامع البيان إذا؟!)، انتهى كلام أخي الكريم، فضيلة الشيخ أحمد سعد الأزهري وفقه الله ورعاه.

* * *

العلامة الإمام شيخ الإسلام: أبو الإرشاد نور الدين علي بن محمد زين العابدين ابن الإمام الكبير الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي.

هو الإمام الجليل، الفقيه المسند، فخر الديار المصرية في زمانه، ومحط رحال القاصدين، ولد سنة ٩٦٧هـ في أجهور الورد، قرية بريف مصر، وهي بضم الهمزة وسكون الجيم وضم الهاء وسكون الواو بعدها راء.

وقد نشأ في كنف العلماء، حيث كان أكثرهم تلامذة جده الإمام الشيخ عبد الرحمن الأجهوري، فبرع في الفقه والأصلين، والبلاغة والمنطق، وفنون العربية، قال الكتاني في (فهرس الفهارس): (مسند الدنيا، ومفتي المالكية، وحامل رايتهم في عصره، الإمام الكثير التلماذ والتصنيف)[1]، إلى أن قال: (انتهت إليه رياسة مذهب مالك في المشرق، وانتفع الناس به طبقة بعد طبقة، من سائر المذاهب، ورحل الناس إليه من سائر الآفاق، فألحق الأحفاد بالأجداد، وعمر حتى قارب المائة)، إلى أن قال: (وترجمة الأجهوري هذا واسعة، وروايته عريضة، وقد استغرقت ترجمته من كنز الرواية لأبي مهدي الثعالبي سبعة كراريس، انظرها ترَ عجبًا).

(١) فهرس الفهارس ٢/٧٨٣.

أما مؤلفاته: فقد شرح مختصر خليل بثلاثة شروح: الشرح الكبير في اثني عشر مجلدًا، والشرح الوسيط في خمسة مجلدات، والشرح الصغير في مجلدين، وشرح مختصر ابن أبي جمرة على البخاري واسمه: (جمع النهاية، في بدء الخير والغاية)، وشرح ألفية السيرة للزين العراقي، وشرح ألفية ابن مالك، وشرح التهذيب للتفتازاني في المنطق، وله شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في مجلدات، وله حاشية على شرح التتائي الكبير على الرسالة لابن أبي زيد، وله حاشية على شرح النخبة للحافظ ابن حجر، وشرح على الشمائل للترمذي، وله منسك، و(السراج الوهاج، في الكلام على الإسراء والمعراج)، وعقيدة منظومة، وشرحٌ نفيسٌ عليها، وله كتاب: (فضائل رمضان)، وعليه حاشية للبرهان السقا، (الأجوبة المحررة، لأسئلة البررة)، (غاية البيان، لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان)، وإن كان محمد بن الطيب القادري قد قال في: (التقاط الدرر): (وثبت عندنا عنه أنه رجع عن قوله بحلية استفاف الدخان المعروف بطابا إلى تحريمه)[1]، فلا أدري ما هو تحرير المنقول عنه في ذلك، وفي مادة (دخن) من كتاب (معجم العامية المصرية وأصولها العربية) للعلامة أحمد تيمور باشا إحالة إلى مواضع كثيرة جدة تناولت قضية الدخان.

وللإمام الأجهوري أبيات مشهورة في النسبة بين الحمدين والشكرين اللغوي والعرفي، وقد تداولها أرباب الحواشي، وأكثروا من تردادها، حتى شرحها العلامة محمد بن علي بن أحمد بن محمد الورزثي في كتاب مستقل.

(١) التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر /ص١٣٨.

وقد تخرج به الأئمةُ الأكابرُ، مثل: الشيخ الإمام الشمس البابلي، والشهاب العجمي والنور الشبراملسي، والإمام أبي سالم العياشي صاحب الرحلة العياشية، والإمام الخرشي شارح المختصر، والإمام عبد الباقي الزرقاني شارح المختصر، والإمام إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي شارح المختصر، والإمام عبد العالي بن عبد الملك بن الشيخ عمر الجعفري الفويتجي، مؤلف كتاب: (الزهرات الوردية، في الفتاوي الأجهورية)، والشيخ موسى القليوبي، وغيرهم ممن لايعد كثرة، وقد توفي الشيخ ليلة الأحد، مستهل جمادى الأولى سنة ست وستين وألف، عن سنٍ عالية، قربا المائة، وصلي عليه صبيحتها بالأزهر، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

فصل

قال الدكتور ناصر عبد الله عثمان في كتابه المهم: (قبل أن يأتي الغرب): (والناظر في تاريخ ذلك العصر يجد أنه قد ظهرت فيه بعض المستحدثات والتي مثلت تحديًا للمجتمع بكامله، وبالطبع قام الذين أوتوا العلم والمتصدرون للفقه والفتوى بمعالجة السلبيات المترتبة على تلك المستحدثات، والاضطلاع بدورهم الذي أوجبه عليهم الإسلام من توجيه المجتمع نحو الحلال النافع، وإبعاده عن الحرام الضار، وذلك جزءٌ من واجبهم، المتمثل دائمًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد تمثّل هذا الأمر بالفعل في حدثين واجههما المجتمع في ذلك العصر، فأحدثا دويًّا كبيرًا بين أفراد المجتمع، وكان أول هذين الحدثين: ظهور شراب القهوة في بداية القرن ال١٦م، الأمر الذي شد انتباه المجتمع مع

صفوته المثقفة التي أفردت لهذا الحدث المؤلفات الخاصة، لبيان كونه حلالاً أم حرامًا، واستمر هذا الاهتمام قائمًا حتى القرن ال١٧م.

أما الحدث الثاني فتمثل في ظهور «التدخين» في بدايات القرن ال١٧م، الأمر الذي مثل تحديًا خطيرًا للمجتمع، مما دفع بأفراده أن يسرعوا إلى أهل العلم لكي يوضحوا لهم الحكم.

وقد لاقت تلك النداءات لدى العلماء كلَّ اهتمامٍ وجدية، ومن المفيد أن نبين أن هذا الاهتمام لم يكن قاصرًا على المجتمع المصري ورجال العلم، بل عم هذا الأمر كافة المجتمعات العربية والإسلامية آنذاك، حتى أنّا لنرى أن رجال العلم في تلك المجتمعات كانت تخاطب علماء مصر لكي يوضحوا لهم الحكم في تلك القضية.

وتلبية لتلك النداءات تسابق العلماء في وضع المؤلفات التي تُبَيِّن حكم هذا الأمر المستحدث، وقد حملت هذه المؤلفات في طياتها ما يمكن وصفه بمعركة من أقوى المعارك الاجتهادية، التي حدثت بين أهل العلم في مصر، ومن الطبيعي أن تكون هذه المؤلفات قد توصَّل فيها أصحابها إلى أحد الحكمين، إما الحِلّ، أو الحُرْمة، وقد استند كل في رأيه على ما يدعم ذلك الرأي.

وفي الحقيقة نرى أن كل فريق بذل قصارى جهده في توضيح حكم الدخان والإتيان بالأدلة التي تؤيد ما توصّل إليه من رأي، ومما هو جدير بالذكر ـ هنا ـ أن الأدلة والاستنباطات الفقهية لم تكن وحدها التي استند إليها كلا الفريقين لتأييد وجهة نظره في ذلك الشأن، بل نجدهم قد اعتمدوا كذلك على أقوال ونتائج أهم العلوم التجريبية في ذلك وهو علم الطب، حيث

كان لقوانين هذا العلم عندهم أهميتها التي يمكن الاعتماد عليها، والتدليل بها على صدق وجهة نظرهم وقوة فتواهم.

والناظر في أدلة كلا الفريقين يجد أنها قد اتصفت بالقوة في جانب والضعف في جانب آخر، على أن من الحق قوله أن أنصار تعاطي الدخان لم يكثروا من المبررات كالتي طرحها أنصار التحريم؛ لأن الأصل في الأشياء الحلال، والاستثناء هو الحرام. وإذا ظهر جديد فعلى المجتمع «الاجتهاد» حول هذا الجديد، وإثبات الاستثناء إذا كان كذلك، وبعد هذه المعركة الاجتهادية من كلا الفريقين، انتهى الرأي فيه كما يقول الخياري في رحلته: «والذي عليه المعول في حكمه أن يقال هو كساير المباحات، فإن أضرَّ بتعاطيه في بدن أو عقل حرم، وإن لم يضر فهو حلال على أصل الأشياء، فإن أصح الأقوال فيها الحل».

وبعيدًا عن الخوض في الاستنباطات والردود التي ساقها كل فريق لتقوية ما ذهب إليه، فإن أهم ما يمكن الخروج به من هذا الأمر، أن فقهاء ذلك العصر كانوا على درجة كبيرة من الاجتهاد الفقهي، وهو ما يجعلنا نغير من تلك الصورة القاتمة التي رسمت أو طبعت على ذلك العصر ـ من أنه عاش حالة من الركود والجمود في الاجتهاد الفقهي لم يعشها عصر قبله.

ولعل من أهم الأشياء التي حملتها المؤلفات التي عرضتها الدراسة أمرين، أولهما: أن أقوى ما ألف من كلا الفريقين أنصار الدخان وعدمه ـ على مذهب فقهي واحد وهو المذهب المالكي، وهو ما يدل على مدى حرية وقوة الروح الاجتهادية التي كان يحياها علماء تلك الفترة. الثاني: أن حجج الفقهاء في كلا الفريقين لم تقتصر على الحجج والاستنباطات الفقهية، بل

تعدّت ذلك إلى الاستدلال برأي الطب في ذلك. وقد لوحظ أن أسانيد أنصار التحريم ـ والتي في أصلها من أراء الأطباء المسلمين ـ كانت أقوى من الأسانيد التي ساقها الشيخ الأجهوري، والتي نسبت إلى أحد أطباء أوربا «موناردر الأسباني»، مما يعطينا انطباعًا عن استمرار احتفاظ الأطباء المسلمين بقوتهم حتى تلك اللحظة، وفي الوقت نفسه أن استدلال الشيخ الأجهوري برأي أحد أطباء أوربا يعطينا مؤشرًا قويًا على وجود اتصال ثقافي بين علماء العالم الإسلامي، والدول الأوربية آنذاك)[1].

فصل

ولا بأس بما ذهب إليه الدكتور ناصر عثمان في كلامه هذا، من التدليل بقضايا القهوة والدخان، وما جرى حولهما من نقاش فقهي، على بقاء العقلية الفقهية المسلمة إلى ذلك الوقت قادرةً على استيعاب الأحداث والنوازل والمستجدات، وملاحقتها بالتكييف الشرعي، وإبداء حكم الله تعالى فيها، ولكني أرى أن هناك ما هو أكثر أهمية في التدليل على ذلك، ألا وهو مدى إلمام فقهاء تلك المرحلة بأحداث العالم، والاستيعاب التام للعلاقات الدولية المعقدة في ذلك الوقت، والقدرة على رصد ما يطرأ على الساحة الداخلية والخارجية للأمة من منعطفات سياسية واقتصادية وفكرية، وكانت قد انعقدت صداقة عميقة بين الإمام الشيخ علي الأجهوري صاحب الترجمة وبين الشيخ أحمد بن قاسم الحجري، الملقب بـ(أفوكاي)،

(١) قبل أن يأتي الغرب /ص٢١٤/، وقد نقل فضيلة الدكتور محمد كمال إمام خلاصة كلام الدكتور ناصر عبد الله عثمان هذا، مؤيدًا له، في كتابه القيم المهم: الدليل الإرشادي إلى مقاصد الشريعة /١٣/٢/.

والذي كان من المسلمين المعروفين بـ(الموريسكيين)، وهم الذين تعرضوا لمحاكم التفتيش في الأندلس، فاضطروا إلى إظهار المسيحية وإنكار الإسلام، حتى خرج هو وأهله من الأندلس، إلى أقرب بلدٍ مسلمٍ وهو المغرب، ثم إن أحمد بن قاسم رحمه الله قد خرج سفيرًا ونائبًا عن سلطان المغرب زيدان بن أحمد بن محمد الحسني العلوي إلى كلٍّ من فرنسا وهولندا، في وفدٍ من خمسة عشر رجلًا، ثم رجع إلى المغرب، ثم خرج مرةً أخرى إلى المشرق قاصدًا الحج، فنزل مصر، ولقي بها شيخه العلامة علي الأجهوري، فطلب منه الأجهوري أن يؤلف كتابًا في أخبار سفارته إلى فرنسا وهولندا، فألف كتابًا كبيرًا سماه (رحلة الشهاب، إلى لقاء الأحباب)، ثم اختصره في كتاب آخر أسماه: (ناصر الدين، على القوم الكافرين، والسيف الأشهر، على من كفر)، وقد فُقد الأصل، وبقي المختصر، الذي وصلت إلينا منه نسختان، واحدة في دار الكتب المصرية، والثانية بخط المؤلف (وهو الخط المغربي)، نُشرت ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، في المركز العربي للأدب الجغرافي (ارتياد الآفاق)، بعنايةٍ وتقديمٍ من المحقق الأستاذ: محمد رزوق.

وقد قسم أحمد بن قاسم (أفوقاي) كتابه إلى ثلاثة عشر بابًا ومقدمة تستوفي قصة هروبه وأهله من الأندلس، حيث ملاحقات السلطات الإسبانية لكل عربي أو مسلم، وتوجههم إلى أقرب بلد مسلم وهي المغرب، حيث السلطان زيدان، الذي أرسل المؤلف مع وفد رجاله في سفارة إلى ملك فرنسا وملك هولندا، للإفراج عن بعض الموريسكيين الذين وقعوا ضحية لقرصنة عدد من البحارة الفرنج الذين نهبوهم، وألقوا بهم على شواطئ فرنسا

وهولندا، ونجح بعضهم في إرسال رسائل استغاثة للسلطان زيدان؛ فيعرض أفوقاي لهذه الأخبار منذ قدومه للمغرب، وسفارته لفرنسا وهولندا، ثم عودته، وسفره للحج، وزيارته لمصر، ومقابلة شيخه علي الأجهوري، شيخ المالكية بها، حتى وصوله إلى تونس في طريق عودته للمغرب، حيث انقطعت أخباره.

ومن أهم ما في الكتاب هو أخبار سفارته لدى ملك فرنسا وملك هولندا، وخاصة الأخيرة التي تُعد أخبارها ذات قيمة تاريخية عالمية؛ لأنها تثبت وجود علاقات بين العالم الإسلامي وخصوصًا المغرب وبين هولندا في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، وتثبت أيضًا وجود مسلمين في هذه البلاد في هذا التاريخ المبكر.

كما أن في كتابه هذا تفاصيل زيارته لعدد من المدن الهولندية خصوصًا (أمستردام)، و(ليدن)، و(باريس)، ووصف دقيق لتلك المدن، ووصف للحالة الدينية لأهل تلك البلاد، وعرض للأديان المشهورة فيها.

كما أن الكتاب قد اشتمل على محاورات ومناظرات وردود على اليهودية والنصرانية، واشتمل أيضًا على وصف أحوال المسلمين المتعرضين لمحاكم التفتيش، وكيف أجبروا على إظهار تنصرهم، وكيفية فرارهم إلى المغرب وغيرها.

فهذا السياق دليلٌ ناصعٌ على قيام فقهاء الإسلام برصد الأحداث، ومطالعة أخبار الأمم، والإلمام بتعقيدات العلاقات الدولية المتشابكة، ودليلٌ على أن شيخ الإسلام الشيخ علي الأجهوري شخصية جديرة بدراسات وبحوث كثيرة، لما أنها من الشخصيات التي تمثل جسورًا بين الحضارات

المختلفة، أو إلمامًا بتلك الجسور، كما هو الحال في شخصية الشيخ حسن العطار، والشيخ رفاعة الطهطاوي من المسلمين، وكما هو الحال في شخصية إدوارد وليم لين من الأوربيين، وكما هو الحال في شخصية فوكو زاوا يوكيتشي من اليابانيين، وغير هؤلاء كثير.

يروي العلامة علي الأجهوري عن: ١ ـ السراج عمر بن الجائي الحنفي، وهو عن الجلال السيوطي، بل وعن بعض أشياخ السيوطي كالشهاب الحجازي، ٢ ـ بدر الدين الكرخي الحنفي، وهو عن شيخ الإسلام زكريا، ٣ ـ الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الرملي، وهو عن شيخ الإسلام زكريا، ٤ ـ ومنهم الشيخ صالح البلقيني، وهو عن والده شهاب الدين البلقيني، عن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري، عن القسطلاني، ٥ ـ ومنهم الشيخ محمد البنوفري المكي، وهو عن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري، عن القلقشندي، عن الحافظ ابن حجر، ٦، ٧، ٨ ـ ومنهم الشيخ كريم الدين البرموني، والشيخ بدر الدين القرافي، والشيخ عثمان المغربي، الثلاثة عن جده الشيخ: عبد الرحمن الأجهوري، ٩ ـ برهان الدين العلقمي، ١٠ ـ شمس الدين الفيشي، ١١ ـ أحمد بن قاسم العبادي، ١٢ ـ نور الدين علي بن أبي بكر القرافي، وهو عن الجلال السيوطي، وله جزء اسمه: (المطالب العلية، بالإجازة العامة السيوطية).

قلت: وكانت قد وقعت لي كراسة لطيفة، فيها نص إجازة العلامة الشيخ علي الأجهوري صاحب الترجمة لتلميذه علي بن موسى الفرضي العدوي، يسوق فيها طرفًا من أسانيده ومروياته وشيوخه، وقد أوردت مصورة منها في الوثائق الملحقة بهذا الكتاب، فضلًا عن ثبته المشهور (إجازة أهل الفضل لأهل الفضل)، والذي أجاز به تلميذه أحمد بن عبد

الرحمن بن محمد البوذري المغربي، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية، وتحت يدي مصورة منها، وكان تاريخ تحريرها من الأجهوري هو يوم السبت، التاسع والعشرين من ذي الحجة الحرام، سنة خمس وستين وألف من الهجرة.

نروي مروياته من طريق: السيد عبد الرحمن بن الإمام عبد الحي الكتاني، عن أبيه، عن الناسك أبي محمد عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن الأمين الجزائري: عن مصطفى بن أحمد بن سادات القسمطيني: عن السيد محمد المكي بن الشيخ سعد البوطالبي مفتي قسمطينة وقاضيها: عن السيد عبد الملك الراشدي: عن عمه شيخ الجماعة بقسطمينة وقاضيها السيد عبد القادر بن محمد الراشدي: عن السيد محمد بن علي الجعفري: عن العلامة المحدث أحمد بن قاسم ابن أبي عبد الله محمد ساسي التميمي البوني: عن أبيه: عن العلامة علي الأجهوري.

وقد ساق الكتاني هذا السند في (فهرس الفهارس) في ترجمة العلامة أحمد بن قاسم البوني ثم قال: (وهذا إسناد عجيبٌ، مسلسل بالقسمطينيين إلى المترجم، وهو عن أبيه عن الشيخ علي الأجهوري من الندرة بمكان).

(ح) ومن طريق شيخنا السيد محمد بن علوي المالكي، عن العلامة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف، عن أبيه، عن العلامة الإمام أحمد بن شرقاوي المالكي، عن محمد بن أحمد بن محمد المصري الكبير الجرجاوي المالكي، عن الشيخ عبد المنعم الخياط، عن والده العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد المنعم الخياط، عن شيخ الإسلام الشيخ مصطفى الشهير بكنيته: أبي القاسم، عن البليدي، عن العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني، عن العلامة الشبراملسي الشافعي، عنه.

حرف الميم

❁ العلامة الكبير فضيلة الشيخ: مُتَولِّى بن يوسف بن حسن بن شلبي الأزهريُّ الشرقاوي، الشهير بالشيخ: (رؤوف شلبي).

واسمه متولِّى، بتشديد اللام المفتوحة، على صيغة اسم المفعول، هكذا كان ينطقها، وكان لا يُقِرُّ أحدًا ينطقها بصيغة اسم الفاعل، وهو من قرية الحلوات، مركز الإبراهيمية، محافظة الشرقية.

ولد يوم ١٢ سبتمبر ١٩٣٠م، وحضر على جماعة من العلماء، منهم: العلامة الشيخ محمد محمد الأودن، ومنهم العلامة الشيخ محمد محمد السماحي، ومنهم العلامة الشيخ محمد عبد الله دراز، ومنهم شيخ الإسلام الشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ محمود حب الله، والشيخ محمد الطيب النجار، والشيخ إبراهيم علي المحيّص، وهذه الطبقة.

وكان الشيخ إبراهيم بن علي المحيَّص مدرسًا للحديث الشريف بكلية أصول الدين، ثم درَّس فترةً طويلةً في جامعة البيضاء في ليبيا، وتوفي سنة ١٩٧٠م، وكان الشيخ رؤوف شلبي يذكر من تعلقه به، وكان يقول: «كنت تلميذَه وحِبَّه».

وكان للشيخ رؤوف محبةٌ تامة، وتعلق زائدٌ بشيخه شيخ الإسلام الشيخ عبد الحليم محمود؛ إذ الذي أشرف عليه في أطروحَتَيْه للماجستير

والدكتوراه، وقد ألف فيه كتابًا اسمه: (شيخ الإسلام الإمام: عبد الحليم محمود، سيرته وأعماله) وهو مطبوع في مجلد ضخم.

وقد عمل أستاذًا بجامعة الأزهر، وبجامعة قطر، وبالجامعة الوطنية في ماليزيا، وبجامعة أم درمان في الخرطوم، وشارك في بعثة الأزهر الشريف إلى جاكرتا، ودرَّس في جامعات سومطرة وجاكرتا، وقد كان في أندونيسيا على علاقة حسنة بالسيد حسين بن أحمد بن شهاب، وبالحبيب علي السقاف وغيرهم من أعيان السادة آل باعلوي أهل الفضل والصلاح.

وبالجملة فقد كان صاحب رحلة واسعة، وجهود كبيرة في خدمة الدين، فقد زار الهند، وأندونيسيا، وسنغافورة، ويوغسلافيا، واليمن، والسودان ودرس بها لمدة خمس سنوات، وغيرها من البلدان، وأنشأ مركز البحوث الإسلامية في ماليزيا، وعمل به مديرًا من سنة ١٩٧٠ إلى سنة ١٩٧٣م، وعمل هنا في مصر مستشارًا للإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود، وأشرف على سلسلة البحوث الإسلامية التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية، وكان هو الذي أنشأها، ثم تولاها من جاء بعده، كما تولى عمادة كلية أصول الدين بالمنصورة، ثم عمادة كلية الدعوة الإسلامية، وكان مقرها في الجامع الأزهر الشريف، فأعاد فيها نظام الحلقات، ليربط الكلية بالمسجد، ثم عين وكيلًا للأزهر الشريف، ثم جرَت عليه بعدها محنٌ وأحداثٌ ليس هذا بموضع تفصيلها.

وكان له اعتزازٌ بالأزهر الشريف، وإعظامٌ له، وكم كان يصيح في تلامذته: (اجعلوا ولائكم إلى هذا الجدار) يشير إلى جدران الجامع الأزهر الشريف صانه الله، وكان كريمًا صاحب مروءة ونخوة، إذا تقاضى مالًا لا

يعده، وإذا أعطى أحدًا مالًا أخرج له من جيبيه معًا لفَرْطِ كرمه وجوده، وقد عرفتُ الكثيرين من تلامذته، فسمعت من أخباره، واعتزازه بدين الله تعالى، ومحبته وإعظامه للأزهر الشريف، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، ثم إني تشرفت بزيارة أهله، حيث استقبلونا وأحسنوا وفادتنا، وكان على رأسهم ختنه وزوج ابنته السيد: أسامة عبد العال محمد العقباوي، وقد سمعت من أهل الشيخ أطرافًا من أخبار الشيخ التي أوردتها هنا.

فصل

وأما مؤلفاته فقد كان ـ رحمه الله ـ كثير التأليف، فله في مناقشة المسيحية كتب منها: (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)، وكتاب: (أضواء على المسيحية)، وكتاب: (المسيحية الرابعة).

وله في دراسة الإسلام في أرخبيل الملايو كتاب: (الإسلام في أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه)، وكتاب: (الأديان في العالم قبل الإسلام، مطالعة في مكتبة علماء الملايو)، وكتاب: (الدولة الإسلامية في فطاني وفي جزر الفلبين).

وله في المجال الاقتصادي كتاب: (المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام) (العمل الاقتصادي من وجهة نظر الإسلام).

وله في تاريخ الدعوة كتاب: (المجتمع العربي قبل الإسلام، دراسة في مرحلة التمهيد للدعوة الإسلامية)، وكتاب: (بشائر النبوة الخاتمة)، وكتاب: (الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها)، وكتاب: (الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، مناهجها وغاياتها).

وله في الحديث والسنة ثلاثة كتب: (منهج المحدثين في ضبط السنة)، وكتاب: (السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين)، وكتاب: (الحديث النبوي وأحوال الرواة)، وله في السيرة النبوية كتاب: (منهج العلماء في تدوين السيرة النبوية الشريفة).

وله في بحوث العقيدة كتب منها كتاب: (منهج القرآن في إثبات العقيدة الإسلامية)، وكتاب: (العوْد أحمد إلى النبع الصافي في العقيدة والسلوك).

ومن مؤلفاته أيضًا في مفهوم الدين وقضية الوحي كتاب: (إن الدين عند الله الإسلام، دراسة في مفهوم وحدة الدين)، وكتاب: (الوحي في الإسلام، وأهميته في الحضارة الإنسانية).

ومن مؤلفاته أيضًا كتاب: (آلهة في الأسواق، دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق)، وكتاب: (قضايا إسلامية معاصرة، التجربة الإسلامية، التجربة، الأخطاء، الحل)، وكتاب: (عودة القدس)، وكتاب: (عالمية الإسلام حقيقةٌ أولية، دليلها النص القرآني والممارسات الواقعية)، وكتاب: (تصورات في الدعوة والثقافة الإسلامية)، وكتاب: (سيكولوجية الرأي والدعوة)، وكتاب: (استوصوا بالنساء خيرًا)، وكتاب: (تفسير الطيب من القول)، وكتاب: (التضليل الماركسي)، وكتاب: (الجهاد في الإسلام، منهج وتطبيق)، وكتاب: (أصول المجتمع الإسلامي في سورة الحجرات).

وهذه المؤلفات وغيرها مما كتبه ـ رحمه الله ـ هو تراث جليل من فكر علماء الأزهر الشريف، وصورة من صور قيام العالم المسلم بواجب وقته، والتصدي لمشكلات زمانه، ولعل أحدًا من أهل العلم أن يجتهد في جمع مؤلفات الشيخ لتخرج في مجموع أعمال كاملة تصون تراثه وفكره؛ وفاءً له رحمه الله.

فصل

وكان رحمه الله تعالى قد رأى في أواخر حياته رؤيا جليلة، وقد صح في الحديث أنه: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ المُبَشِّرَاتُ»، وقد حدثني بها تلميذه فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد محمد إبراهيم شحاته حفظه الله، فطلبت منه أن يكتبها لي، توثيقًا لها، ففعل.

وهذا نص ما كتب: (بسم الله الرحمن الرحيم، في يوم من أيام آخر شهر من شهور رمضان، كان فيه مولانا الشيخ رؤف شلبي على قيد الحياة، وكان يوم ثلاثاء، وكانت الدراسة يومئذ في الجامع الأزهر الشريف كمقرٍّ لكلية الدعوة الإسلامية، وفي اليوم المذكور لم تكن عندي محاضرات، ولا أذكر لماذا ذهبت إلى منطقة الأزهر، متجها ناحية مولانا الإمام الحسين رضي الله عنه، فقابلت الأخ الزميل سيد أحمد عبد المرضي، فأخبرني أنه قد قابل مولانا الشيخ رؤف شلبي منذ فترة وجيزة، وكلفه أن يتصل بي لأذهب إليه في مسكنه، وكنت في ذلك الوقت أسكن في شبرا، فتناولت الإفطار في بيتي وذهبت إليه على الفور، وفُتِحَ لي بابُ مكان الاستقبال، ثم دخل الشيخ بعد فترة، وبعد الترحيب لي قال: يا أحمد!! أنا رأيت رؤيا، رأيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: نِعْمَ من رأيت!! فقص الرؤيا، قال: رأيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقفني بجواره، عن يمينه، وأدبًا مع سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم رجعت إلى الخلف خطوة، فأوقفني بجواره، فجعلت أقول: الحمد لله الذي جعلنا من أمة نبي نحبه ونؤمن به، وبقيت أرددها حتى سمعت أذان الفجر، فما رأيك؟ فقلت ما كنت جهزته في نفسي وهو: إن شاء الله لا بد من الفرج، ومع أن كلامي ليس معبرًا عن جو الرؤيا إلا أنه وافق قبولًا كبيرًا منه، وقال: بارك الله فيك، مع

أن الذي وقع في نفسي أنه الانتقال إلى جوار الله الرحيم سبحانه) انتهى ما كتبه الدكتور أحمد شحاته حفظه الله.

يروي عن: العلامة المحدث الشيخ محمد محمد السماحي رحمه الله تعالى، وهو يروي عن: ١ ـ العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، وأسانيده وأثباته مشهورة، ٢ ـ ويروي عن العلامة السيد محمد الباقر الكتاني ت١٣٨٤هـ بما في ثبته: (غنية المستفيد) وغيره من أثباته، وهي كثيرة.

ونحن نروي مروياته من طريق فضيلة الشيخ عبد الرؤف بن المبارك بن جمعة آل مبارك البحراني الأزهري المالكي، عنه.

* * *

❁ العلامة المحدث المفسر السيد: أبو المواهب محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث بن أحمد بن غنيم الكتاني الحسيني السكندري.

مُسندُ مصرَ في زمانه، ولد بالإسكندرية، مساء الاثنين، السابع والعشرين من رجب، الموافق ١ يوليو سنة ١٩٤٦م. ونشأ نشأةً صالحة بين يدي والده العالم الصالح السيد إبراهيم عبد الباعث، فحفظ القرآن الكريم صغيرًا على يد زوج أخته الشيخ حنفي محمود، وعلى يد الشيخ محمد الشافعي، وحفظ صحيح البخاري على يد والده، سماعًا منه، وقراءةً لمعظمه عليه مرات كثيرة، ووالده حضر الصحيح على الشيخ يوسف بن علي الشاذلي، وهو حضره على الشيخ محمد الحبشي نزيل الإسكندرية بأسانيده، وأقبل شيخنا على العلم والتحصيل، ورزقه الله القرب من الأشياخ والعلماء من صغره، فتحصلت له الأسانيد العالية، والرواية الواسعة، مع الصلاح والتقوى.

وقد غُذِّيَ الشيخُ بالعلوم والمعارف، حتى صار بحيث تقع له الفوائد والاستنباطات الرائقة، حتى إنك إذا ما سمعته يتكلم كأنك تسمع القاضي عياضًا ـ رحمه الله ـ وهو يتكلم؛ إذ تظن الشيخ يحفظ كتاب الشفا ويورد كلامه، وما هو من كتاب الشفا، بل هو على نسقه وروحه.

وقد أخبرني أنه رأى فيما يرى النائم الإمام الشيخ أبا الفيض محمد عبد الكبير الكتاني ت١٣٢٧هـ ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان ذلك سنة ١٩٧٤م، فأجلسه على حجره وأنشده:

رُبِّيــتَ في حِجْــرِ الدلالِ وطالمــا ... غُــذِّيتَ بالنَّفَثــاتِ دُونَ رَضــاعِ

قال الشيخ: فاستيقظت وأنا أحفظه.

ووالده الشيخ إبراهيم عبد الباعث عالم جليل، صاحب ولاية وصلاح، ولد سنة ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨/١١/٥م، ترك عددًا من المؤلفات، منها: (تشنيف الآذان، بتحسين الصوت في القراءة والأذان)، (مشكاة المصباح، في وصول القربات للأموات)، (الفقه المتبوع، في أن الركعة تدرك بالركوع)، (رسالة في الإسراء والمعراج)، (أحكام سجود السهو على مذهب الإمام مالك)، (قصيدة تائية في آداب السلوك والسير إلى الله، مطلعها:

إذا كنــت ملحوظـاً بعـين العنايــةِ ... أتــاك مــن الحنَّــانِ بــاطنُ عِــبْرَةِ

توفي في رجب سنة ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠/٩/٥م، ونقل بعد دفنه بسنة وتسعة أشهر فكان غضًّا طريًّا كيوم دفنه.

قرأتُ على الشيخ صاحب الترجمة: أوائل الفاداني، وقطعةً من أول صحيح البخاري، وثلاثيات البخاري، وثلاثيات ابن ماجه والترمذي،

وثلاثيات عبد بن حميد، وثلاثيات الطبراني، وثلاثيات الدارمي، وهدية المغيث للشنقيطي، والشمائل المحمدية للترمذي، قرأته في أربعة مجالس، وقرأت عليه قطعةً صالحةً من موطأ مالك، وقطعة من: (دليل السالك، إلى موطأ مالك) للشنقيطي، ومتن نخبة الفكر للحافظ ابن حجر في المصطلح، وكتاب: (نور العيون، في سيرة الأمين المأمون صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في السيرة، وجزء: (إبانة الرجل عن علمه وفضله إذا هو لم يُعْرَفْ له حَقُّ مثله) وهو جزء انتخبه الحافظ أبو طاهر السلفي من الأجزاء الطيوريات، تأليف شيخه أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري، رحم الله الجميع، وقرأت عليه الأربعين النووية، ومقدمة صحيح مسلم، وألفية السلوك المسماة: (رشفات الوصال، ونسمات أهل الكمال) للإمام عبد الرحمن بلفقيه، وحكم ابن عطاء الله السكندري، وأسمعني الحديث المسلسل بالأولية، وأجاز لي إجازةً عامةً غير مرة، وحضرت شيئًا من دروسه في شرح صحيح البخاري، ومن دروسه في التفسير من تفسير ابن جزي.

أما **مؤلفات** الشيخ فله من التصانيف كتابٌ ماتعٌ اسمه: (إبراء الذمة، في شرح حديث اختلاف الأمة)، وتصنيفٌ فائقٌ اسمه: (رد المتشابهات إلى المحكمات، في جانب خاتم النبوات) جزءان، وكتاب: (حكم نقل الأعضاء)، وكتاب: (الفرقان، بين نسبتي: القول والكلام في القرآن)، وكتاب: (مطابقة الخُبْرِ الخَبَر، فيما يتعلق بمسائل القدر)، وكتاب: (حجية السنة والرد على القرآنيين) وغيرها.

* * *

فصل

نشأ العلامة الشيخ عبد القادر بن عبد الوهاب الشاذلي ت١٢٩٧هـ في طرابلس الغرب، وتتلمذ على جماعة منهم العلامة محمد حسن بن حمزة بن ظافر المدني، فلازمه وتخرج به، ثم وفد العلامة عبد القادر إلى الإسكندرية سنة ١٢٦٣هـ، فاستوطنها، وأسس بها مجلسا لقراءة صحيح البخاري، في الأشهر الثلاثة، من أول رجب، إلى ليلة السابع والعشرين من رمضان، وفيها يكون ختم الصحيح، فأرسى بذلك أساس مدرسة إسنادية جليلة، تستحق الرصد والتتبع، وممن تخرج به وأمضى من بعده هذه السنة الكريمة تلميذه العلامة العارف الشيخ محمد الحبشي بن علي أبو سيد أحمد بن خطاب الشرقاوي ثم السكندري، والمتوفى سنة ١٣٢٠هـ، فقد واظب على هذه العادة الكريمة في إقراء الصحيح، ثم كان ممن تخرج به، وأمضى عادة إقراء الصحيح على ذلك النحو العلامة الشيخ يوسف الشاذلي ت١٣٥٢هـ، فكان يداوم على إقراء صحيح البخاري، يستفتحه في أول رجب، ويقسمه بحيث يتم الختم في ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم، ويكون مجلس الختم احتفالا كبيرا، يحضره العلماء والأعيان، وكان ممن تخرج به تلميذه العلامة الشيخ إبراهيم عبد الباعث ت١٣٩٠هـ، وقد أمضى هذه العادة في ختم الصحيح في الأشهر الثلاثة المعظمة من كل عام، وممن تخرج بهذا المجلس ولده صاحب هذه الترجمة، فقد حضر الصحيح كاملا على والده في الأشهر الثلاثة عدة مرات، ووالده حضره على الشيخ يوسف الشاذلي، وهو على الشيخ محمد الحبشي، وهو على الشيخ عبد القادر الشاذلي بأسانيده.

فالمترجم العلامة الشيخ محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني هو ثمرة هذه المجالس، وهو الذي تلقى الصحيح كابرا عن كابر على النحو المذكور،

حتى حفظ الصحيح، وله دروس مشهودة في شرحه، أملى منها ما يزيد على ستمائة مجلس.

وكانت الإسكندرية في تلك الحقبة عامرة بالعلماء والمجالس، فكان العلامة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي ت١٣٦٤هـيدرس مختصر ابن الحاجب بجواره ضريحه في الإسكندرية، فضلا عن علماء معهد الإسكندرية الأزهري، فضلا عن علماء جامع إبراهيم باشا، وقد كان مدرسة علمية جليلة، تدرس العلوم الشرعية، فكأنها أنموذج مصغر من الأزهر الشريف، وقد خرج منها عدد من العلماء الأكابر، إلا أنها لم تفرد إلى الآن بتأليف يرصد تاريخها وأعلامها، والكتب التي كانت تقرأ فيها.

فصل

يروي المترجم عن: ١ ـ الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري ت١٣٨٠هـ بأسانيده التي ضمنها أثباته ومعاجمه، منها: (البحر العميق، في مرويات ابن الصديق)، و(المعجم الوجيز، فيما يبتغيه المستجيز)، و(صلة الوعاة، بالفهارس والأثبات).

٢ ـ وشقيقه العلامة المحدث السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ وأسانيده في ثبته المسمى: (ارتشاف الرحيق، في أسانيد عبد الله بن الصديق)، وفي: (سبيل التوفيق).

٣ ـ والسيد عبد العزيز بن الصديق الغماري ت١٤١٨هـ بما في ثبته: (فتح العزيز، في أسانيد السيد عبد العزيز).

٤ ـ والعلامة السيد المسند الكبير، إمام هذه الصنعة في زمانه، ومسند

عصره، أبو الإقبال وأبو الإسعاد: محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ت١٣٨٠هـ بما في أثباته ومعاجمه، وأشهرها وأبرزها جمهرته: (فهرس الفهارس والأثبات).

٥ ـ ويروي عن ابنه عبد الأحد بن عبد الحي الكتاني، ٦ ـ والعلامة السيد محمد الباقر الكتاني ت١٣٨٤هـ بأسانيده التي في ثبته: (غنية المستفيد)، ٧ ـ والسيد محمد المنتصر الكتاني ت١٤١٩هـ، ٨ ـ والمحدث الشيخ محمد الحافظ التيجاني ت١٣٩٨هـ، ٩ ـ والإمام الشيخ صالح الجعفري ت١٣٩٩هـ، ١٠ ـ والعلامة الشيخ مصطفى الجعفري الكوباني ت١٣٩٣هـ بما في ثبته، ١١ ـ ومسند العصر العلامة محمد ياسين الفاداني ت١٤١٠هـ، بما في أثباته ومشيخاته، ١٢ ـ والعلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ت١٤١٧هـ وأسانيده في: (إمداد الفتاح)، ١٣ ـ والعلامة الداعية الناصح محمد زكي إبراهيم ت١٤١٩هـ، بما في: (الإذن المحمدي)، ١٤ ـ والمحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ت١٤١٢هـ، ١٥ ـ ومسند حلب الشيخ أحمد بن محمد سردار بما في أثباته، ١٦ ـ ومجيزنا الشيخ محمد سعد بدران الدمياطي، ١٧ ـ ووالده العلامة الشيخ إبراهيم عبد الباعث الحسيني وغيرهم.

(لطيفة): كنت مرةً في مجلس الشيخ، فسأله سائل عن كلمة (جِنّة) ـ بكسر الجيم ـ ما معناها؟ فشرح له الشيخ المعنى، ثم بيَّن أنها من المثلثات، ثم أنشد فيها:

جُنّـــة العـــالِمِ لا ... أدري إذا احتـــاج لِجُنّـــة
فـــإذا مـــا أخطـــأ الجُـــ ... ـــنّة بانـــت منـــه جِنـــة
فـــالزم الجُنَّـــة تســـلَمْ ... إنَّمـــا الجُنّـــة جَنَّـــة

قلت: ثم إني رأيت الأبيات ـ بعد تفتيش ـ منسوبةً للعلامة أبي عثمان سعد بن أبي جعفر أحمد بن ليون التجيبي، شيخ العلامة لسان الدين بن الخطيب، نسبها إليه العلامة أبو العباس أحمد المقري التلمساني في ترجمته لأبي عثمان من كتابه الجم الفوائد: (نفح الطيب)[1]، ثم إني رأيت الأبيات في الثبت المسمى: (غنية المستفيد) للعلامة السيد محمد الباقر الكتاني، وهي فيه غير منسوبة لقائل.

أروي مروياته عنه مباشرةً، فقد أجاز لي غير مرة، مشافهةً وكتابةً كما تقدم، وأجاز لولدي محمد حفظه الله ورعاه.

* * *

❁ العلامة الفقيه النحوي الشيخ: محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد السمالوطي الحميدي الحسيني المالكي.

ولد سنة ١٢٧٣هـ، وحَفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم وجهه أخوه ـ وكان من علماء الأزهر ـ إلى الجامع الأزهر الشريف، فأخذ عن العلامة محمد بن أحمد عليش المالكي، أخذ عنه العربية والتوحيد ولازمه أتم الملازمة في الفقه المالكي والأصول، وبه تخرج، وهو عمدته في الرواية، وأخذ الحديث وعلومه على: محمد بن أحمد الخضري الدمياطي، فسمع منه الستة، وأخذ عنه الفقه والتفسير والأصول وغيرها، وقرأ على البرهان إبراهيم السقا، والشمس الأنبابي، ودرس على العلامة الإمام سليم البشري، وكان بينهما نسب وصهر.

(١) نفح الطيب /٥/٥٩٧.

وقد اختبر عام ١٣٣٣هـ لنيل الشهادة العالمية، على يد الشيخ حسونة النواوي ولجنة من كبار العلماء، وكان الامتحان في ثمانية عشر علمًا، فاجتازها بنجاح، وقد اختير عضوا في هيئة كبار العلماء سنة ١٣٣٨هـ.

ثم إنه شرع في التدريس في المسجد الحسيني، فدرس: الجامع الصغير للسيوطي، والموطأ، ورياض الصالحين، وشرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة للشنواني وغيرها مع تفسير البيضاوي. قال السيد أحمد الغماري في ترجمته في: (البحر العميق): (وكان دؤبًا على الدرس، لا يبطله طول السنة، حتى في أيام العطلة الرسمية الصيفية، فكان ينفرد فيها بالتدريس بالقاهرة)[1].

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى بمنزله في جزيرة الروضة، الساعة الثامنة عشاء ليلة السبت، في يوم الخامس من صفر، سنة ١٣٥٣هـ الموافق ١٨ مايو سنة ١٩٣٤م، وكانت مجلة الإسلام قد أصدرت عند وفاة الشيخ عددًا فيه رثاء للشيخ رحمه الله، ثم نشرت في العدد الصادر بعد وفاته بأسبوع مقالا فيه ترجمةٌ نفيسةٌ له، ومعه صورةٌ نادرة للشيخ، وكانت الصورة المذكورة قد التقطت على حين غرة، ولم يُصَوَّرْ غيرها.

وإليك نص المقال المنشور: (نبذة من تاريخ حياة المغفور له، المحدث الكبير، الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي: كانت فجيعة مصر في الأسبوع الماضي بموت عالمها الكبير، ومحدثها الشهير، المغفور له، الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي، من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، من

(١) وقد ترجم للسمالوطي أيضًا: السخاوي في كتابه: (تحفة الطلاب، وبغية الأحباب)، وزكي مجاهد في: (الأعلام الشرقية) /٢/١٤٣.

الفجائع التي انصدعت لها مصر خاصة، وبلاد العالم الإسلامي عامة، وقد كتبت هذه المجلة في يوم وفاته كلمة التعزية التي وجهت بها إلى آله وذويه، وتلامذته ومريديه، ومن حقها في هذا العدد من الأسبوع الحالي أن تضم إلى صورته الشمسية (التي أخذت على غرة ولم يصور غيرها) والتي تحفظها للأجيال المقبلة كتاريخ لحادث عظيم في الإسلام بوفاة عالم من أشهر العلماء المحدثين صورة أخرى من مآثره العلمية وتاريخ حياته الحافلة بالدرس والتحصيل، والبحث والتعليق، والاشتغال بتدريس العلوم والحديث في الأزهر والمسجد الزيني والمسجد الحسيني اشتغالًا منقطع النظير.

ولد المغفور له شمس الدين محمد بن إبراهيم بن علي الحميدي السمالوطي من أبوين شريفين عريقين في المجد سنة ١٢٧٣هجرية بسمالوط، وجاء إلى القاهرة وعمره نحو السنتين وحفظ القرآن في صغره، وانتسب إلى الأزهر، واشتغل بعلومه، تحت إشراف أخيه الشيخ عمر الذي عني به في مبدأ حياته العلمية عناية فائقة، وكان يوصي به أكابر الشيوخ، ومن شيوخه الذين حضر مجالسهم ولازمهم لتلقي العلم عنهم العلامة المحدث المرحوم الشيخ سليم البشري وكان بينهما نسب وصهر، والعلامة شمس الدين الأنبابي، وعنه يروي صحيح البخاري، وزعيم أهل الصلاح والتقوى في عصره الشيخ محمد عليش، وعنه أخذ الطريقة الشاذلية بسنده إلى العلامة الأمير، وبرع في علوم الأزهر وفي الفقه على مذهب إمام الهجرة مالك بن أنس، وانقطع لدروس الوعظ والتفسير والحديث بالمسجد الزيني، ثم نال شهادة العالمية في أول شياخة الشيخ حسونة النواوي على الأزهر للمرة الأولى، واشتغل بالتدريس فيه، إلى أن عرف بالفحولة في العلم، والبطولة في فنون

الحديث، فانتخب من هيئة كبار العلماء، واشتغل في آخر أمره بتدريس الحديث والتفسير في المشهد الحسيني.

وكان شديدَ الذكاء، حديد الطبع، ورث الحدة والغيرة على الدين عن شيخه الشيخ عليش، وكان فوق ذلك قوي العارضة حاضر البديهة، يحب العزلة عن ذوي النفوذ وأرباب المناصب، وإن كان يخالط الناس ويغشى مجالسهم، لا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا في الله.

وكان من أحفظ أهل عصره للحديث وأضبطهم له وأعرفهم بفنونه وطبقات رجاله، يعرف الوضاع والضعاف، والمدلسين، ويبحث عن أصول رواية الحديث في مظانها، وله تعاليق وحواش على كثير من الكتب التي قرأها.

وكان كثير السهر في المطالعة والمراجعة والتحصيل والكتابة، يسهر الليل إلا قليلًا في مكتبه بين كتبه، وكثيرًا ما كان يغلبه النوم فينام حيث هو دون أن ينتقل إلى مخدعه، وكان يعاني النظم قليلا، وله منظومة لطيفة في ختم صحيح البخاري، ومن عادة درسه في ختم كتب الحديث أن يحتفل المشتغلون بالسماع عليه بيوم الختام احتفالًا رهيبًا مهيبًا، يكثر فيه الزحام، ويعبق فيه مسك الختام، ويحضره القراء والعلماء والخطباء والشعراء ويتبارون في خطبهم وأشعارهم.

وهكذا كان طول حياته ـ عليه الرحمة ـ مصدر خير وبركة، وفيض ومدد، لم ينقطع عن الدرس والإفادة والاستفادة إلى أن حبسه مرضه الأخير بضعة أشهر احتجب فيها عن طلابه ومريديه، وأصحابه وعارفيه، وكل يسأل عنه، ويأمل عودته إلى الدرس، إلى أن توفي بمنزله في جزيرة الروضة

عشاء ليلة السبت الساعة الثامنة في يوم ٥ صفر ١٣٥٣هـموافق ١٨ مايو ١٩٣٤م واحتفل بتشييع جنازته من الروضة إلى المسجد الزينبي، حيث صلي عليه هناك، ثم إلى المشهد الحسيني، حيث صلي عليه فيه أيضًا، ثم إلى الجامع الأزهر حيث حضر للصلاة عليه وتشييعه إلى مقره الأخير جموع حاشدة، ضاقت بها رحبات الأزهر وجنباته، وبعد أن صلي عليه في الأزهر كان الناس يتبادلون حمل نعشه على الأعناق، وكثر الذين شهدوا الجنازة والمشيعون لها، وغصت بهم الشوارع التي مرت بها، إلى أن دفن بمدفنه بالقرافة الصغرى تجاه مدفن المرحوم الشيخ محمد أبي الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر، بجوار ضريح سيدي عمر بن الفارض.

وقد استجازه من أهل المغرب جماعة، منهم السيد عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي قاضي (حدكورت) وقته وقد ترجمه في معجم شيوخه الموسوم برياض الجنة (ج١ ص: ٩٤).

ويعنى الأستاذ حسن أفندي قاسم الآن بوضع تاريخ حافل، سيظهر قريبًا في عالم الطبع، وسيكون متضمنًا كل تراث الشيخ رحمه الله من جميع نواحيه، فأحسن الله فيه عزاء آله وذويه، وصب على جدثه صيب الرحمة والرضوان آمين)[1]

يروي عن مشيخة واسعة منهم: ١ ـ محمد الخضري الدمياطي، عن البرهان الباجوري، عن عبد الله بن حجازي الشرقاوي، بما في ثبته، والشرقاوي يروي عن محمد منير السمنودي، عن عيد بن علي النمرسي، عن عبد الله بن سالم البصري بما في ثبته: (الإمداد).

(١) مجلة الإسلام، العدد الثامن للسنة الثالثة، الصادر في يوم الجمعة، ١٩ صفر، سنة ١٣٥٣هـ- الموافق: ١ يونيو، سنة ١٩٣٤م.

٢ ـ ويروي عن: العلامة المحدث إبراهيم بن خليل القاوقجي ت١٣٠٥هـ، عن محمد بن أحمد البهي الطنطاوي، عن أبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ، عن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ت١١٨٢هـ، عن الملا إلياس بن إبراهيم بن الحسن الكوراني، عن أبيه بما في: (الأمم، في إيقاظ الهمم).

٣ ـ ويروي عن الشمس محمد أحمد عليش ت١٢٩٩هـ، عن الأمير الصغير، عن الأمير الكبير بما في ثبته.

٤ ـ ويروي عن الشمس محمد بن حسين الأنبابي ت١٣١٤هـ، عن أبي موسى عمران اليزليتني المالكي، عن محمد بن علي السنوسي ت١٢٧٦هـ بما في أثباته.

٥ ـ ويروي عن العلامة البرهان إبراهيم السقا، عن محمد الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير، عن الشهابين أحمد بن حسن الملوي، وأحمد بن عبد الفتاح الجوهري، ومحمد بن سالم الحفني، ومحمد السقاط بما في أثباتهم.

ويروي الأمير الكبير عن: علي الصعيدي المالكي، عن الشمس محمد بن عقيلة المكي بما في: (عقد الجواهر)، وفي: (المواهب الجزيلة).

ويروي ابن عقيلة عن: الحسن بن علي العجيمي بما في ثبته، وهو عن: محمد بن سليمان المغربي المالكي، وخير الدين الرملي العليمي الدمشقي، ومحمد علاء الدين البابلي، وأحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، وعلي وزين العابدين ابني إبراهيم الطبري، وكل واحد يروي عن أشياخه في ثبته.

ويروي ابن عقيلة أيضًا عن: إبراهيم الكردي، عن أحمد بن محمد القشاشي المدني، وأسانيده في ثبته: (السمط المجيد، في أسانيد أهل التوحيد).

١١/٦ ـ ويروي عن: شيخ الإسلام محمد بن إبراهيم الوراقي أبو الفضل، ومحمد نور الصعيدي، ومحمد مخيمر الشرقاوي، ومحمد بن علي الببلاوي الحسيني، وعلي أفندي البكري شيخ السجادة البكرية، وأبي الهدى الصيادي الرفاعي.

ثم قال العلامة إبراهيم السمالوطي: (وبمضمون هذه الأثبات كلها نروي الكتب الموسومة، والفنون المعلومة، في كتب أهل العلم والحديث، وبإسنادهم يتصل سندنا).

فصل

ولا عبرة هنا بما ذكره العلامة المسند المحقق صاحب كتاب: (التمييز، لعلل المعجم الوجيز)، من أن السمالوطيَّ لا إجازة له عن غير العلامة الشيخ عليش، اعتمادًا على قول العلامة الغماريِّ ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب: (البحر العميق)، وفي كتاب: (جؤنة العطار): (إنه عمدته في الرواية، ولم تكن له رواية وإجازة إلا منه)[١].

قال صاحب كتاب (التمييز) حفظه الله: (وعليه فرواية السمالوطي عن غير عليش لا تصح إلا مع بيان المسموع أو المقروء فقط، كما تقرر في علم مصطلح الحديث؛ لأنه لا إجازة له منهم حسب ما أفاده المصنف، ويكون المصنف قد نسي هنا ما قاله في: (المعجم) عن شيخه المذكور في: (البحر)، من أنه لا رواية له عن غير عليش، فذكر شيوخه دون تفصيل، نسقًا واحدًا)، ثم نقل فضيلته كلامًا للعلامة السيد عبد الحي الكتاني في هذا المعنى.

(١) التمييز، لعلل المعجم الوجيز /ص٥٨.

قلت: وهذا غير متجه، وإن كان المبدأ صحيحًا في ذاته، إلا أنه متوقف على صحة دعوى الغماريِّ أن السمالوطيَّ لا رواية له عن غير عليش، فإن فضيلة الشيخ اعتمد كلام الغماري في: (البحر العميق) وحاكم إليه ما قاله في: (المعجم الوجيز)، فخطَّأ بالأول الأخيرَ، مع أن استئثار أحد كلاميه بالصواب من غير ما قرينةٍ خارجةٍ لا يصح، وليس للدعوى من معقد تتعلق به إلا الاحتياط في الأسانيد، عند وجود أدنى قادح أو ريبة، وكفى بها، لولا أمور.

فإني كنت قد تأملت مواضع ترجمة السمالوطي لأتبين جلية الأمر، أو أتلمس ما لعله أن يرجح إحدى الكفتين، فلم أظفر بشيء، حتى وقفت على نص إجازته التي أرسل بها إلى العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني، وهي بنصها في آخر: (إعلام القاصي والداني، ببعض ما علا من أسانيد الفاداني)[١].

ووقفت على نص إجازته للحبيب العلامة الراوية سالم بن أحمد بن جندان، وأوردها الأخير بنصها في ثبته: (روضة الولدان، في أسانيد سالم بن أحمد بن جندان)، ونقلت منهما ما سبق ذكره نصًا من أسانيد السمالوطي، التي خطها بنفسه، وطرَّق فيها اتصالاته بالأثبات، مع توسع وتفنن كما رأيت.

بل قال في إجازته للفاداني ما نصه: (أجزت الشيخ محمد ياسين المذكور إجازة عامة بجميع مروياتي، بأسانيدي المتكاثرة، المتصلة بما في «الأمم» للبرهان الكوراني، و«الإمداد» للبصري، و«البغية» للنخلي، وغير ذلك من

(١) إعلام القاصي والداني /ص٩٢.

أثبات أهل العلم، كما أجازني بجميع ذلك مشايخي، تلقِّيًا، وأخذًا، وروايةً، منهم شيخي العلامة المعمر محمد الخضري الدمياطي...) إلى آخر مشايخه الذين ذكرتهم قبلُ.

وبعيدٌ عند المنصف أن يروج الأمر على السمالوطي، فيروي عن مشايخه أسانيدهم وأثباتهم لمجرد الحضور بدون إجازة، كأنه غير عارف بكلام أهل الاصطلاح في ذلك.

والحاصل أنه يُقضَى بمجموع ذلك، وبكلام العلامة الغماري في: (المعجم الوجيز)، على ما ذكر في: (البحر العميق) لا العكس، والله أعلم.

نروي مرويات العلامة السمالوطي من طريق شيخنا شمس الدين أبي المواهب السكندري، عن الشهاب أبي الفيض الطنجي، عنه.

(ح) وعن العلامة السيد إبراهيم بن الصديق الغماري، عن العلامة السيد عبد الحفيظ الفاسي، عنه.

(ح) وعن شيخنا رفعت فوزي عبد المطلب، عن المسند الشيخ صالح الأركاني، عن العلامة أمين بن إبراهيم البخاري، عنه.

(ح) وعن شيخنا العلامة السيد محمد نمر بن عبد الفتاح الخطيب الحيفاوي ثم المدني، عنه مباشرة.

* * *

❁ العلامة الفقيه الجليل، الإمام الشيخ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد عليش المالكي.

العلامة الجليل، شيخ السادة المالكية، ومفتي المالكية في مصر في زمانه، ولد في حارة الجوار، قرب الجامع الأزهر، في شهر رجب سنة ١٢١٧هـ/

١٨٠٢م، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ثم اشتغل بطلب العلم في الأزهر الشريف، فحضر على العلامة الأمير الصغير، وعبد الجواد الشباسي، وعوض السنباوي، ومصطفى السلموني، ومصطفى البولاقي واختص به، وفراج العموري، ومحمد فتح الله، وحسن حميده العدوي، ومقديشي المغربي السفاقسي، والشيخ جاد الرب، ويوسف الصاوي، وغيرهم.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ قد اتهم في أواخر أيامه بموالاة ثورة عرابي باشا، فحمل من داره وهو مريض، لا حراك فيه، إلى مستشفى السجن، فتوفي فيه بعد أذان المغرب من ليلة الأحد، التاسع من ذي الحجة الحرام، سنة ١٢٩٩هـ ـ ١٨٨٢م، ودفن في صبيحة يوم عرفة، بقرافة المجاورين.

قال العلامة الحجوي في: (الفكر السامي): (شيخ المالكية بالديار المصرية، بل شيخ مشايخها وعالمها وفقيهها، ذو التآليف النافعة، كشرحه المختصر، والفتاوى، وعليه تخرج جل أهل الأزهر، وكانت له جلالةٌ تهابها الأسود، وكلمةٌ نافذةٌ لتقواه وورعه، فهو نظير الشيخ كنون عالم المغرب ومعاصره، لا تأخذهما في الله لومة لائم، ونظيرهما الشوكاني في اليمن، والآلوسي في العراق)[1].

قال العلامة الشيخ عبد القادر القصاب الدير عطاني: (شيخنا القطب الكبير، والعلم الشهير، بحر العلوم الغزير، أبو عبد الله سيدي محمد عليش، كان مالكيَّ المذهب، مغربيَّ الأصل، ولد في مصر، قارب سنه التسعين، وهو يمص القصب، ويكسر الجوز بأسنانه، ولم يختل عضو من

(١) الفكر السامي /٢/٣٠١، وترجم له أيضًا مخلوف في شجرة النور الزكية /ص٣٨٥، وعلي مبارك في الخطط التوفيقية /٤/٤١، والزركلي في الأعلام /٦/١٩، ومرآة العصر /ص١٩٦، وإيضاح المكنون /١/٢٧١.

أعضائه، لحفظه لها في الصغر، فحفظها الله تعالى له في الكبر، كما حكي مثل ذلك عن أبي شجاع من أئمة مذهبنا.

قرأت عليه بعض كتب الحديث، كصحيح البخاري، والأذكار النووية، وبعض كتب التوحيد كالسنوسية، وبعض كتب المعقول كالسمرقندية في الاستعارات، وشرحه على إيساغوجي في المنطق، وقرأت عليه إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي كله).

إلى أن قال: (وكان رضي الله عنه آخذًا بعنان العزائم، غيورًا على الدين والشريعة الغراء، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا تأخذه بالله لومة لائم، كريم الطبع، شريف النفس، رفيع الهمة عن سفاسف الأمور وحضور الولائم، يؤلف بين القلوب، ويخلو بالله وحده، مستغرق الأوقات بالعلوم وسائر الطاعات، حتى في الأشهر الثلاثة التي اعتاد العلماء ترك القراءة فيها، وهي رجب وتالياه، لا يترك القراءة إلا في العيدين، وبعد العيد يومين).

قلت: وقد كانت العادة عند علماء الأزهر الشريف أن تنقطع الدروس من أوائل شعبان إلى ما بعد عيد الفطر، ليرجع الطلبة المجاورون إلى أهليهم، وليتفرغ العلماء للعبادة والإقبال على الله تعالى في شهر رمضان، إلا ما كان من العلامة الشيخ عليش، فقد كان معظمًا للدرس جدًّا، لا ينقطع عنه حتى في تلك الأيام، وقد ورث تلك العادة عنه تلميذه الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي، لشدة اختصاصه بالشيخ وتأثره به، فقد قال الحافظ أحمد بن الصديق عند ذكر أشياخ العلامة السمالوطي: (والشيخ عليش، وهو عمدته، وعليه تخرج، وإليه ينتسب)[1].

(١) البحر العميق /١/٢١٠.

قال العلامة السيد عبد الله الصديق الغماري في: (سبيل التوفيق) في ترجمة السمالوطي: (كان علامةً في مذهب مالك، متضلعًا من علوم العربية والبلاغة، استمر يدرس بالأزهر ثم بالمشهد الحسيني، وكان مواظبًا على الدرس، لا يبطله طول السنة، حتى في أيام العطلة الرسمية)[1].

أما مؤلفات العلامة المترجم فقد كان معنيًّا بمجموع العلامة الأمير، فشرحه بعدة شروح، فأول ذلك أنه كتب تعليقات على شرح مجموع الأمير، وقد سمى شرحه هذا: (البدر المنير، على شرح مجموع العلامة الأمير)، ثم إنه شرح المجموع نفسه بشرح كبير سماه: (الجامع الكبير، على مجموع العلامة الأمير) ولم يتمه، بل وصل إلى باب الصيام، ثم شرع في شرح آخر وسط، اسمه: (مواهب القدير، في شرح مجموع الأمير) تم في أربعة أجزاء، ثم كتب على هذا الشرح حاشية سماها: (التيسير والتحرير، على مواهب القدير) في أربعة أجزاء أيضًا.

ومن مؤلفاته: (منح الجليل، على مختصر العلامة خليل)، (هداية السالك) وهو حاشية على الشرح الصغير لسيدي أحمد الدردير، (فتح العليّ المالك، في الفتوى على مذهب الإمام مالك)، (حاشية على شرح شيخ الإسلام زكريا على متن إيساغوجي في المنطق)، (القول المنجي، على مولد البرزنجي)، (حاشية على رسالة الصبان في البلاغة)، (شرح العقائد الكبرى للسنوسي)، وغير ذلك من التآليف المحررة المحبرة.

وقد تتلمذ له الأكابرُ من علماء الجيل الذي يليه، من أمثال العلامة الشيخ بخيت المطيعي، والعلامة أحمد محجوب الرفاعي الفيومي، والعلامة

(١) سبيل التوفيق /ص٧٦.

عبد الهادي نجا الأبياري، والعلامة أحمد رافع الطهطاوي، والعلامة عبد الرحمن قُرَّاعة، والعلامة محمد إبراهيم السمالوطي وكان له به اختصاص، والعلامة محمود أبو عليَّان الشاذلي ت١٣٢٦هـ، والعلامة الشيخ عبد القادر القصاب الدير عطاني الشافعي المولود سنة ١٢٦٤هـ الموافق١٨٤٧م، والمتوفى سنة ١٣٦٠هـ الموافق ١٩٤١م، وغيرهم كثير جدًّا.

فصل

وأما أسرة العلامة الشيخ عليش وأولاده فقد قال العلامة الشيخ عبد الستار الدهلوي: (وله جملةُ أنجالٍ، طرح الله فيهم البركة، وهم علماء أجلاء، لا يتبعون إلا أثر والدهم، حفظهم الله).

قلت: ولكني لم أرَ أحدًا اعتنى بتتبع أخبارهم، فاجتهدت في ذلك قدر الوسع، وإليك هنا خلاصةَ ما توصلتُ إليه: اعلم أنه ولد للعلامة الشيخ محمد عليش أربعة من الولد:

١ ـ العلامة الشيخ محمد بن محمد عليش، وهو الذي ترجم لأبيه تلك الترجمة الحسنة، التي أثبتها في مفتتح حاشية والده: (فتح الجليل)، وقد توسع فيها في ضبط اسم (عليش)، وقد توفي سنة أربع أو خمس وأربعين وثلاثمائة، يروى عنه العلامة عبد القادر القصاب الدير عطاني، والحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري.

٢ ـ والعلامة الفقيه الشيخ عبد الرحمن بن محمد عليش، عضو هيئة كبار العلماء، وكان مالكيًّا كأبيه، ومن تلامذته العلامة الشيخ حسنين مخلوف، وعبد القادر القصاب الدير عطاني، وكان العلامة الشيخ محمد

عليش رحمه الله قد زُجَّ به وبولده الشيخ عبد الرحمن فى السجن، حتى مات الأبُ في السجن كما تقدم، أما الشيخ عبد الرحمن فقد خفف عنه الحكم إلى النفي، فوضع في السجن الانفرادي لمدة سنتين، ثم أُخرج منه، ونفي إلى جزيرة رودس، وبعدها أقام في دمشق، والتقى فيها الأمير عبد القادر الجزائري، ولما مات الأمير كفنه الشيخ، وصلى عليه، ودفنه في الصالحية بجوار مقبرة ابن عربي، وبعدما أصدرت الملكة فكتوريا عفوًا عنه عاد إلى القاهرة، وأقبل على التعليم والإفتاء، وانتفع به الوافدون من الغربيين الأوربيين، حتى ظهرت له ولتلامذته آثار جليلة في خدمة هذا الدين، كما سيتضح بعد قليل.

٣ ـ العلامة الشيخ عبد الله بن محمد عليش، وقد كان عالمًا بارعًا محققًا، صاحب فنون، توفي في حياة أبيه سنة ١٢٩٤هـ، قال العلامة الشيخ محمد البشير ظافر الأزهري في: (اليواقيت): (الشيخ الفقيه، العالم المدرس، ولد رحمه الله بمصر، ونشأ بها في حجر والده، ولازم دروسه، وتفقه عليه، وحضر أيضًا على الأستاذ الشيخ محمد البسيوني، وله رسالة في الحساب، ورسائل عديدة، وقرأ متن الشيخ خليل مجردًا ما بين المغرب والعشاء، ولما سافر والده إلى الحجاز سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف جلس في محل والده، وحضر عليه أغلب تلامذته.

وكان ـ رحمه الله ـ عالمًا عاملًا، فقيهًا نحويًّا، منطقيًّا، متبحرًا في كثير من الفنون، بارعًا في المسائل، منكبًّا على التدريس وإفادة الطالبين، لا يكلُّ ولا يملُّ، يقضي ليله ونهاره في الإلقاء والإفادة، وكان حادَّ الذهن، توفي سنة أربع وتسعين ومائتين وألف)(1).

(١) اليواقيت الثمينة، في أعيان مذهب عالم المدينة /ص١٤٠.

ومن تلامذته العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي ت١٣٥٥هـ، قال الحافظ السيد أحمد الصديق الغماري في: (البحر العميق): (سمعت السيد أحمد رافع الطهطاوي يقول: إنه كان أكثر تحقيقًا من أبيه)[١].

ومن تلامذته العلامة عبد العزيز بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد الجواد بن محمد بن عبد الجواد الأنصاري، المالكي، الأزهري، الجرجاوي، فقد حضر العلامة الشيخ عبد العزيز على علماء جرجا، ثم رحل إلى الأزهر فأخذ عن العلامة محمد عليش، والعلامة حسن بن محمد داود، والعلامة الشمس الأنبابي، والعلامة الشيخ عبد الله بن محمد عليش، وغيرهم كثير، نص على ذلك العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي في (تعطير النواحي والأرجا)[٢].

٤ ـ ورابع أولاده بنت، رزقت بولد اسمه عبد الرحمن عليش، فهو سبط العلامة الشيخ محمد أحمد عليش، وهو حنفيُّ المذهب، وقد عمر حتى جاوز التسعين سنة، وكان إمامًا بمسجد الإمام الحسين، وكان مدرسًا بالجامع الأزهر الشريف، وكان رحمه الله رئيس المحكمة الكلية الشرعية بمدينة الإسكندرية، وممن تفقه به وحضر عليه في فقه السادة الأحناف الشيخ أمين محمود خطاب السبكي رحمه الله، كما قد نص عليه الشيخ أمين في أوائل كتابه: (فتح الملك المنان، بشرح منحة الرحمن، في فقه النعمان) وهو مخطوط.

ومن تفقه به واستجاز منه فأجاز له العلامة الفقيه إبراهيم المختار بن

---

(١) البحر العميق /١/٢١٨.

(٢) تعطير النواحي والأرجا، بذكر من اشتهر من علماء وأعيان مدينة الصعيد جرجا /٢/٢١٢.

أحمد عمر المينفراوي السيهاوي الحنفي، مفتي الديار الأرترية سابقًا.

وقد روى العلامة الشيخ عبد القادر القصاب الدير عطاني عن العلامة الشيخ محمد أحمد عليش، وولده محمد، وولده عبد الرحمن، وسبطه عبد الرحمن عليش الحنفي، مع تنصيصه على التمييز بينهم على النحو المذكور.

وممن استجازَ من العلامة عبد الرحمن عليش الحنفي الشيخ محمد محسن الطهراني، صاحب الذريعة ت١٣٨٩هـ، فقد كتب نبذةً عن الشيخ، وتفاصيل لقائه به في إجازته لنجم الدين العسكري، ونصها تحت يدي، مصورًا من خط الشيخ رحمه الله، وقد أوقفني عليها فضيلة العلامة الشيخ محمد عبد الله الرشيد، وأرسل إلي بنسخة منها، وقد أوردتها كاملةً في ملاحق هذا الكتاب.

إلا أنه قد وقع للطهراني أوهامٌ في حق الشيخ عبد الرحمن عليش، فإنه جعله ولدًا للشيخ محمد أحمد عليش المالكي؛ إذ قال: (ووالده الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش كان من أكابر علمائها)، قلت: وقد نص الطهراني على أن شيخه الذي استجاز منه حنفي، بينما عبد الرحمن الذي هو نجل العلامة الشيخ محمد عليش مالكيٌّ، وكان عضوًا بجماعة كبار العلماء، فالذي لقيه الطهراني هو سبط الشيخ وليس ولده مباشرةً، أو هو ولده إلا أنه أخطأ في مذهبه، والحاصل أن كلامه لا يخلو من وهم.

هذا وقد ذكر المترجمون للعلامة الشيخ صالح الجعفري أن من مشايخه الشيخ عبد الرحمن عليش، هكذا دون تمييز، فقد ذكر صاحب كتاب: (الكنز الثري) من شيوخه الشيخ عبد الرحمن عليش، ونقل كلمات عن

الشيخ صالح أنه استفاد فوائد من شيخه عليش[1]، والذي عرف بالتدريس بالأزهر الشريف منهم هو عبد الرحمن عليش السبط، كما تقدم، ومما يرجح ذلك عندي أيضا قول الشيخ أحمد بن محمد الهواري في رحلته الماتعة المسماة: (دليل الحج والسياحة) عند ذكر ما حضره من دروس علماء الأزهر الشريف ومن لقيه منهم: (والشيخ عبد الرحمن عليش «حفيد الشيخ عليش» مدرس المسجد الحسيني)[2]، فهو هنا ينص على أن مدرس الأزهر هو الحفيد.

لكن رأيت في ثبت الشيخ صالح الجعفري، الذي أخرجه صديقنا الشيخ محمد فؤاد الرمباوي أن العلامة الشيخ صالح الجعفري يروي عن عبد الرحمن بن محمد عليش.

ثم إن العلامة الشيخ عبد الرحمن عليش المالكي الكبير قد كان مقصودًا من قبل الوافدين إلى ديار الإسلام للسؤال عن هذا الدين، فمنهم المفكر والرسام السويدي: (جان جوستاف أجلي)، الذي أسلم سنة ١٨٩٧م على يده، وسمى نفسه: عبد الهادي، وأصدر مجلة اسمها: (النادي)، في الوقت الذي كان فيه المفكر والفيلسوف الفرنسي الكبير: (رينيه جينو) يصدر مجلة اسمها: (المعرفة)، فقام عبد الهادي سنة ١٩١٠م بكتابة عدة مقالات في مجلة المعرفة، ونشر فيها ترجمته لكثير من النصوص الإسلامية إلى الفرنسية، ثم عقد صلة عميقة بين جينو وبين الشيخ عليش، تبادلا خلالها الرسائل والرؤى، كانت نتيجتها أن أسلم جينو وتسمى: (عبد الواحد يحيى)، وانظر كتاب: (الفيلسوف المسلم: رينيه جينو) للإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله.

(١) الكنز الثري، في مناقب الجعفري /ص٤٨/.
(٢) دليل الحج والسياحة/ص٦٧/.

وقد كتب الفيلسوف الشيخ عبد الواحد يحيى إهداء على بعض كتبه إلى الشيخ عبد الرحمن عليش نصه: (إلى الذكرى المقدسة، ذكرى الشيخ عبدالرحمن عليش الكبير، المالكى المغربي، الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب، مصر، القاهرة، في ٢٩/٣/١٣٤٧ هجرية).

قلت: وكأني به يسمى الشيخ عبد الرحمن عليش بالكبير، للتفرقة بينه وبين الشيخ عبد الرحمن عليش الصغير الحنفي السبط.

فصل

يروي العلامة الشيخ الشمس محمد عليش عن: ١ ـ الشيخ محمد الأمير الصغير، ٢ ـ والشيخ إبراهيم الملوي شيخ السادة المالكية، ٣ ـ والشيخ مصطفى البناني صاحب التجريد، ٤ ـ والشيخ محمد حبيش شيخ السادة المالكية، ٥ ـ والشيخ علي الحلو، ٦ ـ والشيخ عبد الواحد الدمنهوزي، ٧ ـ والشيخ أحمد ملوكة التونسي، ٨ ـ والشيخ مصطفى البولاقي، وغيرهم.

ويروي العلامة الجليل الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد عليش، نجل المترجم، عن أبيه، بأسانيده المذكورة.

ويروي العلامة الوجيه عبد الرحمن عليش الحنفي السبط عن: ١ ـ العلامة الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر الشريف، ت١٣٣٥هـ، ٢ ـ والعلامة الشيخ عبدالرحمن الشربيني ت١٣٢٦هـ، شيخ الجامع الأزهر الشريف، ٣ ـ والعلامة الشيخ أحمد الرفاعي المالكي شيخ القرّاء، شيخ رواق الفيومية بالجامع الأزهر الشريف، ٤ ـ والعلامة الشيخ حسين الطرابلسي، شيخ رواق الشوام بالجامع الأزهر الشريف، ٥ ـ والعلامة الشيخ موسى

الكاظم الزللي التركي ثم المدني، المدرس في مدرسة بشير آغا، وكان حيًّا في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكان قد نسخ بخطه كتاب (السلسبيل المعين، في الطرق الأربعين) للعلامة السيد محمد بن علي السنوسي، فانتهى من نسخه في جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ، وفي آخر النسخة المذكورة إجازة منه رحمه الله تعالى للعلامة الشيخ عبد الرحمن عليش، المدرس بالأزهر الشريف، ويروي العلامة موسى الكاظم عن جماعة منهم: عمر حمدان المحرسي، وعبد القادر توفيق شلبي.

ونحن نروي مرويات أولئك الأكابر من طريق شيوخنا: العلامة الفقيه عبد الرزاق الحلبي الحنفي الدمشقي، والعلامة الفقيه محمد أديب الكلاس الدمشقي، والعلامة المسند محمد أبي الهدى اليعقوبي الحسني الدمشقي؛ ثلاثتهم عن العلامة محمد صالح الفرفور الحسني الدمشقي ت١٤٠٧هـ، عن العلامة الشيخ عبد القادر القصاب الدير عطاني رحمه الله ت١٣٦٠هـ، وهو عن العلامة الشيخ محمد أحمد عليش، وولده محمد عليش، وولده عبد الرحمن عليش المالكي، وسبطه عبد الرحمن عليش الحنفي، بأسانيدهم ومروياتهم.

(ح) ومن طريق شيخنا الشيخ محمد سعيد الكحيل الحمصي، عن الحافظ السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، وهو عن العلامة الشيخ محمد ابن الإمام الشمس محمد عليش بأسانيده.

(ح) ومن طريق شيخنا العلامة المعمر عبد الله بن أحمد الناخبي، عن العلامة عمر حمدان المحرسي، عن العلامة عبد الرحمن بن محمد عليش المالكي، عن أبيه العلامة محمد عليش بأسانيده.

(ح) ومن طريق شيخنا العلامة السيد محمد علوي المالكي، عن شيخه العلامة صالح الجعفري، عن العلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد عليش المالكي بأسانيده.

(ح) وبأسانيدنا إلى العلامة الحبيب سالم بن أحمد بن عبد الله الحبشي، عن العلامة الفقيه الجليل إبراهيم المختار بن أحمد عمر المينفراوي السيهاوي الأزهري الحنفي، وهو عن العلامة الفقيه عبد الرحمن عليش الحنفي بأسانيده.

وأقول: فدونك هذه الترجمةَ النادرةَ للعلامة الشيخ عليش وذريته، والتي لا أراك تظفر بها في غير هذا الكتاب، وكم لها فيه من نظير، وإني ليحضرني هنا قولُ الإمام المجتهد التاج السبكي في ترجمة أبي سهل الأبيوردي من طبقات الشافعية الكبرى، قال: (وهذه الترجمة التي لأبي سهل، لا أراك ـ بعد شدة الفحص ـ تجدها في غير كتابنا، وانظر كيف جمعناها من أماكن متفرقة، وأبرزناها من مصنف غريب، وهو نهزة الحفاظ)[1].

ويحضرني أيضًا قول الإمام السيد عبد الحي الكتاني في ترجمة العلامة يوسف بدر الدين الحسني ت١٢٧٨هـ في: (فهرس الفهارس): (وهذه الترجمة من التراجم التي لا تجدها مجموعة هكذا في كتاب، ولا في ذهن أحد من مؤرخي العصر، فخذها شاكرًا؛ فإني جمعت كل سطر منها وكلمة، من بلد وفم، في ظرف نحو العشرين سنة)[2]، فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا على فضله وجوده.

* * *

(١) طبقات الشافعية الكبرى /٤/٤٤/.
(٢) فهرس الفهارس /٢/١١٤٦/ مع اختصارٍ لعبارته رحمه الله تعالى.

❁ **العلامة القاضي الشيخ: محمد بن حسين الأنصاري الخزرجي العمراني**، ينتهي نسبه إلى العارف بالله تعالى الشيخ عمران الأنصاري الخزرجي، المدفون ببلدة: (دراو) بأسوان، ولد سنة ١٢٥٢هـ ببلدة: (كلح الجبل)، وهي بمركز: (إدفو)، محافظة أسوان.

تلقى العلم في أطوارٍ متعاقبة، فشرع أولًا في التلقي على الشيخ حسن بن عطاي ابن أحمد، وكان يقيم في بلدة كلح الجبل، وكان يتلقى الطلبة من البلدان المجاورة، ويعلمهم مبادئ الفقه وما يتيسر، ثم يعيدهم إلى قراهم لتعليم الناس، فدرس عليه الشيخ محمد بن حسين ما تيسر.

ثم انتقل إلى جرجا وكانت حينئذ زاخرةً بالعلم والعلماء، فدرس هناك على العلامة الشيخ محمد المصري الكبير بن أحمد الجرجاوي، وأجازه في جميع العلوم بخطه وختمه، ثم انتقل الخزرجي إلى قنا فتلقى على العلامة محمد بن الشيخ موسى القنائي، وهو من أكبر تلامذة الشيخ محمد المصري الجرجاوي، وقد أجازه الشيخ محمد بن موسى في العلم والطريق بخطه وختمه.

ثم منها إلى الأزهر الشريف بالقاهرة فحضر على كبار العلماء كالشيخ محمد الأشموني، والشيخ محمد عليش، والشيخ حسن العدوي، والشيخ أحمد منة الله المالكي، والشيخ البرهان إبراهيم بن حسن بن علي السقا، والشيخ مصطفى الشافعي الأحمدي وغيرهم، وكلهم أجازوه بخطوطهم.

ثم عاد إلى بلده وتولى القضاء الشرعي بولايتي: قنا، وإسنا، فعرف بقاضي الولايتين، ثم استقال من القضاء، واشتغل بتعليم الناس، وعني بالتأليف، فمن تآليفه: (ينابيع الحكم، في علومٍ شتى، وأسرار، وحكم)[١]، (رسالة في علم التوحيد)، (حاشية على شرح صديقه الشيخ هارون عبد الرازق

على منظومة العلامة العطار في علم النحو)، (مائة حديث بالتبشير)، (الأربعون العمرانية، في الأحاديث الصحيحة المحمدية)، وغيرها.

وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الأول سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة ودفن بقرافة بلدته.

وقد رزق بثلاثة من الأولاد: ١ ـ أحمد، ٢ ـ والمبارك، ٣ ـ ومحمد الأمير، وكان آخرهم صاحب اجتهاد في العلم، لزم والده، وتلقى علومه عليه، وتخرج به، ثم تصدر للتدريس والتعليم والإفادة، وكان يحفظ عشرة آلاف حديث، ترك نحوًا من أربعين مؤلفًا منها: (الحكم الأميرية)، (السهام الأميرية)، (الإسراء والمعراج)، (النافعة المنيفة، في مذهب أبي حنيفة)، (وسيلة السالك، إلى مذهب الإمام مالك)، (النصف من شعبان)، (خزائن القواعد النحوية)، وتوفي سنة ١٣٤٧هـ، ١٩٢٩م.

أما الشيخ المبارك فقد رُزِقَ بأولادٍ، منهم: العلامة المحدث الشيخ محمد بن المبارك بن محمد بن حسين الخزرجي، وله رواية عن عمه الأمير، وعن العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي.

قلت: وكنت قد سمعت عن العلامة الشيخ الأمير، وسعة محفوظه من الحديث الشريف، لكن لم أظفر بشيء عنه، ولم أر له ترجمةً، وكنت أتحسر عليه، وأقول في نفسي: (هذا علمٌ آخر من أعلام المسلمين أضاعه الإهمال)، حتى منَّ الله تعالى من واسع فضله، فقام عددٌ من إخواني في مدينة الأقصر بترتيب رحلة للفقير إلى قرية: (كلح الجبل) بمدينة إدفو بأسوان، وهي موطن الشيخ وفيها مدفنه، فنزلت عندهم يوم الثلاثاء ١٦ شعبان ١٤٢٦هـ، فأكرموا وفادتي، وأوقفوني على مدفن الشيخ، فزرته مترحمًا

عليه، ثم أحضروا أحفاد الشيخ وأقربائه، فعرضوا عليَّ ما بين أيديهم من تصانيفه من مخطوط ومطبوع، وتكرموا بتصوير نسخٍ منها للفقير.

حدثنا الأخ الكريم فضيلة الشيخ محمود يوسف العدوي ـ وفقه الله ـ عن القارئ الكبير المتقن الشيخ محمود حسنين الكلحي سماعًا منه، عن الشيخ ياسين محمود حمزة ـ وله في الشيخ الأمير مدائح ـ أنه أرخ وفاة الأمير بالجُمَّل فكان: (رحمةُ الله على الحبر الأمير).

ومن تلامذة العلامة الأمير الشيخُ محمود حسين داود حسين، ولد بقرية الدومارية بإدفو، وتوفي في قرية كلح الجبل شرق إدفو سنة ١٩٦١م، وكان مشهورًا بسعة الحفظ في الحديث أيضًا.

وكان العلامة الشيخ الأمير العمراني قد رزق بأولاد، منهم ولده العلامة الشيخ أمين، الذي تلقى العلم على يد والده، وانتفع به، ثم أفرد لترجمة أبيه جزء اسمه: (كواكب البدر المنير، بمناقب الحبر الأمير)، وقد لخص هذا الكتاب العلامة الشيخ محمد المبارك في جزء سماه: (النبراس المنير، بمناقب الشيخ الأمير)، وقد طبع هذا الجزء الأخير سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، إلا أنه نادر، وقد أوقفني فضيلة الشيخ الكريم البحاثة محي الدين الإسنوي على نسخة منه، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

ومن مؤلفات العلامة االأمير ألفية في فقه المالكية، نظم فيها خلاصة مختصر خليل، وسماها: (وسيلة السالك، لمذهب الإمام مالك)، وقد طبعت بعناية العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري، وكتب في آخرها كلمة قال فيها بعد كلام: (فإن منظومة «وسيلة السالك، إلى مذهب الإمام مالك» جاءت وسطا بين الطرفين، لا هي مختصرة يعسر فهمها، ولا هي

طويلة تتشعب مسالكها، وأجمل ما فيها أنها جمعت مسائل المذهب بأسلوب سهل، خال من التعقيد، ومن كثير من الضرورات الشعرية، بحيث يندر أن تجد قصيدة في الفقه، العويص البحث، البعيد الغور، وهي بهذه السلاسة والعذوبة، وتلك موهبة وهبها الله لناظمها، فضيلة الأستاذ العلامة: محمد الأمير النعماني، ابن القاضي محمد حسين الخزرجي الأنصاري الخلوتي السماني، بناحية مركز أدفو، مديرية أسوان)[١].

إلى أن قال: (ولولا ضيق وقتي، وكثرة شواغلي، لكتبت عليها شرحا وسطا، يحل ألفاظها، ويعين على فهمها حفاظها) إلى آخر كلامه، رحمه الله.

قلت: ونظيرها في فقه الشافعية ألفية العلامة الفقيه الحبيب أبي بكر بن أحمد ابن حسين الحبشي، وهي مطبوعة في مطبعة حجازي بالقاهرة.

ونحن نروي مرويات أولئك الأكابر من طريق فضيلة الشيخ فراج يعقوب الأرمنتي المالكي، عن العلامة الشيخ محمد المبارك، عن عمه العلامة محمد الأمير العمراني، عن والده العلامة محمد بن حسين الخزرجي بأسانيده عن شيوخه المذكورين.

* * *

۞ المعمر الأديب، الصالح، البركة: أبو البركات محمد بن سعد بن بدران الدمياطيُّ الشاذلي القاوقجي.

هو شيخنا البركة المعمر الصالح، ولد ظنا سنة ١٣٣٣هـ، الموافق ١٩١٣م، لزم العلامة الشيخ محمد بهاء الدين أبو النصر ابن العلامة المسند الإمام أبي

(١) وسيلة السالك/ص٩٤/، ط: دار العهد الجديد، القاهرة، سنة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

المحاسن محمد بن خليل القاوقجي على خدمته، والقيام بشؤونه، مدة عشر سنين، فكان يرافقه في أسفاره وتنقلاته أينما حل أو ارتحل، وما زال كذلك، حتى انتقل الشيخ القاوقجي إلى رحمة ربه.

قلت: وقد أخبرنا شيخنا أن السيد القاوقجي توفي سنة ١٣٥٦هـ تقريبًا، وكنت قد سألت شيخنا عن سنه فصاح بي، وأبى عليّ، ثم قال لي: لقد سألت شيخنا البهاء القاوقجي عن سنه فأبى أن يخبرني، وأنشدني:

احفظْ لسانَك لا تَبُحْ بثلاثة   سنٍّ ومالٍ ـ ما استطعت ـ ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة   بمكفر، وبحاسد، ومكذب

ثم إني سألت الشيخ: كم كان عمرك حين عرفت العلامة القاوقجي؟ فقال: كنت ابنَ عشر سنين، فسألته ولعلك لزمته مدة طويلة؟ قال: ثلاث عشرة سنة، فضممت إلى هذا ما عرفته من الشيخ من قبل، أنَّ القاوقجيَّ توفي سنة ست وخمسين، فاستنتجت أن الشيخ ولد في نحو عام: ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة تقريبًا.

قلت: وأما الأبيات المذكورة فقد رأيتها أثناء المطالعة، عند ابن الجوزي في: (صيد الخاطر)، قال: (وقد أنشدنا محمد بن عبد الباقي البزاز:

احفظْ لسانَك لا تَبُحْ بثلاثة   سنٍّ ومالٍ ـ ما استطعت ـ ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة   بمكفر، وبحاسد، ومكذب)[1]

(١) صيد الخاطر /ص٣٥٨/ ط: دار القلم، ثم رأيت الأبيات في البداية والنهاية /١٢/٢١٧/، في ترجمة محمد بن عبد الباقي، وقد ذكر ابن كثير أيضًا أنها منقولة عن ابن الجوزي بسماعه منه.

يروي الشيخ عن: ١ ـ شيخه البهاء القاوقجي وهو عمدته في الرواية، وقد تفرد الشيخ في زمانه بروايته عنه، حيث عمر بعد وفاته سبعين سنة إلى يومنا هذا، ولم يعد أحد يشاركه في ذلك السند، فقد شاركه السيد أحمد الصديق الغماري، وشقيقه السيد عبد الله الصديق في الأخذ عن البهاء القاوقجي ثم إنه بقي بعدهما زمانًا.

ويروي أيضًا عن: ٢ ـ العلامة المحدث السيد عبد الله الصديق الغماري، ٣ ـ والعلامة الشيخ مصطفى الجعفري الكوباني، ٤ ـ والعلامة الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم وغيرهم، وكلهم أجاز له إجازةً عامةً.

وكنتُ قد سمعتُ بالشيخ قديمًا، فدأبتُ على جمع أخباره والتفتيش عنه، حتى عرفتُ أنه يسكن بمحلة تدعى: (كفر سعد البلد)، وهي قريةٌ نواحي دمياط، فدخلتُها، والتقيت الشيخ وقد كَبِرَتْ[1] سنُّه، وضَعُفَ بصره، فلا يكاد يرى، وخف سمعه فلا يكاد يسمع، إلا إذا صرخ بعض أحفاده في أذنه بطريقة معينة.

وقد أكرمني الشيخُ واحتفى بي، وأجاز لي إجازةً عامة، وأسمعني المسلسل بالأولية، وكلف بعض الإخوان أن يكتبوا لي بأمره مستند الإجازة وسنده في مسلسل الأولية ففعل، بل قال لي الشيخ غير مرة: (أنت منا ونحن

(١) يقال: كبر بكسر الباء من باب طرب، يكبَر بفتحها، في السن، ويقال: كبر بضم الباء أي عَظُمَ، يكبُر بضمها، في جسم أو القدر أو المعنى، وقد نظمها بعضهم في أبيات فقال:

كبرت بكسر الباء في السن وارد   مضارعه بالفتح لا غير يا صاح
وفي الجسم والمعنى كبرت بضمها   مضارعه بالضم جاء بإيضاح

وانظر في هذا المعنى خلاصة كلام أهل اللغة في المادة اللغوية المذكورة من القاموس المحيط، وتاج العروس، ومختار الصحاح، والمصباح المنير وغيرها.

منك، وقد أجزتُ لك أن تجيز عني من شئت)، إلى غير ذلك من مما خصني به الشيخ وحباني، وقد ترجم له الأستاذ سيد رسلان في كتاب اسمه: (اللؤلؤ والمرجان، في مناقب الشيخ محمد سعد بدران) وهو مخطوط.

ثم إني قد استجزت من الشيخ لجماعة من إخواني، وزرته غير مرة في جمع من أصدقائي طلبة العلم، حتى اشتهر أمر الشيخ وذاع، ولا أزال أذكر يوم نزلت على الشيخ أول مرة فكان يعجب كيف عرفته، وممن سمعت به، فذكرت له أنني سمعت عنه، وتتبعت أخباره حتى اهتديت إليه، فسُرَّ بذلك، فمن لطيف الأمر أنه جعل يقول لمن حوله: (انظروا!! يرحلون إليّ، والناس هنا لا يعرفون قدري) قلت: وهذا من غربة العالم، وقد انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى مساء الأربعاء ١٤٢٨/٨/١٦هـ، ٢٩ أغسطس ٢٠٠٧م، ودفن ظهر الخميس تاليه، أروي مروياته عنه مباشرة كما تقدم.

فصل

أسرة القاوقجي من الأسر المشهورة، وهي أسرة علم وصلاح، والدهم العلامة الشيخ أبو المحاسن محمد بن خليل، فقيه محدث مسند، ولد عام ١٢٤٤هـ وتوفي عام ١٣٠٥هـ، من تصانيفه في الحديث: (اللؤلؤ المرصوع، فيما لا أصل له أو بأصله موضوع) طبع، (الذهب الإبريز، على المعجم الوجيز) طبع، (البدر المنير، مختصر الجامع الصغير)، (رفع الأستار المسدلة، في الأحاديث المسلسلة)، (معدن اللآلي، في الأسانيد العوالي)، (الجامع الفياح، للكتب الثلاثة الصحاح: الصحيحين والموطأ)، (شرح على «غرامي صحيح») وغير ذلك كثير، وله أيضًا: (الدر الغالي، على بدء الأمالي)، وغير ذلك كثير من مؤلفاته رحمه الله.

قال العلامة الكتاني في (فهرس الفهارس): (هذا الرجل مسند بلاد الشام في أول هذا القرن، وعلى أسانيده اليوم المدار في غالب بلاد مصر والشام والحجاز)[1]، وانظر ترجمته في: (فهرس الفهارس)، وفي: (الأعلام)، وفي: (معجم المؤلفين) وغيرها[2].

ولفضيلة الشيخ: عبد القادر الأدهمي الطرابلسي كتاب اسمه: (ترجمة شمس الدين أبي المحاسن القاوقجي)، طبع في المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٣٠٦هـ، وللأستاذة الفاضلة: سحر محمد علي هوشر بحث تقدمت به لنيل درجة التخصص: (الماجستير) من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عنوانه: (المحدث الشيخ أبو المحاسن القاوقجي، وأثره في علم الحديث).

قلت: ومن مشاهير تلامذة أبي المحاسن القاوقجي السيد محمد رشيد رضا، فإنه درس عليه أيام استقراره في الشام قبل نزوله مصر، وتلقى عنه كتابه في الأحاديث المسلسلة، وأجيز منه إجازة عامة.

ثم إن أكبر أنجاله الشيخ محمد بهاء الدين أبو النصر القاوقجي، توفي سنة ١٣٥٦هـ تقريبًا، كما عرفته استنباطًا من جملة كلام لتلميذه شيخنا محمد سعد بدران الدمياطي صاحب الترجمة، وقد لازمه على خدمته عشر سنوات إلى توفي البهاء القاوقجي، قال شيخنا: (وقد فاضت روحه ورأسه في حجري، وأذني على فمه أتسمعه، فما زال يقول: «يا عزيز يا حميد»، يكررها، ويمد بها صوته، حتى فاضت روحه إلى باريها).

قلت: وقد أخبرني شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ أنه أفرد لترجمة شيخه

(١) فهرس الفهارس /١/١٠٥/.
(٢) فهرس الفهارس /١/١٠٥/؛ الأعلام /٦/١١٨/، معجم المؤلفين /٩/٢٨٧/.

العلامة البهاء القاوقجي جزء لطيفًا سماه: (الطيب المُشْجِي، في مناقب شيخنا محمد بهاء الدين القاوقجي)، غير أن السيد شمس الدين القاوقجي أخذه من حقيبة السيد بهاء الدين فأضاعه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولشيخنا أيضًا من التأليف: ديوان شعر في مجلدين.

وقد رأيت بمكتبة شيخنا المذكور غير ما كتابٍ من كتب السادة القاوقجية بخطوطهم، أو مستنسخًا منها بخط شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ، منها كتاب: (رفع الأستار المسدلة) سابق الذكر.

وقد دُفِن السيد بهاء الدين القاوقجي في شبين الكوم، حيث كانت إقامته بها، وما زالت ذريته وأحفاده هناك إلى اليوم.

أما السادة كمال الدين، وفخر الدين، وجمال الدين أبناء العلامة أبي المحاسن القاوقجي فلا أعلم أنَّ أحدًا عني بتتبع أخبارهم، أو الترجمة لهم، فعسى أن ينشط أحد للتصنيف في هذه الأسرة العلمية المباركة.

فصل

وكلمة: (القاوقجي) نسبة إلى صناعة القواويق أو بيعها، وهي قلانس معروفة في الشام، لكن جرت فيها عادة الترك في النسب؛ فإنهم يجعلون لفظة: (جي) بآخر النسبة للحرف والصنائع، كذا في كتاب: (مختصر فتح رب الأرباب)(١).

ونحوه مع زيادة بيان في وصف القواويق وكيفية صنعها عند فضيلة

(١) مختصر فتح رب الأرباب، في بيان الأنساب للسيد عباس أمين رضوان المدني /ص٤٦/.

الأستاذ الشيخ محمد بن عبد الله الرشيد في كتاب: (إمداد الفتاح)(١) نقلًا عن كتاب: (بدائع الغرف، في الصناعات والحرف) للقاسمي، وانظر كلمة مهمة عن كتاب: (بدائع الغرف) عند العلامة الشيخ البيطار في كتاب: (حلية البشر)(٢).

بل كان القاووق المذكور تاجًا تلبسه الملوك، ثم لبسه العلماء، ثم عمَّ فصارت العامة تلبسه، ثم ترك زمن السلطان محمود العثماني، وصار الآن لا يعرف، وكان يسمى بالـ(القاووق)، وبـ(المقلة).

وقد أفرد بعض العلماء له بخصوصه رسالة عنوانها: (حدق المقلة، في أبحاث المقلة)، وانظر حول تلك الرسالة كلام جبرتي الصعيد العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي في: (تعطير النواحي)(٣)، وللكاتب الحلبي المعروف: عمر مهملات مقال جيد، عنوانه: (تطور الألبسة الحلبية عبر التاريخ) تكلم فيه عن القاووق، ووصفه، وأورد لمحة من تاريخه.

فصل

كان المسندُ الشيخ يوسف بن عمر الختني ـ رحمه الله تعالى ـ عاليَ السند؛ إذ كان يروي عن الحافظ أبي طاهر السِّلَفي بواسطة واحدة، فلما أن تُوفي سنة سبعمائة واثنتين وثلاثين أنشد فيه أحمد بن إبراهيم بن أحمد السنجاري:

في شـهرِ شـعبانَ عام سـبعمائةٍ ... ثـم ثلاثـين واثنتـينِ تـفي

(١) إمداد الفتاح /ص٤٣٨/.
(٢) حلية البشر /٢/٦٥٥/.
(٣) تعطير النواحي والأرجا، بذكر من اشتهر من علماء وأعيان مدينة الصعيد جرجا /٢/٣٢٠/.

لـم يَبْـقَ في الأرض مـن يُقَـالُ له   أخـبركم واحـدٌ عـن السِّلَفي

وكذلك كان تاجُ الدين محمد بن أحمد الإسكندراني مسندَ الإسكندرية في زمانه، وكان آخرَ من بقي بها يروي حديث الحافظ أبي طاهر السلفي متصلًا بالسماع، فلما أن توفي سنة ٧٩٨هـ أنشد فيه الحافظُ زين الدين العراقي:

في عام تسـعين بعـد سـبعمائة   بعـد ثمـانٍ تُعـدُّ بالضـبط
لـم يَبْـقَ في الثغـر مـن يُقَـالُ له   أخـبركم واحـدٌ عـن السـبط

وكان محمد بن مقبل بن عبد الله الحلبي مسندَ الدنيا في زمانه، وكان عالي الإسناد، يروي عن الفخر ابن البخاري بواسطة واحدة، فلما أن توفي سنة إحدى وسبعين وثمانمائة أنشد فيه الحافظ السيوطي متمثلًا صنيع من ذكرناهم من قبل:

في عام سـبعين بعـدها سـنة   بعـد ثمـان المئـين بالحصْـرِ
لم يبـق في العصـر مـن يُقَـالُ له   أخـبركم واحـدٌ عـن الفخْـرِ

وكان العلامة الشيخ سابق بن بيان بن عز الدين النابلي عالي السند، فلما أن توفي سنة ألف ومائة وواحد وسبعين أنشد فيه بعض تلامذته:

في عام سـبعين بعـدها سـنة   مـن بعـد ألـف ومائـة عـددا
لم يبق في العصر مـن يقـول: لقـد   أخبرنـا النـابلي معتمـدا

وكان شيخُنا الشيخ محمد سعد بدران الدمياطي عالي السند، يروي عن البرهان السقا ـ وهو مدار أسانيد المصريين في زمانه ـ بواسطة واحدة؛ فلما أن توفي شيخنا نزل إسناد أهل مصر بوفاته درجة؛ إذ لم يبق بعده

مِصْريٌّ يروي عن البرهان السقّا بواسطة واحدة، فلما أن توفي سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة أنشدتُ فيه وأنا أتمثل صنيع من تقدم ذكرهم:

في عام عشـرين ثـم ثامنـةٍ   مـن بعـد ألـفٍ وأربـعٍ حقّـا
لـم يَبْـقَ في مصـر مـن يُقَـالُ له   أخـبركم واحـدٌ عـن السـقّا

* * *

❁ العلامة المسند العابد الشيخ: محمد بن سليمان الشافعي المصري ثم المكي الشهير بـ: حسب الله المكي.

وهو مصريُّ الأصل، وإن كان قد سكنَ مكة حتى صار يغلب ذكرُه في الحجازيين، ويُترجَمُ في أعلام مكة، ولد سنة ١٢٣٣هـ، وتوفي سنة ١٣٣٥هـ، ومن تآليفه حاشيةٌ له على منسك الخطيبِ الشربيني الكبير، وله أيضًا (فيض المنان، شرح فتح الرحمن).

قال الكتانيُّ في: (فهرس الفهارس): (وكان ـ رحمه الله ـ كلفًا بشهودِ رمضان في المدينة، مع عماه، وكبر سنه، محافظًا على ذلك، إلى أن تمَّ له صيامُ سبعينَ رمضان بها، وختم البخاريَّ في جوف الكعبة، وهذا نادرٌ، لم يسمع إلا عن أفرادٍ من الأولين)[1].

قلتُ: ومن أعيان المتأخرين الذين اتفق لهم ختمُ صحيح البخاري في جوف الكعبة العلامة المحدِّث الشيخ محمد علي بن محمد علان الصديقي الشافعي المتوفى نهار الثلاثاء لتسعٍ بقين من ذي الحجة سنة ١١٥٧هـ، فقد قرأ

(١) فهرس الفهارس والأثبات ١/٣٥٦.

صحيح البخاريّ في جوف الكعبة سنة ١١٣٩هـ، بل وألَّف في ذلك كتابًا اسمه: (القول الحقُّ والنقلُ الصريح، بجواز أن يُدرسَ بجوف الكعبة الحديثُ الصحيح)، وانظر الوقائع التي حملته على تأليف الكتاب في: (خلاصة الأثر)[١] للمحبي.

قال الشيخ أحمد الحضراوي في: (نزهة الفكر) في ترجمة عبد الله بن سالم البصري: (قرأ صحيح البخاري في جوف الكعبة، سنة ألف ومئة وتسع)[٢].

قال الكتانيّ في: (فهرس الفهارس): (وفي: «النفس اليماني» للوجيه الأهدل عن الجمال البصريّ هذا أنه: قرأ صحيح البخاريّ في جوف الكعبة المشرفة مرارًا)[٣].

قلتُ: ويشبه هذا أن العلامة ابن مرزوق الأكبر ت٧٨١هـ قد ختم القرآن الكريم في جوف الكعبة، وترجمة ابن مرزوق في: (إنباء الغمر) للحافظ ابن حجر، وفي ذيله على طبقات الحفاظ.

ويشبه هذا أنَّ العلامة المحدث أبا الفرج عبد الرحمن بن سليمان الدمشقي الحنبلي ت٨٤٤هـ كان يعظُ في جوف الكعبة، قال ابن تغري بردي في: (المنهل الصافي): (وجاور بمكة أولى وثانية، ووعظ فيها بمكة، حتى وعظ في جوف البيت الحرام، وكان يزدحم الخلق عليه هناك، ويحصل بكلامه تأثير في القلوب)[٤].

---

(١) خلاصة الأثر /١٨٦/٤/.

(٢) نزهة الفكر، فيما مضى من الحوادث والعبر، في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر /٦٠/٢/.

(٣) فهرس الفهارس/١٩٧/١/.

(٤) المنهل الصافي /١٧٠/٧/.

يروي عامةً عن: ١ ـ الشيخ عبد الغني الدهلوي، ٢ ـ والبرهان السقا، ٣ ـ والشهاب أحمد الدمياطي، ٤ ـ والشيخ عبد الغني الدمياطي، ٥ ـ والشيخ عبد الحميد الداغستاني، ٦ ـ والشهاب أحمد منة الله المالكي، ٧ ـ والشيخ حسين بن إبراهيم الأزهري المكي، ٨ ـ وأبي المحاسن القاوقجي وغيرهم، وله ثبت، ومجموعة تضمنت إجازات مشايخه بخطوطهم.

نروي مروياته من طريق العلامة الشيخ محمد نمر الخطيب الحيفاوي ثم المدني، عن العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، عنه.

ومن طريق العلامة المعمر الشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي، عن محدث الحرمين العلامة عمر حمدان المحرسي ت١٣٦٨هـ، عنه.

* * *

۞ العلامة الكبير، الإمام الحكيم الشيخ: محمد بن عبد الله بن محمد بن حسين دراز الأزهري.

ولد في قرية محلة دياي في محافظة كفر الشيخ سنة ١٣١٢هـ ـ ١٨٩٤م، وحفظ القرآن وهو في العاشرةِ من عمره، والتحق بالمعهد الديني بالإسكندرية أوائل سنة ١٩٠٥م، ودرس على جماعة من العلماء منهم: والده العلامة الأصولي الشيخ عبد الله دراز، ومنهم العلامة الشيخ إبراهيم الجبالي، ومنهم العلامة الشيخ عبد المجيد اللبان، والعلامة الشيخ عبد المجيد سليم، والعلامة الشيخ محمود أبو دقيقة، والعلامة الشيخ علي محفوظ، والعلامة علي سرور الزنكلوني، وتأثر بالشيخ محمد مصطفى المراغي وإن لم يدرس عليه، وتخرج من الأزهر عام ١٩١٦م.

ثم تعلَّم الفرنسية بمجهود شخصي، فكان يكتب بالفرنسية مدافعًا عن الإسلام ضد مهاجميه، درَّس في الأزهر إلى أن ابتعث عام ١٩٣٦م إلى فرنسا لتحضير الدكتوراه، فالتحق بالسوربون فأعاد الليسانس فدرس الفلسفة والمنطق والأخلاق وعلم النفس والاجتماع، وكان من أساتذته: ماسنينيون، وليفني بروفنسال، ولوسن.

ثم شرع في الإعداد لرسالة الدكتوراه في بداية الأربعينيات[1] حول دستور الأخلاق في القرآن وناقشها في ١٩٤٧/١٢/١٥ ونال بها درجة الشرف العليا، وكان أعد رسالة أخرى حول التعريف بالقرآن، وكان له نشاط واسع في فرنسا أثناء إقامته، فأسهم بفاعلية في أنشطة نوادي التهذيب التي أسسها الجزائري الفضيل الورتلاني في فرنسا والتي اهتمت بتعليم اللغة العربية

(١) صدر قرارٌ من لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورة عام ١٩٧٣م ينصُّ على أن: (ألفاظ العقود يجوز أن تُجمع بالألف والتاء، إذا ألحقت بها ياء النسب، فيقال: ثلاثينيات، ويدل اللفظ حينئذ على الواحد والثلاثين إلى التاسع والثلاثين، وفي هذا المعنى لا يقال: ثلاثينات بغير ياء)، وهو الذي تبناه واعتمده الأستاذ محمد العدناني في كتابه: (معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة) /ص١٣٦/، واعتمده أيضًا الأستاذ صلاح الدين زعبلاوي في كتابه: (معجم أخطاء الكتاب) /ص٤١٠/، وكان الدكتور ناصر الدين الأسد قد تعرض لقرار مجمع اللغة العربية المذكور بالمناقشة، في بحث له، منشور في: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ١، سنة ١٩٧٨م، ثم نشر بحثه في كتابه: (تحقيقات لغوية) المطبوع في المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وانتهى إلى أن ما انتهى إليه مجمع القاهرة من تخطئة الجمع بغير ياء لا وجه له في العربية ولا مسوغ، وأن لفظ العشرينات بغير ياء هو الذي جرى عليه العرب في كلامهم، وللدكتور مصطفى الجوزو مقال نشر في مجلة العربي العدد ٥٩٥، الصادر في يونيو سنة ٢٠٠٨م انتهى فيه إلى تجويز الوجهين، فناقشه فيه الدكتور إسماعيل القيام في بحث نشر في مجلة العربي، العدد ٦٠٢، الصادر في يناير سنة ٢٠٠٩م، أكد فيه أن قوانين التطور اللغوي تسعى إلى الاقتصاد في الجهد، والتخفف من الإطالة والتشديد، وأنه ينبغي في ألفاظ العقود أن تكون بغير ياء.

ونشر مبادئ الإسلام ومحاربة الرذيلة في صفوف المسلمين المقيمين في فرنسا، كما كان على اتصال بالعلماء الجزائريين العاملين في فرنسا وداخل القطر الجزائري، فضلًا عن صلاته مع المصريين المقيمين في باريس والدارسين فيها.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يقرأ كُلَّ يوم سدس القرآن، وما ترك هذه العادة يومًا واحدًا، حتى في إبان محنة الحرب التي عاصرها في فرنسا، وما كنت تراه إذا اختلى بنفسه إلا مصليًّا أو قارئًا للقرآن.

وأما مؤلفاته فأجلها كتابه القيم: (دستور الأخلاق في القرآن الكريم)، وكتاب: (مدخل إلى القرآن)، وكتاب: (النبأ العظيم)، وكتاب: (دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية)، ومنها كتابه: (المختار من كنوز السنة النبوية، شرح أربعين حديثًا من أصول الدين).

وانتقل إلى رحمة الله تعالى في باكستان، أثناء حضوره المؤتمر الإسلامي، عشية يوم الاثنين، السادس عشر من شهر جمادى الثانية، سنة ١٣٧٧هـ ـ السادس من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٨م.

ولسماحة شيخنا الإمام العلامة علي جمعة مفتي الديار المصرية عدة مقالات حول العلامة الشيخ دراز، نشرت أولها في جريدة الأهرام تحت عنوان: (علم من أعلام الإسلام)، ومما قاله شيخنا: (ولقد كان ثريًّا في تاريخه العلمي فألف كتابه «الدين» والذي كان مجموعة من المحاضرات التي ألقاها الشيخ الجليل على طلاب كلية الآداب بوصفها أبحاثًا تمهيدية لعلم تاريخ الأديان، وهناك أيضًا بحثه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة السوربون بعنوان «دستور الأخلاق في القرآن الكريم» والتي ترجمت بعد ذلك. وهناك أيضًا كتابه «مدخل لدراسة القرآن الكريم» والذي كتبه بالفرنسية، والتي كان

يجيدها كما يجيد العربية بسبب دراسته ومكثه في فرنسا أكثر من اثنتي عشرة سنة، مما كان له تأثير عميق على اتساع مداركه وفكره وعلمه ونجاحه في ربط التراث الشرعي بثقافة العصر. وهذا من أهم الصفات التي تميَّز بها الشيخ محمد عبد الله دراز. ورغم عدم تأثير ذلك على شخصيته الأزهرية فظل يحتفظ بزيه الأزهري حتى يوم وفاته. وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية أيضًا.

وهناك كذلك رسالته التي سماها «كلمات في مبادئ علم الأخلاق» وهي رسالة وجيزة قليلة الصفحات عظيمة الأثر والمحتوى. ورغم انشغال الشيخ بالفلسفة والعقيدة والمنظومة الأخلاقية في الإسلام كما هو واضح من عناوين مؤلفاته هذه، إلا أنه كان له باع في التفسير وعلوم القرآن، فمن ميراثه العلمي في هذا المجال، كتابه الماتع «النبأ العظيم»، وهو كتاب متفرد لم يسبقه إليه أحد، سواء في المضمون أو في الأسلوب. فقد تبحّر فيه في فلك الإعجاز البياني والأدبي لكتاب الله مظهرًا لفتات ونظرات جديدة مذهلة تدل على مدى فهمه العميق والراسخ للقرآن المجيد ومقدار نجاحه في الاغتراف والارتشاف من حلاوة الآيات القرآنية وجمالها البلاغي والبديعي. هذا وقد ترك لنا أيضًا تفسير الفاتحة ومقدمة التلاوة لعدد من سور القرآن الكريم.

أما عن علوم السنة، فلم تخل من إبداعات الشيخ مثل كتابه «المختار من كنوز السنة» الذي تناول فيه مختارات من الأحاديث النبوية الجليلة مع شرحها شرحًا وافيًا يدل عن مدي تعمقه واهتمامه بعلم الحديث والسنة.

وقد بدأ الشيخ في عدد من المشاريع العلمية التي لم يكتب لها التمام والكمال بسبب وفاته المفاجئة مثل كتابه «الميزان بين السنة والبدعة»، وقد

كانت محاولة من قِبَل الشيخ لتحديث كتاب «الاعتصام» للشاطبي وإعادة صياغته بلغة عصرية جديدة لا تخل بمضمون الكتاب الأصلي، وتفيد القراء المعاصرين وطلاب العلم من كنوز هذا الكتاب التي لا تنفد. وهو مطبوع.

هذا وقد مثَّل الشيخ مشيخة الأزهر في العديد من المؤتمرات الدولية فقد كان عضوًا بارزًا مؤثرًا في هيئة كبار العلماء. فمثَّل المشيخة في مؤتمر الحقوق الدولية والذي انعقد في باريس في عام١٩٥١م، وقدم فيه الشيخ بحثًا ممتعًا في قوة الأسلوب وسهولة اللفظ عن «الربا»، وقد طبع أيضًا. كما مثَّل المشيخة في مؤتمر العلاقات الدولية، وقدّم من خلاله بحثًا رفيع المستوى عن «الإسلام والعلاقات الدولية». وآخر المؤتمرات التي مثَّل فيها الأزهر كان مؤتمر الأديان العالمي في لاهور، والذي وافته فيه المنية في يناير سنة ١٩٥٨م بعد الانتهاء من إلقاء كلمته الأخيرة.

وبعد أن عاد جثمانه الشريف من لاهور ليدفن في وطنه مصر كان يوم وداعه مهيبًا، أمطرت فيه السماء، حتى إن المشيعين الذين رفعوا المظلات البيضاء فوق رؤوسهم حولوا شارع الأزهر إلى قطعة بيضاء، من تلاصق مظلات المشايخ، وكثرة المشيعين من عند الجامع الأزهر وإلى طريق صلاح سالم الآن، حيث كانت مدافن العلماء المجاورين؛ فكان نزول الغوث، وبياض المشهد، بشرى لاستقبال هذه الروح الطاهرة)[١].

أما مروياته فقد قال في أوائل كتابه القيم: (المختار من كنوز السنة

(١) جريدة الأهرام، العدد الصادر صباح الاثنين ٢٧/٤/٢٠٠٩م، وللعلامة الشيخ محمد أبو زهرة مقال ماتع عنه، نشر في مجلة لواء الإسلام، العدد الحادي عشر، من السنة الحادية عشر، سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م، وقد أورده فضيلة الشيخ مجد مكي في كتابه: (أعلام وعلماء قدماء ومعاصرون، بقلم العلامة الكبير الشيخ محمد أبو زهرة/ص٣٤٣).

النبوية) ما نصه: (أروي «صحيح البخاري»، وجل «صحيح مسلم»، من طريق شيوخنا المصريين قراءة منهم وأنا أسمع، أما سائر كتب السنة فبالإجازة كتابة من عالم المغرب السيد محمد عبد الحي الكتاني المُحدِّث المشهور، عند اجتيازه للديار المصرية في طريقه إلى الحج، وبالإجازة والمناولة ومقابلة النسخ، والقراءة للبعض والسماع للبعض الآخر من أستاذنا الكبير القارئ المُحدِّث الأصولي الفقيه الأديب محمد حبيب الله الشنقيطي نزيل مصر منذ أعوام، وهذه هي الإجازة التي قيدها بقلمه، على الصفحة الأولى من (ثبت) الشيخ الأمير الكبير المصري المالكي ـ رحمه الله تعالى ـ حيث يتصل الأستاذ الشنقيطي به من طرق مبينة في طرة ذلك الثبت المطبوع بمصر، قال حفظه الله: «الحمد لله الذي جعل اتصال الأسانيد من خصوصيات هذه الأمه، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين رحمة، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم من الأئمة، أما بعد: فقد أجزت العلامة الذائق الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد دراز المدرس بكلية أصول الدين للأزهر الشريف في هذا الثبت، وسائر ما أتصل به من أسانيد جميع الفنون، واتصالي به مذكور في هذه الصحيفة وفي غيرها.

وأوصيه ونفسي بتقوى الله سرًا وعلنًا، على عادة مشايخ الأسانيد وإن كان مثله لا يحتاج للإيصاء عملًا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1] قاله بلسانه، وقيده ببنانه، خادم نشر العلم بالحرمين سابقا، وبالتخصص للأزهر المعمور لاحقًا، محمد حبيب الله الشنقيطي ـ وفقه الله ـ في ١٩ صفر سنة ١٣٥٢هـ»).

(١) سورة النساء، آية ١٣١.

قلت: وقد صرح الشيخ بأنَّه تلقى صحيحَ البخاريِّ كاملا، وغالب صحيح مسلم من شيوخه المصريين، قراءةً منهم وهو يسمع، ولكنني لم أهتدِ بعد بحثٍ إلى تعيين شيوخه الذين يشير إلى أنه تلقى الحديث عنهم، في الوقت الذي كان فيه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ مخالطًا للأزهريين من تلك الطبقة، فأكثروا من الإسناد عنه، ومن ذِكْرِه في إجازاتهم، فأنت ترى أكثرهم يروي عنه، ولا يذكر من شيوخ الرواية أحدًا سواه، وسيأتي كلام عن شدة مخالطة أهل هذه الطبقة من علماء الأزهر للشيخ حبيب الله الشنقيطي، في ترجمة العلامة الشيخ محمد عبد الوهاب البحيري، وهي الترجمة التالية بعد هذه الترجمة مباشرة.

وأما كتاب: (النبأ العظيم) فهو كتاب مهمٌّ جدًّا، وقد كان شيخنا العلامة الإمام الشيخ محمد هاشم محمود عمر السيوطي الحنفي ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ يفخمه جدًّا، حتى قال لي مرة: (كتاب: النبأ العظيم أجود ما ألف في إعجاز القرآن، لا أحاشي قديمًا ولا حديثًا).

ونحن نروي مرويات العلامة الشيخ محمد عبد الله دراز من طريق شيخنا العلامة المحدث الشيخ أحمد معبد عبد الكريم الأزهري، عن مسند العصر العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني، عنه.

❁ ❁ ❁

❁ العلامة الجليل المتقن، الفقيه الأصولي الشيخ: محمد بن عبد الوهاب البحيري الأزهري الحنفي.

عضو هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف، ولد في قرية شمشيرة سنة ١٣٢٩هـ الموافق ١٩٠٩م، وعندما توفي الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي

سنة ١٣٧٨هـ، لجأ أولاده إلى العلامة الشيخ البحيري، وهو بلديُّهم، وكان يقدر الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا تقديرًا كبيرًا، فطلبوا منه أن يكمل الكتاب، فأكمل النصف الثاني من الجزء الثاني والعشرين، وقام بتخريج أحاديثه وشرحها، ثم انتدب بعدها إلى المغرب، فاعتذر عن إكمال الكتاب.

وقد حدثني شيخنا العلامة المُحَدِّث الشيخ أحمد معبد عبد الكريم الفيوميُّ الأزهريُّ، أن العلامةَ المتقن الشيخ محمد عبد الوهاب البحيري الأزهريَّ حدثه، أنه كان يجتمعُ هو والشيخ محمد محمد السماحي، والشيخ محمد محمد أبو زهو، والشيخ أحمد علي أحمدين، والشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، والشيخ سيد الحكيم، والشيخ محمد اللافي شرعان السكندري، والشيخ شاكر الشنطوري وغيرهم لقراءة الحديث الشريف على الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، أيام أن كانت كلية أصول الدين في مقرها الأول، في جامع الخازندارة بشبرا.

وقد كان العلماء المذكورون هم اللجنة التي اجتمعت لتحكيم كتاب: (اللؤلؤ والمرجان، فيما اتفق عليه الشيخان) لمحمد فؤاد عبد الباقي، وقد أقروه واعتمدوه.

قلت: بل كان الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ يُدرِّس الحديث والتفسير بكلية أصول الدين إلى أن مات، مما زاد من ارتباط الأزهريين في تلك الحقبة به، وكان يُدرِّس في شهر رمضان بعد الظهر في المشهد الحسيني بالقاهرة، وتوفي أيضًا بالقاهرة، يوم الأربعاء ٧ من صفر، عصرًا، بمنزله بدرب اللبّانة بالقلعة، بعد أن مرض أربعة أيام بالحمى، وصُلِّي عليه يوم الخميس ٨ من صفر، سنة ١٣٦٣هـ، ودفن بجوار الشيخ الجنبيهي.

وذكر لي شيخنا العلامة الشيخ أحمد معبد أن الشيخ محمد محمد السماحي كان يقول له: (أحضر لي ثبت الأمير وأنا أكتب لك عليه الإجازة، كما كتب لي الشيخ الشنقيطي)، وذكر لي أيضًا أن الشيخ محمد عبد الوهاب البحيري كان يقول له: (عندي إجازات من الشيخ الشنقيطي بأثباته)، قال لي شيخنا: (لكن الشيخ البحيري كان عَسِرًا جدًّا في الإجازة، ولقد جهدتُ به أن يجيزَ لي فأبى).

ثم إن الشيخ البحيري قد انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة في بغداد، وكان من تلامذته هناك العلامة الشيخ صبحي البدري السامرائي، وقد قرأ الشيخ صبحي على شيخه الشيخ البحيري شرح النووي على صحيح مسلم كاملًا، وقرأ عليه تدريب الراوي كاملًا، وتفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي السايس، وأخبرني فضيلة الشيخ صبحي أن ذلك كان على مدى أربع سنوات كاملة، في منزل الشيخ البحيري في الأعظمية، وقد أجازه الشيخ البحيري إجازةً عامة، وكان هذا سنة ١٩٦١م، قال الشيخ السيد صبحي السامرائي: (كان عالمًا زاهدًا، منقطعًا عن الدنيا، وكنت شابًّا مندفعًا ثائرًا، فلما درست عند الشيخ البحيري تعلمت منه الاستكانة، وحسن السمت، لأدبه وتواضعه)، وقال الشيخ صبحي: (وقد أخذ عليَّ عهدًا بأن لا أقول اسم الجلالة إلا بالتعظيم بلفظ (تبارك وتعالى).

وذات مرة قرأ أحد تلامذة الشيخ صبحي عليه فقال: (أخبركم الشيخ محمد عبد الوهاب البحيري قراءة عليه لتدريب الراوي)، فبكى الشيخ صبحي لما ذُكر الشيخ البحيري رحمه الله تعالى.

وقد كان الشيخ البحيري ـ رحمه الله ـ مشرفًا على فضيلة الشيخ

القرضاوي في رسالته للدكتوراه، وقد ذكر الشيخ القرضاوي سعة علم الشيخ، وتكلم عنه في مذكراته المطبوعة، مع أنه كان يخالفه في أمور، ثم طرأ سفر الشيخ إلى بغداد، فلم يكمل متابعة رسالة الشيخ القرضاوي.

وكان العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة يجل الشيخ البحيري، ويبجله، ويجعله في طبقة شيوخه، ويذكر أنه ربما رجع إليه في بعض البحوث والمسائل الفقهية.

وسمعت شيخنا العلامة الشيخ علي جمعة يقول: (كان الغلامة الشيخ عبد الوهاب البحيري آية من الآيات، إذا تعرض لشرح فقه حديث من الأحاديث).

ومن مؤلفات الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كتاب: (الحيل الشرعية)، أو (كشف النقاب، عن موقع الحيل من السنة والكتاب).

وقد توفي العلامة الشيخ البحيري سنة ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٧م، فرحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له العطاء.

وهو يروي عن: ١ ـ العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي ت ١٣٥٥هـ، ٢ ـ العلامة الشيخ محمد حبيب الله بن مايأبى الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، ٣ ـ العلامة الشيخ محمد عابد الفاسي وترجمته في: (سل النصال) لابن سودة، ٤ ـ العلامة الشيخ محمد الجريسي.

نروي مروياته وأسانيده من طريق العلامة المحدث السيد صبحي البدري السامرائي الحسيني، عنه.

* * *

❁ **شيخ الإسلام، الإمام الأكبر، العلامة الأصولي الفقيه: محمد أبو الفضل ابن علي الجيزاوي الوراقي المالكي.**

شيخ الجامع الأزهر الشريف، ولد سنة ١٢٦٣هـ أو قبلها، ثم رأيتُ أنه وُلِدَ سنة ١٢٦٤هـ، وأنها السنة التي جرى فيها تعداد القطر المصري، ولعل هذا التاريخ أدق، لارتباطه بذلك الحدث المشهور، وقد درس أصول الفقه والحديث على العلامة الشيخ محمد عليش، والشيخ علي مرزوق العدوي، وتلقى علوم البلاغة والمنطق والحديث على يد العلامة البرهان السقا، والشمس الأنبابي، وشرف الدين المرصفي، ومحمد العشماوي، ومحمد الفضالي الجرواني، ودرس على شيخ الشيوخ العلامة الشيخ أحمد محجوب الرفاعي الفيومي، وعلى الإمام الشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر الشريف، وغيرهم.

وربما ذكر في بعض الكتب فيوصف بالصغير، فيقال: (محمد أبو الفضل الجيزاوي الصغير)، تمييزًا له عن العلامة الشيخ أحمد الجيزاوي الكبير، رحم الله الجميع.

تخرج بالأزهر، وتنقل في مناصبه، حتى صار وكيلًا للأزهر، ثم شيخًا لعلماء الإسكندرية، ولما أن توفي شيخ الأزهر العلامة الشيخ سليم البشري اختير شيخًا للأزهر الشريف، وشيخًا للمالكية، وكان زكيَّ السيرة، محققًا بارعًا، صاحب حمية ونصرة لصحيح العقيدة، وقد كانت أيامه رحمه الله تعالى تموج بالأحداث، ففي أيام مشيخته للأزهر الشريف اندلعت ثورة ١٩١٩م، ولما أن انعقد مؤتمر الخلافة في القاهرة تولى المترجم له رياسته، وفي مرحلة من مراحل مجمع اللغة العربية انعقد ما يسمى بـ(مجمع دار الكتب)،

وقد تأسس سنة ١٩١٦م، وبقي إلى سنة ١٩١٩م، ودعا إليه مدير الدار أحمد لطفي السيد وصار كاتب سره، وكان رئيسه الإمام الأكبر الشيخ سليم البشري، وتلاه على رئاسته الإمام الأكبر الشيخ أبو الفضل الجيزاوي، وكان من أعضائه السادة العلماء: أحمد الإسكندري، وحفني ناصف، وحمزة فتح الله، وعاطف بركات، وكان يتألف من ثمانية وعشرين عضوًا.

وكان رحمه الله تعالى قد كتب لنفسه ترجمة، ضمنها شيئًا من أخباره في تلقي العلم، وتصدره للتدريس أيام الشمس الأنبابي، وما أقرأه من الكتب في الفنون العلمية المختلفة.

من مؤلفاته: (الطراز الحديث، في مصطلح الحديث)، و(إجازة للشيخ محمد بن محمد المراغي المالكي الجرجاوي)، و(تعليق على أوائل تفسير البيضاوي)، و(تقريرات على مختصر ابن الحاجب)، وهو الذي أفنى فيه عمره؛ فإنه أقرأ علم الأصول لستِّ طبقات من كبار طلاب الأزهر الشريف، فقرأ جمع الجوامع بالأزهر المعمور ثلاث مرات، ومختصر ابن الحاجب ثلاثًا أخرى، منها مرتان بالأزهر، والثالثة بجوار ضريح ابن الحاجب بالإسكندرية؛ لما عُين شيخًا لمعهدها.

قال تلميذه العلامة الأصولي الكبير الشيخ عبد الله دراز: (وكان في كل مرة من هذه الأدوار الست، يتخرج من درسه الجم الغفير من العلماء، حتى زاد عدد الرسميين منهم على ثلاثمائة، من بينهم أكثر الجالسين على منصات التدريس في العلوم العالية، والقابضين على زمام المحاكم الشرعية، والمديرين لدفة المعاهد الدينية).

قال العلامة الغماري في: (البحر العميق): (ولما حضرت إلى القاهرة

وجدته قطع التدريس، وأقبل على رياسة المشيخة، وكان قد شاخ وكبر، ولحقه الضعف والهرم، فزرته في بيته بدرب الجماميز، يوم الخميس، سابع عشر ذي القعدة، سنة أربع وأربعين، فأجاز لي إجازة عامة، بكل ما يجوز له روايته، كما أجاز له الشيخ إبراهيم السقا، والشيخ محمد الأنبابي)(١).

وقد توفي العلامة الجيزاوي سنة ١٣٤٦هـ، وقول العلامة ابن الصديق هنا: (إنه أدركه وقد شاخ وكبر.. الخ)، يؤيد ما نقله العلامة الزركلي في: (الأعلام) عن بعض معاصري العلامة الشيخ الجيزاوي أنه كان يؤكد أن مولده قبل سنة المولد المذكور، وأنه عاش نحو مائة عام(٢).

فصل

وكم وددت لو تيسرت لي المعلومات التفصيلية عنه، إذًا لأسهبت في ترجمته، لما في ذلك من التعريف بأعلام من الأزهريين، لا يكاد أهل العلم فضلا عن غيرهم يسمعون بهم، ولما في حياتهم من بيان لجانب من الحياة العلمية والبيئة الدرسية بالأزهر، أيام أن كان تقرير العلم في المساجد، التي تضفي على الدرس مزيدًا من الجلالة والمهابة، وتغرس في النفوس قدرًا من التأدب للعلم والتجمل له، وأيام أن كانت المتون المعتبرة هي مادة التقرير والشرح، على أيدي الأكابر، الذين يحولون مادتها إلى علمٍ حيٍّ، ينفع العباد والبلاد، فرحمة الله على تلك الأيام.

(١) البحر العميق /١/٢٤٥/.
(٢) ترجم له الزركلي في الأعلام /٦/٣٣٠/، وكحالة في معجم المؤلفين /٩/١٦٧/، وشيخنا محمد عبد المنعم خفاجي في الأزهر في ألف عام /٢/٣٧٢/، وزكي مجاهد في الأعلام الشرقية /٢/١٤٤/، وله ترجمة أيضًا في صفوة العصر /ص٥٠٠/.

ولمزيد من الاستطراد أقول: إن مختصر ابن الحاجب له قصة وتاريخ فقد وضع العلامة السيف الآمدي رحمه الله المتوفى سنة٦٣١هـ كتابًا متقنًا في الأصول سماه: (إحكام الأحكام، في أصول الأحكام)، فاختصره الإمام الجمال ابن الحاجب المذكور في كتابه: (منتهى الوصول والأمل، من علمي الأصول والجدل) ثم اختصر المنتهى حاذقًا نحو ربعه في كتاب اشتهر بـ«مختصر ابن الحاجب»، شرحه جماعات منهم: القطب الشيرازي، والعضد الإيجي، والتاج ابن السبكي، في آخرين لا يحصون، حتى غدت شروحه ومختصراته ونظومه كثرة كاثرة، وجملة وافرة.

ومن أشهر شراحه العلامة السيد الشريف الجرجاني والعلامة السعد التفتازاني، وعلى شرحيهما وضع العلامة الجيزاوي تقريراته التي طبعت في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣هـ، وقدم لها تلميذه العلامة عبد الله دراز، ومن تقدمته نقلت كلمته السابقة.

ولقد أذكرني إحكام الآمدي وشجرة شروحه ومختصراته ونظومه وتقريراته في علم الأصول، بشجرة مقدمه ابن الصلاح، وما انبنى عليها من مختصرات وشروح ونكات ونظوم وشروح للنظوم في علوم الحديث، وراجع في تتبع شروح مختصر ابن الحاجب وكتاب الآمدي قبله كتاب: (كشف الظنون)[1].

يروي عن: ١ ـ العلامة البرهان السقا ت ١٢٩٨هـ، وأسانيده في ترجمته من هذا الكتاب، ٢ ـ وشيخ الإسلام العلامة الشمس محمد بن حسين الأنبابي ت ١٣١٤هـ وأسانيده في ترجمته من هذا الكتاب، وغيرهما.

(١) كشف الظنون ١٨٥٣/٢.

نروي مروياته من طريق العلامة السيد عبد الله بن عبد القادر التليدي، والعلامة السيد محمد إبراهيم عبد الباعث السكندري، كلاهما عن الحافظ السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، عنه.

(ح) ومن طريق شيخنا المسند الكبير السيد عبد الرحمن بن السيد محمد عبد الحي الكتاني، عنه مباشرة.

(ح) وبأسانيدنا إلى العلامة المؤرخ الحجة محمد حامد المراغي الجرجاوي، عنه.

* * *

❁ شيخ الإسلام، العلامة الإمام الفقيه، الشيخ: محمد بن علي بن منصور الشنواني الشافعي.

حضر في الفقه والنحو والأصول والبيان على العلامة عيسى البراوي، ولازمه ملازمة تامة وانتفع به، وحضر في فقه السادة الشافعية وأصولهم على العلامة محمد الفارسي، وحضر في الحديث على العلامة محمد بن سالم الحفني، وحضر في الحديث والتفسير على العلامة عطية الأجهوري، وحضر على العلامة عبد الرحمن الشنواني، والعلامة أحمد الدردير، والعلامة محمد الدمياطي، وحسن الكفراوي، وأحمد العروسي، ومحمد العقاد الفيومي وغيرهم كثير.

وقد تولى مشيخة الأزهر الشريف بعد شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي، ومن مؤلفاته: شرح على مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري، وحاشية على شرح جوهرة التوحيد، وثبت مروياته.

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء ١٤ من شهر المحرم سنة ١٢٣٣هـ، وصلي عليه بالجامع الأزهر الشريف، ودفن بالمجاورين.

يروي عن: ١ ـ العلامة أبي العزائم عيسى بن أحمد البراوي، ٢ ـ والعلامة محمد الفارسي الشافعي، ٣ ـ والعلامة محمد السمانودي الشهير بالمنير، ٤ ـ والعلامة محمد أحمد الراشدي، ٥ ـ وشيخ الإسلام العلامة أحمد الدمنهوري، ٦ ـ والحافظ محمد مرتضى الزبيدي، وغيرهم كثير، وقد جمع لنفسه ثبتًا سماه: (الدرر السنية، فيما علا من الأسانيد الشنوانية)، وقفت على مخطوطه ولخصت منه ما سبق.

ونحن نروي مروياته من طريق سماحة شيخنا العلامة الإمام الشيخ علي جمعة، عن العلامة السيد عبد الله الصديق، عن السيد أحمد رافع الطهطاوي، عن شيخ الإسلام محمد بن حسين الأنبابي، عن العلامة مصطفى المبلط، عنه.

* * *

❁ العلامة الكبير، المحدث المفسر، الشيخ أبو السادات محمد بن محمد أبو شهبة الدسوقي الأزهري.

ولد يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٤م، بقرية منية جناح، مركز دسوق، وأتم حفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره، وتعلم في معهد دسوق الأزهري، وحصل على العالمية (الدكتوراه) في التفسير والحديث، من كلية أصول الدين، وهو أول عميد لكلية أصول الدين في أسيوط، ثم استقر في مكة المكرمة حتى توفي يوم الجمعة، خامس شوال، سنة ١٤٠٣هـ، الموافق ١٩٨٣/٧/١٥م، وصلت

عليه جماعات المسلمين، يؤمهم الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق، وشيعت جنازته من الجامع الأزهر الشريف.

وكان رحمه الله تعالى مكبا على علوم الحديث وغيرها من العلوم، حتى قال في أوائل كتاب: (الوسيط في علوم ومصطلح الحديث): (أضف إلى كون هذا الكتاب زبدة أو خلاصة كتب الفن ما من الله به علي، حصيلة دراساتي واشتغالي بالحديث وعلومه ما يقرب من نصف قرن، فقد عنيت به من عهد الطلب، حتى استأهلت ـ ولله الحمد والمنة ـ أن أناقش الأقوال، وأنقد الآراء، وأرجح قولا على قول، ورأيا على رأي، وأن يكون لي اجتهاد في كثير من مسائل هذا الفن).

وأما مؤلفاته فمنها: (تفسير سورة الواقعة)، و(إعجاز القرآن الكريم)، و(الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)، و(المدخل إلى علوم القرآن)، (توفيق الباري، بشرح صحيح البخاري) قال عنه: (وهو شرح جمع بين أصالة القديم، وجدة الحديث)، وهو في خمسة عشر مجلدا، و(شرح المختار من صحيح مسلم بن الحجاج) ثلاثة أجزاء صغار، و(في أصول الحديث)، و(علوم الحديث)، و(الوسيط في علوم ومصطلح الحديث)، و(دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين)، و(أعلام المحدثين)، و(الوضع في الحديث: تاريخه، أسبابه، أماراته، آثاره السيئة في كتب العلوم، جهاد العلماء في إبطاله)، و(السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة)، وغير ذلك من البحوث والمقالات، حتى قال رحمه الله: (وهي تقرب من ألف بحث ومقال).

وقد ترجم له الدكتور محمود رحمة في رسالة جامعية عنوانها: (الدكتور محمد أبو شهبة وجهوده في السنة النبوية)، ولفضيلة الشيخ أحمد فضيلة

كتاب عنوانه: (الدكتور محمد أبو شهبة، حياته وآثاره)، وللعلامة الدكتور البشير علي حمد الترابي ـ رئيس قسم الحديث في جامعة أم درمان سابقا ـ مقال عنه عنوانه: (جهود الدكتور محمد أبو شهبة في خدمة السنة وعلومها).

يروي الشيخ أبو شهبة عن: العلامة الشيخ محمد حبيب الله بن ما يأبى الشنقيطي ت١٣٦٣هـبأسانيده وبعامة ما في أثباته المتعددة.

نروي مروياته من طريق: العلامة الشيخ البشير علي حمد الترابي، عنه.

وقد أخبرني العلامة الشيخ البشير أن المترجم كان قد كتب له الإجازة على كتابه: (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة)، فأجاز له أن يروي عنه كتبه وعامة مروياته، ولا أعلم أنه أجاز لأحد سوى الشيخ البشير الترابي، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، أن وصلنا بسند الشيخ أبي شهبة، وحفظ علينا الاتصال بهذا العالم الأزهري.

* * *

❁ العلامة، المؤرخ الكبير، النسابة الأديب، الشيخ: محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن أحمد بن حجازي بن أحمد المراغيُّ الجرجاويُّ الحسنيُّ المالكيُّ.

العلامة المؤرخ، الفقيه المصنف، الواعظ الأديب، جبرتيُّ الصعيد، ولد في جرجا، سحر ليلة السبت، السادس عشر من شوال، سنة ١٢٨٢هـ ـ الثالث من مارس سنة ١٨٦٦م، ونشأ في أسرة علمية عريقة، فقد كان جده لأمه عالمًا، وجده لأبيه هو العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن حجازي المالكي المراغي الجرجاوي، فحفظ القرآن على يد الشيخ أحمد المشهور بالعجماوي، ثم أتم حفظه على يد عم والده الشيخ أحمد بن حامد المراغي.

ثم تلقى العلم على يد جماعة منهم: الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن علي المالكي السيوطي، والشيخ عبد المتعال بن عمر الشهير بالبسطاوي، والشيخ حجازي بن محمد بن عبد الله عناني.

ومن مشايخه العلامة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الخالق الأنصاري المالكي المتوفي بمصر سنة ١٣٣٦هـ، وهو تلميذ العلامة الشيخ محمد المهدي العباسي مفتي الديار المصرية ت١٣١٥هـ، وقد حضر العلامة المراغي على شيخه المذكور في زاوية الكردي بعضًا من شرح الزرقاني، وبعضًا من شرح الكفراوي على الآجرومية.

ثم نزل الأزهر الشريف، فتلقى العلم على يد جماعة من العلماء منهم: الشيخ يوسف بن علي الحواتكي الصعيدي، والشيخ مصطفى بن حبيب المالكي إمام المعية الخديوية، والشيخ أحمد المنصوري، والشيخ محمد البسيوني، والإمام الأكبر الشيخ سليم البشري، والإمام الأكبر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، والإمام الأكبر الشيخ الشمس الأنبابي، والعلامة عبد الهادي نجا الأبياري وغيرهم كثير.

ثم رجع إلى الصعيد فتعرف إلى العلامة الإمام أحمد بن شرقاوي، ولازمه، وتأدب به، وترجم له، وساح في أنحاء الصعيد، يجمع الوثائق والتراجم، ونصوص الوقفيات، والحجج الشرعية المستخرجة من المحاكم، وخطوط العلماء، مع الحشمة والجاه العلمي، إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى بعد أداء الفريضة صباح الثلاثاء في عاشر شوال ١٣٦١هـ ـ ٢٠ أكتوبر ١٩٤٢م، ودفن بعد صلاة العصر من ذلك اليوم[1].

---

(١) وقد ترجم العلامة الزركلي في الأعلام /٨١/٧/ للعلامة الشيخ محمد حامد المراغي=

وقد عاش المترجم في جرجا في وقت كان فيه للبيئة العلمية في جرجا من الخصب والثراء ما يستحق العناية، لا سيما وأن الدولة العثمانية وجهت عنايتها إلى جرجا في فترة معينة، فصارت جرجا قاعدة الصعيد، ونشأ بها المعهد العلميُّ المبجل، الذي عرف بـ(الأزهر الثاني)، وكان له دور لا يقل خطورةً ولا إجلالًا عن دور الأزهر الشريف بالقاهرة، وبه صارت جرجا كعبةَ العلماء، وبه تخرج الشيخ محمد المراغي الجرجاوي صاحب الترجمة.

وقد عُنِي الدكتور أحمد حسين النمكي بالأزهر الثاني، حتى أفرد له تصنيفًا مستقلًا اسمه: (الأزهر الثاني، تاريخه وحضارته) لا يزال مخطوطًا، وقد كثر علماء جرجا، حتى صارت غاصة بالعلماء الفحول، وهم يتوارثون العلم والمشيخة جيلًا من وراءجيل، قال العلامة المراغي الجرجاوي صاحب الترجمة في: (تعطير الأرجا): (نرى أن ما بها من العلماء لا يفترقون عن علماء الأزهر، علمًا، وهيبة، وشهرة، وكمالًا، وجمالًا، واعتبارًا)[1]، قلت: وهم ما بين مؤلف، ومدرس، وقاض، ومفت.

ومن المعلوم أن مدينة قوص ظلت قاعدةَ الصعيد من عصر الدولة الفاطمية حتى أواخر حكم المماليك، ثم انتقلت قاعدة الصعيد إلى مدينة جرجا مع مطلع العصر العثماني، وقد ضمَّ العثمانيون مدينة قوص بكل أعمالها إلى ولاية جرجا، فصارت بذلك تمتد على جانبي النيل من أسيوط شمالًا حتى وادي حلفا جنوبًا، وظل ذلك إلى أوائل النصف الأول من القرن

= الجرجاوي، وذكر عنه نبذة يسيرة لا بأس بها، إلا أنه لم يهتد إلى تاريخ وفاته، فذكر سنة مولده، ثم قال في تاريخ وفاته: بعد سنة ١٣٥٥هـ، فالتاريخ الذي ذكرته هنا مما يُسْتَدْرَكُ على الزركلي رحمه الله تعالى.

(١) تعطير النواحي والأرجا /١/١٥٧.

الرابع عشر الهجري، حيث انتقل ذلك إلى مدينة أسيوط، التي صارت قاعدة الصعيد من بعد ذلك وإلى أيامنا.

قال العلامة المؤرخ الدكتور أحمد حسين النمكي: (وفيما أزعم أنه لا يستطيع مؤرخ أن يكتب في تاريخ الصعيد، أو تاريخ الحركة العلمية في صعيد مصر، أو تاريخ الأعيان في مصر، دون الرجوع إلى ثلاثة مؤلفات هامة، وهي: «الطالع السعيد، الجامع لأسماء نجباء الصعيد» للأدفوي، و«عجائب الآثار» للجبرتي، ومؤلفات الشيخ محمد بن حامد المراغي الجرجاوي)[1].

قلت: ويضاف إليها ـ فيما أرى وأقدر ـ كتاب: (قلائد الجيد، في التذييل على كتاب الطالع السعيد)، لفضيلة العلامة الشيخ عبد العزيز بن الدردير بن موسى الأزهري رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

فصل

وأما مؤلفاته فمنها: (الأجوبة السديدة، في الأسئلة العديدة)، (أحسن النكات، في نظم أسئلة تتعلق بسورة العاديات)، (البدر السافر، في أن الوداع يكون من المقيم كما يكون من المسافر)، (قطع الوهم الخبيث، بحسن الرد الحثيث)، (الدرر الذهبية، في شرح القصيدة الدالية، في مدح خير البرية)، وهو شرح على قصيدة للعلامة عبد الرحيم السيوطي، (موارد

(١) من مقدمة تحقيق الدكتور أحمد حسين النمكي لكتاب: (سلافة الشراب الصافي البكري، في ترجمة علامة جرجا بل علامة الصعيد الشيخ عبد المنعم أبي بكري) للعلامة المراغي الجرجاوي /ص١٥.

الصفا، على مولد المصطفى ﷺ)، (رفع الجهالة والالتباس، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس)، (رفع الأعلام على الأيادي، في جمع اليد على الأيادي)، وكتاب: (نور إنسان المقلتين، بشرح ما نقله التتائي عن ابن عمر، ونظمه من قوله: «لا تأكل الأرض جسمًا» البيتين)، وهو شرح البيتين المشهورين الذين أولهما:

لا تأكل الأرض جسـمًا للنـبيِّ ولا لعـالمٍ، وشـهيدٍ، قتـل معـترك

وأما مؤلفاته التاريخية خصوصًا فمنها مجموعة أعماله العلمية الجليلة في دراسة قضية التجديد وتراجم المجددين، فمنها: (بغية المقتدين، ومنحة المجدين، على تحفة المهتدين، في بيان أسماء المجددين)، وهو شرح على منظومة: (تحفة المهتدين، في أسماء المجددين) للسيوطي، ثم كتب أيضًا: (وسيلة المجدين)، وكتب أيضًا: (خلاصة وسيلة المجدين)، وكتب أيضًا: (عقد الدرر في الجيد، في نظم أسماء ذوي التجديد)، وهو منظومة.

وأما مؤلفاته في التاريخ والتراجم فمنها: (تعطير النواحي والأرجا، في تراجم علماء جرجا) وهو في ثلاثة مجلدات بخطه، في دار الكتب المصرية، ثم اختصره في كتاب اسمه: (خلاصة تعطير النواحي والأرجا)، وكتاب: (نور العيون، في ذكر جرجا من عهد ثلاثة قرون)، وكتاب: (كشف الستارة، عن نسب هوارة)، وكتاب: (مدارج الإشراف، في ذكر نسب وفضل من حل سمهود من السادة الأشراف)، وكتاب: (فتح الوصيد، في تراجم علماء مراغة الصعيد)، وكتاب: (شذى العرف الندي، في تاريخ علماء بني عدي)، وقد اقترحه عليه، وأعانه فيه، وشاركه في جمعه، وذيل عليه العلامةُ: الشيخُ حسنين محمد حسنين مخلوف رحم الله الجميع، رأيت

ذلك في مجموع أوراق بخط العلامة الشيخ حسنين مخلوف مؤرخة بسنة ١٣٥٤هـ، قصَّ فيها كيفية تعرفه على الشيخ المراغي الجرجاوي، وأنه اقترح عليه تأليف الكتاب، فراقته الفكرة وشرع فيه.

وكتاب: (مختصر الخطط التوفيقية)، لم يكمل، وكتاب: (الذيل على الخطط التوفيقية)، وكتاب: (شرح ما قاله صاحب الخطط التوفيقية على مدينة جرجا)، (شرح ما قال المؤرخ الشهير: ديمتري نقولا على مقاطعة جرجا، وأن أولها من الجهة البحرية سواقي موسى، وآخرها من الجهة القبلية بلاد النوبة).

ومن مؤلفاته الفقهية كتابه: (فتح الإله، في شرح سفينة النجاة)، وكتاب: (حجة القادة الأنجاب، في بيان حكم لبس الطويل من الثياب)، (نظم مسائل أحكام الخنثى).

وترجم لشيخه الإمام الكبير أحمد بن شرقاوي ترجمة ضخمة حافلة، سماها: (كنز المعارف والمطالب، فيما لأحمد بن شرقاوي من المناقب)، وترجم للعلامة عبد المنعم أبي بكري في كتاب اسمه: (سلافة الشراب الصافي البكري، في ترجمة عالم جرجا بل عالم الصعيد الشيخ عبد المنعم أبو بكري).

فصل

كان رحمه الله تعالى مسندًا معتنيًا، بل هو مسند الصعيد في زمانه، وقد جره اشتغاله بالتاريخ والتراجم إلى العناية الفائقة بوثائق العلماء وإجازاتهم، فاستكثر من طلب الإجازة ممن لقي من العلماء، ونقل نصوص

إجازاتهم، ودوَّن لنفسه اتصالاته بالأثبات المختلفة.

يروي عن جماعة من العلماء، منهم: ١ ـ الإمام الشيخ أحمد بن شرقاوي، وهو عن جماعة منهم: علامة الصعيد الشيخ محمد بن حسن المصري الجرجاوي قاضي أسيوط ت١٢٩٤هـ، بما في ثبته الذي ألفه خصيصًا ليجيز به الإمام أحمد بن شرقاوي، قلت: وتحت يدي نصه كاملًا، ومن مشايخه: شيخ الإسلام محمد بن أحمد المصري، وهو عن العلامة الشيخ عبد لمنعم الخياط المكنى بأبي بكري، عن والده العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد المنعم الخياط، بسنده إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني، وقد ذكرتُ أسانيد الإمام أحمد بن شرقاوي في ترجمته.

٢ ـ الإمام الأكبر، شيخ الإسلام، الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي الوراقي، وهو عن البرهان إبراهيم السقا، والشمس محمد بن حسين الأنبابي.

٣ ـ العلامة الفقيه الشيخ عبد البر بن أحمد منة الله المالكي، المولود سنة ١٢٥٣هـ، والمتوفى يوم الثلاثاء، لأربع عشرة ليلة مضت من شهر جمادى الأولى، سنة ١٣٣٣هـ، الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩١٥م، وهو عن أبيه، عن الأمير الكبير بما في ثبته: (سد الأرب)، وعن العلامة محمد عليش، وعن العلامة البرهان السقا، وتدبج مع أحمد أبي الخير بن عثمان بن علي العطار، وقد أجاز الشيخ عبد البر لصاحب الترجمة بتاريخ ١٥ صفر، سنة ١٣٠٧هـ.

٤ ـ العلامة أحمد بن نوير بن جاد المالكي الأخميمي، وهو عن جماعة منهم: الشمس الأنبابي، ومحمد عليش، وحسن العدوي الحمزاوي، وإسماعيل الحامدي، وسليم البشري، وأحمد الرفاعي الفيومي، والبرهان السقا.

٥ ـ العلامة محمد ابن العلامة محمد ابن العلامة إسماعيل بن الحاج عبد العاطي، القوصي سكنًا، الخزامي أصلًا ونسبًا، الأزهري.

٦ ـ العلامة الشيخ عبد الله بن العلامة محمد بن علي السيوطي المالكي الجرجاوي، وهو يروي ثبت الأمير عن البرهان الباجوري، والبرهان السقا، وحسن العدوي الحمزاوي، وأحمد منة الله المالكي، وإمام المشهد الحسيني العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم الإبراشي المالكي، والإبراشي يروي عن جماعة منهم: أحمد كبوة العدوي، ومحمد بن محمد السبكي الشافعي، والعلامة عبد الغني بن محمد العناني المالكي الأحمدي الأزهري المنشاوي، والمذكورون جميعًا قد أجازوا العلامة عبد الله بن محمد بن علي السيوطي بثبت الأمير، وكذلك الشيخ عبد الغني المنشاوي، فقد أجازه به وبكل ما تجوز له روايته.

٧ ـ أخوه العلامة عبد المنعم بن محمد بن علي السيوطي، وهو يروي عن: شيخ الإسلام البرهان الباجوري، والعلامة المحقق أحمد بن أحمد الأجهوري الشافعي، ومحمد بن محمد السبكي الشافعي، والشيخ إبراهيم الإبراشي، والعلامة أحمد منة الله، والسيد محمد الشريف الصاوي، والعلامة محمد خير الله الخلوتي الدرديري المالكي، والعلامة حسن العدوي، والشيخ أحمد بن حمد كبوة العدوي.

٨ ـ علامة جرجا بل علامة الصعيد الشيخ: عبد المتعال بن عمر بن علي البسطاوي المالكي الجرجاوي، عن البرهان الباجوري، عن العلامة الفضالي، عن العلامة الأمير بما في ثبته (سد الأرب).

٩ ـ العلامة الإمام محمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس بن محمد

العلمي الإدريسي الحسني الفاسي المالكي، نزل جرجا سنة ١٣٢٠هـ، ونزل في بيت عميد الأنصار السيد عبد المجيد بك بن محمود بن إسماعيل الأنصاري، ثم نزل بلدة بلصفورة عند همام باشا أبي حمادي، ثم توجه منها إلى مصر (القاهرة)، وكان صاحب الترجمة قد لقيه في تلك الزيارة، وكان اجتماعه به يوم ١٥ ربيع الآخر، سنة ١٣٢٠هـ، فسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وطلب منه الإجازة بثبت الأمير، فأجازه به، وذكر له أنه يرويه عن شيخه محمد المهدي بن سودة المري الفاسي، وهو عن الشيخ عليش، عن الأمير الصغير، عن الأمير الكبير صاحب الثبت، ويروي محمد بن عبد الله العلمي أيضًا عن علي بن سليمان الدمنتي ت١٣٠٦هـ بما في ثبته: (أجلى مسانيد علي الرحمن، في أعلى أسانيد علي بن سليمان).

هذا وقد روى السيد عبد الحي الكتاني في موضع من (فهرس الفهارس) عن: أبي عبد الله محمد بن أحمد البلبيسي المصري، ومحمد بن علي العلمي، وأبي عبد الله محمد بن علي الدمنتي، ثلاثتهم عن والد الأخير أبي الحسن علي بن سليمان الدمنتي، قلت: فلا أدري هل العلمي المذكور عنده السيد الكتاني هوبعينه المذكور هنا في شيوخ العلامة المراغي أو أنه غيره؟

١٠ ـ شيخ الإسلام، وشيخ الأزهر الشريف، العلامة الإمام الشيخ علي بن محمد بن أحمد بن معوض الببلاوي المالكي الحسني الإدريسي، المتوفى في ٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٣هـ، أجاز لصاحب الترجمة بثبت الأمير، كما يرويه عن مشايخه إلى الأمير.

والإمام الببلاوي يروي عن محمد عليش، والشمس الأنبابي، وحسونة بن عبد الله النواوي، وحسن العدوي الحمزاوي.

١١ ـ العلامة الشيخ أحمد المنصوري المالكي الأزهري.

١٢ ـ العلامة المحقق، سعد زمانه، الشيخ يوسف بن علي الحواتكي المالكي الأزهري، المتوفى بمصر سنة ١٣١٦هـ.

١٣ ـ العلامة عبد الوهاب الخضري بن الشيخ محمد الخضري الشافعي، المتوفى يوم الثلاثاء، لثلاث من شهر صفر الخير، سنة ١٢٩٨هـ، أجازه بثبت الأمير، وهو يرويه عن شيخه العلامة محمد الخضري، عن البرهان الباجوري، عن الأمير الكبير، وكانت إجازته لصاحب الترجمة بتاريخ ١٧ صفر، سنة ١٣٠٧هـ.

١٤ ـ العلامة المتكلم الشيخ: إسماعيل بن موسى الحامدي المالكي، شيخ رواق الصعايدة بالأزهر الشريف، وكانت إجازته لصاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ بتاريخ غرة رجب، سنة ١٣٠٧هـ، وقد تولى بعده مشيخة رواق الصعايدة بالأزهر الشريف العلامة الشيخ حسن بن محمد بن داود العدوي، توفي في جمادى الأولى سنة ١٣٢٠هـ، رحم الله الجميع.

١٥ ـ العلامة عبد العزيز بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد الجواد بن محمد بن محمد بن عبد الجواد الكبير شارح مختصر خليل، الأنصاري المالكي المتوفى يوم الثلاثاء، لليلتين مضتا من شهر ربيع الثاني، سنة ١٣٣٦هـ، وهو عن العلامة محمد عليش، والعلامة البرهان السقا.

١٦ ـ العلامة إسماعيل بن نقيب أشراف جرجا السيد عثمان بن نقيب أشراف جرجا السيد عبد المنعم بن أحمد بن عبد الجواد الصغير الأنصاري الحنفي الجرجاوي، أجازه العلامة أحمد أبو العزة الدمشقي، والعلامة نصر بن

مبارك العمراني المالكي، والعلامة إسماعيل بن موسى الحامدي، والبرهان السقا، والشيخ يحيى بن الإمام الشيخ مصطفى البولاقي.

١٧ ـ العلامة محمد بن حمد القطري الفرشوطي المالكي، المتوفى بفرشوط، بعد عصر الأحد، لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الثاني، سنة ١٣٣٣هـ، الموافق ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٥م، وهو عن العلامة محمد عليش، والعلامة يحيى بن العلامة مصطفى البولاقي، والعلامة عبد الهادي نجا الأبياري.

١٨ ـ العلامة الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن خليل المالكي العسيري الطوخي، عن العلامة الشيخ محمد البسيوني، عن أحمد منة الله الشباسي، عن محمد البهي، عن يوسف الشباسي، وهو عن جماعة منهم: أحمد الصباغ السكندري، وأحمد الملوي، وعمر الطحلاوي.

١٩ ـ العلامة محمود بن إبراهيم بن محمد الشهير بنوفل المنفي الشافعي، الجرجاوي ثم السيوطي، وهو عن العلامة الشيخ حسن إبراهيم بشنك ـ بفتح الموحدة، والشين المعجمة، وسكون النون ـ الشافعي السيوطي ت١٩٠٠م، وهو عن البرهان الباجوري، عن الأمير الكبير بما في ثبته، وقد سمع الشيخ حسن بشنك الحديث المسلسل بالأولية الحقيقية من العلامة الشيخ شرف الدين بن علي بن عبد الرؤوف بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن محمد الحنفي الجرجاوي، مفتي سوهاج، المتوفى يوم ١٤ من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٠٦هـ.

٢٠ ـ العلامة الشيخ عبد الغني بن محمد العناني المالكي الأحمدي الأزهري المنشاوي، نسبة إلى المنشية، بلدة من أعمال إخميم بالصعيد،

المتوفى يوم السبت، ثامن شعبان، سنة ١٣١٥هـ، لقيه العلامة محمد المراغي الجرجاوي صاحب الترجمة في بلده المنشية، وروى عنه رسالة الأوائل لعبد الله بن سالم البصري، وهو سمعها مع جماعة من العلماء المالكية والشافعية على شيخ الإسلام وشيخ الأزهر الشريف العلامة مصطفى العروسي الشافعي، وكان ذلك في يوم الاثنين، الموافق لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر محرم، مفتتح عام ١٢٧١هـ، وكان مجلس السماع المذكور في مسجد الشيخ أحمد الشهير بالعريان، وهو جد الشيخ مصطفى العروسي لأمه، وكان شيخ الإسلام مصطفى العروسي قد سمع أوائل البصري هذه في جماعة يزيدون على المائتين من العلماء الحذاق على شيخ مشايخ الإسلام الشيخ حسن القويسني، وكان مجلس السماع المذكور في يوم الخميس، لإحدى عشر بقيت من شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٧هـ، وكان شيخ الإسلام حسن القويسني قد سمع الرسالة المذكورة بتمامها، وسمع متن صحيح البخاري بتمامه في سبعة وخمسين مجلسا سنة ١٢٢٠هـ مع جمع من أهل العلم بالأزهر الشريف على شيخه خاتمة المحدثين السيد داود القلعي، وهو قد أخذ ذلك عن الشيخ أحمد جمعة البجيرمي، وهو عن الشيخ مصطفى السكندري الصباغ، وهو عن عبد الله بن سالم البصري جامع رسالة الأوائل، وهو عن العلاء البابلي، عن سالم السنهوري، عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا، عن الحافظ ابن حجر، وانظر بقية أسانيد القويسني وسماعاته في ترجمته من هذا الكتاب.

٢١ ـ العلامة القاضي بكري بن عبد الجواد بن مصطفى بن بكري بن عمر بن أحمد بن محمود بن أحمد الشهير بـ(دَبَّاح) الحنفي، توفي يوم ٢٢ ذي الحجة ١٣٢٠هـ، وهو يروي عن جماعة من علماء الأزهر منهم: العلامة أحمد

منة الله، والعلامة البرهان السقا، ومصطفى المبلط، ومحمد الدمنهوري، وعبد الله النابلسي، وأحمد كبوه، وأحمد أبو العزة الحنفي، ومصطفى القرشي الحنفي، وعن جماعة من علماء الصعيد منهم: إسماعيل بن أحمد الأنصاري، ومحمد بن أحمد المصري، ومحمد بن علي السيوطي، وعبد الله بن أحمد بن علي بن مكي بن أحمد السيوطي المالكي، وعبد الغني بن أحمد بن عبد الوهاب الخياط المالكي، ويوسف بن سليمان بن حسن الناظر الحنفي.

٢٢ ـ العلامة خليل بن رضوان بن عبد المنعم بن أحمد بن عبد الجواد الصغير الأنصاري الحنفي، يروي عن العلامة السيد أحمد أبي العزة الدمشقي الحنفي، والشيخ عبد الرحمن البحراوي، والبرهان إبراهيم السقا، والشيخ إسماعيل بن موسى الحامدي، والعلامة الشيخ يحيى بن العلامة مصطفى البولاقي.

٢٣ ـ العلامة الشيخ ضمراني محمد بن إسماعيل بن محمد بن شحاته بن علي المالكي توفي ليلة الاثنين، لتسع ليال مضت من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢١هـ، أجاز للعلامة المراغي الجرجاوي صاحب الترجمة بصحيح البخاري، وهو يرويه عن العلامة الشيخ محمد الإبراشي، وهو عن العلامة الأمير الصغير ت١٢٤٦هـ، عن أبيه العلامة الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ.

٢٤ ـ العلامة عبد المنعم بن علي بن مكي بن أحمد السيوطي الأصل، الجرجاوي المولد والإقامة، المالكي، المتوفى ضحوة يوم عاشوراء سنة ١٣٢٦هـ، يروي عن العلامة أحمد منة الله، والشيخ بكري الحلبي الحنفي، والشيخ أحمد أبي السعود الإسماعيلي الصعيدي المالكي، والشيخ محمد بن محمد السبكي الشافعي، والشيخ محمد خير الله المالكي، والشيخ محمد بن إبراهيم

الإبراشي، والشيخ محمد الشريف الصاوي، والشيخ أحمد بن أحمد الأجهوري، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي، والشيخ عبد الغني المنشاوي، والكل أجازوه كتابة على ثبت الأمير الكبير، إلا أن بعضهم صرح فيه بأنه أجازه بما حواه الثبت المذكور، وبعضهم أجازه إجازة مطلقة، وبعضهم بجميع ما تجوز له روايته ودرايته، وهو قد أجاز لصاحب الترجمة إجازة عامة الساعة التاسعة، من يوم الاثنين، ٢٧ من ذي القعدة الحرام، سنة ١٣٢٣هـ، بمسجد الشيخ عبد الرحمن المشهور بمسجد السيوطي بجرجا.

٢٥ ـ العلامة الشيخ مصطفى المشهور بصبيح بن محمد بن صبيح بن علي بن محمد بن عبد الرحمن المالكي، وهو عن شيخه محمد بن حسن المصري، عن عمه الشيخ محمد بن أحمد المصري الكبير، عن الأمير الكبير بما في ثبته.

٢٦ ـ العلامة الشيخ محمد بن حسنين بن علي بن عوض البرديسي ثم الجرجاوي، الحنفي، توفي ليلة السبت، ١٢ رجب، ١٣٢٤هـ.

نروي مروياته بأسانيدنا إلى العلامة الشيخ جاد هيكل الجرجاوي، وهو عن العلامة القارئ المتقن الشيخ أحمد بن محمد شحاتة الجحاوي ـ بتقديم الجيم ـ الجرجاوي ت١٣٩٢هـ، عنه.

* * *

۞ شيخ الإسلام، العلامة المحقق، شيخ الأزهر الشريف: شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الأنبابي الشافعي.

نسبة إلى قرية أنبابة بفتح الهمز، قال الأستاذ الزياتي في: (كنز الجوهر):

(ولم يكن الشيخ منها، وإنما نسب إليها لكون والده كان منها، وكان والده من أكبر التجار بالقاهرة)[1]، ولد سنة ١٢٤٠هـ بالقاهرة، وتوفي ليلة السبت ٢١ شوال سنة ١٣١٣هـ.

قال علي مبارك باشا في: (الخطط التوفيقية): (وشغل ليله ونهاره بالمطالعة حتى فاق أقرانه، وتمكن تمكنًا زائدًا، وتصدر للتدريس في سنة سبع وستين، فابتدأ بتدريس قطر الندى في علم النحو، ثم قرأ الشيخ خالد على الآجرومية بحاشية أبي النجا وعمل عليها تقريرًا نفيسًا، ثم ترقى في كبار الكتب، فقرأ جميعها أو أكثرها، وكلما قرأ كتابًا عمل عليه تقريرًا... إلخ.

إلى أن قال: وبالجملة، فقد جمع بين العلم والعمل، والدين والدنيا، والصلاح والتقوى، ومراقبة عالم السر والنجوى، وقد تربى على يديه جم غفير متصدرون للتدريس بالأزهر)[2].

قلت: وكانت دروسه في الأزهر الشريف في شرح ابن قاسم الغزي على متن أبي شجاع في فقه الشافعية، وفي شرح الخطيب الشربيني على متن أبي شجاع، وفي حاشية الأمير على شرح الملوي على متن السمرقندية، وفي حاشية شيخه البرهان الباجوري على بردة الإمام البوصيري في المديح النبوي، وغير ذلك كثير جدًّا.

كما أنه أقرأ كتاب الشمائل المحمدية للترمذي كاملًا، وممن حضره عليه وتلقاه عنه، سماعًا لجميعه، العلامة الفقيه طه بن يوسف الشعبيني ت١٣٧٣هـ، والأنبابي يروي الشمائل عن البرهان السقا بأسانيده، وقد تقدم

(١) كنز الجوهر /ص١٥٢/.

(٢) الخطط التوفيقية /٨/٢٨٥/، وانظر أيضًا ترجمته في مرآة العصر /ص١٩٤/.

في ترجمة البرهان السقا أنه كان يقرئ شمائل الترمذي كاملة في رمضان.

بل نصَّ العلامة الجليل، فخر الصعيد في زمانه، الشيخ أحمد بن نوير بن جاد الأخميمي المالكي الأزهري أنه حضر على الشمس الأنبابي بمنزله أوائل عبد الله بن سالم البصري سماعًا وقراءة، وذكر أيضًا أنه تلقى من الشمس الأنبابي سنن النسائي جميعها، وسنن ابن ماجه جميعها، وبعض صحيح البخاري مع عموم الإجازة.

قال الأستاذ زكي مجاهد في: (الأعلام الشرقية): (وكان من أوسع العلماء اطلاعًا، وأجلهم نفعًا للعلم والتدريس والتفهيم، وأقدرهم على تفهيم الطلاب، ولذلك كانت منزلته بينهم لا ترام لغيره علوًّا وارتفاعًا.

وكان تقيًّا، نقيًّا، صالحًا، ورعًا، يحب الفقراء والمساكين، ويسدي إليهم معروفه من ماله الواسع الكثير، وقد ترك ثروة عظيمة، أوقف معظمها للتصدق والإحسان وفعل الخيرات)[1].

قلت: وقد كانت أمواله من تجارته، فقد كان يتاجر في الأقمشة ونحوها، وكانت له خبرة كبيرة بتجارته، بل كانت له وكالة كاملة تنسب إليه في الغورية.

وكان رحمه الله تعالى قد تخرج بجماعة من الأكابر، أخص منهم شيخ الإسلام البرهان الباجوري، فقد لازمه وانتفع به، وتأثر بأسلوبه في البحوث وتحرير المسائل، ومن شيوخه أيضًا: مصطفى البولاقي، والبرهان السقا، ومصطفى المبلط، وحسن البلتاني، ومحمد عليش، وشيخ الإسلام مصطفى العروسي، ومحمد عبد القدوس القليبي مقرئ العلامة القويسني، وغيرهم.

(١) الأعلام الشرقية /١/٣٦٥/.

وقد اختص به من تلامذته العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي، ولازمه، وجرى على طريقته في البحث والتدقيق، وأفرد كتابًا ترجم له فيه بعد وفاته، سماه: (القول الإيجابي، في ترجمة الشمس الأنبابي) استوعب فيه أخباره من مولده وتلقيه العلوم، وإجازات العلماء له، وابتداء تدريسه بالأزهر، ومزاياه العلمية، ومؤلفاته، وأخلاقه وصفاته، وطبقات تلامذته، ووظائفه التي انتهت بمشيخة الأزهر، إلى وفاته، ثم جمع المقالات التي نعت الشيخ بعد وفاته وما قيل فيه من مرثيات، وهو مطبوع، طالعته قديمًا.

وأنت تجد شذراتٍ لطيفةً عن العلامة الأنبابي في رحلة العلامة الإمام الفقيه الحبيب أحمد بن حسن العطاس باعلوي إلى مصر، والتي جمعها ولده الحبيب علي بن أحمد بن حسن، وهي مطبوعة.

ومن لطائف زيارة العلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس لشيخ الإسلام الأنبابي، ما حدثني به غير واحد من مشايخي الحضارمة أن الإمام الشمس الأنبابي ـ رحمه الله تعالى ـ عقد مأدبةً لضيافة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، اجتمع فيها عدد من أكابر علماء الأزهر الشريف، فكان الحبيب أحمد بن حسن يأكل بيده، فسأله أحد العلماء: لماذا لا تأكل بالملعقة؟ فأجاب ـ رحمه الله ـ على البديهة: لقول ابن مالك في الألفية:

وفي اختيـارٍ لا يـجيء المنفصـلْ إذا تـأتَّى أن يـجيءَ المتصـلْ

فكان جوابًا لطيفًا، فيه طرافة، وسرعة بديهة.

ومن مفاخر الإمام الشمس الأنبابي صاحب الترجمة أن السلطان عبد الحميد ابن عبد المجيد ـ رحمه الله تعالى ـ أعطاه رتبة تدريس بأدرنة، ولم يوجد بمصر من منح هذه المرتبة إلا شيخ الإسلام الأنبابي، وواحد آخر

فقط، هو العلامة محمد بن علي بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الجواد الأنصاري المالكي الجرجاوي، فقد ذهب إلى دار الخلافة في إسلامبول، واجتمع بالسلطان عبد الحميد، فمنحه رتبة التدريس بأدرنة، ولا ثالث لهما في القطر المصري في هذه المزية السنية، والمنحة السلطانية.

أما مؤلفاته فمنها: (حاشية على شرح سيدي أحمد الدردير على رسالته في علم البيان)، (تقريرات على شرح التفتازاني للتلخيص مع تجريد البناني)، وله أيضًا تقريرات على شرح المحلي على جمع الجوامع، رأيت مخطوطها فإذا به ضخم يزيد على الألف صفحة، (رسالة في بيان الربا وأقسامه)، (رسالة في علم الوضع)، (رسالة في مبادئ علم النحو)، (تقرير على شرح الشيخ خالد للآجرومية)، (شرح على مقدمة سلم العلوم)، (رسالة في تزويج المرأة بلا ولي)، (شرح مقدمة: «إرشاد الساري» للقسطلاني) وغير ذلك كثير.

فصل

قال شيخنا العلامة الجليل، سماحة العلامة الإمام الشيخ: علي جمعة الشافعي مفتي الديار المصرية: (وقد ترتبت على جهود الشيخ محمد عبده آثارٌ كثيرةٌ وهامةٌ، ومن آثار مدرسته: رشيد رضا، والذي كان يقوم بإصدار مجلة المنار، والتي تبنت رسالة الشيخ محمد عبده، فلما مات رشيد رضا أكملها حسن البنا والذي أنشأ حركة الإخوان المسلمين، والتي تستمد جذورها الفكرية من حركة الإمام محمد عبده.

وفي مقابل هذه الحركة نجد تيارًا آخر، وهو تيارٌ فكريٌّ أيضًا، بالرغم

من أن كثيرًا من الناس يعدونه تيارًا جامدًا، لكنه بالفعل يعتبر تيارًا فكريًّا، له فلسفته، وله فوائده، وله عيوبه، وله قصوره، كأيِّ تيارٍ آخر.

هذا التيار يمكن أن نطلق عليه تيار الشمس الأنبابي، فالشمس الأنبابي كان مخالفًا لمحمد عبده في كل صغيرةٍ وكبيرة، وكان الشيخ الشمس الأنبابي يحافظ على التراث كما هو، ويريد أن يكون في صورته التقليدية الموروثة، وأن يجب الحفاظ عليه كما هو، والغرض من هذا الحفاظ وفلسفته أنه يحفظ الدين لمن بعده، وأننا إذا لم نستطع أن نطبق الدين كله بهذا الأسلوب فلعل الذي بعدنا يستطيع، وإذا كان لا بد من الإجابة على الأسئلة الحديثة ولا أستطيع أن أجيب عنها فلعل الذي بعدي يجيب، هذه هي رؤية الشمس الأنبابي.

إذن كان الشيخ الأنبابيُّ يرى إمكان الإجابةِ على هذه التحديثات، فما وجه الخلاف مع الشيخ محمد عبده؟ وجه الخلاف أن الشيخَ الأنبابيَّ كان يرى وجوبَ الأخذ بأسلوب المحافظة، وأن الإبداعَ ليس هو الأسلوب الذي نجيب به على هذه المشكلات.

وإذا أردنا تسميةَ تيار الشيخ الأنبابي فالأقرب أن نسميه بالتيار المحافظ، ولا ينطبق عليه اسم التيار السلفي، بل التيار السلفي تيارٌ آخر، له رؤيته المختلفة.

والتيار المحافظ الموجود الآن هو نفسه تيار الأنبابي، فَلُبُّ الأزهر وجوهره هو امتداد للأنبابي، إلا أن بعض الصور تغيرت ابتداء من الأربعينيات، لكن تغيرت أيضًا طبقا لمراد الأنبابي ورؤيته، وليس حسب مراد محمد عبده.

ويمكن أن نصنف التغير الذي حدث في الأزهر إلى نوعين: تغيرٌ هو

تطور، وتغيرٌ هو تدهور، فالتغير الذي هو تطور هو مدرسة شمس الدين الأنبابي، والتغير الذي هو تدهور نشأ من طبيعة العصر، تدهور في العلم، تدهور في الترقي العلمي، تدهور في الحفظ، تدهور في الفهم، تدهور في عدم الدقة وعدم الوضوح، وذلك موجود كامتداد للأزمة العامة في التعليم، وليس خاصًا لا بالإسلام، ولا بالعلوم الشرعية، ولا بالمسلمين.

ورغم هذا فما زال إلى يومنا هذا ونحن على مشارف القرن ٢١ مدرسة أزهرية متطورة تعد امتدادًا لمدرسة شمس الدين الأنبابي، التي لا تنشئ علمًا جديدًا كما دعا محمد عبده أن ينشأ علم السنن الإلهية ودراسته.

فهذه المدرسة المحافظة لم تخرج من التفسير القرآني إلى الحياة المعاشة، وعندما جاء مفسرٌ يحاول أن يجعل هذا متصلا بالحياة وجدناه من دار العلوم، وهو سيد قطب، ولم نجده من الأزهر، ولم يعتمد كتابه الظلال على مادة التفسير الأكاديمي الأزهري، الذي ما زال يدرس كتفسير الإمام النسفي، والزمخشري، والبيضاوي ككتب أكاديمية.

ومن الممكن أن نعتبر الأزهر كله تيارًا واحدًا فقط من التيارات التي ملأت ساحة الفكر الإسلامي، فالتيار الأزهري هو التيار المحافظ والذي كان على رأسه الشمس الأنبابي، ولهذا التيار مردوده على المجتمع، وعلى مظاهره المختلفة.

أما التيار الآخر وهو التيار المتطور الذي أسسه محمد عبده، فما زال له أتباع إلى اليوم، لكن أغلبهم خارج الأزهر، والذين في داخل المنظومة الأزهرية أغلبهم ينتمي إلى تيار الشمس الأنبابي[1].

---

(١) من لقاء مع أستاذنا وشيخنا في مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩٣/٩٤)، عنوانه: حركة الفكر المعاصر خلال القرن العشرين.

فصل

أما مشايخه في الرواية فأولهم: ١ ـ شيخ الإسلام البرهان إبراهيم الباجوري، وقد كان الأنبابي ملازمًا له، مختصًّا به، وبه تفقه وتخرج، وكان إذا ذكر مشايخه وأسانيده قدمه عليهم جميعًا، وأثنى عليه ثناء فخيمًا جدًّا، لشدة محبته له، وإجلاله لعلمه، كما تراه في الإجازات التي كتبها الشمس الأنبابي، وبعضها ملحق بثبت العلامة الشبراوي.

٢ ـ ومنهم العلامة الإمام البرهان إبراهيم بن حسن السقا، وقد تقدمت أسانيده في ترجمته من هذا الكتاب.

٣ ـ ومنهم العلامة: مصطفى بن محمد المبلط الأحمدي، عن جماعة منهم محمد ابن علي الشنواني بما في ثبته: (الدرر السنية، فيما علا من الأسانيد الشنوانية)، ومنهم محمد الأمير الكبير بما في ثبته: (سد الأرب).

٤ ـ ومنهم العلامة الشيخ مصطفى بن محمد الذهبي، وأسانيده مشهورة.

٥ ـ ومنهم شيخ الإسلام مصطفى ابن شيخ الإسلام محمد ابن شيخ الإسلام أحمد بن موسى العروسي؛ إذ قد تولى مشيخة الأزهر، هو وأبوه وجده، وهذا من المفاخر، وانظر لزاما ترجمته في موضعها من هذا الكتاب.

٦/١١ ـ ومنهم الحسن المرصفي، ويوسف المرصفي، ومحمد كبوه العدوي، ومحمد الأمير الصغير، ومحمد صالح البخاري الرضوي السمرقندي ثم المدني ت١٢٦٣هـ، وأبو موسى عمران اليزليتني المالكي.

١٢ ـ وروى الأنبابي أيضًا عن عبد الفتاح بن أحمد منة الله الأزهري،

عن أبيه أحمد منة الله، عن جماعة منهم الشهاب الدمهوجي ت١٢٤٦هـ، ومحمد بن أحمد البهي، كلاهما عن السيد محمد مرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ.

١٣ ـ وروى الشمس الأنبابي أيضًا عن العلامة السيد عبد الهادي نجا الأبياري بأسانيده، وقد تقدمت في ترجمته في موضعها من هذا الكتاب.

نروي مرويات العلامة الشمس الأنبابي من طريق: المسند الكبير القارئ الشيخ حسين أحمد عسيران الصيداوي، عن العلامة محمد العربي العزوزي البيروتي، عن العلامة عبد القادر توفيق الشلبي الطرابلسي، عن العلامة الفقيه الشيخ خليل صادق، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة السيد الحسن بن الصديق الغماري، عن السيد أحمد رافع الطهطاوي، عنه، وهذا سند عال.

(ح) ومن طريق شيخنا العلامة المعمر السيد محمد نمر الخطيب الحسيني، عن العلامة الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي، عنه.

(ح) ومن طريق الشيخة المعمرة فوق المائة، السيدة: صفية بنت عمر بن صالح ابن عبد الله العطاس حفظها الله في عافية، وهي عن العلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ت١٣٣٤هـ، عنه.

* * *

❁ **العلامة الكبير الشيخ: محمد عيسى القلماوي الأزهري الشافعي.**

حفظ القرآن ببلده، وقدم إلى الأزهر وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فحضر على جماعة من مشايخه منهم: الشيخ أحمد الدمهوجي، والسيد

مصطفى الذهبي، والشيخ أحمد المرصفي، والبرهان البيجوري، واجتهد وحصل، وشهد له مشايخه، وفاق أقرانه.

وقد تخرجت به طبقةٌ من العلماء الذين تتلمذوا له وانتفعوا بعلمه، منهم: الشيخ حسين المرصفي نجل شيخه، والشيخ زين المرصفي، والشيخ إبراهيم سرور، والشيخ محمد أبو النجاء مجاهد، والشيخ عبد القادر الرافعي الحنفي رئيس المجلس الثاني من مجلسي المحكمة الشرعية بالمحروسة، والشيخ محمد الحسيني الشافعي رئيس مصححي الكتب والعلوم بدار الطباعة الكبرى ببولاق، والشيخ حسين الطرابلسي مفتي الأوقاف سابقًا، والشيخ سليم البشري مفتي السادة المالكية، والشيخ أحمد محجوب الرفاعي المالكي، وغيرهم من جهابذة العصر المتصدرين للتدريس.

وفي سنة ١٢٧٦ انقطع ببلده لرضا والده، يستفيد منه الكبير والصغير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إلى أن توفي والده، فأقام ببلده مدة بعده؛ ثم رجع إلى الجامع الأزهر، وصار يقرأ فيه الكتب الكبيرة العظيمة، مكبًّا على تعليم العلوم؛ من فقه، وتفسير، وحديث، ومعقول، وانتفع به كثير من الفضلاء، حتى مرض مرضًا شديدًا، فتوجه إلى بلده وزاد به المرض، فتوفي إلى رحمة الله تعالى ببلده في سنة.. ودفن بها، وكان ـ رحمه الله ـ شديد الصلاح، عليه من الهيبة والوقار والسكينة ما لا يقدر قدره، وكان زائد الخمول.

وخلف من بعده ابنه: الشيخ محمد القلماوي، وكلاهما منسوب إلى قرية من مديرية القليوبية بمركز قليوب على الشاطئ الغربي لترعة أبي المنجى، في شمال قليوب وفي جنوب ناحية سنديون، وبها جامع جليل تقام به

الجمعة والجماعة، وكان الابن الشيخ محمد بن محمد بن عيسى القلماوي يقرأ فيه صحيح البخاري وغيره، وأول من شيده الخربطلي، وفي سنة ١٢٩٢ اثنين وتسعين ومائتين وألف جدده الشيخ محمد بن محمد بن عيسى على وصف أحسن من حاله الأول.

يروي صاحب الترجمة عن: ١ ـ البرهان الباجوري، ٢ ـ والعلامة محمد الدمنهوري، ٣ ـ والعلامة محمد الخناني، ثلاثتهم عن العلامة السيد حسن القويسني، عن العلامة داود القلعي بأسانيده.

نروي مروياته من طريق: شيخنا القارئ المتقن عبد السلام بن محمد حبوس الشرقاوي، عن الإمام المحدث عبد الله الغماري، عن المعمر محمد دويدار الكفراوي، عنه.

* * *

۞ العلامة الإمام الشيخ: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البديري الدمياطي الحسيني الشافعي الشهير بابن الميت.

قرأ القرآن، وعلوم التجويد والقراءات على جماعة منهم: زين الدين بن مصطفى المنزلي السلسلي ثم الدمياطي الشافعي، فقرأ عليه كتبًا في علم التجويد، وجمع عليه السبعة من طريق الشاطبية، في دمياط، وأخذ عليه ذلك كله أخذ فهم وإتقان، وهو أول من قرأ عليه أنواعًا من العلوم بدمياط من قبل سن البلوغ، ثم تصدر صاحب الترجمة للتدريس في النحو والمنطق والفرايض والفقه في ذلك السن بإجازة شيخه المنزلي الدمياطي، وكان يسمع تقريره فيعجبه، ويحصل له سرور بذلك، وكان العلامة المنزلي فقيهًا، عنده استحضار للمسائل الفقهية على نحو عجيب، وقد أخذ العلامة المنزلي الدمياطي عن

العلامة سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المزاحي، شيخ الجامع الأزهر في زمانه.

ثم إن البديري جاور في الأزهر سنة ١٠٨٢هـ، فأخذ التجويد والقراءات العشرة من طريق الشاطبية والدرة على الشيخين الجليلين: علي الشبراملسي، وشيخ القراء: محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري، وجمع ذلك عليه في صحن الجامع الأزهر، بجمع من العلماء ما بين كبير وأكبر، على عادته وعادة أشياخه من قبله.

وكل منهما قد أخذ على العلامة المتقن الشيخ عبد الرحمن زين الدين اليمني، وأسانيده مشهورة.

وتلقى صاحب الترجمة أيضًا على العلامة عبد المعطي البصير المالكي، والشهاب أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي الأزهري، والعلامة محمد العناني، والعلامة عطية القهوقي المالكي، له حاشية على شرح الرحبية في علم الفرائض نحو ستين كراسًا، والعلامة محمد العناني صاحب التصانيف الكثيرة، منها حواشي على المنهج لشيخ الإسلام زكريا، والعلامة الصالح الشيخ محمد بن أحمد المكناسي الشهير بالمصطاوي.

وقد جلس للتدريس في الأزهر، ثم ارتحل إلى بلده دمياط، فعكف عليه الناس للاستفادة والاشتغال بالفنون العلمية، ومن رحلاته العلمية المهمة أنه نزل دمشق، سنة أربع ومائة وألف، فجلس للتدريس في الجامع الأموي بين العشائين، وقرئت عليه الأربعون النووية، وكان معيد درسه فيها رجلا فاضلا من تلامذته، رافقه في رحلته، اسمه الشيخ أحمد الحريثي،

ومن حضر تلك المجالس الشيخ الشمس أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن الغزي ت١١٦٧هـ، ختن الإمام الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، وقد حضر الشيخ الغزي تلك المجالس وهو صغير، وشملته إجازة الشيخ لمن حضر، ثم إنه بعد ذلك بأربع عشرة سنة أرسل استدعاء إلى العلامة البديري، فأجابه بإجازة مطولة، ذكر فيها أسماء شيوخه، وأسماء مؤلفاته، أورد الغزي قطعة منها في ثبته المسمى: (لطائف المنة، في فوائد خدمة السنة)، وهو مطبوع.

أما مؤلفاته فمنها: ثبته المسمى: (الجواهر الغوالي، في الأسانيد العوالي) اطلعت عليه مخطوطًا، وقد لخصه واختصره من الثبت الشهير بالمسمى بـ: (الأَمَم) للبرهان الكوراني، ثم إن العلامة الشيخ محمد بن سالم الحفني ت١١٨١هـ قد اعتنى بهذا الثبت: (الجواهر الغوالي) فاختصره وهذبه، ومن اختصاره هذا نسخة خطية في المكتبة التيمورية، وقد طالعته.

وللعلامة البديري ثبت آخر جعله إجازة مطولة أجاز بها العلامة عبد الرزاق السفرجلاني، وقد سماه: (فتح الخلاق، في إجازة الشيخ عبد الرزاق)، يقع في نحو ست ورقات مخطوطات.

ومن مؤلفات البديري أيضًا كتاب: (بلغة المراد، في التحذير عن الافتتان بالأموال والأولاد)، (شرح على منظومة ابن الجزري في علوم الحديث) شرع فيه ولم يتمه، (صفوة الملح، بشرح منظومة البيقوني في فن المصطلح) طبع، (إرشاد العمال، فيما يطلب في عاشوراء من الأعمال)، (إظهار السرور، بمولد النبي المسرور ﷺ)، (السلك السديد، إلى إرشاد المريد)، (المشكاة الفتحية، على الشمعة المضية، في علم العربية) شرح

فيه منظومة الشمعة المضية للحافظ السيوطي، (نحور الحور المقصورات، على عقود السمرقندي في الاستعارات)، (النصيحة الظاهرة، لمن اغتر من العلماء والمتصوفة بالدنيا ونسي الآخرة)، (القول المنيف، في بيان حلق رأسه الشريف)، وكتاب: (الوسيلة الظاهرة، في الصلاة والسلام على سيد أهل الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم)، وله تأليف اسمه: (عقد الدر، في كشف الضر)، وله شرح عليه، وقد توفي العلامة البديري سنة ١١٤٠هـ، فرحمه الله رحمة واسعة، وله سيرة نبوية اختصرها العلامة الشيخ حسن بن علي المدابغي الشافعي الأزهري ت١١٧٠هـ.

وكنت قد رأيت أثناء المطالعة في سبب تلقيبه بابن الميت خبرًا غريبًا، قرأته في نسخة خطية من ثبت الشريف أحمد رحمه الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال، ثم رفعته إلى شيخنا سماحة المفتي الإمام الشيخ علي جمعة فأفادني بوجوه يتخرج عليها الأمر، فرضي الله عن شيخنا، ما أفقهه.

قلت: ومن فوائده العزيزة، التي هي محلُّ بحثٍ عندي منذ زمنٍ، أنه رحمه الله كان يقول بوجوب قراءة الحديث الشريف بالتجويد، كقراءة القرآن الكريم، قال في كتابه: (صفوة الملح): (وأما قراءة الحديث مجودًا كتجويد القرآن، من أحكام النون الساكنة، والتنوين، والمد والقصر، وغير ذلك، فهي مندوبةٌ، كما صرح به بعضهم، لكن سألت شيخي خاتمة المحققين الشيخ علي الشبراملسي ـ تغمده الله برحمته ـ حالة قراءتي عليه صحيح الإمام البخاري فأجاب بالوجوب، وذكر لي أنه رأى ذلك منقولًا في كتاب يقال له: [الأقوال الشارحة، في تفسير الفاتحة]، وعلل الشيخ ذلك بأن التجويد من محاسن الكلام، ومن لغة العرب، ومن فصاحة المتكلم، وهذه

المعاني مجموعةٌ فيه صلى الله عليه وسلم، فعليه مراعاة ما نطق به صلى الله عليه وسلم)[1].

قلت: وكنتُ قد رفعت سؤالًا في هذه المسألة إلى شيخنا القارئ العلامة السيد جمال فاروق الدقاق الحسني ـ حفظه الله تعالى ـ، فأنشأ في إجابة سؤالي مؤلفًا لطيفًا اسمه: **(تأييد القول السديد، في عدم اختصاص التجويد، بكلام الرب المجيد)**، وأنا أورده هنا كاملًا، وهذا نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾)[2]، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ، أفصح العرب، وسيد ولد آدم، وعلى آله وصحبه الذين برعوا في الفصاحة والبيان، والتابعين لهم بإحسان، وبعد، فهذا جوابٌ عن سؤالٍ، رفعه إليّ فضيلة الشيخ أسامة السيد محمود الأزهري حفظه الله ووفقه، حول علم التجويد، هل هو خاصٌّ بالآيات القرآنية؟ أو أنه يدخل فيه الحديث النبوي الشريف أيضًا؟

ولقد تأملت سؤاله، وأمعنت النظر فيه، ورجعت إلى كلام أئمة هذا الفن، لأتأمله، فتبين لي فيه باب من النظر، في غاية الأهمية واللطف، فأقول: اعلم ـ وفقك الله ـ أنه قد وقع خلافٌ بين علماء التجويد في الحديث النبوي الشريف، هل تجري عليه أحكام التجويد، بحيث يراعي في قراءته؟ فمن العلماء من جعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلًا في موضوع علم التجويد، باعتباره نوعًا من أنواع الوحي، فقد قال العلامة البديري في آخر شرحه لمنظومة البيقونية: «أما قراءة الحديث مجودة، كتجويد القرآن فهي مندوبة، وذلك لأن التجويد من محاسن الكلام، ومن لغة العرب ومن

(١) صفوة الملح، بشرح منظومة البيقوني في فن المصطلح /ص٢٥٢/، ط: دار النوادر، ونقله الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات /١/٢١٧/.

(٢) سورة الكهف، آية ١.

فصاحة المتكلم، وهذه المعاني مجموعة فيه ﷺ، فمن تكلم بحديثه فعليه بمراعاة ما نطق به ﷺ».

وعندما قال المرعشي عن موضوع علم التجويد: «إنه الكلمات القرآنية من حيث إعطاؤها حقها ومستحقها، من غير تكلف في النطق أو تعسف، مما يخرجها عن القواعد المجمع عليها».

قال: فيه نظر، لأنه يبحث في حروف الكلمات القرآنية أي في أحوالها أينما وقعت «أي في الكلام العربي» فلعله من العلوم العربية)[1].

وأرى أن هذا النظر قوي، ولو جزم العلامة المرعشي بأن التجويد من العلوم العربية لكان أصوب.

ولو نظرنا وتأملنا كما فعل المرعشي في ما ذهب إليه الجمهور، من أن موضوع علم التجويد الكلمات القرآنية لم نجد فيه مخالفة لأن الكلمات القرآنية مكونة من الحروف العربية، والقرآن الكريم نزل بها، فيكون موضوع علم التجويد هو الكلمات العربية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3]، فربط سبحانه نفي العوج عن القرآن بكونه عربيًّا، وعلى هذا فلا تكون الآيات القرآنية وحدها موضوع علم التجويد، بل سائر الكلمات العربية من شعر، ونثر، وحديث، وقرآن كريم.

(١) جهد المقل في تجويد القرآن العظيم لساجقلي زادة: محمد المرعشي.
(٢) سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥.
(٣) سورة الزمر، آية ٢٨.

فكأن أحكام التجويد منزلة على الألفاظ القرآنية من حيث عربيتها لا من حيث قرآنيتها، كما سيتبين بعد قليل.

قال العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي: (ولا يخفى أن التجويدَ من مقتضيات اللغة العربية، لأنَّه من صفاتها الذاتية، لأنَّ العربَ لم تنطق بكلماتها إلا مجودة، فمن نطق بها غير مجودة فكأنه لم ينطق بها، فما هو في الحقيقة من محاسن الكلام، بل هو من الذاتيات له، فهو إذن من طبيعة اللغة، لذلك من تركه فقد وقع في اللحن الجلي لأن العرب لا تعرف الكلام إلا مجودًا)[1]، ومعلوم أن مباحث علم التجويد كلها في الأصل ترجع إلى علوم اللغة العربية من نحو مصرف ومقاطع صوتية باعتبار وجوب النطق أو التلفظ بها على الهيئة العربية الفصيحة التي نطق بها العرب وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ والتي تلقاها من بعده جيلًا عن جيل، ولا يوجد وجه للفصل في الكلام العربي بين ما هو قرآن وما ليس قرآنًا من ناحية إعراب الألفاظ وبنائها وفصاحتها وسلامتها من اللحن والخطأ.

هذا، ويمكن الاستدلال على ما ذهبنا إليه بما يأتي:

١ ـ عندما ذكر جمهور العلماء في كتب التجويد فائدته وثمرته قالوا: إنها صون اللسان عن الخطأ في لفظ القرآن، ولفظ القرآن عربي، فتكون فائدة التجويد صون اللسان عن الخطأ في الكلام العربي والنطق به على الصورة الصحيحة التي عرفها فصحاء العرب، فإذا ما تحقَّق ذلك كان وسيلة إلى صون كتاب الله من باب أولى، فلابد في تجويد القرآن الكريم من المحافظة على لغته التي نزل بها من ناحية أدائها وتركيبها وإعرابها وما يتعلق

(١) قواعد التحديث /ص٢٣٧.

بذلك، ورحم الله الإمام ابن الجزري؛ إذ يلفت أنظارنا إلى ذلك فيقول في مطلع مقدمته في علم التجويد (المسماة بالجزرية):

وبعـــدُ إنَّ هـــذه مقدمـــهْ ... فيمـــا على قارئـــه أن يعلمـــهْ

إذْ واجـــبٌ علـــيهمُ محـــتمُ ... قبـلَ الشـــروع أولاً أن يعلمـــوا

مخـــارج الحـــروف والصـــفات ... لينطقـــوا بأفصـــح اللغـــات

فجعلَ الوجوب المحتم متعلقًا بالفصاحة في النطق باللغة العربية التي هي أفصح اللغات، ليتسنى بذلك الأداء الصحيح، والنطق السليم، عند تلاوة القرآن العظيم.

٢ ـ إنَّ اللحن أو الخطأ في تلاوة القرآن الكريم لا يمكن تجنبه إلا بتركه في الكلمات العربية بصفة عامة، ألم يقل الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] فإذا لم يجتنب اللحن في اللغة ذاتها فكيف يجتنب في القرآن الكريم؟ وعندما عرَّف العلماء التجويد قالوا: إنه إعطاء كل حرف حقه ومستحقه (أي من كل صفة ثابتة له من الصفات ومستحقه، أي ما ينشأ عن تلك الصفات) كترقيق المستفل وتفخيم المستعلي ونحوهما مع بلوغ الغاية والنهاية في إتقان الحروف وتحسينها وخلوها من الزيادة والنقص، وبراءتها من الرداءة في النطق والإتقان في تحرير مخارجها وبيان صفاتها بحيث يصير ذلك سجية للقارئ وطبيعة له سواء كانت الحروف أصلية أم فرعية مركبة أو مفردة.

فإذا لم يعط القارئ الحروف حقها ومستحقها تغير مدلول الكلمة وفسد معناها، بل فهم منها معنى آخر، وذلك مثل (عصى) و(محظورًا) فإذا

(١) سورة يوسف، آية ٢.

لم يعط كلًّا من الصاد المهملة والظاء المشالة حقه من الاستعلاء والإطباق، صارت المهملة سينًا والظاء المشالة ذالًا، فيصير اللفظ (عسى) و(محذورًا) فهل هذا قاصر على الكلمات القرآنية فقط؟ أو هو إخلال وفساد في الكلمات العربية عمومًا ومنها الحديث الشريف وجميع فصيح كلام العرب من شعر ونثر؟

وعندما قسم علماء التجويد اللحن إلى جلي وخفي، قالوا: إن الجلي خطأ يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى بأن تتغير بنية الكلمة أو حركاتها أو يبدل حرف مكان آخر، والخفي يرجع إلى صفات الحروف فيخل بالألفاظ والكلمات من حيث رونقها وحسنها وطلاوتها.

وكل ذلك راجع إلى اللغة من حيث إعرابها وتحسين النطق بها والتجويد لغة: التحسين، وهو مصدر جوَّد تجويدًا إذا أتى بالقراءة مجودة الألفاظ بعيدة من الخطأ في النطق والأداء الصوتي، وذلك راجع إلى الألفاظ ذاتها من حيث كونها عربية لا من حيث قرآنيتها فحسب، فلا يمكن أن تكون الكلمات العربية في غير القرآن الكريم بمعزلٍ عن ذلك، وخاصة الألفاظ النبوية الشريفة التي لها اتصال بالوحي المعصوم.

٣ ـ القرآن الكريم لم يقرر أحكامًا تجويدية أو أداءً خاصًّا عند تلاوته لم يكن معروفًا عند العرب حتى نقول: إن التجويد خاص بالقرآن فقط، فمثلًا: لم يرد في القرآن الكريم أو السنة ذكر مخارج الحروف أو أعدادها أو صفاتها أو غير ذلك من الأحكام المقررة في علم التجويد، فمعنى ذلك أنها معروفة عند العرب ومقررة عندهم، بل إذا تأملنا وأمعنا النظر في مباحث علم التجويد ومسائله نجد مردها إلى اللغة العربية.

ولنذكر هنا أهم مباحث علم التجويد ـ كأمثلة ـ لنبين أنها مقررة في اللغة العربية وأن القرآن العظيم قد نزل بها، إن أول وأهم مباحث هذا العلم مخارج الحروف وصفاتها، وما عدا ذلك فإنه تابع لهذا الباب، وابن الجزري عندما اختار أنها سبعة عشر إنما كان مرجعه ما ذهب إليه أئمة اللغة أمثال الخليل بن أحمد بينما ذهب غيره كالفراء إلى أنها أربعة عشر، وهكذا.

وأما الصفات فإنه مبحث في هيئتها وكيفية النطق بها نطقًا عربيًّا فصيحًا من حيث جهرها وهمسها واستعلاؤها وغير ذلك ولو تأملنا في مبحث المد والقصر، فنجد أنهم قسموه إلى أصلي وفرعي، والأصلي هو الذي لا تقوم ذات الحروف إلا به، ولا يتوقف على سبب، ويسمى بالطبيعي، لأنه لا تجتلب الحروف بدونه، قال في تحفة الأطفال:

والمد أصليٌّ وفرعيٌّ له ... وسمِّ أولًا طبيعيًّا وهو

ما لا توقفٌ له على سببْ ... ولا بدونه الحروف تجتلبْ

ويلحق بالمد الأصلي، مد العوض، وهو الوقوف على المنون بالفتح في غير تاء التأنيث مثل ألفافًا، ميقاتًا. ومد البدل، وهو إبدال همزة ثانية ساكنة بحرف مد فيناسب حركة الأولى، ومد الصلة الصغرى، وهو عبارة عن هاء الضمير المفرد الغائب المضمومة أو المكسورة إذا وقعت بين متحركين وذلك في غير الوقف، مع العلم بأن حذف هذه الصلة خطأ في العربية في غير القرآن أيضًا ويستشهد لذلك بما قاله ابن مالك:

واحذفْ لوقفٍ في سوى اضطرار ... صلةَ غيرِ الفتح في الإضمار

وأما الغنة فقد يظن كثير من الناس أنها شأن مختص بالقرآن وحده،

وألا وجود لها في لغة العرب، وقد ذكر العلامة المارغني في هامش: (النجوم الطوالع، على الدرر اللوامع، في أصل مقرأ الإمام نافع) ما ملخصه: «أن بعض علماء اللغة العربية أنكر على والده وجود الغنة والمد أو أحكام التجويد في الكلام العربي (غير القرآن الكريم)، فقال لوالد الشيخ مازحًا أو متهكمًا: «أكانت العرب تقول: إن زيدًا قائم بغنة نون إن ومد قائم؟ فأجابه بقوله: ما أجهلك بلغة قومك! هل قرأت شرح الأشموني وأقرأته؟ راجع خاتمة باب الإدغام، في شرح الأشموني على ألفية ابن مالك مع حواشيه، فإنه ذكر الغنة وأحكام النون الساكنة والتنوين وضروبها ولغاتها، بما يقرب مما ذكره علماء القراءات والتجويد، وقال: لولا أن الغنة مأثورة عن العرب ما ذكرها أرباب اللغة والنحو والتصريف، وما وردت القراءة بها، إذ كل ما قرئ به موجود في اللغة ولا عكس، والقراء كلهم أخذوا بها جمعًا وأداءً، فهي من المتواتر قطعًا، فكيف يستريب أحد من العلماء في وجود الغنة لغة وقياسًا، والحال أنها لغة القرآن والحديث ولغة أهل الحجاز، ودهاقين العرب، فقد كانوا يترنمون بها في كلامهم حينما كانوا يجتمعون في سوق عكاظ وغيره، فينشدون الأشعار الرائقة والحكم البليغة، ومما لا يغرب أن القرآن نزل بلغة الحجازيين وقريش غالبًا، فروعي جانب الغالب فكانت الغنة في جميع حروفه التي تغن)(١).

٤ ـ إن مخالفة قواعد اللغة سواء من ناحية الإعراب أو النطق بالحروف صحيحة أو الإخلال بشيء من ذلك له خطره فيما وراء علم التجويد من إثبات صحة القراءة نفسها وثبوت قرآنيتها، فكيف تكون أحكام التجويد

---

(١) /ص١٢١.

غير شاملة للغة العربية أو اللفظ العربي الفصيح مع أن اللغة شرط في ثبوت القراءة نفسها فضلًا عن تجويدها، قال العلامة ابن الجزري في طيبة النشر:

فكلُّ ما وافق وجْهَ نحوِ   وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصحَّ إسنادًا هو القرآنُ   فهذه الثلاثةُ الأركانُ
وحيثما يختلُّ ركنٌ أثبتِ   شذوذه لو أنَّه في السبعةِ

٥ ـ لما كانت مباحث علم التجويد وأحكامه مردها إلى علوم اللغة العربية اشتبه الأمر على بعض الناس، فقالوا: إن التجويد واجب صناعي وليس واجبًا شرعيًّا، والواجب الصناعي: هو ما يحسن فعله ويقبح تركه من جهة الصنعة العربية، وذلك أدى إلى تهاون الكثيرين في تعلم أحكام التجويد وضبط التلاوة والحق في ذلك: أن التجويد بالنسبة للكلام العربي بصفة عامة واجب صناعة لأنه لا يترتب على ذلك محظور شرعي، أما بالنسبة للقرآن العظيم وكذلك الحديث النبوي الشريف فإنه واجب شرعي يأثم تاركه لأن اللحن في كلام الله ورسوله يؤدي إلى فساد أو تغيير المعنى الذي أراده الشرع، ويؤدي إلى ركاكة اللفظ والإخلال برونقه وبهائه مما يتنزه عنه الوحي المعصوم، فلابد من المحافظة على سلامة النطق بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لأنها مصدر الشرع وأساس الدين، لكن لما جازت رواية الحديث بالمعنى ـ بشرط أن يكون الراوي عالمًا بما يرويه فلا يتغير المراد من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تسوهل في المحافظة على أحكام التجويد في الحديث الشريف وتمسكوا بها في تلاوة كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ لأن الأمة مطالبة بحفظ حروفه ـ كما أنزلت ـ من غير تبديل أو تحريف ـ فلا يجوز رواية القرآن بالمعنى كالحديث الشريف، والله تعالى قد تعبدنا بتلاوة ألفاظه

وفهم معانيه وإقامة حدوده وتصحيح أدائه على الصفة التي نزل بها، وتلقتها الأمة عن أئمة القراءة المتصل سندهم بالحضرة النبوية الأفصحية، قال العلامة ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتمٌ لازمُ   من لم يجود القرآن آثمُ
لأنَّه به الإلهُ أَنْزلا   وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضًا حِلْيَةُ التلاوةِ   وزينةُ الأداء والقِراءةِ

ولذلك اختار المحققون الوجوب في مراعاة أحكام التجويد بالنسبة لقراءة القرآن الكريم ولم يقولوا بالوجوب في غيره من الحديث أو الكلام العربي وإنما قالوا بالندب أو بالوجوب الصناعي.

وهذه فتوى الحافظ ناصر الدين الطبلاوي، عندما سئل: هل يجب إدغام النون الساكنة والتنوين عند حروف الإدغام، وإخفاؤهما عند حروف الإخفاء.. إلخ وإذا كان واجبًا فهل يجب على مؤدب الأطفال تعليمهم ذلك؟ وهل المد اللازم والمتصل ونحوه كذلك؟ وإذا قلتم بالوجوب في جميع ذلك، فهل شرعي يثاب فاعله ويأثم تاركه ويكون لحنًا أو صناعي، فلا ثواب لفاعله ولا إثم لتاركه؟ وإذا أنكر شخص وجوبه هل هو مصيب أو مخطئ؟ وماذا يترتب عليه في إنكار ذلك؟

فأجاب بقوله: (الحمد لله الهادي إلى الصواب، نقول: الوجوب في جميع ذلك من أحكام النون الساكنة والتنوين والمد، ولم يرد عن أحد من أئمة القراءة أنه خالف فيه، وإنما تتفاوت مراتبهم في المد المتصل مع اتفاقهم على أنه لا يجوز قصره كالمنفصل في وجه من الوجوه، وقد أجمع الفقهاء

والأصوليون على أنه لا يجوز القراءة بالشاذ مع وروده في الجملة، فما بالك بقراءة ما لم يرد أصلًا.

وهذه الأحكام مما أجمعت القراء على تلقيه بالقبول لأن كل ما أجمعت عليه القراء حرمت مخالفته، ومن أنكر ذلك كله فهو مخطئ آثم، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، كذلك هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصل سندهم بالنبي ﷺ)[1].

٦ ـ هناك فارق بين التجويد وبين التلاوة، فالتجويد على الوجه الذي شرحناه، من مراعاة المخارج وصفات الحروف، وغيرها من مقتضيات النطق العربي الفصيح الصحيح، هو أمر عام يشمل ألفاظ القرآن الكريم، وألفاظ الحديث الشريف، بل وسائر الألفاظ العربية، وأما الترتيل على الهيئة المعروفة، والتي نبغ فيها القراء الكبار من أمثال الشيخ رفعت والشيخ البنا والشيخ المنشاوي فهو أمر خاص بالقرآن الكريم.

وأخيرًا أقول: لولا حفظ الله تعالى لهذا الكتاب لضاعت كثير من معالم العربية ووجوهها واستعمالاتها والتي لا يعرف كثير من الناس الآن أنها من اللسان العربي إلا عند تلاوة القرآن العظيم، وذلك مثل الإمالة والإشمام والروم والاختلاس والإدغام الكبير، مما حسبه الناس بسبب بعدهم عن اللغة العربية وتأثرهم بالأعاجم أنها ليست موجودة في اللغة العربية، وإنما هي خاصة بالقراءات القرآنية أو بعلم التجويد، والله تعالى أعلم وصلى الله

(١) نهاية القول المفيد في علم التجويد، محمد مكي نصر الجريسي، /ص٢٩ ـ ٣٠/ ط مكتبة الآداب.

وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)، **انتهى نص رسالة العلامة الشيخ** جمال فاروق الحسني حفظه الله.

قلت: والذي ذكره الشيخ هنا من التفرقة بين التجويد وبين الأداء الصوتي الخاص بالقرآن الكريم قد نبه إليه من قبل العلامة الجليل الشيخ محمد عبد الله دراز ـ رحمه الله تعالى ـ، قال في: (النبأ العظيم): (أول ما يفجئوك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن: خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره، دع القارئ يقرأ القرآن، يرتله حق ترتيله، فستجد نفسك بإزاء لحن غريب لا تجده في كلام آخر، وهذا الجمال التوقيعي لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب، فكيف يخفى على العرب أنفسهم؟)[1].

ومما يستدرك على شيخنا جمال فاروق من النقول الحسنة البديعة قول العلامة الشيخ محمد بن محمد الإفراني المراكشي الصغير في كتابه: (المغيث، بحكم اللحن في الحديث) بعد تقرير وكلام مطول: (قد علمت أن الحديث حكمه حكم القرآن، فيجب على هذا تجويد حروف لفظ الحديث، كما يجب تجويد القرآن)[2]، وإن كان العلامة الإفراني قد مال في أواخر كتابه أن حكم التجويد هو الاستحباب لا الوجوب.

وأقول: والخلاف مشهور بين أهل الصنعة، في التجويد: هل هو واجب شرعًا أو صناعةً، وقد أثيرت المسألة في دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، واتسع فيها النقاش والتدافع فيها بين العلماء، وكان العلامة الشيخ أحمد بن علي الحلواني ت١٣٠٧هـ، شيخ قراء الشام في زمانه، يعتمد أنه واجب

(١) النبأ العظيم /ص١٠١/.

(٢) المغيث، بحكم اللحن في الحديث/ص١٧٣/ مطبوع ضمن العدد السابع، الصادر في شهر رمضان، سنة ١٤٣١هـ من مجلة نجيبويه.

شرعا، وكان العلماء يعارضونه، ويعتمدون الثاني، حتى وفد على دمشق سنة ١٣٠٠هـ العلامة محمد بن صلاح الباقاني النابلسي، وأفتى بالوجوب، فالتمس منه الشيخ الحلواني أن يحرر كتابة في ذلك، فصنف رسالة سماها: (القول السديد، في وجوب التجويد)، وقد ذكر العلامة القاسمي طرفا من ذلك في ترجمة الحلواني من كتابه: (طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر الهجري)، ثم أشار القاسمي إلى فتوى مهمة لابن حجر الهيتمي في ذلك، في: (الفوائد الحديثية)[1]، حتى قال القاسمي عن تحرير الهيتمي في ذلك: (وأظن لو عثر على هذه الفتوى المتنازعون مع المترجم، لكانت لهم فيصلا وفرقانا)[2].

قلت: ثم إني رأيت بعد ذلك بمدة كتابًا في هذه المسألة، اسمه: (هل يُقرَأُ الحديث الشريف مُجَوَّدًا، حقيقة علمية تُنْشَرُ لأوّل مرة)، وهو من تأليف فضيلة الدكتور محمد إبراهيم العشماوي، أجاد فيه، وقد قرَّظه وقدم له فضيلة الأستاذ الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي نائب رئيس جامعة الأزهر، والأستاذ الدكتور محمد حسن جبل أستاذ أصول اللغة والصوتيات وعميد كلية اللغة العربية، والأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش أستاذ الحديث الشريف وعلومه بكلية أصول الدين، وفضيلة الدكتور أحمد عيسى المعصراوي شيخ عموم المقارئ المصرية، وأظن أن مؤلفه لو رأى ما كتبه العلامة الشيخ جمال فاروق لاغتنمه وسُرَّ به.

يروي العلامة البديري عن: ١ ـ العلامة الكبير، والمحقق الشهير،

(١) الفتاوى الحديثية/ص٤٤٨/، ط: دار التقوى، دمشق، سنة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٨م.

(٢) طبقات مشاهير الدمشقيين/ص٣٥/، ط: دار البيروتي، دار البلخي، دمشق، سنة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

سيبويه زمانه، أبو الضياء نور الدين، علي بن محمد الشبراملسي، شيخ الشافعية في زمانه، ولد سنة ١٠٠١هـ، قرأ عليه صحيح البخاري، وشرح القسطلاني، وأخذ عنه كثيرًا في علوم متعددة، وأجاز له إجازة عامة، مشافهة وكتابة.

٢ ـ المنلا إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني الشهرزوري الشافعي نزيل المدينة المنورة، حضر عليه صاحب الترجمة في علم التفسير والتوحيد، والحديث من صحيح البخاري ومسلم وباقي الستة، وكثيرًا من مصنفاته، إبان مجاورته بالمدينة المنورة سنة ١٠٩٢هـ، وأجاز له إجازة عامة.

٣ ـ العلامة الشيخ حسن بن علي بن يحيى بن عمر الشهير بالعجيمي المكي الحنفي، حضر عليه في علوم الحديث والتفسير وغيرها وقت مجاورته بمكة المشرفة، وأجاز له إجازة عامة.

٤ ـ العلامة شرف الدين يحيى أبو المواهب ابن زين العابدين بن محيي الدين عبد القادر ابن ولي الدين أحمد بن جمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، حضر عليه في صحيح البخاري من مواضع متفرقة، مع مطالعة شرح جده الإمام، شيخ الإسلام زكريا، وقرأ عليه من مؤلفات جده أطرافًا من شروح الروض، والبهجة، والمنهج، والتحرير وغيرها من باقي العلوم المنسوبة إلى شيخ الإسلام، وأجازه بالجميع.

٥ ـ العلامة محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري، حضر عليه في البخاري قراءة للبعض وإجازة لسائره، ولعموم كتب الحديث، مع مطالعة شرح القسطلاني.

٦ ـ التقية الصالحة، والعالمة الفاضلة، السيدة: قريش الهاشمية الحسينية، المكية الطبرية، بنت الإمام عبد القادر الطبري، الشريف الحسيني، إمام المقام بالمسجد الحرام، لقيها في مكة، في فترة مجاورته بها، فقرأ عليها في بيتها المشرف طرفًا من الكتب الستة، ثم طرفا من الموطأ، ثم طرفًا من مسند الشافعي، فمسند أحمد، ثم أجازت له إجازة عامة، مشافهة وكتابة.

نروي مروياته من طريق السيد أحمد بن أبي بكر الحبشي والسيد عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني، كلاهما عن والد الثاني، عن أبي عبد الله محمد الشريف بن عوض الدمياطي، عن الشيخ عطية القماش الدمياطي والشيخ أحمد بشارة الدمياطي، كلاهما عن الشيخ مصطفى البديري، عن شمس الدين محمد المهدي، عن الإمام محمد بن سالم الحفناوي، عنه.

(ح) وبأسانيدي إلى العلامة محمد الأمير الكبير، عن شيخ الإسلام محمد بن سالم الحفناوي، عنه.

* * *

۞ العلامة المحدث الصالح التقي الشيخ: محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم التيجاني المالكي الحسيني.

ولد في شهر ربيع الثاني من سنة ١٣١٥هـ، وتوفي إلى رحمة الله تعالى ليلة الاثنين ٢٩ جمادى الآخرة، سنة ١٣٩٨هـ.

قرأ القرآن على الشيخ عبد الله حمادة، والشيخ سليمان البنا، وقرأ بعضه على العلامة الشيخ خليل الجنايني، ثم حبب إليه العلم، فأخذ عن

جماعة من الأكابر، فحضر على العلامة الشيخ يوسف الكومي في علوم العربية، وحضر على العلامة الشيخ عبد المنعم قاسم في فقه السادة المالكية، وحضر على العلامة الشيخ يوسف الدجوي في التفسير وفي فقه المالكية، وحضر في علم الأصول على العلامة الشيخ محمد ماضي، ولازم العلامة العارف بالله الشيخ سلامة العزامي.

ثم شغف بالحديث الشريف، وحببت إليه المطالعة في كتبه، والاشتغال به بحثا وتنقيبا، ورحل إلى المغرب والشام والسودان والحجاز، فأخذ عن علماء تلك الأقطار، وهو من محدثي مصر العارفين بالصنعة، المستبصرين بالجرح والتعديل والعلل، وله في هذا الفن الأسانيد الجياد، والتصانيف المستحسنة، فمن تآليفه: (تخريج أحاديث اللمع لأبي نصر الطوسي، طبع بآخر الكتاب المذكور)، (تخريج أحاديث جواهر المعاني)، (تعقبات على استدراكات الذهبي على الحاكم النيسابوري، لم يكمل)، (ترتيب تخريج الحافظ مرتضى الزبيدي على أحاديث الإحياء، رتبه على حروف المعجم)، (ترتيب أحاديث مسند أحمد)، (الأحاديث الضعيفة في سنن الترمذي) لم يطبع، وله تحقيقات وتعليقات على (مصباح الزجاجة) للحافظ الشهاب البوصيري لم يطبع.

قال العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري في: (سبيل التوفيق): (وهو لم يتخرج من الأزهر، لكنه كان ذكيا نبيها، واشتغل بالحديث حين تعرف علينا، وله بحوث طيبة)، إلى أن قال: (وكان واسع الصدر، حليما، لا يغضب أبدا، وهذا خلق، ما رأيته في غيره)[1].

(١) سبيل التوفيق، في ترجمة عبد الله بن الصديق/ص١٤٦.

ومن تلامذته الذين لازموه، وقرأوا عليه، واستفادوا منه العلامة السيد صبحي البدري السامرائي الحسيني، كما في ثبته المسمى: (نعمة المنان، في أسانيد شيخنا أبي عبد الرحمن) تخريج تلميذه: أبي الطيب محمد بن غازي بن داود القرشي البغدادي، قال هناك: (العلامة المحدث الورع، الإمام الرباني، محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم التجاني القاهري المالكي صاحب مجلة: «طريق الحق»، رحل شيخنا السيد صبحي إلى مصر، والتقى به هناك، وقرأ عليه في داره في الحلمية، وفي زاويته بالمغربلين شيئًا من الكتب الستة، ومتن نزهة النظر للحافظ ابن حجر، ومختصر علوم الحديث لابن كثير، والأربعين النووية، قال شيخنا: «كنت أقرأ الليل كله إلى صلاة الفجر»، وأتم شيخنا قراءة أكثر الكتب عليه، وكان الشيخ صبحي يثني على شيخه محمد الحافظ ويصفه بالعلم).

وقال الشيخ عداب محمود الحمش في أول كتابه: (علم تخريج الحديث ونقده): (إلى من وجهني إلى علم الحديث الشريف، وأخذ بيدي إلى ممارسة التخريج، إلى من دربني على اصطياد علل الحديث، وأوقفني على فقه الجرح والتعديل، إلى القدوة العرفاني، العالم الرباني، العلامة السيد الشيخ محمد بن عبد اللطيف الحسيني (الحافظ التيجاني)....)، إلى آخر كلامه.

يروي عن: ١ ـ العلامة عبد الستار الدهلوي، ٢ ـ ومحمد إبراهيم السمالوطي، ٣ ـ والعلامة يوسف الدجوي، ٤ ـ والعلامة الحافظ أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، ٥ ـ والعلامة علي بن فالح الظاهري الوتري، ٦ ـ والعلامة المحقق محمد زاهد الكوثري، ٧ ـ والعلامة محمد علي حسين المالكي، ٨ ـ العلامة محدث الشام بدر الدين محمد بن يوسف الحسني

البيباني ت١٣٥٤هـ، وهو أي البدر الحسني عن البرهان السقا عن الأمير الصغير عن الأمير الكبير بما في ثبته، ٩ ـ العلامة كمال الدين القاوقجي، ١٠ ـ والعلامة محمد خفاجة الدمياطي وهما عن والد الأول أبي المحاسن القاوقجي بما في أثباته، ١١ ـ العلامة النحوي، محدث الحرمين عمر حمدان المحرسي ت١٣٦٨هـ بما في ثبته (مطمح الوجدان) تخريج تلميذه الفاداني، ١٢ ـ وعن الشيخ محمد خضير الدمياطي، ١٣ ـ وعن الشيخ المحدث سلامة العزامي، ١٤ ـ والعلامة عيدروس بن سالم البار، ١٥ ـ والعلامة محمد الصادق الرياحي التونسي، ١٦ ـ وعن السيدة أمة الله بنت العلامة عبد الغني المجددي وهي عن أبيها بما في ثبته: (اليانع الجني)، ١٧ ـ العلامة ألفا هاشم المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣٤٩هـ، وهو عن جماعة منهم فالح الظاهري، ١٨ ـ مسند الدنيا العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني، وقد كتب له الكتاني إجازة مطولة، بمسند أحمد خصوصًا، وببقية مروياته عمومًا، وقد ساق فيها الكتاني فوائد نفيسة حول المسند، وقد نشر نص هذه الإجازة كاملًا في مجلة (طريق الحق)، في العدد الصادر بتاريخ ذي الحجة ١٣٩١هـ، الموافق فبراير سنة ١٩٧٢م، وتقع في ست ورقات، ١٩ ـ العلامة محمد عبد الباقي الأنصاري اللكنوي، ٢٠ ـ الشيخ بدر الدين الزهيري الخلوتي، المتوفى بطنطا سنة ١٣٦٣هـ عن خمسين ومائة سنة، وستة أيام، وهو عن والده الشيخ بدر، عن شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي، عن العلامة الشمس محمد بن سالم الحفني بما في ثبته، ٢١ ـ العلامة المسند الشيخ عبد الله غازي الهندي ثم المكي.

يروي عنه العلامة المسند أبو بكر بن أحمد بن حسين الحبشي ت١٣٧٦هـ كما في: (الدليل المشير)[1]، والعلامة المسند الشيخ محمد ياسين

(١) الدليل المشير، إلى فلك الاتصال بأسانيد البشير النذير /ص٦٩.

الفاداني، والعلامة المحدث الشيخ رفعت فوزي عبد المطلب كما أخبرنا، والعلامة السيد إبراهيم بن صالح بن يونس النيجيري مفتي نيجيريا كما أخبرنا، وكما ذكر في ثبته المسمى: (الطود الشامخ)، والعلامة السيد محمد بن علوي المالكي، والعلامة المحدث السيد صبحي جاسم البدري الحسيني السامرائي، والعلامة محمد بن عبد الهادي بن عبد الرحمن العجيل، وغيرهم كثير.

وقد أجازنا بمرويات الحافظ التيجاني غير واحد من مشايخنا المصريين منهم شيخنا العلامة الكبير الشيخ علي جمعة محمد الأزهري، وشيخنا محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، وشيخنا رفعت فوزي عبد المطلب، وشيخنا المعمر عبد المجيد بن خليل الشريف، وشيخنا مصطفى أبو سليمان الندوي المنصوري، وأجازنا بمروياته من غير المصريين جماعة منهم: الشيخ صبحي البدري السامرائي، والعلامة الشيخ إبراهيم صالح النيجيري، والعلامة السيد محمد علوي المالكي، والشيخ مساعد بن بشير السوداني الشهير بحاج سديرة، وغيرهم[1].

* * *

❁ فضيلة العلامة الشيخ: محمد بن محمد بن عبد الرحمن التفتازاني الغنيمي الوفائي الحسيني العلوي.

ولد فجر يوم الاثنين ٢٥ من ذي الحجة عام ١٣١٠هـ الموافق ١٠ يوليو سنة

(١) وقد ترجم للحافظ التيجاني جماعات، منهم: العلامة أبو بكر بن أحمد بن حسين الحبشي في الدليل المشير /ص٦٩/، وصبحي السامرائي في ثبته /ص٥٣/، تخريج تلميذه محمد غازي، والمسند الشيخ صالح الأركاني في إتحاف ذوي الرسوخ /ص٨/، وأخيرًا ولده الأستاذ الشيخ أحمد محمد الحافظ في كتاب مستقل اسمه: (حجة الإسلام، العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجاني) طبع في دار غريب بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.

١٨٩٣م، في كفر الغنيمي بمنيا القمح، وتلقى المبادئ الأولية في بلده، ثم نزل الأزهر فتلقى على مشاهير علماء عصره، مثل الشيخ المرصفي والشيخ الحسيني، ونزل الشام مرارًا بصحبة أحد مشايخه، فالتقوا العلامة المحدث الأكبر بدر الدين الحسني، ولا أستبعد أن له إجازة منه، وقد اشتغل بالعلم والأدب والتصوف، وكان عضوًا في المجلس الصوفي العالي، وعضوًا في المجمع العلمي بدمشق، ومساعد كاتم سر عربي في الرابطة الشرقية بالقاهرة، وأصدر مجلة اسمها: (البشائر)، وشارك في تأسيس جماعة: (الرابطة الشرقية).

قال الكاتب الصحفي الأستاذ توفيق حبيب: (كان ذخيرة علم وأدب، وسجلًا تاريخيًّا لمصر الحاضرة والعالم العربي والإسلامي)، قلت: وكان يجيد الإنجليزية مع إلمام بالفرنسية، وترجم كتابًا في تاريخ مصر الحديث من تأليف السير إدوارد وليم لين، قال الزركلي في: (الأعلام): (لعله ما زال مخطوطًا)[1].

قلت: كتاب (المصريون المحدثون) لإدوراد وليم لين كتابٌ مهم جدًّا، ولا أعرف شيئًا عن ترجمة العلامة محمد التفتازاني لهذا الكتاب، لكن ترجمه إلى العربية أيضًا الأستاذ عدلي طاهر نور، سنة ١٩٥٠م، وفي مكتبتي نسخة منه، وقد طالعته واعتنيت به، ومن ورائه بحوثٌ علمية في غاية الأهمية، ليس هذا بمحلِّ الإفاضة فيها، وقد توفي الشيخ يوم الثلاثاء ١٢ شوال سنة ١٣٥٤هـ، الموافق ٧ يناير ١٩٣٦م.

(١) الأعلام /٦/٣٢٥/.

وولده هو الفيلسوف الكبير، الأستاذ الشيخ أبو الوفا التفتازاني المتوفى سنة ١٩٦٨م، أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة القاهرة، ورئيس الجمعية الفلسفية المصرية، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، وله كتاب مهم عن ابن عطاء الله السكندري، هو رسالته للماجستير، وأطروحته للدكتوراه كانت عن ابن سبعين وفلسفته، وله بحث مهم عنوانه: (العلاقة بين الفلسفة والطب عند المسلمين)، كما كتب: (مفهوم العلم في الإسلام)[1].

يروي الشيخ محمد عن: ١ ـ العلامة عبد الرحمن الشربيني، ٢ ـ والعلامة محمد الأشموني، ٣ ـ والعلامة الشمس محمد الأنبابي، وهم عن: مصطفى بن محمد المبلط الأحمدي، والحسن المرصفي، ويوسف المرصفي، ومحمد كبوة العدوي، ومحمد العدوي، وإبراهيم السقا، والأمير الصغير، كلهم عن: والد الأخير الإمام الأمير الكبير بما في ثبته: (سد الأرب)، هذا الذي رأيته من تنصيص الحبيب سالم بن جندان، وعندي في ذكر روايته عن هؤلاء توقف لأسباب كثيرة، بل يسفر النظر في التواريخ عن بطلان قوله في غير موضع، والله أعلم بحقيقة الحال.

أروي ما يثبت من مروياته من طريق السيد محمد بن علوي المالكي، والحبيب سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري، والحبيب أبي بكر بن سقاف بن شهاب الدين، ثلاثتهم عن العلامة السيد سالم بن جندان، عنه.

* * *

(١) وقد ترجم له سامي خشبة في كتابه: مفكرون من عصرنا /ص٣٣.

❁ **العلامة السيد: شمس الدين محمد بن محمد سرِّ الختم بن محمد عثمان (الختم) بن أبي بكر بن السيد عبد الله المحجوب المرغنيُّ الحسينيُّ الحنفيُّ المكيُّ.**

توفي بالقاهرة سنة ١٩١٦م، عن عُمر يزيد عن أربع وسبعين سنة، وكانت أكثر أقامته بالإسكندرية، ودفن بالقاهرة في تكية السادة آل الميرغني، بباب الوزير، قرب مسجد السلطان حسن.

وأما والده السيد محمد فقد ولد سنة ١٢٢٦هـ، بمكة، وحصل العلم بها، ثم نزل اليمن وأقام به سنوات، وكان يعرف هناك بالمحدث، وتوفي ليلة الثلاثاء، الخامس والعشرين من ذي الحجة، سنة ١٢٧١هـ، ومن مؤلفاته كتابه: (حاشية على بلوغ المرام لابن حجر) في أربعة مجلدات، وكان قد رزق من الأولاد بثلاثة: السيد محمد صاحب الترجمة، والسيد عبد الله المحجوب، والسيد محمد عثمان تاج السر.

وكان صاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ قد بنى تكيةً في الإسكندرية، ينزل فيها الوافدون من العلماء والصالحين، وممن نزل في ضيافته العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني، وانظر طرفًا من ذلك في: (الرحلة السامية، إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية)[1] ومنهم السيد عبد الحي الكتاني وغيرهم.

قال العلامة السيد عبد الحي الكتاني في ترجمة العلامة البرهان إبراهيم السقا في: (فهرس الفهارس): (أروي ما له عن: الوالد، وعبد الله بن الهاشمي ابن خضراء، وأبي العلاء إدريس بن عبد الهادي، وعبد الملك بن الكبير العلمي، وعبد الله بن إدريس السنوسي وغيرهم من المغاربة.

(١) الرحلة السامية /ص١٢٣.

وابنه محمد الإمام، وسبطه حسن السقا الفرغلي، والشهاب الرفاعي، والشيخ عبد الرحمن الشربيني، والشيخ سليم البشري، والشيخ حسن الطرابلسي، والشيخ عبد البر بن أحمد منة الله، وسعيد بن علي الموجي، والشمس محمد بن محمد المرغني وغيرهم من المصريين.

وأبي الحسن بن ظاهر، والشيخ حسب الله وغيرهم من الحجازيين، ونصر الله الخطيب، وخليل الهندي، وعبد الله السكري، ويوسف النبهاني وغيرهم من الشاميين، كلهم عنه)[1].

يروي صاحب الترجمة عن: ١ ـ السيد أحمد زيني دحلان ت١٣٠٤هـ، ٢ ـ والبرهان إبراهيم السقا ت١٢٩٨هـ، ٣ ـ وأبي المحاسن القاوقجي ت١٣٠٥هـ، ٤ ـ والشمس محمد أبي خضير الدمياطي، ٥ ـ والشمس محمد عليش المصري، ٦ ـ والجمال ابن عمر المكي، وغيرهم، وأما بقية مروياته وأسانيده، واتصالنا به فقد أوردتُ ذلك بأكمله في الجزء المسمى: (فتح الغني في أسانيد السادة آل المرغني) وسوف يأتي.

قلت: وكنت قد أفردت جزءًا لطيفًا تتبعتُ فيه أسانيد السادة آل الميرغني، سميته: **(فتح الغني، في أسانيد السادة آل الميرغني)**، وهذا هو: (**بسم الله الرحمن الرحيم**، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الأولين والآخرين، وخاتم رسل الله الأكرمين، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد.. فهذا جزء لطيف، فيه ذكر طرفٍ من أسانيدِ السادة آل المرغني، جمعته ونشطت فيه، رجاء إحياء طرف من مفاخرهم، حيث إنهم

(١) فهرس الفهارس /١/١٣٢.

أسرة علمية أنجبت عددًا من الأئمة أهل الفقه والحديث، وقد عُرِفوا بجلالة القدر، وكانت لهم مشيخةُ السادة الأحناف بمكة المكرمة زمانًا طويلًا، فأحببت أن أسوق ما أقف عليه من أسماء تصانيفهم، وسلاسل أسانيدهم.

١ ـ **السيد إبراهيم بن عبد الله بن محمد المرغني الحنفي المكي**. ولد بمكة سنة ١٢٣٥هـ، وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم، وبرع في العلم، قال العلامة عبد الستار الدهلوي: (العالم الكامل الفقيه، إمام الحرم، ومعدن الفضل والجود والكرم، نقطة دائرة الإرشاد، وعين أعيان السادة الأنجاد، صاحب لطافة ورقة ومفاكهة جلية، ودهاء وفهم وحزم في الأمور الدنيوية، أجمع الناس على فضله وغزارة علمه ومكارم أخلاقه، وشدة حذقه ونباهته، وكثرة اطلاعه على العلوم، حتى أنه خُيِّر للفتوى فاختير لها فلم يرض بذلك ـ على ما قيل ـ؛ لتواضعه ووصية والده بعدم قبولها إن طُلِبَ لها، فلزم ذلك، ثم أخذ في العمارات والأبنية اللطيفة).

وقد قرأ على والده، وعمه السيد عثمان المرغني، والشيخ عبد الله مرداد، وأجازوه بالتدريس، وبمروياتهم وأسانيدهم، وقد توفي بمكة المكرمة سنة ١٣٠٢هـ، ولا أعلم سندًا يوصلني إلى الرواية عنه.

٢ ـ **السيد أحمد بن عبد الله بن محمد أبي بكر بن عبد الله عفيف الدين الميرغني المكي**[1]. وهو شقيق السابق، وكان مفتي السادة الأحناف في مكة المكرمة، ووالده السيد عبد الله كان أيضًا مفتي مكة في زمانه، ولد المترجم سنة ١٢٤٠هـ، وقد أعقب ولدًا اسمه محمد.

(١) ترجم له في مختصر النور والزهر /ص١١٨/، وعبد الله بن عبد الرحمن المعلمي في أعلام المكيين /٢/٩٤٩/.

يروي عن جماعة منهم: والده السيد عبد الله الميرغني، وهو عن عبد الحفيظ العجيمي المكي، وعمر بن عبد الكريم العطار المكي بأسانيدهما.

ومنهم السيد محمد بن محمد بن محمد السقاف المكي، وهو عن صالح بن إبراهيم الرئيس الزمزمي المكي بأسانيده، ومنهم السيد عبد الله البخاري، وهو عن عابد بن أحمد علي، ومنهم محمد بن علي السنوسي، وأسانيده وأثباته مشهورة.

وقد تتلمذ لصاحب الترجمة جماعة من العلماء، منهم العلامة محمد عبد الباقي اللكنوي، ومنهم العلامة عبد الستار الدهلوي، وغيرهما.

نروي مروياته من طريق شيخنا عبد الفتاح حسين رواة، عن محمد علي حسين المالكي، عن محمد عبد الباقي اللكنوي، عنه.

٣ ـ العلامة الفقيه عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني الحسيني، المتقي، المكي، الطائفي، الحنفي، الملقب بالمحجوب، عفيف الدين، أبو السيادة[1]. المتوفى سنة ١٢٠٧هـ، ولد بمكة ١١١٩هـ، وتوفي بالطائف ليلة الجمعة لثلاثة خلون من عاشوراء سنة ١١٩٣هـ.

وقد جمع الشيخ تاج الدين بن محمد سراج كتابًا اسمه: (مواهب الغيوب، في مناقب السيد عبد الله الميرغني المحجوب)، رأيت مخطوطه، وقد ذكر فيه أن له أيضًا ديوان شعر اسمه: (منية المطلوب، في مناقب السيد المحجوب)، كما ترجم له تلميذه الحافظ محمد مرتضى الزبيدي ترجمة

(١) ترجمته في حلية البشر للبيطار /٢/٣٨٤/، ومعجم المؤلفين /٦/١٦/، والأعلام للزركلي /٤/٦٤/، ومختصر نشر النور والزهر /٢/٢٧٢/، وترجم له الحافظ مرتضى الزبيدي في المعجم المختص /ص٢٦٩/، وذكره في ألفية السند /ص٩٣/.

حسنة فخيمة في: (المعجم المختص)، ولما أن نزل الإمام الكبير الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس إلى الطائف اجتمع بالمترجم، وصار بينهما الود الذي لا يوصف، وكان من أجل تلامذة المترجم العلامة حسين بن علي بن عبد الشكور الحنفي الفتني الأصل، الطائفي.

من تأليفه: (المعجم الوجيز، في أحاديث النبي العزيز صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقد شرحه هو بنفسه في: (الموجز العزيز، على المعجم الوجيز) وهو مخطوط، وشرحه الشيخ محمد قش الزكي بن الشيخ يوسف، بن الشيخ إبراهيم بن علي الشافعي في: (فتح الملك العزيز، على المعجم الوجيز) وهو مخطوط، وقد شرحه أيضًا العلامة المحدث المسند أبوالمحاسن محمد بن خليل القاوقجي في: (الذهب الإبريز، شرح المعجم الوجيز) وهو مطبوع، وشرحه العلامة محمد الجوهري وكان يقرؤه درسًا.

ومن تأليفه أيضًا: (زهر الرياحين، مختصر رياض الصالحين) وقد اطلعتُ على مخطوطه، وله تقريرات وتعليقات على نسخته من صحيح البخاري، جردها ولده السيد محمد ياسين، وقد رأيتُ جزء من المخطوط، وفيه فوائد نفيسة، وله أيضًا: (النسمات الأنسية، في الأحاديث القدسية) مخطوط.

ومن تأليفه أيضًا: (الفريدة الجوهرية، في الأئمة الاثنى عشرية)، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج، (الإيضاح المبين، في فرائض الدين) وقد شرحه الحافظ مرتضى الزبيدي، وشرحه أيضًا الشيخ طاهر سنبل.

ومن تأليفه أيضًا: (الدرة اليتيمة، في بعض فضائل السيدة العظيمة)،

و(إتحاف الحلفاء، في مناقب أول الخلفاء)، و(إتحاف السعداء، بمناقب سيد الشهداء)، و(الأنفاس القدسية، في بعض مناقب الحضرة العباسية)، وله ديوانان هما (العقد المنظوم) رتبه على حروف المعجم، و(عقد الجواهر، في نظم المفاخر)، و(سواد العينين، في شرف النسبين)، و(السهم الراحض، في نحر الروافض)، و(الجواهر اللمعة، في فضائل الجمعة)، و(عدة الإنابة، في أماكن الإجابة) إلى غير ذلك من مؤلفاته التي تزيد على الثلاثين مؤلفًا.

يروي عن: عبد الله بن سالم البصري بما في ثبته: (الإمداد، في معرفة علو الإسناد)، والشهاب أبي العباس أحمد بن محمد النِّخْلي ـ بكسر النون ـ ت١١٣٠هـ بما في ثبته: (بغية الطالبين، لبيان الأشياخ المحققين المدققين)، ويروي أيضًا عن شيخ الإسلام الإمام عبد الله بن علوي الحداد وأسانيده مشهورة في أثبات السادة آل باعلوي.

نروي مروياته من طريق شيخنا أبي البركات محمد سعد بدران الدمياطي، عن البهاء القاوقجي، عن أبيه أبي المحاسن، عن محمد البهي الحسيني، عن الحافظ محمد مرتضى الزبيدي، عنه.

وأروي مروياته أيضًا من طريق شيخنا المسند محمد بن عبده بن سليمان الأهدل، عن شيخ الإسلام الحسن بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، عن العلامة المفتي أحمد الإدريسي بن محمد بن سليمان الأهدل، عن أبيه، عن جده الإمام شيخ الإسلام السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، عن والده السيد سليمان، عنه.

(فائدة): الإمداد للبصري، وبغية الطالبين للنخلي من عيون أثبات المتأخرين، عليهما مدار الرواية في زمنهما، قال العلامة السيد عبد الحي

الكتاني في: (فهرس الفهارس والأثبات): (علي ثبت النخلي وعلى إمداد البصري المدار في الإسناد في القرن الثاني عشر وما بعده؛ فإن البصري والنخلي انتهت إليهما الرياسة في زمانهما في الدنيا في هذا الشأن، لما حصلا عليه من العلو، والعمر المديد، والسمت الحديثي.

ولما ذكر الشيخ أبو اليسر فالح المهنوي ـ رحمه الله ـ في أول: (أنجح المساعي) له أن: علم الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة قد قويت شوكته، وارتفع له أعلى منار في ذلك بديارنا الحجازية، بوجود مسانيد الحجاز السبعة، أولهم: أبو مهدي الثعالبي، ويليه ابن سليمان الرداني، ويليه قريش الطبرية، ويليها أبو البقاء العجيمي، ويليه الشمس أحمد بن محمد النخلي، ويليه عبد الله بن سالم البصري)[1].

٤ ـ محمد أمين بن حسن بن محمد أمين بن علي المرغني المكي الحنفي[2]. توفي بمكة في شعبان سنة ١١٦١هـ.

وهو عم العلامة عفيف الدين أبي السيادة وقد سبق ذكره، أخذ عن العلامة عبد الله بن سالم البصري وكان مختصًّا به، كثير الملازمة له، نسخ بخطه كثيرًا من تقييدات البصري وحواشيه، ومن ذلك حاشيته وحاشية شيخه العلامة البصري على (تقريب التهذيب) للحافظ ابن حجر، وقد طبعهما معه شيخنا العلامة الشيخ المحدث محمد محمد عوامة[3].

(١) فهرس الفهارس /١/٢٥١/، وانظر: أنجح المساعي، في الجمع بين صفتي السامع والواعي /ص٦/ للعلامة فالح الظاهري، ط: دار الشريف، الرياض.

(٢) مختصر نشر النور والزهر /ص١٣٥/، أعلام المكيين /٢/٩٥٠/، معجم المؤلفين /٩/٧٢/، ونزهة الفكر، فيما مضى من الحوادث والعبر، في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر /١/٢١٧/.

(٣) انظر ترجمته في مختصر نشر النور والزهر /١/١١٢/، وأعلام المكيين /٢/٩٥٠/.

يروي عن جماعة منهم: عبد الله بن سالم البصري، وتاج الدين القلعي، وتاج الدين الدهان وغيرهم.

من تأليفه: (كشف القناع، عن تحرير الصاع)، و(إزالة الوهم، في جواز الصوم عند العجز عن رؤية الدم)، و(حاشية على شرح الزيلعي على كنز الدقائق)، و(حاشية على الدر المختار)، و(القول الأحرى، في وقوع الطلاق المعلق على نفقة العدة بالإبرا) وهي رد على رسالة المرشدي بعدم وقوع ذلك.

٥ ـ السيد شمس الدين محمد بن محمد سر الختم بن عثمان بن أبي بكر بن السيد عبد الله المحجوب المرغني الحسيني الحنفي المكي[١]. يروي عن: السيد أحمد زيني دحلان ت ١٣٠٤هـ، والبرهان إبراهيم السقا ت١٢٩٨هـ، وأبي المحاسن القاوقجي ت١٣٠٥هـ، والشمس محمد أبي خضير الدمياطي، والشمس محمد عليش المصري، والجمال بن عمر المكي، وعبد الله أمكنة الشهير بكوجك البخاري، وعبد المتعال بن أبي العباس أحمد بن إدريس.

ويروي عن محمد بن سلطان الصعيدي دفين أرض الحبشة، عن عثمان الإسنوي، عن الأمير الصغير، عن أبيه الأمير الكبير بما في ثبته.

ويروي عن علي الرهبيني ـ دفين اسطنبول ـ عن مشايخه: البرهان الباجوري، والعلامة مصطفى الذهبي، والعلامة مصطفى المبلط، ثلاثتهم عن الأمير الصغير، عن الأمير الكبير بما في ثبته.

ويروي عن والده السيد محمد الملقب سر الختم، عن والده السيد محمد عثمان، عن والده السيد أبي بكر وعمه السيد يس، كلاهما عن والدهما

(١) ترجم له الكتاني في فهرس الفهارس ٢/٥٥٦.

العارف السيد عبد الله المرغني، وهو عن عبد الله بن سالم البصري، وعن النخلي بأسانيدهما.

أما مروياته فإنه يروي ثبت ابن عابدين عن شيخه الشيخ جمال الدين بن عمر شيخ العلماء بمكة، ومفتي الحنفية بمكة، والشيخ عبد الله أمكنك المشهور بكوشك عنه.

ويروي ثبت الأمير عن شيخه محمد سلطان الصعيدي، عن الشيخ عثمان الإسنوي، عن الأمير الصغير عن أبيه الأمير الكبير.

ويروي ثبت محمد عابد السندي من طريق شيخه الشيخ محمد أبي المحاسن القاوقجي عنه.

نروي مروياته من طريق شيخنا محمد نمر الخطيب الحيفاوي، عن محمد حبيب الله الشنقيطي، عنه.

ومن طريق المسند السيد محمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، عن مسند الدنيا العلامة السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، عنه.

ومن طريق شيخنا الإمام علي جمعة، عن محمد ياسين الفاداني، عن محسن بن علي بن عبد الرحمن المساوى الحسيني الفلمباني ت١٣٥٤هـ، عن السيد محمد صالح بن علوي بن عقيل، عنه.

ومن طريق شيخنا السيد محمد الفاتح بن محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني، عن أبيه، وهو عن أبيه، عنه.

٦ ـ محمد عثمان (الختم) بن محمد أبي بكر بن عبد الله المحجوب

عفيف الميرغني المكي الحنفي[1]. ولد سنة ١٢٠٨هـ بالسلامة من قرى الطائف في الحجاز، وتلقى العلم بمكة، ثم انتقل إلى مصر، ومنها إلى السودان، فاستقر في بلدة أنشأها وسماها السنية، وقد سميت حديثًا بالختامية، جنوبي كسلا، وتوفي بالطائف في ٢٢ شوال ١٢٦٨هـ، ودفن في حوطة السادة المراغنة بالمعلا.

أخذ عن عمه السيد ياسين المرغني، والشيخ سعيد العامودي، والسيد أحمد عبد الكريم الهندي، والسيد أحمد عبد الكريم الأزبكي، ثم انقطع للشيخ أحمد بن إدريس، وتلقى عنه، ومما قرأه عليه جامع الأصول لابن الأثير.

وأفرد له الشيخ أحمد بن إدريس محمد النصيح كتابًا في ترجمته وأخباره، وقد سماه: (الإبانة النورية، في شأن صاحب الطريقة الختمية) وهو مطبوع.

من تأليفه: (تاج التفاسير، لكلام الملك الخبير)، (مصباح الأسرار، في الكلام على مشكاة الأنوار، في سيرة النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وله أيضًا: (شرح البيقونية في مصطلح الحديث) وقد كتبها في يوم كما أخبرني أحفاده.

ومن مؤلفاته كذلك: (الزهور الفائقة، في تعريف حقوق الطريقة الصادقة)، ومنها: (غنية الصوفية، في علم العربية)، ومنها: (مجموع الغرائب) ديوان شعر، و(النفحات المدنية، في المدائح المصطفوية)، و(الأنوار المتراكمة)، وكتاب: (رحمة الأحد، في اقتفاء أثر الرسول الصمد، أو رحمة المنان، في اقتفاء محمد بن عدنان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو شرح على مختصر جامع الأصول لابن الأثير.

---

(١) ترجم له النبهاني في جامع كرامات الأولياء /٢١٩/١/، كحالة في معجم المؤلفين /٢٨٦/١٠/، والزركلي في الأعلام /٢٦٢/٦/.

أما مروياته فإنه يروي عن العلامة الوجيه عبد الرحمن بن سليمان الأهدل بما في ثبته: (النفس اليماني) وغيره.

أروي مروياته من طريق شيخنا أبي البركات محمد بن سعد بن بدران الدمياطي، عن محمد بهاء الدين أبي النصر القاوقجي، عن أبيه أبي المحاسن، عنه.

وأروي مروياته أيضًا عن السيد عبد الرحمن بن محمد عبد الحي الكتاني، عن أبيه، عن السيد محمد بن محمد بن عثمان سر الختم السكندري، عن جده المذكور.

(ح) ويروي السيد محمد سر الختم عن: جد والدته أبي بكر بن إبراهيم، عن شيخه محمد عثمان.

(ح) ويروي أيضًا عن: والده محمد سر الختم، وعميه جعفر والحسن، وأبي المحاسن القاوقجي، كلهم عن جده محمد عثمان.

٧ ـ محمد ياسين بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المرغني الحنفي[1]. ولد بمكة ونشأ بها، وتلقى العلم على علماء الحرم، وتوفي سنة ١٢٥٥هـ، وقيل ١١٥١هـ، عن عمر يناهز السبعين، ودفن في حوطة المراغنة، بالمعلا، بمكة المكرمة، وهو شقيق السيد محمد أبي بكر المرغني، وقد عرض عليه منصب إفتاء الحنفية بمكة، فلم يقبله لشدة ورعه.

---

(١) ترجم له الكتاني في فهرس الفهارس /١١٣٧/٢/، ومختصر نشر النور والزهر/ص٤٩٢/، ونظم الدرر /ص١٥٤/، وأعلام المكيين /٩٥٣/٢/، وعقود اللآل /ص١٩١/، ونظم الدرر /ص١٥٤/، وترجم له يوسف بن محمد بن داخل الصبحي في كتاب: (وسائل الكرم، في تراجم أئمة وخطباء الحرم) /ص٤١٩/.

كان ـ رحمه الله تعالى ـ فقيهًا، بارعًا في علم الفرائض، ومن جملة تآليفه: (شرح نقاية العلوم للسيوطي)، ومنها (شرح الجوهر المكنون في البلاغة)، و(شرح على منسك ملتقى الأبحر)، اسمه: (المنتقى، على منسك الملتقى).

ومن تأليفه أيضًا: (فيض المنان، على جمع ابن سليمان) شرح على كتاب: (جمع الفوائد، في الجمع بين جامع الأصول ومجمع الزوائد) لمحمد بن سليمان الروداني، وقد اطلعت على مخطوطه، وهو كبير.

يروي عامة عن والده بأسانيده المذكورة سابقًا، وعن صالح بن محمد الفلاني بأسانيده التي ضمنها ثبته: (قطف الثمر) وهو مطبوع، ويروي عامة أيضًا عن عبد الله الشرواني، وعبد الغني هلال سنبل، وعبد الرحمن التادلي المغربي، وإبراهيم الفتني، وحسن بن محمد علي، وعبد الرحمن الدياربكري، وعثمان الشامي، ومصطفى زين الدين بن محمد بن رحمة الله الأيوبي الخزرجي الشهير بالرحمتي، وأحمد جمل الليل المدني، وعثمان بن خضر البصري، ومحمد طاهر سنبل، وعبد الملك القلعي، ومحمد الجيلاني السباعي، وأحمد بن عمار الجزائري عن مشايخهم بما في أثباتهم.

نروي مروياته عن الإمام الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف، عن أبيه، عن الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، عن أبيه، عنه.

(ح) ومن طريق الحبيب هود ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، عن الحبيب سالم بن حفيظ صاحب (منحة الإله)، عن الحبيب عيدروس بن عمر بسنده المذكور.

(ح) وعن شيخنا السيد محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، عن السيد عبد الحي الكتاني، عن عبد الرزاق البيطار، عن يوسف الحسني المغربي، عنه.

وبه تم الجزء المسمى: **(فتح الغني، في أسانيد السادة آل الميرغني)**، وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

❁ ❁ ❁

❁ العلامة الفقيه الأصولي، المتفنن المتقن، الإمام الجليل الشيخ: محمد بن هاشم بن محمود بن عمر السيوطيُّ الأزهريُّ الحنفيُّ.

شيخنا، الإمام الفقيه، الأصولي، اللغوي، المفسر، المطلع، التقي الصالح الورع، كان ﷺ مهيبًا وقورًا، مطلعًا على سير الفقهاء وأنماط حياتهم، ما رأيته قط ضحك فارتفع له صوت، بل كان ضحكه التبسم، مع النبل والجلال، وحدة الذكاء والفطنة، وسعة الاطلاع في مختلف الفنون، مع توقير شعائر الله، والخلق الرفيع، والأدب الجم، وكثرة التعبد والذكر، مع الزهادة والانصراف عن اللغو، فكنتُ إذا رأيتُه كأني به واحدٌ من التابعين، تأخر زمانه إلى أيامنا هذه، في سمته، وهديه، وهيأته، وربانيته.

فهو البدرُ الساطع في سماء العلوم إذا اشتدت دياجِيرُها، وهو الكنز الثمين إذا عزَّت الكنوز وجُهِلَتْ مقادِيرُها، وهو العَلَمُ الخَفَّاقُ إذا طُويتْ ألويةُ العلوم وخَفِيَتْ تَباشِيرُها، وهو الحبر المتضلع من علوم الشريعة على نمط الأقدمين، والإمام التقي الورع السالك إلى الله تعالى على قدم التمكين.

ولد بمدينة أسيوط في يوم الأربعاء ٦ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ الموافق

٢١/١/١٩٥٣م، وأتمَّ حفظ القرآن وهو ابنُ اثنتي عشرة سنة، وتلقى العلم على علماء معهد أسيوط الديني، أيام أن كان معمورًا بعدد من العلماء المتبحّرين.

فمن شيوخه الذين تلقى عنهم الفقه وغيره من علوم الأزهر: العلامة الشيخ جمعه صالح، وحافظ الفقه الحنفي العلامة الشيخ مصطفى بشنك، والعلامة الضليع الفقيه المدقق الشيخ عبد الحميد الغفاري، والعلامة الجهبذ حسنين بخيت، وقد كانت المذاهب الأربعة على طرف لسانه، والشيخان الجامعان لأشتات العلوم الشيخ علي محمد نصر، والشيخ محمود حمدي، رحم الله تعالى من انتقل منهم رحمة واسعة، ولم يزل الشيخ حتى صار رئيسًا لقسم الفقه العام بكلية الشريعة والقانون بأسيوط، وكان يخطب الجمعة في مسجد السلطان في مدينة أسيوط، فيكون المسجد في كل جمعة ملتقى للعلماء وطلبة العلم، وكان في أواخر أيامه يشرح في كل جمعة حديثًا من صحيح البخاري، وعلى كلام الشيخ من الطلاوة والوضاءة والبهاء ما عليه.

وكان ﵁ يحبوني ويكرمني، ويخصني بمجلسٍ أخلو فيه إليه، لقراءة الحديث والأصول، فلزمته على هذا الوصف بضع سنوات، قرأت عليه فيها من أول صحيح مسلم إلى آخر كتاب النذور، ونحو النصف من الموطأ رواية محمد بن الحسن، وحضرتُ عليه في نسمات الأسحار لابن عابدين، ثم قرأت عليه قطعة صالحة من متن المنار، وانتفعت به مالم أنتفع بغيره.

كنت أقرأ عليه مرة من صحيح مسلم فعَبَرَ علينا حديثٌ من رواية ابن عمر ﵄، فأوقفني الشيخ وقال لي: «وقد رأيت فيما يرى النائم عبد الله

بن عمر، وأبا بكر وعمر، لأني أحب عبد الله بن عمر»، قلت: ولا تكاد تنحصر المرائي الحسنة، والمبشرات المنامية العظيمة، التي رآها جماعة من الناس للشيخ ﵁، ولو لم يكن إلا ما رأيته بنفسي لكفى، ولا نزكي الشيخ على الله تعالى.

وحدثني أحد إخواني ممن أثق في صلاحه وديانته أنه زار الشيخ مرة فسأله عن الفقير كاتب هذه السطور، فقال الشيخ: نعم، يتردد عليَّ لقراءة الحديث، فلا أزال أجد لمجلسه أثرًا إلى مدة شهر بعدها، فعجب الزائر وسأل الشيخ: أتراه يقرأ شيئًا من الرقائق؟!! قال الشيخ: لا، بل يقرأ الحديث.

قلت: فهذا من كمال إجلال الشيخ للحديث الشريف، وقد رأيت ذلك منه عيانًا، فكان إذا بدأ المجلس بالحمد والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ انطلقت أقرأ، وهو يعلق تعليقاتٍ مهمات، على ما يحتاج إلى تعليق، فإني لأجد للمجلس هيبةً ووقارًا، وأرى منه تعظيمًا لحديث رسول الله ﷺ.

أما مؤلفاته ﵁ فقد كان مقلًّا في التأليف، ولو توجه إلى التحرير بما يوازي علومه لأتى بالعجب العجاب، فمنها كتاب اسمه: (مقارنات، في فقه العبادات)، وكتاب: (الفقه الجنائي في الإسلام)، مطبوع في جزئين، وكتاب: (الاعتكاف في الفقه الإسلامي)، ومن مؤلفاته أيضا: كتاب (صيغة العقد في الفقه الإسلامي)، وكتاب (أحكام المرتد)، وكتاب (مسقطات الحدود)، وكتاب (مدى ثبوت حق الملكية على أصل وفروعه وتوابعه)، وكتاب (الإيلاء في الشريعة الإسلامية)، وكتاب (النقود في الشريعة الإسلامية)، وكتاب (أحاديث الأحكام)، وكتاب (آيات الأحكام).

وفي السنوات الأخيرة من حياة الشيخ رحمه الله كان ينعقد مساء الاثنين من كل أسبوع مجلسٌ كريم، يحضره شيخنا صاحب الترجمة، وشيخنا العلامة الشيخ أحمد عبد العزيز السيد الإسنوي، وشيخنا العلامة الشيخ مصطفى اليداك، لقراءة كتاب الشفا للقاضي عياض، والمواهب اللدنية، وشرح حكم ابن عطاء الله، وكتب أخرى كثيرة، ويحضر بعض الخاصة من طلبة العلم الأفاضل، فكنت أتشرف بالحضور في الأوقات التي أنزل فيها أسيوط؛ إذ لم أكن وقتها مقيمًا، فحدِّث ما شئت عن الجلال واللطف والأنس والإفادة، ألا رحم الله تعالى من مضى إليه من تلك الذوات، وأَنْعَمَ على من بقي حيًّا بوافر الصحة والعافية.

(وذكّــرني حلــو الزمــان وطيبُــهُ ... مجــالسَ قــومٍ يمــلأون المجالســا
حديثًا، وقرآنًا، وفقهًــا، وحكمــة ... وبـرًا، ومعروفًــا، وإلفًــا مُؤانسـا)

وقد سمعت منه الحديث المسلسل بالأولية مرات، وأجاز لي غير مرة شفاهًا وكتابةً، بل هو أول شيخ أجاز لي، فأجازني مرةً كتابة على ظهر ثبت العلامة الفقيه الشيخ إسماعيل عثمان الزين المسمى: (صلة الخلف) تاريخها ٥ ربيع الأول ١٤٢٠هـ، ومرةً مشافهة مساء الثلاثاء عاشر صفر ١٤٢٣هـ، ثم مرات أخرى كثيرة، واستجزت منه لجماعة من أهل العلم وطلبته فأجاز لهم.

وهو يروي عن ١ ـ العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ت١٤١٧هـ، بما في ثبته: «إمداد الفتاح»، ٢ ـ والفقيه العلامة محمد عاشق إلهي البرني الحنفي ت١٣ رمضان ١٤٢٢هـ، بما في ثبته: «العناقيد الغالية»، وقد قرأ شيخنا عليه من أول صحيح البخاري إلى أوائل كتاب الجمعة،

وأوائل الكتب الستة، وأول الموطأ برواية يحيى الليثي، ورواية محمد، وقرأ عليه مسلسل الأولية، والمسلسل بسورة الصف، وسمع من الشيخ السورة، ٣ ـ والعلامة الفقيه إسماعيل عثمان زين الشافعي ت١٤١٤هـ، بما في ثبته: «صلة الخلف»، ٤ ـ العلامة الفقيه حبيب الله قربان علي المظاهري الحنفي، وعليه قرأ صحيح مسلم كله إلا حديثًا أو حديثين فبقراءة غيره، وقرأ عليه الجزء الأول والثاني وبعض الثالث من سنن أبي داود، ٥ ـ والعلامة الشيخ اشتياق أحمد الأستاذ بالمدرسة الإسلامية، بجامعة العلوم مظفر بور بهار، وهو أخذ عن شيوخ، منهم السيد فخر الدين أحمد، تلميذ شيخ الهند محمود الحسن، ومنهم الشيخ فخر الحسن المراد آبادي الديوبندي، ٦ ـ وفضيلة الشيخ أحمد مختار رمزي الحنفي، وأسانيده في ترجمته من هذا الكتاب، ٧ ـ وتدبج مع الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري، وأسانيده في ثبته: «الجواهر الغالية»، ٨ ـ وتدبج مع العلامة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل الحنبلي، وأسانيده في ثبته: «فتح الجليل»، وكان العلامة الفقيه المعمر الشيخ عبد الله بن عقيل قد نزل أسيوط هو وولده الشيخ عبد الرحمن، وحفيده فضيلة الشيخ الفقيه أنس العقيل، وكان ذلك بدعوة من الفقير، حتى انعقد مجلسٌ علمي لطيف في مكتب قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط، ضحوة الخميس ٢٦ شوال١٤٢٥هـ، ٨ ديسمبر ٢٠٠٤م، بحضور أستاذنا العلامة الشيخ محمد هاشم محمود عمر الحنفي، صاحب هذه الترجمة، وأستاذنا وشيخنا العلامة الشيخ أحمد محرم الشيخ ناجي، وشيخنا العلامة الشيخ مجاهد محمد هريدي، والدكتور رزق سيد عبد القادر، والدكتور مختار مرزوق، وإخواننا أصحاب الفضيلة: ريان أحمد محرم الشيخ، ومصطفى أبوزيد محمود، وعلي حسن العشري، ومحمود حسن

محمد، والفقير كاتب هذه السطور، وكان معنا جزء حديثي خرجه الشيخ محمد بن ناصر العجمي للشيخ عبد الله العقيل، فيه أربعون حديثًا في فضل المساجد وعمارتها من أسانيد الشيخ حفظه الله، فقرأ أستاذنا الشيخ محمد هاشم الحديث الأول منها، وأجاز الشيخ لمن في المجلس بما في جزئه هذا وبعامة ما له، ثم طلب العلامة العقيل الإجازة من شيخنا العلامة الشيخ محمد هاشم فأجاز له.

وكان آخر ما وصلني من شيخنا ﷺ قبيل وفاته بخمسة أيام رسالة كريمة منه، نصها: (وفقك الله، وأعلى مراتبك)، فرضي الله عن الشيخ، ورفع في الجنة درجته، وقد انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد ١٦ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٨ من شهر أكتوبر ٢٠٠٧م، وصلى الناس عليه في الجامع الأموي، وهو أكبر مساجد مدينة أسيوط، فقدر المشيعون لجنازته بثلاثين ألفًا.

* * *

۞ الإمام الحافظ، المجدد العلامة، المحدث اللغوي، النسابة، السيد: أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي الحسيني الحنفي.

ولد في بلجرام من الديار الهندية سنة ١١٤٥هـ وبها نشأ، وتلقى على أعلامها، ثم نزل زبيد وأقام بها زمانًا، ثم نزل مصر سنة ١١٦٧هـ، قال السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس): (هذا الرجل نادرة الدنيا في عصره ومصره، ولم يأت بعد الحافظ ابن حجر وتلاميذه أعظم منه اطلاعًا، ولا أوسع

روايةً وتلماذًا، ولا أعظم شهرة، ولا أكثر منه علمًا بهذه الصناعة الحديثية وما إليها)[1].

وقال أيضًا: (ويظهر من ترجمته وآثاره أن هذه الشعلة المضيئة من علوم الرواية الموجودة الآن في بلاد الإسلام إنما هي مقتبسة من أبحاثه وسعيه، وتصانيفه ونشره، وإليه فيها الفضل يعود، لأنه الذي نشر لها الألوية والبنود).

قلت: بل للأمر من وراء ذلك سياق طويل، فقد شهد القرن الثالث عشر كوكبة من الأعلام خدموا الفن الحديثي ونهضوا به كما نهض سابقوهم، إلا أن ملمحًا متميزًا قد برز في طبيعة دراساتهم، فقد اشتغل غير واحد منهم بالنقد والجرح والتعديل والكلام على الأسانيد صحةً وضعفًا، ولا أدري هل كانت هذه البوادر تجاوبًا مع حركة الإحياء التي برزت في الهند على يد الشاه ولي الله الدهلوي؟ أو أنها مسار آخر مستقل؟ فقد لاحت لي روابط دقيقة بين أعلام العرب في الديار المصرية وما حولها وبين مدرسة الشاه الدهلويِّ ـ رحمه الله ـ، من ذلك أن الإمام الحافظ المرتضى الزبيدي ـ وهو عندي أشهر رجالات القرن إحياءً وتجديدًا في الحديث واللغة ـ قد تتلمذ زمانًا على الشاه الدهلويِّ، بل كان الدهلويُّ من أوائل من أخذ عنهم الزبيديُّ.

قال العلامة السيد عبد الحي الكتانيُّ في: (فهرس الفهارس): (فقد ولد في بلجرام بالهند، وكان أول اشتغاله على المحدث محمد فاخر بن يحيي الإلهابادي، والشاه ولي الله الدهلوي، فسمع عليه الحديث، وأجازه، ثم

(١) فهرس الفهارس والأثبات ١/٥٣٨/.

ارتحل لطلب العلم، فدخل زبيد، وأقام بها مدة طويلة، حتى قيل له: الزبيدي، واشتهر بها)[١].

قلت: فالدهلوي إذن من أوائل من تلقى عنهم مرتضى، فتفتح عقله على معرفة الحديث وفق منهج الدهلوي، القائم على العناية بالدليل، والتصحيح والتضعيف، فكانت دروس الدهلوي وتوجيهاته هي التي تصوغ عقلية الزَّبيدي، وتحدد له مسالك الفن ودروبه، مما جعل مرتضى ـ رحمه الله تعالى ـ مرتبطًا بتلك القواعد والمسالك في كل بحوثه ودراساته مدة حياته المباركة، والتعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

وإذا صح هذا فإن فضل الشاه الدهلويِّ في إحياء الحديث ليس مقصورًا على الديار الهندية فقط، بل وصل منهجه إلى قلب ديار الإسلام، قبل أن تصل إليها تآليف تلامذته، وخريجي مدرسته، بزمان طويل، متمثلًا في شخص الحافظ مرتضى، بما له من دور كبير قدر له القيام به، في إحياء الحديث في ديار مصر وما جاورها من ديار.

والمطالع لأثر الحافظ الزبيدي، المتمثل لأبعاد شخصه وتآليفه يعلم مقدار المنة التي تفضل بها الشاه الدهلوي على أهل القرون التالية له، إضافة إلى عظيم أثره في إرساء النهضة الحديثية في الهند على ما تقدم ذكر طرف منه.

قال العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس): (وهو ـ يعني الشاه الدهلوي ـ ممن ظهر لي أنه يعد من حفاظ القرن الثاني عشر لأنه ممن رحل ورُحِل إليه، وروى وصنف واختار ورجح، وغرس غرسًا بالهند أطعم وأثمر وأكل منه خلق، وقد فاتنا ذكره في برنامجهم السابق،

(١) فهرس الفهارس والأثبات ١/٥٢٧.

ويكفي في ترجمة ولي الله المذكور أن ممن تخرج به الحافظ الزبيدي، فإنه أخذ عنه في الهند قبل رحلته إلى البلاد العربية)[١].

وقال الدكتور عبد الله العزباوي في كتابه: (الفكر المصري في القرن الثامن عشر): (وفي أواخر القرن الثامن عشر تأثرت مصر بمدرسة الحديث الهندية، التي كانت أكثر المدارس الإسلامية نشاطًا في ذلك الوقت، وقد بدا هذا التأثير واضحًا عندما جاء الشيخ محمد مرتضى الزبيدي، اليمني الأصل، ت١٢٠٥هـ ـ ١٢٩١م إلى مصر في عام ١١٦٧هـ ـ ١٧٥٤م، الذي أقام فترة في الهند، وأخذ عن شاه ولي الله الدهلوي، الذي كان ينادي ويدعو إلى عدم أخذ كتب المذهب الحنفي على علاته دون نقد أو تمحيص، ويرى ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة، وأن ينظر إلى أقوال الفقهاء بعين البحث والتحقيق، وكان دائمًا يسعى إلى التوفيق بين مذاهب الأئمة، فإن تعذر عليه ذلك أخذ ما يوافق الأحاديث الصحيحة ورجحه على غيره، وقد طبق طريقته تطبيقًا ناجحًا في كتابيه حجة الله البالغة، والإنصاف، في بيان أسباب الاختلاف.

ولقد كان لتلمذة الزبيدي في شبابه على هذا الشيخ أثر كبير في تكوينه الفكري، فقد تأثر به وبطريقته وبمنهجه، وعني كما عني أستاذه بالحديث، وتعمق في دراسة كل العلوم المتصلة به من أنساب، ولغة، وفقه، وأصول)[٢].

قلت: والحق أن الحافظ الزبيدي قد جمع أدوات الإحياء وآلاته، فقد أحاط بمفصل اللغة، وعمل على تثويرها، وتقريبها إلى الأوساط المختلفة،

(١) فهرس الفهارس والأثبات ٢/١١٢٢.

(٢) الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد/ص٢٠/ن ط: دار الشروق.

من أهل العلم والأعيان وغيرهم، فشرح القاموس المحيط شرحًا ضخمًا، أقام في تأليفه أربع عشرة سنة، وأولم وليمة كبيرة عند ختمه، حضرها طلاب العلم، والعلماء، والأعيان، فبذل له فيه محمد بك أبو الدهب مائة ألف درهم فضة، ووضعه في خزانة كتب مسجده المقابل للأزهر الشريف، بل إن عبد الرزاق أفندي الرئيس من الديار الرومية حضر إلى مصر وسمع به فحضر إليه والتمس منه قراءة مقامات الحريري، فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس مسجد شيخون ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية، فانظر إلى بُعد الأثر في إحياء اللغة التي هي الأداة الأولى في إعادة ربط الأمة بالكتاب والسنة ونزولهما المنزل المطلوب هدايةً وتوجيهًا.

أما عن الإحياء الكبير الذي قام به في الحديث وعلومه فلعل أهم معالمه التكامل في الفنون الحديثية جرحًا وتعديلًا وتصحيحًا وتضعيفًا، ثم فقهًا ودرايةً، ثم عنايةً بأسانيد مشايخه وأثباتهم ومروياتهم، حتى جاوز شيوخه الذين لقيهم في سياحته وأسفاره وتواصل معهم مكاتبة الألف.

وأما عن ترجمة الحافظ مرتضى فقد ترجم له العلامة السيد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس والأثبات) ترجمة حسنة، مشحونة بالفوائد، وترجم له تلميذه الجبرتي في تاريخه، والوجيه الأهدل في: (النفس اليماني)[1].

وقد أفرد ترجمته بالتصنيف أحد متأخري المصريين، وهو محمد إبراهيم فني المصري في جزء صغير سماه (الجوهر المحسوس، في ترجمة صاحب شرح القاموس)، وأفرد أسانيده بالتصنيف العلامة أبو رأس المعسكري في جزء سماه: (السيف المنتضى، في أسانيد الشيخ مرتضى).

(١) فهرس الفهارس والأثبات /١/٥٢٦/، تاريخ الجبرتي /٢/٢٨٨/، النفس اليماني /ص٢٣٩/.

أما مؤلفاته في الصنعة الحديثية من حيث هي فمنها: (بلغة الأريب، في مصطلح حديث الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، (القول الصحيح، في مراتب التعديل والتجريح)، (رفع الكلل، عن العلل) وهي أربعون حديثًا انتقاها من علل الدارقطني وتكلم عليها، و: (تخريج أحاديث الأربعين النووية)، ورسالة في: (طبقات الحفاظ)، و: (الأزهار المتناثرة، في الأحاديث المتواترة)، و: (بذل المجهود، في تخريج حديث شيبتني هود)، و: (الجواهر المنيفة، في أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة)، رسالة في: (تحقيق لفظ الإجازة)، (جزء في طرق حديث: «نعم الإدام الخل»)، (جزء في طرق حديث: «اسمح يسمح لك»)، (الروض المؤتلف، في تخريج حديث: «يَحْمِلُ هذا العلمَ من كُلِّ خلف»)، (العقد الثمين، في حديث: «اطلبوا العلم ولو بالصين»).

ولعل أهم أعماله الحديثية كلامه على أحاديث إحياء علوم الدين في كتابه: «إتحاف السادة المتقين»، فإنها أوسع أعماله التي تكلم فيها على الأحاديث قبولًا وردًّا.

أما تآليفه في صنعة الإسناد فقد خرج لنفسه عددًا من الأثبات والمعاجم والمشيخات والمسلسلات وأهم ذلك: (ألفية السند) في ذكر شيوخه وأسانيدهم في ألف وخمسمائة بيت، وقد ألف شرحًا لها في عشر كراريس، يقول في مطلعها:

يقول راجي عفو ربي والرضا ... محمدٌ، هو الشريف المرتضى

إلى أن قال:

وهـــذه ألفيـــةٌ منيفـــة ... منظومـــةٌ رائقـــةٌ ظريفـــة

ضمنتها مـالي مـن الإسـناد   عن الشيوخ السادة الأمجاد

ممـن لقيتـه مـن الأخيـار   في سـائر البلدان والأقطـار

أوردتهـم فيهـا على الـولاء   في نسـق يشرف بالثنـاء

وربمـا ذكـرت مـن أجـازا   كتابـةً وذاك شيء جـازا

بالاتفـاق قيـل لَمَّـا قَلّـوا   ﴿إِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فطـلٌّ﴾

إلى أن قال:

وقلَّ أن تـرى كتابًـا يُعْتمـدْ   إلا ولي بـه اتصـالٌ وسـندْ

أو عالمـاً إلا ولي إليـه   وسـائط تـوقفني عليـه

وقد عارضه وحاكاه في ذلك من المعاصرين شيخنا العلامة الأصولي البلاغي المسند الشيخ أكرم عبد الوهاب محمد أمين الموصلي، فقد أنشأ ألفيةً في ذكر شيوخه وأسانيده، ثم شرحها في كتاب اسمه: (الإمداد، بشرح منظومة الإسناد)، في ثلاثة عشر جزءًا، طالعت منها عشرة أجزاء.

وللعلامة السيد محمد رضا الحسيني الجلالي بحث قيم عنوانه: (ديوان الإجازات المنظومة)، جمع فيه ما صدر من الإجازات الشعرية في الحضارة الإسلامية، وقد نشر في مجلة تراثنا، العدد ٣٥، ٣٦، السنة التاسعة، ربيع الآخر ـ رمضان، سنة ١٤١٤هـ.

فصل

وقد تبين لي أن ألفية السند لها نَسَبٌ عريق تفضي إليه، وأنها متولدة من نظم سالفٍ، لإمام جليل، تأثر به الحافظ مرتضى، وتبين لي أنه لم يبتكر

موضوعها ونسقها ابتكارا، بل تأثر فيها بنظمٍ سابقٍ، حتى كأن مرتضى قد التقط منه فكرة ألفية السند، ثم أنشأ ألفيته نضيجةً تامةً، على غرار منظومة ذلك الإمام.

وذلك أن السيد الشريف المفضال علي بن حسن بن زين بلفقيه باعلوي قد أطلعني مشكورًا على منظومةٍ لجده الإمام الحجة العلم الوجيه، الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ، اسمها: (يمنة المُدارس، وزينة المَدَارس)، فقرأتها معه من أولها إلى آخرها، فإذا بالحافظ مرتضى قد تأثر به في غير ما بيت، مما يقطع معه الناظر أن الحافظ مرتضى قد اطلع على منظومة (يمنة المدارس)، وأنه رام محاكاتها، وهذا المبحث مهم جدا، لمن له اشتغال بموارد المؤلفين في مؤلفاتهم، والقيامِ بتنسيب الأفكار والتآليف والقضايا، وهذا بابٌ من العلم نفيسٌ، تنكشف به الأطوار التاريخية للمسألة أو الكتاب، ويتبين به كيفية التطور الزمني للمسألة، وما تراكم فيها من التحقيقات والتنقيحات عند أربابها.

فأول وجوه الشبه بين النظمين هو اتفاق الموضوع، فمنظومة (يمنة المدارس) للإمام الوجيه ممحضةٌ لنظم أسماء شيوخه، مع التصريح فيها بالإجازة للآخذين عنه، ثم وصايا لكيفية طلب العلم، وألفية الحافظ مرتضى في نظم أسماء شيوخه ومجيزيه، مع بيان سلاسل أسانيدهم، ثم إن الوجيه الإمام عبد الرحمن بلفقيه متقدم، فقد توفي في جمادى الآخرة، سنة ١١٦٢هـ كما سجلته من لفظ حفيده المذكور، ضاعف الله لي وله الأجور، وقد ولد الحافظ مرتضى سنة ١١٤٥هـ، وتوفي سنة ١٢٠٥هـ، كما أن من أجل تلامذة الوجيه بلفقيه هو الإمام العلم الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس، وهو أجل شيوخ الحافظ مرتضى، فلا شك أن منظومة (يمنة

المدارس) قد وصلت إلى المرتضى عن طريق شيخه الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى، ولعل الإمام ابن مصطفى كان كثير اللهج بها، فسمعها منه مرتضى، فالتقط منها فكرة إنشاء نظم في أسانيده هو، ثم إن من وجوه الشبه التفصيلي بين النظمين أن أبياتا تكاد تكون قد وردت بنصها في النظمين، فقال الوجيه بلفقيه:

لكن أجاز سائر الأنواع ... من بعدهم فصار كالإجماع

قالوا لعجز الناس عما قلوا ... إن لم يصبها وابل فطلُّ

وقال الحافظ مرتضى:

وربما ذكرت من أجازا ... كتابة وذلك شيء جازا

بالاتفاق قيل لما قلوا ... إن لم يصبها وابل فطل

وقال الوجيه بلفقيه:

وقلَّ أن يُرى كتابٌ يُعْتمدْ ... أو عالما إلا ولي منه سندْ

وقال الحافظ مرتضى:

وقلَّ أن ترى كتابًا يُعْتمدْ ... إلا ولي به اتصالٌ وسندْ

فصل

وإليك نصًّا طويلًا في إبراز ملامح من تجديد السيد مرتضى في إحيائه الفنون الحديثية على اختلافها، قال الجبرتي: (ولم يزل المترجم يخدم العلم ويرقى في درج المعالي ويحرص على جمع الفنون التي أغفلها المتأخرون، كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث واتصال طرائق المحدثين المتأخرين

بالمتقدمين، وألَّف في ذلك كتبًا، ورسائلَ، ومنظوماتٍ، وأراجيز جمّة.

ثم انتقل إلى منزلٍ بسويقة اللالا، تجاه جامع محرم أفندي، بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي، وذلك أوائل سنة تسع وثمانين ومائة وألف، وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرةً بالأكابر والأعيان، فأحدقوا به، وتحببوا إليه، واستأنسوا به، ورغبوا في معاشرته لكونه غريبًا، وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم، ويعرف اللغة التركية والفارسية بل وبعض لسان الكرج، فانجذبت قلوبهم إليه، وتناقلوا خبره وحديثه.

ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف، في ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة، وكل من قدم عليه يملي عليه الحديث المسلسل بالأولية وهو حديث الرحمة برواته ومخرجيه ويكتب له سندًا بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك.

ثم إن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه، وطلبوا منه إجازة، فقال لهم: «لابد من قراءة أوائل الكتب»، واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس، تباعدًا عن الناس، فشرعوا في قراءة صحيح البخاري، وصار يملي على الجماعة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثًا من المسلسلات، أو فضائل الأعمال، ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه، ويُتْبِعُه أبياتًا من الشعر كذلك، فيتعجبون من ذلك؛ لكونهم لم يعهدوها فيما سبق في المدرسين المصريين.

وافتتح درسًا آخر في مسجد الحنفي، وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر فازدادت شهرته، وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته، لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم.

ودعاه كثيرٌ من الأعيان إلى بيوتهم، وعملوا من أجله ولائم فاخرة، فيذهب إليهم مع خواص الطلبة، والمقرئ، والمستملي، وكاتب الأسماء، فيقرأ لهم شيئًا من الأجزاء الحديثية، كثلاثيات البخاريِّ، أو الدَّارِميِّ، أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة، وصاحب المنزل، وأصحابه وأحبابه وأولاده، وبناته ونسائه خلف الستائر، وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي ﷺ على النسق المعتاد، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين، حتى النساء، والصبيان، والبنات، واليوم والتاريخ، ويكتب الشيخ تحت ذلك: «صحيح ذلك»، وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق، كما رأيناه في الكتب القديمة).

قال الجبرتي في تاريخه: (إني كنت مشاهدًا وحاضرًا في غالب هذه المجالس والدروس، ومجالس أخر خاصة بمنزله، وبسكنه القديم بخان الصاغة، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق، وأماكن أخر، كنا نذهب إليها للنزاهة، فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها)[1].

ثم قال الشيخ الجبرتي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ذلك: (وطار ذكره في الآفاق وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة وكثرت عليه الوفود من كل ناحية... إلخ).

قلت: إذا أراد الله أمرًا هيَّأ أسبابه، فانظر، كيف أنَّ الحقَّ سبحانه لما أراد إحياء الحديث وعلومه على يد الزبيدي جمع الناس حوله، وجعل كل

(١) تاريخ الجبرتي /٢/٢٩٣/.

شيء فيه داعيًا إلى الإقبال عليه، من إجادته اللغات المختلفة، وطرافة ملبسه، ثم بروزه على الناس بإحياء مجالس إملاء الحديث التي ماتت بموت الحافظ السيوطي، وإحيائه لاصطلاحات حديثية ماتت قبله بقرون، كالمقرئ، والمستملي، وكاتب الطباق، وكيف أن فئات المجتمع المختلفة من: أعيان، وأمراء، وطلبة علم، وملوك، وعلماء، حتى النساء في المخادع، والأطفال في البيوت، شهدوا انبعاث الحديث، ورأوه عيانًا في مجالسه ـ رحمه الله ـ، فضلًا عن إحيائه مجالس إملاء الحديث ذاتها، وهذا نمط حديثي قديم، مات بموت الأقدمين من الحفاظ، قال الحافظ الشمس الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في (الموقظة): (وكان الحفاظ الأقدمون يعقدون مجالس الإملاء، وهذا عُدِمَ اليوم)[1].

وقد قال هو ـ رحمه الله تعالى ـ في (المعجم المختص) في ترجمة العلامة محمد ابن الإمام الشهاب أحمد بن حسن الجوهري: (وحينئذ وَصَلْتُ برسم السلام عليه، فإذا هو يقرئ صحيح مسلم، وبين يديه جماعة من طلبته، فحضرتُ ذلك المجلس، وكتبت صورة سماعٍ على حاشيةِ نسخةِ مَنْ كان بجانبي، وقيدت التاريخ، وضبطت المسموع، فلما رأى ذلك تعجب مع الحاضرين، وما ذلك إلا لكونهم منذ زمان قد أخلّوا بطريقة المحدثين في السماع والإسماع)[2].

فتأمل مقدار ما أحياه الله تعالى على يده من رسوم أهل الحديث، وسَمْتِهم، وعوائدهم، والآداب والأعراف العلمية التي كانت شائعة عندهم، ثم تناساها الناس حتى أحيا هو منها حظوظًا، فرحمه الله رحمة واسعة.

(١) الموقظة /ص٦٧/.
(٢) المعجم المختص /ص٦٥٣/.

فصل

وكأنَّ الأسانيدَ كانت تُسْتَبْقَى له ـ رحمه الله ـ، وتُمْسَكُ عليه في البلدان حتى يدركها، كما قيل في حق الحافظ الجليل: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل الهروي الأنصاري الماليني الصوفي، المعروف بطاووس الفقراء، قال الحافظ الأمير أبو نصر ابن ماكولا في: (الإكمال): (وأبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل الماليني، كان جوَّالا مكثرًا، قال لي أبو إسحاق الحبال: كأنَّ الإسنادَ كان يُمْسَكُ له في البلاد حتى يدركه)[١]؛ فقد أدرك المرتضى الزبيدي مشيخة واسعة جدًّا، ونقَّب عن أهل الإسناد، وكاتَبَهم، واستدعى منهم الإجازة لنفسه ولغيره، وروى عن كبار الشيوخ من الهنود، واليمنيين، والمصريين، والشوام، والمغاربة، وقيد التراجم، وخرج لنفسه ولغيره الأثبات والمشيخات، وكثرت مسموعاته ومروياته، وعقد مجالس الإملاء، فكان قائمًا بمعالم صنعة الإسناد في زمانه، على نحو لا ينازعه فيه أحد.

وكان المألوف عند أهل الحديث في شأن الحفاظ الذين كثر مشايخهم، واتسعت دائرة روايتهم، أن ينهض تلامذتهم ومن بعدهم في تخريج معاجمهم؛ ولا يكاد هذا الباب ينحصر في الأقدمين، وكان الزبيدي نفسه من هذا النمط، فقد خرَّج مشيخةً حافلة للحافظ محمد علاء الدين البابلي ت١٠٧٧هـ، ولكن لم يقع هذا في شأن شيوخ الزبيدي نفسه، وكأنه قد وقع اعتماد أهل هذا الفن في جمع شيوخه ومروياته على حصيلة تصانيفه هو، فقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ مكثرًا من كتابة الإجازات، المطولة والمختصرة، وتخريج

(١) الإكمال /٣/١٧٩/.

المشيخات لنفسه ولغيره من مشايخه ومشايخ مشايخه، ويكفي في ذلك ما جمعه في: (ألفية السند)؛ فإنها نمط فريد في المشيخات، ويضاف إلى مشايخه المذكورين فيها من أضافهم في: (المعجم المختص)، إلا أن الذي نشط لإفراد أسانيد السيد مرتضى بالتصنيف هو حافظ المغرب العلامة أبو رأس المعسكري في جزء سماه: (السيف المنتضى، في أسانيد الشيخ مرتضى)، ثم من بعده ما جمعه العلامة السيد عبد الحي الكتاني في ترجمة الزبيدي من: (فهرس الفهارس).

وقد كثر كذلك تلامذة الحافظ مرتضى، من الأقطار المختلفة، والأصقاع النائية، وتوفرت دواعي علماء زمانه على السعي في تحصيل أسانيده، والرواية عنه، ولو أن أحدًا نشط في جمع تأليفٍ في طبقات أصحاب الزبيدي، والراوين عنه لكان حسنًا، لاسيما وقد جمع هو معجمًا لشيوخه وأقرانه وتلامذته اسمه: (المعجم المختص)، فلو أن أحدًا جمع معجم تلامذته وأصحابه لكان نظير ما قام به الحافظ ابن الأبار الأندلسي، فقد جمع معجمًا لأصحاب الإمام الفقيه أبي بكر ابن العربي الإشبيلي، قال في ترجمة أحمد بن محمد بن يونس من كتابه الجليل: (التكملة، لكتاب الصلة): (وقد ذكرته في معجم أصحاب ابن العربي، من جمعي)[١]، كما جمع ابن الأبار أيضًا كتابه الماتع: (معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي) وهو مشهور، قال الكتاني في (فهرس الفهارس): (وهو مطبوع في مجلد ضخم، مما يدل على سعة حفظ ابن الأبار، وقوة عارضته)[٢].

بل سبق إلى ذلك أبو نعيم الأصبهاني ت٤٣٠هـ، فقد تتبع الرواة عن

(١) التكملة لكتاب الصلة /١/٥١/.
(٢) فهرس الفهارس /٢/٦١٨/.

سعيد بن منصور صاحب السنن، حتى جمع جزءًا حافلًا سماه: (تسمية من روى عن سعيد بن منصور)، قال في أوله: (ذكر من وقع لنا من أصحاب سعيد بن منصور عاليا، ذكرت لكل واحد منهم حديثًا واحدًا، لأقف على عددهم وأسمائهم، وحملني على ذلك قدمُ وفاة سعيد بن منصور، وموضعه من التوثق والفضل)، والجزء المذكور مطبوع.

بل فعل ذلك الحافظ الزبيدي نفسه، فقد تتبع تلامذة العلامة الحافظ محمد علاء الدين البابلي ت١٠٧٧هـ، فجمع فيهم كتابًا نفيسًا اسمه: (المربي الكاملي، فيمن روى عن البابلي)، كما جمع في شيوخه كتابًا آخر اسمه: (الفجر البابلي، في ترجمة البابلي)، وقد طبع الأخير.

قلت: وقد سلف في هذه الأمة من الأئمة من كثرت تلامذته كثرة بالغة، وهذه ظاهرة علمية تستحق التتبع، ويضاف إليها عكس ذلك، وهو من ندر تلامذته حتى مات علمه، وأول أولئك الذين كثر تلامذتهم كثرةً زائدةً على المعتاد هو سيدنا أبوهريرة ﷺ؛ فقد قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) وهو يعلل زيادة مرويات أبي هريرة ﷺ على عبد الله بن عمرو ﷺ: (فالسبب فيه من جهات: أحدها: أن عبد الله كان مشتغلًا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم فقلت الرواية عنه، ثانيها: أنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصديًا فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمانمائة نفس من التابعين، ولم يقع هذا لغيره)[1].

قلت: وأكثر ما قيل من عدد الرواة عن شيخٍ واحدٍ ما ادُّعِيَ في سفيان

(١) فتح الباري /١/٢٠٧/.

الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ؛ إذ زعم بعضهم أنه روى عنه عشرون ألفًا، قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) في ترجمة الثوري: (وأما الرواة عنه فخلق، فذكر أبو الفرج ابن الجوزي أنهم أكثر من عشرين ألفًا، وهذا مدفوعٌ ممنوع، فإن بلغوا ألفًا فبالجهد، وما علمت أحدًا من الحفاظ روى عنه عددٌ أكثر من مالك، وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفًا وأربع مئة)[1].

قلت: أما كونه مدفوعًا فنعم، ولكنَّ هذا ليس بكلام ابنِ الجوزيّ، لأن التنصيص على أن الثوريَّ روى عنه عشرون ألفًا أقدم من ابن الجوزي ت٥٩٨هـ بكثير، فقد قال الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ في (الجامع لأخلاق الراوي): (أنا أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري: أنا عمر بن أحمد الواعظ قال: قرأت في أصل كتاب جدي أحمد بن محمد بن شاهين: نا أحمد بن محمد بن رشدين قال: سمعت أحمد بن صالح يقول: أدرك سفيانُ الثوريُّ مائة وشبيهًا بثلاثين من التابعين، وأحصينا له شبيهًا بستمائة شيخ، وروى عن الثوريِّ أكثر من عشرين ألفًا)[2].

وممن كثرت تلامذته كذلك ممن يلي الطبقات المذكورة: الإمام الجليل محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس، أبو عبدالله الصاعدي الفُراوي ت٥٣٠هـ، قال ابن الصلاح في: (صيانة صحيح مسلم): (كان رحمه الله وإيانا كثير الرواية بالأسانيد العالية، رحلت إليه الطلبة من الأقطار، وانتشرت الرواية عنه فيما دنا ونأى من الأمصار، حتى قالوا فيه: «للفراوي ألف راوي»)[3].

(١) سير أعلام النبلاء /٧/٢٣٤/.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي /٢/٢٢١/.

(٣) صيانة صحيح مسلم /ص١٠٩/، وانظر الكامل لابن الأثير /٩/٢٩٥/، والبداية والنهاية=

وتتبع هذا الباب يطول، ولهذا الباب من التأليف ثمراتٌ وفوائد؛ إذ يترتب على إحصاء تلامذة المحدث فوائد فنية دقيقة، لها مدخل في باب النقد، فمن ذلك أن المحدث الناقد الشريف حاتم العوني جزء عنوانه: (الرواة عن سعيد بن أبي عروبة، ممن ورد فيهم ما يميز حديثهم عنه، أهو قبل اختلاطه أم بعده)، وهو منشور.

فصل

والحاصل أنني أتعجب من إهمال المعاصرين من المشتغلين بهذه الصنعة الحديثية الإسنادية، كيف أهملوا هذا الحافظ الجليل، فلم يفرد أحد منهم كتابًا جليلًا حافلًا، يستقصي فيه أخبار الحافظ مرتضى، ويحرر مسموعاته، ومؤلفاته، ومشايخه، ورحلاته، وتآليفه، وتلامذته، وتقاريظ علماء الإسلام على كتبه ومؤلفاته، ويرصد لنا النشاط العلمي الجمَّ الذي قام به في الهند وفي زبيد وفي مصر، ويرصد لنا الكتب التي أقرأها وأسمعها، ويغوص في تصانيفه ليرى تصرفه في العلم، ومنهجه فيه، ويرصد لنا أثره في الأجيال التي أتت من بعده من أهل اللغة والحديث، مع أنه قد أفردت الكتب والمؤلفات لمن هو دونه بكثير علمًا وتصنيفًا وتلامذة وأثرًا، وعسى أن ينشط الناس لذلك، ويستجيبوا لهذه الدعوة، وقد كنتُ أكثرتُ من ذكره عند أحد مشايخنا الكرام من علماء الأزهر الشريف، وصرت ألهج بذكره، حتى التفت شيخنا المذكور إليه، وأشار على أحد تلامذته بأن يدرس الحافظ مرتضى في رسالة علمية جامعية لنيل درجة التخصص (الماجستير)، فالحمد

= /١٢/٢١١/، وطبقات الشافعية الكبرى /٦/١٦٨/، وانظر تفصيل أخباره في مرآة الجنان /٣/٢٥٨/.

لله على ذلك، وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

فصل

أروي مروياته من طريق شيخنا المسند الشيخ أبي البركات محمد بن سعد بن بدران الدمياطي، عن محمد بهاء الدين أبي النصر ابن العلامة المُسْنِد أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي عن أبيه، عن العلامة محمد بن أحمد البهي الطنطاوي، عنه.

(ح) ومن طريق شيخنا العلامة الأديب محمد عبد الرحيم بن جاد بدر الدين، عن أبيه، عن العلامة محمد عبد الرحيم النشابي الطندتائي، عن العلامة حسن العدوي الحمزاوي، عن العلامة محمد بن أحمد البهي الطنطاوي، عن الحافظ مرتضى الزبيدي، بما في معاجمه وأثباته.

(ح) ومن طريق شيخنا العلامة المتكلم حسن الشافعي، عن محمد الحافظ التيجاني، عن علي سرور الزنكلوني، عن حسن الطويل، عن عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عنه.

(ح) ومن طريق العلامة جعفر بن محمد بن حسين السقاف، عن عبد الرحمن ابن عبيد الله السقاف، عن عيدروس بن عمر الحبشي، عن عمه محمد بن عيدروس الحبشي، عن علي بن عبد البر الونائي، عنه.

(ح) ومن طريق الحبيب هود ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، عن الحبيب سالم بن حفيظ صاحب: (منحة الإله)، عن الحبيب عيدروس بن عمر، عن عمه، عن الونائي، عنه.

(ح) ومن طريق المعمر عبد الرحمن بن شيخ الحبشي، عن عيدروس بن عمر الحبشي بالعامة لأهل العصر، بسنده السابق.

ومن شيوخ الحافظ مرتضى ـ بل هو أعلاهم سندًا ـ المعمر: داود بن سليمان الخربتاوي، يروي عن المعمر الشمس الفيومي، عن المعمر السيد الشريف يوسف الأرميوني، عن الحافظ الجلال أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي بأسانيده ومعاجمه ومنها: (زاد المسير، في الفهرست الصغير) و(المنجم، في المعجم) و(حاطب ليل، وجارف سيل) وهو أكبر معاجمه.

فصل

لكن قال العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني في: (فهرس الفهارس): (وأعلى من لقيه السيد مرتضى وأخذ عنه: العالم المعمر سابق بن رمضان بن عرام الزعبلي الشافعي، قال الحافظ في كتاب كَتَبَهُ لشيخه السيد تقي الدين سليمان بن يحيى الأهدل الزبيدي عن الزعبلي المعمر المذكور: «أدرك الحافظ البابلي وأجازه، لأنه ولد سنة ١٠٦٨هـ، والبابلي وفاته سنة ١٠٧٨هـ، وتوفي شيخنا المذكور سنة ١١٨٢هـ، بعد وفاة شيخنا الشبراوي، فهذا الرجل أعلى من وجدته سندًا بالديار المصرية، وكان له درس لطيف بالجامع، يحضر عليه بعض الأفراد، ولم يتفطن لعلو سنده إلا القليل، لاشتغالهم بأحوالهم» اهـ منه، وانظر لم أهمل ذكره في معظم أثباته ومعاجمه، كالمعجم المختص، والمعجم الصغير، وألفية السند، فإنه عجيب)[1].

(١) فهرس الفهارس /١/٥٣٦.

نعم، قال الكتانيُّ هذا، رغم أنه ساق في أوائل: (فهرس الفهارس) السند المذكور قبل، والذي يروي فيه الحافظ مرتضى عن الخربتاوي، عن الفيومي، عن الأرميوني، عن الحافظ الجلال، ثم قال: (وهذا أعلى ما وقع لنا؛ إذ بيني وبين السيوطي فيه ستة وسائط، وبيني وبين الميدومي فيه تسعة، وهذا أعلى ما يكون)[1].

وهذا سندٌ عالٍ، بين الحافظ مرتضى فيه وبين الحافظ السيوطي ثلاثة أنفس، بينما لو أن مرتضى روى عن سابق الزعبلي المذكور ـ وأعلى ماعنده روايته عن العلاء البابلي، والبابلي يروي عن النور علي الزيادي، عن الأرميوني، عن السيوطي، ويروي عن أبي النجا السنهوري، عن العلقمي، عن السيوطي ـ لكان بينه وبين الحافظ السيوطي أربعة أنفس، فسند الخربتاوي أعلى، لا سيما والحافظ البابليُّ ينص في إجازته للملا إبراهيم الكردي على أن روايته عن النور الزيادي علو، وقد ساق سنده هناك للجامع الصغير للسيوطي من طريق الزيادي عن الأرميوني، والسنهوري عن العلقمي، وهما عن السيوطي.

وقد تأملت أسانيده التي ساقها العلامة عيسى الثعالبي في الثبت الذي خرجه للحافظ العلاء، فما رأيته يصل إلى الحافظ السيوطي، أو إلى شيخ الإسلام زكريا بأعلى من هذا، إلا أن يكون للبابليِّ علوٌّ ما، في سند معين أو حديث معين، يقلُّ فيه عدد الرجال عما هنا، فيحتاج هذا إلى تتبع، والله أعلم بحقيقة الحال.

ثم تحققت هنا مؤخرًا من هذا الاحتمال، فقد رأيت الحافظ مرتضى

(١) فهرس الفهارس /١/٩٢.

ذكر في إجازته للشيخ سعيد بن عبد الله السويدي البغدادي طرفًا من أخبار الشيخ سابق الزعبلي، فذكر جماعة من مسندي مصر ثم قال ما نصه: (ومن كبار مسنديهم: الشيخ السابق بن عزام الزعبلي الشافعي الضرير، ولد تقريبًا سنة ١٠٦٨هـ، وتوفي سنة ١١٧٢هـ، وهو يروي عاليا عن الحافظ البابلي، وبهذا السند نعلو على مشايخ عصرنا، بل نساوي مع مشايخ شيوخنا، أخبرنا سابق بن عزام: أخبرنا البابلي، أخبرنا محمد حجازي الواعظ، أخبرنا ابن أركماس، أخبرنا الحافظ ابن حجر، فبيني وبين الحافظ بهذا السياق أربعةٌ، وهو عال جدًّا).

فصل

وقد مات الحافظ مرتضى في القاهرة، ولم يترك عقبًا، لكن كان له أخ اسمه باسط علي، وكان يسكن القاهرة أيضًا، فلما أن توفي الحافظ مرتضى رجع السيد باسط علي إلى بلجرام، حيث أَصْلُهم ونشأتهم، وتتلمذ عليه هناك السيد محمد محمد القادري، الذي تتلمذ أيضا على سلطان الخابوري، وقد تسلسلت هناك ذرية السيد باسط علي، حتى أدركتُ منهم السيد الشريف: أويس مصطفى القادري الواسطي البلجرامي، وقد أجاز لي سلاسل أسانيده الموصولة من خلال آبائه وغيرهم، إلى جده السيد باسط علي، وهو بعموم الإجازة عن أخيه الحافظ السيد مرتضى الزبيدي، بأسانيده وأثباته، وقد أخبرني الشريف أويس مصطفى البلجرامي أن مير غلام علي آزاد قد جمع كتابا مهما، اسمه (مآثر الكرام، في سادات بلجرام)، وأنه اشتمل على ترجمة واسعة للحافظ مرتضى الزبيدي، لكن الكتاب ما زال باللغة الأُردية.

قلت: ثم اطلعت هنا مؤخرا على بحث في غاية الجودة، اشتمل على تصحيح جملة من أوهام المؤرخين حول المرتضى الزبيدي، وهو للعلامة البحاثة أبي محفوظ الكريم المعصومي، عنوانها: (العلامة مرتضى الحسيني البلجرامي الزبيدي حياته وآثاره)، نشر في مجلة المجمع العلمي الهندي (عليكرة)، المجلد الخامس، سنة ١٤٠٠هـ١٩٨٠م، وأعيد نشره في كتابه: (بحوث وتنبيهات)[1].

* * *

۞ العلامة الشيخ مصطفى أمين إبراهيم عمر طالب التازي الأزهري، الحسني نسبا، القاهري مولدا، المغربي أصلا، الشافعي مذهبا.

أحد علماء الأزهر الشريف، درس زمنا طويلا في كلية أصول الدين، وكأنه كان صاحب يسار وسعة، فقد سمعت مشايخي يذكرون أنه كان يقيم في حلوان في قصر تزيد حجراته على الأربعين حجرة، ومن مؤلفاته: (مقاصد الحديث، في القديم والحديث)، و(الرسالة الجامعة البديعة، في بيان الشفاعة في الشريعة)، و(رسالة في تفسير البسملة)، وقد ترجم له شيخنا العلامة الشيخ محمد محمود أحمد بكار ترجمة وجيزة في أسطر، أوائل كتابه: (بلوغ الآمال، من مصطلح الحديث والرجال).

يروي عن: العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي بما في أثباته: (ظهير المحدثين، باتصال أسانيد كتب العشرة المجتهدين)، و(المقدمة

(١) بحوث وتنبيهات/١/٢٣٥، ط: دار الغرب الإسلامي، عناية: محمد أجمل أيوب الإصلاحي.

العلمية، في ذكر الأسانيد العلية، وفوائد العلوم السنية)، و(الجامع لأثبات المتأخرين).

نروي مروياته من طريق الشيخ يوسف المرعشلي، عن الشيخ محمود أحمد عبد المحسن الردادي الأزهري، عنه.

* * *

❁ العلامة الداعية المفسر الشيخ: محمد مصطفى أبو العلا الشهير بحامد الأزهري الحنفي.

ولد سنة ١٣٢٧هـ، وتوفي بعد عصر الجمعة، ٢٥ صفر، سنة ١٤٠٦هـ، وهو من أفاضل علماء مصر، حضر على عدد من العلماء، منهم: محمد بخيت المطيعي، ومحمود خطاب السبكي، ومحمد حسنين مخلوف، وعلي محفوظ، ويوسف الدجوي، وقد كان له به اختصاص وصحبه، من طريق خاله الشيخ علي داود، الذي كان ملازمًا للدجوي.

وله عدد من المؤلفات منها: (نور الإيمان، في تفسير القرآن)، (شرح حِكَم ابن عطاء الله السكندري) في مجلدين، (حديث الإسلام) في مجلدين، (مجموع الخطب المنبرية) في أربعة أجزاء، (شرح أسماء الله الحسنى).

يروي عن عدد من العلماء، ١ ـ منهم: يوسف بن أحمد بن نصر الدجوي ت١٣٦٥هـ، ٢ ـ ويوسف بن إسماعيل النبهاني ت١٣٥٠هـ، ٣ ـ ومحمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، ٤ ـ ومحمد عبد الحي الكتاني ت١٣٨٢هـ وغيرهم.

نروي مروياته عن شيخنا سماحة العلامة الجليل الشيخ: علي جمعة الأزهري مفتي الديار المصرية، عنه.

❁ العلامة الشيخ السيد: محمود بن أحمد بن عبد المحسن بن فراج الردادي الحسيني الأزهري.

ولد سنة ١٣٤٥هـ، وهو يروي عن العلامة الشيخ مصطفى أمين التازي، وللعلامة التازي ترجمة موجزة في الجزء الأول من كتاب: (بلوغ الآمال، من مصطلح الحديث والرجال) لتلميذه وشيخنا العلامة الشيخ محمد محمود أحمد بكار ـ حفظه الله تعالى ـ، ويروي التازي عن جماعة منهم: العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ.

وقد زرتُ الشيخ محمود عبد المحسن ـ حفظه الله تعالى ـ في بيته غير مرة، وكانت المودة قد جمعت قديمًا بيني وبين ولده الكريم، وسألت الشيخ الإجازة فأبى، لكن علمت أن الشيخ يوسف المرعشلي قد أجيز من الشيخ، وترجم له في ثبته المسمى: (الأنوار العلية، بالأسانيد المرعشلية)، وقد أورد ثبته هذا كاملًا في صدر كتابه: (معجم المعاجم والمشيخات)، قال: (أجازني خطيًّا ما له في المدينة المنورة صباح ١٤٠٧/١١/٢٠هـ، أجازه عامة الشيخ أمين التازي الأزهري)[1].

أروي مروياته من طريق الشيخ يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، وهو عنه.

* * *

❁ العلامة الفقيه الكبير، والأصولي المتمكن، المعمر الشيخ: محمود بن عبدالدايم بن علي الأزهري الشافعي.

ولد سنة ١٨٩٨م، وحفظ القرآن الكريم ومجموع المتون وهو دون الثالثة

(١) معجم المعاجم والمشيخات ١/١١٢.

عشرة من العمر، والتحق بالأزهر الشريف، حتى تخرج منه سنة ١٩٢٥م تقريبًا.

قال فضيلة العلامة الشيخ يحيى الغوثاني: (سمعت منه العديد من المتون والمنظومات؛ حيث كان يطلب مني أن أراجعها له حتى لا ينساها، قال: (يابني!! هذا المجموع ـ لمجموعة منظومات صفراء ـ هو عندي أغلى من الذهب!! أنا محتفظ بها منذ سبع وسبعين سنة تحت وسادتي، وكل يوم قبل النوم أراجع المتون، حتى لا أنساها)، وقد توفي سنة ١٤١٢هـ.

أما شيوخه في الرواية والدراية إجمالا فهم: ١ ـ الشيخ عبد السلام هيكل روي عنه صحيح البخاري، ٢ ـ الشيخ يوسف الدجوي حضر عليه سماع البخاري، ٣ ـ الشيخ الشافعي الظواهري، ٤ ـ الشيخ محمد علي أبو النجا في الفقه الشافعي والنحو والبلاغة، ٥ ـ الشيخ أمين الشيخ، ٦ ـ الشيخ علي محمود، ٧ ـ الشيخ حسان عبد الرحيم بسماني، ٨ ـ الشيخ أحمد نصر مالكي، ٩ ـ الشيخ يوسف شلبي الشبرابخومي، ١٠ ـ وحضر دروس العلامة علي سرور الزنكلوني، وشملته إجازته، ١١ ـ الشيخ محمد حسنين مخلوف، ١٢ ـ الشيخ أمين خطاب، ١٣ ـ الشيخ حسن حجازي، ١٤ ـ الشيخ إبراهيم السعدي، ١٥ ـ الشيخ محمد ياسين الفاداني، أجازه بكل مروياته.

نروي مروياته من طريق العلامة الفقيه أحمد جابر جبران الشافعي الضحوي ثم المكي الشافعي، عنه.

* * *

۞ العلامة القاضي الشيخ: محمود أبو العيون بن محمد الأزهري الحنفي الدشلوطي.

ولد سنة ١٣٠٤هـ، في قرية دشلوط من أعمال محافظة أسيوط، وتوفي سنة ١٣٧١هـ ـ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٥١م.

تخرَّج بالأزهر، وعُيِّن به مدرسًا سنة ١٩٠٩م، وتنقل في وظائفه، فاشتغل مدرسًا ومفتشًا، وفي فبراير سنة ١٩٣٥ ندب شيخًا لمعهد أسيوط الديني، أيام الشيخ الأحمدي الظواهري، ثم نقل بعدها شيخًا لمعهد الزقازيق في ١٩ مايو ١٩٣٥م.

وهو العلامة المقدام، الغيور على حرمات الدين، له كتاب: (صفحة ذهبية)، وهو كتابه الذي جهر فيه بالمطالبة بإلغاء تصاريح البغاء، بالإضافة إلى مقالاته النارية، والتي كان عنوانها: (مذابح الأعراض)، وله كتاب: (الجامع الأزهر، نبذة في تاريخه).

وكان ـ رحمه الله ـ قائمًا بواجب وقته، متصدِّيًا للشأن العام، مناهضًا للاستعمار، حتى اعتقل من قبل الإنجليز إثر نشاطه في ثورة ١٩١٩م مدة سنتين[١].

ومن كبار تلامذته الإمام العلامة الكبير الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، وللشيخ الشعراوي فيه قصيدة، في ديوانه المطبوع.

يروي عن: ١ ـ عبد الوهاب الحضري، ٢ ـ ومصطفى عطية الليثي، ٣ ـ وأبي الفضل الجيزاوي، ٤ ـ ويوسف المرصفي، ٥ ـ وعبد الرحمن الشربيني، ٦ ـ ومحمد الأنبابي، ٧ ـ ومحمد أبو رحاب الأزهري، ٨ ـ ومحمود خطاب السبكي، ٩ ـ وعبد الرحمن نجا الإبياري، ١٠ ـ وإبراهيم بك عزتلو

---

(١) ترجم له الأستاذ أنور الجندي في كتابه: (أعلام، وأصحاب أقلام) /ص٤٠٦/، وفي كتاب: (أعلام لم ينصفهم جيلهم) /ص٣٢/، والمحدث الشيخ محمود سعيد ممدوح في كتاب: (تشنيف الأسماع)، والعلامة الأديب محمد رجب البيومي في: (أعلام العصر)، والمسند السيد سالم بن أحمد بن جندان في ثبته: (روضة الولدان) مخطوط، والشيخ محمد حسين النجار في كتابه القيم: تاريخ معهد أسيوط الديني منذ نشأته /٥٤/.

العرب الإسكندري، ١١ ـ ومحمد البشير الظافر الأزهري، ١٢ ـ وعبد الرحمن النجدي، ١٣ ـ وعبد المجيد الشرنوبي.

قلت: كذا في إجازته للمسند سالم بن جندان رحمه الله، والله أعلم بحقيقة الحال، فإن كلام ابن جندان في هذا الباب غير دقيق ولا معتمد بالمرة، وإنما أردت أن أورد ما وقفت عليه، من أسانيد المصريين، ثم للتدقيق والتحرير والتعقب مجال واسع، لا سيما وقد تابعه على بعض ذلك الإمام الفاداني رحمه الله، فقد روى الحديث المسلسل بالمصريين في كتاب: (العجالة، في الأحاديث المسلسلة) من طريق صاحب الترجمة، ومن طريق السيد توفيق البكري، كلاهما عن الشمس الأنبابي، فهذا هو القدر الذي يثبت عندي الآن من مشايخه، وقد تدبج المترجم مع العلامة السيد علوي بن عباس المالكي رحمه الله تعالى.

أروي مروياته من طريق شيخنا العلامة المحدث أحمد محمد نور سيف المهيري المالكي، وشيخنا العلامة سعد بن سعد بن رزق جاويش الكفراوي الأزهري، كلاهما عن مسند العصر العلامة الفقيه الأصولي محمد ياسين الفاداني الشافعي، عنه.

* * *

❁ العلامة الأصولي الفقيه المنطقي المحقق المتبحر الشيخ: محمود الإمام عبدالرحمن المنصوري الحنفي الأزهري.

قال العلامة السيد عبد الله الصديق في: (سبيل التوفيق): (عالم متين جدًّا، قلَّ أن تجد نظيره، واسع الإطلاع، أعجبت بشدةِ تحقيقه، وسَعةِ اطلاعه، في علوم المعقول والفقه الحنفي، فتعرفت عليه، وكنت أزوره في

بيته بشبرا، وأطلعني على مكتبته، وهي مكتبة جيدة لم أرها عند أزهري، وقلما تجد كتابًا من كتبه إلا وعليه بعض تقريرات نفيسة له.

وكان يعيش على مرتبه، ومع ذلك فكان شديد الاعتناء بشراء الكتب، فاتفق مع السيد محمد أمين الخانجي ـ رحمه الله ـ أن يمده بالكتب التي يريدها، وفي كل شهر يعطيه جزء من مرتبه، وهو الذي صحَّح تاريخ ابن كثير الذي طبعه الخانجي.

وكان من عادته أنه إذا أتى للدرس يأتي بالملزمة معه، وعليها تقريرات له مهمة جدًّا، فلا يدع مسألة إلا ويقرر عليها، ويعطي الدرس حقه من البحث، والاطلاع على الكتب المتصلة به، بحيث يعطي الطالب ملكة الفهم، ويعلمه كيفية البحث في كتب العلم وقواعده، حضرت عليه تهذيب السعد بشرح الخبيصي في المنطق فاستفدت جدًّا، فكان لا يدع شيئًا يتصل بالكتاب وشروحه وحواشيه، وبالعلم وقواعده إلا أتى به وناقشه وقرره.

سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، كما سمعه من الشيخ أحمد الحلواني، وكتب لي سنده فيه بخطه وقال: «ليس عندي غيره» رحمه الله وأكرم مثواه)[1].

قال المحدّث السيد عبد العزيز الصديق الغماري في كتاب: (المؤنسي): (كانت طريقته في القراءة على نمطٍ غريب، وشكلٍ عجيب، توجد الملل، لأنه كان يحب التحقيق والبحث إلى درجةٍ لم أرها في أحد من أهل العصر، وكان كل درس يقرأه يطالع عليه عدة كتب من شروحٍ وحواشٍ وتقريراتٍ، ويزيد فوق ذلك أنه يكتب تقريراته هو الآخر، ولهذا كنا نمكث ساعةً ونصف الساعة

(١) سبيل التوفيق /ص٨٦.

من غير أن نقرأ من المتن شيئًا، لأجل إيراد الاعتراضات والتوجيهات، مع سرد ما كتبه هو، ولذلك كان الطلبة يهربون من دروسه، ولا يحبون الحضور عليه، وقال لي مرارًا: «أنا لا تسمح نفسي بقراءة كتاب من غير كتابة عليه، وبيان صوابه من خطئه، كما أنني لا أحب أن أقرأ على الطلبة كلامًا أعرف أنه باطل لا يوافق الصواب»، ولأجل هذا كان يتكلف للدرس غاية.

وقد مكثنا نقرأ في قول الشيخ زكريا في «لب الأصول»: «التعادل والتراجيح» مدة أيام، وكلها بحث في قوله: «التعادل» بصيغة المفرد، و«التراجيح» بصيغة الجمع، فلماذا أفرد الأول وجمع الثاني؟!!

وهذه الطريقة في القراءة وإن كانت نافعةً لكنها لا تصلح لمن يريد أن يعلم قواعد الفن، ويحصل على مقاصده، وإنما تصلح للمنتهين الذين أدركوا مراميه، وعرفوا دقائقه)[1].

قلت: ونظير هذا في الأقدمين العلامة موسى بنُ أحمد بنِ موسى بن عبد الله بن سليمان، الشرف السبكي، ثم القاهري الشافعي؛ فقد قال الحافظ السخاوي في ترجمته من: (الضوء اللامع): (وكان إمامًا، ثبتًا، حجةً، فقيهًا، يكاد أن يكون بأخرة أحفظ المصريين له، يستوعب في تقريره كتبًا معينةً على الكتب التي يقرئها، وربما زاد من غيرها، كل ذلك عن ظهر قلب، مشاركًا في النحو والأصول، غير أنه لم يوجه قصده لغير الفقه كهو، حسن التقرير جدًّا في كل ذلك، لا ينتقل عن الشيء حتى يفهمه الجماعة، مع ثبوت كلامه في النفس، مما هو دليل لعمارة باطنه، وحسن قصده، مع متين ديانته، وتواضعه، ومكارمه)[2].

---

(١) كتاب المؤتسي، بأحوال نفسي /ص٢٧/ مخطوط.

(٢) الضوء اللامع /١٠/١٧٧/.

قلت: وطريقة التدريس المذكورة كانت شائعةً في الأزهر الشريف في تلك الحقبة وما قبلها، وهي نافعةٌ في موضعها؛ إذ لا تصلح للمبتدئ في الطلب ولا المتوسط، إذ مقصودُ هذين الإحاطة بهيكل العلم وأبوابه، فالانصراف بهم إلى الغوص والتدقيق الزائد في فروعٍ من مسائله إقحام لهم فيما لم يتأهلوا له، أما من عبر على العلم بأكمله عدة مرات، ودرسه في أطوار متعاقبة من التوسع التدريجيِّ، فلربما وجد متعةً وفائدةً في مناقشة الاحتمالات الواردة على كل فرع ومسألة، أما إن اختلط الطلاب على اختلاف مستوياتهم فلربما كان فساد التدريس بتلك الطريقة أكبر من نفعها.

قال المرحوم الشيخ محمد عبده منير أغا في كتابه القيم: (نموذج من الأعمال الخيرية، في إدارة الطباعة المنيرية): (حضرت في الأزهر في العقائد النسفية أول سنة جئت إلى مصر على أستاذ جليل القدر له شهرة عظيمة إذ ذاك، وقد بلغ من العمر ما ينوف على السبعين، وكنا نرى أن هذا السنَّ قد أكسبه خبرةً في التدريس، وحسن أسلوب في التعليم، يتخرج على يديه الطالب في أمدٍ وجيز، ولكن بربك قل كيف يكون حال الطالب المسكين؟ إذا كنا قرأنا في جملة: «قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق، خلافًا للسوفسطائية» فاستغرقت قراءة هذه الجملة خمسة عشر يومًا من عنفوان شبابنا، حتى إذا كمل البحث عليها ـ بحثًا جمع علومًا لا علاقة لها في علم التوحيد أصلًا، إلا نزرات يسيرة، تمر بين الفينة وفينة أخرى ـ قلنا: قد مررنا على عقبة كئود، وقطعنا المفاوز والحمد لله، وكان حضور الطلاب يومئذ اختياريًا، فحضر جمع من إخواننا كانوا غائبين في القرى والبلدان، فأثبتوا للشيخ معذرة حصلت له القناعة بأنها مشروعة، وطلبوا منه ألا يحرمهم من هذه الفائدة الجزيلة فيعيد لهم هذه الجملة، فما

وسعه إلا تلبية طلبهم، فأعاد ما قرره في المدة نفسها أو تزيد عليها بيسير، وهكذا دواليك حتى تم العام الدراسي ونحن لم نقطع مقدمة هذا الكتاب)[1].

ونحن نروي ماله من رواية من طريق سماحة شيخنا العلامة الإمام علي جمعة مفتي الديار المصرية، عن العلامة السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، عنه.

* * *

۞ العلامة الشيخ: محمود المرغني بن علي بن إسماعيل بن علي المكي بن الشافعي المكي بن محمد الأزهري.

ولد ـ رحمه الله ـ سنة ١٣١٦هـ في بلدة كان يملكها جده، قريبة من أبشواي الملق من أعمال طنطا.

وقد حضر دروس العلامة الشيخ محمد عبد الرحيم النشابي الطندتائي، والعلامة محمد الفاسي العقاد، والعلامة محمد العفيفي، والعلامة البرهان السقا، والعلامة محمد بخيت المطيعي، والعلامة محمد شاكر، والعلامة عبد الرحمن عليش، وشيخ الإسلام العلامة سليم البشري، وشيخ الإسلام الأحمدي الظواهري، ومصطفى المنفلوطي، وطنطاوي الجوهري، ومصطفى الطحاوي، ومصطفى طموم، وعبد العزيز جاويش، وأحمد عليش، وعبد الرحمن الجزيري، وعبد الرحمن المحلاوي، والعلامة محمد العطار الهياتمي، والشيخ العطاني، وغيرهم كثير.

ثم توظف في مأمورية أوقاف المحلة الكبرى، ورحل إلى الحرمين

(١) نموذج من الأعمال الخيرية، في إدارة الطباعة المنيرية /ص٤٢/.

بمقتضى وظيفته في مأمورية الأوقاف، ولا أدري متى توفي، إلا أنه كان حيًّا سنة ١٣٦٦هـ.

ومن مؤلفاته: (عيون الحقائق، وكنوز الدقائق، في أسانيد العلوم وسلاسل الطرائق) وهو ثبته، الذي فصل فيه أسانيده ومروياته، ومنها: (مدارج الطريقة، لمن أراد الحقيقة)، (معارج الوصول، لمن أراد الوصول)، وغيرها.

يروي عن ١ ـ البرهان إبراهيم السقا، ٢ ـ والعلامة فالح بن محمد الظاهري، ٣ ـ والحبيب عيدروس بن سالم البار، ٤ ـ والحبيب أبي بكر بن سالم البار، ٥ ـ والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، وغيرهم.

نروي مروياته من طريق السادة الكرام أحمد ومحمد ابني الحبيب العلامة أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي صاحب: (الدليل المشير)، ومن طريق السيد حسين بن أحمد بن حسين الحبشي، ثلاثتهم عن والد الأوَّلَيْنِ وشَقِيقِ الثالث: الحبيب أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، عنه.

* * *

۞ فضيلة الشيخ المسند الصالح: أحمد مختار بن عثمان بن محمد رمزي الكُردي الحنفي.

ولد المترجم في السادس من ذي القعدة، سنة ١٣٤٢هـ.

عرفته وترددت إليه كثيرًا، وقرأت عليه أوائل البخاري والموطأ روايتي يحي ومحمد، وكتب لي الإجازة مساء الحادي عشر من جمادى الأولى ١٤٢١هـ.

هذا وللشيخ عدد من المؤلفات المطولة، منها كتاب عن الإمام أبي حنيفة ومدرسته الفقهية يخرج في ثماني مجلدات وغير ذلك.

وكان ـ حفظه الله ـ قد لقي العلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، والمحدث الشيخ محمد الحافظ التيجاني، والسيد الأستاذ أحمد خيري تلميذ الكوثري، والأستاذ علي داود تلميذ الدجوي وطبقتهم وتردد إليهم كثيرًا إلا أنه لم يكن يومها يعتني بالرواية فلم يستجزهم.

ثم عني بالإجازة أخيرًا، فروى عن العلامة: محمد عبد الرشيد النعماني بما في ثبته: «الكلام المفيد، في تحرير الأسانيد» خرجه تلميذه: محمد روح الأمين، وعن العلامة عبد الفتاح أبو غدة، ومحمد علي المراد الحموي، وعبد الرحمن بن أبي بكر الملا، وعبد القادر كرامة الله البخاري، وعبد الفتاح حسين راوة، ومالك بن العربي السنوسي، ومحمد تيسير بن توفيق المخزومي، ومحمد مرشد عابدين، وكريم راجح، ومحمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، وغيرهم كثير.

* * *

❁ العلامة الصالح الشيخ: مصطفى بن حسن بن بخيت الجعفري، الكتانيّ طريقة، الحسينيّ نسبًا، الكوبانيُّ نسبة إلى قرية الكوبانية، قرية ولد بها الشيخ من أعمال أسوان، وهو من علماء مصر الذين لم يترجم لهم بما يليق بمكانتهم.

ولد الشيخ الكوباني في ٨ أبريل سنة ١٩١١م، الموافق: ٧ ربيع الآخر ١٣٢٩هـ، وتوفي في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ، ٢٨ يوليو ١٩٧٣م.

يروي عن مشيخة واسعة منهم: ١ ـ العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، ٢ ـ والعلامة محمد زاهد الكوثري ت١٣٧١هـ، ٣ ـ والعلامة المسند محمد إبراهيم الختني ت١٣٨٩هـ، ٤ ـ والحافظ أحمد بن الصديق الغماري

ت١٣٨٠هـ، ٥ ـ والعلامة عبد الله الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، ٦ ـ والملك محمد إدريس السنوسي ت١٤٠٢هـ، ٧ ـ والعلامة محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني ت١٣٩٣هـ، ٨ ـ والعلامة محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني ت١٣٨٤هـ، وغيرهم كثير.

وكان له اختصاص بالعلامة محمد الباقر الكتاني، وعنه أخذَ طريق الكتانيين، حتى ألف العلامة الباقر كتابًا كاملًا في إجازة الشيخ الكوباني اسمه: (المواهب الرحمانية، في الإجازة بالطريقة الكتانية)، وهو في سبعة كراريس.

ووقفت على خطاب بخطه، مؤرخ بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٣٧٥هـ، يذكر فيه أنه مقدم على جمع كتاب يسميه: (عقود المفاخر، فيمن لقيته أو كتب لي من الأكابر)، ولم أتوصل إلى شيء حول الكتاب المذكور.

وكنت قد نزلت الإسكندرية، وزرت أبناء الشيخ الكوباني ـ رحمه الله تعالى ـ، ورأينا بقايا مكتبته، وأطلعنا أبناؤه على كتابٍ جمعوه في ترجمة والدهم، ومنه علقت تلك الفوائد التي سقتها هنا، وعسى أن يُنْشَر الكتاب، ويحظى الشيخ ببعض ما يستحق من منزلة وتكريم.

نروي مروياته من طريق شيخنا أبي البركات محمد بن سعد بن بدران الدمياطي، وشيخنا أبي المواهب محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، كلاهما عنه رحمه الله.

* * *

❁ العلامة الواعظ الداعية الشيخ: مصطفى أبو سيف الحمامي الأزهري.

ولد بالقاهرة سنة ١٢٦٩هـ تقريبًا، وقد حضر على الأكابر من علماء

الأزهر الشريف، وكان عمدته في العلم هو العلامة الإمام الشيخ بخيت المطيعي، وقد تدرج الشيخ بعدها حتى صار إمامًا وخطيبًا بمسجد السيدة زينب رضي الله عنها، وكان خطيبًا مفوهًا، وواعظًا بليغًا، وقد اعتذر عن منصب مفتي الديار، وعن منصب إمام الخاصة الملكية، وتنقل في مصر والحجاز والمغرب والعراق وتركيا والشام، وعرف بمناظراته العلمية مع فقهاء عصره وعلمائه ومفكريه، أمثال شكيب أرسلان، وعلي عبد الرزاق، وفريد وجدي، ومحمود خطاب السبكي، وعرف بتصديه للإنجليز حتى أصيب بالرصاص في ثورة ١٩١٩م.

من مؤلفاته: (النهضة الإصلاحية، للأسرة الإسلامية)، وكتاب: (غوث العباد، ببيان الرشاد)، وكتاب: (أبدع ما خطّته اليراعات، في معجزات نبيّنا في الدعوات)، (منتهى آمال الخطباء، ومنار المسترشدين النبلاء)، (دلالة الطيب، وعلامة الخبيث)، (كيف تدعو ليستجاب لك؟).

وقد توفي الشيخ صباح يوم السبت ثالث رجب الفرد سنة ١٣٦٨هـ الموافق سنة ١٩٤٩م، عن تسع وتسعين سنة، ودفن في قرية الحمام في بني سويف، فرحمه الله رحمة واسعة.

يروي عن: ١ ـ محمد بخيت المطيعي، ٢ ـ ومحمد بن علي الببلاوي، ٣ ـ وعبد الرحمن الشربيني، ٤ ـ ومحمد إمام السقا، كلهم عن: والد الأخير البرهان السقا، والحسن المرصفي، ومصطفى المبلط، ومحمد العدوي، ومحمد كبوه، كلهم عن: الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير.

٥ ـ ويروي عن محمود خطاب السبكي، عن: عبد الهادي نجا الإبياري صاحب شرح مقدمة القسطلاني، عن: محمد الأمير الصغير، عن محمد

الأمير الكبير، عن: الجوهري والملوي، وهما عن: عبد الله بن سالم البصري، وعن النخلي، وعن الشمس ابن عقيلة.

(ح) ويروي الأمير الكبير عن: محمد بن سالم الحفني، عن محمد بن محمد البديري، عن الشبراملسي، عن الزيادي، عن الحلبي، عن ابن حجر الهيتمي، والجمال الرملي، والشهاب الرملي الصغير، ثلاثتهم عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر بما في: (المجمع المؤسس).

(ح) ويروي ابن حجر الهيتمي والرملي الكبير عن: السيد الشريف يوسف الأرميوني، عن الحافظ الجلال السيوطي بأسانيده ومروياته.

٦ ـ ويروي العلامة الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي عن: محدث الحرمين الشريفين الشيخ عمر حمدان المحرسي ت١٣٦٨هـ بأسانيده وهي في ثبته المسمى: (مطمح الوجدان) تخريج العلامة الفاداني، وقد ذكر ذلك العلامة الفاداني في كتابه: (المواهب الجزيلة، والعقود الجميلة، في إجازة العلامة البحاثة المشارك زكريا بن عبد الله بيله)[1].

١٩/٧ ـ ويروي أيضًا عن: العلامة أحمد بن محمد الوراق الجيزي، والعلامة سليم البشري، والعلامة الشيخ يوسف الدجوي، والعلامة الفقيه محمد بن سالم النجدي الشرقاوي الشافعي، والفقيه أحمد بن نصر العدوي، والعلامة محمد أحمد الجداوي، ومحمد نور الصعيدي، وإبراهيم الكيلاني، والدسوقي العربي، وعبد الوهاب الخضري، ومحمد أبي رحاب الأزهري، وحسني الجليسي، ومحمد الأشموني.

أروي مروياته عن شيخنا العلامة عبد الفتاح بن عبد الله بن بركة

---

(١) المواهب الجزيلة ١/لوحة ٢٠/ مخطوط.

الأزهري، والعلامة إبراهيم بن صالح النيجيري مفتي نيجيريا، والشيخ المبارك محمد زكريا البخاري، والعلامة السيد محمد بن علوي المالكي، والسيدة خيرية بنت علوي المالكي، وخمستهم يروي عن والد الأَخِيرَيْن: العلامة السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي، عنه[1].

(ح) وأروي مروياته من طريق العلامة الشيخ محمد مطيع الحافظ الدمشقي، وهو عن العلامة الشيخ محمد علي المراد الحموي ت١٤١٢هـ، وهو عن العلامة الشيخ محمد الحامد الحموي ت١٣٨٩هـ، عنه، رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

❁ العلامة المسند الداعية الشيخ: مصطفى أبو سليمان الندوي الشافعي الأشعري الحسيني النقشبندي.

ولد في شهر رمضان ١٣٧٣هـ، واسمه عبد الكريم بن السيد البدوي بن أحمد الحسيني نسبًا، إلا أنه اشتهر بالأول حتى لا يكاد يعرف إلا به.

وكان قد أقام في الديار الهندية عدة سنوات، فتتلمذ للعلامة الشيخ أبي الحسن الندوي، ولزمه كثيرا، وحضر للعلامة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، والعلامة محمد زكريا الكاندهلوي، وقرأ عليهم وعلى غيرهم في الحديث والتفسير والأصول وغير ذلك، وقد اجتمعتُ به في مكتبه، بمدينة المنصورة، صبيحة الاثنين ٧ مايو ١٤٢١هـ، وظللت في ضيافته أيامًا، أطالع في

(١) وقد ترجم له أستاذنا العلامة الراوية الأديب المؤرخ محمد رجب البيومي في كتابه: (من أعلام العصر)، وشيخنا السيد محمد علوي المالكي في الثبت الذي خرجه لوالده واسمه: (فهرست الشيوخ والأسانيد للإمام السيد علوي بن عباس المالكي) /ص٣٠٣/.

مكتبته، وقرأت عليه أوائل الكتب الستة، وقطعة من الرسالة للإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ، ثم كتب لي الإجازة صبيحة الأربعاء التاسع من شهر، سنة ١٤٢١هـ.

ثم زرته مرة أخرى مع صديقنا بشار بن يوسف الحادي البحريني، وصديقنا أحمد زاهر سالم الحلبي، فقرأت عليه الأوائل السنبلية في مجلس، وأجاز لنا إجازةً عامةً، وكتب لنا الإجازة.

ومن تأليفه شرح وتعليقات على نزهة النظر للحافظ ابن حجر، وهو شرح جيد فيه فوائد، طبع عدة مرات.

يروي عن: ١ ـ أبي الحسن علي الندوي ت ١٤٢٠هـ وهو عمدته في الرواية، وأسانيده ومروياته في ثبته المسمى: (نفحات الهند واليمن، في أسانيد الشيخ أبي الحسن) تخريج فضيلة الشيخ محمد أكرم الندوي، ٢ ـ وعن العلامة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي ت١٤١٢هـ، ٣ ـ والعلامة المحدث محمد زكريا الكاندهلوي ت١٤٠٢هـ، ٤ ـ والعلامة محمد سليم الله خان، ٥ ـ والعلامة عبد الستار الأعظمي، ٦ ـ وضياء الحسن الندوي، ٧ ـ ومحمد إلياس البارابنكوي، ٨ ـ ومحمد صالح الإندونيسي، ٩ ـ وعبد الفتاح أبو غدة ت١٤١٧هـ، ١٠ ـ وعبد الله بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ، ١١ ـ ومحمد ياسين الفاداني ت١٤١٠هـ، ١٢ ـ ومحمد الحافظ التيجاني ت١٣٩٨هـ، ١٣ ـ ومحمد بن علوي المالكي، ١٤ ـ محمد يوسف البنوري، ١٥ ـ محمد إسحاق الداكاوي، ١٦ ـ نظام الدين الشامزي، ١٧ ـ محمد منظور النعماني، ١٨ ـ عبد العزيز بن باز، أخبرني أنه استجازه في حج سنة ١٤٠٧هـ، فسألته وهو عمن يروي؟ قال لي: عن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ويروي المترجم الشيخ مصطفى الندوي عن كثيرين غير هؤلاء.

وكان الشيخ صلاح عويضة، وهو واحد من تلامذة الشيخ صاحب الترجمة قد جمع له ثبتًا لطيفًا، طبع في صدر إحدى طبعات كتاب: (إصلاح غلط المحدثين) للإمام الخطابي، وقد وقفت عليه، فلينظر.

* * *

❁ فضيلة الأستاذ الشيخ: مصطفى بن محمد بن مصطفى بن يوسف بن محمد عمارة الشرقاوي، الشهير بمصطفى محمد عمارة.

ينتهي نسبه إلى قبيلة بني عمارة، التي تصل إلى غالب جد النبي ﷺ، تخرج من كلية دار العلوم، وله ذكر يسير في: (تقويم دار العلوم)[1]، وقد انتفع بجماعة من مشايخه، منهم: الشيخ أحمد السيد أبو هاشم، والشيخ عبد الخالق عمر الشبراوي، والأستاذ إبراهيم أفندي علي، صاحب كتاب: (أسرار الشريعة الإسلامية، وآدابها الباطنية).

وقد عمل مدرسًا في مدرسة تجارة الظاهر، وكان من كبار مدرسي وزارة المعارف المصرية، واعتنى بالتأليف لا سيما في الحديث الشريف، فأخرج كتابه: (جواهر البخاري)، وعليه مقتطفاتٌ من شرح القسطلاني، وكتاب: (مختار مسلم) ومعه مختارات من شرح النووي، وكتاب: (نظرة النور) وهو مختاراتٌ من الأحاديث النبوية، فيه خمسة آلاف حديث صحيحة مشروحة، وله أيضًا كتاب: (النهج السعيد، في علم التوحيد)، وكتاب: (الإسعاد، شرح بانت سعاد)، واختصر زاد المعاد لابن القيم في كتاب سماه: (ثمر الوداد؛

(١) تقويم دار العلوم ١/٦٢٩.

مختصر زاد المعاد، في هدي خير العباد ﷺ) طبع في مكتبة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٢م.

ومن أفضل أعماله العلمية أنه اعتنى بكتاب: (الترغيب والترهيب) للحافظ المنذري، فجمع من نسخه الخطية ما تيسر له، وأعانه في ذلك الحافظ السيد أحمد الصديق الغماري، فساعده في شراء نسخة مخطوطة كتبت سنة ٨٤٩هـ، وقد خرجت طبعته لكتاب: (الترغيب والترهيب) مع تعليقاتٍ وشروحٍ واسعة فيها فوائد، سماها: (الفتحَ الجديدَ، في شرح جواهر أحاديث الترغيب والترهيب)، وقد قدم له وقرظه العلامة الإمام الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الشريف.

يروي عن: ١ ـ العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني، بما في أثباته ومعاجمه وفهارسه ٢ ـ والعلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي وغيرهما.

وأما صاحب الترجمة فلا أعلم أن أحدًا روى عنه، فلم أرَ إسنادا يصلني به، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

* * *

❁ العلامة الإمام، شيخ الإسلام: مصطفى ابن شيخ الإسلام محمد ابن شيخ الإسلام أحمد بن موسى بن داود العروسيُّ الشافعيُّ.

أسرة علمية جليلة، تسلسل فيها العلم والمجد والفضل؛ وتوارثوا المشيخة كابرًا عن كابر؛ إذ خرج منها ثلاثة من الأئمة، تولى كل منهم مشيخة الأزهر الشريف، فجعلت المشيخة لا تخرج من أب إلا لتعود إلى ابنه، فهذا هو الفخر الذي لا يبلى على مرور الأعوام، والمجد الأثيل الذي لا

يُدْرِكُ مِثْلَه عالِمٌ ولا إِمام، والشأْوُ الذي تُلْقِي إليه المفاخرُ بزمامِهَا، وتتقاصر دونه مطامحُ الأكابرِ رَغْم سَبْقِها وإِقْدَامِها، وقد روينا عن أبي القاسم منصور بن محمد العلوي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: (الإسنادُ بعضه عوالٍ، وبعضه معالٍ، وقول الرجل: «حدثني أبي عن جدي» من المعالي)، وإنما كان ذلك كذلك، لما أنه كاشف عن بقاء العلم في البيت عبر طبقات، ثم إن هذا في مجرد رواية الرجل عن أبيه عن جده، فكيف إذا تولي مشيخة الأزهر الشريف، هو وأبوه وجده، كما هو شأن أصحاب هذه الترجمة، ولقد كان حريًا بأهل العلم من الأزهريين أن يُفْرِدُوا كتابًا مطولًا، لتتبع أخبار أولئك الأعيان على التفصيل، وإحياء مآثرهم، والتعريف بهم.

كان موطنهم ـ رحمهم الله تعالى ـ قرية منية عروس، التابعة لمركز أشمون، بمحافظة المنوفية، من أسرة عرفت بالمكانة الرفيعة، والنفوذ، وكان رجالها هم أهل الحل والعقد في تلك النواحي.

أما الحفيد العلامة الشيخ مصطفى العروسي صاحب الترجمة فهو الذي تولى مشيخة الأزهر الشريف سنة ١٢٨١هـ، بعد الإمام البرهان الباجوري رحمه الله، وهو صاحب الحاشية المشهورة على شرح شيخ الإسلام زكريا، على الرسالة القشيرية، وحاشيته مشهورة مطبوعة في أربعة أجزاء، واسمها: (نتائج الأفكار القدسية، في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية)، ومن تأليفه كتاب: (الأنوار البهية، في أحقية مذهب الشافعية)، و(العقود الفرائد، في بيان معاني العقائد) وغيرها من المؤلفات.

قال العلامة أحمد بك الحسيني في (مقدمة شرح الأم): (وكان عالمًا فاضلًا، أخذ من أكابر عصره، حتى برع وأفاد، وألف وأجاد، فمن مؤلفاته:

«شرح الرسالة القشيرية»، ورسالة سماها: «الفوائد المستحسنة، فيما يتعلق بالبسملة والحمدلة»، ورسالة سماها: «الأنوار البهية، في بيان أحقية مذهب الشافعية»، وغير ذلك، ولما توفي الباجوري سنة ١٢٧٧ بقي الأزهر بلا شيخ، بل بوكالة الوكلاء الأربعة، الذين هم: الشيخ أحمد كبوه المالكي، والشيخ إسماعيل الحلبي الحنفي، والشيخ خليفة الفشني الشافعي، والشيخ مصطفى الصاوي الشافعي إلى سنة ١٢٨١هـ، ثم تقلدها المترجم، وكان قد ترك القراءة في الأزهر فعاد إليها، وخافته المشايخ والطلبة، وكان مشغوفًا بإبطال بدع كثيرة، فأبطل في أيامه الشحاذة بالقرآن في الطرقات، وأقام جماعة ممن يدرس بالأزهر بلا استحقاق، وعزم على عمل الامتحان للمدرسين، ففاجأه العزل من المنصب في سنة ١٢٨٧هـ، وتقلدها بعده الشيخ محمد المهدي الحفني الحنفي وتوفى المترجم سنة ١٢٩٣هـ).

قلت: ومن إنجازات شيخ الإسلام مصطفى العروسي أنه اشترط الامتحان لمن يتخرج من الأزهر، بعد أن كان الطالب يكتفي بالإجازة من شيخه أو شيوخه بأهليته للتدريس، لكن الذي تولى تنفيذ اشتراط الامتحان هو العلامة الشيخ المهدي العباسي، قال الشيخ سيد علي الطوبجي في: (المقال الموجز في مدينة أسيوط): (وكان المتعلم يكتفي بإجازة من شيخه أو شيوخه بأنه أهل للتدريس، فإما أن يدرس فيه أو في بلده، فلما جاء الشيخ العروسي فكر في الامتحان، منعًا للفوضى، ونفذ فكرته الشيخ المهدي سنة ١٢٨٧هـ، وكل من سبق هذا التاريخ لا يحمل شهادة عالمية)[1].

وقد ذكر رفاعة بك الطهطاوي صاحب الترجمة في كتابه: (مناهج

(١) المقال الموجز في مدينة أسيوط/ص٢٣/.

الألباب)، أثناء كلام، فقال: (فإن من اطلع على سند شيخ الجامع الأزهر، الشيخ أحمد الدمنهوري، الذي كانت مشيخته قبل شيخ الإسلام الشيخ أحمد العروسي الكبير، جد شيخ شيوخ الجامع الأزهر الآن، السيد المصطفوي، العلم الشهير) إلى آخر كلامه[1].

قلت: وقد تلقى العلامة مصطفى العروسي صحيح البخاري، بعضه رواية وبعضه دراية على العلامة الشيخ حسن القويسني، وتلقى الصحيح أيضًا بعضه رواية وبعضه دراية عن شيخه ووالده السيد محمد العروسي، وهو عن شيخه ووالده الشيخ أحمد العروسي.

وكان ـ رحمه الله ـ قد سمع أوائل البصري على شيخه العلامة حسن القويسني في ملأ من أهل العلم، السادة الحذاق العلماء الفضلاء، ما ينوف عن المائتين، وكان ذلك يوم الخميس المبارك، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٧هـ، وسند سماع القويسني فيها وفي صحيح البخاري مذكور في ترجمة القويسني من هذا الكتاب.

وكان العلامة العروسي معنيًّا بإسماعها وإقرائها، وكان الشيخ عبد الغني بن محمد العناني المالكي الأحمدي الأزهري المنشاوي، قد سمع رسالة الأوائل لعبد الله بن سالم البصري مع جماعة من العلماء المالكية والشافعية على شيخ الإسلام وشيخ الأزهر الشريف العلامة مصطفى العروسي الشافعي صاحب الترجمة، وكان ذلك في يوم الاثنين، الموافق لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر محرم، مفتتح عام ١٢٧١هـ، وكان مجلس السماع المذكور في مسجد الشيخ أحمد الشهير بالعريان، وهو جد العلامة الشيخ مصطفى العروسي لأمه.

(١) مباهج الألباب المصرية/ص٣٧٣.

وأما الأب الشمس محمد العروسي فقد ولي مشيخة الأزهر سنة ١٢٣٤هـ، بإجماع العلماء بعد العلامة الإمام الشيخ: محمد بن علي بن منصور الشنواني، وقد توفي العلامة محمد العروسي في شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٤هـ، ولم يترك ـ رحمه الله ـ شيئًا من المؤلفات، وهو يروي عامة عن أبيه، وعن الأمير الكبير المالكي ت١٢٣٢هـ، وعبد الله بن حجازي الشرقاوي ت١٢٢٧هـ، وثعيلب بن سالم الفشني الشافعي الأزهري ت١٢٤١هـ.

وممن تتلمذ على العلامة محمد العروسي: العلامةُ الشيخ يوسف بن أحمد بن مصطفى الشهير بالقطان الجرجاوي، فقد تتلمذ على العلامة الشيخ محمد العروسي، وكتب له العروسي إجازة، ثم كتب عليها بعد ذلك الأمير الكبير، ثم ثعيلب بن سالم، ثم محمد أمين المهدي الحنفي، ثم علي الصيرفي، كما أجازه العلامة محمد بن محمد الشبرويني الشافعي، وقد نسخ الشيخ يوسف القطان لنفسه نسخة من ثبت العلامة الشبرويني، فرغ منها سنة ١٢٣٤هـ، فرحم الله الجميع.

وأما الجد العلامة الشهاب أحمد بن موسى العروسي فقد ولد سنة ١١٣٣هـ، وتفقه على العلامة النبراوي، والعلامة العزيزي، والعلامة علي قايتباي الأطفيحي، وحسن المدابغي، وعيسى البراوي، وعطية الأجهوري، وعلي الصعيدي العدوي، ومن تأليفه: (شرح على نظم شيخه الملوي لكتاب «التنوير، في إسقاط التدبير» لابن عطاء الله السكندري)، و(حاشية على الملوي على السمرقندية).

ومن مؤلفاته المهمة تلخيص الثبت المسمى بـ(الإمداد، في معرفة علو الإسناد) للعلامة عبد الله بن سالم البصري، وقد اطلعتُ على مخطوطه

والحمد لله، وفي أوله إجازة من العلامة العروسي بخطه لتلميذه أبي الصفا مصطفى البناني، تم تحريرها يوم السبت المبارك، غاية شهر ذي القعدة الحرام، من شهور سنة ثلاث ومائتين وألف من الهجرة.

وأبرز تلامذة العلامة الشهاب أحمد العروسي هو العلامة الشيخ موسى البشبيشي الأزهري، النحوي المنطقي الفرضي، فقد كان ملازمًا لدروس الشهاب العروسي في غالب الكتب التي كان يدرسها.

وكانت بين الشهاب أحمد العروسي وبين الحافظ مرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ صداقة ومودة، فترجم له الحافظ مرتضى في: (المعجم المختص)، ومما قال فيه: (وهو الآن شيخ الجامع على الإطلاق، ورئيسهم بالاتفاق، يدرس ويعيد، ويملي ويفيد، وبيني وبينه صحبة قديمة، ومحبة أكيدة، سمعت من فوائده كثيرًا، وقد مدحه شعراء عصره بقصائد طنانة، وكتاباته على الفتاوى جيدةٌ مفيدةٌ، تدل على سَعَةِ اطلاعه، ورَحْبِ باعه)[1].

وقال العلامة أحمد بك الحسيني ت١٣٣٢هـ في (مقدمة شرح الأم): (ولما توفي الشيخ أحمد الدمنهوري واختلفوا في تعيين شيخ للأزهر، فوقعت الإشارة عليه، واختاروه لهذه الخطة العظيمة، فكان كذلك، واستمر شيخ الجامع على الاطلاق، ورئيسهم بالاتفاق، يدرس ويعيد، ويملي ويفيد، وكان رقيق الطباع، مليح الأوضاع، لطيفًا مهذبًا).

قلت: وقد سمع صحيح البخاري كاملًا على العلامة أحمد بن عبد الفتاح الحسيني، وسمع صحيح البخاري مع شرح القسطلاني، رة، وشمائل الترمذي على العلامة الإمام محمد بن سالم

(١) م ، /ص١٢٧.

الحفني، ويروي عامة عن الشهاب أحمد الملوي، وعبد الله الشبراوي، ومحمد بن سالم الحفني، وسمع حديث الأولية بشرطه من ابن الطيب الشرقي، وسمع عليه الشمائل.

وكان قد اجتمع بولي عصره الشيخ أحمد العريان فأحبه ولازمه، واعتنى به الشيخ، وزوجه إحدى بناته، وبشره بأنه سيسود، ويكون شيخًا للجامع الأزهر، فتحقق ذلك بعد وفاة الشيخ أحمد العريان بمدة.

وقد توفي يوم ٢١ من شهر شعبان سنة ١٢٠٨هـ الموافق٢٢ من شهر مارس، سنة ١٧٩٤م، فرحمه الله تعالى ورحمهم برحمته الواسعة.

ونحن نروي مرويات العلامة الشيخ مصطفى العروسي بأسانيدنا إلى العلامة الشيخ: محمد حامد المراغي الجرجاوي، عن شيخه العلامة عبد الغني بن محمد العناني المالكي الأحمدي الأزهري المنشاوي، عن شيخه شيخ الإسلام مصطفى العروسي، وهو عن أبيه العلامة الشيخ محمد، عن أبيه العلامة الشيخ أحمد بن موسى العروسي، بأسانيدهم ومروياتهم رحمهم الله تعالى.

(ح) ومن طريق السيد الحسن بن محمد بن الصديق الغماري، عن الحافظ أحمد الصديق الغماري، عن العلامة بسيوني عسل القرنشاوي، عن مصطفى عز، عن مصطفى العروسي بأسانيده المذكورة.

فصل

في فائدة عزيزة، وجوهرة نفيسة

نروي عن شيخنا سماحة العلامة الإمام الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، عن مسند العصر العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني، عن أبي

المعالي حسن بن علي بن عمر بن عبد الرحمن الحسني السمهودي.

(ح) ونروي عن العلامة السيد عبد الله بن عبد القادر التليدي، والعلامة السيد إبراهيم بن محمد بن الصديق الغماري، كلاهما عن شقيق الثاني الحافظ السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري.

(ح) ونروي من طريق مسند العصر السيد عبد الرحمن بن مسند الدنيا العلامة السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، عن أبيه.

ثلاثتهم ـ الكتاني، والغماري، والسمهودي ـ عن الإمام الأكبر، شيخ الأزهر، الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، وهو عن شيخ الأزهر العلامة الشمس محمد بن حسين الأنبابي، وهو عن شيخ الأزهر العلامة الشيخ مصطفى العروسي، وهو عن أبيه شيخ الأزهر العلامة محمد العروسي وشيخ الأزهر حسن القويسني، والأول منهما عن أبيه شيخ الأزهر العلامة الشهاب أحمد العروسي وشيخ الأزهر عبد الله الشرقاوي، والأول منهما عن شيخه شيخ الأزهر العلامة محمد بن سالم الحفني وشيخ الأزهر عبد الله بن عامر الشبراوي، والثاني منهما عن شيخه شيخ الأزهر العلامة الفقيه محمد الخرشي ت١١٠١هـ شارح مختصر خليل، وهو عن والده جمال الدين عبد الله بن علي الخرشي المالكي، عن العلامة سالم السنهوري، عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي بأسانيده ومروياته.

قلت: فهذا سندٌ عجيبٌ، وسِيَاقٌ فخيمٌ، جليلُ القدر، مسلسل بشيوخ الأزهر في غالبه؛ إذ روى فيه سبعة من شيوخ الأزهر بعضهم عن بعض، فهؤلاء السادة الغرر، والأئمة الدرر، والبحور الزواخر، والنجوم

الزواهر، إذا اجتمعوا في سندٍ على النسقِ المذكور، كان ذلك السند من عيون أسانيد المصريين، وأنفسها، وأكثرِها عزةً وجلالة، فخذه شاكرًا؛ فإني لم أرَ أحدًا انتبه إليه ولا استخرجه من قبلي، والحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا، لا تحيط به عبارة، ولا ترقى إليه إشارة.

وقد استخرج عدد من العلماء شيئًا من الأسانيد النوادر، المسلسلة بعدد من الأكابر، الذين يجمعهم وصف معين، فاحتفى كل واحد منهم بذلك السند المسلسل الذي استخرجه، حتى أفرد له تصنيفًا مستقلًا، فمنهم الحافظ السيوطي ت٩١١هـ ـ رحمه الله ـ، فقد استخرج السند المسلسل بالنحاة من طريق شيخه تقي الدين الشمني ـ بضم المعجمة والميم وتشديد النون ـ القسطنطيني الحنفي، فأفرد له جزءًا، قال في: (بغية الوعاة): (وخرَّجتُ له جزءًا، فيه الحديث المسلسل بالنحاة، وحدَّث به)، كما أن السيوطي أورد ذلك السند الجليل في ثبته المسمى بـ(المنجم، في المعجم)، وهو مطبوع، وفيه فوائد كثيرة.

وكذلك فعل العلامة أحمد بن محمد بن يونس السعودي الحنفي المصري ت١٠٢١هـ؛ فقد استخرج الإسناد المسلسل بالقضاة، فأفرد له جزءًا اسمه: (إتحاف الرواة، بمسلسل القضاة)، وقد اطلعت على مخطوطه بفضل الله.

وكذلك فعلتُ بتوفيق الله تعالى في هذا السند النادر العزيز، المسلسل بشيوخ الأزهر الأنور، فقد أفردت له جزءًا أسميته: (النجم الأزهر المنيف، في السند المسلسل بشيوخ الأزهر الشريف)، وأسميه اختصارًا: (الكواكب السبعة السيارة)، وسبحان من جعل السموات سبعًا، وقد ترجمت فيه

لأعيانه، وخرجتُ من طريقه عدةَ أحاديث، في شرف مصر وفضلها وفضل أهلها، مع النظر في أسانيده ورواتها، فالحمد لله على ذلك.

* * *

۞ العلامة المؤرخ الشيخ: محمد الخضري بك ابن الشيخ عفيفي الباجوري.

ولد سنة ١٢٨٩هـ ـ ١٨٧٢م، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر أنه من ولد عبد الله ابن حجازي الشرقاوي ت١٢٢٧هـ، وينتهي نسبه إلى سيدنا علي زين العابدين، ابن سيدنا الإمام الحسين رضي الله عنهما.

والتحق بمدرسةِ دار العلوم عام ١٨٩١م، وتخرج منها عام ١٨٩٥م، وعين قاضيًا شرعيًّا بالخرطوم، ثم مدرسًا في مدرسة القضاء الشرعي، ثم أستاذًا للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية، فوكيلًا لمدرسة القضاء الشرعي.

وهو صاحب التآليف المشهورة: (نور اليقين، في سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم)، (تاريخ التشريع الإسلامي)، (إتمام الوفاء، في تاريخ الخلفاء)، (أصول الفقه)، (مهذب الأغاني للأصفهاني) تسعة أجزاء، (محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية) وغير ذلك[1].

وقد كان ـ رحمه الله ـ متأثرًا بالشيخ محمد عبده، في إعادة تدوين العلوم الإسلامية بلغة العصر، فكتب محمد عبده رسالة التوحيد، وعلى غرارها كتب الخضري كتاب أصول الفقه، وقد كتب الأستاذ الأديب الكبير

(١) انظر ترجمته في تقويم دار العلوم /٢٧٩/١، وترجم له شيخنا محمد رجب البيومي في: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين /٢٨٣/١، والزركلي في: الأعلام /٢٦٩/٦، وعمر رضا كحالة في: معجم المؤلفين /٢٩٥/١٠.

مصطفى صادق الرافعي كلمةً حول تأثر الخضري بشيخه محمد عبده، وتشبعه به وبمسلكه، في كتاب: (وحي القلم)[1].

وقد كان العلامة محمد العربي التباني ـ رحمه الله تعالى ـ له انتقاد على كتاب: (محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية)، طبع في مجلدين، وقد سماه مؤلفه: (تحذير العبقري، من محاضرات الخضري).

وكان العلامة التباني ـ رحمه الله تعالى ـ معنيًّا بالمطالعة، مستكثرًا منها، فكأنَّه كان يسجلُ خواطراه وتدقيقاته على البحوث التي يطالعها، ولذا تراه أخرج عددًا من المؤلفات، في المناقشة والانتقاد على مؤلفاتٍ في مشاربَ شتى، وتوجهاتٍ متعددةٍ.

فله كتاب: (تنبيهُ الباحث السري، إلى ما في رسائل وتعاليق الكوثري)، وله أيضًا: (التعقب المفيد، على هدي الزرعي الشديد) يسجل فيه انتقادات على: (زاد المعاد) لابن القيم، وله: (الغاية، في الرد على البداية والنهاية) لابن كثير، إضافةً إلى كتابه سابق الذكر، في الرد على الشيخ الخضري.

توفي العلامة الخضري بالقاهرة في ٨ شوال سنة ١٣٤٥هـ، الموافق شهر مايو ١٩٢٧م، فرحمه الله رحمة واسعة.

يروي الشيخ الخضري عن: العلامة محمد الأشموني، عن مصطفى المبلط الأحمدي، عن السيد مرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ بأسانيده، كذا ذكره سالم بن جندان في ثبته: (روضة الولدان)، فيرد هنا ما هو معلوم ومشهور من الانتقاد على ابن جندان رحمه الله، والله أعلم بحقيقة الحال، ولولا أني

(١) وحي القلم /٤٠١/٣، وانظر النهضة الإسلامية للبيومي /٢٨٤/١.

جعلت كتابي هذا نواةً لجمهرة أوسع، تخرج بإذن الله تعالى تباعًا، ويبني عليها من يأتي من بعدنا، ويقع فيها تتبعٌ لأهل الإسناد من المصريين، لما ذكرته.

أروي ما يثبتُ من مروياته عن شيخنا السيد محمد بن علوي المالكي ت١٤٢٥هـ، عن المسند السيد سالم بن أحمد بن جندان ت١٣٩٥هـ، عنه.

* * *

❁ العلامة الواعظ الشيخ: منصور بن علي بن ناصف الحسيني الأزهري.

ولد سنة ١٣٠٦هـ، وتوفي بعد ١٣٧١هـ.

أما كتابه: (التاج الجامع للأصول) فكتاب جيِّد، وقد قرظه الشيخ بخيت المطيعي، والشيخ يوسف الدجوي، ومحمد حبيب الله الشنقيطي، ومحمد الببلاوي، وعبد المجيد اللبان، وعبد الوهاب النجار، وأمين محمود سرور وغيرهم من العلماء.

وقد كان ـ رحمه الله ـ محبًّا للحديث الشريف، استغرق في خدمته عمره، حتى حصلت له المبشرات التي تدل على صدق طويته، في خدمته للعلم قدر طاقته، قال في أواخر كتاب: (التاج الجامع للأصول): (رأيت النبي ﷺ في نومي عدة مرات، وأخراهنَّ أنِّي كنتُ أُجاهِدُ في عقبةٍ من عقبات التأليف، التي كانت تعترضني من حينٍ لآخر بجيشها، من اليأس والوسواس والكسل، وكان هذا في أواخر رمضان، فرأيت في منامي كأني في غرفة تتلألأ بالأنوار من غير كوكب ولا مصباح، فإذا شخص قد دخل عليَّ وعليه زي العلماء، فقال: أشعرت؟! قلت: بماذا؟! قال: هذا رسول الله

ﷺ مقبل، فنظرت فإذا الرسول الأعظم ﷺ قد دخل عليَّ في تلك الغرفة، وهو متوسط القامة، وعليه عمامة بيضاء، وملابسه كملابس كبار العلماء، وعليه من حسن الزي، وكمال الهيئة والهيبة نهاية الوصف، فتناولت يده الشريفة فقبلتها، ثم ملت على ركبتيه أقبلهما فاستيقظت وأنا على هذه الحال، وقد امتلأ جسمي بالفرح والسرور، فلله ألف حمد، وألف شكر، فإني أظنها بشرى لحظي في الآخرة إن شاء الله تعالى)[1].

يروي عن: ١ ـ محمد إمام السقا توفي سنة ١٣٥٤هـ، ٢ ـ والشيخ عبد الرحمن الشربيني، ٣ ـ والشيخ سليم بن أبي فراج بن سليم البشري ت١٣٣٥هـ، ٤ ـ ومحمد نور الصعيدي، ٥ ـ ومحمد البشير بن ظافر المالكي ت١٣٢٥هـ، ٦ ـ ومحمد بن أحمد عليش، ٧ ـ ومحمد مخيمر الشرقاوي، ٨ ـ ومحمد طاهر الشرقاوي، ٩ ـ وعبدالوهاب الخضري، ١٠ ـ ومحمد أبو الرحاب الأزهري، ١١ ـ ومحمد الرخاوي، ١٢ ـ ومصطفى بن عطية الليثي، ١٣ ـ ومحمد أبو عليان، ١٤ ـ ومحمد بن حسين الرفاعي، ١٥ ـ وعوض الله المرصفي، ١٦ ـ والسيد محمد بن عوض الدمياطي، ١٧ ـ وحسين بن محمد الجسر الطرابلسي، ١٨ ـ وأحمد بن نصر العدوي، ١٩ ـ ومحمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ.

قلت: وقد بلغني أنه جمع في أسانيده ومروياته ثبتًا اسمه: (دليل الراصف، إلى أسانيد ابن ناصف) إلا أني لم أقف عليه، ولذا فإن عندي وقفة بل وقفات بل ارتياب في ذكر شيوخه على النسق المذكور، بل لا أمتري في عدم صحة روايته عن بعض المذكورين أو أكثرهم، لقرائن عندي يطول ذكرها، والله أعلم بحقيقة الحال.

(١) التاج الجامع للأصول ٥/٤٦٦.

فصل

وقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ مشهورًا في مصر بالإسناد، معروفًا به، إلا أنه كان عسرًا فيه، لا يجيز إلا بعسرٍ وتشديدٍ، وقد وقعت له قصةٌ لطيفةٌ في هذا الشأن مع أستاذنا العلامة الدكتور محمد رجب البيومي، وهي وإن كانت طويلة إلا أن فيها فوائد جمة في هذا الباب، وفيها صفحات من تاريخ علماء الأزهر، وصور تلقيهم وحرصهم، وفيها إفادة عن شخص المترجم وأوصافه ومنهجه.

وحاصلها أن أستاذنا ذكر في كتاب: (من أعلام العصر، كيف عرفت هؤلاء؟!) له أنه حضر مرةً مجلسًا ضم العلامةَ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين والعلامة محمد عبد القادر المغربي، وفي آخره قال له العلامةُ المغربي: (عندي موعدٌ خاص بزيارة عالم كبير من كرام أئمة الدين، وإذا لم تمانع أكون سعيدًا بمرافقتك لآنس، قلت: وافرحتاه! أبلغ بي الحظ أن أسعى في ركابك، لأزور أحد الأئمة! قال: هيًّا!

أخذت سيارة المغربي تشق الطريق في شوارع القاهرة، فاجتازت أماكن التكدس إلى الضواحي الهادئة، مرورًا بالعباسية والقبة والزيتون والمطرية حتى وصلنا إلى عزبة النخل، وكانت يومئذ أشبه بالقرية الصغيرة، قبل أن تتزاحم المنازل وتتراكب كما نرى، فأشار الشيخ إلى منزل صغير ليقف أمامه السائق، وصحبني إلى الباب ففتحه بهدوء، واتجه إلى حجرة بالدور الأول، فضرب عليها ضربًا خفيفًا بأصبعه كمن يستأذن، ثم تقدم وأنا من خلفه لنجد عالمًا مهيبًا يجلس متربعًا على كرسي مربع، وأمامه عالم مهيب أيضًا يجلس على الأرض، ومعه نسخة من كتاب الموطأ للإمام مالك ﵁،

يقرأ ما بها في إجلال، فأخذ المغربي مجلسه في خشوع خلف القارئ الكريم، وأشار فأخذت مجلسي جواره، وجلسنا نستمع وأنا في دهش حائر، لأن المجلس مجلس استماع، والشيخ المتصدر ينصت بدون أن ينطق، ولم يظهر عليهما ما يدل على أن زائرين قد حلا ضيفين، إذ استرسل القارئ وأنصت السامع.

حتى إذا مضت قرابة ساعة نهض القارئ فصافح الشيخ الجالس، واتجه إلينا فصافح المغربي في شوق، وصافحني في حنوٍّ كمن يسأل عني لأول مرة يراني، ثم تقدمنا إلى الشيخ الكبير، فوجدت القارئ والمغربي يقبلان يده في إكبار فقلدتهما! ولكني لم أفهم شيئًا مما أرى!

حان الإياب، فصحبت العلامة المغربي، وأنا في حيرة أتعجب، ورأى الرجل الكبير ما يتلبسني من تساؤل، فقال: ألا تعرف فضيلة العالم الجليل الشيخ يوسف الدجوي، أحد جماعة كبار العلماء، إنه هو الذي يسمع، ثم ألا تعرف العالم الجليل الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية، إنه هو الذي يقرأ، وللمجلس معنى، فإن سلسلة رواية الموطأ عن مالك لم تنقطع إلى اليوم، إذ يقوم بها خلفٌ عن سلفٍ، حتى تتصل بمالكٍ، والأئمة الكبار يحرصون على أن يكونوا حلقات مباركة في هذه السلسلة النبوية الكريمة، فقد روى الدجوي الموطأ عن: الشيخ سليم البشري، ورواه البشري عن شيخه إبراهيم السقا، ثم رواه السقا عن الأمير الصغير، وما زالت الرواية تتصاعد بدون بَتْرٍ حتى تصل إلى مالك بن أنس، وهو يروي عن نافع، عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ.

ثم قال المغربي: استمع يا بني! أما شاهدت الكوثريَّ يصافح الدجويَّ بعد القراءة؟ إن كلَّ قارئٍ يصافح من يقرأ عليه، ويعتقد المحدثون أن

المصافحة تمتد من يد إمام إلى إمام، حتى تصل إلى يد الإمام مالك، وقد صافح ﵁ نافعًا، وصافح نافعٌ عبدَ الله بن عمر، وصافح ابنُ عمر رسولَ الله ﷺ، فكأنَّ سلسلة المصافحة تَشْرُفُ بكفِّ رسول الله ﷺ، وأنا لم أصافح الشيخ الدجوي؛ إذ لا تتم المصافحة على وجهها الشرعي إلا لمن قرأ الموطأ كاملًا، كما يفعل الكوثريُّ، ونحن حضرنا مجلسًا للبركة فقط! وليت الزمانَ يتيح المداومة، ولكن متى؟

قلت للشيخ المغربي: كنت أتمنى أن أصافح أستاذنا العلامة الدجوي لأدخل في سلم المصافحة الممتدة إلى مالك بن أنس ﵁، وتهيبت أن أقول إلى رسول الله ﷺ لأن مقامه أعلى وأرفع، فلمعت عينا الشيخ ببريق ساطعٍ، انتقل إلى وجهه المشرب بالحمرة، فجعله قطعة من الضياء، وقال: يا ولدي!! هذه أمنية طيبة، ولكنها متعذرة مع العلامة الدجوي؛ لأنه لا يصافح إلا من يقرأ الموطأ كاملًا دون نقص حرف واحد، والشيخ مريض، ولا يعقل أن يبدأ بالسماع لأحد بعد العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، لأنه صديقه الأعز، وقد رجاه أن يقرأ فاضطر إلى القبول نظرًا لمرضه الذي يحرمه من الجلوس ساعات ممتدة إلا بضيق شديد، ولكن سأدلك على شيء سار!

وسكت مليًّا، ثم قال: أعرف أن الشيخ منصور علي ناصف إمامَ المسجدِ الزينبي يعقدُ حلقةً يقرأ عليه بها صحيح مسلم، وقد قرأه على الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ـ رحمه الله ـ، ومن ورائه سلسلة ترتفع إلى مقامه الشريف، وتتم المصافحة عَقِب كلِّ قراءة، فاذهب إليه بمسجد السيدة زينب، وشاوره!

كنت أعرف فضل الشيخ منصور علي ناصف، وأحتفظ بكتابه التاج في خمسة أجزاء مشروحة، خاصة بما جمع في كتب السنة الخمسة، فصممت على أن أذهب إليه في اليوم نفسه، بعد صلاة العشاء، إذ اعتاد أن يؤم الناس في صلاة المغرب، ويجلس في المحراب ذاكرًا متأملًا حتى يؤذن العشاء، فيؤم المصلين، فودعت العلامة المغربي، وأخبرته بما اعتزمت عليه، ورجوت أن يسمح بلقائي قبل سفره، فقال إنه سيكون بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية غدًا بعد العصر، فإذا شئت أن أحضر، فهذا يسره.

كنا على مقربة من الغروب، فهرعت إلى المسجد الزينبي، ووجدت الشيخ جالسًا في المحراب حيث توقعت، ينتظر صلاة العشاء، وهو شيخ جليل، يغمره وقار الشيب، أبيض اللحية والعمامة، وقامته فارعة، وابتسامه في اللقاء مشجع عاطف، فلما فرغ من العشاء الآخرة، أقبل الناس جميعًا من خلفه على تقبيل يده، وانتظرت كيلا أضيع في الزحام، فلما تأهبت للخروج دنوت منه مسلمًا، فتلقاني بعطف، وسألني في لطف: من أنت؟ قلت: طالب بكلية اللغة العربية، ينشدك في أمر ديني، فقال: خيرًا، قلت: أريد أن أنضم إلى حلقة الحديث حين تبدأ مجموعة جديدة.

فجلس الشيخ فجأة على سجادة المسجد، وكان واقفًا، وقال في حنو: كم سنك يا بني؟ قلت: أربعة وعشرون عامًا، فضحك وقال: وتريد أن تكون من رواة الحديث في هذه السن؟ انتظر حتى تتجاوز الأربعين ليحدث لك وقار الموقف! إنه حديث رسول الله ﷺ يا فتى! فوجمت قليلًا، ولحظ الشيخ انقباضي، فقال: أمامك مرحلة أولى، قلت: ما هي؟ قال: ابدأ بقراءة كتب المصطلح، وأشير عليك بكتاب: (شرح علوم الحديث)

للحافظ ابن كثير، لأنه مقدمة جيدة لمن يريد أن يتشبع بدارسة حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبه كلام طيب عن آداب المحدث، وإملاء الحديث، وسماع الحديث، والإجازة والوصية، وبيان أنواع الحديث، من صحيح، وحسن، وضعيف، ومسند، ومرفوع، وموقوف، ومنقطع، ومرسل، ومعضل، ومدلس، ومنكر!! فقلت: يا سيدي درسنا مصطلح الحديث بالقسم الثانوي بالأزهر، وفيه أكثر ما ذكرت، فقال في هدوء: كتاب الحافظ ابن كثير كله نور، كله نور، فادرسه وستسعد بإذن الله، ونهض فنهضت.

سارعت للقاء العلامة المغربي بدار الكتب، ولم يكن يتوقع أني سأقابل الشيخ منصور بهذه السرعة، فجعلت أحدثه عما قال لي، وأنا أتألم لقوله لي: بعد الأربعين!

فقال المغربي: إن شيخ المحدثين بالشام أستاذنا بدر الدين الحسني لم يكن يشترط سنًا لقراءة الحديث، وقد قرأنا عليه في دار الحديث بالأشرفية في دمشق صحيح مسلم وسنن الترمذيِّ، وكنا عددًا من الأخوان فينا الصغير والكبير.

قلت: أذكر يا سيدي أنك كتبت عنه مقالةً بمجلة الرسالة في السنة التي انتقل فيها إلى جوار ربه، وقد قرأتها واحتفظت بها، فتألق وجه الشيخ وقال: ما شاء الله، ما شاء الله، ثم قال: إن كتاب الحافظ ابن كثير ليس هو الوحيد في بابه، فكتب المصطلح من الكثرة بحيث لا تحد، ولكن قراءته بلا شك ستعود عليك بالنفع)[1].

فرحم الله الشيخ منصور علي ناصف رحمة واسعة، فقد خدم العلم

(١) من أعلام العصر /ص١٣٠.

قدر وسعه وطاقته، والله يتقبل منا ومنه.

أروي مروياته وثبته من طريق شيخنا العلامة نور الدين أبي الحسن علي جمعة الشافعي، عن الفقيه عبد الله بن سعيد اللحجي، عن العلامة السيد سالم بن جندان، عنه.

حرف النون

❁ **العلامة النحوي الأديب: نافع الخفاجي بن الجوهري بن سليمان حسن بن مصطفى بن أحمد الخفاجي الأزهري.**

ولد سنة ١٢٣٧هـ ـ ١٨٢٢م تقريبًا، حفظ القرآن الكريم قبل اكتمال الثانية عشرة، ثم حفظ المتون كمتن أبي شجاع، ومتن منهج الطلاب لشيخ الإسلام زكريا، وألفية ابن مالك، والآجرومية، والرحبية، والجزرية، والجوهرة، والسنوسية، ومتن السلم، ومتن السمرقندية، ومتن الزبد لابن رسلان، ومتن تحفة الأطفال وغيرها.

والتحق بالأزهر في أواخر سنة ١٢٧١هـ، فحضر على شيخ الإسلام البرهان الباجوري، حضر دروسه في المنهج، والتحرير، وكتب الحديث والتفسير، وحضر على العلامة البرهان إبراهيم السقا شرح الجامع الصغير، وقرأ الفقه على العلامة محمد الأشموني، وقرأ النحو والبيان على الشيخ الخضري، وحضر على الشيخ مصطفى البدري شيئًا من الفقه والنحو، وحضر على الشيخ الرهابيني شيئًا من المنطق والنحو والبيان، وقرأ على الشيخ الرافعي شرح الشفا للقاضي عياض، وقطعة من البخاري، وأخذ الفقه والبيان والنحو والمنطق والفرائض والتفسير والحديث عن جماعة من الشيوخ.

وترجم لنفسه ترجمة مطولة في أوائل كتابه: (المقامة الخفاجية)، وتوفي سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م، ولذا أوردته في كتابي المسمى: (الذين ترجموا لأنفسهم).

ومن مؤلفاته: (تنوير الأذهان، في علم البيان)، (مطالع الأفكار، وتنوير الأبصار) في علم المنطق، (السر المكتوم، في علوم المنطوق والمفهوم)، (جوهر الكلم، في منظوم الأمثال والحكم)، (المقامة الخفاجية، أو التلبانية)، (المقامة السعفانية)، (رسالة في التحليل وطلاق الثلاث والحرام)، (تهييج الأشواق، في حكم الخلع والطلاق)، (الحج على المذاهب الأربعة).

يروي عن جماعة من العلماء منهم: ١ ـ البرهان الباجوري، ٢ ـ والعلامة الرهابيني، ٣ ـ والعلامة الرافعي، ولا أعلم سندًا يوصلني إليه، إلا أنني أروي مرويات مشايخه ومشايخ مشايخه من طرق كثيرة.

وكنت قد ذكرت لك من قبل أن الخفاجيين جماعة كثر، حتى أفرد شيخنا العلامة محمد عبد المنعم خفاجي كتابًا عنوانه: (الخفاجيون في التاريخ)، وهو في سبعة أجزاء، رأيت منها واحدا فقط.

* * *

❁ **المسند الشيخ: أبو سهل نجاح بن عوض بن صيام المنصوري.**

ولد يوم الاثنين، السادس عشر من ذي الحجة، سنة ١٣٧٧هـ، الموافق الثالث من يوليو، سنة ١٩٥٨م، في قرية أويش الحجر، التابعة لمركز المنصورة، فتلقى على يد خاله العلامة الصالح الشيخ عبد القادر عوض الشاذلي، ثم عرف العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري، وحضر عليه صحيح البخاري كاملا، سنة ١٩٨٩م، في المجالس التي انعقدت لقراءة البخاري، وتمت في بضعة وعشرين يوما، وأحاله العلامة الغماري

سنة ١٩٨٠م إلى شيخنا سماحة العلامة الشيخ علي جمعة، فانتفع بشيخنا أتم الانتفاع، وحضر عليه في علوم الحديث، وفي فقه الشافعية، وقرأ عليه بعض سنن أبي داود، بل أقام في مكتبة شيخنا سنوات طوال، من مستهل سنة ١٩٨٤م، حتى أدركته سنة ١٩٩٩م وما بعدها يتردد على مكتبة شيخنا ويقيم فيها على فترات، أيام إقامتي بمكتبة شيخنا حفظه الله.

وقد زرته في بيته في أويش الحجر غير مرة، فأكرمني غاية الإكرام، واستجزته، فأجاز لي إجازة عامة، مع ما هو عليه من السمت الحسن، وخفض الجناح، والإقبال على الله، والاشتغال بالعلم، وانعقدت بيني وبينه المودة.

وأما مؤلفاته فمنها: (التبرك بآثار الصالحين)، ومنها: (نعت الأولياء الصالحين)، ومنهاك (إشراقات الروح البرزخية)، ومنها: (التداوي بالقرآن حقيقة إيمانية)، ومنها: (الوقت عند الصوفية).

كما أنه حقق عددا من الكتب، منها: (حياة الأنبياء) للبيهقي، ومنها: (تحفة الشاكرين) للشوكاني، ومنها: (أنس الفقير، وعز الحقير) للشهاب القسنطيني، وغير ذلك كثير.

يروي عن: ١ ـ العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري، ٢ ـ العلامة المحدث السيد عبد العزيز بن الصديق الغماري، ٣ ـ العلامة السيد عبد الله بن عبد القادر التليدي، ٤ ـ العلامة السيد محمد زكي الدين إبراهيم، ٥ ـ العلامة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، ٦ ـ العلامة الفقيه الشيخ محمد أختر رضا خان القادري الحنفي.

أروي مروياته عنه مباشرة كما تقدم.

حرف الواو

❁ **العلامة الفقيه الشيخ: عمر وجدي بن عبد الرحمن الكردي المارديني ثم المصري الحنفي.**

ولد بماردين سنة ١٣١٩هـ ـ ١٩٠١م، وقد توفي سنة١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

رحل إلى مصر، والتحق برواق الأكراد بالأزهر الشريف، وتخرج منه، تلقى العلم على جماعة منهم: الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ محمد زاهد الكوثري وغيرهما، وأجازوه بمروياتهم.

عمل مترجمًا في الإذاعة المصرية باللغة التركية، كما عمل شيخًا لرواق الأتراك والأكراد والبغداديين بالأزهر الشريف، وكان ناظر أوقاف الأكراد بالأزهر الشريف وكنت قد رأيت الشيخ محمد خير رمضان يوسف ترجم له في كتاب: (تتمة الأعلام)[١]، ونقل سطورًا في ترجمته عن فضيلة الشيخ محمد عبد الله الرشيد ـ حفظه الله ـ، فكاتبت الشيخ محمد الرشيد ليرسل إليَّ ما تحت يده من معلومات حول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد أثبتُّ هنا نص ما أرسله إلي، ثم إني رأيت فضيلة الشيخ محمد الرشيد ذكر أطرافًا من فوائد العلامة الشيخ عمر وجدي في كتابه: (الإمام محمد زاهد الكوثري وإسهاماته في علم الرواية)[٢].

---

(١) تتمة الأعلام ١/٤٠٠.

(٢) الإمام محمد زاهد الكوثري، وإسهاماته في علم الرواية والإسناد /١٦٩.

يروي عن: ١ ـ العلامة المسند الفقيه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ت١٣٦٣هـ، وقد كتب له الإجازة على ثبت الأمير الذي طبعه الشيخ محمد حبيب الله بمصر سنة ١٣٤٥هـ، وتاريخ الإجازة ٢٧ شوال، سنة ١٣٥٨هـ، ٢ ـ وعن العلامة المحدث الفقيه المتكلم الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ت١٣٧١هـ بما في ثبته: (التحرير الوجيز).

نروي مروياته من طريق صديقنا العلامة المسند فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله بن عبيد آل رشيد، وهو عنه مباشرة.

حرف الياء

❁ فضيلة الشيخ المسند: يسري بن رشدي بن السيد بن جبر الشافعي الصديقي الأزهري.

ولد يوم الخميس ١٣٧٤/١/٢٥هـ ـ الموافق١٩٥٤/٩/٢٣م بالقاهرة، ثم حفظ القرآن الكريم وقرأ الختمة برواية حفص عن عاصم على الشيخ عبد الحكيم عبد السلام عبد الحفيظ خاطر، وهو قرأ على الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، وهو قرأ على الشيخ عبد الفتاح هنيدي، وهو قرأ على الإمام المتولي الكبير، وأسانيده في القراءة مشهورة.

وقرأ صاحب الترجمة الختمة أيضًا على الشيخ محمد محمد آدم، وهو قرأ على الشيخ عامر السيد عثمان، وقرأ أيضًا على الشيخ محمد محمد بدوي السيد، وهو قرأ على الشيخ عبد الحليم بن بدر أحمد منصور عطا الله، والشيخ صلاح الدين أحمد محمد عيسى بأسانيدهما.

وحضر صاحب الترجمة غالب الموطأ على العلامة المحدث محمد الحافظ التيجاني ـ رحمه الله تعالى ـ، وحضر صحيح البخاري، وحاشيتي قليوبي وعميرة في فقه السادة الشافعية، وإحياء علوم الدين على العلامة الفقيه محمد نجيب المطيعي ـ رحمه الله تعالى ـ، وحضر الشمائل المحمدية للترمذي، واللمع لأبي إسحاق الشيرازي، وقدرًا من الموطأ على العلامة المحدث السيد عبد الله الصديق الغماري، وحضر دروس العلامة الشيخ إسماعيل صادق

العدوي في شرح الموطأ، وتفسير القرآن الكريم، وحضر على سماحة العلامة الشيخ علي جمعة الشافعي في ورقات الجويني، وجمع الجوامع للسبكي، ومقدمة ابن الصلاح، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني، وغيرها.

وحضر أيضًا في النحو وفي فقه الشافعية على فضيلة الشيخ كمال العناني، وحضر في فقه الشافعية أيضًا على العلامة الشيخ نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية سابقًا، وحضر شرح الآجرومية وألفية ابن مالك وأجزاء من إعراب القرآن الكريم على العلامة الشيخ محمد حسن عثمان.

درَّس كتاب: (الشفا) للقاضي عياض في مدة أربع سنوات، ودرّس: (الحكم) لابن عطاء الله السكندري، ودرّس: (الرسالة القشيرية)، وله درس في شرح صحيح البخاري في الجامع الأزهر الشريف، والله يبارك في عمره وعمله، ويديم النفع به في عافية، وقد تزوجت ابنته التقيَّةَ الصالحة، أسأل الله أن يبارك فيها، وأن يرفع قدرها في الدنيا والآخرة.

وأجاز له غير واحد من السادة العلماء المسندين، منهم: ١ ـ العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري وأسانيده في: (ارتشاف الرحيق)، ٢ ـ ومنهم الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم وأسانيده في المجموع المسمى (بالإذن المحمدي)، ٣ ـ ومنهم مسند الحجاز السيد محمد بن علوي المالكي بما في أثباته وفهارسه، ٤ ـ ومنهم شيخنا الإمام علي جمعة مفتي الديار المصرية وقد ذكرت أسانيده في ترجمته، ٥ ـ ومنهم شيخنا المحدث السيد محمد إبراهيم عبد الباعث السكندري الكتاني وقد سبقت أسانيده، ٦ ـ ومنهم السيد إبراهيم صالح مفتي نيجيريا بما في ثبته: (الطود الشامخ)، ٧ ـ ومنهم السيد إبراهيم بن عبد الله الخليفة الأحسائي بما في ثبته، ٨ ـ ومنهم الحبيب زين بن سميط بما في ثبته: (نسج الخيط، في أسانيد زين بن سميط) تخريج تلميذه السيد حمزة الكتاني، ٩ ـ ومنهم المسند المعمر الشيخ أحمد علي بن محمد يوسف السورتي اللاجبوري، ١٠ ـ ومنهم العلامة محمد نجيب المطيعي، وأسانيده في أوائل تكملته على المجموع، ١١ ـ ومنهم فضيلة الشيخ محمد سعيد الكحيل الحمصي، وغيرهم.

أجاز لي إجازةً عامةً مساء الخميس، تاسع عشر شوال المعظم سنة ١٤٢٢هـ بمسجد قايتباي، بحي المنيل بالقاهرة المحروسة.

* * *

❁ العلامة الإمام الكبير، الفقيه، المفسر، الشيخ: يوسف بن أحمد بن نصر بن سويلم الدجوي المالكي الأزهري.

وُلِدَ في قرية دجوة من أعمال محافظة قليوب سنة ١٢٨٧هـ، والتحق بالأزهر سنة ١٣٠٢هـ، وتلقى على كبار علماء عصره، مثل الشيخ هارون عبد الرازق، والشيخ رزق صقر البرقامي، والشيخ سليم البشري، والشيخ محمد البحيري، والشيخ عطية العدوي، والشيخ أحمد فائد الزرقاني، والشيخ حسن الجريسي الكبير، وغيرهم.

وهو عضوُ هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف، والمنافح عن الإسلام بقلمه ولسانه، وهو العلامةُ المحققُ البارعُ المتقنُ، قال العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري في: (مقالاته): (وكان رحمه الله آيةً في الذكاء، وسرعة الخاطر، وجودة البيان، وقوة الذاكرة، وسعة العلم.

يحضر حلقات درسه في الأزهر الشريف مئاتٌ تناهز الألف، من

العلماء وطلبة العلوم، يصغون إصغاء كليًّا إلى بيانه الساحر، وإلقائه الجذاب، وينهلون من هذا المنهل العذب، وكان هو مفسر الأزهر، ومحدثه، وفيلسوفه، وكاتبه، وخطيبه بحق، بين أهل طبقته.

وكان موضع ثقة الجماهير من الشعوب الإسلامية في شتى الأقطار، اعترافًا منهم بسعة علمه، وعظم إخلاصه، وبالغ ورعه، تتوارد إليه استفتاءات من شتى الأقطار والجهات.

وله مؤلفات ممتعة، سارت بها الركبان إلى شتى البلدان، ومقالاته النافعة في شتى المواضيع لم تزل تنشر في الجرائد والمجلات العربية، إلى آخر لحظة من أيام حياته رحمه الله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[1].

وقال العلامة الشيخ أبو الحسن زيد الفاروقي الهندي، المتخرج من الأزهر الشريف، المتوفى سنة ١٤١٤هـ، في سيرة والده وأجداده والمسمى: (مقامات خير): (العلامة يوسف الدجوي، ليس له بصر، أما قوة البصر فقد انتقلت إلى قوة البصيرة، وبعد صلاة الصبح عنده درسٌ لصحيح البخاري الشريف، ويحضر في درسه الكثير من العلماء، وأنا العاجز حضرت له، والشيخ الصاوي يقرأ الحديث الشريف، وبعد ذلك يتكلم الشيخ الدجوي، أولًا يتكلم على أسماء الرجال، وبعد ذلك يتكلم على الحديث الشريف من ناحية اللطائف وعجائبه، وفي ضمن ذلك يتكلم عن المعاني والبيان والبديع والنحو، وبعد ذلك يتكلم عن مذاهب الأئمة التي تتعلق بالحديث، ودرسه هذا ليس درسًا بل نهرٌ جارٍ، وأثناء الدرس الجميع يسمعون بالهدوء، وبعد انتهاء الدرس يتوقف قليلا، ثم يقول: هل هناك أسئلة؟ تفضلوا، ومدة

(١) مقالات الكوثري /ص٥٦٥/، ونقله زكي مجاهد في: الأعلام الشرقية /٢/١٩٢/.

الدرس ساعة وربع تقريبًا، وخلال سنة كاملة أتم خمسة أو ستة أجزاء بالكثير)[1]، ففي هذا النص النادر وصفٌ تفصيليٌّ للمجلس الحديثي المشهود للعلامة الإمام الشيخ يوسف الدجوي ـ رحمه الله ـ، وإبراز لجانب خفي من الفنون العلمية التي كان يشتغل بها ـ رحمه الله ـ، وقد تفرد العلامة أبو الحسن الفاروقي ـ رحمه الله ـ بوصف هذا المجلس الحديثي الحافل، فجزاه الله خيرًا على هذه الدرة النفيسة.

وقال العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي في ثبته المسمى بـ(الدر الفريد): (الشيخ يوسف الدجوي، حضرت عليه في التفسير بعد صلاة الصبح في المحل المذكور ـ في الأزهر، في الرواق العباسي، تحت القبة ـ في قراءته للتفسير غيبًا، ويحضر عليه جملةٌ من العلماء، وبعض الأيام يمكث في تفسير الآية نحو ثلاثة أيام، يتكلم في الآية بكلامِ جماعةٍ من المفسرين، وهو مكفوفُ البصر، وله اليد الطولى في كل فن)[2].

وقال الشيخ أحمد بن محمد الهواري في رحلته الماتعة المسماة: (دليل الحج والسياحة) عند ذكر ما حضره من دروس علماء الأزهر الشريف:

(١) مقامات خير /ص٧٠٥/، وهذا النقل النفيس من الكتاب المذكور من إفادات فضيلة العلامة الشيخ محمد عبد الله الرشيد، في مكاتبة منه إلى الفقير، قال فيها ما نصه: (قال العلامة الشيخ أبو الحسن زيد الفاروقي الهندي، المتخرج من الأزهر الشريف، المتوفى سنة ١٤١٤هـ، في سيرة والده وأجداده، وهذا الكتاب بلغة الأوردو، وهو كذلك باللغة الفارسية، والنقل يا أخي الكريم من الكتاب الذي باللغة الأوردية، واسمه: مقامات خير، قال في ص ٧٠٥، ماتعريبه) فأورد الشيخ الرشيد النص الذي ذكرته هنا ثم قال: (هذا ما تكرم بتعريبه أحد أصدقائي الفضلاء من الإخوة الباكستانيين، وهذا الكتاب وغيره من كتب الشيخ أبي الحسن زيد الفاروقي اقتنيتها في رحلتي الأخيرة إلى الهند)، فشكر الله لفضيلة الشيخ محمد الرشيد هذه الإفادة الغالية.

(٢) الدر الفريد، الجامع لمتفرقات الأسانيد /ص٢١/.

(ودرسًا للشيخ يوسف الدجوي في الرواق العباسي، يحضر عليه فيه نحو ٥٠٠ من الطلبة، جلهم علماء)[١].

وأما مؤلفاته فهو صاحب المختصر المشهور في علم الوضع، وله مقالات نشرت قديمًا في مجلة الإسلام وغيرها من المجلات والدوريات المشهورة آنذاك، جُمعت وطُبعت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مجلدين ضخمين، وله تفسيرٌ للقرأن الكريم، اشتغل بإملائه، فأملى منه أربعين كراسًا، ولا يعلم مصيره.

ومن مؤلفاته كتاب: (رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٢]، بغير ما قاله المفسرون)، وكتاب: (الجواب المنيف، في الرد على مدعي التحريف، في الكتاب الشريف)، وهو كتاب جليل، يظهر منه سعة اطلاع مؤلفه، وقد ألفه ردًا على كولديساك، وكتاب: (تنبيه المؤمنين، لمحاسن الدين)، وكتاب: (رسائل السلام، ورسل الإسلام)، وكتاب: (الرد على كتاب: الإسلام وأصول الحكم)، وكتاب: (صواعق من نار، في الرد على صاحب المنار)، وكتاب: (سبيل السعادة)، وغير ذلك.

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى بين العشائين من ليلة الأربعاء، رابع صفر سنة ١٣٦٥هـ، الموافق شهر يناير ١٩٤٦م، فرحمه الله رحمة واسعة.

أما أسانيده: فإنه يروي عن ١ ـ العلامة الشيخ سليم البشري، ٢ ـ والشيخ عطية العدوي، ٣ ـ ومحمد البحيري الشافعي، ثلاثتهم عن البرهان إبراهيم السقا وأسانيده في ترجمته وقد تقدمت.

(١) دليل الحج والسياحة/ص٦٧.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

٤ ـ ويروي عن العلامة هارون عبد الرزاق البنجاوي ـ نسبة إلى قرية بنجا، من أعمال طهطا بصعيد مصر ـ ت١٣٣٦هـ وهو عن أحمد منة الله العدوي المالكي الشباسي ت١٢٩٢هـ، عن الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ.

٥ ـ ويروي عن محمد بن سالم طموم ت١٣١٤هـ، وهو عن أحمد بن مصطفى الكمشخانوي صاحب كتاب: (راموز الأحاديث)، وهو عن أحمد بن سليمان الأروادي بما في ثبته[١].

٦ ـ أحمد فايد الزرقاني، عن أحمد منة الله عن الأمير، ٧ ـ أحمد محجوب الرفاعي الفيومي، وهو عن المبلط، والسقا، وعليش، ٨ ـ رزق صقر البرقامي، وهو عن الشمس محمد الصفتي، عن الأمير الكبير.

قال الكوثري أيضًا: (وقد تلقيت من الأستاذ الدجوي رحمه الله موطأ الإمام مالك، من رواية يحي الليثي، في مجالس آخرها في اليوم الثاني والعشرين من صفر سنة ١٣٦١هـ، بقراءتي عليه لجميعه، إلا بعض مواضع يسيرة منه، فإنه ناوبني فيها الشيخ علي الخصوصي في بعض المجالس، فأجازني به، وبجميع ماله من المرويات، إجازة عامة، وساق سنده في الموطأ عن: أحمد منة الله، عن الأمير الكبير، بسنده، بطريق السقاط، ورجال هذا السند كلهم من المالكية، من الأستاذ الدجوي إلى الإمام مالك ﷺ)[٢].

(١) وقد رثاه العلامة الكوثري بمقال توسع فيه في ذكر سلاسل أسانيده نشر في مجلة الإسلام عدد ٧ من السنة الخامسة عشرة، ومنه نقلنا كلمات هنا، وهو مطبوع ضمن مقالات الكوثري /ص٥٦٥/، وترجم له ابن أخيه الأستاذ عبد الرافع الدجوي في جزء مستقل اسمه: (الغيث المروي، في ترجمة الإمام الدجوي) وهو مطبوع، وفي خزانة كتبي نسخة منه، عليها خط مؤلفها، وزكي مجاهد في الأعلام الشرقية /٤٢٢/١/.
(٢) مقالات الكوثري /ص٥٦٧/.

نروي مروياته من طريق شيخنا العلامة الإمام علي جمعة الأزهري الشافعي، عن محمد مصطفى أبو العلا الشهير بحامد، عنه.

ومن طريق العلامة الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني الصنعاني، عن العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي، عنه.

ومن طريق شيخنا العلامة الشيخ محمد نمر بن عبد الفتاح الخطيب الحيفاوي ثم المدني، عنه مباشرة.

ومن غرائب اتصالاتنا به أننا نروي مروياته من طريق صديقنا ومجيزنا أبي أنس التيدي، عن أحمد الحسيني، عن شهاب الدين المرعشي النجفي، عنه.

(فائدة): العلامة أحمد منة الله يروي مباشرة عن الأمير الكبير كما هو مشهور، قال العلامة الشيخ محمد حامد المراغي الجرجاوي في: (ترجمة العلامة أبي الوفا الشرقاوي): (وللشيخ أحمد منة الله في أرضه رواية عن الأمير الكبير، كما أخبرني ولده عبد البر، قلت: ورويته - يعني: ثبت الأمير - عنه، عن والده، عن الأمير الكبير)[1]، وقد تقدم ذلك بالتفصيل في ترجمة العلامة المراغي الجرجاوي من كتابنا هذا، وممن استجاز من العلامة عبد البر بن أحمد منة الله في أرضه العلامة السيد عبد الحي الكتاني كما في: (فهرس الفهارس والأثبات)[2].

وقد سبقت ترجمة العلامة محمد حامد المراغي الجرجاوي - رحمه الله تعالى - في موضعها من كتابنا هذا، فانظرها مشكورًا.

(١) ترجمة الشيخ محمد حامد المراغي الجرجاوي للعلامة أبي الوفا الشرقاوي /ص٦٣/ مخطوط.
(٢) فهرس الفهارس /١/١٣٢.

❁ **العلامة الفقيه المتفنن، المسند المعتني، الشيخ: يوسف بن عبد الجواد بن أبي الجود بن صائن بن عمر بن أبي الجود الأنصاري الخزرجي الجرجاوي المالكي.**

العلامة الجليل، المتفنن، المصنف المكثر، سليل أهل العلم والفضل، فوالده هو العلامة الفقيه الشيخ عبد الجواد الأنصاري الجرجاوي، شارح مختصر خليل، وقد تقدمت ترجمته في موضعها من هذا الكتاب.

كان صاحب الترجمة مكثرًا من التأليف، إلا أن الذي بقي من تآليفه قليل جدًّا، فمن تأليفه: (نظم لقطة العجلان للزركشي)، ومن مؤلفاته أيضًا: متن في التوحيد فرغ منه سنة ١٠٩٧هـ، ولا يعلم تاريخُ وفاة المترجم على وجه التحديد، غير أنه كان حيًّا سنة ١١٠٨هـ.

ومن مؤلفاته - رحمه الله تعالى - مجموع نفيسٌ جدًّا، جمع فيه إجازات العلماء الأزهريين لأسرته، وأعيان عائلته، من آل الأنصاري الجرجاوي، والذين هم من عيون البيوتات العلمية في حاضرة الصعيد جرجا، فقد أورد في ذلك المجموع صور إجازات السادة العلماء الأكابر لجده العلامة عبد الجواد الأنصاري الجرجاوي، شارح مختصر خليل، ومنهم: العلامة الشيخ عبد الصمد علي الزعيري الأزهري، والعلامة الشيخ عبد المعطي المالكي، مفتي المالكية في الأزهر، والعلامة علي الشبراملسي الشافعي، والعلامة عبد المنعم النبتيتي الحنفي.

وأورد في ذلك المجموع أيضًا نص إجازة العلامة الإمام علي الأجهوري للعلامة محمد أصيل الدين الأنصاري الجرجاوي ت١١٠٥هـ، شارح مختصر خليل أيضًا، وتاريخها يوم الخميس، في صفر الخير، سنة ١٠٤٦هـ.

ومما ذكر في ذلك المجموع أيضًا: إجازة من الناصر اللقاني، وإجازة من الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وإجازة من الشيخ سليمان بن شعيب بن خضر البحري، وإجازة من الشهاب القسطلاني شارح البخاري، وإجازة من الشيخ إبراهيم القلقشندي للشيخ محمد أبي الجود الأنصاري الجرجاوي، وإجازة منه ومن أخيه أبي الوفا لابنه أحمد، وإجازة من الشيخ عبد الباقي الزرقاني باسم الشيخ محمد أبي الوفا، وإجازة له ـ أي المترجم ـ من الشيخ عبد الباقي الزرقاني، سأله إياها حين اجتماعه به في القاهرة، سنة ١٠٩٩هـ، سأله ذلك ضمن قصيدة من الرجز مدحه بها، فكتب له إجازة مطولة، بمروياته عن شيوخه، ومنهم العلامة الأجهوري.

قلت: فهذا الرجل ركن مهم في باب أسانيد المصريين، ينبغي أن يعتنى بشخصه الكريم، وبمجاميعه الإسنادية، وأن تفرد البحوث لتناوله، مع بيان نشاطه الحديثي الإسنادي.

نروي مروياته من طريق العلامة السيد محمد علوي المالكي، عن العلامة حسنين بن محمد حسنين مخلوف، عن أبيه، عن الإمام أحمد بن شرقاوي، عن محمد بن الحسن المصري، عن عمه العلامة محمد بن أحمد المصري، عن العلامة عبد المنعم أبي بكري، عن العلامة محمد المدابغي، عنه رحمه الله ورحمهم أجمعين.

* * *

العلامة الكبير، الفقيه الأديب، الداعية الشيخ: يوسف بن عبد الله بن يوسف بن علي القرضاوي الأزهري.

هو العلامة الفقيه، الداعية الأديب، المصنف المكثر، ولد سنة

١٩٢٦م، فحفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره، ثم التحق بمعهد طنطا الديني، وبعده التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف، وحصل منها على الإجازة العالية سنة ١٩٥٣م، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٧٣م.

وقد انتفع في الأزهر الشريف بصحبة الأكابر من علمائه، منهم: العلامة الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد عبد الله دراز، والدكتور محمد يوسف موسى، والشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ محمد علي أحمدين، والدكتور محمد البهي، والشيخ محمد الأودن، والشيخ محمد عبد الوهاب البحيري، وغيرهم كثير، من كبار العلماء.

اشتغل صغيرًا بالدعوة والفقه، وكتب كتبًا ذاعت ورزقت القبول، مثل كتاب: (الحلال والحرام في الإسلام)، و(فقه الزكاة)، و(الفتاوى المعاصرة)، و(ثقافة الداعية)، وغير ذلك من مؤلفاته التي جاوزت المائة، وله في الأدب دواوين منها: نفحات ولفحات، وشموع ودموع، والمسلمون قادمون، بل لقد تعددت مواهبه، وكثرت تصانيفه ومؤلفاته في علوم شتى، وفي جوانب متعددة، فله مؤلفات في الفقه وأصوله، وفي الاقتصاد الإسلامي، وفي علوم القرآن والسنة، وفي العقيدة، وفي تيسير الفقه والسلوك، وفي الدعوة والتربية، وفي الفكر الإسلامي، وفي الشخصيات الإسلامية، وفي الأدب والشعر، وغير ذلك كثير من المحاضرات والخطب والمحاورات.

وقد كتب سيرته الذاتية في كتاب ضخم سماه: (ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة)، طبع في ثلاثة أجزاء كبار، بل جمعت بحوث ودراسات ومقالات، وأهديت إليه بمناسبة بلوغه السبعين، وطبعت في مجلدين تحت

عنوان: (يوسف القرضاوي، كلمات في تكريمه، وبحوث في فكره وفقهه، مهداة إليه بمناسبة بلوغه السبعين).

كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية، وجائزة سلطان بروناي في الفقه الإسلامي، وجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، عن شخصية العام الإسلامية، وغيرها من الجوائز.

يروي فيما أخبرني عن: ١ ـ الحافظ أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري بما في أثباته ومعاجمه: (البحر العميق، في مرويات أحمد بن الصديق)، و(المعجم الوجيز، للمستجيز)، و(صلة الوعاة، بالفهارس والأثبات)، لم يطبع منها إلا أوسطها، وأخبرني أنه كان قد زار السيد أحمد الصديق في منزله في القاهرة، فأعطاه نسخة من ثبته: (التحرير الوجيز)، وكتب له الإجازة عليه، ٢ ـ ويروي عن العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ بما في ثبته: (إمداد الفتاح).

وقد جمع صديقنا الكريم فضيلة الشيخ محمد أكرم الندوي كتابًا اسمه: (تحفة الراوي، في أسانيد العلامة القرضاوي)، أورد فيه أسانيد الشيخ إلى الكتب الحديثية وغيرها، من طريق الشيخين المذكورين، وقد طبع في دار القلم.

٣ ـ ثم إنه قد حصل لقاء علمي جليل في شهر رجب سنة ١٤٢٩هـ، بين العلامة القرضاوي وبين شيخنا العلامة المحدث محمد عوامة، فتدبجا، وطلب العلامة القرضاوي من العلامة الشيخ محمد عوامة أن يحرر له الإجازة، فكتب له العلامة الشيخ محمد عوامة إجازة لطيفة محررة كثيرة الفوائد، تاريخها ١٤٣١/٣/٢٤هـ، ذكر فيها أسماء شيوخه في الإجازة، فساق

منهم خمسة وخمسين من كبار أئمة الإسلام وأهل الإسناد، مرتبين على بلدانهم، وذكر فيها أهم الأثبات، مع أسانيده إلى كل واحد، ولولا طول تلك الإجازة لأوردتها هنا كاملة.

أروي مروياته عنه مباشرة، فقد أجاز لي مشافهةً في القاهرة بعد مغرب السبت ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ.

خاتمة مهمة

في موارد الكتاب

هذا الكتاب محاولةٌ لتدوين صفحاتٍ مهمةٍ، من حياة العلماء، في تاريخ مصر الحديث، في جانب من الجوانب التي لا تحظى عادةً باهتمام المؤرخين.

وهو أيضًا محاولةٌ لتسجيل الركائز الأساسية، حول أشخاصٍ من أعلامها، لهم دورٌ في حركة المجتمع، وصناعةِ شخصيةِ مصر، مع بيان كيفية تكوينهم، وطريقة صناعة العلماء في أزمانهم، أحاول من خلاله أن أكشف جانبًا عريقًا من تاريخ المصريين، وأن أحفظ على المصريين لمحاتٍ من تاريخهم القريب، وأن أضع بين أيدي الباحثين سجلًّا موثقًا، عن جوانب خفية من حياة أولئك الأعلام.

وقد حاولت أن أرتب المصادر التي انتفعت بها في إخراج هذا الكتاب، وفي تكوين تصوري عن الأعلام المذكورين فيه، حتى انتظمتْ الموارد التي انتفعتُ بها في الأنواع الآتية:

١ ـ **فمنها**: كتب التراجم: إذْ نهضتُ لاستقراء كتب التراجم المرتبة على القرون، وأنا أستجلي معالم حياة أولئك الأئمة، وأستوضح ظلال الجو العلمي، والثقافة التي كانت شائعة في أزمانهم، وكيفية اندراجهم في

مجتماعتهم، وماهية أدوارهم فيها، وعليه فقد قمت باستقراء كتاب: (الكواكب السائرة، في أعيان المائة العاشرة) للنجم الغزي، و(النور السافر، في أعيان القرن العاشر) للمحيوي عبد القادر العيدروس، ثم: (خلاصة الأثر، في أعيان القرن الحادي عشر) للمحبي، ثم: (سلك الدرر، في أعيان القرن الثاني عشر) للمرادي، ثم: (حلية البشر، في أعيان القرن الثالث عشر) للبيطار، ثم كتاب: (عجائب الآثار) للجبرتي، ثم: (نيل الوطر، في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر) لزبارة، ثم: (نزهة الخواطر) لعبد الحي الحسني، ثم: (نثر الجواهر والدرر، في علماء القرن الرابع عشر) ليوسف المرعشلي، ثم (التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار وأعيان المئة الحادية والثانية عشر) لمحمد بن الطيب القادري.

وكذلك كتاب: (الأعلام للزركلي)، وذيله لأحمد العلاونة، وذيله لمحمد رياض المالح، وذيله لمحمد خير رمضان يوسف، مع كتاب: (أوهام الأعلام) لمحمد عبد الله الرشيد.

وكذلك كتاب: (معجم المؤلفين) لعمر كحالة، ثم كتاب: (ذيل معجم المؤلفين) لمحمد خير رمضان يوسف.

وكذلك كتاب: (الأعلام الشرقية، في المائة الرابعة عشرة الهجرية) للأستاذ زكي محمد مجاهد، وغير ذلك من كتب التراجم التي لا أحصيها.

٢ ـ **ومنها**: كتب الرحلات، وقد اشتملت كتب الرحلات على وصف أحوال البلاد التي نزل فيها صاحب الرحلة، مع ذكر من لقيه في كل بلد من الأعيان والعلماء، ومما طالعته من الرحلات: (الرحلة السامية، إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية) للسيد محمد بن جعفر

الكتاني، ومثل: (الشاهد المقبول، في الرحلة إلى مصر والشام واستنبول) للحبيب شيخ بن محمد بن حسين الحبشي، ومثل: (الحماسة السنية، الكاملة المزية، في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية) للعلامة محمد محمود التركزي الشنقيطي، ومثل: (رحلة الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى مصر) جمعها ولده الحبيب علي بن أحمد، ومثل: (ماء الموائد) وهي رحلة العلامة أبي سالم العياشي، وهي مهمة جدًّا، و(نفحة البشام، في الرحلة إلى الشام) لمحمد عبد الجواد القاياتي، و(الرحلة الحجازية) لمحمد يحيي بن محمد المختار الولاتي، وغيرها كثير.

فضلًا عن الرحلات التي قام بها عددٌ من الأعلام المسلمين المعاصرين إلى بلاد المشرق والمغرب، ومن أهمها: (تخليص الإبريز، في تلخيص باريز) لرفاعة بك الطهطاوي، و(إرشاد الألبّا، إلى محاسن أوربا) لمحمد أمين فكري بك، و(الرحلة اليابانية) للشيخ علي الجرجاوي وغيرها كثير، بل نبّه العلامة الأستاذ حسين نصار في مقالٍ له عن رحلة ابن جبير، نشر في مجلة: (تراث الإنسانية) إلى أنه يمكن أن يستفاد من كتب الرحلات إجمالا في وصف المعالم المهمة للبلاد والأقطار، والتي يمكن جمعها في ثلاثة محاور: المرافق، والمشاهد، والأرباض: أما المرافق فإنها تضم: الأسوار، والحصون، والمساجد، والمدارس، والحمامات، والمياه، والأسواق، والمارستانات، والمنازل، والشوارع، والأبواب، وأما المشاهد فإنها تضم: آثار الأنبياء، والعلماء، والأولياء، والمعابد، والكنائس، وغيرها من الآثار غير الإسلامية، وأما الأرباض فإنها تضم: الأحياء والضواحي، قلت: وتلك المعالم تمثل الوسط والمحيط الذي جرت فيه الأحداث، ونشأ فيه أولئك الأعلام،

فهو مهمٌّ للمؤرخ، وأول مظانه كتب الخطط ثم كتب الرحلات.

٣ ـ ومنها: كتب الأثبات، وهي التي يترجم فيها كل عالم لمشايخه، ومقروءاته، وأسانيده ومروياته، ففي كل ثبتٍ وصفٌ للمدرسة العلمية التي نشأ فيها، ومما طالعته من تلك الأثبات: (المعجم المختص) للحافظ محمد مرتضى الزبيدي، و(فهرس الفهارس والأثبات) للسيد عبد الحي الكتاني، و(معجم المعاجم والمشيخات) للشيخ يوسف المرعشلي، و(رياض الجنة، أو المدهش المطرب) للعلامة عبد الحفيظ الفاسي، وثبت الشيخ إسماعيل عثمان زين، وثبت الشيخ أحمد جابر جبران، وثبت الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وثبت أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري، وثبت الشوكاني، وثبت الأمير، وثبت المزجاجي، وثبت البصري، وثبت عبد الله الصديق، وثبت الشبراوي، وثبت إسماعيل الأنصاري، وثبت سالم بن جندان، وأثبات محمد علوي المالكي، وأثبات الفاداني، وأثبات آل الكزبري، وأثبات محمد بن علي السنوسي، وأثبات عيدروس بن عمر الحبشي، وغير ذلك كثير جدًّا مما لا أحصيه، مما اطلعت عليه من مخطوط ومطبوع، وانتفعت به.

٤ ـ ومنها: الكتب التي درست قضيةً بعينها في التاريخ المصري الحديث، مثل: قضية التعليم، وقد كتب فيها الدكتور أحمد عزت عبد الكريم كتابه: (تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق)، وكتب فيها الدكتور سامي سليمان السهم كتابه: (التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر).

وقضية العامية وتاريخ انتشارها في مصر، وقد كتبت فيها الدكتورة نفوسة زكريا كتابها: (تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر).

وقضية العلمانية، وقد كتبت فيها الدكتورة: إلهام محمد شاهين كتابها: (العلمانية في مصر، وأشهر معاركها).

ومثل قضية الإرساليات التبشيرية، وقد كتب فيها الدكتور خالد محمد نعيم كتابه: (الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، دراسة وثائقية).

ومثل قضية السفور والحجاب، وقد كتب فيها محمد إسماعيل المقدم كتابه: (معركة السفور والحجاب) في ثلاثة أجزاء.

ومنها قضية الطباعة في مصر، وقد كتب فيها أبو الفتوح رضوان كتابه: (تاريخ مطبعة بولاق، ولمحة من تاريخ الطباعة في بلدان الشرق الأوسط)، وكتب فيها الدكتور محمود الطناحي كتاب: (الكتاب المطبوع في مصر في القرن التاسع عشر)، وكتاب: (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي).

٥ ـ ومنها: كتب المذكرات، مثل: (مذكرات مجاور في الجامع الأحمدي) للأستاذ محمد عبد الجواد، ومثل: (السياسة والأزهر) وهي مذكرات الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر الشريف، ومذكرات القرضاوي: (ابن القرية والكتاب، قصة سيرة ومسيرة)، ومذكرات الدكتور محمد البهي: (حياتي في الأزهر)، ومذكرات عبد الحميد كشك: (قصة أيامي)، ومذكرات فخري عبد النور، ومذكرات شيخ الإسلام مصطفى عبد الرازق، وغيرها كثير جدا من مذكرات السياسيين والصحفيين والكُتَّاب.

٦ ـ ومنها: الإجازات الخطية، التي يذكر فيها كل واحد من العلماء

أسماء مشايخه وأساتذته، ومقروءاته عليهم، ومن فوائدها الوقوف على خطوط العلماء، ومتابعة المراسم والإجراءات المتبعة لتخريج طالب العلم وتأهيله، وقد وقفت منها على عدد لا أحصره، وطالعت منها قدرًا كبيرًا جدًّا، وقد ألحقت بهذا الكتاب نماذج منتقاة من تلك الوثائق.

٧ - **ومنها**: المجلات والجرائد والدوريات، وقد طالعتُ منها عددًا كبيرًا جدًّا، منذ أن رأيت بعض مشايخي من الباحثين الذين انكبوا على عدد من المجلات فأخرجوا منها كنوزًا علمية في غاية الأهمية، وقد اقتنيت عددًا كبيرًا من الدوريات والمجلات القديمة والمعاصرة، وطالعت منها الكثير في دار الكتب المصرية، وأيضًا في مكتبة واحدٍ من كبار مشايخي؛ إذ يقتني في مكتبته الخاصة تسعين دوريةً بأعدادها الكاملة.

٨ - **ومنها**: السماع المباشر من بعض الأعلام الذين ترجمت لهم هنا، أو من أهليهم وذرياتهم، أو من تلامذتهم الذين عرفوهم، وخبروا أحوالهم، وكم تجمع في صدري وحافظتي مما وعت أذني من أخبارهم وأحوالهم، وكم أجريت قلمي بما سمعته من شئونهم، وكم عرفت بخبرٍ عن الواحد منهم فسارعت بالرحلة إليه، أو إلى من بقي من أهله حيًّا.

٩ - **ومنها**: الكتب التي أرخت للمناهج والتيارات الفكرية، مثل الكتب الكثيرة التي تكلمت عن الإخوان المسلمين، أو العلمانيين، أو السلفيين، أو الصوفيين، أو الوطنيين، أو الاقتصاديين، أو السياسيين، أو الفلاسفة، أو الصحفيين والكتاب.

أو غير هؤلاء من فئات المجتمع المصري، مما طالعته وانتفعت به، بالإضافة إلى ما تيسر لي مطالعته من كتابات محمد حسين هيكل،

وعبد الرحمن الرافعي، وحسين مؤنس، وشفيق غربال، وأحمد عزت عبد الكريم، وأبو الفتوح رضوان، ويونان لبيب رزق، وعبد العظيم رمضان وغيرهم، فهذه دوائر متداخلة ومتشابكة، من الموارد العلمية التي استللت منها هذا الكتاب، واستخرجته من تضاعيفها.

وفي الختام، فدونك كتابي هذا، وقد أودعتُه عصارةَ عُمْر، وتنقيبَ دَهْر، ومعاناة فِكْر، وقد مزجتُ فيه النقل بالنقد، وقيدت لك فيه مقاليد الأسانيد، وفتحت صفحة حياة كل واحد من العلماء المذكورين فيها، وجمعت فيه أسانيدَ جماعةٍ من المصريين، ممن لقيتهم، ورويت عنهم مباشرة، ثم أسانيد جماعة من المصريين من طبقات مشايخهم فما فوق.

وقد بقي عندي من أعيان المصريين، ممن ينبغي إيرادهم في هذا الكتاب، جماعات من وراء جماعات، من طبقة مشايخي فما فوق، فعجلت بإخراج هذا القدر، ثم الأمل في معونة الله تعالى قائم، أن يمن بإخراج البقية، والله أسأل أن يتقبل كتابي هذا بقبولٍ حسن، وأن يجعله نورًا يسعى بين يدي يوم القيامة، وأن يبلغنا سبحانه فيه الأمل وفوق الأمل، والله تعالى أعلى وأعلم، وأجل وأكرم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الْقِسْمُ الثالث

ملاحق الكتاب

صورُ مجموعةٍ مُنْتقاةٍ من الوثائق

فيها خطوطُ عددٍ من العلماءِ الْمُترجَمِ لهم

الجمعة ٥ ذي الحجة

مولانا الأستاذ الكامل والعالم العامل الشيخ جمال الدين القاسمي رضي الله عنه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكل عام وأنتم بخير وعافية وبعد فقد طالعت اليوم

كتابكم الجليل حياة البخاري فأعجبت به أيما إعجاب جزاكم الله خير الجزاء خصوصا في

ردكم فرية الوضاع عن هذا الإمام الجليل الذي له المنة على كل مسلم إلى الآن وبالأخص

ثم إني الراجي على طيبة شكري لمقامكم الجليل التماسا أرجو من مراحمكم قبوله ولم تمكني

الفرصة حين تشرفتم بمصر أن أطلبه منكم ذلك أني أرجو منكم إجازة بمؤلفاتكم الجليلة

وبكتاب البخاري وبقية كتب السنة المطهرة وإن تكرمتم علينا بإرسال شيء من

الأسانيد فالفضل إليكم على كل حال والآن في انتظار طبع كتاب الطالع السعيد

جمال القاسمي لنسمكم طالعا ومنه الراجي تهم من شقيقي السيد علي محمد شاكر

وأملي فيما رأيته منكم من مكارم الأخلاق ألا تقصروا على مثل هذا الطلب البسيط

حفظكم الله سبحانه مثلا للناصحين ووفقنا وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه آمين كتبه

احمد محمد شاكر

العنوان

مصر

احمد محمد شاكر ابن وكيل مشيخة الأزهر الشريف

صورة من خط العلامة المحدث أحمد محمد شاكر، يستدعي فيه الإجازة من العلامة جمال الدين القاسمي رحمهما الله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة والسلام على سيدنا
محمد خير خلقه اجمعين وعلى آله الاكرمين واصحابه الأخيرين صلوة
وسلاما دايمين متلازمين الى يوم الدين وبعد فهذه اسانيد
الكتب الستة الصحاح المشهورة المتواترة في الاسلام اقتصرت
في كل واحد منها على السند الواحد بالسماع الصحيح المتصل اذ هو المطلوب
عند اهل المعرفة في هذا الشان وعلى الله توكلي وهو المستعان

صحيح البخاري

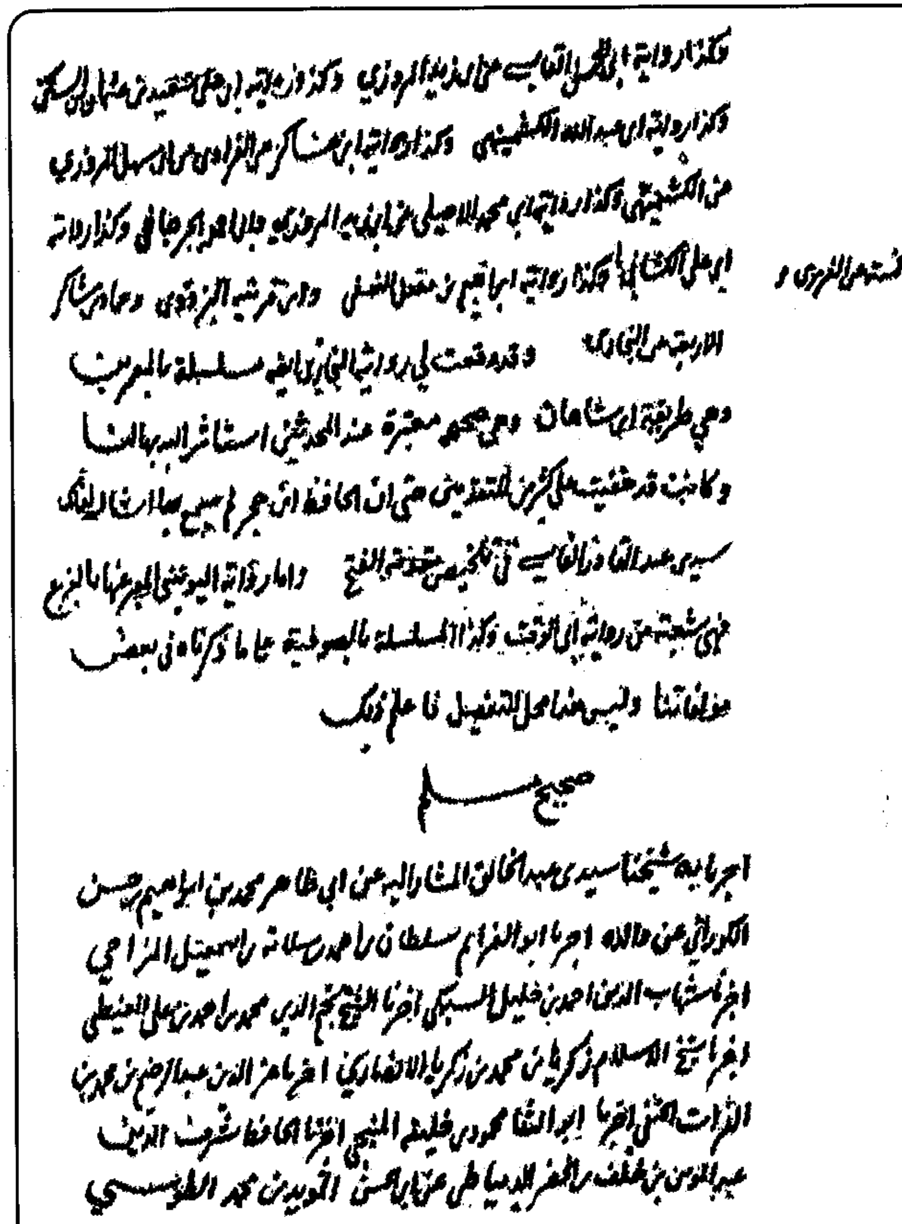
اخبرني به الشيخ المفقه رضي الدين ابو محمد عبد الخالق بن ابي بكر بن الزين المزجاجي
الحنفي الزبيدي اخبرنا السيد عماد الدين يحيى بن عمر بن عبد القادر بن احمد بن المقبول

الصفحة الأولى من الرسالة المسماة: (أسانيد الكتب الستة)، تأليف الحافظ محمد مرتضى الزبيدي، وموضوعها أسانيده هو إلى الكتب الستة، وهي بخطه رحمه الله تعالى

الاهدل الحسيني الشافعي الزبيدي اخبرنا السيد ابو بكر بن علي البطاح الحسيني
اخبرنا عمي السيد يوسف بن محمد البطاح الحسيني اخبرنا الشريف الطاهر بن
حسين الاهدل الحسيني اخبرنا الوجيه عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني
اخبرنا الحافظ شمس الدين ابو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي اخبرنا الحافظ ابو الفضل
احمد بن علي بن حجر العسقلاني اخبرنا البرهان ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد
التنوخي اخبرنا ابو العباس احمد بن ابي طالب الحجار الصالحي اخبرنا ابو الوقت
عبد الاول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن
محمد بن المظفر الداودي اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي
اخبرنا ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري اخبرنا الامام الحافظ ابو عبد الله
محمد بن اسمعيل بن ابراهيم البخاري رضي الله عنه ونفعنا به آمين

تنبيه روايته الى الوقت وهي طريقة العراقيين والشاميين كما ان رواية
كريمة المروزية طريقة المصريين وروايته ابي ذر الهروي طريقة الحرمين
والمغاربة واليمنيين وقد وقعت لنا رواية ابي ذر مسلسلة ببني الحنفيين
من اهل زبيد في الاكثر وببني عنان الشافعيين من اهل بيت الفقيه في الاكثر
وببني مطير الشافعيين في الاكثر وبالطبريين ائمة المقام في الاكثر وبالمالكية
مشيخا الى ابي ذر وكلهم مالكيون وكذا رواية ابي ذر هي طريقة المصريين

الصفحة الثانية من رسالة: (أسانيد الكتب الستة) للحافظ مرتضى الزبيدي

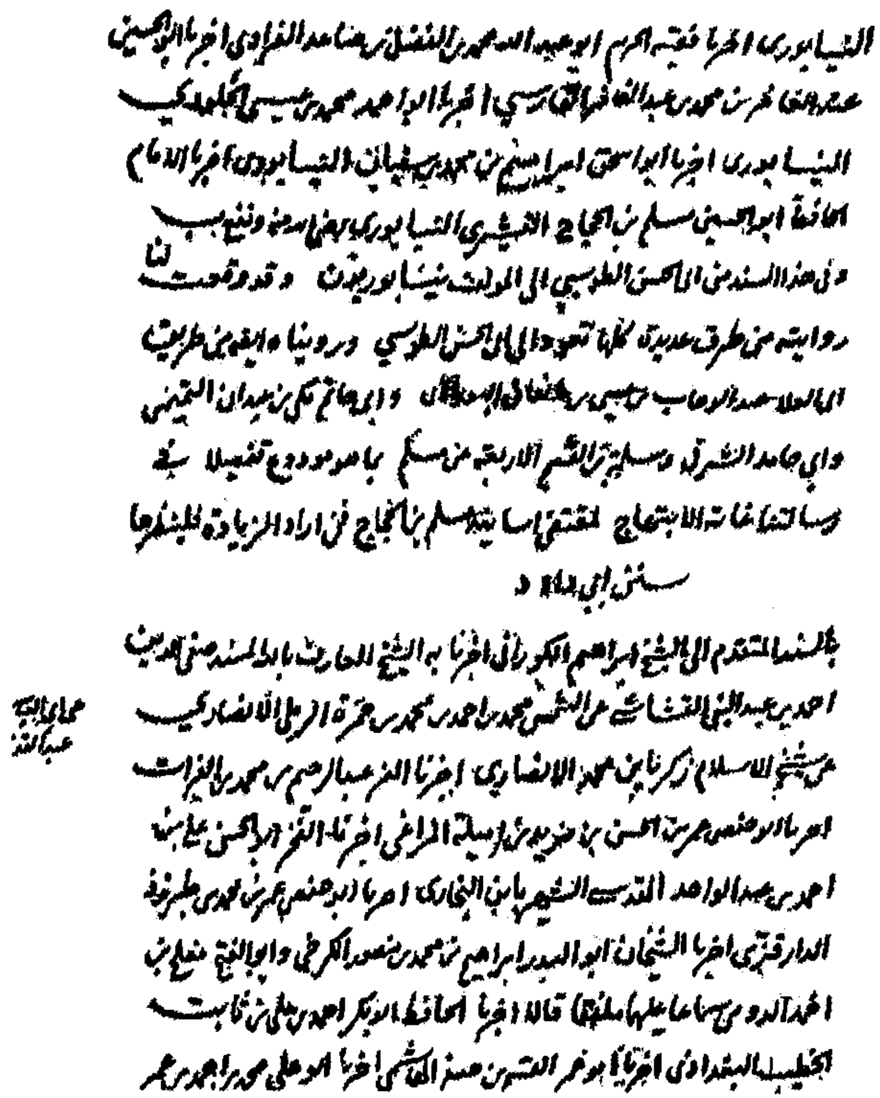


وكذا رواية أبي الحسن القابسي عن أبي زيد المروزي وكذا رواية أبي علي سعيد بن عثمان بن السكن
وكذا رواية أبي عبد الله الكشميهني وكذا رواية ابن عساكر من الفراوي عن أبي سهل المروزي
عن الكشميهني وكذا رواية أبي محمد الأصيلي عن أبي زيد المروزي وأبي أحمد الجرجاني وكذا رواية
أبي علي الكشاني [illegible] وكذا رواية إبراهيم بن معقل النسفي وأبي [illegible] البزدوي وحماد بن شاكر
المستملي الهروي و
الأربعة عن البخاري وقد وقعت لي رواية البخاري بأسانيد مسلسلة بالمغاربة
وهي طريقة ابن شاهان وهي صحيحة معتبرة عند المحدثين [illegible]
وكانت قد خفيت على كثير من المتأخرين حتى أن الحافظ ابن حجر [illegible]
[illegible] في تلخيص [illegible] الفتح وأما رواية اليونيني المعروفة بالفروع
فهي [illegible] من رواية أبي الوقت وكذا المسلسلة بالصوفية مما ذكرناه في بعض
مؤلفاتنا وليس هذا محل التفصيل فاعلم ذلك

صحيح مسلم

أخبرنا به شيخنا سيدي عبد الخالق المزجاجي عن أبي طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن
الكوراني عن والده أخبرنا أبو المواهب سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المزاحي
أخبرنا شهاب الدين أحمد بن خليل السبكي أخبرنا الشيخ نجم الدين محمد بن أحمد بن علي الغيطي
أخبرنا شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أخبرنا عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن
الفرات الحنفي أخبرنا أبو الثناء محمود بن خليفة المنبجي أخبرنا الحافظ شرف الدين
عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي عن أبي الحسن المؤيد بن محمد الطوسي

الصفحة الثالثة من رسالة: (أسانيد الكتب الستة).



النيسابوري أخبرنا فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي أخبرنا أبو الحسين
عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي
النيسابوري أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري أخبرنا الإمام
الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى ونفعنا به
وفي هذا السند من أبي الحسن الطوسي إلى المؤلف نيسابوريون وقد وقعت لنا
روايته من طرق عديدة كلها تعود إلى أبي الحسن الطوسي ورويناه أيضا من طريق
أبي العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن ماهان البغدادي وأبي حاتم مكي بن عبدان التميمي
وأبي حامد الشرقي وساير الشيوخ الأربعة عن مسلم بما هو موضح تفصيلا في
رسالتنا غاية الابتهاج لمقتفي أسانيد مسلم بن الحجاج فمن أراد الزيادة فليطلبها

سنن أبي داود

بالسند المتقدم إلى الشيخ إبراهيم الكوراني أخبرنا به الشيخ المحدث بابلي المسند صفي الدين
أحمد بن عبد النبي القشاشي عن الشمس محمد بن أحمد بن محمد بن حمزة الرملي الأنصاري
عن شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري أخبرنا العز عبد الرحيم بن محمد بن الفرات
أخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن بن مزيد بن أميلة المراغي أخبرنا الفخر أبو الحسن علي بن
أحمد بن عبد الواحد المقدسي الشهير بابن البخاري أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد
البغدادي أخبرنا الشيخان أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي وأبو الفتح مفلح بن
أحمد الدومي سماعا عليهما ملفقا قالا أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت
الخطيب البغدادي أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو
محمد أبي [illegible]

الصفحة الرابعة من رسالة: (أسانيد الكتب الستة).

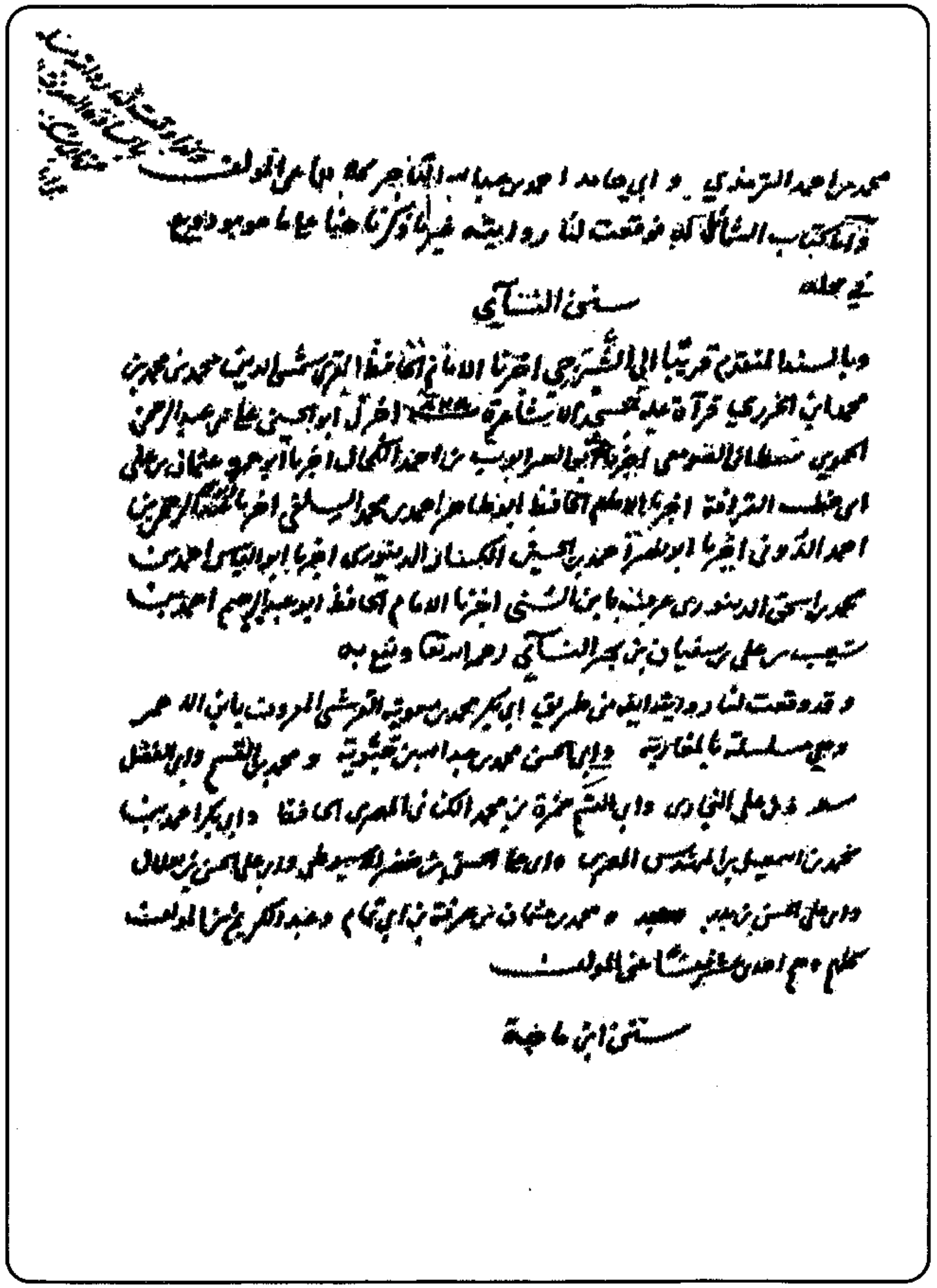


اللؤلؤي أخبرنا الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله
وقد وقعت لنا روايته من طريق أبي عيسى إسحق بن موسى بن سعيد الرملي وأبي سعيد
أحمد بن محمد بن الأعرابي البصري وأبي بكر محمد بن عبد الرزاق البصري التمار المعروف بابن
داسة الثلاثة من الحديث وابن داسة آخر من روى الكتاب عن المؤلف

جامع الترمذي

أخبرنا به الشيخ عبد الخالق بن أبي بكر المتقدم ذكره أخبرنا السيد يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسيني
أخبرنا السيد أبو بكر بن علي البطاح أخبرنا علي السيد يوسف بن محمد البطاح أخبرنا السيد طاهر بن
الحسين الأهدل أخبرنا الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني أخبرنا
الشيخ زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي أخبرنا الحافظ نفيس الدين
سليمان بن إبراهيم العلوي الزبيدي أخبرنا الشيخ موفق الدين علي بن أبي بكر بن شداد
أخبرنا الإمام الحافظ أحمد بن أبي الخير بن منصور الشماخي أخبرنا والدي أخبرنا
شرف الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد الشراحي أخبرنا مكين الدين زاهر بن رستم بن
أبي الرجا الأصبهاني أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القسم بن أبي سهل الهروي
الكروخي أخبرنا المشايخ الثلاثة أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن علي الهروي الترياقي
والقاضي أبو عامر محمود بن القسم الأزدي وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي
قالوا أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراحي المروزي أخبرنا أبو العباس
محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي أخبرنا الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الترمذي رحمه الله تعالى ونفع به وقد روينا كتابه أيضاً من طريق أبي ذر

الصفحة الخامسة من رسالة: (أسانيد الكتب الستة).



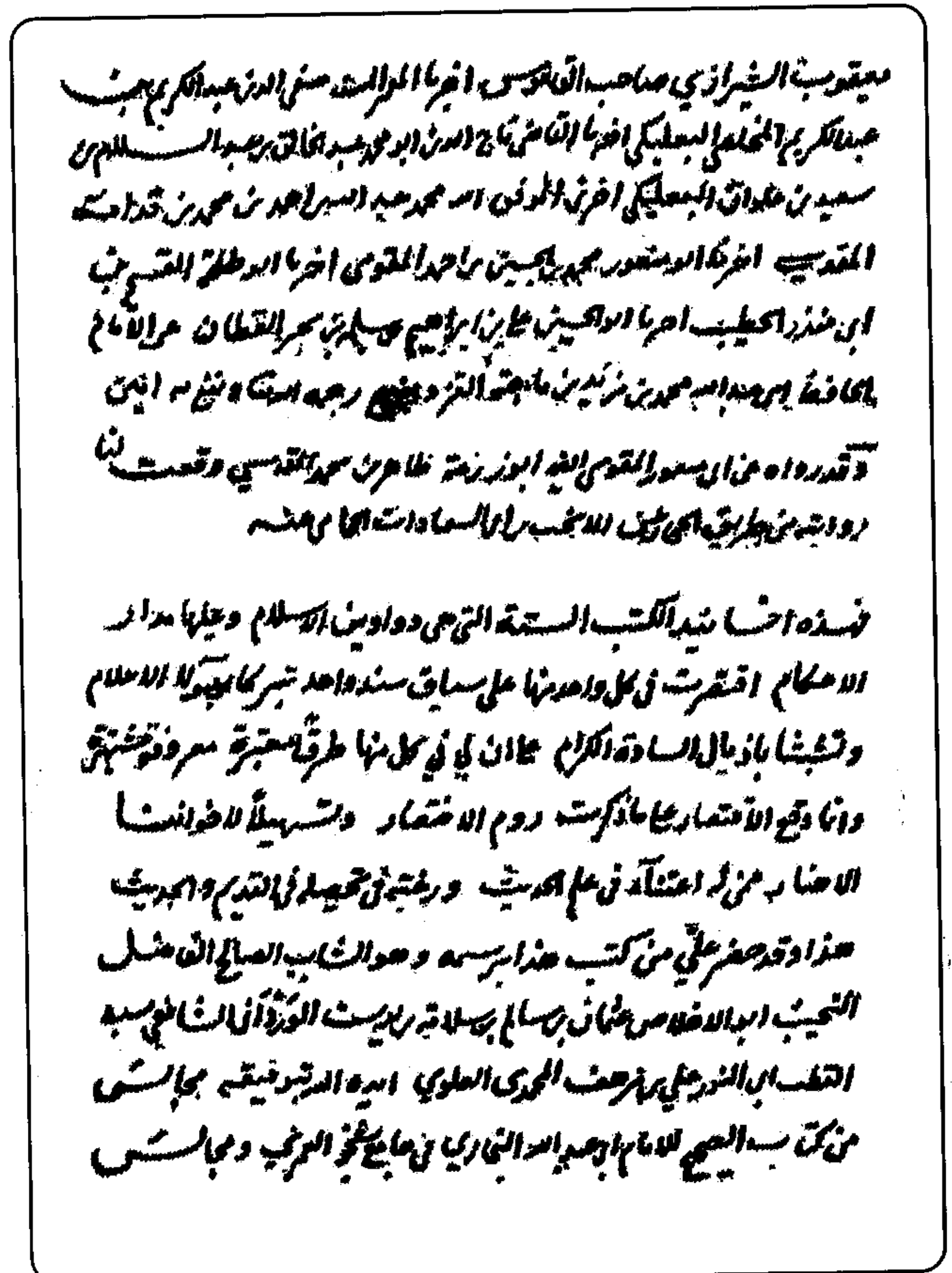
محمد بن أحمد الترمذي وأبي حامد أحمد بن عبد الله التاجر كلاهما عن المؤلف
وأما كتاب الشمائل فقد وقعت لنا روايته غير أنا ذكرنا هنا ما هو موجود
في جلده

سنن النسائي

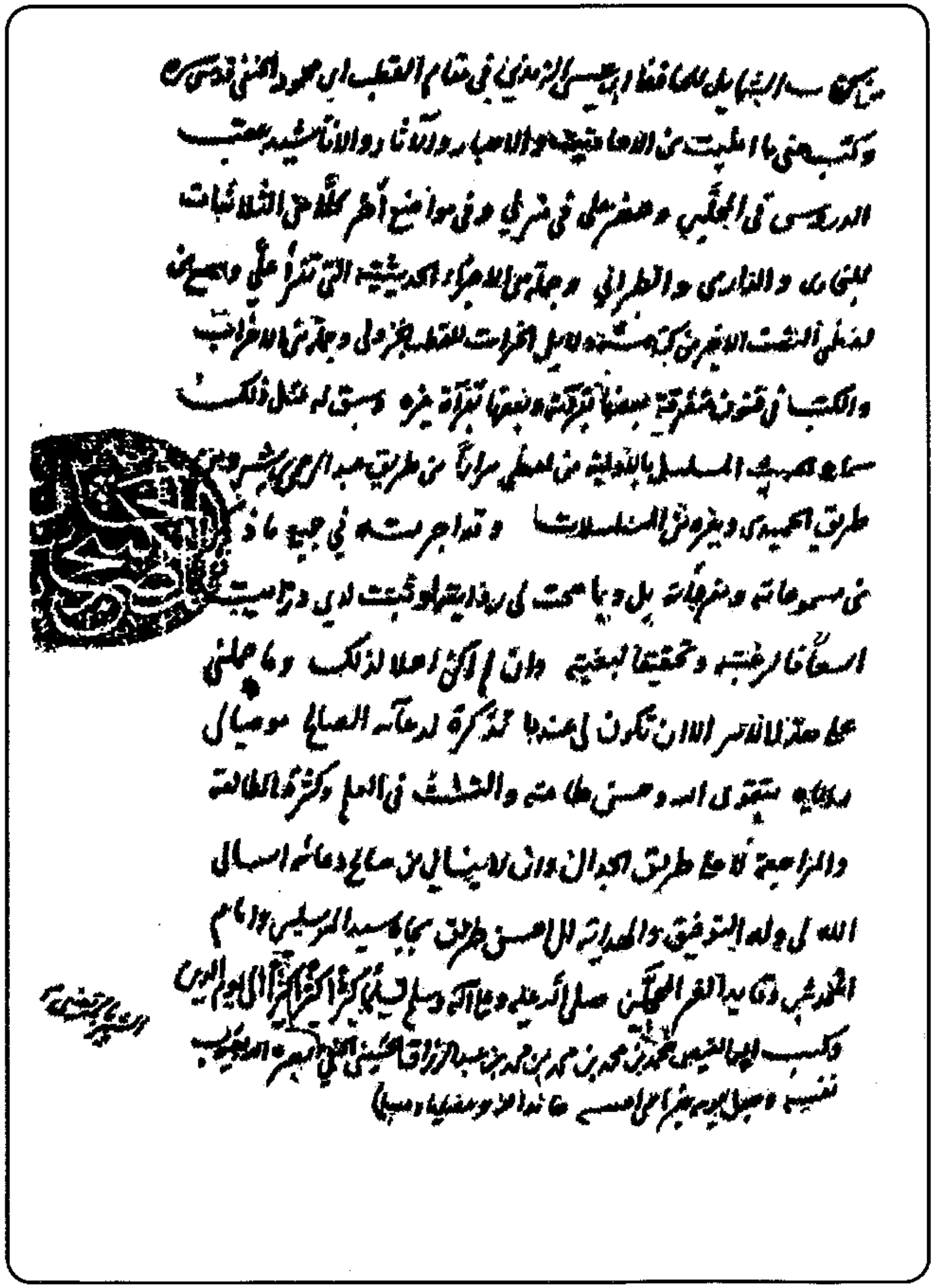
وبالسند المتقدم قريباً إلى الشرجي أخبرنا الإمام الحافظ [illegible] شمس الدين محمد بن محمد بن
محمد بن الجزري قراءة عليه [illegible] أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن
الحموي [illegible] القوصي أخبرنا [illegible] بن أحمد الكمال أخبرنا أبو عمرو عثمان بن علي
أبي الخطب القرافي أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي أخبرنا [illegible]
أحمد الدوني أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن
محمد بن إسحق الدينوري عرف بابن السني أخبرنا الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن
شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي رحمه الله تعالى ونفع به
وقد وقعت لنا روايته أيضاً من طريق أبي بكر محمد بن معوية القرشي المعروف بابن الأحمر
وهي مسلسلة بالمغاربة وأبي الحسن محمد بن عبد الله بن حيوية ومحمد بن القسم وأبي الفضل
مسعود بن علي النجاري وأبي القسم حمزة بن محمد الكناني المصري الحافظ وأبي بكر أحمد بن
محمد بن إسماعيل بن المهندس المصري وأبي الحسن [illegible] علي بن الحسن بن هلال
وأبي علي الحسن بن رشيق [illegible] ومحمد بن عثمان [illegible] بن أبي تمام وعبد الكريم بن المؤلف
كلهم وهم أحد عشر شيخاً عن المؤلف

سنن ابن ماجة

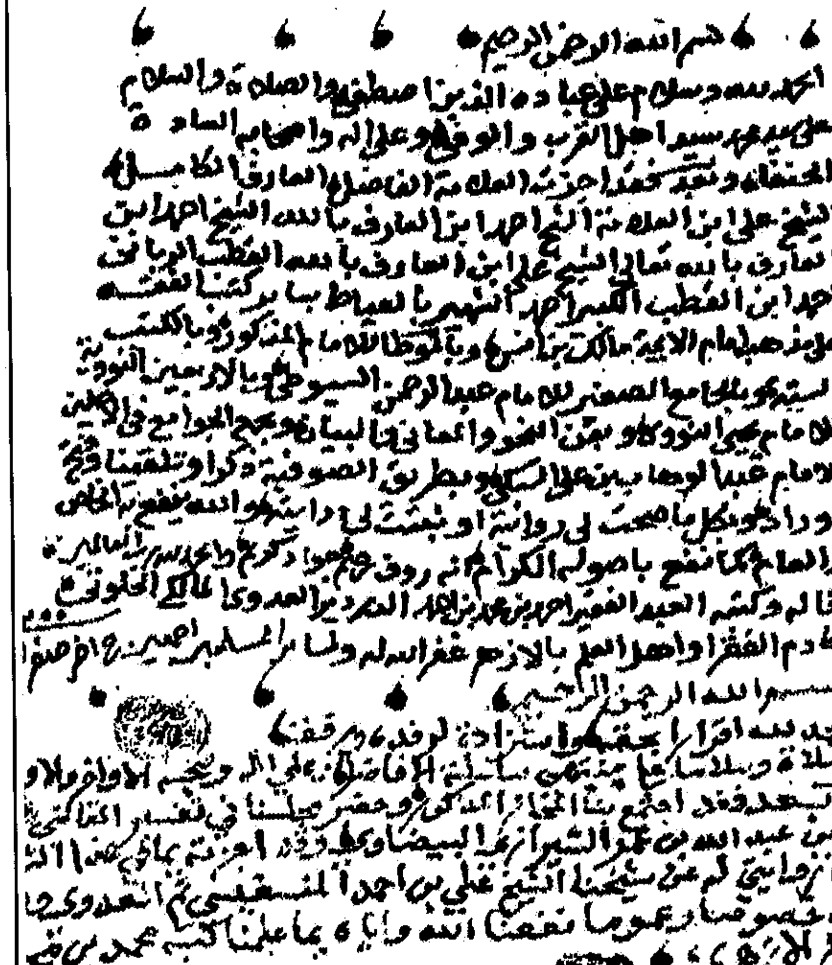
الصفحة السادسة من رسالة: (أسانيد الكتب الستة).



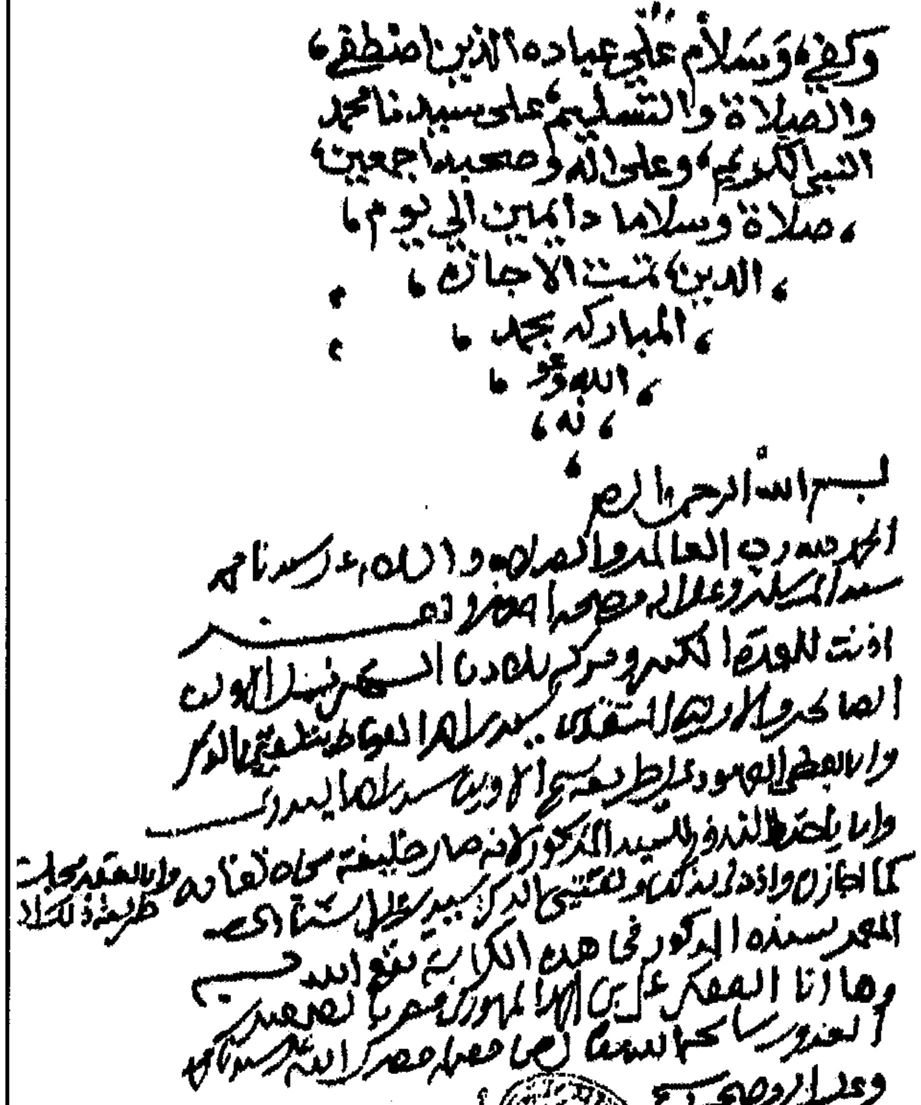
الصفحة السابعة من رسالة: (أسانيد الكتب الستة)
للحافظ محمد مرتضى الزبيدي بخطه



الصفحة الثامنة والأخيرة من رسالة: (أسانيد الكتب الستة) للحافظ محمد مرتضى الزبيدي، وهي بخطه، وأنت ترى هنا توقيعه.

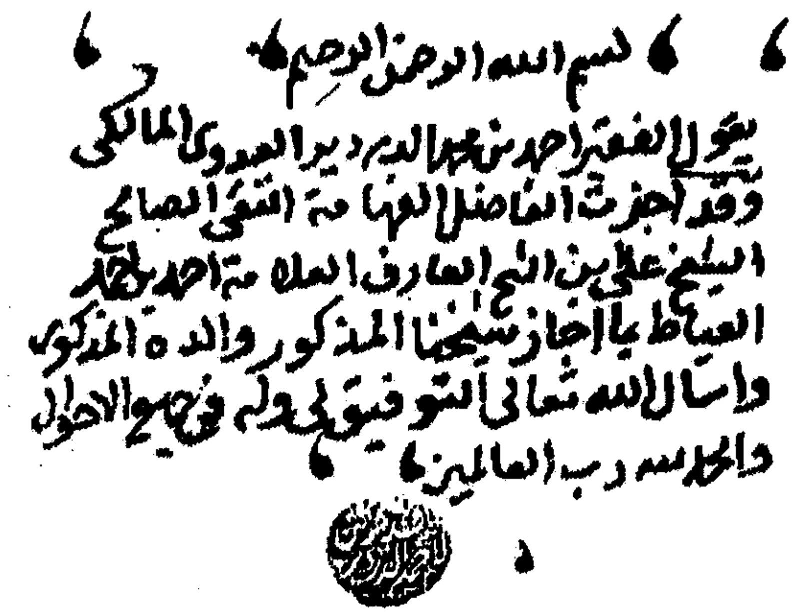

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة والسلام

صورة خط الإمام أحمد الدردير رحمه الله، وتحتها صورة خط الإمام محمد بن محمد المالكي الأزهري رحمه الله

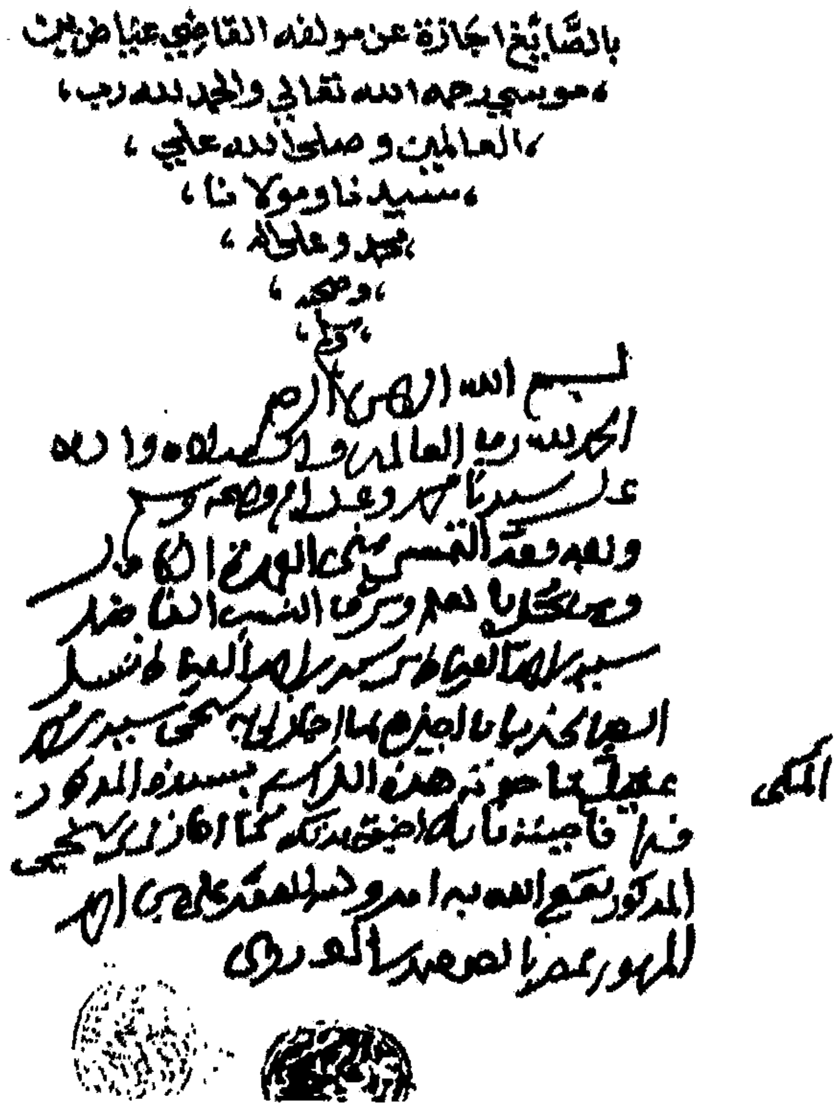

وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى
والصلاة والتسليم على سيدنا محمد
النبي الكريم وعلى آله وصحبه اجمعين
صلاة وسلاما دائمين الى يوم
الدين تمت الاجازة
المباركة بحمد
الله وعونه

بسم الله الرحمن الرحيم

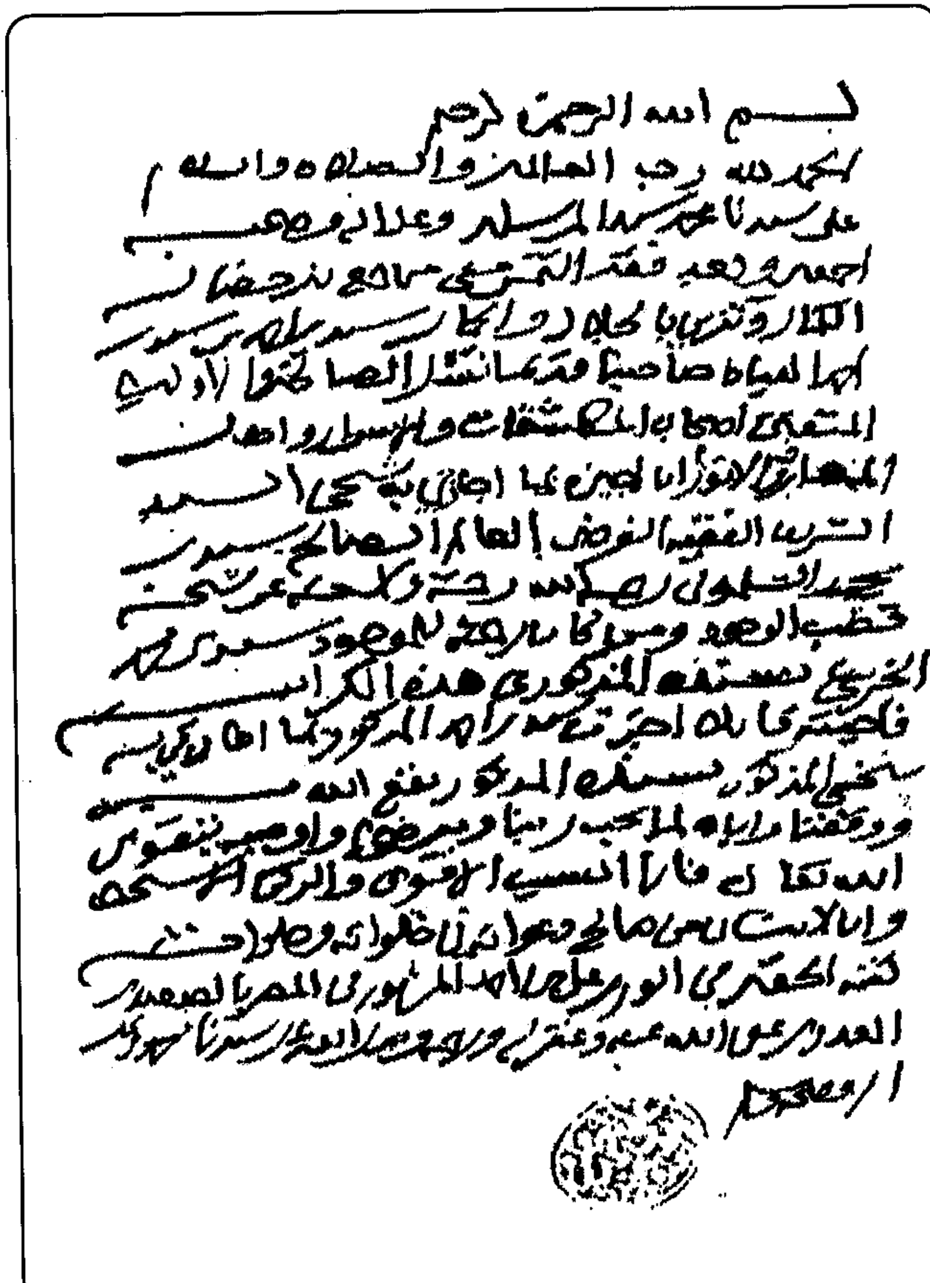
صورة خط العلامة علي بن أحمد
المشهور في مصر بالصعيدي العدوي رحمه الله تعالى



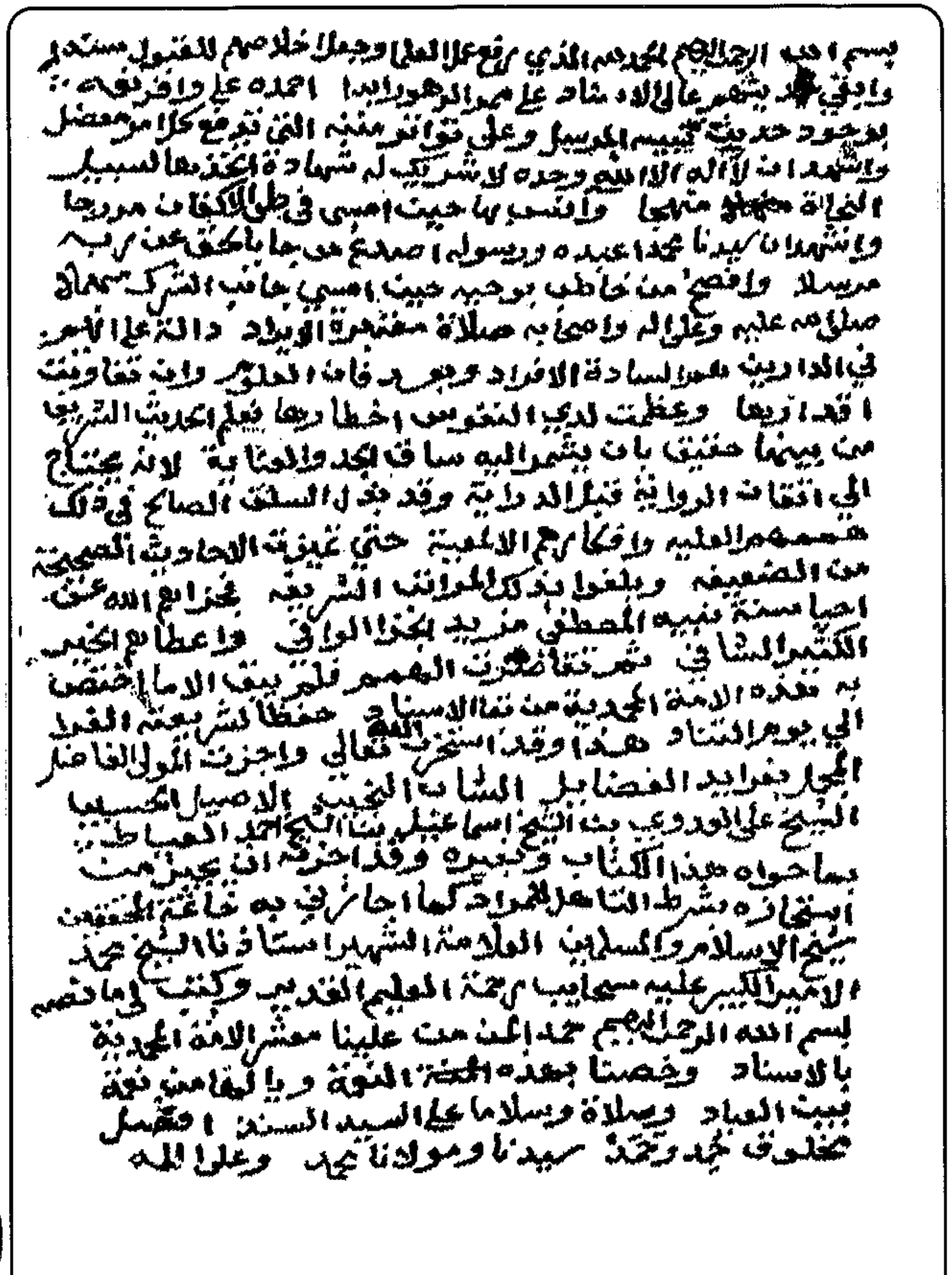
صورة أخرى من خط الإمام أحمد الدردير رحمه الله، وصورة ختمه، وقد تضمن ختمه عبارة نصها: (يا قدير! كُنْ لأحمدَ الدردير)



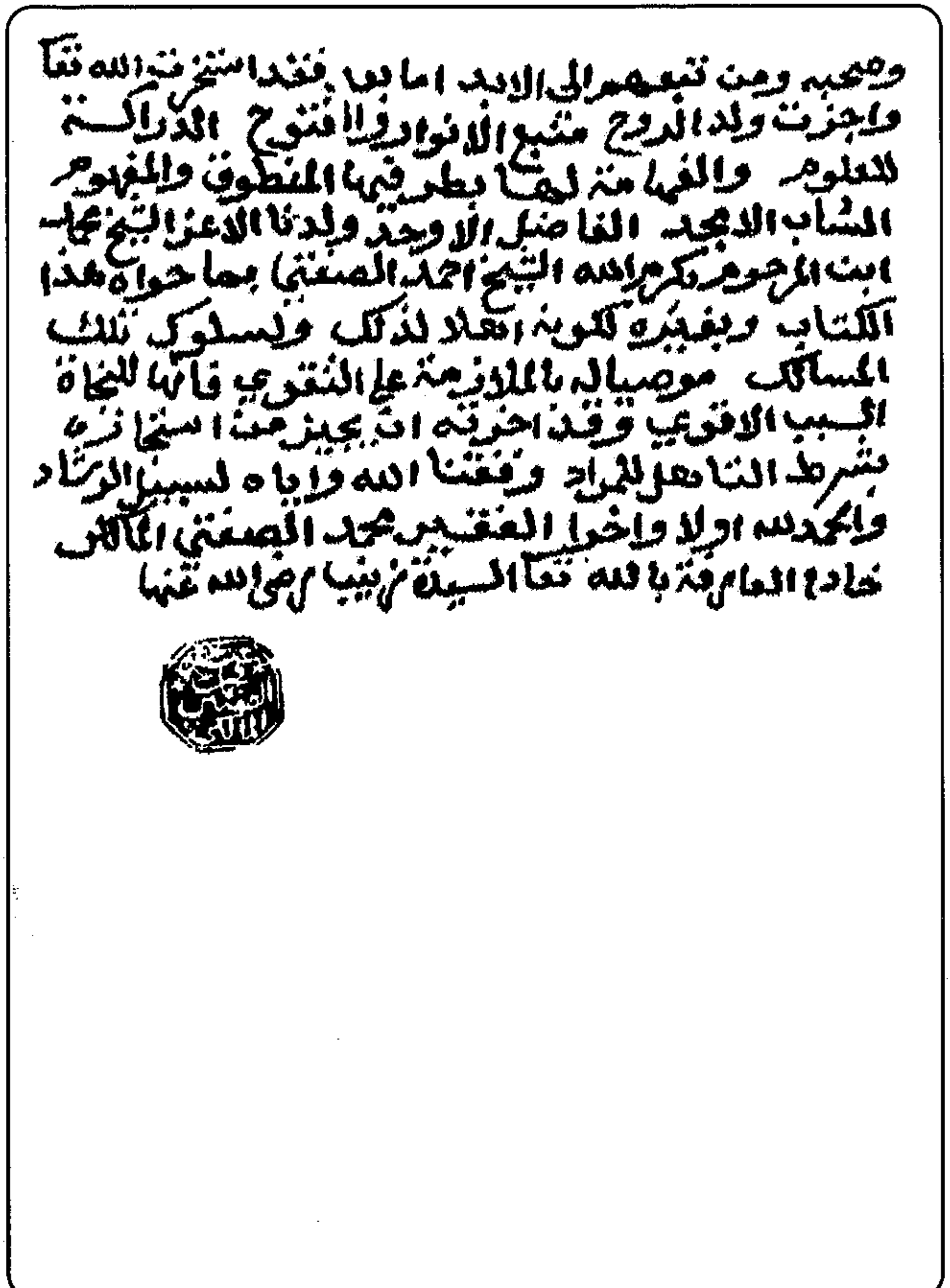
صورة أخرى من خط العلامة علي بن أحمد الصعيدي العدوي رحمه الله تعالى



صورة أخرى من خط العلامة علي بن أحمد الصعيدي العدوي
رحمه الله تعالى

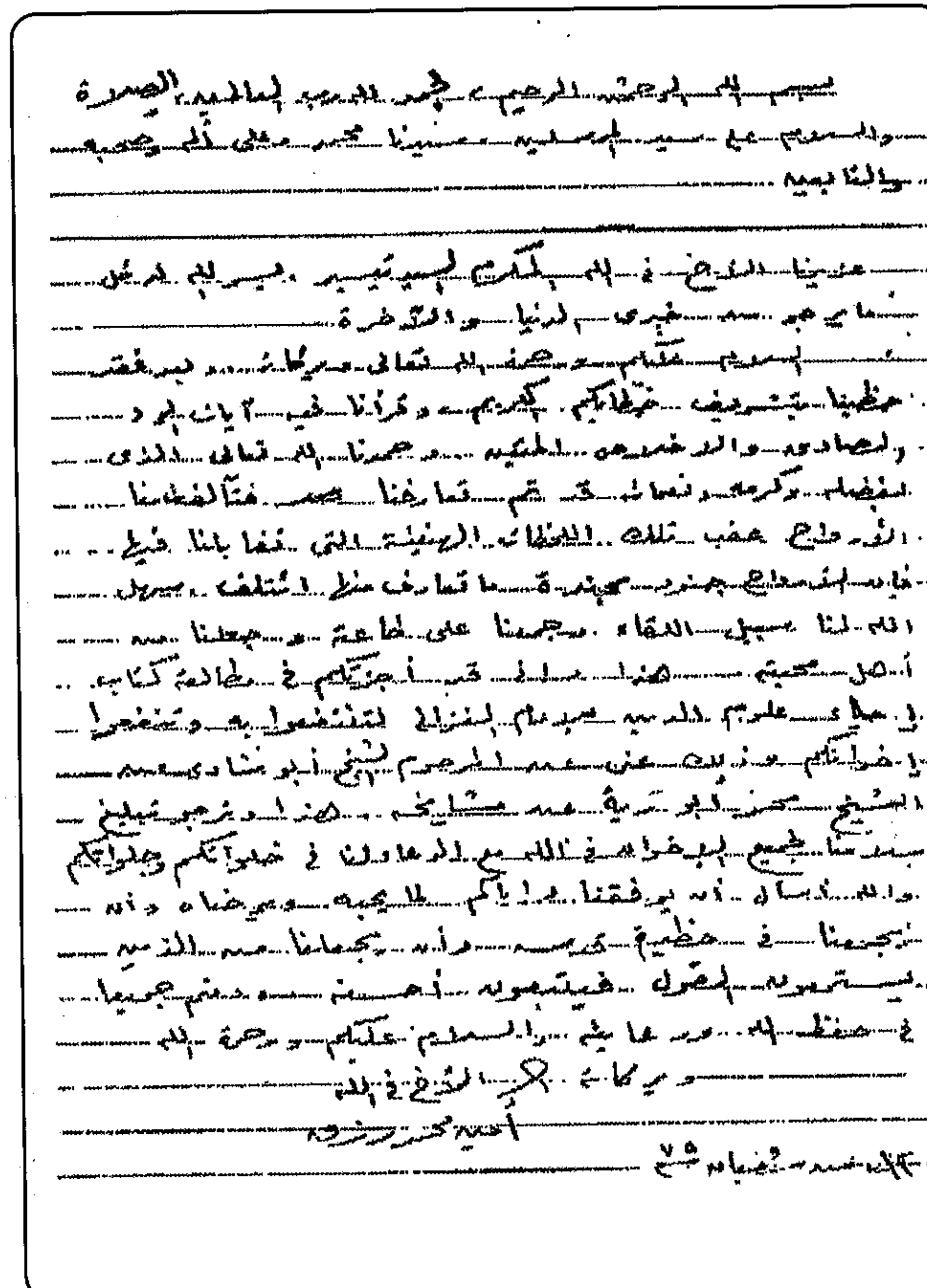


الصفحة الأولى من صورة خط العلامة الشيخ محمد الصفتي المالكي
رحمه الله تعالى



وصحبه ومن تبعهم إلى الأبد أما بعد فقد استخرت الله تعالى
وأجزت ولد الروح منبع الأنوار والفتوح الدراكة
للعلوم والفهامة لهما بطريقيها المنطوق والمفهوم
الشاب الأمجد الفاضل الأوحد ولدنا الأعز الشيخ محمد
ابن المرحوم بكرم الله الشيخ أحمد الصفتي بما حواه هذا
الكتاب وبغيره لكونه أهلا لذلك ولسلوك تلك
المسالك موصيا له بالملازمة على التقوى فإنها للنجاة
السبب الأقوى وقد أخذت عليه أن يجيز من استجازه
بشرطه الناهض بالمراد وفقنا الله وإياه لسبيل الرشاد
والحمد لله أولا وآخرا الفقير محمد الصفتي المالكي
خادم العارفة بالله تعالى السيدة زينب رضي الله عنها

الصفحة الثانية من خط العلامة الشيخ محمد الصفتي المالكي.



صورة خط الشيخ أمين محمد رزق رحمه الله تعالى



هذا ثبت العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير رحمه الله تعالى
وأدام النفع بأيته هذا وسائر ما اتصلت به
الأسانيد المذكورة فيه

وهذه صورة أجازة شيخنا الأستاذ المحدث الفاضل الحافظ
الشيخ محمد حبيب الله بن مايابى الجكني نسبا
الشنقيطي اقليما نفعنا الله به وبعلومه آمين لما
طلب منه أفاضل علماء الأزهريين
الاجازة بما حواه هذا الثبت

الحمد لله الذي جعل الأجازة من عمل السلف الصالح من المحدثين وعلى جوازها والعمل بها عمل العلماء العاملين الى يوم الدين والصلاة والسلام على نبينا الذي انتهت اليه أسانيد العلوم وعلى آله وأصحابه الراسخين في سائر العلوم منطوقها والمفهوم وتابعيهم بأحسان من أئمة الاجتهاد المتقدمين صحيح السنة المطهرة النقاد (أما بعد) فقد أجزت سائر من هو أهل للاجازة من أهل عصري بهذا الثبت المنسوب للأمير الكبير عملا بما أجازه علماء الحديث وغيرهم من ذلك وقد جرى عليه ابن الجزري في طيبة النشر بقوله

وقد أجزتها لكل مقري * كذا أجزت كل من في عصري
رواية بشرطها المعتبر * وقاله محمد بن الجزري

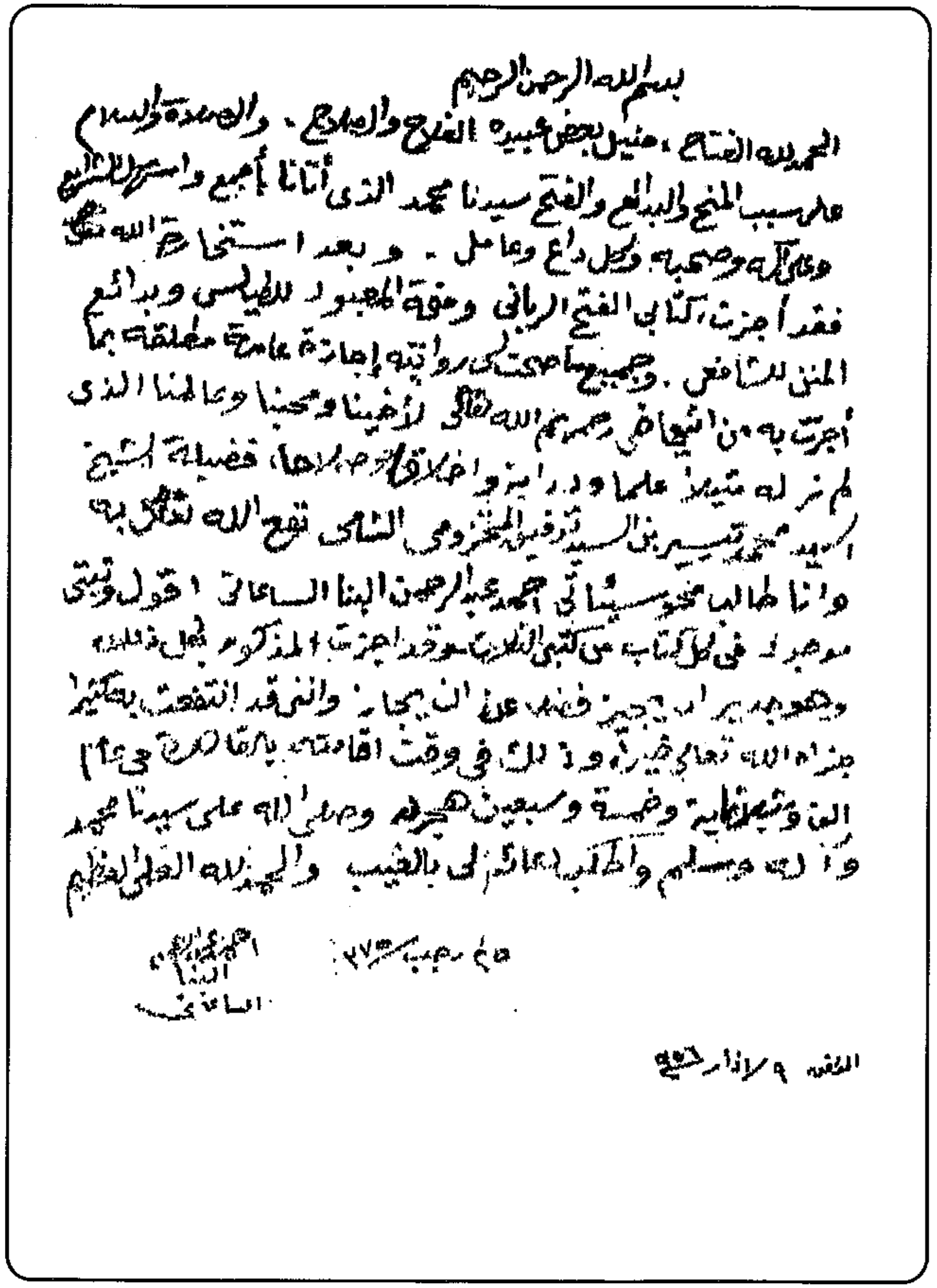
ونحو هذا في آخر النشر له أيضا وكذا الاستاذ وبه من طرق عديدة محررة مفيدة فمنها روايتي له عن مفتي المالكية بمكة المشرفة الشيخ محمد عابد بن حسين المكي المالكي رحمه الله وهو يرويه عن جماعة من مشايخه منهم والده الأستاذ الفاضل الشيخ حسين بن ابراهيم الأزهري ثم المكي وهو يرويه عن الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي عن مؤلفه الشيخ محمد الأمير الكبير المالكي وأرويه أيضا عن السيد محمد كامل الهبراوي الحلبي عن الشيخ ابراهيم السقا عن الأمير الصغير عن والده الأمير الكبير مؤلفه إلى غير ذلك من الطرق الى مؤلفه قاله عبد ربه محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله ابن مايابى الشنقيطي اقليما خادم نشر العلم بالحرمين الشريفين وحرر في ثاني عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ هجرية والحمد لله رب العالمين اهـ

(حقوق الطبع محفوظة للأزهري طبعه من العلماء ومن يتجاسر عليه يحاكم قانونا)
﴿ طبع بمطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ ﴾

صورة خط العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي بالاجازة لشيخ مشايخنا
العلامة محمد مصطفى أبي العلا الشهير بحامد، رحم الله الجميع


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المتفضل على خلقه المعطي لكل ذي حق حقه إذ قسم لكل
مخلوق رزقه والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على
عبده ورسوله سيدنا محمد الذي بعثه الله للخلق رحمة ليخرج
الناس من الظلمات إلى النور وعلى آله وعترته وصحابته
وبعد فشاء الله بقدرته واجتمعنا بالشيخ الفاضل والعالم المتبحر
الكامل التقي الورع الحبر العالم من حاز القدح المعلى في كل فن من
جل الفنون من أصول ومعقول ومنقول ومضنون السيد الأجل محمد
تيسير بن توفيق المخزومي الدمشقي وقد سألني إجازة بمروياتي من
تفسير وحديث وفقه ومنطق وأصول وغير ذلك مما لي فيه إلمام
ورواية وقد ألد القول بالعمل فقرأ علي من كتاب التاج الجامع
جملة لا يستهان بها من أوله ووسطه وآخره وغير ذلك من غيره
ولما رأيته من نجابته بادرت بإجابته وأجزته بما صح وتصح لي روايته
من أصول وفروع ومعقول ومنقول تفسير وحديث بما فيه الصحاح الستة
وغيرها مما في التاج والتيسير وغيرها وتوحيد وتصوف سائلاً مولاي القدير
نفعه ورفعه والنفع به لهداية الخلق ونصر الدين وأن لا ينساني من دعواته
والله ولي التوفيق لي وله قاله ورقمه صادق محمد العدوي ٩ رجب [illegible]

صورة خط العلامة الشيخ صادق محمد العدوي رحمه الله تعالى


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الفتاح، منيل بعض عبيده الفتح والإصلاح . والصلاة والسلام
على سبب المنح والبدائع والفتح سيدنا محمد الذي أتانا بأجمع وأيسر الشرائع
وعلى آله وصحبه وكل داع وعامل . وبعد استخارة الله تعالى
فقد أجزت كتابي الفتح الرباني ومنحة المعبود للطيالسي وبدائع
المنن للشافعي . وجميع ما صحت لي روايته إجازة عامة مطلقة بما
أجزت به من أشياخي رحمهم الله تعالى لأخينا ومحبنا وعالمنا الذي
لم نر له مثيلاً علماً ودراية وأخلاقاً [illegible] فضيلة الشيخ
السيد محمد تيسير بن السيد توفيق المخزومي الشامي نفع الله تعالى به
وأنا طالب [illegible] أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي أقول [illegible]
[illegible] في كل كتاب من كتبي [illegible] وقد أجزت المذكور [illegible]
[illegible] فضلاً عن أن [illegible] والتي قد انتفعت بكثير
جزاه الله تعالى خيراً وذلك في وقت إقامته بالقاهرة في عام
ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعين هجرية وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وسلم والطالب الدعاء لي بالغيب والحمد لله العلي العظيم

٥ رجب ٧٥ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي

القاهرة ٩ مارس [illegible]

صورة خط العلامة أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي رحمه الله تعالى


بسم الله الرحمن الرحيم

صورة خط العلامة محمد محمد الأودن رحمه الله تعالى


بسم الله الرحمن الرحيم

صورة إجازة من العلامة سلامة العزامي رحمه الله تعالى بخط ولده

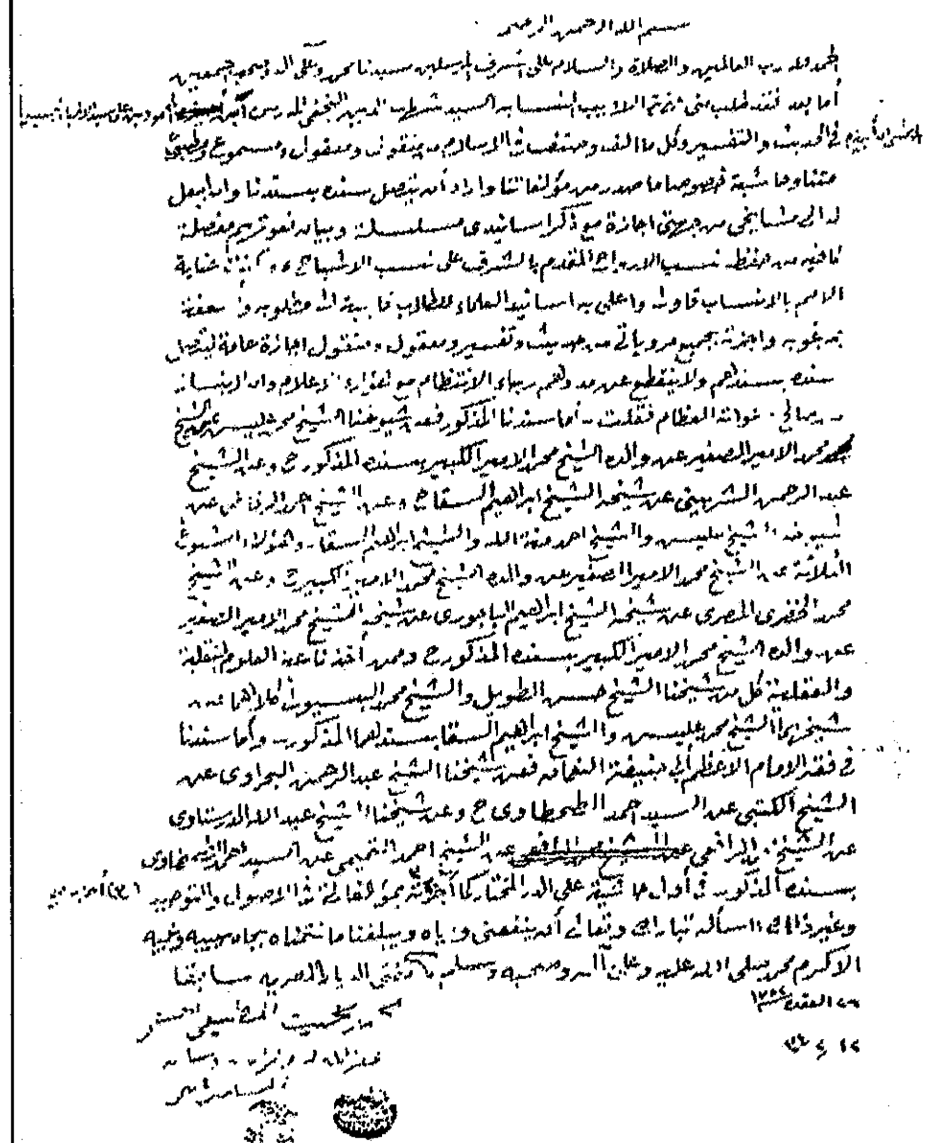
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه وعلى
جميع الصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين وبعد
فقد طلب مني الأستاذ الجليل والعلامة النبيل الشيخ المقدم
في العلم والعمل سلالة النبوة الآية الحجة الحسيني السيد شهاب الدين النجفي
أن أسمح له بإجازة عامة في كل ما أجازني به مشايخي
وما لي أن أجيبه إلى ذلك تلبية لرغبته وحسن عقيدته
وإن كنت لست هنالك ولا أهلا لذلك ولكني أرجو
منه دعوة صالحة سائلا الله تعالى أن يحشرنا في زمرة
المتقين [illegible] وأن يجعلني خيرا مما يظنون ويغفر
لي ما لا يعلمون فأقول وبالله التوفيق:
أجزت الأستاذ الفاضل الشيخ السيد شهاب الدين النجفي بكل
ما ورد بثبت الشيخ الأمير رضي الله عنه وأستاذي في ذلك
الشيخ سليم البشري والشيخ [illegible] رحمهما الله تعالى
عن الشيخ إبراهيم السقا الكبير عن الشيخ الأمير الصغير
عن والده الأمير الكبير رضي الله عنهم أجمعين مشترطا عليه
ما اشترطه المشايخ رحمهم الله تعالى من التثبت عند المشكلات
إلى آخر ما لا يخفى عليه من التفصيل ملتمسا منه أن يدعو لي
بحسن الختام وبلوغ المرام وأن يصلي [illegible] سيد الأنام
عليه الصلاة والسلام وأن يقينا فتنة شر هذا العصر
بمنه وكرمه
يوسف الدجوي
عضو جماعة كبار العلماء
في ١٨ يوليه سنة ١٩٤٩م
أرجو الإفادة بوصول هذا وبوصول السند والتاريخ

صورة إجازة من العلامة يوسف الدجوي رحمه الله تعالى عليها ختمه

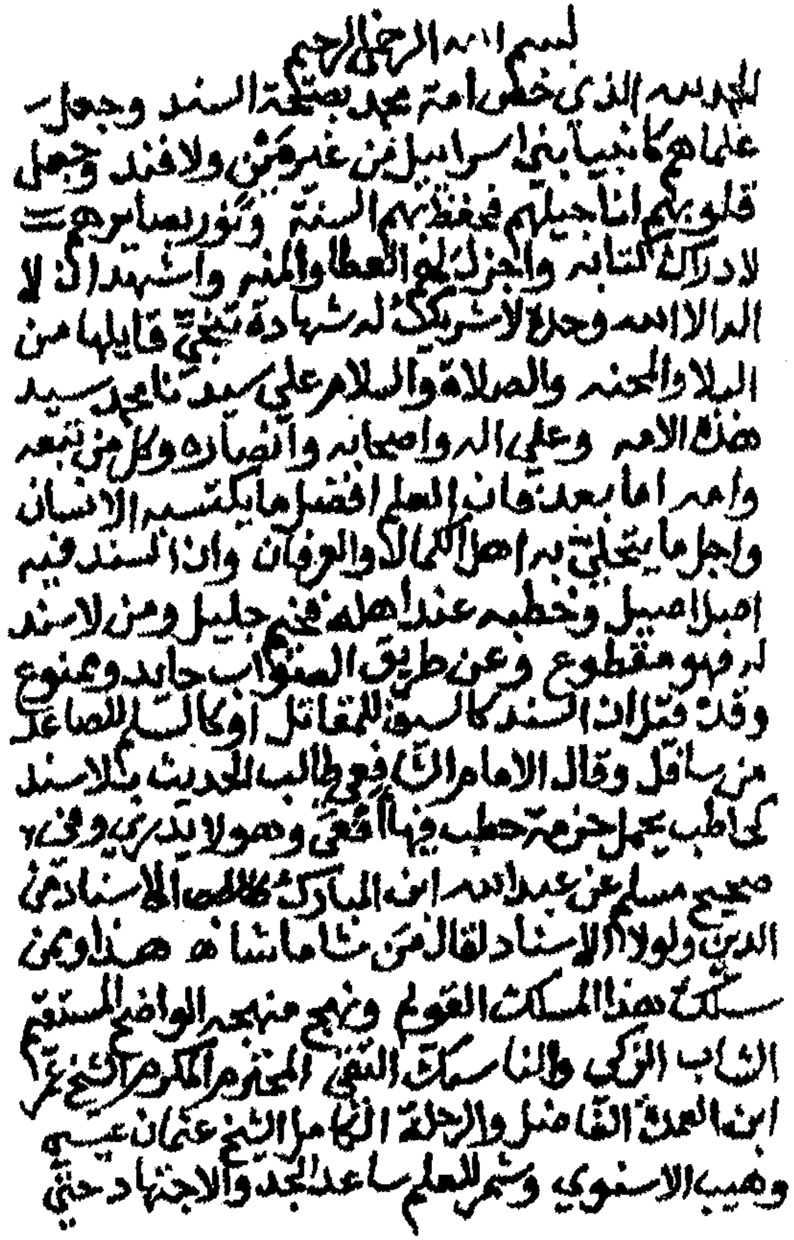
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علمنا ما لم نعلم ووصلنا بالسند الأعظم نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وصحبه وشرف وعظم وكرم
أما بعد فإن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله الزنجاني
من أفاضل علماء إيران قد حدثنا بفضائل الأستاذ الماجد السيد شهاب الدين
المرعشي الشهير بالآغا نجفي وأنبأنا بما حباه الله من قوة في الفهم وجد
في خدمة العلم وأخبرنا أنه يطلب إلينا أن نجيزه برواية مروياتنا عن
أشياخنا أكرمهم الله في الدارين وقد تلقينا قوله بالقبول إذ بدا لنا أنه
ممن يوثق بروايته ويعول على دقته
وقد عرفنا من أفاضل أشياخنا أنهم يرغبون في تسهيل سبيل نشر
العلم الشريف وأنهم يجيزون من بدا لهم أنه أهل لذلك محافظة على
دوام السند الذي انفردت به هذه الأمة
فاتباعا لطريقتهم قد أجزنا الأستاذ السيد شهاب الدين
الشهير بالآغا نجفي برواية مروياتنا بعد التثبت من استيفائه شرائط الصحة
والقبول وأوصيناه بتقوى الله تعالى فيما يعتقد وفيما يقول ونذكره بقوله
صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله
ولعامة المسلمين وخاصتهم
نسأل الله جلت قدرته أن يوفقنا وإياه لصالح العمل وأن يرشدنا
جميعا للصواب فيما نعلم وفيما نعمل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
هذا ولنذكر ما تلقيناه من أشياخنا عليهم الرحمة والرضوان [illegible]
فمنهم المرحوم العلامة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر السابق والمرحوم الشيخ سليم
البشري شيخ الجامع الأزهر الأسبق والمرحوم الشيخ [illegible] الشافعي شيخ السادة الشافعية بالأزهر
وأستاذنا الجليل العلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف وكيل الجامع الأزهر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة خط العلامة إبراهيم الجبالي رحمه الله تعالى

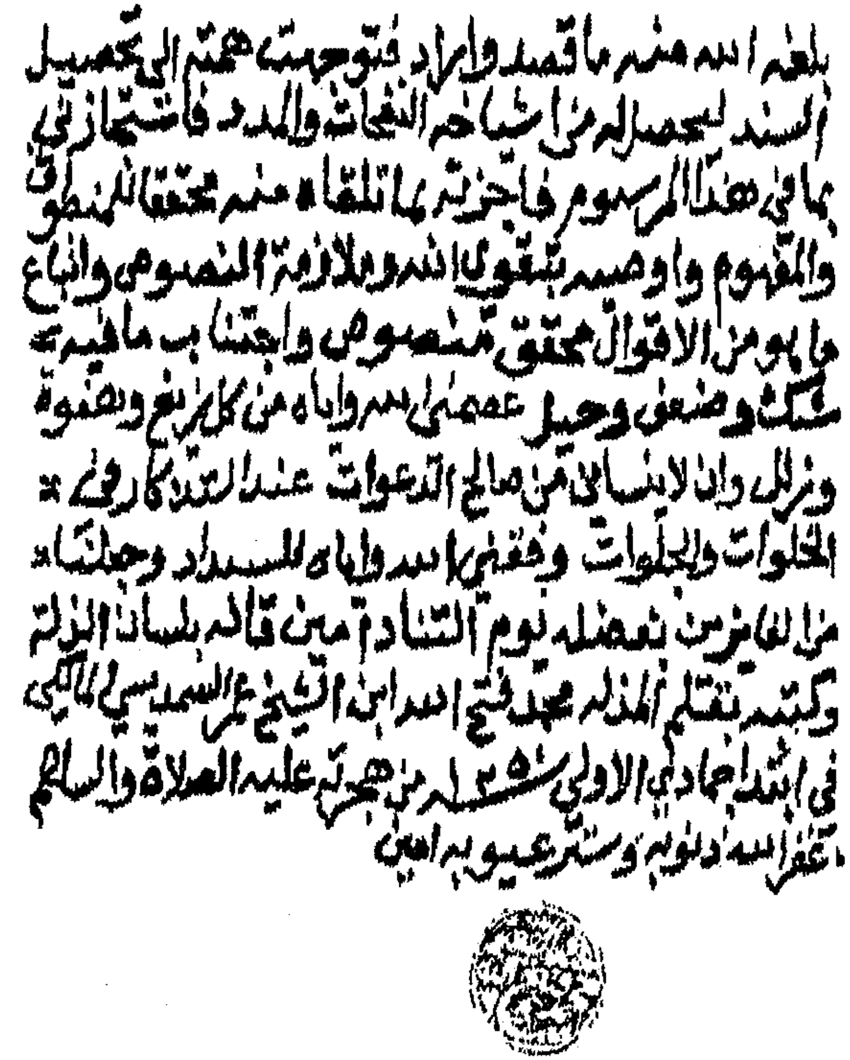


صورة خط العلامة محمد بخيت المطيعي رحمه الله تعالى

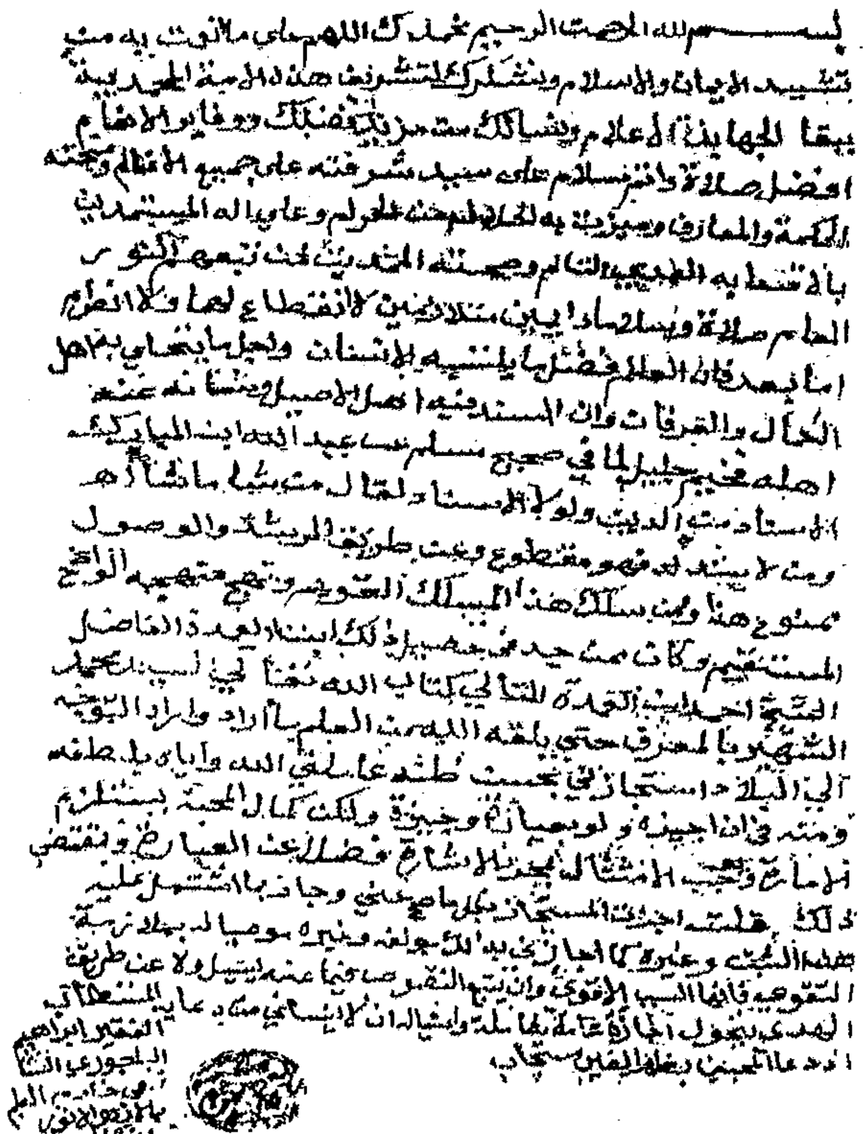


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خص امة محمد بصحة السند وجعل
علماءهم كانبياء بني اسرائيل من غير فن ولا فند وجعل
قلوبهم اناجيلهم فحفظ بهم السنة ونور بصائرهم
لادراك التابه واجزل لهم العطا والمنن واشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قايلها من
البلا والمحنه والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد
هذه الامه وعلى اله واصحابه وانصاره وكل من تبعه
واحبه اما بعد فان العلم افضل ما يكتسبه الانسان
واجل ما يتحلى به اهل الكمال والعرفان وان السند فيه
اصل اصيل وخطبه عند اهله جليل ومن لا سند
له فهو مقطوع وعن طريق الصواب حايد وممنوع
وقد قيل ان السند كالسيف للمقاتل او كالسلم للصاعد
من سافل وقال الامام [illegible] طالب الحديث بلا اسناد
كحاطب يحمل حزمة حطب فيها افعى وهو لا يدري وفي
صحيح مسلم عن عبد الله ابن المبارك [illegible] الاسناد من
الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء هذا وممن
سلك هذا المسلك القويم ونهج منهجه الواضح المستقيم
الشاب الذكي والناسك التقي المحترم المكرم الشيخ عمر
ابن العدل الفاضل والرحلة الكامل الشيخ عثمان عيسى
وهيب الاسنوي وشمر للعلم ساعد الجد والاجتهاد حتى

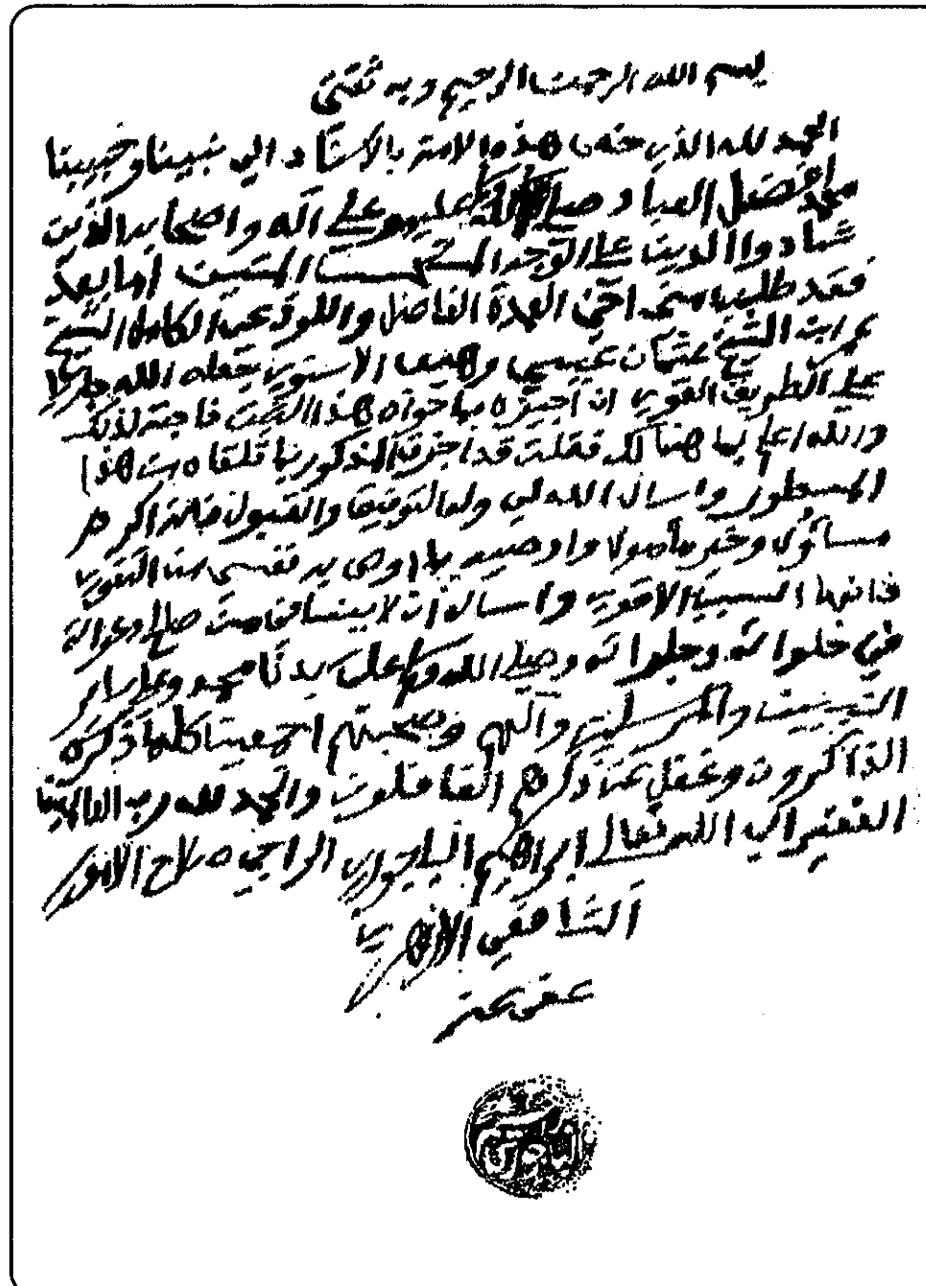
صورة الصفحة الأولى من خط العلامة محمد فتح الله بن عمر السميدسي رحمه الله تعالى


بلغه الله منه ما قصد وأراد فتوجهت همته إلى تحصيل
السند ليحصل له من أشياخ النفحات والمدد فاستجازني
بما في هذا المرسوم فأجزته بما تلقاه منه تحقيقا للمنطوق
والمفهوم وأوصيه بتقوى الله وملازمة النصوص واتباع
ما هو من الأقوال محقق منصوص واجتناب ما فيه
شك وضعف وحيل عصمني الله وإياه من كل زيغ وهفوة
وزلل وأن لا ينساني من صالح الدعوات عند التذكار في
الخلوات والجلوات وفقني الله وإياه للسداد وجعلنا
من الفائزين بفضله يوم التناد [illegible] قاله بلسانه الزلة
وكتبه بقلمه المذلة محمد فتح الله ابن الشيخ عمر السميدسي المالكي
في ابتداء جمادى الأولى سنة [illegible] من هجرته عليه الصلاة والسلام
غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين

صورة الصفحة الثانية من خط العلامة السميدسي رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم نحمدك اللهم على ما أنعمت به من
تشييد الإيمان والإسلام ونشكرك لتشريف هذه الأمة المحمدية
ببقاء الجهابذة الأعلام ونسألك مزيد فضلك ووفاء الإنعام
أفضل صلاة وأتم سلام على سيد شرفته على جميع الأنام وجعلته
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أما بعد فإن العلم أفضل ما [illegible]
[illegible] وإن الإسناد فيه أصل الأصول [illegible]
[illegible] في صحيح مسلم عن عبد الله ابن المبارك [illegible]
الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء
ومن لا سند له فهو مقطوع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الفقير إبراهيم الباجوري [illegible]

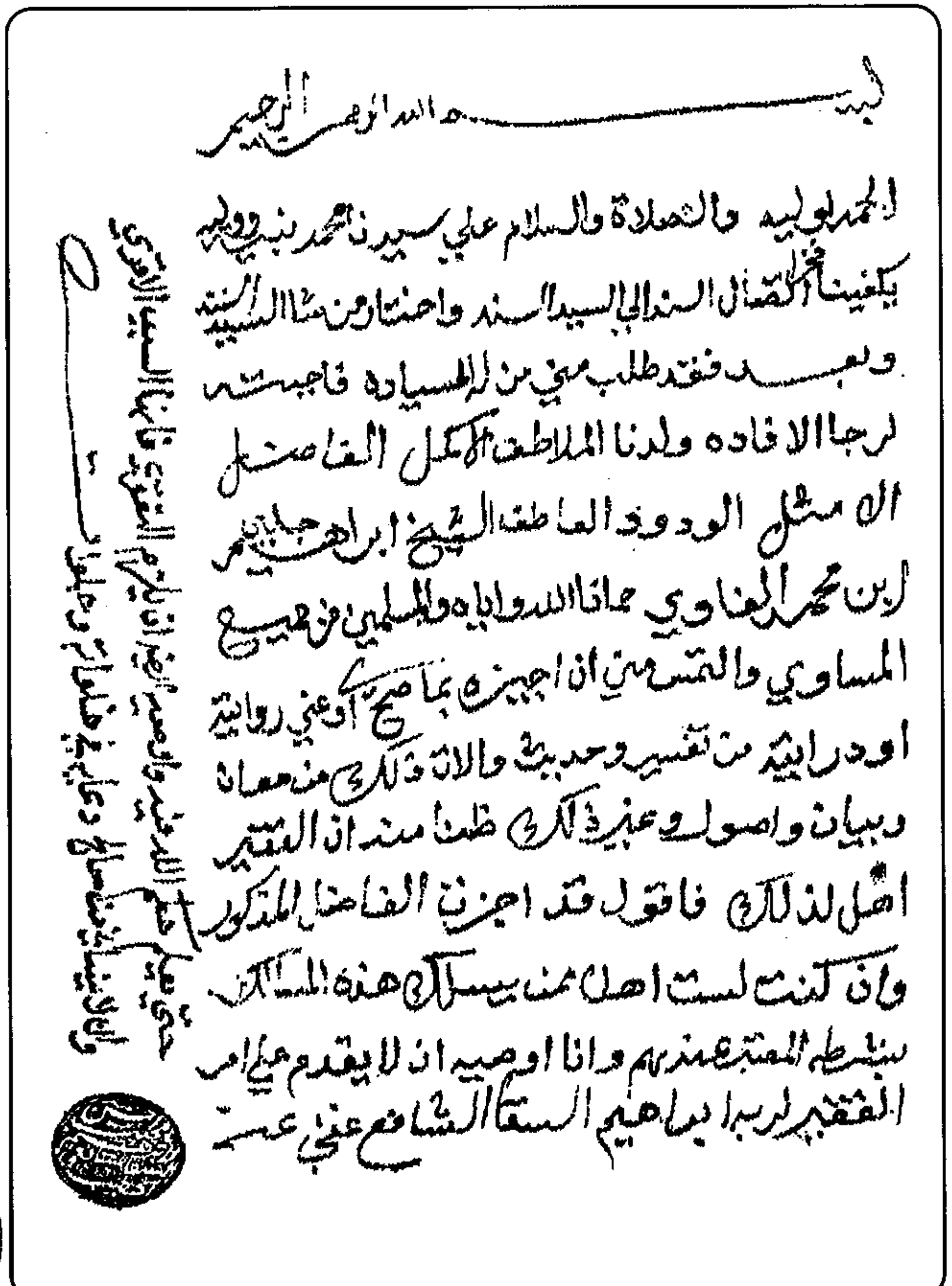
صورة خط شيخ الإسلام البرهان الباجوري رحمه الله تعالى على الصفحة الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي خص هذه الأمة بالإسناد إلى نبينا وحبيبنا
محمد أفضل العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
شادوا الدين على الوجه الحسن المستحسن أما بعد
فقد طلب مني أخي العمدة الفاضل واللوذعي الكامل الشيخ
عمر ابن الشيخ عثمان عيسى رهين الأستوي جعله الله جاريا
على الطريق القويم أن أجيزه بما حواه هذا الثبت فأجبته لذلك
رجاء الدعاء بما هنالك فقلت قد أجزت المذكور بما تلقاه من هذا
المسطور وأسأل الله لي وله التوفيق والقبول فإنه أكرم
مسؤول وخير مأمول وأوصيه بما أوصي به نفسي من التقوى
فإنها السبيل الأقوى وأسأله أن لا ينساني من صالح دعواته
في خلواته وجلواته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى سائر
النبيين والمرسلين وآله وصحبه أجمعين كلما ذكره
الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون والحمد لله رب العالمين
الفقير إليه تعالى إبراهيم البيجوري الراجي صلاح الأمور
الشافعي الأزهري
عفي عنه

صورة أخرى من خط شيخ الإسلام البرهان الباجوري رحمه الله تعالى



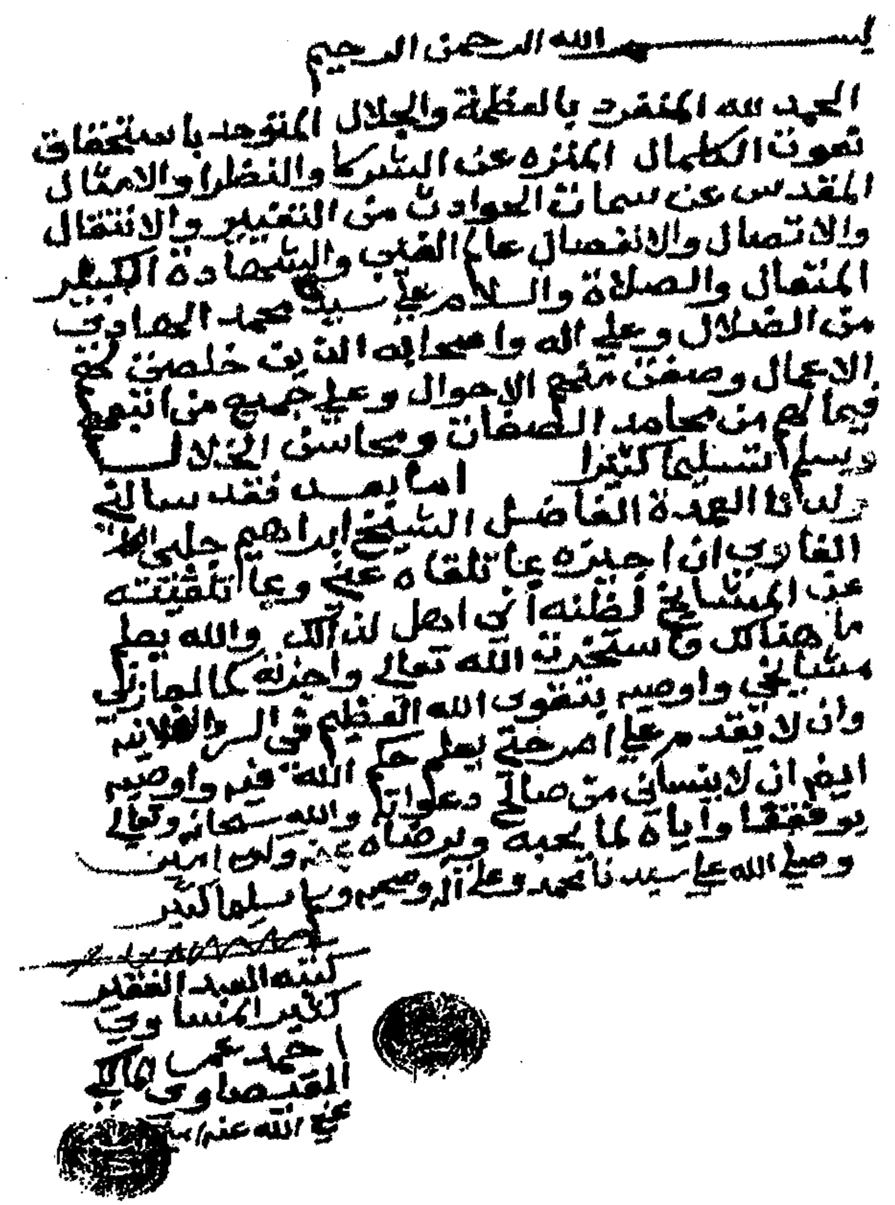
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ووليه
بلغنا مخبر الفضائل السند إلى السيد السند واختارنا من السنة السنية
وبعد فقد طلب مني من لا يستحق السيادة فأجبته
رجاء الإفادة ولدنا الملاطف الأكمل الفاضل
الأمثل الودود العاطف الشيخ إبراهيم
ابن محمد العناوي حمانا الله وإياه والمسلمين من جميع
المساوي والتمس مني أن أجيزه بما صح لي عني رواية
أو دراية من تفسير وحديث وآلات ذلك من معان
وبيان وأصول وغير ذلك ظنا منه أن الفقير
أهل لذلك فأقول قد أجزت الفاضل المذكور
وإن كنت لست أهلا ممن يسلك هذه المسالك
بشرطه المعتبر عندهم وأنا أوصيه أن لا يقدم على أمر
حتى يعلم حكم الله فيه وأوصيه أيضا أن يلزم التقوى فإنها السبب الأقوى
وأن لا ينساني من صالح دعائه في خلواته وجلواته
الفقير إبراهيم السقا الشافعي عفي عنه

صورة خط العلامة البرهان السقا رحمه الله تعالى


بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم يا من سند خير سند ونعم متسلسلة على الأبد فلك
الحمد على ما أسديت ولك الشكر على ما أعطيت والصلاة
والسلام اللذان لا ينقطع ثوابهما ولا ينفى إلى الأبد ولا ينفصل
أجرهما ولا ينفد الأمد على حضرة سند المنقطعين وإمام الواصلين
وقائد الغر المحجلين وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه وعترته
وأحزابه الذين [illegible]
أما بعد فإن الإسناد من الدين وبه يتشبث [illegible]
[illegible]

صورة خط العلامة محمد سعد عبده الأزهري


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستحقاق
نعوت الكمال المنزه عن الشركا والنظرا والأمثال
المقدس عن سمات الحوادث من التغيير والانتقال
والاتصال والانفصال عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي
من الضلال وعلى آله وأصحابه الذين خلصوا لله
الأعمال وصفوا من الأحوال وعلى جميع من اتبعهم
فيما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال
وسلم تسليما كثيرا أما بعد فقد سألني
ولدنا العمدة الفاضل الشيخ ابراهيم حلمي
القاوقجي أن أجيزه بما تلقاه عني وبما تلقيته
عن المشايخ لظنه أني أهل لذلك والله يعلم
ما هنالك فاستخرت الله تعالى وأجزته كما أجازني
مشايخي وأوصيه بتقوى الله العظيم في السر والعلانية
وأن لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وأوصيه
أيضا أن لا ينساني من صالح دعواته والله سبحانه وتعالى
يوفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه بمنه ولطفه آمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
كتبه العبد الفقير
كثير المساوي
أحمد عمر
القبيصاوي المالكي
عفا الله عنه آمين

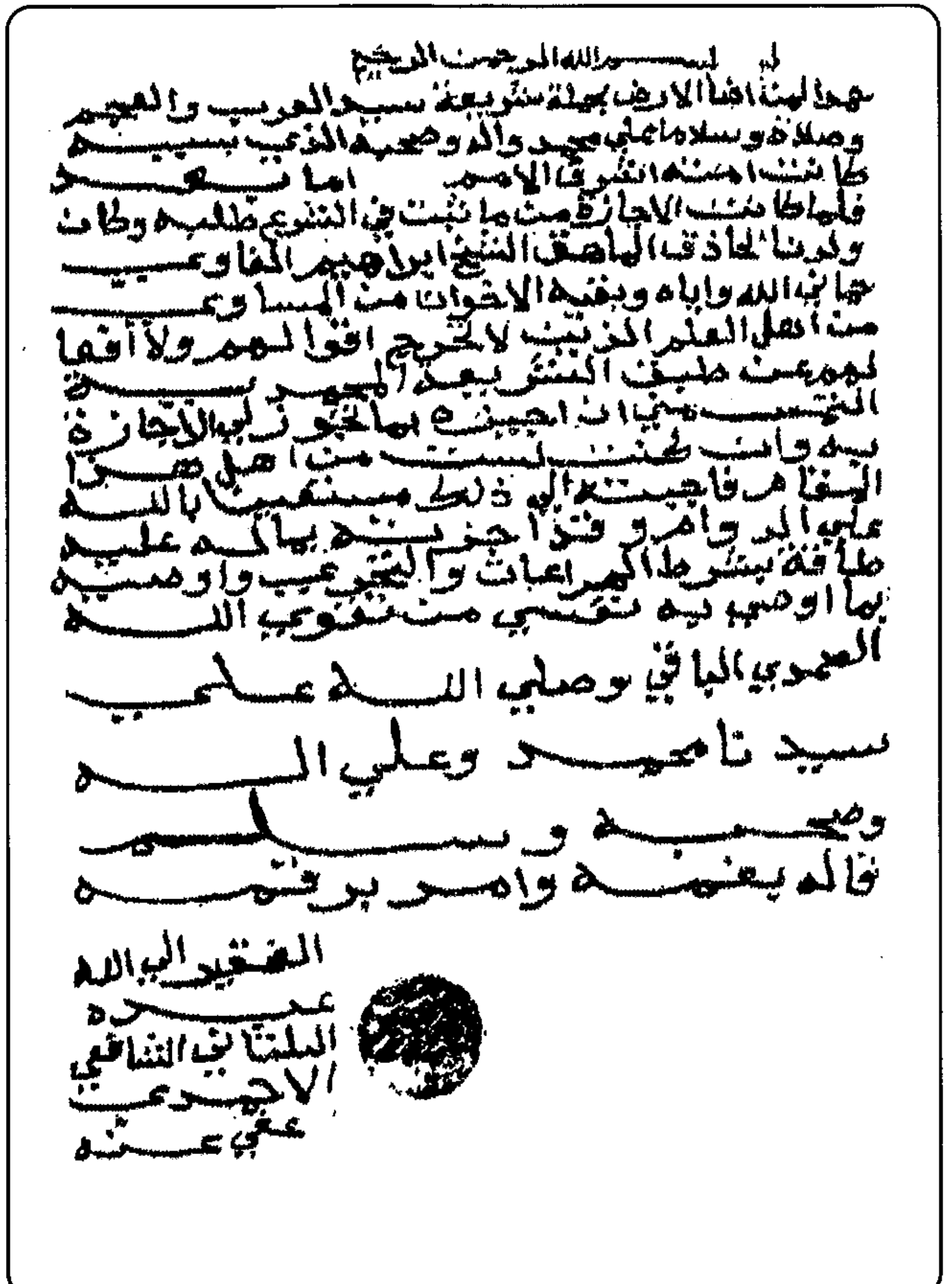
صورة خط العلامة أحمد عمر القبيصاوي المالكي رحمه الله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ندب إلى السند في ضمن كتابه وفحواه وأشار
إلى العناية به بقوله تعالى ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله
والصلاة والسلام على سيدنا محمد ينبوع الشرائع والعلوم ومعدن أسرار المنطوق
والمفهوم القائل في الحديث نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها
كما سمعها وعلى آله وأصحابه نجوم الهداية وحماة الملة وكماتها وعلى
خلفائه الأئمة الأعلام وعلماء شريعته المقربين لها على الدوام
أما بعد فقد طلب مني الذكي الألمعي والأوحدي اللوذعي
الماهر [illegible] العمدة الفاضل حاوي المزايا والفضائل الشيخ إبراهيم
جلبي الفاوي أن أجيزه بما أجازني به أشياخي الكرام وأن يروي مروياتي
لمن يستحق ذكره من الأنام [illegible]
[illegible] وهم يتجاوز ويغض بحسن النظر وبادرني إني لست أهلا لذلك ولا ممن يخوض تلك المسالك
[illegible] فلم يسعني إلا الإجابة لمطلوبه جبرا لخاطره
وحديث [illegible] والآن قد أجزت الفاضل المذكور بما تجوز لي روايته من تفسير
[illegible] ومعان وبيان وأصول وغير ذلك بشرطه المعتبر
عندهم وأنا أوصيه بما أوصي به نفسي من ملازمة التقوى في السر والنجوى
فإنها السبب الأقوى [illegible] بالتخلق بما يقتضيه العلم من الأحوال والأقوال
والأعمال وأن لا ينساني من صالح دعواته بحسن الختام وأنا أسأل الله
يا غياث المستغيثين وملجأ ذوي الفاقات الملهوفين يا أرحم الراحمين
يا ذا الجلال والإكرام أن تجعلني وإياه من العلماء العاملين والصادقين
والمخلصين بجاه سيد المرسلين آمين
كتبه المنكسر خاطره لعدم عمله وتقواه مصطفى المبلط
الشافعي الأحمدي [illegible]

صورة خط العلامة مصطفى المبلط رحمه الله تعالى

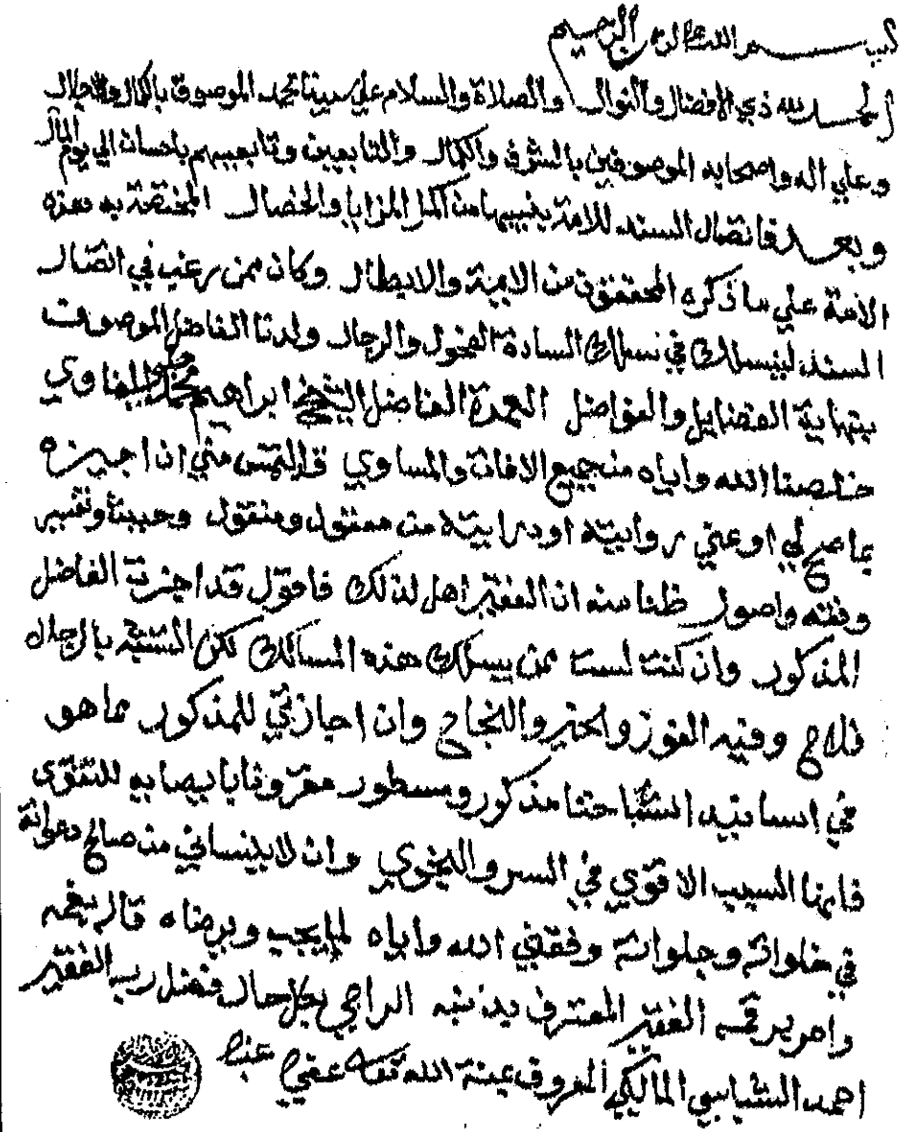


بسم الله الرحمن الرحيم

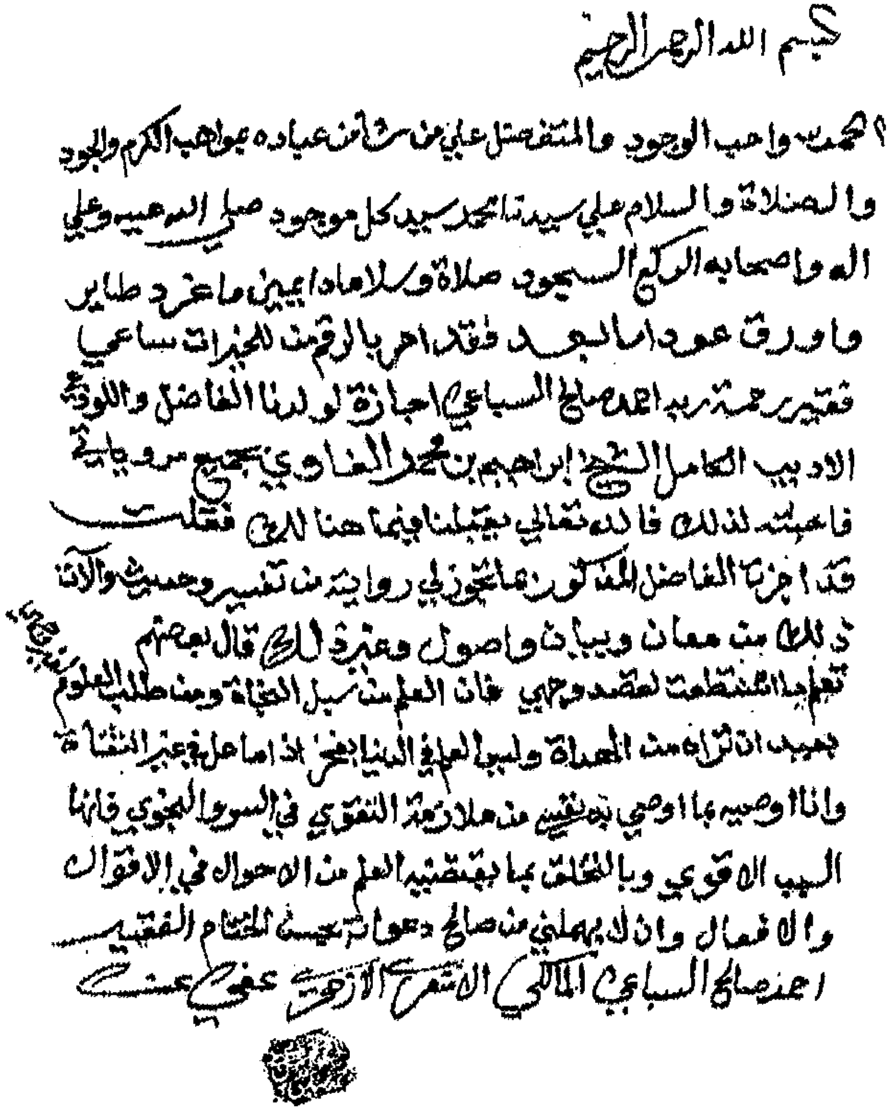
حمدا لمن أفنى الأرض بجملة شريعة سيد العرب والعجم
وصلاة وسلاما على محمد وآله وصحبه الذين بسببهم
كانت أمته أشرف الأمم أما بعد
فلما كانت الإجازة من ما ثبت في الشرع طلبه وكان
ولدنا الحاذق الماهر الشيخ إبراهيم الفاوي
حيانا الله وإياه وبقية الإخوان من المساوي
من أهل العلم الذين لا حرج أتوا لهم ولا أتوا
لهم من طبق النشر بعد الجمهور
المتميز [illegible] أن أجيزه بما تجوز لي الإجازة
به وإن كنت لست من أهل هذا
الشأن فأجبته إلى ذلك مستعينا بالله
عليه الدوام فقد أجزته بما له علي
طاقة بشرط المراعاة والتحري وأوصيه
بما أوصي به نفسي من تقوى الله
العلي الباقي وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم
قاله بفمه وأمر برقمه

الفقير إلى الله
عبده
البلتاني الشافعي
الأحمدي
عفي عنه

صورة خط العلامة عبده البلتاني الشافعي رحمه الله تعالى


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ذي الأفضال والنوال والصلاة والسلام على سيدنا محمد الموصوف بالكمال والجلال
وعلى آله وأصحابه الموصوفين بالشرف والكمال والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم المآل
وبعد فاتصال السند للأمة بنبيها من أكمل المزايا والخصال المختصة به هذه
الأمة على ما ذكره المحققون من الأئمة والأبطال وكان ممن رغب في اتصال
السند لينسلك في سلك السادة الفحول والرجال ولدنا الفاضل الموصوف
بنهاية الفضائل والفواضل العمدة الفاضل الشيخ إبراهيم محمد البلفاوي
خلصنا الله وإياه من جميع الآفات والمساوي فالتمس مني أن أجيزه
بما صح لي أو عني روايته أو درايته من معقول ومنقول وحديث وتفسير
وفقه وأصول ظنا منه أن الفقير أهل لذلك فأقول قد أجزت الفاضل
المذكور وإن كنت لست ممن يسلك هذه المسالك لكن التشبه بالرجال
فلاح وفيه الفوز والخير والنجاح وأن إجازتي للمذكور بما هو
في أسانيد أشياخنا مذكور ومسطور معروف وإياه أوصيه بالتقوى
فإنها السبب الأقوى في السر والنجوى وأن لا ينساني من صالح دعواته
في خلواته وجلواته وفقني الله وإياه لما يحب ويرضاه قال بفمه
وأمر برقمه الفقير المعترف بذنبه الراجي بالإحسان فضل ربه القدير
أحمد الشباسي المالكي المعروف بمنة الله تعالى عفي عنه

صورة خط العلامة أحمد منة الله الشباسي المالكي رحمه الله تعالى


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله واهب الوجود والمتفضل على من شاء من عباده بمواهب الكرم والجود
والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد كل موجود صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه الركع السجود صلاة وسلاما دائمين ما غرد طائر
وأورق عود أما بعد فقد أمر بالرقم للخيرات ساعي
فقير رحمة ربه أحمد صالح السباعي إجازة لولدنا الفاضل والألوذعي
الأديب الكامل الشيخ إبراهيم بن محمد الغناوي بجميع مروياتي
فأجبته لذلك فالله تعالى يتقبل منا فيما هنالك فقلت
قد أجزت الفاضل المذكور بما تجوز لي روايته من تفسير وحديث وآلات
ذلك من معان وبيان وأصول وغيرها كذلك قال بعضهم
تعلم ما استطعت لقصد وجهي فإن العلم من سبل النجاة وما طلب العلوم لغير وجهي
بعيد أن تراه من الهداة ولبيب العلم في الدنيا بفخر إذا ما حل في غير النشاة
وأنا أوصيه بما أوصي به نفسي من ملازمة التقوى في السر والنجوى فإنها
السبب الأقوى وبالتخلق بما يقتضيه العلم من الأحوال في الأقوال
والأفعال وأن لا يهملني من صالح دعواته سيما في المقام الفقهي
أحمد صالح السباعي المالكي الأشعري الأزهري عفي عنه

صورة خط العلامة أحمد صالح السباعي المالكي رحمه الله تعالى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
وسلام على المرسلين والحمد لله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خصص الأمة المحمدية بسلسلة الإسناد وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد صحيح الاعتقاد وأشهد أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه وخليله أفضل
خلق الله خلقا وأصدقهم لهجة ونطقا صلى الله وسلم عليه
وعلى آله وصحبه ومن ينتسب إليه أما بعد فلما كانت
العلوم كلها عظيمة الوقع ومركبها في الدارين عميمة النفع ومن
تحلى بحلاها نال السعادة وجازاه الله الكريم بالحسنى وزيادة
كان ممن تحلى بتلك العلوم وحقق فيها موقع المنطوق
والمفهوم والتطلع جواهرها [illegible] ما تحقق به المآثر
والمفاخر وتقفي أثر السلف الصالح من الأكابر [illegible]
على السنن القديم الحسن أعاننا الله وإياه من سائر الفتن
ولدنا الشيخ الفاضل والرحلة الكامل والقدوة الواصل
الشيخ علي بن الشيخ إسماعيل [illegible] التميمي
الإجازة بما في هذا الثبت وغيره مما سمعه مني أو صح عني
فأجبته لذلك وإن لم يكن لمثلي الخوض في غمرات تلك
المسالك

الصفحة الأولى من صورة خط العلامة محمد صالح السباعي الحفناوي
رحمه الله تعالى

المسالك مستمدا بعون القادر المالك اقتداء بالسادة الأئمة
الكرام ورجاء بذلك بركة القادة الفخام فقلت قد أجزته
بجميع ما حواه هذا الثبت وعموم ما صحت روايته إجازة عامة
شاملة كما أجازني بذلك صاحبه [illegible] أبو محمد محمد بن محمد
الأمير عليه سحائب الرحمة من مولاه القدير ونصه
بسم الله الرحمن الرحيم منك المعونة وبك نستعين حمدا لمن وفق
من شاء من عباده للسلوك على الطريق المستقيم وألهمه رشده فبادر لما له
فيه خير عظيم وصلاة وسلاما على النبي السند العظيم المرسل رحمة للعالمين
بالدين القويم وعلى آله وأصحابه حملة شريعته ونوابه أما بعد
فقد استجازني ولدنا العلامة [illegible] الذكي التقي الشيخ محمد سباعي
العدوي المصري المولد [illegible] نجل المرحوم بكرم الله المعتقد العارف المربي
[illegible] الشيخ صالح السباعي الخلوتي العدوي أنزل الله عليه سحائب رحمته
وعمه بإحسانه ومغفرته مني الإجازة فيما حواه هذا الكتاب وما تلقاه
عني من كل فن مستطاب وذكر [illegible] في كتب
مفيدة في الفقه والحديث وغيرهما وظهرت عليه أمارات النجابة والفلاح
ولاحت منه أنوار المعارف والصلاح فقلت بعد الاستخارة قد أجزت
ولدنا المذكور بجميع ما تضمنه هذا المسطور وكل ما سمع مني من منظوم
ومنثور مروي أو مأثور منه فروع وأصول معقول ومنقول مجيزا له
أن يجيز من استجازه [illegible] والسلوك على أقوم
طريق موصيا له بملازمة التقوى في السر والنجوى وأن يتبع النصوص
فيما منه يستند ولا عن صريح الهدى يتحول [illegible] من صلاح
الحال وأن لا ينساني من دعواته نفعه الله ونفع به وجعله من

الصفحة الثانية من خط العلامة محمد صالح السباعي الحفناوي

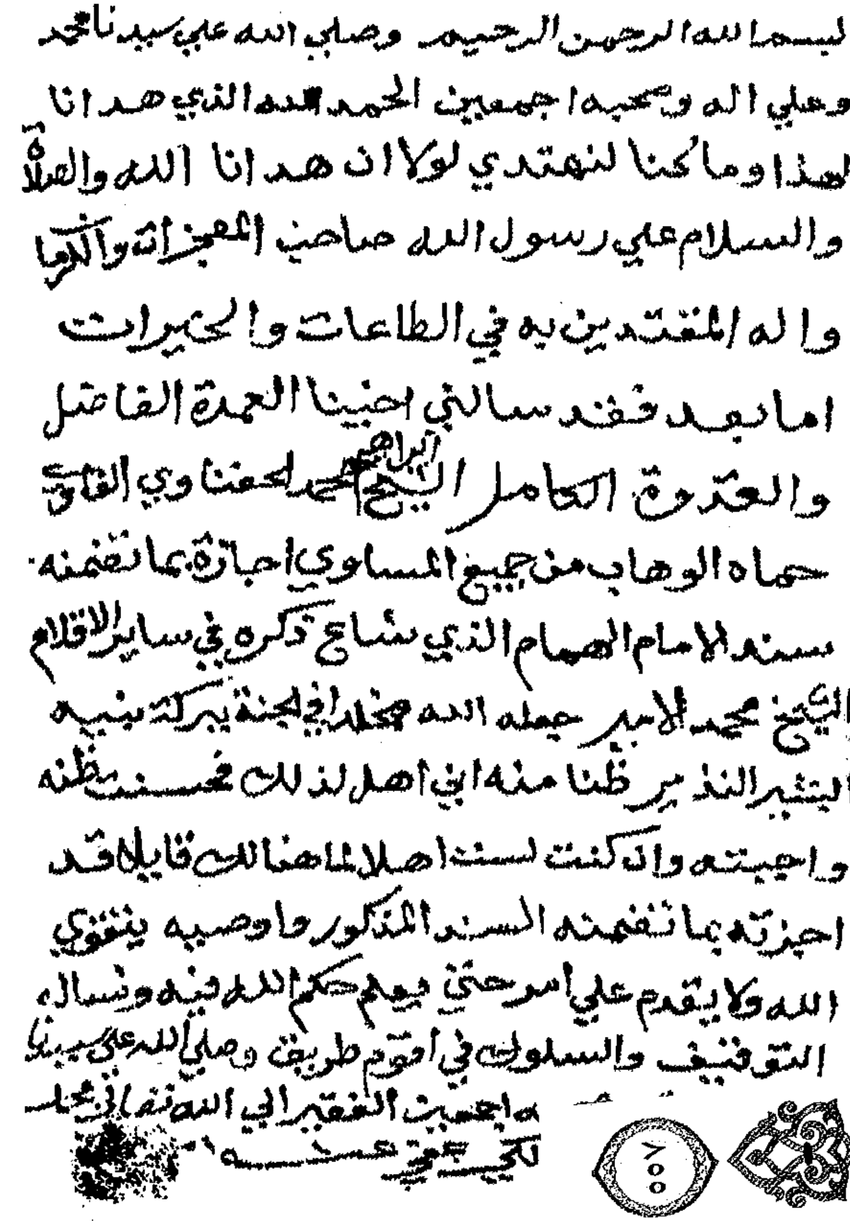
حرّر به أمين الفقير محمد الأمير خادم العلم والفقراء بالأزهر ثم أقول وإنا
أوصي المذكور بتقوى الله في السر والعلن بأن يلزم نفسه تقواها
ولا يتبع عناها وهواها ليأمن فلاح من زكاها وأن لا ينسانا والدنيا
ومشايخنا خصوصاً في أوقات التجليات ومواسم الخيرات من
الدعوات وأنا أسأل الله أن ينفع به الأنام ويجعله بركة ورحمة
في الأنام وأن يحسن ختامه كالمبدأ والختام آمين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في ستة عشر خلت من شهر صفر ١٢٤٩
ألف ومائتين وتسعة وأربعين من هجرة من له مزيد الفضل والإنعام
عليه أشرف الصلاة والسلام وأحسن أسنى ختامها وأسلم أنامها
والحمد لله رب العالمين أمين الفقير محمد صالح السباعي الحفناوي

الصفحة الثالثة والأخيرة من إجازة بخط العلامة محمد صالح السباعي الحفناوي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

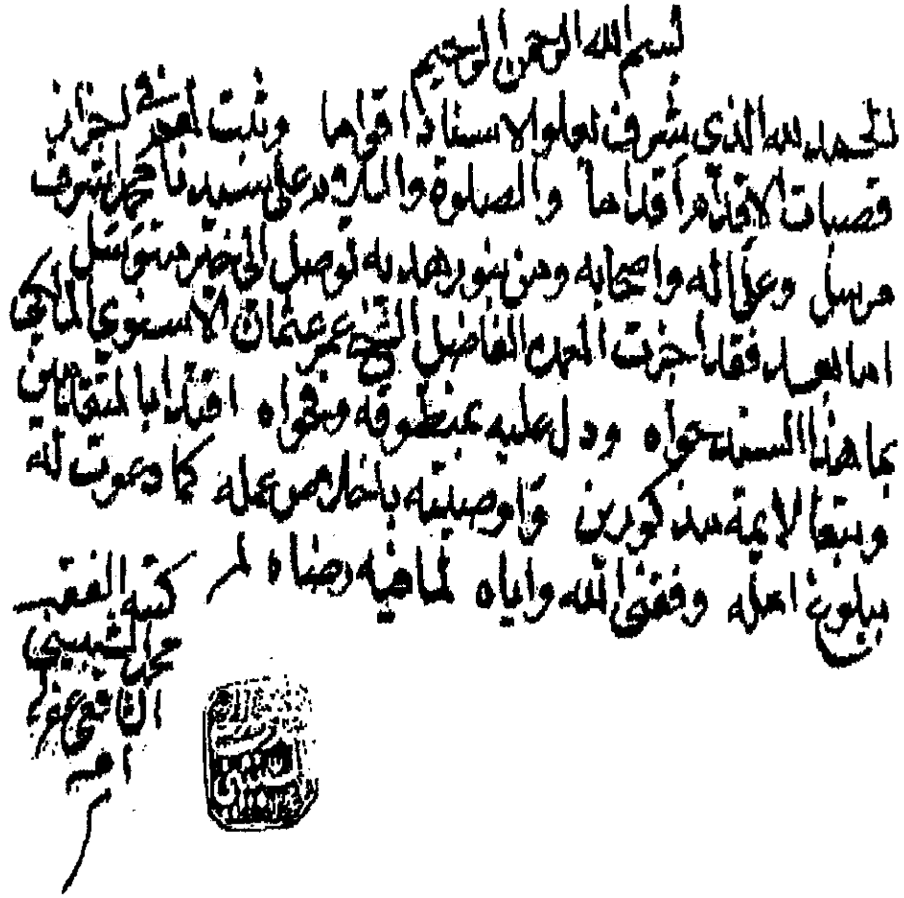
الحمد لله الذي نوّر قلوب العلماء بالمعارف ومنحهم بأنواع المكارم واللطائف
والصلاة والسلام على من جعله الله رحمة للعالمين عطوفاً خافضاً
جناحه للمؤمنين وبعد فقد طلب مني فصيح المقال
بديع المثال وحيد الرجال [illegible]
ولدنا الفاضل الألمعي الأديب الكامل اللوذعي الأديب
الشيخ إبراهيم بن محمد الفاوي حباه الله وإياه وجميع المسلمين
من المساوي أن أجيزه بما أجازني به أشياخي هم القوم الذي
لا يشقى جليسهم ولا وحشة لأنيسهم وإني ... فعلت
أجزت ولدنا الفاضل بما تلقاه عني كالصحيح لأبي عبد الله سيدي
محمد البخاري والزرقاني وكتاب سيدي الشيخ محمد الأمير والسبط
وغير ذلك والله أعلم بما هنالك وأوصيه بالتقوى فإنها
السبب الأقوى وأنا أسأل الله الكريم أن يوفقه لما يحب ويرضاه
أمر برقمه
الفقير إبراهيم جابر المالكي الحفناوي الأزهري
عفى الله تعالى عنه

صورة خط العلامة إبراهيم جابر المالكي رحمه الله تعالى

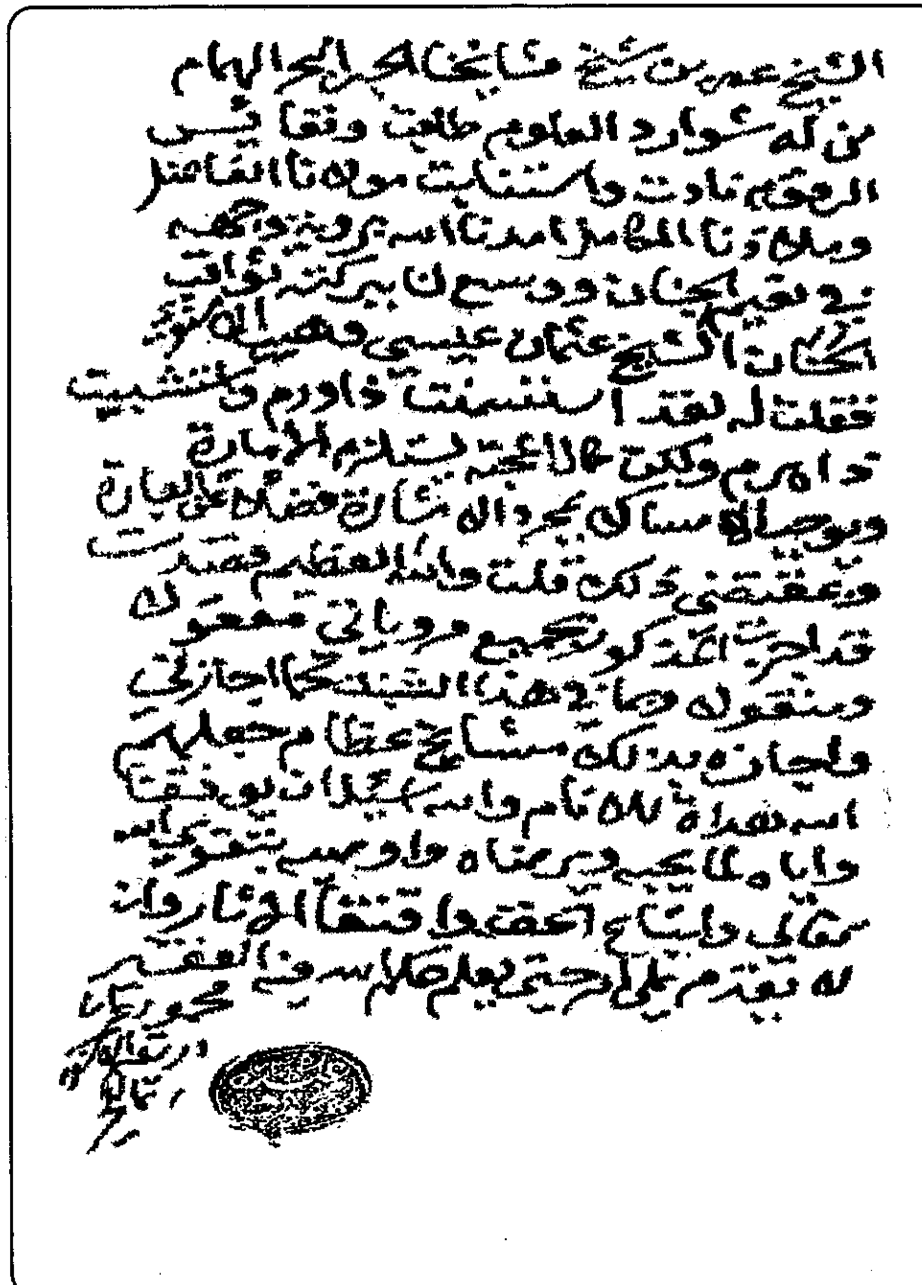

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة
والسلام على رسول الله صاحب المعجزات والكرامات
وآله المقتدين به في الطاعات والخيرات
أما بعد فقد سألني أخينا العمدة الفاضل
والعمدة الكامل الشيخ إبراهيم محمد الحفناوي الفارق(?)
حماه الوهاب من جميع المساوي إجازة بما تضمنه
سند الإمام الهمام الذي شاع ذكره في ساير الأقلام
الشيخ محمد الأمير جعله الله مخلدا في الجنة ببركة نبيه
البشير النذير ظنا منه أني أهل لذلك فحسنت ظنه
وأجبته وإن كنت لست أهلا لما هنالك قائلا قد
أجزته بما تضمنه السند المذكور وأوصيه بتقوى
الله ولا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ونسأله
التوفيق والسلوك في أقوم طريق وصلى الله على سيدنا
محمد ... كاتبه الفقير إلى الله تعالى محمد
عليش [illegible] سنة [illegible]

د عليش شيخ السادة المالكية، رحمه الله تعالى

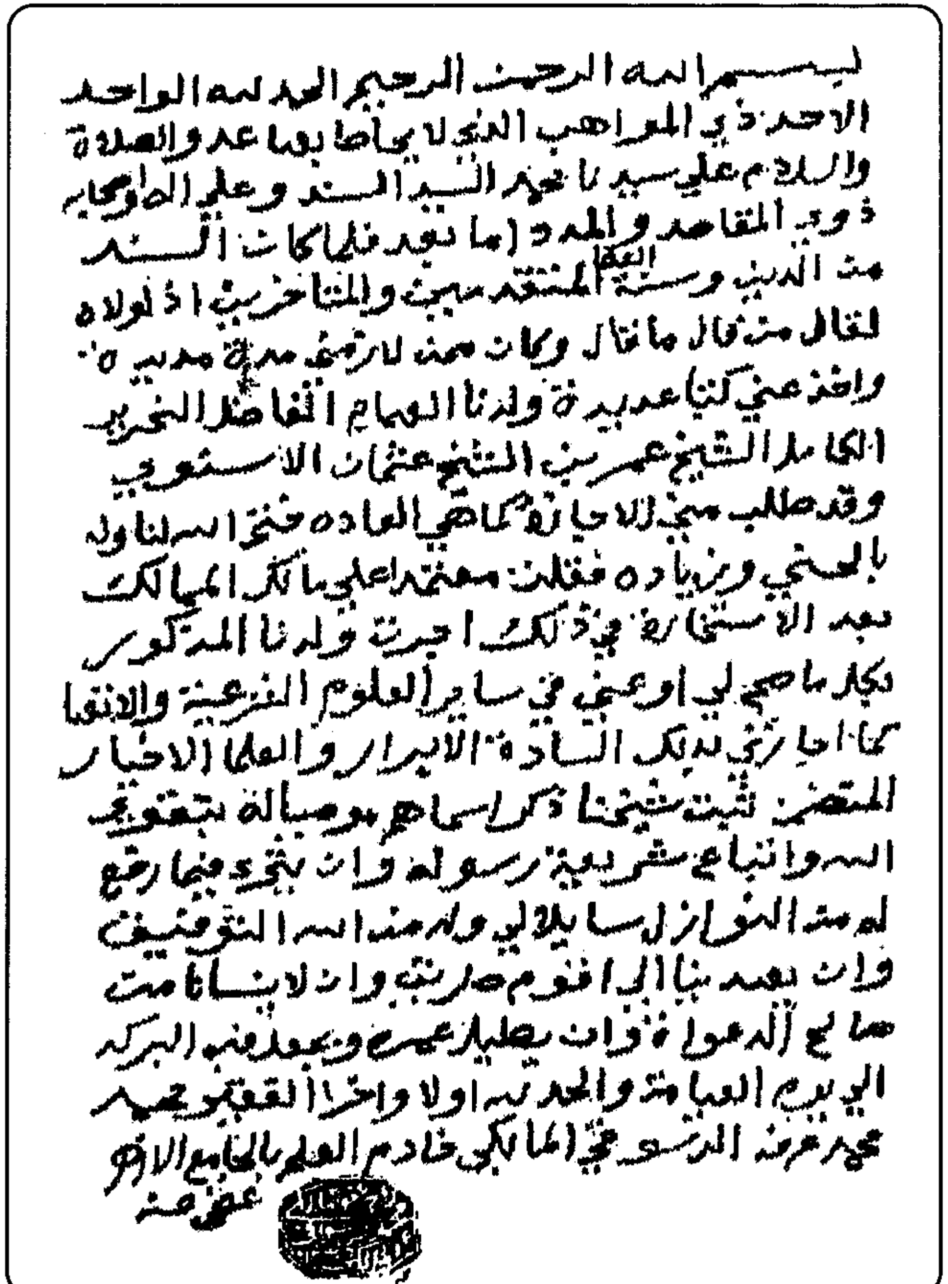
الصف


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي شرف بعلو الإسناد أقواما وثبت بمحض منه لجزائل(?)
قصبات الإفادة أقداما والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف
مرسل وعلى آله وأصحابه ومن بنور هديه توصل إلى الخير متوسل
أما بعد فقد أجزت المحب الفاضل الشيخ عمر عثمان الأسيوطي المالكي
بما في هذا السند سواه ودل عليه بمنطوقه ومفهومه أخذا بما تلقيناه(?)
وتبعا للأئمة مذكورين وأوصيته بإخلاص عمله كما أوصيت له
بلوغ أمله وفقنا الله وإياه لما فيه رضاه آمين
كتبه الفقير محمد الشبيني الشافعي غفر له آمين

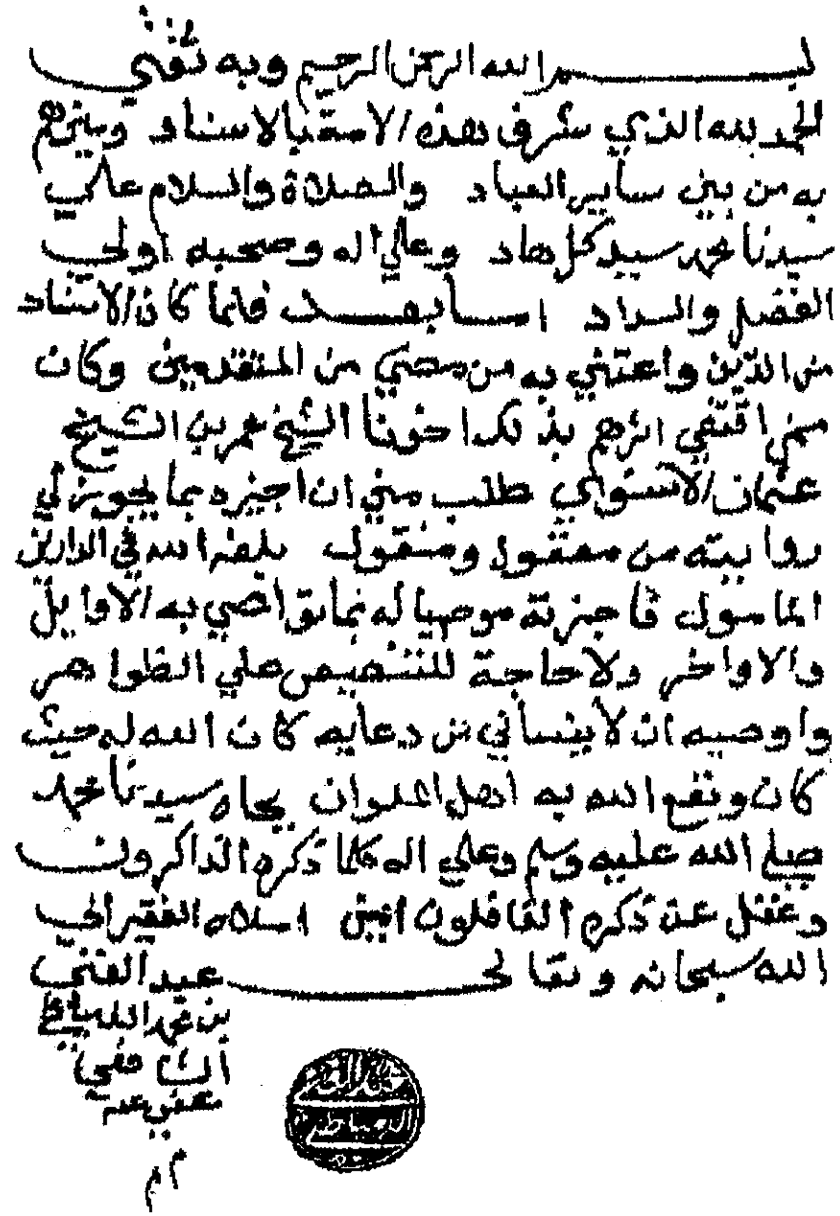
صورة خط العلامة محمد الشبيني الشافعي رحمه الله تعالى


الشيخ عمر بن شيخ مشايخنا الحبر الهمام
من له شوارد العلوم طاعت ونفائس
الرقائق نادت واستنبت مولانا الفاضل
[illegible]
في تعليم [illegible] ببركته نوافح(?)
الكمال الشيخ عثمان عيسى [illegible]
فقلت له لقد استسمنت ذا ورم ونفخت
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
له بعد من [illegible] الفقير
محمود ريان

صورة خط العلامة محمود ريان رحمه الله تعالى

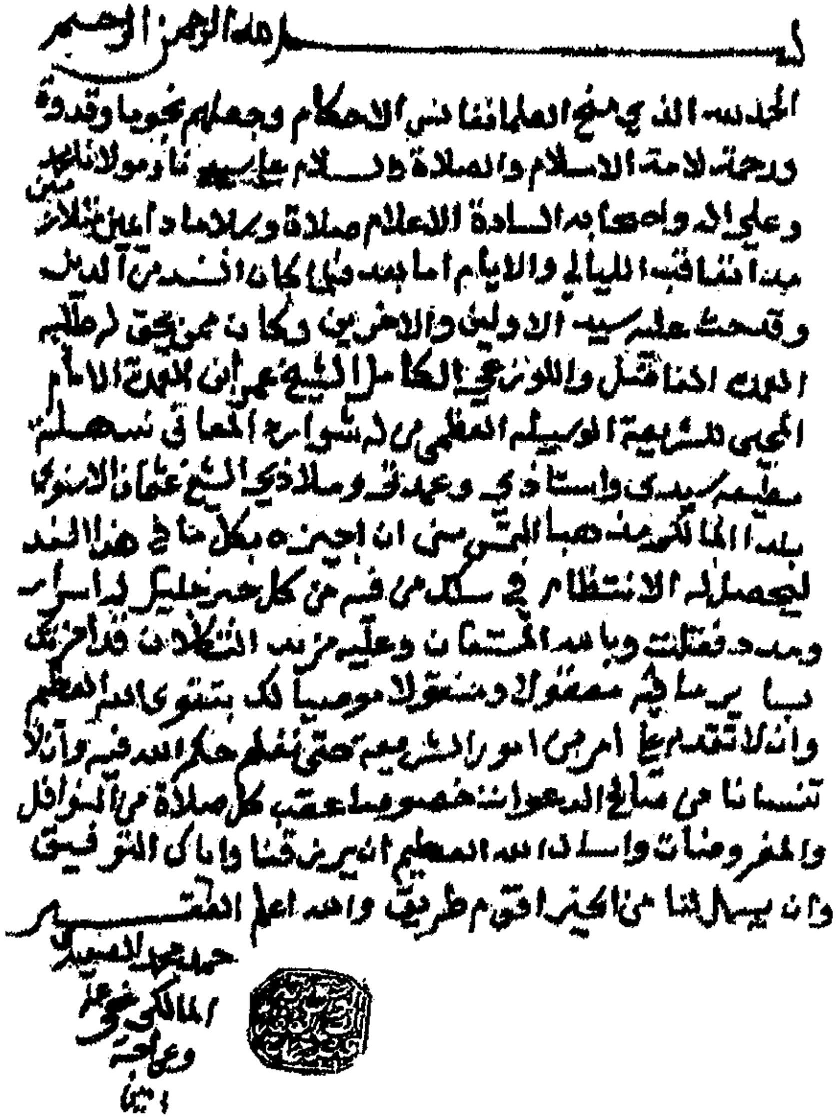

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد
الاحد ذي المواهب التي لا يحاط بها عد والصلاة
والسلام على سيدنا محمد خير السند وعلى الآل والأصحاب
ذوي المقاصد والمدد (اما بعد) فلما كان السند
من الدين وسنة العلماء المتقدمين والمتأخرين اذ لولاه
لقال من شاء ما شاء وكان ممن لا رغبة له فيه [illegible]
واخذ عني كتبا عديدة ولدنا الهمام الفاضل النحرير
الكامل الشيخ عمر بن الشيخ عثمان [illegible]
وقد طلب مني الاجازة كما هي العادة فتخيرت الله [illegible]
بالحسنى وزيادة فقلت معتمدا على مالك الممالك
بعد الاستخارة في ذلك اجزت ولدنا المذكور
بكل ما صح لي او عني في سائر العلوم الشرعية والادبية(?)
كما اجازني بذلك السادة الابرار والعلماء الاخيار
[illegible] ذكر اسمائهم موصيا له بتقوى
الله واتباع شريعة رسوله وان يتحرى فيما رفع
له من النوازل سائلا [illegible] التوفيق
وان يعمل بما [illegible]
صالح الدعوات وان يطيل عمره وينفع به البركة(?)
[illegible] والحمد لله اولا واخرا الفقير
محمد عرفه الدسوقي المالكي خادم العلم بالجامع الازهر
عفي عنه

صورة خط العلامة محمد عرفة الدسوقي المالكي رحمه الله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
الحمد لله الذي شرف هذه الامة بالاسناد وميزهم
به من بين ساير العباد والصلاة والسلام على
سيدنا محمد سيد كل هاد وعلى آله وصحبه اولي
الفضل والسداد اما بعد فلما كان الاسناد
من الدين واعتنى به من مضى من المتقدمين وكان
ممن اقتفى اثرهم بذلك اخونا الشيخ عمر بن الشيخ
عثمان الاسنوي طلب مني ان اجيزه بما يجوز لي
روايته من معقول ومنقول بلغه الله في الدارين
المامول فاجزته موصيا له بما اوصي به الاوائل
والاواخر ولا حاجة للتنصيص على الطواهر
واوصيه ان لا ينساني من دعائه كان الله له حيث
كان ونفع الله به اهل الديوان بجاه سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى اله كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون امين امره(?) الفقير الى
الله سبحانه وتعالى عبد الغني
بن محمد الدمياطي
الشافعي عفي عنه

صورة خط العلامة عبد الغني الدمياطي الشافعي رحمه الله تعالى

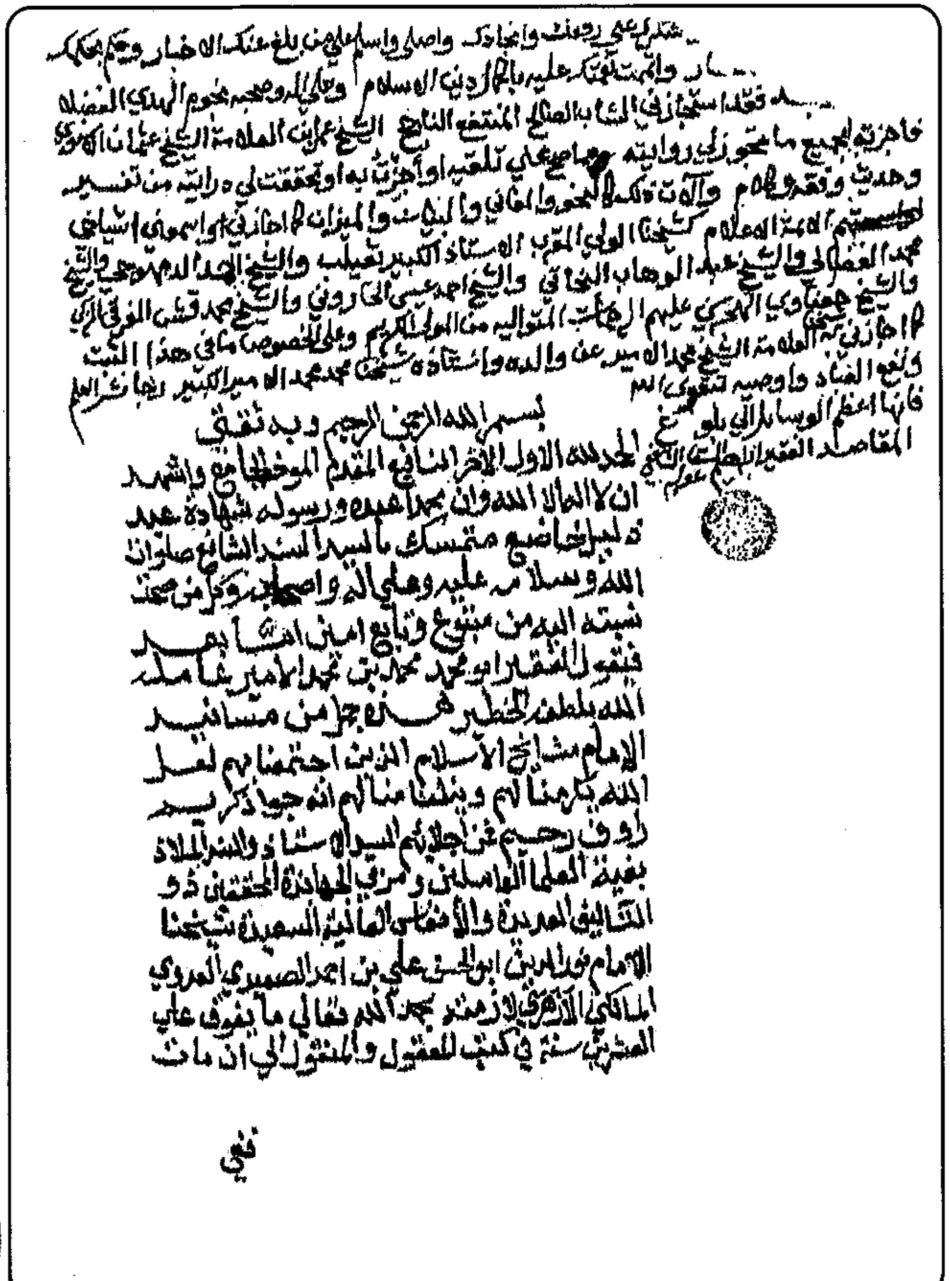


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي منح العلماء فنون الاحكام وجعلهم نجوما وقدوة
ورحمة لامة الاسلام والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
وعلى اله واصحابه السادة الاعلام صلاة وسلاما دائمين متلازمين
مدا امتداد الليالي والايام اما بعد فلما كان السند من الدين
وقد حث عليه سيد الاولين والاخرين وكان ممن حقق لطلبه
الدين اخانا الفاضل والورع الكامل الشيخ عمر ابن المرحوم الامام
المحيي للشريعة [illegible] العظمى من شرائع [illegible]
معلمه سيدي واستاذي وعمدتي وملاذي الشيخ عثمان الاسنوي
بلدا المالكي مذهبا التمس مني ان اجيزه بكل ما في هذا السند
ليحصل له الانتظام في سلك من فهم من كل حبر جليل [illegible]
وبعد فقلت وبالله المستعان وعليه [illegible] التكلان قد اجزتك
بما [illegible] من معقول ومنقول موصيا لك بتقوى الله العظيم
وان لا تقدم على امر من امور الشريعة حتى تعلم حكم الله فيه وان لا
تنسانا من صالح الدعوات خصوصا عقب كل صلاة من النوافل
والمفروضات واسأل الله العظيم ان يرزقنا واياك التوفيق
وان يسلك بنا من الخير اقوم طريق والله اعلم الفقير
حمد محمد الصعيدي
المالكي [illegible]
[illegible]

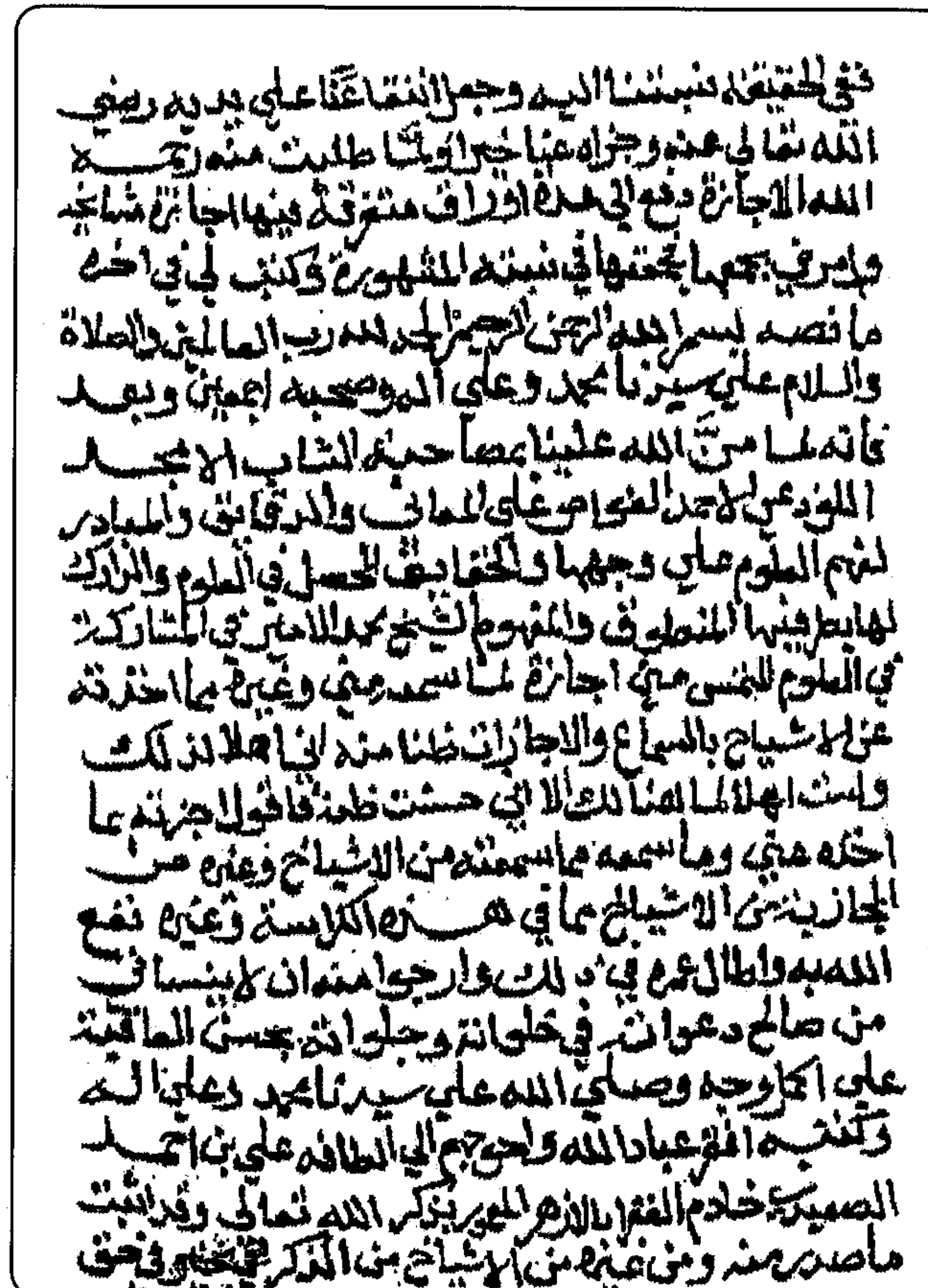
صورة خط العلامة حمد محمد الصعيدي المالكي رحمه الله تعالى



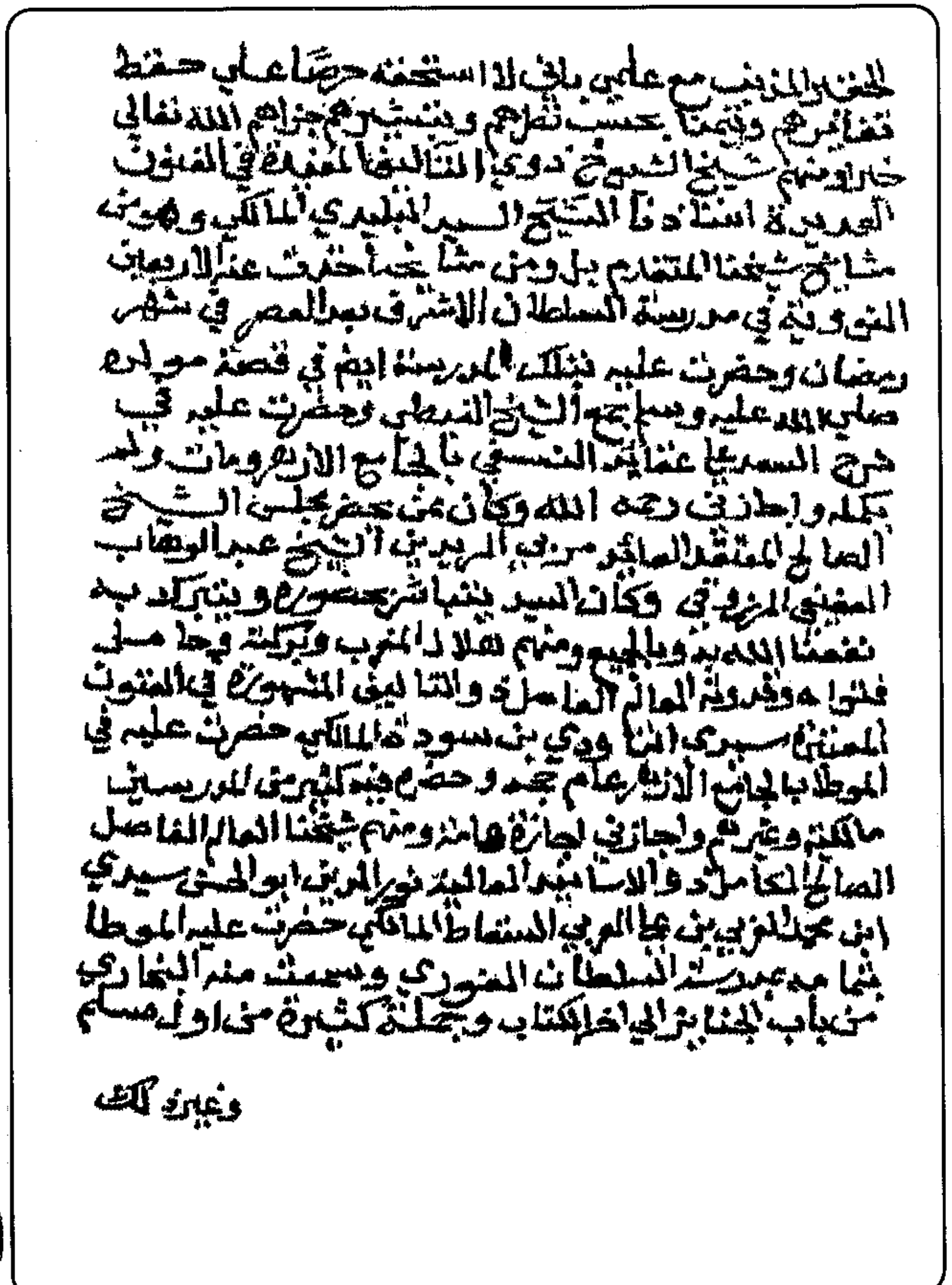
صورة خط العلامة مصطفى البولاقي المالكي رحمه الله تعالى، وتحته صورة خط العلامة محمد بن أحمد عليش رحمه الله تعالى



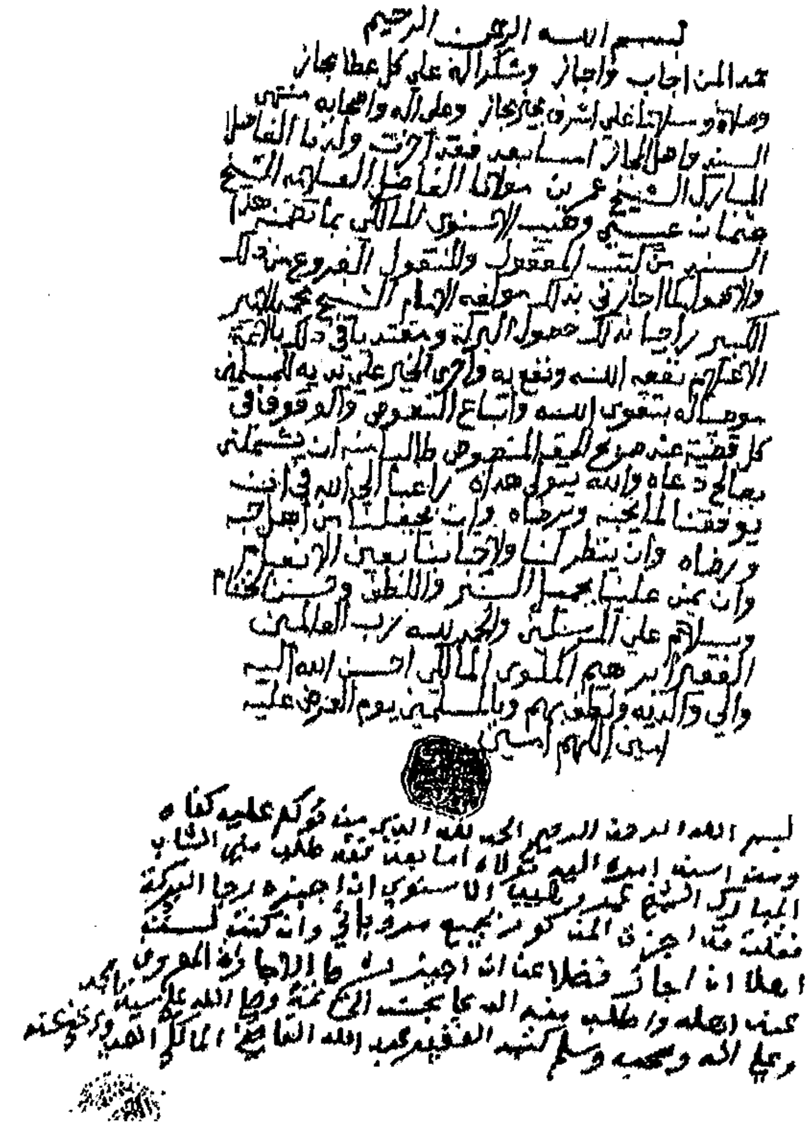
صورة مهمة من خط العلامة البرهان السقا رحمه الله تعالى


في الحقيقة نسبتنا اليه وجمل انتفاعنا على يديه رضي
الله تعالى عنه وجزاه عنا خيرا وكنا طلبت منه رحمه
الله الاجازة دفع الي هذه اوراق متفرقة فيها اجازة مشايخه
لمن يرغب فيها بجمعها في نسبته المشهورة وكتب لي في اخرها
ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد
فانه لما من الله علينا بمصاحبة الشاب الامجد
اللوذعي الاجد الفاهم على المعاني والدقائق والمبادي
لفهم العلوم على وجهها والحقائق المحصل في العلوم والمدرك
لها خصوصا المنطوق والمفهوم الشيخ محمد الامير في المشاركة
في العلوم للنفس منه اجازة لما سمعه مني وغيره مما اخذته
عن الاشياخ بالسماع والاجازات ظنا منه اني اهلا لذلك
ولست اهلا لما هنالك الا اني حسنت ظنه فاقول اجزته بما
اخذه مني وما سمعه مما سمعته من الاشياخ وغيره من
المجازين من الاشياخ مما في هذه الكراسة وغيره نفع
الله به واطال عمره في ذلك وارجوا منه ان لا ينساني
من صالح دعواته في خلواته وجلواته بحسن العاقبة
على الكرامة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وكتبه افقر عباد الله واحوجهم الى الطافه علي بن احمد
الصعيدي خادم الفقراء بالازهر المعمور بذكر الله تعالى وقد اثبت
ما صدر منه ومن غيره من الاشياخ في المذكر [illegible]

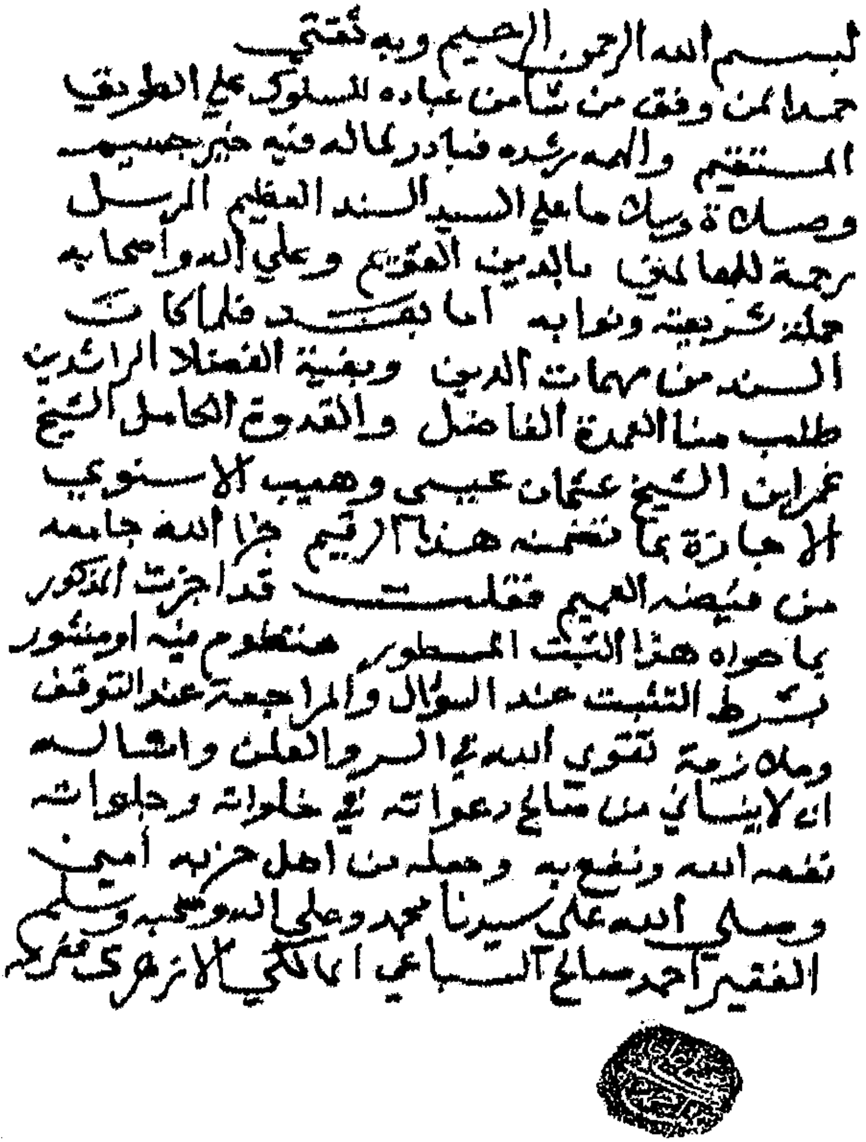
صفحة أخرى مكملة للصورة السابقة، وهي جزء من ثبت الأمير، ولا أعرف صاحب الخط.


الحق المذنب مع علمي باني لا استحقه حرصا على حفظ
تعاليمهم وتيمنا بحسب نظرهم وبنسبتي لهم جزاهم الله تعالى
خيرا ومنهم شيخي الشيخ ذو التآليف المفيدة في الفنون
العديدة استاذ الاستاذ الشيخ السيد البليدي المالكي وهو من
مشايخ شيخنا المتقدم بل ومن مشايخه اخذت عنه الاربعين
النووية في مدرسة السلطان الاشرف ببر المصر في شهر
رمضان وحضرت عليه بتلك المدرسة ايضا في قصة مولد
صلى الله عليه وسلم [illegible] الشيخ [illegible] وحضرت عليه في
شرح السعد على العقائد النسفية بالجامع الازهر ومات ولم
يكمله واجازني رحمه الله وكان من حضر مجلس الشيخ
الصالح المتقشف العابد مريد المريدين الشيخ عبد الوهاب
العفيفي المرزوقي وكان السيد بينهما [illegible] ويتبرك به
نفعنا الله به وبالجميع ومنهم هلال المغرب وبركته وحامل
لواء [illegible] العالم العامل والتالي [illegible] المشهورة في الفنون
المعينة سيدي [illegible] ابن سودة المالكي حضرت عليه في
الموطأ بالجامع الازهر عام [illegible] وحضر فيه كثير من المدرسين
المالكية وغيرهم واجازني اجازة عامة ومنهم شيخنا العالم الفاضل
الصالح الكامل ذو الاسانيد العالية نور الدين ابو الحسن سيدي
ابن محمد [illegible] المغربي السقاط المالكي حضرت عليه الموطأ
بتمامه بمدرسة السلطان المذكور وسمعت منه البخاري
من باب الجنائز الى اخر الكتاب وجملة كثيرة من اوله [illegible] مسلم
وغير ذلك

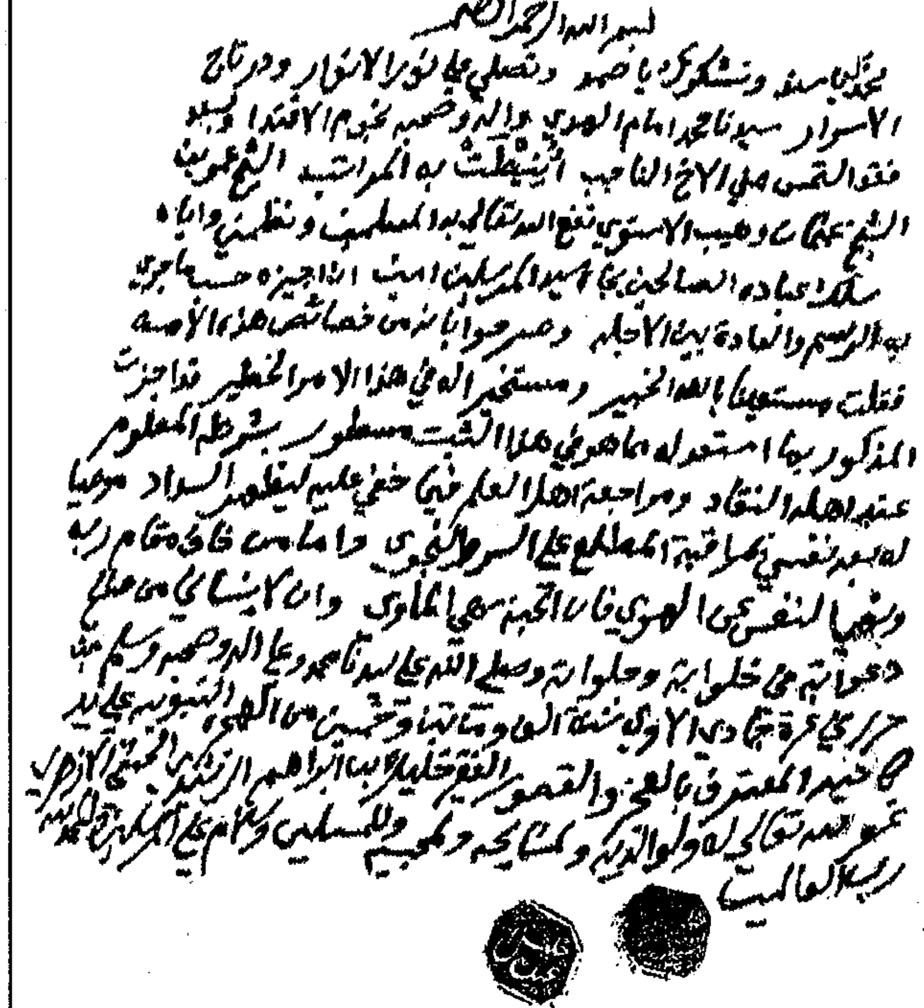
صفحة ثالثة مكملة للصورة السابقة



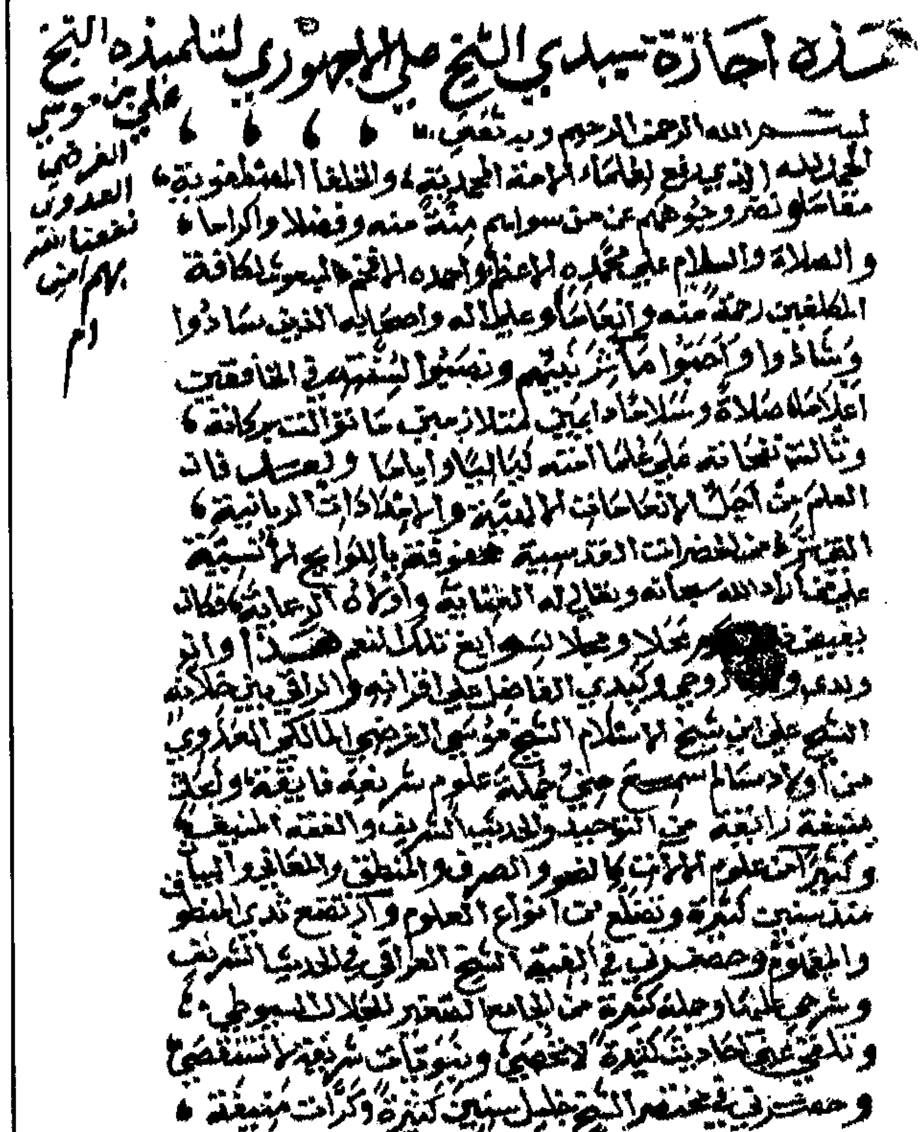
صورة خط العلامة إبراهيم الملوي المالكي رحمه الله تعالى، وتحتها صورة خط العلامة عبد الله القاضي المالكي رحمه الله تعالى


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
حمدا لمن وفق من شاء من عباده للسلوك على الطريق
المستقيم والهمه رشده فبادر لما له فيه خير جسيم
وصلاة وسلاما على السيد السند العظيم المرسل
رحمة للعالمين بالدين القويم وعلى آله وأصحابه
حملة شريعته ونوابه اما بعد فلما كانت
السند من مهمات الدين وبغية الفضلاء الراشدين
طلب منا النبيه الفاضل والقدوة الكامل الشيخ
عمر ابن الشيخ عثمان عيسى وهيب الاسنوي
الاجازة بما تضمنه هذا الرقيم جزا الله جامعه
من فيضه العميم فقلت قد اجزت المذكور
بما حواه هذا الثبت المسطور منظوم فيه او منثور
بشرط التثبت عند السؤال والمراجعة عند التوقف
وملازمة تقوى الله في السر والعلن واساله
ان لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته
نفعه الله ونفع به وجعله من اهل حزبه امين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
الفقير احمد صالح السباعي المالكي الازهري عفي عنه

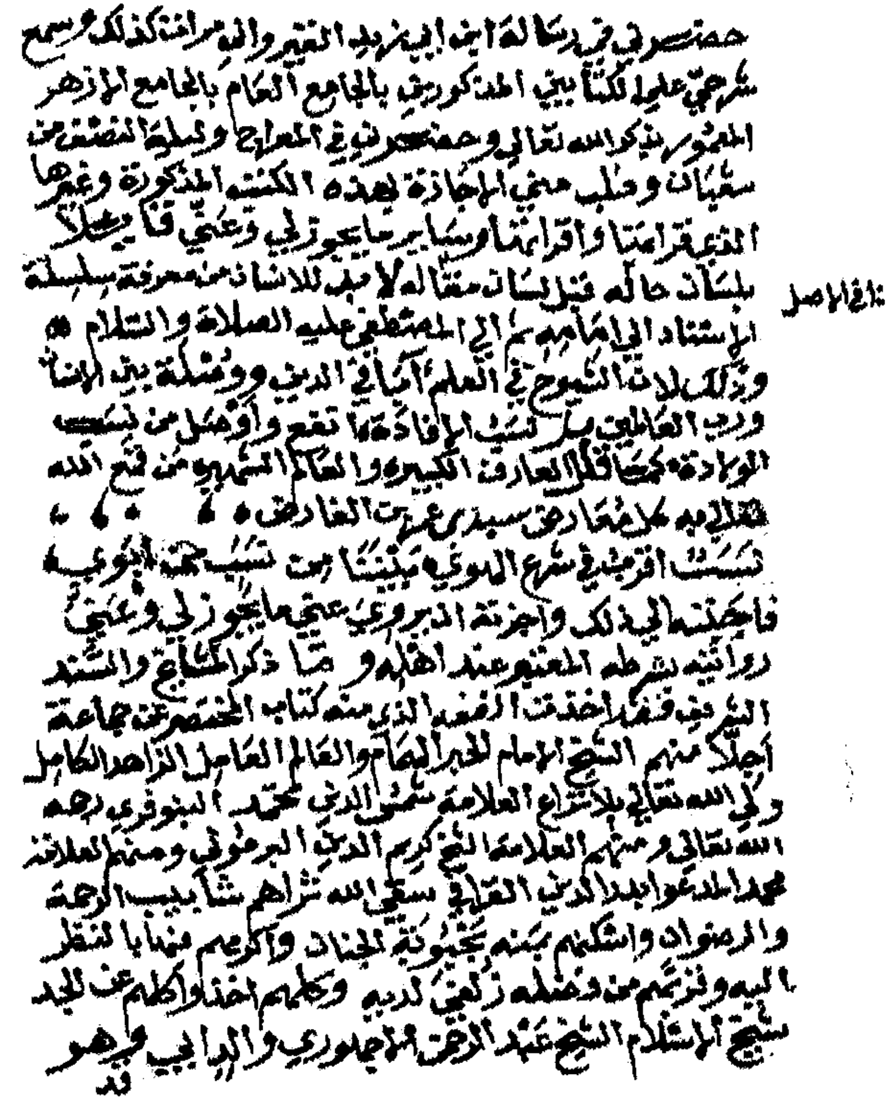
صورة خط العلامة أحمد صالح السباعي المالكي الأزهري رحمه الله تعالى



صورة خط العلامة خليل بن إبراهيم الرشيدي رحمه الله تعالى

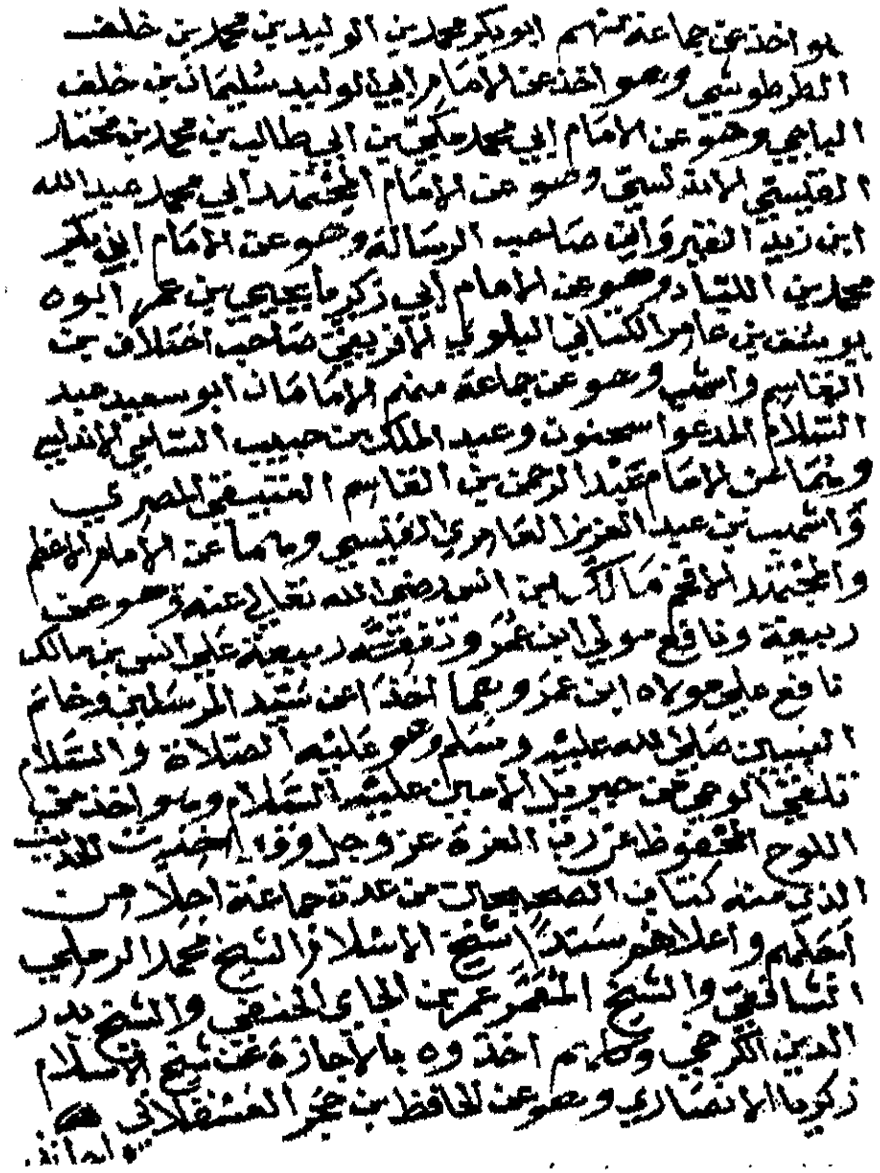


الصفحة الأولى من إجازة العلامة علي الأجهوري لتلميذه علي بن موسى الفرضي العدوي رحم الله الجميع



حصن حصين وفي رسالة ابن أبي زيد القيرواني والمرشد كذلك وسمع
شرحي عليها لكتابي المذكورين بالجامع العام بالجامع الأزهر
المعمور بذكر الله تعالى وحصن حصين وفي المعراج وليلة النصف من
شعبان وطلب مني الإجازة بهذه الكتب المذكورة وغيرها
التي قرأهما وأقرأهما وسائر ما يجوز لي وعني فأجبته لا
بلسان حاله فقط بل بلسان مقاله لا بد للإنسان من معرفة سلسلة — … الأصل
الإسناد إلى إمامه ثم إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام
وذلك لأن الشيوخ في العلم آباء في الدين ووصلة بين الإنسان
ورب العالمين … نسب الإفادة … أفضل من نسب
الولادة كما قال العارف الكبير والعالم الشهير من نفع الله
… به … العارف سيدي عمر بن الفارض
نسبٌ أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبوي
فأجبته إلى ذلك وأجزته أن يروي عني ما يجوز لي وعني
روايته بشرطه المعتبر عند أهله و… ما ذكر الأشياخ والسند
… فمما أخذت الفقه الذي منه كتاب المختصر عن جماعة
أجلاء منهم الشيخ الإمام الحبر الهمام والعالم العامل الزاهد الكامل
ولي الله تعالى بلا نزاع العلامة شمس الدين محمد البنوفري رحمه
الله تعالى ومنهم العلامة الشيخ كريم الدين البرموني ومنهم العلامة
محمد المدعو بدر الدين القرافي سقى الله ثراهم شآبيب الرحمة
والرضوان وأسكنهم بمنه بحبوحة الجنان وأكرمهم فيها بالنظر
إليه ونزههم من فضله زلفى لديه وكلهم أخذوا عن الجد
شيخ الإسلام الشيخ عبد الرحمن الأجهوري والد أبي وهو
قد

الصفحة الثانية من إجازة علي الأجهوري



هو أخذ عن جماعة منهم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف
الطرطوشي وهو أخذ عن الإمام أبي الوليد سليمان بن خلف
الباجي وهو عن الإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار
القيسي الأندلسي وهو عن الإمام المجتهد أبي محمد عبد الله
ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة وهو عن الإمام أبي بكر
محمد بن اللباد وهو عن الإمام أبي زكريا يحيى بن عمر أبوه
يوسف بن عامر الكناني البلوي الأندلسي صاحب اختلاف ابن
القاسم وأشهب وهو عن جماعة منهم الإمامان أبو سعيد عبد
السلام المدعو سحنون وعبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي
وهما عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري
وأشهب بن عبد العزيز العامري القيسي وهما عن الإمام الأعظم
والمجتهد الأقدم مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وهو عن
ربيعة ونافع مولى ابن عمر وتفقه ربيعة على أنس بن مالك
نافع على مولاه ابن عمر وهما أخذا عن سيد المرسلين وخاتم
النبيين صلى الله عليه وسلم وهو عليه الصلاة والسلام
تلقى الوحي عن جبريل الأمين عليه السلام وهو أخذ عن
اللوح المحفوظ عن رب العزة عز وجل وقد أخذت الحديث
الذي منه كتاب الصحيحين عن عدة جماعة أجلاء من
أجلهم وأعلاهم سندا شيخ الإسلام الشيخ محمد الرملي
الشافعي والشيخ المعمر عمر بن الحائك الحنفي والشيخ بدر
الدين الكرخي وكلهم أخذوه بالإجازة عن شيخ الإسلام
زكريا الأنصاري وهو عن الحافظ ابن حجر العسقلاني هـ
…

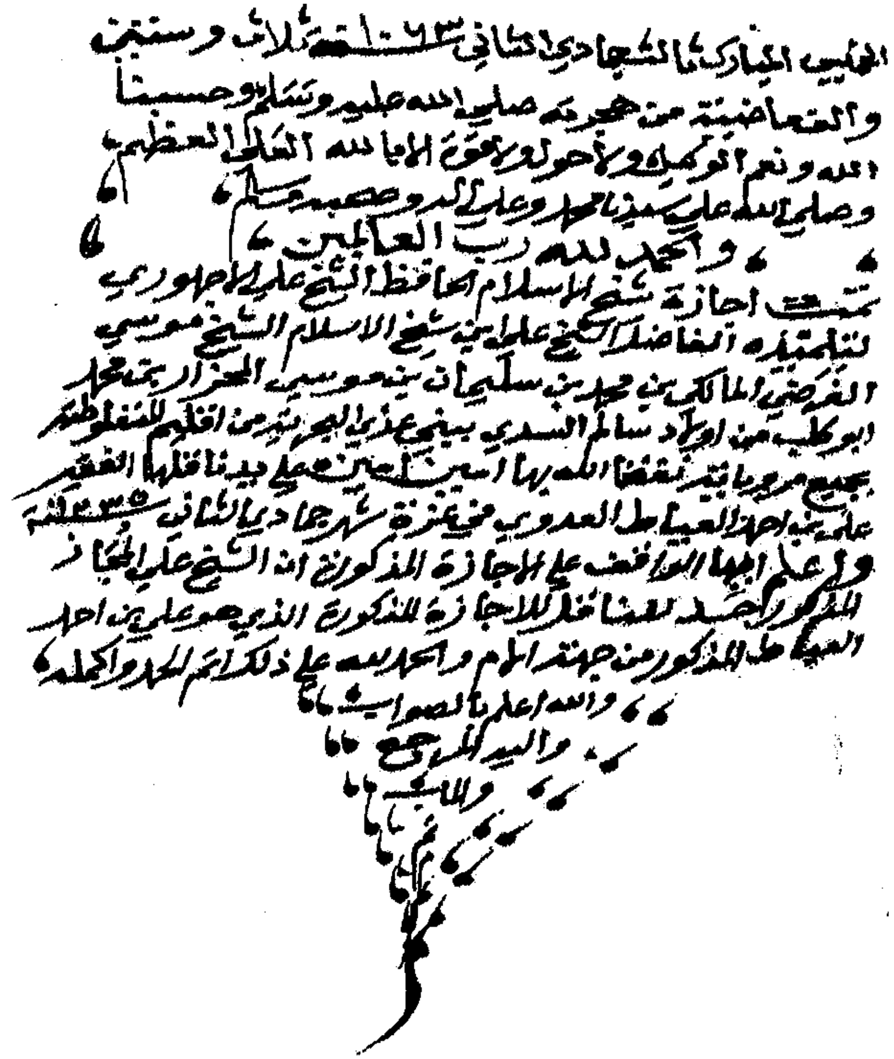
الصفحة الرابعة من إجازة علي الأجهوري

وأجازني الشيخ عمر المذكور والشيخ نور الدين العراقي أيضا
بالحديث وغيره وهما أخذا عن جماعة منهم الحافظ جلال
الدين السيوطي فبيني وبين الحافظ السيوطي وأخذت
من طريقهما وكذا بيني وبين شيخ الإسلام وبين الحافظ ابن
حجر ثلاثات وإذا تقرر ذلك فلنذكر سند الحافظ
ابن حجر للبخاري ومسلم وسند الإمام السيوطي لهما أيضا
لتكون تلك معلومًا للمتبرك به فنقول قال الحافظ
ابن حجر أخبرني بالبخاري شيخنا العلامة إبراهيم التنوخي
وقال التنوخي أخبرني شيخ الإسلام شهاب الدين
أحمد الحجار قال أخبرنا به أبو الوقت عبد الأول
ابن عيسى الهروي قال أخبرني به شيخ الإسلام
أبو الحسن الداودي قال أخبرنا به أبو محمد عبد الله
الفربري قال أخبرنا به البخاري وأما سند الإمام
ابن حجر لمسلم فإبراهيم التنوخي وسيأتي سند التنوخي
لمسلم وأما سند السيوطي للبخاري فهو ما أشار
إليه بقوله أخبرني به الشيخ جلال الدين التميمي
والشيخ محمد بن علي الحلبي قالا أخبرنا به أبو الحسن
علي الدمشقي قال أخبرتنا به وزيرة بنت عمر بن
أسعد التنوخية قالت أخبرنا به أبو محمد عبد الله
ابن الحسين بن المبارك الزبيدي قال أخبرنا

الصفحة الخامسة من إجازة علي الأجهوري

به أبو محمد عبد الله الحموي قال أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن
يوسف الفربري قال أخبرنا به البخاري وأما سند الإمام
السيوطي لمسلم فهو ما أشار إليه بقوله أخبرني شيخ الإسلام
علم الدين البلقيني قال أخبرنا التنوخي قال أخبرنا به أبو
الفضل سليمان بن حمزة عن أبي الحسن علي بن محمد بن نصر
عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله عن سليمان النيسابوري
عن الإمام القدوة مسلم صاحب الصحيح رضي الله سبحانه وتعالى
عنه والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب قال
ذلك شيخ الإسلام وشيخنا وشيخ أهل عصره من جميع الأنام
عالم الوقت سيدي الشيخ علي بن شيخ الإسلام زين الدين
ابن شيخ الإسلام الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي وكتب
عنه بإذنه والمسؤول من الولد الصالح والعزيز الناصح
أن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وأن
يكون مائلا عما هو الغرض بل مشتغلا بعد ما لزم من
ضروريات المعاش على أعمال الآخرة وأنا أسأل الله الذي
لا يرد سائله ولا يخيب من قصد فضله أن يلهمه
ما يرضيه من الخيرات ويجعله ممن يلوذ بمنيع حرز خير
البريات عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه
الجهابذة الأعلام صلاة وسلاما دائمين متلازمين
ليوم القيام والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تحريرا في يوم
الخميس

الصفحة السادسة من إجازة علي الأجهوري



الطيب المبارك ثاني جمادى الثاني سنة ١٠٦٣ ثلاث وستين
والألف من هجرته صلى الله عليه وسلم وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين
تمت إجازة شيخ الإسلام الحافظ الشيخ علي الأجهوري
لتلميذه الفاضل الشيخ علي ابن شيخ الإسلام الشيخ موسى
الفرضي المالكي ابن محمد بن سليمان بن موسى [illegible] بمحل
ابو كليب من أولاد سالم السدي بنجع عذيبة البحر [illegible]
بجميع مروياته نفعنا الله بها آمين آمين وصلى على نبينا نقلها الفقير
علي بن أحمد العياط العدوي في عشرة شهر جمادى الثاني سنة [illegible]
ولم أعلم أنها التي وقف على الإجازة المذكورة أن الشيخ علي العياط
المذكور [illegible] للإجازة المذكورة الذي هو علي بن أحمد
العياط المذكور من جهة الأم والحمد لله على ذلك أتم الحمد وأكمله
والله أعلم بالصواب
وإليه المرجع
والمآب

الصفحة السابعة والأخيرة من إجازة علي الأجهوري



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجاز على صراطه المستقيم أهل الاستقامة في طلب الحديث وأفاد من سلك النهج القويم أعظم الإفادة في القديم والحديث والصلاة والسلام على متصل الإسناد إلى رب العباد من خصه الله في قوله وفعله بالصحيح والحسن وسدده غاية السداد وعلى آله السادة الفقهاء الحلماء العلماء كادوا من علمهم أن يكونوا أنبياء وعلى صحابه الذين اختارهم لصحبته كما اصطفاه لرسالته من بين أهل الأرض والسماء وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم اللقاء

وبعد فلما كان الإسناد إلى سيد العباد مطلوبا بالذات ومرغوبا بالصفات ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء وأسند من أراد إلى من أراد وادعى ما ادعى وكان الشاب الزكي أعز الأحباب الذكي الابن السري والولي اللوذعي الناشئ في خدمة العلم رواية ودراية والساعي في اكتساب الفضائل والفواضل غاية ونهاية سيدي الشيخ علي بن المرحوم إن شاء الله الشيخ إسماعيل بن أحمد العياط ممن رغب في ذلك واغتبط به أشد اغتباط طلب مني أن أجيزه بما تجوز لي روايته من العلوم النقلية والعقلية من تفسير وحديث وفقه الأئمة الحنبلية وغيره كذلك من سائر العلوم الزكية فأنشدته ما أنشدني بعض من سألته ذلك قلت يا أهل أن أجاز فكيف أن أجيب ولكن الحقائق قد تخفى فلم يزده إلا التكرار إلحاحا وكان منع مثله عن ذلك داخلا في قول الإمام الرئيس محمد بن إدريس ومن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم فأعاد وأبدى

الصفحة الأولى من إجازة العلامة أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي لتلميذه علي إسماعيل أحمد العياط العدوي المصري، وهذه الوثيقة مهمة جدًّا لمن له عناية بعلماء الأحساء



علي كتاب حلية الخلق للشيخ عبد الله بن سالم البصري وسند الحلبي
فأروي جميع العلوم عن شيخنا محمد بن عبد الله بن فيروز الأحسائي
عن شيخه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي عن الشيخ عبد الله
ابن سالم البصري المكي فيتصل سندي المذكور إلى الحافظ ابن
حجر العسقلاني المحدث بخمس وسائط والحافظ المذكور يتصل
سنده بأصحاب الكتب الستة بثمان وسائط وسبع وأصحاب
الكتب حيث الجملة لهم ثلاثيات إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وبعض مشايخي أقرب سندا من بعض وشيخنا الإمام الشيخ
مصطفى الرحمتي الأيوبي الأنصاري الحنفي روى عني بثبته وأجازني
بسنده في الحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم
النقلية والعقلية وأروي فقه الإمام الأعظم عن العالم
العامل والفاضل الكامل السيد سعيد أفندي مفتي خادم
المجاور في المدينة المنورة المتوفى فيها حدود سنة ١٢١٧ وأجازني
بسنده عن أبيه الولي الصالح بجميع ما تجوز له روايته من سائر
العلوم وأقرب مشايخي سندا إلى الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري
وإلى بقية أصحاب الكتب الستة سيدي الفاضل الشيخ صالح الفلاني
الذي ينتسب إلى مذهب مالك وكاد أن يكون مجتهدا في مذهبه
لنهاية علمه في العلوم المؤدية للاجتهاد ثم شيخه المعمر ابن سنة
وكان قد بلغ من العمر قريب من مائة وخمسين سنة والشيخ
صالح المذكور أدركه شابا ومات شيخه والشيخ صالح قريبا من
عشرين سنة وعمر الشيخ صالح حتى جاوز الثمانين ومشايخ

الصفحة الثالثة من خط أحمد بن حسن الرشيدي



شيخه المذكور المتصل سندهم إلى أصحاب الكتب الستة غالبهم عمر أكثر
من مائة سنة حتى كان بين الشيخ وبين البخاري إحدى عشر
واسطة بعد ذلك أخبرني الشيخ صالح وكتب لي بذلك سندا
متصلا وقدمني كما تراه بيدي وكتبي حين استجزت
المدينة المنورة وكنت فيها وذلك في ثالث عشر ذي القعدة
الحرام سنة ١٢٢٧ ألف ومائتين سبعة وعشرين هجرية نبوية ومن
مشايخي في الأذكار الرحمانية والمكاشفة والأوراد الصباحية
والمسائية ومذهب السادة الصوفية السنية الشيخ محمد فضل
بن حسن بن عطا الله فإنه يروي الطريقة النقشبندية عن المشايخ
وأغلب مشايخه هنديون يتصل سندهم إلى الصديق الأكبر والصاحب
في الغار والحضر والسفر أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبيين
والمرسلين وبينه وبين الصديق عشر وسائط من المشايخ
المعروفين هذا غير الطريقة المشهورة عن قاضي الحيوان صحت
فإنها تتصل بقليل من الوسائط بيننا وبين النبي صلى الله
عليه وسلم فإن بعض مشايخنا يرويها عن مشايخه كالشيخ
الهندي عن القاضي المذكور وهو مذكور من جملة الصحابة رضي
الله عنهم أجمعين وأروي مذهب الإمام المالكي مالك بن أنس
الأصبحي رحمه الله عن عدة مشايخ منهم الشيخ عيسى بن عبد
الرحمن بن المطلق والشيخ علي بن حسين الأحسائي المذكر
وعن الشيخ صالح الفلاني المجاور في المدينة المنورة المتقدم
أيضا كما روى مذهب الإمام القرشي محمد بن إدريس الشافعي

الفلاني بضم الفاء وتشديد اللام منسوبة إلى أقصى المغرب

الصفحة الرابعة من إجازة بخط أحمد بن حسن الرشيدي

الشافعي عن جماعة منهم الشيخ احمد بن محمد المصري الأصل الأحسائي
المولد وعن الأجل الأمجد الشيخ احمد العطار والأمثل الأسعد
الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبري الشاميين واروي فقه
مذهب الإمام الرباني الصديق الثاني الامام احمد بن محمد
بن حنبل عن اول مشايخي وشامخ علماء المذهب المذكور الشيخ
محمد بن عبد الله بن فيروز الأحسائي فإنه لا يوجد حنبلي في
وقته الا واخذ عليه او اخذ في المذهب الآن شاء الله سبل
غالب اهله وقته خصوصا اهل نواحيه اخذ عنه الاجازة
في مذهبه وغيره من علماء المذاهب الاربعة واروي مذهب
الامام مالك وعلم الفلك والحرف وغيرها من العلوم
المألوفة والعلوم الغريبة عن العالم العامل والعابد
الفاضل الشريف الجامع للفضائل والفواضل السيد عبد الرحمن
بن السيد احمد الزواوي المغربي الأصل الأحسائي المولد فإنه
غاية من مكارم الأخلاق وجمع الله بين شرف النسب والعبادة
والعلم وقل ان توجد هذه الخصال الثلاث في احد فانه اجازني
في سائر العلوم وكان له اليد الطولى في علم الفلك والحرف
وفروعها حتى رصد بعض النجوم في مطالعها وحققها وافترض
على السلطان الحاكم في زمنه وعلى التوزنوني في تحقيقاته في الارصاد
وصنف في هذه العلوم والف وله في الاذكار الصوفية
والاوراد النبوية غاية و في مذهب الامام مالك نهاية
كل من ذكر اجازني بما يجوز له روايته بشرطها المعتبر عند اهل

[illegible]

[illegible]

الصفحة الخامسة من إجازة بخط أحمد بن حسن الرشيدي

الاثر وانا اجزت من ذكر سيدي الشيخ علي بن الرضوم إن شاء الله
الشيخ اسماعيل بن احمد الخياط بجميع مروياتي على جميع
مشايخي المذكورين وغيرهم على ان يتقي الله حيث كان
ويتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وان
يراجع المنقول عند الشك والاشتباه ولا يزال لسانه
رطبا من ذكر الله ولا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته
وقد قرأ علي قطعة من البخاري الشريف لكن انا تفسيره
وقرأ علي اوائل الكتب الستة والمسانيد والمصنفات
بحواش اوايل ثلاثين كتابا من كتب الحديث واخذ علي حديث
الاولية وحديث اني احبك يا معاذ لا تدع دبر كل صلاة
ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
ومذهب الامام احمد رواية ودراية وغير ذلك من فوائد فرائد
ونفائس عرائس وارجو منه ان يذكرني حين يذكر نفسه في الدعا
وان يديم الصلاة والسلام على سيدنا شفيعنا ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم وسبحانه وبحمده وحسبنا ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين قال ذلك الحقير
الحقير اسير الذنب والتقصير الراجي عفو ربه العلي احمد بن حسن
بن رشيد الحنبلي حامدا مصليا مسلما محوقلا

الصفحة السادسة والأخيرة من إجازة بخط أحمد بن حسن الرشيدي

الفهارس

الفهرس الإجمالي

الفهرس الإجمالي

الموضوع — الصفحة

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الدال)

(حرف الراء)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف العين)

(حرف الميم)

**　**　**

الفهرس التفصيلي

كشافٌ تفصيليٌّ

لموضوعات الكتاب ومشتملاته

الفهرس التفصيلي

الموضوع — الصفحة

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

أسانيد المصريين

(حرف الميم)